مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة كل جزء في ١٦٠ صفحة

١ كانون الثاني سنة ١٩٤٩ م

٣ ربيع الأول ١٣٦٨ هـ



دمشق

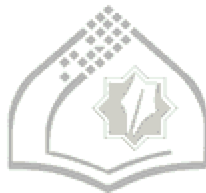
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً

في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري

وفي جميع الاقطار ١٠٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق



الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٢ —

زَبُون : حريف وهو معامل الرجل في حرفته . وفي شرح المقامات لسلامة الانباري : الحريف كلة مولدة ليست من كلام أهل البادية . وفي ذيل كتاب تجارب الأمم للوزير ظهير الدين الروذراوزي ص ٦١ « فان زبون الحلاوي سيعدل اليك » وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي البغدادي ص ٦٧ « فاذا عرف بقعوده على الدكة وصار له الزبون قام يدور ويدخل الدور » وفي ذيل أقرب الموارد ص ٢٨١ عن اللسان : زبون طيّب أي سهل في معاملته . وهي سريانية الاصل ܙܒܘܢܐ zobouno معناها المشتري .

الزّجاج : مثلثة ، جوهر صلب سهل الانكسار وشفّاف يُصنع من الرمل والقِلي ، وفي القرآن (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة) سريانية ܙܓܘܓܝܬܐ zghoughitho زغو غيثو كذا القطعة والاناء منه . والزّجاج بائعه : ܙܓܘܓܝܐ zghoughoio ويقال له القواريري (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لمحمد المقدسي البشاري ص ٣١) .

زَجْر : سمك عظيم الجثة صغير الحرشف ، سريانية ܙܓܪ ، ܙܓܪܐ zghar zaghro [1] .

الزَّرَجون : الخمرة معرب زركون اي لون الذهب ، كذا في شفاء الغليل ، وفيه : وقال النضر : هو شجر العنب بلغة أهل الطائف ص ٩٨ — وفي أدب الكاتب لابن قتيبة الدنيوري ص ٢٦٢ « الزرجون الخمر وأصله بالفارسية زركون أي

(١) زرجه بالرمح: زجّه به، قال ابن دريد وليس باللغة العالية. زرجه، شجّه قال ابن دريد، ليس بثبت — قلنا ورد في السريانية ܙܪܛ zrat بمعنى : شرط ، خدش ، شيّح .

لون الذهب » قلنا الكلمة سريانية الأصل ومنها عربت لا من الفارسية كما ذهب ابن قتيبة والأصمعي : ففي السريانية القديمة ܙܪܓܘܢܐ zargono ، فرع ، اصل الكرمة المدفون ، وفي سفر العدد : ١٣ : ٢٣ « وقطفوا من هناك زرجونةً » وهي واحدة الزرجون . ولا تزال عامة بلاد الشام ولبنان تسمي قضبان الكرم التي تُكسَح ، (جَرَزون) مقلوبةً ، بتقديم الجيم على الزاء . وفي القاموس : « الزرجون محركة ، الخمر والكرم او قضبانه » والمزرّج : النشوان أخذاً من هذا الحرف قال الراجز :

هل تعرف الدار لامّ الخزرج منها فظلْتَ اليومَ كالمزرَّجِ

و ܙܘܪܓܘܬܐ zorgoutho : لون الخمر و ܙܘܪܓܐ zorgo خمريّ اللون [1]

وفي معجم الأدباء ١٠ : ١١٦ قال الحسين بن عبد الله بن أبي حصينة المعرّي في بعض قصائده :

وكأنما زَرَجونة جاءت بها سُقيَت مُذابَ التّبرِ عند غِراسِها

وفي كتاب المعرب للمطرّزي : إنامة الزراجين : دفنها وتغطيتها بالتراب ، مجاز .

زُرنوق : في القاموس : الزُرنوقان : بالضم ويفتح منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر ، وزاد أقرب الموارد : فتوضع عليهما النعامة وهي الخشبة المعترضة عليهما ثم يُعلَّق بها البكرة ويُستقى بها . والزرنوق أيضاً النهر الصغير . والجمع زرانيق ، قال احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في كتاب البلدان ص ٣١٣ « وبها آبار يسقى منها النخل والمزارع ، تجرها النواضح ، وهي الابل التي تعمل

(١) نستدرك على الأستاذ بطرس البستاني قوله : الزروار والزرزار : البطرك ، وهو غلط بيّن صوابه . الزُررار : البطريق بمعنى قائد الجيش والجمع زرازرة . وفي التكملة الزراورة ، كذا في القاموس ٢ : ٣٩ والشرح على الهامش . وكثيراً ما يغلط طبقة من الكتاب المعاصرين لما يخلطهم بين لفظة (البطرك والبطريرك) الذي هو رئيس رؤساء أساقفة المسيحيين ، وهو حرف يوناني معناه اللفظي رئيس الآباء ، وبين البطريق ومعناه باللاتينية قائد الجيش والخطأ سرى اليهم من استعمال الترك أو ممن تقدمهم كأبي الفداء في قوله « ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال « البطارقة » للنصارى بمنزلة الأئمة ، (تاريخه ١ : ٩٠) .

في الزرانيق » ومن مرادفاتها : دولاب (وَحذّانة) (أحسن التقاسيم للمقدسي البشاري ص ٣١) . وفي أقرب الموارد ١ : ٤٦٣ زرنق فلان : استقى على الزرنوق بالاجرة . وفي القاموس : ودير الزرنوق على جبل مطلّ على دجلة بالجزيرة . وفي السريانية : ܙܪܢܘܩܐ بالفتح : zarnouqo مدلوله: سطل ، دلو لاستقاء الماء .

زُعْرور : جنس شجر من فصيلة الورديات ܙܥܪܘܪܐ ، ܙܥܪܪܐ zaarouro · zaaroro

زُغلول : معناه في العربية : الخفيف من الرجال السريع والطفل . وجاء في الدميري : الزغلول بضم الزاي فرخ الحمام ما دام يُزَقّ ، يقال أزغل الطائر فرخه اذا زقّه . وورد هذا الفعل في أقرب الموارد ١ : ٤٦٦ وأصل الكلمة سرياني ܙܘܓܠܐ ، ܙܘܓܠܐ zoughalo , zoughlo معناها: فرخ الحمام والحجل خاصة[1] .

زِفت : جاء في شفاء الغليل ص ٩٩ الزفت هو القار ، قال الدريدي : معرّب تكلموا به قديمًا ، وفي الحديث نهى عن المزفّت اهـ . هو سرياني : ܙܦܬܐ zefto : قير ، وفي نبوة اشعيا ٣٤ : ٩ « ان آدوم تتحول أوديتها لزفت ، وغُبرها لكبريت » والفعل ܙܦܬ zafète زفّت ، طلى بالزفت والمفعول ܙܦܝܬܐ zafito : مزفّت مقيّر .

زِقّ : جلد للشراب وغيره ، واسم عامّ للظرف جمعه زقاق : حرف سرياني ܙܩܐ ، ܙܩܘܬܐ : zéqo , zéqoutho . وفي سفر يشوع ٩ : ١٣ « زقاق الخمر التي ملأناها[2] » .

---

(١) فصيحه الجَوزَل وهو فرخ الحمام قبل أن ينبت ريشه وعليه المثل : هو اهزل من الجوزل . ويستعمل أيضاً لما ينبت ريشه . وقال الدميري « الجوزل بفتح الجيم فرخ الحمام والقطا وأنواعها والجمع جوازل ، قال الشاعر : يا ابنة عمي لا أحب الجوزلا » . كذا في الدليل لرشيد عطية ص ١٦٤ – ١٦٥ . قال ابن فارس في مقاييس اللغة ١ : ٤٥٤ « ومما شذّ عن الباب (باب جزل) الجوزل وهو فرخ الحمام قال :

قالت سليمى لا أحبّ الجوزلا   ولا أحبّ السمكاتِ مأكلا »

(٢) زقاقاً : أوردها البشاري في أحسن التقاسيم ص ٣٢ من جملة الألفاظ التي يختلف فيها أهل الأقاليم ، قال : صاعداً زقاقاً ، منحدراً شبالا . وهي –

زَمَرتا : زمّارة ، القصبة التي يُزمّر بها ، والزامرة بها ، كلمة سريانية ܙܡܪܬܐ ، ܙܡܘܪܬܐ zamorto , zamarto وردت في كتاب « افوريسما ابقراط » ص ٢٣ وفي ترجمة اثناسيوس الثاني البطريرك الانطاكي السرياني المعروف بالبلدي ، لكتاب « ابود يقطيقي » من اليونانية للسريانية وكانت تتداول في مدينة منبج ، فأوردها البحتري الشاعر المشهور في بيت من قصيدة له هجا بها أهل بلده قال :

مُقَوِّسين على البوبندر يُطربهم سَجْعُ الزمرتا واصحابُ الطواحين

(ديوانه جزء ٢ ص ٦٦٣ طبع بيروت) وقال الأب دورم ص ٢٩٨ zammeru في اللغة البابلية تعني : مرنّم .

مَزمور : والجمع مزامير وهو سفر داود النبي . وفي الأساس : مزامير جمع مزمار ، كأنّ في حلقه مزامير لطيب صوته ، أو جمع مزمور من مزمورات داود عليه السلام . وفي سفر الأعمال ١ : ٢٠ « لأنه مكتوب في سفر المزامير ܡܙܡܘܪܐ mazmouro من فعل ܙܡܪ zmar ومعناه زمّر ، رنّم ، سبّح ، غنّى [1] .

زُنّار : نطاق ، حزام ، سريانية ܙܢܪܐ ، ܙܘܢܪܐ zounoro , znoro والفعل زنّر ܙܢܪ zanar ، وفي سفر اللاويين ٨ : ٧ « ونطّقه بزنّار الرداء » . وفي الأساس ١ : ٤٩ « شدّ الزنار والزنارة على وسطه ، وتزنّر النصراني » وذلك ان بعض الخلفاء كانوا يتعسّفون المسيحيين بشدّ الزنارات في أوساطهم اذلالاً لهم وامتهاناً كما أثبت التاريخ ، وورد في كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف ص ١٥٢ « ويؤخذوا بان يجعلوا في اوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه

— ܙܩܘܦܐ zoqoufo : رافع ، ناصب ، من فعل ܙܩܦ zqaf ، وشبالا من فعل ܫܦܠ shfale . بمعنى سفل ، انحطّ .

(١) زمرّد ، حجر كريم شديد الخضرة شفاف ويقال له زبرجد ، او هو نوع منه ، معرب ، ومما يستدرك على المعاجم انه معرب من اليونانية وأخذته العربية بواسطة السريانية ܙܡܪܓܕܐ zmargdo وباليونانية smaragdos مقالة الأستاذ بندلي جوزي : مجلة مجمع اللغة العربية ص ٣٤٢ » .

كل منهم» والكلمة ومشتقاتها سريانية[1] قال صاحب الجاسوس على القاموس ص ٢٤٨ «وفي الجمهرة تزنر الشيء • اذا دقّ ولا أحسبه عربياً صحيحاً، فان كان للزنار اشتقاق فمن هذا ان شاء الله •

زَنيم : لئيم معروف بلؤمه ، وفي القرآن «ولا تطع كل حلاّف مَهين ... بعد ذلك زنيم» ولا فعل له بالعربية فنرجح انه حرف سرياني ܙܠܝܡܐ zlimo ومعناه الأعوج المنحرف ، وفعله ܙܠܡ zlam •

زَورَق : سفينة صغيرة، معبّر ܙܘܪܩܐ zourqo[2] •

زُوفى : نبت له ورق كورق الصعتر الدقيق طيّب الرائحة ܙܘܦܐ : zoufo وفي المزمور ٥١ : ٧ «اغسلني بالزوفى فاطهر» •

زِيّاح : طواف كنسي ، احتفال ، مصدر من فعل ܙܝܚ zaiah : حمل شيئاً وطاف به بابّهة ، بجّل ، عظّم ܙܘܝܚܐ zouioho كلمة يتداول المسيحيون استعمالها للتعبير عن حفلاتهم الدينية ، وفي المجدل لماري بن سليمان ص ١٤٣ «وزيّح العيد بحضور ابن الحداد الاسقف» •

* * *

حرف السين

سابا : الشيخ ، حرف سرياني ܣܒܐ sobo وتسمى به المسيحيون • أورد التاج ٣ : ص ٢٤ قال ابن العديم في تاريخ حلب «معنى دير سابان بالسريانية دير الجماعة ومعنى دير عمان دير الشيخ وكلا الديرين من اعمال حلب» وهو غلط صوابه ، ان دير سابان يعني دير الشيخ ودير عمان : معناه دير الجماعة •

(١) زنديق : ملحد ، دهري . قال ابو حاتم هو فارسي معرب ، وورد في الدليل ܙܕܘܩܐ zadouqo وفي معجم ابن بهلول ܙܕܘܩܝܐ zadouqoio بمعنى ، فلا نقطع بصحة أصله .

(٢) زفيزف : شجر وثمره وبالسريانية ܙܘܙܦܐ zouzfo أورده كنز اللبيان السرياني ص ٢٦٢ وقال فيه الخوخ الشامي ؟ ولم ترد الكلمة في معجم الألفاظ الزراعية .

سابوع: اسبوع، لفظ سرياني ܫܳܒܽܘܥܳܐ، ܫܳܒܽܘܥܬܳܐ، ܫܳܒܽܘܥܳܐ shabouo shobouto , shobouo وفي نبوة دانيال ٩ : ٢٥ «يأتي عليه وعلى قومه سبعون سابوعاً» (الدين والدولة ص ١١٧) وقال البيروني ص ١٦ : والسابوع سبع سنين مجموعة [(١)] .

السامة : الذهب والفضة أو عروقها في الحجر، جمعه : سام (القاموس ٤ : ١٣٣ واقرب الموارد ١ : ٥٦٠) وذكر الزمخشري في كتابه الفائق في غريب الحديث ص ٥٥٩ — ٥٦٠ «ان ابن قتادة فسر قول رهط من اليهود في سلامهم على الرسول : السأم عليكم يا أبا القاسم، انه يعني تسأمون دينكم، ورواه غيره، السأم وهو الموت . قال الزمخشري فان كان عربياً فهو من سام يسوم اذا مضى لأن الموت مضيّ، ومنه قيل للذهب والفضة سام، لمضائها وجولانها في البلاد» اهـ .

قلنا نحسب اللفظة معربة من السريانية ܣܺܝܡܳܐ simo وتكتب بالألف (سامو) ومعناها : فضة، نقود . وقال ابن بهلول عمود ١٢٩٣ نقلاً عن ابن سروشويه، وأحياناً نطلق هذا الاسم على الذهب والفضة معاً، والفعل ܣܰܐܶܡ saème : فضّض، طلى بالفضة . فتأوّل الزمخشري لهذا الحرف معنى المضاء والجولان اجتهاد غير موفق .

سُبّار : بشارة السيدة مريم بحمل السيد المسيح . قال البيروني ص ٣٠٩ «وكالسُّبار، وهو بشارة مريم بحمل المسيح» وابو نصر التكريتي السرياني في كتابه المرشد قال «وسُبّار النبي لا يكون بالمعجز فقط» كلمة سريانية ܣܽܘܒܳܪܳܐ souboro مصدر فعل ܣܰܒܰܪ sabar بشّر .

السبت : بالسريانية والعبرية معناه الراحة والقطع، اسم اليوم السابع من الأسبوع، وفي سفر الخروج ٢ : ٨ اذكر يوم السبت لتقدسه ܫܰܒܬܳܐ shabtho .

(١) الساج : شجر يعظم جداً لا ينبت الا ببلاد الهند وخشبه اسود رزين لا تكاد الأرض تبليه . ذكر في التوراة . وهو بالسريانية ܫܳܓܳܐ chogho .

سبّح : سبّح الله وسبح له : حمده وقدّسه وأثنى عليه ، وقال سبحانَ اللهِ ونزّهه عما يقول الجاحدون • وهذا أصحّ تعريف لمعنى الكلمة • وزاد صاحب المصباح ص ٤٠١ وغيره «ويكون اللفظ بمعنى الذِكر والصلاة» ولا وجهَ لقول الفيروزابادي (١ : ٢٢٦) ان معنى سبحانَ اللهِ السرعة اليه والخفة في طاعته • والمادة سريانية وعبرية فالفعل ܫܰܒܰܚ shabah ومعناه : سبّح ، رنّم ، مجّد ، عظّم ، حمد ، أثنى ، والمصدر ܫܽܘܒܳܚܳܐ shouboho ومدلوله : حمد ، تسبيح سبحان ومثله الاسم ܫܽܘܒܚܳܐ shoubho : حمد، تسبيح، تمجيد، ومنه ܬܶܫܒܽܘܚܬܳܐ teshbouhto : تسبحة ، حمد • و ܫܒܺܝܚܳܐ و ܡܫܰܒܚܳܐ shbiho , mshabho سُبّوح بضم السين وفتحها من صفاته تعالى لأنه يُسبَّح • وفي المزمور ٨٤ : ٤ «في بيتك أبداً يسبّحونك» وفي سفر الخروج ١٥ : ١ «حينئذ سبّح موسى وبنو اسرائيل بهذه التسبحة للرب وقالوا» «الترجمة الموصلية والشدياقية» وفي نبوة اشعيا ٥٤ : ١ «سبّحي أيتها النزور الرقوب واغتبطي بالحمد أيتها العاقر، فقد زاد وُلد الفارغة المجفية على وُلد المشغولة الحظية» [الدين والدولة ص ٩١] وقال عدي بن زيد :

ليس شيء على المَنونِ بباقِ غيرُ وجهِ المسبَّحِ الخلّاقِ

وعمّ استعمال المادة المسيحيين في أثناء أدعيتهم من ذلك «التسبحة لله» في كتاب الناموس للروم والفاظ شتى في كتب صلواتهم • وأقر الزمخشري وابن الأنباري والسيوطي واحمد فارس أنها سريانية النجار، وزاد الأخير في الجاسوس ص١٥ «ان التقديس والتسبيح لفظتان سريانيتان واخذ التسبيح من هذا المعنى أولى من قول بعضهم انه من معنى السباحة لأن المسبّح يمد يديه كما يمد السابح يديه في السباحة» اﻫ!

سِبط : قبيلة ، وفي الاساس ١ : ٤١٨ هو سبط ، وهم اسباط ، ويقال قبائل العرب وأسباط اليهود ، قال الزجاج : القبيلة من ولد اسمعيل كالسبط من ولد

اسحق . وفي سفر التكوين (٤٩ : ١٦) اسباط اسرائيل : كلمة سريانية وعبرية ܫܒܛܐ shabto ومدلولها بالسريانية أيضاً ، سوط ، قضيب .

سَجَدَ : خضع وانحنى . كلمة سريانية ܣܓܶܕ sghède : سجد ، ركع ، عبد . وفي سفر التكوين ٢٤:٢٦ « نخرّ الرجل وسجد للرب . قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

ملائكة لا يفترون عبادةً كروبيّة منهم ركوعٌ وسجَّدُ

وقال المضرّس الأسدي : (معجم البلدان ٤ : ٣٧٥) :

وسِخالِ ساجية العيون خوازلٍ بجماد لينة كالنصارى السجَّدِ

ولينة ماء لبني غاضرة . ومنه :

المسجد : والجمع مساجد : ܡܣܓܕܐ masghdo قال الزجّاج ، كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد (اللسان ٤ : ١٨٨) وفي حديث البخاري ٢ : ٨٣ (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وروى سيبويه عن بعض الشيوخ : (التاج ٥ : ٤١٩) :

فاختر لنفسك مسجداً تخلو به أو صومعهْ

ويستدرك على السيوطي في قوله عن الواسطي « وادخلوا الباب سجّدا » أي مقنّعي الرؤوس بالسريانية (الاتقان ص ١٠٥) لا صحة لهذا وصوابه راكعين ساجدين خافضي الرؤوس .

سحتوت : وسِحتيت : سويق قليل الدسم ، سريانية ܫܚܬܘܬܐ ، ܫܚܬܝܬܐ shehtito , shohtouto وردت في سفر راعوث ، (النسخة السريانية البسيطة فصل ٢ : عد ١٤) وفي ترجمان ابن السني [1] .

---

(١) ذكر الشرتوني ١ : ٥٠٠ انسحق القلب انكسر وتذلل ، نصرانية . قلنا هي لفظة معربة من السريانية تداولها المولدون : ܐܫܬܚܩ eshthèqe مدلولها تندم على ما أسلف من خطايا . وفصيحها خشع ، ولا يقال في آية من المزمور ٥١ « القلب المنكسر » لكن القلب الخاشع » . من الألفاظ التي يتداولها عامة أهل حمص (سحل) بمعنى سيل ، مجرى ماء قليل ، وفي العربية عن الاصمعي : « باتت السماء تسحل ليلتها » أي تصبّ (أقرب الموارد ١ : ٥٠٠) والأساحل : مسايل الماء . وفي السريانية ܫܚܠܐ shehlo ܫܘܚܠܐ shohlo ساحل ، سيل مجرى الماء .

سَخْلة : ولد الشاة ما كان : ܣܰܟ݂ܠܬܳܐ sakhlto ·

سِربال : سراويل وفي الاسكافي ٤٢ السراويل مؤنثة وتجمع سراويلات · ܫܰܪܒܽܘܠܳܐ ، sharbolo , serbolo ومنه فعل ܫܰܪܒܶܠ sharbel سرول و ܐܶܫܬܰܪܒܰܠ eshtarbal سُرول ·

سُرادِق : السرادق الفسطاط الذي يُمدّ فوق سطح البيت ج سرادقات ، سريانية ܣܰܪܳܕܺܝܩܳܐ sarodhiqo : ستر حجاب وليس معرّباً من الفارسية ·

سَرِيس : الذي لا يأتي النساء ، الذي لا يولد له ، عذّين (ابو عبيد ٥ : ١٥) خصيّ · وفي التاج ٤ : ١٦٧ السَّرس والسَّريس ، وسَرِس الرجل اذا عنّ ، وسَرِس كان سريساً والجمع سرساء ، المادة سريانية ܣܳܪܺܝܣܳܐ ، ܣܪܺܝܣܳܐ : soriço , sriço باسكان السين وفتحها وضمها ، والفعل ܣܰܪܶܣ و ܣܪܶܣ sarèce , srèce خصى ·

سُرْم : طرف المعي المستقيم ، كلمة مولدة ، (قاله التاج عن الجوهري) في سريانية ܫܽܘܪܡܳܐ shourmo ·

سَرُو : جنس شجر حَرَجي وللتزيين من فصيلة الصنوبريات (الشهابي ص ٢٠٧) ܣܰܪܘܳ ، ܣܰܪܘܳܐ sarwo , sarou وفي نبوة اشعيا ٤٠ « ··· واغرس في القاع الصفصف السرو البهيّة » (الدين والدولة ص ٨٩) ·

السِّطام والإسطام : المسمار لحديدة مفطوحة تُحرَّكُ بها النار · قال الأزهري لا أدري أعجمية أم عربية (التاج) ܐܶܣܛܳܘܡܳܐ stomo فولاذ ، حديد ، صلب ، سطام ·

سَطر : خطّ ، كتابة ، كلمة سريانية الأصل ܣܽܘܪܛܳܐ ، ܣܶܪܛܳܐ serto , sourto والفعل ܣܪܰܛ srat سطر ، خطّ ، رسم · وفي التاج روى لبعضهم ٣ : ٦٧٢

اني وأسطارٍ سُطرنَ سطراً لقائل يا نصرُ نصراً نصراً

سَعَرَ المرضى : عادهم وافتقدهم واعتنى بهم ، قال ابن ابي أصيبعة (١ : ٢٢٧) وكانا جميعاً يسعران المرضى ، والكلمة سريانية ܣܥܰܪ saar (سعار) ومنه :

السّاعور: قيّم المرضى، وقيم البيمارستان ܣܥܘܪܐ soouro. قال ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٩٨ «وكان سعيد بن اثردي ساعور البيمارستان العضدي» وكذلك كان أمين الدولة ابن التلميذ (معجم الأدباء لياقوت ١٩ : ٢٧٦) وبسبب تقلد المسيحيين وظيفة الساعور عرّف الفيروزابادي وغيره الكلمة فقال ٢ : ٤٨ الساعور مقدّم النصارى في معرفة الطب. وكذا في التاج ٣ : ٣٦٨، والجمع سواعير، وللكلمة معنى ثان وهو:

ساعور: الاسقف وهو خليفته الذي يتفقد القرى ويشرف على أحوالهم من قبله ويسمى باليونانية ܦܪܝܘܕܘܛܐ periodoto بريودوط، وجاء في كتاب المجدل ص ١٠٥ «وجعله عبديشوع في تلك البلاد ساعوراً والمصدر الساعوروث ܣܥܘܪܘܬܐ sooroutho وفيه ص ١٢٥ «وأنفذ من بعده في الساعوروث الى جزائر البحر.

ومن المعنى الأول أو كليهما تطلق عامة نصارى ما بين النهرين لفظة الساعور على قيّم البيعة وهو السادن والواهف أو الوافه، ويسميه أهل بلاد الشام قندلفت وهي لفظة يونانية تعني: خادم البيعة[1].

سِفْر: بكسر السين واسكان الفاء: كتاب وج أسفار. قال يعقوب ابن الصليبي مطران آمد السرياني المتوفى سنة ١١٧١ م في تفسير سفر التكوين اللفظي

(١) السعانين والشعانين: عيد دخول السيد المسيح الى اورشليم قبل عيد الفصح بسبعة أيام لفظة عبرانية مدلولها التسابيح ومنها أخذ السريان فقالوا ܐܘܫܥܢܐ ouchaané ومن السريان اخذها العرب، وجمعت جمع النون فقيل فيها ܐܘܫܥܢܝܢ ouchaanine وصاغوا منه فعل shaanène: عيّد عيد السعانين. وفي ابن أبي اصيبعة ١ : ١٦١ «خرج في يوم الشعانين» وفي تاريخ أبي الفداء ١ : ٩١ «ومن أعيادهم الشعانين الكبير وتفسير التسبح». وأورد صاحب مسالك الأبصار ص ٣١٦ ان الثرواني أنشد في دير المحرق بالحيرة:

خرجنا في شعانين النصارى وشيّعنا صليب الجاثليق

و ܐܘܫܥܢܐ اوشعنا: كلمة عبرية معناها اللفظي، ارجوك أن تنقذني، واستعملوها لهتاف التسبيح والابتهاج وينشدها المسيحيون في عيد الشعانين وفي أثناء القداس الالهي بمعنى التحميد والتسبيح.

ص ١ « السفر لفظة عبرية معناها بالسريانية كتاب » ومثله قال يعقوب البرطلي مطران أذربيجان ودير مار متى المتوفى سنة ١٢٤١ م في المسئلة الثانية عشرة من المقالة الرابعة من كتابه الموسوم بالمسائل والأجوبة ، وكلا المصنفان المخطوطان مصونان في خزانتنا . ومن العبرية أخذتها السريانية ܣܶܦܪܳܐ sefro ومعناها : سفر ، كتاب ، لغة ، كتابة ، قراءة . ومن السريانية اقتبسها العرب . واشتق منها السريان فعل ܣܦܰܪ sfar : درس ، كتب ، تفقه ، تعلّم . ويراد بالاسفار خصوصاً الكتب المقدسة أي اسفار العهدين العتيق والجديد . وورد في سفر التثنية ٢٩ : ٢٨ « المكتوبة في هذا السفر » وبالمعنى نفسه وردت في القرآن في سورة الجمعة ٥ « مثل الذين حُمّلوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » وفي الحديث (وروى البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٩ دخول الحسين بن ضحاك الى أحد ديارات النصارى بينما كان الراهب يقرأ سفراً من أسفارهم) . وفي القاموس : السفر الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة . ومثله في أقرب الموارد . وفي الأساس ١ : ٤٤٢ « وسَفَر الكتاب كتبه ، والكرام السَفَرة : الكتبة ، وحلوا أسفار التوراة ، وله سفر من الكتاب وأسفار منه ، وحطّمني طولُ ممارسة الأسفار ، وكثرة مدارسة الأسفار . وجاء في الاتقان ص ١٢٨ « قال الواسطي في الارشاد : الأسفار هي الكتب بالسريانية ، واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال هي الكتب بالنبطية » .

سَفَرَة : قال السيوطي في الاتقان ص ١٣٩ « اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قول القرآن : بايدي سفَرَة ، قال بالنبطيّة القرّاء ، والسافر ج سفرة : الكاتب قال ابن سيدة ١٣ : ٥ عن العين : أصله بالنبطية سافرا (كذا) صوابه : السَفَرَة الكتّاب ج ܣܳܦܪܳܐ sofro ومعناه : كاتب مسجّل ، فقيه ، استاذ ، رئيس جمعه ܣܳܦܪ̈ܶܐ sofré وقال ابن بهلول ٢ : ١٣٧٦ « السفرة هم الذين يعلمون أسفار التوراة ويكتبون » ومنه ܣܳܦܪܽܘܬܳܐ sofroutbo معناها : حرفة الكاتب ، فقه ، علم ، حذاقة .

سِفسير: سمسار: ܣܦܣܝܪܐ قاله مار افرام المتوفى عام ٣٧٣م (اللباب للقرداحي) safsiro: والفعل ܣܦܣܪ safsar: ماكس، ساوم · وفي شفاء الغليل ص ١٠٤ سفسر بمعنى سمسار معربة ·

سَفَط: وعاء كالجوالق أو كالقفة، وفي (اللسان) السفط الذي يعبّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ܣܦܛܐ sfoto ·

السَّفوف: كل دواء يؤخذ غير ملتوت، غير معجون ܣܘܦܘܦ soufouf ورد في الكتب الطبية ·

السُكّان: ذنب السفينة لأن به تقوّم وتُسكّن ويعرف عند المولدين بالدفّة: ܣܘܟܢܐ saucono ·

سَفِلة: في أقرب الموارد: سِفْلة الناس وَسفِلتهم، أسافلهم وغوغاؤهم وسُقّاطهم، قيل استعيرت من سِفلة البعير، يقال هو من السَفِلة ولا يقال هو سَفِلة لأنها جمع، وقيل يجوز · وسَفَلة البعير قوامه، وفي الكليات: السفِلة الكافر أو الذي لا يبالي بما قال وبما قيل له · وفي اللسان نقلاً عن الجوهري يقال هو من السَفِلة ولا يقال هو سَفَلة لأنه جمع · قال ابن الأثير وليس بعربي · هو سرياني: ܫܦܠ، ܫܦܠ، ܫܦܠܐ shaflo , shfèl , shfal ومعناه سافل، دنيء، حقير · والفعل ܫܦܠ، ܫܦܠ shfale , shfel: سفل، ذلّ، خسّ ·

مَسْكَبة: وجاء في المخصّص، سَكَبة، وفي معجم الألفاظ الزراعية ٥٠٢ و ٣٠٨ (مشارة) وتستعمل: مسكبة في دمشق والغوطة، قال رشيد عطية في دليله ص ١٧٥ «وفي لبنان المسكبة وهي عندهم قطعة أرض صغيرة أمام البيت تزرع فيها البقول، وفصيحها: الوديقة، والوديقة أرض فيها بقل أو عشب ويرادفها الضغينة والضعيفة، قال أبو صاعد الكلابي: يقال ضغيفة من بقل وعشب اذا كانت الروضة ناضرة متخيّلة اه والمسكبة كلمة سريانية ܡܫܟܒܬܐ mashcabtho ·

سَكَر الباب وسكَّره : سدّه وأوصده · وفي القرآن : انما سُكِّرت أبصارنا ، قال ابن سيدة ٩ : ١٥٣ : سكرتُ النهر سددتُه ، قال ابن دريد أصله من سَكَرت الريح : سكن هبوبها ! وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٠١ فجهد ابرويز ان يسكّرها فغلبه الماء ، فليس الحرف من سكرت الريح ولكنه سرياني النجار ܣܟܰܪ ، ܣܟܰܪ sacar , scar ومدلوله أغلق ، سدّ ، أطبق ، ومنه:

السِّكر : وهو السدّة والحاجز ، ما سُدّ به النهر والجمع سكور ، وفي كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه ، الجزء السادس ص ٢٦٩ : لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاجَ السكور ·· فاذا أحسَّ بالمدّ ومجيء السيول ، احتال في تخريب ما يبنى له من السكور ، وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص ١٨٦ : او انتقل أهلها الى وراء السكر ، وكذا ص ٣١٨ و ٣١٩ ܣܟܪܳܐ ܣܶܟܪܳܐ scoro , secro ويقال أيضاً ܡܣܟܪܳܐ و ܡܣܟܘܪܳܐ mascoro , mascouro ·

سِكّي : مسمار ، أورده ابن سيده ١٢ : ٢٦١ وجاء فيه (١ : ٤٣١) درع مشدودة السَكّ وهو مسمارها ، الحرف سرياني ܣܶܟܬܳܐ ج ܣܶܟܶܐ : الوتد والرزّة ، والفعل ܣܰܟܶܟ saqèqe ومدلوله : سمّر ·

سَكِينة : بمعنى تابوت ، وعرش ، ومنبرالله ، سريانية ܫܟܝܢܬܐ shkintho خلت منها المعاجم العربية [1] وأوردها المبرّد في الكامل ص ٥٩٩ من طبع اوربة قال : وقد كان عند المختار كرمي قديم العهد فغشاه بالديباج وقال : هذا الكرمي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب فضعوه في (براكاء) الحرب وقاتلوا عليه ، فان محله فيكم محلّ (السكينة) في بني اسرائيل » اه يريد محل تابوت العهد · والبراكاء هو موضع اصطدام القوم · نقله الدكتور مصطفى جواد في

(١) جاء في المصباح ص ٤٣٢ « السكينة بالتخفيف : المهابة والرزانة والوقار ، وحكى في النوادر تشديد الكاف قال ولا يُعرَف في كلام العرب فَعِّيلة مثقل العين الا هذا الحرف شاذاً » وفي القاموس ٤ : ٢٣٥ « والسَكينة والسِكّينة بالكسر مشددة الطمأنينة » وقال الراغب في مفرداته « السكينة والسكن واحد وهو زوال الرعب » .

مجلة المجمع ١٩ ص ١٥٦ [1] . ووردت في خطبة ليشوعياب بن ملكون الدنيسري مطران نصيبين الكلداني قال « وفقكم لفعل المآثر ورفع المعاثر بحَيْل سكينته » يريد بقوة ضريحه أي ضريح القديس أوجين الناسك (التراجم السنيّة طبعة الموصل ص ١٦٨) .

سَلّة : معروفة ، قال السيوطي لا أحسبها عربية : قلنا هي سريانية ܣܠܬܐ salto والذي نقله السيوطي هو عن ابن دريد (تكملة ذيل أقرب الموارد ص٣٢)

تسلَّق : قال البيروني : ٣٠٨ تسلَّق المسيح مصعداً للسماء ، ومنه تسلق الجدار تسوّره : سرياني ܐܣܬܠܩ estalaq ومنه كلمة :

السُلاّق : قال البيروني « وبعد الفِطر (أي الفِصح) باربعين يوماً عيد السُلاّقا ويتفق أبداً يوم الخميس وفيه تسلّق المسيح مصعداً الى السماء من طور زيتا » [2] . وفي كتاب البكري ص ٣٧٠ قال بعضهم :

بحرمة الفصح وسُلاّقكم يا عاقد الزنّار في الخصْرِ

وكان استعمال هذه الكلمة السريانية ܣܘܠܩܐ souloqo ومدلولها : صعود عاما عند نصارى المشرق ومنهم الروم الملكيون فقد ورد بلفظه مقروناً مع اللفظ اليوناني وهو : (الانالبسس) في كتاب الناموس وهو مجموعة قوانينهم في نسخة عتيقة جداً ترقى الى القرن التاسع او العاشر للميلاد وهي مصونة في خزانتنا .

السَلوقيّة : مقعد الاشتيام مثل المِلمظة . قال ابن عباد في كتابه المحيط ونقل نصّه الصاغاني في العُباب وأورده الفيروزابادي في قاموسه والشرتوني : « السلوقية مقعد الرُبان من السفينة » ، ذكر هذا الأب الكرملي وقال انها عندي من الارامية من فعل ܣܠܩ sléq لأن الرُبان يكون في أعلى موضع من سفينته ليرقب ما حواليه من متسع البحر . (المجلة ١٧ : ٥١٤) فهي ܣܠܘܩܝܐ

---

(١) اوردها ايضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ : ٢٧٤ قال « أو ما رأيت . . . تابوت السكينة سبي . (٢) وهكذا أبو الفداء في تاريخه ١ : ٩١ .

solouqoutho : تسلّق ، ارتفاع أو ܣܘܠܩܬܐ souloqtho ارتقاء ، عروج ، وليست ܣܘܠܩܐ souloqo .

السَّلْوَى : جاء في القاموس وفي أقرب الموارد ١ : ٥٣٧ « طائر ابيض مثل السُّماني واحدته سَلْواة ، وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته ص ٢٤١ وقيل السلوى طائر كالسُّماني وقال ابن عباس السلوى طائر » وهذا التعريف صواب ومثله أورد الحسن ابن بهلول في معجمه السرياني مج ٢ عمود ١٣٥٢ و ١٣٥٣ قال السلوى طائر يشبه القطا وزاد المروزي السماني وقال ابن سروشويه هو نوع من الطير يكون فوق بحر الحبش ويسمى أيضاً المُرج . ولكن ما زعمه أيضاً الراغب الاصفهاني وهو « وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى أصلها ما يسلّي الانسان ومنه السلوان والتسلّي ، وقول الفيروزابادي والشرتوني « وقيل السلوى اللحم ويسمى السلوى لأنه يسلي الانسان عن سائر الآدام » فهو تمحك باطل فان اللفظة ܣܠܘܝ salway عبرية ومن العبرية أخذتها السريانية ثم العربية وفي سفر الخروج ١٦ : ١٣ « ولما كان العشاء ارتفعت السلوى وغطت المحلة »

سَلِيح : رسول السيد المسيح : لفظة سريانية ܫܠܝܚܐ shliho من فعل ܫܠܚ shlah أرسل ، بعث ، وجمعها سَلِيحون وهي كلمة مسيحية ، وفي مقالة ليحيى بن عدي « وكتاب السَّليح بولس »[1] ، وفي العنوان للمنبجي ص ٢٤١ « أرسل توما ، ادّى السَّليح احد السبعين » وص ٢٤٢ « فلما توفي توما السليح » وعمّ استعمالها فِرقَ النصارى فوردت في كتاب الناموس للروم وفي كتاب « مصباح الظلمة » للقس ابي البركات ابن كبر القبطي الذي كان موجوداً سنة ١٣٥٣ م ص ١٠٩ و ١١٠ « سمعان السليح ورسائل السليح بولس » وص ١٢١ « بطرس السليح » . وتجاوز بها الى معنى رسائل القديس بولس الرسول ، من ذلك ما ورد في كتاب المرشد لأبي نصر التكريتي في الباب الحادي والثلاثين

(١) مقالات ليحيى ابن عدي نشرها ونقلها الى الفرنسية أوغسطين بيريه سنة ١٩٢٠ ص ٥٣ .

« ويقرأ السَليح والفرا كسيس » يريد الرسائل المذكورة وكتاب اعمال الرسل ، الجدل ص ١٣٦ « وقرأ السليحَ اسقف النعمانية » واكثر البيروني من استعمالها في ص ٢٩٩ الى ٣١٢ ومنها « وهو شمعون الصفا رئيس السليحين وهم الحواريّون » وفي الثالث من (تموز) « ذكران توما السلّيح » ص ٢٩٩ وقال أبو الفداء ١ : ٩٢ « ولهم صوم السلّيحين » ٠

سُمخان : مجالس ، صوامع ، ورد في تاريخ الطبري ٢ : ٤٢ في خبر اصحاب الكهف « حتى انتهوا الى الكهف فضرب الله على سُمخانهم فلبثوا دهراً طويلاً » ٠ وسمخان التي خلا منها القاموس سريانية ܣܡܟܐ somkho ومدلولها : عماد ، مجلس ، و ܣܘܡܟܐ و ܣܡܟܐ soumokho , somkho تعني : سِماك ، سند ، عمود ، صومعة الراهب وكوخه ، وفي رسالة الكرم للأستاذ سليم الجندي « السماك ما سُمك به الشيء اي رفع ، حائطاً كان او سقفاً ، وفي المخصّص عن ابي حنيفة : وكل ما رفع به الكرم فهو مسماك وسماك : (مجلة المجمع ١١ : ٣٧٠) وفي عامية اهل الشام : سومك السقف أي سنده بساموك (عمود) ٠

سامور : قال الفيروزابادي السامور الماس ، وقال مؤلف الجاسوس ص ٢٢٥ « لم أجد السامور في التهذيب ولا في الصحاح ولا في المحكم ولا في العباب ولا في اللسان ، وانما وجدت الشمّور كتنّور في الكتابين الاخيرين » وقال أيضاً ص ٢٢٤ « قال الفيروزابادي : الشمّور كتنّور الماس ، قال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٣ : الماس بتمامه كلمة غير عربية ولم يرد في كلام العرب القديم وعربيته سامور ٠ قال في السامي (يريد السامي في الاسامي لأبي الفضل احمد الميداني النيسابوري) السامور سنك الماس ، أي حجر الماس » وأردف قوله ص ٢٢٦ « والعجب من مؤلف طراز اللغة [1] لقوله واسمه بالعربية : شامور وشمّور » اه ٠

قلنا الراجح عندنا ان سامور او شمّور معرب من السريانية ܫܡܝܪܐ و ܫܡܘܪܐ

---

(١) هو السيد علي خان

shomouro , shomiro : سامور ، حجر الماس . وليس هو من الانشار ، وهو المضيّ والنفوذ كما زعم الزمخشري في كتابه « الفائق ١ : ص ٦٧٦ » .

سَندان : سندان القَين : ما يطرق عليه الحديد . سريانية ܣܕܢܐ sadono ، أما الشرتوني ورشيد عطية فقالا انها معربة من الفارسية وزاد الأخير : ويراد فيها في العربية القلاة .

سَنوط : خفيف العارض ، كوسج : سريانية ܣܢܘܛܐ sanouto وفيها لغات : ܣܘܢܛܐ ، ܣܢܘܛܐ ، ܣܢܛܐ santo , sonouto , sounoto والفعل ܣܢܛ snat سنط .

سَنَوَّر : بَيضة ، خُوذة (سلاح حديد) وفي نبوّة اشعيا ٥٩ : ١٤ : ووضع على رأسه سَنَوَّر الاعانة ، (الدين والدولة ص ٩٤) سريانية ܣܢܘܪܐ sanouro و ܣܢܘܪܬܐ sanourto و ܣܢܘܪܬܐ sanwarto وفي الجواليقي ص ٢٠٠ السَّنَوَّر : معرَّب وهو الدرع وقيل كل سلاح يتقى به فهو سَنَوَّر .

سِنَّور : قِطّ ، هرّ ، سريانية : ܫܢܘܪܐ ، ܣܢܘܪܬܐ ، ܣܢܘܪܐ shanouro , sanourto , sanouro وفي المصباح ١ : ٤٤٤ : السِنَّور الهرّ والانثى سِنَّورة . قال الأنباري وهما قليل في كلام العرب ، والاكثر أن يقال هِرّ ، ضَيوَن والجمع سنانير .

سَهَر : جاء في الجمهرة ٢ : ٣٣٩ « السَهَر : القمر بالسريانية ، فأما الساهور فقد ذكره أمية بن ابي الصلت ، وزعموا انه القمر ، وقال قوم دارة القمر ، وكان أمية يستعمل السريانية في شعره كثيراً لأنه قرأ الكتب . وقال أيضاً ٣ : ٣٩٠ « والساهور القمر ، وقالوا الموضع الذي يغيب فيه القمر » وفي كتاب الاشتقاق ص ٤١ « والسهر والساهور زعموا القمر ، لغة سريانية ، وقد جاءت في الشعر الفصيح » وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ص ٢٧٩ — ٢٨٠ في ترجمة أمية « وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويأتي بالفاظ كثيرة لا تعرفها

العرب يأخذها من الكتب المتقدمة ، وباحاديث من أحاديث اهل الكتاب ، ثم قال : والساهور في ما يذكر أهل الكتاب : غلاف القمر يدخل فيه اذا كُسف » وقال الاسكافي في مبادي اللغة ص ٦ « ويقال للقمر السهر والساهور ، وقيل غلافه الذي يستتر فيه اذا خُسف ، قال أمية بن أبي الصلت : قمر وساهور يسلُّ ويغمدُ . وقيل انه بالنبطية شهورا ، وشاهور نبطية منه وقيل سريانية ، والسين غير معجمة أفصح فيه من الشين . وقال الجواليقي قال ابن دريد : السهر القمر بالسريانية وهو الساهور ، وقال قوم بل دارة القمر ولم يسمع الا في شعر امية ، وذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ص ١٩٢ وفي الأساس ١ : ٤٧٠ دخل القمر في الساهور اذا كُسف ، وخرج من الساهور اذا انجلى . قلنا في السريانية ܣܗܪܐ sahro شهر أي قمر ، وܣܗܪܢܝܐ و ܫܗܪܝܐ : شهري أي قمريّ sahronoio , shahroio ، وارتأى الأب الكرملي (لغة العرب ٣ : ٨ ص ١٨٩) ان الساهور آشورية الأصل من (سار) بمعنى حلقة ودائرة والمدة المحدودة . ولكن الأب دورم ذكر في كتابه المذكور آنفاً ص ٨١ ان سهر هو اسم القمر بالآرامية اهـ .

سِوار : دملج ، حلية كالطوق تلبسه المرأة في زندها ، سريانية ܫܝܘܪܐ ، ܫܝܪܐ chioro , chiro (اللباب للقرداحي) وفي سفر التكوين ٢٤ : ٢٢ « وسوارَين على يديها » .

سُوس : نبات عشبي مخشوشب معمّر بريّ طويل الجذور عميقها ومن نقيعه يصنع رُبّ السوس ، ܫܘܫܐ shousho ، ܥܩܪ ܫܘܫܐ eqar shousho : عِرْق السُوس .

سَوط : قضيب : سريانية : ܫܒܛܐ shabto ܫܘܛܐ shawto وفي سفر يشوع ٢٣ : ١٣ « لكن يكونون لكم حفرة وفخاخاً وسَوطاً على جوانبكم » الترجمة الموصلية .

سيامة : تقليد اهل الدرجات الكهنوتية والاسقفية ، حق القيام بخِدَمها ، أخذاً من فعل ܣܡ السرياني الذي يضاف اليه ܐܝܕܐ some idho ومعناه وضع اليد ، لأن السيامة تقوم بوضع يد الاسقف الراسم على رأس المرسوم وتلاوة الصلوات المفروضة عليه ، ومثلها الرسامة وقد مرّت بك ، وهما أصح لفظاً ومعنى من غيرهما من الألفاظ لتأدية المعنى المقصود بالعربية ، وعم استعمالها النحل المسيحية قاطبةً ، ويقال أيضاً سياميذ ، معرب ܣܝܡ ܐܝܕܐ siomidho .

جبل سيناء : ويقال أيضاً طُور سين وطُور سينين (سفر التثنية ٣٣ : ٢ كتاب الدين والدولة ص ٧٤) مستخرج من اسم ܣܝܢܝ sanio ومعناه العلّيق أو العوسج بالسريانية والعربية . وليس معناه حسن أو مبارك مثلما نقل الجواليقي ص ١٩٨ وورد في القرآن «طور سينين» سورة التين ٢ و «شجرة تخرج من طور سينا» سورة المؤمنون ٢٠ ، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى النبي ونودي فيه (سفر الخروج ١٩ : ٣) .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

كنوز الأجداد

- ١٠ -

ابن تيمية

تقي الدين احمد بن عبد الحليم الحراني

(٧٢٨)

ولد بحران يوم الاثنين سنة احدى وستين وستمائة وقدم مع والده وأهله الى دمشق وكانوا قد خرجوا من بلاد حران مهاجرين بسبب جور التتار وقدموا دمشق سنة سبع وستين فسمع الحديث من أئمته في دمشق وقيل ان شيوخه الذين سمع منهم أزيد من مائتي شيخ وسمع مسند احمد مرات ومعجم الطبراني الكبير والكتب الكبار والأجزاء وعني بالحديث وقرأ بنفسه الكثير ولازم السماع مدة سنين ونسخ وانتقى وكتب الطباق والاثبات وتعلم الخط والحساب في الكتب واشتغل بالعلوم وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ أياماً في العربية على ابن عبد القوي ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه وبرع في النحو وأقبل على التفسير اقبالا كلياً حتى حاز فيه قصب السبق وأحكم أصول الفقه كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة فعجب الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة ادراكه .

ذاك ما قاله من ترجموا له في نشأته أما أخلاقه فقالوا انه نشأ في تصوف تام ، وعفاف وتأله ، واقتصاد في الملبس والمأكل ولم يزل على ذلك خلقاً صالحاً براً بوالديه تقياً ورعاً عابداً ناسكاً صواماً قواماً ذاكراً الله تعالى في كل أمر رجاعاً الى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا وقافاً عند حدود الله تعالى

وأوامره ونواهيه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر «فارغاً من شهوات المأكل والملبس والجماع لا لذة له في غير نشر العلم وتدريسه ، عرض عليه منصب قضاء القضاة ومشيختي الشيوخ فلم يقبل» وقبل وظائف والده في التدريس وله احدى وعشرون سنة . وكان والده من كبار الحنابلة وأئمتهم ودرس هو بعده فاشتهر أمره وبعد صيته في العالم وما أتى له ثلاثون سنة حتى. كان من أعظم علماء عصره بل أعظم عالم في عصره ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا تروى من المطالعة ولا تملُّ من الاشتغال ولا تكلُّ من البحث ، وقل ان يدخل في باب من أبواب العلوم الا وفتح له من ذلك الباب أبواب واستدرك أشياء في ذلك العلم على حذاق أهله .

وكان يحضر المجالس والمحافل في صغره فيتكلم ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يحار منه أعيان البلد . وشرع في الجمع والتأليف وله نحو سبع عشرة سنة . قال الحافظ الزملكاني : كان اذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم ان احداً لا يعرف مثله ، كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يُعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه اهله والمنسوب اليه . وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين .

وقالوا فيه : وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد ما يقوله من غير توقف ولا تلعثم ، وكذا كان يورد الدروس بتؤدة وصوت جهوري فصيح . وانتهت اليه الامامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والأناة والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة وحسن القصد والاخلاص والابتهال الى الله تعالى وشدة الخوف منه ودوام المراقبة له ، والتمسك

بالأمر والدعاء الى الله تعالى وحسن الأخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم . وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجاً في حلوق أهل الأهواء والمبتدعين ، واماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار » .

وقال الذهبي انه صار من أكابر العلماء في حياة شيوخه ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون اربعة آلاف كراس وأكثر وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه اكثر من مائتي شيخ ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه مما لا يلحق فيه ، وأما نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن مذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا اعلم له فيه مثيلاً ، ويدري جملة صالحة من اللغة وعربيته قوية جداً وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب .

قال فان ذكر التفسير فهو حامل لوائه ، وان عدّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وان حضر الحفاظ نطق وخرسوا ، واستزيد وأبلسوا واستغنى وأفلسوا ، وان سمي المتكلمون فهو فردهم واليه مرجعهم ، وان لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلسفهم وبخسهم وهتك أستارهم ، وكشف عوارهم ، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة ، وهو اعظم من أن تصفه كلمي أو تبينه اشارة قلمي .

وقال في مكان آخر : وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث ، وبالعالي والنازل ، وبالصحيح وبالسقيم ، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به ، فلا يبلغ احد في العصر رتبته ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه ، واليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله ، غير انه يغترف فيه من بحر وغيره يغترف من السواقي .

وقال أيضاً : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه . قال : وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة وعين مفتوحة . . . ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه . وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه واضداده . وكان ابيض اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم . . وقال تعتريه حدة في البحث وغضب تزرع له عداوة في النفوس .

كتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فأجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً ، وقدره في نفسي اكثر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من ازمان .

وقال ابن سيد الناس انه برّز في كل فن على ابناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه .

وبدأت محنة شيخ الاسلام لما تمت ادواته وشاعت فتاويه في مسائل وجد منها حساده مدخلاً لهم فناقشوه وكفروه وبدّعوه واعتقله الولاة وغرّبوه وكان منذ سنة تسع وتسعين ظهرت شخصيته السياسية في البلاد وبدا تعويل الأمة عليه في دفع اعدائها عنها في نوبة غازان فقام باعباء الأمر بنفسه واجتمع بنائبه وجرأ

على المغول وتوجه بعد ذلك بعام الى الديار المصرية لما اشتد الأمر بالديار الشامية من المغول واستصرخ باركان الدولة وحضهم على الجهاد ثم عاد بعد ايام الى دمشق وظهر اهتمامه بجهاد التتار وتحريضه الأمراء على ذلك الى ورود الخبر بانصرافهم وقيامه القيام المحمود في وقعة شقحب سنة اثنتين وسبعمائة ، واجتماعه بالخليفة والسلطان وارباب الحل والعقد وتحريضهم على الجهاد ثم توجهه في آخر سنة اربع وسبعمائة لقتال الكسروانيين واستئصال شأفتهم ثم مناظراته للمخالفين في سنة خمس في المجالس التي عقدت له بحضرة نائب السلطنة الأفرم وظهوره عليهم بالحجة والبيان ورجوعهم الى قوله طائعين مكرهين . ثم توجهه بعد ذلك في السنة المذكورة الى الديار المصرية في صحبة قاضي القضاة الشافعية وعقدهم له مجلس حين وصوله بحضور القضاة واكابر الدولة ثم حبسه في الجب بقلعة الجبل ومعه اخواه سنة ونصفاً ثم اخراجه بعد ذلك وعقدهم له مجلساً ظهر فيه على خصومه ثم عقدهم له مجلساً سنة سبع لكلامه في طريقة الاتحادية ثم الأمر بتسفيره الى الشام على البريد ثم الأمر برده من مرحلة وسجنه بحبس القضاة سنة ونصفاً ثم اخراجه منه وتوجهه الى الاسكندرية وجعله في برج حبس فيه ثمانية أشهر ثم توجهه الى مصر واجتماعه بالسلطان في مجلس ضم القضاة واعيان الامراء واكرامه له اكراماً عظيماً ومشاورته له في قتل بعض اعدائه وامتناع الشيخ عن ذلك ثم سكناه القاهرة ثم توجهه الى الشام ثم ملازمته بدمشق لنشر العلوم وتصنيف الكتب وافتاء الخلق الى ان تكلم بمسألة الحلف بالطلاق فأشار عليه بعض القضاة بترك الافتاء بها في سنة ثماني عشرة فقبل اشارته دفعاً للفتنة ثم ورد كتاب السلطان بعد ايام بالمنع من الفتوى بها ثم عاد الشيخ الى الافتاء بهـا وقال لا يسعني كتمان العلم وبقي كذلك مدة الى ان حبسوه بالقلعة خمسة اشهر وثمانية عشر يوماً ولم يزل على عادته من الاشتغال والتعليم الى ان ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين كان أجاب به من نحو

عشرين سنة فشنعوا عليه بسبب ذلك وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فأخليت له قاعة حسنة واقام فيها ومعه أخوه يخدمه فكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة وظهر بعض ما كتبه واشتهر وآل الأمر الى ان منع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ماعنده من الكتب ولم يتركوا دواة ولا قلماً ولا ورقة ، وكتب عقيب ذلك بفحم وكان اخراج الكتب من عنده من أعظم النقم وبقي اشهراً على ذلك وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين ·

هذا مجمل ما قيل في حالة شيخ الاسلام ومع ما حاول اعداؤه ان ينغصوا عيشه دأب في كل زمن على التأليف فألف ثلثمائة مجلد وكلها في الشرع وفي حل مسائل عويصة من الدين تقرأ فيما وصلنا منها مثالاً من علمه النفيس وعمله الذي عقمت القرون ان يأتي رجل بما يماثله · كثرت تآليفه لأنه كان يؤلف من صدره لما حفظ الكتاب والسنة وما دون في شروحهما وما قاله العلماء في تفسيرهما وقد ساعدته كثرة محفوظه وفيض خاطره وسعة بيانه على تدوين حقائق لم يكتب لعالم مثله في موضوعه ولو لم يكن له الا منهاج السنة لكفاه على الأيام فخراً لا يبلى ففيه قليل من علمه وقوة حجته ومعرفته بالملل والنحل واذا قلنا انه لم يؤلف نظيره في الرد على المخالفين لأهل السنة لصدقنا كل منصف من اهل القبلة ·

وكتاب منهاج السنة من أصح الشهادات على علو كعبه في معرفة الشرع وما تقلب عليه وما حاول بعض اهل الأهواء من العبث به وفيما أورده الموافقون والمخالفون من صحيح الآراء وبهرجها وكان عنوان مداركه الواسعة بتاريخ الاسلام وتاريخ الملل والنحل ولو ادعينا انه لم يأت عالم يعرف ما طرأ على الدين ومذاهب أهله فيه ساعة ساعة ويوماً يوماً ما قدر احد على رد دعوانا ·

رد على المعتزلة وعلى الجهمية وعلى الشيعة وعلى الفلاسفة وعلى غيرهم فجاء بالعجيب من الآراء التي استخرجها من روح الشريعة واستنبطها ببعد نظره وشدة بحثه

فما كتب لامام من الأئمة في عصره وبعد عصره ان يناقضه ويرد اقواله .

وعلى كثرة ما حرص الشافعية للتفوق على هذا الحنبلي واقناع العلماء بفتاويهم وتزييف فتاويه ما كانوا معه الا كالأطفال امام الرجال ، وفي مقدمتهم المشايخ بنو السبكي ، وما كان لهم في دولة مصر والشام من السلطان . اعتقلوه في القاهرة والاسكندرية اشهراً لم تمنعه عن التأليف والتدريس والوعظ وما حالوا دون اعجاب المنصفين من العلماء به وقول الحق فيه ولا دون تقديس الأمة له يوم موته وهي التي عرفته سباقاً الى كل خير يقصد منه صلاح دنياها ودينها وكان له في انتصار دولة المماليك على التتار اليد الطولى التي لا تنكر ودل انه في السياسة كما هو في الدين امام عظيم وان الدين لا ينفصل عن السياسة في نظره . وما سمع لأحد علماء الدين في عصره صوت مثل صوته في احقاق الحق ونصرة سلطان الاسلام . ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطربه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه . ولم يرض يوم عقد الصلح مع التتار ان يتخلى عن الأسرى من النصارى واليهود فقال انهم ذمتنا ولا بد من ارجاعهم الى ديارهم . وكم له من مثل هذه الحسنات التي اصبحت كأنها قواعد من قواعد الشرع والسياسة لا يستغني عنها خليفة ولا سلطان .

ان استعانة خصوم ابن تيمية بقوة رجال الدولة في مسألة شد الرحال الى قبور الأنبياء والأولياء والصالحين وفي غير ذلك من البدع التي أقروها والشريعة تنكرها انكاراً ظاهراً كما يفهم من آي الكتاب العزيز وهدي الصحابة والتابعين والعلماء العاملين واغتباطهم بما ظنوه ظفراً لهم في تلك المعركة الشديدة قد كان من نتائجه مسخ الشريعة عند المتأخرين وبقيت الامة على اقرار الخرافات والبدع الى يوم الناس هذا في بلاد المسلمين كافة وكأنهم اخترعوا شريعة أخرى استمالوا بها العوام ومزجوها بالشريعة الأصلية رغم أنوف الخواص فركبوا عار

الأبد ولعنوا بما بدلوا وحرفوا . هو لم يأت ببدع وهم سلموا بكل البدع .
فكان العالم العامل حقاً ، وكانوا عبدة أوهام وضلالات . أراد شرعاً نقياً من
الأدران وهم تساوت عندهم النقاوة والنفاية لأنهم يقصدون بمناقشاتهم الظهور
وكسب قلوب الغوغاء على أي حال .

لو عمت دعوة ابن تيمية ، ولدعوته ما يماثلها في المذاهب الاسلامية ، ولكنها
عنده كانت حارة وعند غيره فاترة ، لسلم هذا الدين من تحريف المحرفين على
الدهر ، ولما سمعنا أحداً في الديار الاسلامية يدعو لغير الله ، ولا ضريحاً تشد اليه
الرحال بما يخالف الشرع ولا يعتقد بالكرامات على ما ينكره دين أتى للتوحيد
لا للشرك واسلامة العقول لا للخبال والخيال .

كان ابن تيمية في النصف الثاني من عمره سراجاً وهاجاً أطفأ بعلمه وعمله
شهرة أرباب المظاهر من القضاة والعلماء وكان الصدر المقدم كلما دخل في موضوع
ديني أو سياسي ، وعبثاً حاول بعض الشافعية والمالكية ان يسلموه للعامة علهم
يقتلونه فما استطاعوا اكثر من حجر حريته أشهراً في سجن ، وكان الملوك يحمونه
من تعصب خصومه ويعرفون قدره . وكان الملك الناصر صاحب مصر يرفع من
مقام ابن تيمية كثيراً وأراد أن يقتل من أفتوا بخلعه من العلماء ، وحثه على ان
يفتيه في قتل بعضهم فأنكر ان ينال أحداً منهم بسوء وقال له : اذا قتلت هؤلاء
لا تجد بعدهم مثلهم فقال له : انهم آذوك وأرادوا قتلك مراراً . فقال الشيخ
من آذاني فهو في حل ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، أنا لا أنتصر
لنفسي ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح . وكان قاضي المالكية
ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا
فصفح عنا وحاجج عنا . فعل هذا ابن تيمية وخصومه يقولون : يجب التضييق
عليه ان لم يقتل والا فقد ثبت كفره . ونحن نقول ان هذا هو الفرق العظيم بين
اخلاقه واخلاق مشاكسيه هم كانوا ممن يهتمون لدنياهم ومظاهرهم وهو كان

يهتم للأخرى فقط وشتان بين المطلبين . فكان يهتم لنشر الدين والقضاء على البدع بقلبه ولسانه وقلمه وهمهم ان يرضى عنهم السلطان فيبقيهم في مناصبهم ويستميلوا العامة فيقبلوا أيديهم .

هو يقول لنائب قلعة دمشق في فتنة غازان : لو لم يبق فيها الا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك ان استطعت فسلمت القلعة من أذى التتار وكان يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط وكذلك كان شأنه في وقعة شقحب وكان يعد المسلمين بالنصر هذه المرة ويؤكد كلامه في ذلك حتى نصروا على عدوهم . وفي قتال الجرديين والكسروانيين ابان أيضاً عن سياسة رشيدة وأرجع بعض الناشزين من أهلها الى الاسلام .

من أهم المسائل التي حاول حساد ابن تيمية ان ينالوا بها منه مسألة شد الرحال الى قبور الصالحين وغيرهم قال ابن كثير ، إن جواب ابن تيمية في هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء الصالحين وانما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر الى مجرد زيارة القبور . وزيارة القبور من غير شد رحل اليها مسألة وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل بل يستحبها ويندب اليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ولم يتعرض الى هذه الزيارة في هذا الوجه في الفتيا ولا قال انها معصية ولا حكى الاجماع على المنع منها ولا هو جاهل قول الرسول : « زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » .

ثار عليه مرة جماعة من الحسدة وشكوا منه انه يقيم الحدود ويعزر ويحلق الرؤوس أيضاً وتكلم هو فيمن يشكو منه ذلك وبين خطأهم . وراح مرة في ثلة من اصحابه ومعهم حجارون وأمرهم بقطع صخرة كانت بنهر قلوط تزار وينذر لها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً . قال ابن كثير وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة وكذلك بكلامه بابن عربي وأتباعه فحسد على ذلك وعودي ولم يصلوا اليه بمكروه

وانما أخذوه وحبسوه بالجاه . قال ولم يزل الشيخ ملازماً لاشتغال الناس في العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب وافتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة والاجتهاد في الأحكام الشرعية . ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى اليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم . وله اختيارات كثيرة في مجلدات عديدة افتى فيها بما أدى اليه اجتهاده واستدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف .

رجل هذا شأنه يكفره القاضي المالكي ويحاول قتله والتعزير عند المالكية القتل ولا تشتفي نفوس بعض العلماء والسياسيين حتى ينادى بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الحنابلة . وجمعوا الحنابلة من صالحية دمشق وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الامام الشافعي .

قال الصلاح الصفدي كان كثيراً ما ينشدني :

تموت النفوس بأوصابها ولم يدر عوّادها ما بها
وما أنصفت مهجة تشتكي أذاها الى غير أحبابها

وأنشد على لسان الفقراء (جماعة الطرق) :

والله ما فقرنا اختيار وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى وأكلنا ماله عيار
تسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

أبو الريحان البيروني

(٤٤٠)

معنى بيرون بالفارسية خارج والبيروني (بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء وبعدها الواو في آخرها النون) نسبة الى خارج خوارزم فان بها من يكون خارج البلد ولا يكون من البلد نفسه .

بيرون منشأ ابي الريحان ومولده بلدة طيبة فيها غرائب وعجائب ولا غرو فان الدر ساكن الصدف · قال السمعاني وما علمنا هذه الغرائب ولم نعرف عن منشإه وأساتيذه شيئاً وغاية ما انتهى الينا من بعض المظان انه تلميذ ابي نصر منصور بن علي بن عراق (؟) الرياضي المشهور ولعلّ هذا ممن أدرك الاربعمائة من الهجرة ·

سافر البيروني في بلاد الهند أربعين سنة وزادت تصانيفه على حمل بعير رأى ياقوت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتظ وهي في النجوم والرياضيات والمنطق والحكمة والتاريخ طبع منها بعض علماء الألمان ثلاثة كتب فقط فقرأنا فيها كل مفيد · قال ياقوت انه لما صنف القانون المسعودي أجازه السلطان محمود بن سبكتكين بحمل فيل من نقده الفضي فرده الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه ورفض العادة في الاستغناء به وكان رحمه الله مكباً على تحصيل العلوم منصباً الى تصنيف الكتب ، لا يكاد يفارق يده القلم ، وعينه النظر ، وقلبه الفكر ، الا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لاعداد ما تمس اليه الحاجة في المعاش · وهو أعظم رياضي قام في هذه الملة « لم يشق المحضرون غباره ولم يلحق المضمّرون المجيدون مضماره » ·

دخل عليه أحد اصدقائه وهو يجود بنفسه فقال له : كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة ؟ فقلت له اشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة ؟ قال لي : يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ألاّ يكون خيراً من ان أخليها وأنا جاهل بها · فأعدت ذلك عليه وحفظه ، وعلمني ما وعد ، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ ·

دخل البيروني بلاد الهند مع ابن سبكتكين لما فتحها وأقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم وفيها الف كتابه الذي لا نظير له في حرية الفكر وانصاف المخالف في الدين والمذهب المعنون بتحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرذولة · وهو من أجل الأسفار التي وضعها علماء الاسلام في الملل والنحل

لم يكد علماء هذا العصر يكتبون مثلها مجردة عن الغرض عند الكلام على المخالف ومن كتبه المطبوعة «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وهو في النجوم والتاريخ ألفه للأمير شمس المعالي وبين فيه التواريخ التي تستعملها الامم والاختلاف في الأصول التي هي مباديها وفيه فوائد تاريخية عن ملوك اشور وبابل وكلدة والقبط واليونان والروم . قالوا وكان طيب العشرة خليعاً في الفاظه عفيفاً في أفعاله لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً . وله شعر منحط عن نثره كان يقوله في المناسبات وفيه بذاءة أحياناً وكان على عجمته معجباً باللغة العربية ولم يؤلف في غيرها ويقول ان الهجو بالعربية أحب اليه من المدح بالفارسية .

غاية ما عرف عن البيروني انه فارسي شغف بحب العرب وكان يعد من أئمة اللغة العربية وأدبائها يضاف ذلك الى علومه الكثيرة في الرياضيات والنجوم والتاريخ والملل والنحل . صحب الملوك فأفادهم أكثر مما استفاده منهم وكان على عزوف وزهد لا همّ له الا تحصيل العلم وبثه في الناس واعتماده في ذلك على التأليف . ويقول العلامة بروكلمان انه كانت بينه وبين الحكيم ابن سينا مكاتبات كان من مجموعها كتابه الآثار الباقية . ولما فتحت الهند على يد محمود بن سبكتكين درس فيها العلوم اليونانية وأخذ من كنوز العلوم الهنديه .

ولم نعرف جميع أساتذة البيروني ، وخوارزم كانت في عصره دار علم كسائر العواصم الاسلامية الكبرى . والبيروني مثل للأنظار وهو كبير وسكتوا عن نشأته وأساتيذه ، وكان قبل أن يبلغ الكهولة رجلاً مذكوراً بدليل انه كان من جملة رجال صاحب غزنة .

ومن تصفح كتاب الهند والآثار الباقية يدرك مكانة هذا العالم الذي لم يترجم له المترجمون بما يستحقه من التوسع ولعلهم كانوا يفضلون عليه بعض أرباب الحديث والفقه ، وهو الذي أتى أمته بجديد وخدمها فأفاد ولم يستخدمها في مظهر له ولا في طلب دنيا ، هو أحد أفراد نوابغ يعدون على الأصابع

ومن أولئك تعد مئات ولم يبدعوا جديداً ومعظم ما دونوه وتناقشوا فيه لو حذف من الخزائن تعد كأنها لم تفقد شيئاً . اخلص للعلم وما شغف بغيره ؟ وما طلب عن غيره بديلا .

قال البيروني : جل خطر الملوك عن المجازاة بالانتقام

ليس للملك ان يحسد الا على حسن التدبير والسياسة

الملك أقل الناس خوفاً من الفقر وأكثر الناس خطراً وقرباً الى الهلاك ، فليس له ان يبخل ويجبن فان ما قل عنده لا يكثر وما كثر لا يعدم

المنُّ يبطل احسان المحسن

العاقل من استغنى بتدبير اليوم عن تدبير الغد

لا تحقر الأمر الصغير فللأمر الصغير موضع ينتفع به وللأمر الكبير موقع لا يستغنى عنه

ما اجتمعت عليه الألفة والعادة واصطلحت عليه العامة فلا تخالفه

من كفاه التأديب بالكلام لا يؤدب بالسوط والسيف

مدارسة أخلاق الحكماء والعلماء تحيي السنة الحسنة وتميت البدعة السيئة

السنن الصالحة علامات الخير والحق

ابن هندو

ابو الفرج علي بن الحسين

هو من أهل الري لا نعرف ان كان من العرب النازلين فيها أو انه من أصل فارسي وهو من رجال البلاغة كاتب شاعر قالوا كان صاحب ابوة في بلده ولسلفه نباهة بالنيابة وخدمة السلطان هناك وكان متفلسفاً قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن الوائلي بنيسابور ثم على الحكيم أبي الخير بن الخمار . وكان احد كتاب الانشاء في ديوان عضد الدولة وقال البندنيجي الشاعر هو

من أهل الري شاهدته بجرجان في سني بضع عشرة وأربعمائة كاتباً بهـا وانه مشهور في تلك البلاد بجودة الشعر وكثرة الأدب والفضل وقال فيه صاحب يتيمة الدهر : هو مع ضربه في الآداب والعلوم بالسهام الفائزة ، وملكه رقة البلاغة والبراعة ، فرد الدهر في الشعر ، وأحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ، ونظم الفرائد في القلائد ، مع تهذيب الألفاظ البليغة وتقريب الأغراض البعيدة .

ومن تآليفه « انموذج الحكمة » و « المفتاح » في فوائد علم الطب و « الرسالة المشرقية » و « كتاب النفس » ورسائل وديوان وكتب أخر . وفي كتاب المفتاح ان متكلماً كان في جواره وصنف كتاباً في ابطال علم الطب وحث تلامذته على درسه فعرض له صداع فبعث تفسرته الى الحكيم ابي الخير فقال الحكيم ابو الخير لرسوله : قل له ضع تصنيفك في ابطال علم الطب تحت وسادتك وضع عليها رأسك فانه لا حاجة لك الى الطبيب والطب . فما عالجه واحد من الأطباء حتى اعترف ببطلان كلامه ومزق تصنيفه وتاب . ثم عالجناه وشفاه الله تبارك وتعالى .

وقال ان أحد المتكلمين في جواره عرض له خناق فعاده فقال له : ما ينفعني من طريق الطب ؟ فقلت له : ينفعك ماء الشعير الفاتر مع ماء الرمانين ورُبّ التوت وخل الجوز وماء الهندباء مع فلوس الخيارشنبر وفصد القيفال (عرق في اليد) وغير ذلك . فقال : وما يضرني فقلت ما فيه حرارة . فقال : كيف يكون العسل المصفى والعصيدة التمرية ؟ فقلت ، نعوذ بالله ففيهما هلاكك . فقال لتلامذته : أنا اخالف رأي الأطباء عقيدة ومذهباً ، ولا غفر الله لي ان خالفت عقيدتي وأطعت طبيباً . فقمت من عنده فتناول العسل والعصيدة ومات قبل غروب الشمس .

وابن هندو كان على ما ظهر مما قاله المؤرخون فيه عالماً ممتازاً فيما غلب عليه من صنوف الآداب وقعد به الحظ فلم يظهر بالمظهر الذي كان جديراً به من الرياسات والمقامات فكان في الديوان كاتباً دون الدرجات العالية فأثر ذلك في

نفسه وحنق على الدهر والأيام . من ذلك ما حدث به البندنيجي قال كان الناس يظنون بمنوجهر بن قابوس ما كان في أبيه من الأدب والفضل ولم يكن كذلك فلما انتقل الأمر اليه قصد بما يقصد به مثله وكان لا يوصل اليه الا القليل ولا يتقبل ما يمدح به ولا يهش لشيء من هذا الجنس لتباعده عنه وكان مع هذه الحالة فروقة قليل البطش فمدحه ابن هندو بقصيدة وتأنق فيها وأنشده اياها فلم يفهمها ولم يثبه عليها فقال :

يا ويح فضلي أما في الناس من رجل يحنو عليّ أما في الأرض من ملك
لأكرمنك يا فضلي بتركهم واستهينن بالأيام والفلك

فقيل لمنوجهر انه قد هجاك لأن لقبه كان « فلك المعالي » فطلبه ليقتله فهرب الى نيسابور وانفلت منه .

وتحدث ابو الفضل البندنيجي الشاعر قال كان بابن هندو ضرب من السوداء كان قليل القدرة على شرب النبيذ لأجل ذلك واتفق انه كان يوماً عند ابى الفتح ابن ابي علي كاتب قابوس بن وشمكير وأنا معه على عادة لنا في الاجتماع فدخل ابو علي الى الموضع ونظر الى ما كان بأيدينا من الكتب وتناشد هو وابن هندو الشعر وحضر الطعام فأكلنا وانتقلنا الى مجلس الشراب ولم يطق ابن هندو المساعدة على ذلك فكتب في رقعة كتبها اليه :

قد كفاني من المدام شميم صالحتني النهى وثاب الغريم
هي جهد العقول سمي راحاً مثل ما قيل للديغ سليم
ان تكن جنة النعيم ففيها من أذى السكر والخمار جحيم

فلما قرأها ضحك وأعفاه من الشرب . وأنشد أبو الفضل له :

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم وخادع النفس ان النفس تنخدع
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواهم فيه متسع

وحدث ابو الفضل هذا قال : كان ابن هندو يشرب يوماً عند ابي غانم القصري ، واقتصر على أقداح يسيرة ثم أمسك فسأله الزيادة فلم يفعل وقال :

أرى الخمر ناراً والنفوس جوهراً ... فان شربت ابدت طباع الجواهر

فلا تفضحن النفس يوماً بشربها ... اذا لم تثق منها بحسن السرائر

وله أيضاً : تعرضت الدنيا بلذة مطعم ... وزخرف موشي من اللبس رائق

أراد سفاهاً ان يموه قبحها ... على فكر خاضت بحار الدقائق

فلا تخدعنا بالشراب فاننا ... قتلنا نهانا في طلاب الحقائق

وله : ضعت بأهل الري في أهلها ... ضياع حرف الراء في اللثغة

صرت بها بعد بلوغ المنى ... احمد أن تبلغ بي البلغة

وله : اذا ماعقدنا نعمة عند جاحد ... ولم نره الا جموحاً عن الشكر

رجعنا فعفينا الجميل بضده ... كذاك يجازى صاحب الشر بالشر

وله أيضاً : وكافر بالمعاد أمسي ... يخلبني قوله الخلوب

قال اغتنم لذة الليالي ... وعد عن آجل يريب

طال هواه وجاء يهذي ... طبت لعينيك يا طبيب

أأخطأ العالمون طراً ... وأنت من بينهم مصيب

وله : حلت وقاري في شادن ... عيون الأنام به تعقد

غدا وجهه كعبة للجمال ... ولي قلبه الحجر الاسود

وله : الا رب مولى غرني من عهوده ... يمين عليها صافحتني يمينه

أكابد منه ضد ما أستحقه ... فأصدق في ودي له ويمين هو

عجيب لأخلاق اللئام كأنهم ... عن الكرم المعجون في شيمتي نهوا

وله : يقولون لي ما بال عينك مذ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها هطل

فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل

وقال : قوض خيامك من أرض تضام بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب

وارحل اذا كانت الأوطان منقصة ... فمندل الهند في أوطانه حطب

هذه أمثلة جميلة من شعره الذي حوى النكات مع السلاسة والابداع بقي ان ننقل ما أثر له من النثر فمنه : انما المرء حيث يجعل نفسه . عظّم العلم في ذاتك ، وصغر الدنيا في عينك . واخرج من سلطان شهواتك ، وكن ضعيفاً عند الهزل ، قوياً عند الجد ، ولا تلم أحداً على فعل يمكن ان يعتذر منه ، ولا ترفع شكايتك الا الى من يرى نفعه عندك حتى تكون حكيماً كاملاً . ومن كلماته : العاقل لا يكلف نفسه ما لا يطيق ، ولا يسعى فيما لا يدرك ، ولا ينظر فيما لا يعنيه ، ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ، ولا يلتمس الجزاء الا بقدر ما عند صاحبه من الاستطاعة .

وكانت الحكمة تظهر في شعره يشبه في ذلك المتنبي كثيراً وقد التقط حكم اليونان وجمعها في مصنف سماه « الكلم الروحانية من الحكم اليونانية » اثبت من كلمات الفلاسفة اليونانيين ما يجري مع الأمثال السوائر ، ويدخل في حاذ النوادر ، دون ما يعد من غامض الفلسفة ، ويحصل معناه بعد الكلفة ، فجمع من شواردها ما ساعد عليه الوقت واستحضره الحفظ ، ناسباً أكثره الى قائليه ، وشافياً خفيّه بما يجليه .

بدأ بحكم لأفلاطون وقد استغرقت نحو نصف المجموعة ثم ثناها بارسطاطاليس ثم سقراط ثم بمحاورات جرت بين اريجانس وسقراط ثم كلمات لاميروس فالاسكندر فباسيليوس ففيثاغورس فبقراط فجالينوس فديستانس فزينون فديقوميس ففيلمون فنوموس فاكسانوقراطس فغورس فديمطس فديوجانس الى غيرهم من الفلاسفة غير المشهورين في أدبنا المتعارف .

فما نقله من حكم أفلاطون : لا تصحبوا الأشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم . وقال لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم . وقال : لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فان الناس لا يسألون عن مدة العمل ، وانما يسألون عن جودته . وقال : اذا اقبلت الدولة خدمت الشهوات العقول ، واذا أدبرت خدمت العقول الشهوات .

قال افلاطن : (لغة في افلاطون) لا تكمل خيرية الرجل حتى يكون صديقاً للمتعاديين وقال : اتقوا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع . وقال : موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة . موقع الصواب من الجهال مثل موقع الجهل من العقلاء . اذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره تنكرت اخلاقه للناس . لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق منه وأنت لا تدري . وقال : لا تفارق طاعة الرأي والصبر في كل أمورك فانك ان لم تحرز الحظ الذي تبغيه كنت قد أحرزت العذر . قال المؤلف : قد أحسن الشاعر في هذا حيث يقول :

لأبلغ عذراً أو أنال رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال موت الصالح راحة لنفسه وموت الطالح راحة للناس . قال المؤلف : قريب من هذا ما يحكى عن غير افلاطن : ابك على العاقل يوم يموت وعلى الأحمق حتى يموت . وقال : الفضيلة تجمع أهلها على المحبة والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة الا ترى ان الصادق يحب الصادق ويستنيم اليه وكذلك الثقة مع الثقة والحسن الخلق مع الحسن الخلق وترى الكاذب يبغض الكاذب والسارق يخاف السارق وكل واحد منهما حذر من مجاورة صاحبه . وقال : المصغي الى الذم شريك لقائله قال بعض الشعراء :

والسامع الذم شريك له والمطعم المأكول كالآكل

وقال : الفقير اذا تشبه بالغني كان كمن به الورم ويوهم الناس أنه سمين وهو يستر ما به من الورم . قال المؤلف : كأن ابو الطيب المتنبي لحظ هذا الكلام حيث يقول :

أُعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال ارسطوطاليس : الحكيم الصالح لا يخادع أحداً والعاقل الكامل لا يخدعه أحد . قال المؤلف : ان يكون الانسان مخدوعاً ليس بصفة محمودة لأنه يدخل في باب الغباوة وربما ظن الناس انه صفة مدح لما يسمعون من قولهم الكريم مخدوع : ومن قول الشاعر : ان الكريم اذا ما خودع انخدعا .

ومن قول الآخر :

خادع خليفتنا عنها بمسألة ان الخليفة للسؤال ينخدع

وليس الأمر كما يظنون وانما المراد بالانخداع ههنا التكلف مع المعرفة بالخديعة . وقد صرح ابو تمام الطائي بالواجب في هذا المعنى فقال :

ليس الغبيّ بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وقال : يا اسكندر لا يكوننّ لجائزتك حد فان ذلك أبسط للأمل فيك .
وقال : يا اسكندر اعمر ما خرب مما أنشأه من تقدمك يعمر ما تبنيه من بعقبك
وقيل لسقراط لمَ لا نرى أثر حزن فيك ؟ قال : لأني لا أملك ما أحزن عليه اذا عدمته . قال بعض الشعراء :

الم ترَ ان الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما اسدى

فمن سره ان لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

وقال اوميرس : الكذاب لا يصلح لشيء حتى يصلح الثعلب للذئب . وقال : الانسان الخير أفضل من جميع الحيوان الذي على وجه الأرض والانسان الشرير أخسّ من جميع الحيوان الذي على وجه الأرض . وقال : اني لأعجب من الناس ان مكنهم الله من الاقتداء بالملائكة فيدعون ذلك ويميلون للاقتداء بالبهائم . قال المؤلف : عندهم ان التفلسف هو الاقتداء بالله تعالى وأن تعلم الحق وتفعل الخير .

ومن كلام باسيليوس الملك : لا تغتر بحسن الكلام اذا كان الغرض منه ضاراً فان الذين يسمون الناس يخلطون السم بالحلاوات ، ولا يصعبن عليك الكلام الغليظ اذا كان الغرض منه نافعاً فان أكثر الأدوية الجالبة للصحة مرة بشعة .

من كلام فيثاغورس ويقال انه أول فيلسوف اجتمعت اليه التلاميذ قال لابنه : أوصيك بعشرة أشياء فاحفظها تسلم : لا تلاح حديداً ، ولا تشارب غيوراً ، ولا تساكن حسوداً ، ولا تجاور جاهلاً ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ

مرائياً ، ولا تعامل كذاباً ، ولا تكثر مجالسة النساء ، ولا تصاحب بخيلاً .
والعاشرة هي عمدة الوصية وبها سلامة نفسك الا تستودع سرك أحداً .

من كلام ديستانس الخطيب ، قال : يجب على من اصطنع معروفاً ان يتناساه من ساعته ويجب على من أسدي اليه معروف ان يكون ذكره نصب عينيه . قال المؤلف : قيل في يحيى بن الفضل :

ينسى الذي كان من معروفه أبداً الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

من كلام ديوجانس الكلبي ، والكلبيون فرقة من الفلاسفة يستهينون بالعادات مثل ان يأكلوا في الطرقات ويلبسوا ما اتفق ويناموا حيث اتفق ولذلك شبهوا بالكلاب . رأى ديوجانس غلاماً منبوذاً اي ملقوطاً يرمي بالحجارة . فقال له : لا ترم فلعلك تصيب أباك وأنت لا تدري . قال المؤلف : نقل شاعر من العرب هذا المعنى فقال :

لا تهجون أسنّ منك فربما تهجو أباك وأنت لا تدري

من كلام فندروس قال : كما ان الجسد اذا فارقته النفس فاح منه النتن في الخارج كذلك الجاهل الذي عدم الحكمة لا يخرج من فيه لفظة الا كانت أذى ونتناً على سامعها وكما ان الجسد لا يشعر بما يظهر منه من النتن لأنه ميت كذلك لا يحس الجاهل بنتن كلامه لأنه ميت التمييز .

قيل لسطيحوس ان اوميروس يكذب كثيراً فقال : الذي يُطلب من الشاعر انما هو الكلام الحسن اللذيذ فاما الصدق فانما يطلب من الأنبياء عليهم السلام .

محمد كرد علي

أثر الهند في الثقافة العربية

اذا ذكر العربي الهند ذكر معها الحكمة ، والاتقان في العمل ، والطيب . ولذلك جعلوا اسم (هند) من أسماء بناتهم تفاؤلاً بما يرجونه لهن من الحكمة والاتقان وطيب الأحدوثة . واشتهر من نسائهم بهذا الاسم هند بنت الحرث الكندي عمة امرئ القيس الشاعر المشهور ، ووالدة عمرو بن المنذر اللخمي ملك العرب في الحيرة قبل الاسلام المعروف بعمرو بن هند [1] ، وهند بنت سهل المخزومية احدى زوجات النبي عليه السلام ، وهند بنت عتبة والدة معاوية بن أبي سفيان [2] ، وغيرهن ممن سمين بهذا الاسم كثير جداً .

وكأن الرجال نافسوا النساء على هذا الاسم ، فسموا به أيضاً ، مثل هند بن ابي هالة التميمي [3] ربيب النبي عليه السلام وأمه خديجة زوج النبي . وكذلك سموا السيف الماضي المتقن الصنعة الهندي . والهندي في لغة العرب أيضاً نوع من العود طيب الرائحة .

كان ذلك في الجاهلية وصدر الاسلام قبل ان يكون اتصال وثيق بين العرب والهند . فلما فتح محمد بن القاسم الثقفي السند سنة ٨٩ اجتمع الشعبان في صعيد واحد وتعارفا وبدأ كل منهما يقتبس من الآخر . ولعل اول ما اقتبس العرب من الهند ـ مباشرة أو بواسطة الفرس ـ لعبة الشطرنج ، فلقد أولعوا بها وعمت بين طبقات الناس في القرن الأول ، وراع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في دمشق انصراف الناس الى الشطرنج وشغلهم بها فكتب

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٢٦٥
(٢) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٨ ص ٢٠٣
(٣) » » » » » » » ج ٦ ص ٢٩٣

الى أحد عماله رسالة يأمر بتحذير الناس من الافراط في الاقبال عليها والتلهي بها ، والرسالة من انشاء عبد الحميد الكاتب كتبها عن الخليفة [١] .

وفي ايام بني أمية نبغ من أهل السند شاعر يعد من فحول شعراء العربية اسمه ابو عطاء أفلح السندي كان على جودة شعره يرتضخ لكنة سندية ولا يكاد يفصح لشدة لكنته ، فاذا أراد أن يقول حسن قال هسن او تعشيت قال تأسيت أو شيطان قال سيتان أو جرادة قال زرادة . وكان هواه السياسي مع بني امية فلما انقرضت دولتهم قال :

أليس الله يعلم أن قلبي يحب بني امية ما استطاعا
وما بي ان يكونوا أهل عدلٍ ولكني رأيت الأمر ضاعا [٢]

ولم تكد تنقرض الدولة الأموية وتنتقل الخلافة من بني امية الى أبناء عمهم بني العباس ويتحول مقر الخلافة من دمشق الى بغداد في النصف الأول من القرن الثاني حتى بدأ أثر الفرس والهند واليونان يظهر واضحاً في نواح متعددة من الثقافة العربية . وغرضنا الآن الاشارة الى أثر الهند دون سواه على سبيل الاجمال والايجاز .

نفذ أثر الهند الى جهات عدة من الثقافة العربية كالأدب والطب والحساب والنجوم والتصوف والموسيقى ، وأخذ علماء العرب يعنون بالثقافة الهندية ، فقد وفد على ابي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين وفد من السند سنة ١٥٤ وكان في جملة الوفد منجم عظيم عرف عند علماء العرب بالهندي ، له كتاب في حركات النجوم اسمه السند هند اي الدهر الداهر ، فأمر الخليفة بترجمة ذلك الكتاب الى العربية وان يؤلف منه كتاب تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب ، فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري [٣] .

(١) رسائل البلغاء لمحمد كرد علي ص ١٦٤
(٢) الأغاني ج ١٦ ص ٧٨
(٣) اخبار الحكماء للقفطي ص ١٧٧ وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة لأبي الريحان البيروني ص ٢٠٨

وفي ذلك الزمن أو قبله بيسير ترجم الى العربية كتاب كليلة ودمنة ترجمه الكاتب العظيم عبد الله بن المقفع عن الفارسية وزاد عليه باب برزويه ، والكتاب من وضع الهند واسمه بالهندية (پنچ تنتر) [1] ونظمه شعراً أبان بن عبد الحميد اللاحقي من شعراء ذلك الزمن . ولا تزال ترجمة ابن المقفع متداولة بين قراء العربية الى الآن . وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست ص ٣٠٥ أسماء القصص والاسمار التي ترجمت عن الهندية الى العربية في صدر الدولة العباسية وهي غير قليلة تدل على عناية العرب بالأدب الهندي .

ولا بد من الوقوف قليلاً عند أبان بن عبد الحميد اللاحقي أحد الشعراء المشهورين في صدر الدولة العباسية ، فقد راض الشعر العربي لما لم يرض له من قبل ، نظم كتاب كليلة ودمنة باربعة عشر الف بيت ، وعمل قصيدة اسمها ذات الحلل ذكر فيها مبتدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق وغير ذلك ، وعمل قصيدة تشتمل على أحكام الصيام والزكاة [2] وفي كل ذلك ظاهرة جديدة في الشعر العربي لم تكن معروفة من قبل ، ونرجح ان يكون حاكى في عمله هذا أهل الهند في نظم كتبهم ومعارفهم ، فقد ذكر ابو الريحان البيروني في كتابه الجليل عن الهند ان علوم الهند المدونة في كتبهم منظومة كلها شعراً [3] .

ويذهب البيروني الى أبعد من ذلك فيقول « ان من الناس من يظن انه من الممكن ان يكون الخليل بن أحمد سمع أن للهند موازين في الأشعار فوضع علم العروض » [4] .

ولما أفضت الخلافة الى هرون الرشيد ازدادت العناية بالثقافة الهندية وأمر

---

(١) البيروني ص ٧٦
(٢) كتاب الأوراق للصولي [قسم الشعراء] ص ١ و ص ٥١
(٣) البيروني ص ٩ وص ٦١ و ص ٦٥ و ص ١٩٥
(٤) البيروني ص ٧١

باستحضار أطباء الهنود وحكمائهم وكان يفضل طريقتهم في الطب على طريقة اليونان ، وقرب من أطبائهم صالح بن بهلة الهندي وله معه خبر طريف يدل على براعته مذكور في كتاب أخبار الحكماء للقفطي ص ١٤٥ وطبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ٢٤ واستدعى الرشيد من الهند طبيباً يقال له منكه الهندي كان متميزاً بالطب وحسن المعالجة والفلسفة جعله من أطبائه المقربين [١] . وبعث يحيى بن خالد البرمكي مستشار الرشيد برجل الى الهند ليؤلف له كتاباً في مللهم وأديانهم ويأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم [٢] .

وقد ترجم من عهد ابي جعفر المنصور سنة ١٣٦ الى آخر عهد المأمون سنة ٢١٨ عدد وافر من كتب الطب والنجوم والصيدلة والحكمة مذكورة اسماؤها واسماء مؤلفيها ومترجميها في كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢٧١ و ص ٣٠٣ وفي كتاب طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣٢ و ص ٣٣ و ص ٣٤ .

ويقول القفطي في أخبار الحكماء ص ١٧٥ : « ... مذهب السند هند في علم النجوم هو المذهب الذي تقلده جماعة من علماء الاسلام وألفوا فيه الزيجة .... ومما حصل الينا من علومهم في الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية بيافر وتفسيره ثمار الحكمة فيه اصول اللحون وجوامع تأليف النغم ... ومما وصل الينا من علومهم حساب العدد الذي بسطه ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو أوجز حساب واخصره واقربه تناولاً واسهله مأخذاً يشهد للهند بذكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختيار والاختراع » .

وقد تأثر التصوف الاسلامي ـ بواسطة الفرس في اكثر الأحيان ـ بشيء من مذاهب الهند في الرياضة والزهد والتقشف وفلسفة الحياة كما تأثر بعقائدهم

---

(١) طبقات الأطباء لابن ابي أصيبعة ج ٢ ص ٣٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٤٥

بعض الفرق الباطنية ممن يقولون بالتناسخ والحلول والاتحاد [١] . وكان ابو العلاء المعري ممن استهواه مذهب الهنود في الرأفة وتحريم قتل الحيوان فعمل به ودعا اليه نحواً من خمسين سنة وفي ديوانه (اللزوميات) طائفة من شعره في هذا المعنى .

وعناية ابي الريحان البيروني بعلوم الهند وفلسفتهم وعقائدهم ومذاهبهم وشرائعهم وعاداتهم وشرح احوالهم تفوق كل عناية ، فلقد رحل الى بلادهم وعاش معهم وأتقن لغتهم ونقل الى العربية خلاصة ثقافتهم وألف في ذلك عدداً من الكتب وصل الينا منها كتابه العظيم « تحقيق ما للهند من مقولة » أحسن فيه غاية الاحسان .

هذه نبذة موجزة في الاشارة الى أثر الهند في الثقافة العربية يصح ان تكون مقدمة لبحث يحيط بهذا الموضوع .

خليل مردم بك



---

(١) البيروني ص ١٠ و ٢٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٣١ و ٣٤ و ٤٠ و ٤٣

تحقيقات معجمية

— ٢ —

ت — بَرِح

العربية :

بَرح الظبيُ : مرّ عن ميامنك فولاّك مياسره ؛ و — الانسانُ برحًا : غضب . يقال : ما أشدّ ما برح فلان على صاحبه . برِح المكانَ ومنه : زال عنه ؛ و — الخفاء : وضح الأمر ، اي زالت خفيته . برّح به الأمرُ : جهده وآذاه أذًى شديداً ، فهو مبرِّح . برِّحت به الحمّى : اصابه منها البُرحاء ، وهي شدتها . برّح الله عنك : كشف البَرح ونفّس عنك . أبرَح فلانٌ رجلاً : فضّله وتعجب منه . وأبرحه : اكرمه واعظمه ، أو صادفه كريمًا . يقال أبرحتَ كرمًا وابرحت لؤمًا : جئت بأمر مفرط . ما أبرحه : ما اعجبه . أبرح : اعجب وبالغ . بارِح . البارح من الصيد ، جاء عن يمينك فولاّك مياسره . ريح بارح : شديدة . البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة . يقال : اخذته بُرَحاء الشوق . التباريح : كلف المعيشة بمشقة . وتباريح الشوق : توهجه . البارحة : اقرب ليلة مضت . يقال : كان كذا الليلةَ ، من غدوة الى زوال الشمس . واذا زالت قيل البارحة ، اي الماضية والزائلة . البَراح : المكان الذي لا ستر فيه ولا شجر ، اي الظاهر ؛ و — الأمر البيّن . ومنه : جاء بالكفر بَراحًا ، اي بيّنًا أو جهاراً ؛ و — اسم الشمس ، لانتشارها وظهورها ، اي بزوال خفيتها . لا بَراحَ : لا تحول ولا زوال . بُرحة كل شيء خياره . بَرحى : كلمة تقال عند الخطأ في الرمي ، اي خطأ زائل [1] .

(١) اللسان ٣ — ٢٣١ ي ي ، التاج ٢ — ١٢٢ ، Lane ١٨ ي ي .

السريانية :

(ح) Brah : برَح ، اتضح ، لمع ، تلألأ ، شفّ .

Barrah : برّح ، أوضح ، كشف ، صقل ، أبرق ، فضح ، عاب ، ثلم .

Bârôhâ : بارِح ، واضح ، سنيّ ، لمّاع ، شفّاف .

Barhâ / Nabrîhâ : خروف ، تيس ، الكبش المتقدّم القطيع [1] .

العبرية :

(خ) Bârah : شقّ ، عبر ، اخترق ، اجتاز ، انصرف ، هرب .

Bâriyah : هارب .

Berîhah : هرَب ، جفل ، فرار .

Beriyah : خشبة عارضة ، مرتاج ، قوة ، سطوة ، حصن [2] .

الحبشية :

Bareha : برح ، ظهر (الشيء الخفي) .

Barâh : أصلَع .

Berhat : صلَع ، صُلعَة [3] .

الأكدية :

Burûhu : رمح ، سنان .

Berehhu : ساق النبات [4] .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الحرف الثلاثي مشتق من الثنائي « بَرْ » . وقد رأينا ان معاني « بَرْ » هي القطع ، الشق ، الفصل ، الابعاد ، الزوال . فهذه الفكرة الأصلية توسّعت

(١) Payne - smith ٦٠٨ ي ، منّا ٨١ ، أودو ١ - ١٠٢ ي .
(٢) Robinson ١٣٧ ي ، El - Maleh ١٨٥ .
(٣) Dillmann ٥٠١ .
(٤) Bezold ٢٢٦ ، Robinson ١٣٨ .

في مادة « بَرح » فصدر عن ذلك المداليل التالية الواردة في العربية واخواتها ٠

(٢) من فكرة القطع والشق والخرق جاء في العبرية فعل Bârah : شق ، عبر ، اخترق ، اجتاز ٠ و Beriyah : خشبة عارضة لاجتيازها وراء الباب ٠ من ذلك Barâh في الحبشية ، ومعناها : أصلَع و Berhat الصَلَع ٠ لأن الصلَع يعني جز الشعر أو زواله ٠ ومنه في الاكدية Burûbu ، رمح ، سنان ، لخرقه الأبدان ؛ و Berehhu ساق النبات ، لشقه الأصل ونموه ٠

(٣) من القطع والطعن والشق يحصل الأذى الواقع بشدة وعنف ٠ من ذلك ورد في العربية : برَّح به الأمر : آذاه أذًى شديداً ٠ والبُرَحاء والتبريح ٠ ومنه أيضاً الغضب لما فيه من الحدة والشدة ٠ ومن الشدة المبالغة ٠ من ذلك أبرَح بنا : بالغ في ايذائنا ٠

(٤) من الفصل ينشأ السير والمضي والمرور ٠ نحو : بَرح الظبي : مرَّ عن اليمين الى اليسار ٠ ومنه التقدُّم ٠ في السريانية Barhâ : الكبش بكونه السائر أو المتقدم القطيع ٠ وفي العبرية Bârah : انصرف ، هرب ٠

(٥) من القطع والفصل يتولد الاختيار ٠ لأن من اختار شيئاً فصله أو ميَّزه عن غيره ٠ فجاء : بُرحةُ كل شيء خياره ٠ هذه بُرحة من البُرَح : الناقة اذا كانت من خيار الإبل ٠ ومن الاختيار ينشأ التفضيل والاكرام ٠ من ذلك : أبرح فلاناً : فضَّله واكرمه وأعظمه ٠

(٦) من القطع والفصل يصدر الابتعاد والزوال ٠ فجاء برح عن مكانه : زال عنه ٠ وأبرحه عن المكان : أزاله عنه ٠ ثم : لا بَراح ، اي لا تحوّل ولا زوال ٠ هذه فعلة بارحة : زائلة ٠ بَرَحى : كلمة تقال عند الخطأ في الرمي ، اي خطأ زائل ٠ الليلة البارحة : الماضية أو الزائلة ٠

(٧) من باب السلْب ، زوالُ الشيء يدلّ على ظهور غيره ٠ ولذا ورد برَح الأمرُ : ظهر ، وضح ، اي زالت خفيته ٠ البَراح : المكان الذي لا ستر فيه

ولا شجر، أي الظاهر . البَراح : الأمر البيّن . البراح : الشمس، لظهورها وانتشارها، اي لزوال خفيتها . ثم جاء في الحبشية Bareha : برح، ظهر . وفي السريانية : Brah : برح، اتضح، لمع . و Barrah : برّح، كشف، أبرق، فضح، هتك .

ث : بَرَدَ والبريد

العربية :

برَدَ : زالت حرارته؛ و — الماءَ : ازال حرارته؛ و — الماءَ : مزجه بالثلج؛ و — الليلُ القومَ، و — عليهم : أصابهم بَرْدُه؛ و — عينَه بالكحل : سكّن ألمها به؛ وبردت العين بالبَرود : كُحِلت به فسكن ألمها؛ وبرد الخبزَ بالماء : صبّ عليه الماء فبلّله؛ و — فلانٌ : فتر؛ و ضعف عن هزال أو مرض؛ و — نام؛ و — مات؛ و — لي على فلان حق : وجب ولزم؛ و — السيفُ : نبا، ضعف، كلّ؛ و — الحديدَ : سحله؛ و — الخشبةَ بالمبرد؛ نحتها؛ و — مضجعهُ : سافر؛ و — أرسل .

برُد الماء : زالت حرارته؛ و — حقي عليه : ثبت ووجب؛ و — الأرضُ : أصابها البرَد؛ وبُرِدت الأرضُ : أُمطِرت البرَد .

أبرَد له : سقاه البارد؛ و — فلاناً : أرسله بريداً؛ و — دخل في البَرْد أو البرَد . أبرِدوا عنكم من الظهيرة : لا تسيروا حتى ينكسر حرّها ويبوخ .

ابترد : اغتسل بالماء البارد . استبرده : عدّه بارداً؛ واستبرد عليه لسانه : ارسله عليه كالمبرد . البارد : غير الحار؛ و — كل ما كان محبوباً مستطاباً؛ و — من العيش : الهنيء الطيّب، الحجة الباردة : الواهنة؛ الغنيمة الباردة : التي تأتي عفواً بغير اصلاء نار القتال . البُرادة : السُحالة، أو ما سقط من المبرود أو المسحول، عند سحله، سواء كان من الفضة، أو الذهب، او الحديد . البَرَد : حبّ الغمام؛ ومجازاً : الأسنان الشديدة البياض . البَرْد : عكس

الحر ؛ و — النوم ؛ و — الموت ؛ البَرَدة : التخمة ؛ المِبْرَد : آلة سحل الحديد وغيره[1] .

السريانية :

Brad : بَرد ، سحل ، خرط ، خبط ، سحق .

Barrèd : كثّر ، وفّر ، نوّع .

Abrèd : قطع ، منع ، أوقف : جمّد ، جعله بارداً .

Bardâ : برَدٌ ، حبّ الغمام ، بَرْدٌ ، قرّ .

Bârdâ : أبرَدُ ، مخطّط .

Burdâ : بُرْدٌ ، ثوبٌ مخطّط .

Barîdâ : بريد ، رسول[2] .

العبرية :

bârad : برَدت السماء ، تبدّد ، انشدّت .

barôd : مخطّط ، مبقّع ، ملوّن .

الارمية :

berad : بَرَدٌ .

السبئية : بردم : برَدٌ[3] .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الثلاثي صادر عن الثنائي « بَرْ » الدال ، كما رأينا ، على القطع ، والفصل والإبعاد . ومن أنواع القطع ، قطع الحركة . ومن ضروب الحركة

(١) التاج ٢ — ٢٩٧ ي ي ، اللسان ٤ — ٤٨ ي ي ، الصحاح ٢ — ٢١٢ ي . Lane ١٨٣ ي ي .

(١) معجم Brockellmann (سرياني — لاتيني) ٣٥ ، منّا ٨٠ ، معجم القرداحي (سرياني — عربي) ١ — ١٣٩ .

(٣) Robinson ١٣٥ ، معجم المالح (عبري عربي) ص ٦٦ .

حركة الحرارة · فمن انقطاعها ، أو سكونها ، او خمودها ينجم ما نسميه البرْد · ومرادفه « القُرّ » · وهذا عينه ناشئٌ عن القرار او السكون [١] · وبهذا تدرك جميع المداليل لهذا الثلاثي المراد بها البَرْد أو البَرَد · من ذلك بُرِدت الأرض : أُمطرت برَداً ؛ وفي العبرية bârad : بُرِدت السماء ؛ وفي الإرمية berad : بَرَدٌ ؛ وفي السبئية « ب ر د م » برَدٌ ·

(٢) من السكون ، أو انقطاع الحرارة ، أو البَرْد جاء « برَدَ » دالاً على النوم والموت · لأن في النوم انقطاع الحرارة وقتياً ، وفي الموت زوالها زوالاً تاماً [٢] ·

(٣) ثم ورد بين معاني « بَرد » مدلول الفتور ، والضعف ، والهزال ، لأن في ذلك مفهوم انقطاع الحرارة أو العافية ·

(٤) اذ كان في « البَرْد » معنى القرار والثبوت ، أي عدم الحركة ، قيل في العربية : برَد لي على فلان حق ، اي ثبت ووجب ولزم [٣] ·

(٥) اذا بردت المعدة تعسّر عليها استمراء الطعام وهضمه · ولذا سميت التخمة بَرَدَة ·

(٦) من لون البَرَد ، أو حبّ الغمام ، وهو لون البياض ، سميت ، من باب المجاز ، « بَرَداً » الأسنانُ الشديدة البياض [٤] ·

(٧) من البرودة تنشأ الراحة والرفاهية في البدن ، من ذلك تسكين الآلام · ولهذا أيضاً اطلقوا كلمة « البارد » على كل ما يُحبّ ويستطاب · واذ كان البرْد سكوناً وعدم عناء ، قالوا : غنيمة باردة ، أي تأتي عفواً بغير اصلاء نار القتال ·

(٨) من فكرة القطع جاء abrèd ، في السريانية ، دالاً على : قطع ، منع ، أوقف ، جمّد · وفي كلمة barda : ثوب أبرَد : مخطّط ، اي مقطّع بالخطوط ·

---

(١) المصباح ١ — ٣٨٦ ي ·
(٢) اللسان ٤ — ٥١ و ٥٢ ·
(٣) الأساس ١ — ٢٣ ·
(٤) البستان ١ — ١٢٧ ·

وكذلك burda . ومنه البُرْد والبُردَة ، في العربية بعين المدلول[1] .

(٩) من انواع التقطيع السَحْل ، وهو البَرْد ، أي سحق المعادن المختلفة ، كالذهب ، والفضة ، والحديد ، سحقًا يجعل مادتها ذرّات . من ذلك يقال في العربية : بَرَدَ : سَحَل ؛ وفي السريانية brad : سحق ، سحل ، خبط . ومنه : استبرد عليه لسانه : أرسله كالمبرَد[2] ، والبُرادة : السحالة ؛ والمبرود : المسحول . ومن انواع البرْد النحت . فورد : بَرَدَ الخشبة : نحتها .

(١٠) من نتائج البَرْد تكثير مادة السُحالة . من ذلك في السريانية barrèd : كثَّر ، وفرَّ نوَّع ؛ وفي العبرية barad : تشتَّت ، تبدَّد .

(١١) من القطع والفصل ينجم الابعاد ؛ ومنه الارسال . لذلك جاء في العربية : بَرَد وأبرَد : أرسل . ومنه البريد : الرسول ، وجمعه البُرُد : الرسل[3]

أصل كلمة « بريد »

لقد تضاربت ، واي تضارب ، آراء أهل اللغات من عرب ، ومستعربين ، ومستسيمين ، في أصل لفظة « البريد » . لذا نبسط اولاً اقوالهم ، ثم نرى اي رأي يسوغ ابداؤه في ذا الشأن .

بين لغويي العرب من يقول بأنها عربية النجار ، ومنهم من يزعم انها فارسية الأصل . فنجتزئ ، للدلالة على المذهبين ، بايراد ما جاء في صبح الأعشى في صدد ذلك[4] قال : « ثم اختلف فيه (البريد) . فقيل انه عربي . وعلى هذا ذهب الخليل الى انه مشتق من بردت الحديد اذا ارسلت ما يخرج منه . وقيل من أبردته اذا ارسلته . وقيل من برَد ، اي ثبت . لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار . يقال اليوم بارد سمومه ، اي ثابت »[5] .

---

(١) اللسان ٤ – ٥٣ ي .   (٢) الأساس ١ – ٢٣ .

(٣) القاموس ١ – ٢٧٧ .   (٤) صبح الأعشى ، للقلقشندي ١٤ – ٣٦٧ .

(٥) اللسان ٤ – ٥٣ ، سر الليال ، الشدياق . ص ١٤١ ، المصباح ١ ٥٥ .

«وذهب آخرون الى انه فارسيّ معرّب . قال ابو السعادات بن الأثير في كتابه النهاية ، في غريب الحديث : واصله بالفارسية « بُرِيدَه دُمْ » ومعناه مقصوص الذنب . وذلك ان ملوك الفرس كانت من عادتهم انهم اذا اقاموا بغلاً في البريد قصوا ذنبه ، ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد»[١] .

اما المستشرقون فلا يقبلون لا بعربيتها ولا بفارسيتها . فمنهم من يزعم انها من veredus الكلمة اللاتينية ، الدالة على بغل البريد[٢] . ومنهم من يدعي كونها من pferd اللفظة الألمانية ، وهناك من يظن ان veredus اللاتينية آتية من اللغة القلطية[٣] ، اخيراً هناك فريق يرتئي انها من العبرية férèd ، اي البغل[٤] .

أما التأريخ فيدلنا على ان منظمة البريد قد وجدت منذ القديم عند الشعوب المتمدنة من مصريين ، وبابليين ، وأشوريين ، وفرس ، ويونان ، ورومان ، وعرب[٥] .

على ان طريقة المخابرة قد بدأت طبقاً لمجرى الطبيعة . فكانت المراسلات تتم على يد رجال سعاة يمشون على الأقدام بسرعة غريبة . ثم تطوّرت متدرّجة في الرقي ، فاستخدمت لذلك الدوابّ على اختلاف انواعها ، من بغال ، وحصن ، وجمال . ثم في عصور الدول العظمى ذات العاهليات الضخمة ، اتخذ الملوك

---

(١) التاج ٢ – ٢٩٨ ، سرّ الليال ، للشدياق ص ١٤١ ، البستان ١ – ١٢٧

(٢) La Syrie à l'époque des Mamlouks , par Gaudefroy - Demombynes , p 239 .
La poste aux chevaux dans l'émpire des Mamlouks , par Sauvaget , p 1 .
Encyclopedie de l'islam , Hartman , sous Barid , I , p 675 .

(٣) المعجم الدائني ١ – ١٥٠ .
Point de vue sur l'impérialisme romain , par Jérôme Carcopino , p . 237 .

(٤) معجم Gesenius - Buhl (عبري ألماني) ٦٥٧ .

(٥) Larousse du XX^e siècle : T . 5 , p . 736

والحكومات وسيلة الإسراع في هذه المنظمة ، باقامة مراحل ، او سكك مرتبة فيها الدواب ، ليركبها الرسل حال وصولهم ، فيتابعوا السير دون توقف [١] .

أما العرب فقد عمدوا بادئ بدء الى الوسائل العادية لايصال الأخبار ، اي على يد السعاة او الرسل المشاة ، ومنهم العدّاؤون ، ثم بواسطة الركبان الذين كانوا يقطعون المسافات الطويلة قياماً بهذه المهمة . وبعد اتساع ملكهم بالفتوح ، كان معاوية أول الخلفاء الذين أنشأوا منظمة البريد ، حسبما كانت جارية عند الروم البيزنطيين ، خلفاء الرومان القدماء ، الذين كان قياصرتهم العظام قد وضعوا نظامها الكامل ، كما ان العباسيين واصلوا استخدام هذه الوسيلة احتذاءً للفرس الذين كانوا قد سبقوهم في تأسيس هذه المنظمة للمخابرة بين ملوكهم والولاة [٢] .

هذا الذي نعرفه من الناحية التاريخية . فلنبحث الآن عن اصل الكلمة من حيث الاشتقاق .

رأينا ان المادة الثلاثية « بَرَد » مشتقة من الثنائي « بَرْ » وبدله « فَر » . وكلاهما يدلاّن على القطع والفصل ، ومن ثَم على الابعاد والاسراع . وقد توسعت هذه الفكرة في الثلاثي ، بصورتيه وهما « بَرد ، وفرَد » الواردين في اللغات السامية . وقد مر بنا بسط معاني « برَد » . أما « فرَد » فهذه مداليلها . في العربية « فرد » عن الشيء : اعتزل وتنحى . وأفرد الشيء : عزله . وأفردَ رسولاً : جهّزه وبعثه [٣] . ومثله : « فرَط » : سبق وتقدم . وفرط اليه

(١) Dictionnaire des antiquités , Tome . I , partie II , p. p. 1645 - 1672 .

(٢) التعريف ، للعمري ، ص ١٨٠ ي ، ي ، الخطط المقريزي ١ - ٢٢٦ . التمدن الاسلامي ، لجرجي زيدان ، ج ١ ص ٢٢٠ ي ، ي .
المعلمة الاسلامية (بالفرنسية) ١ - ٦٧٥ .

(٣) البستان ٢ - ١٧٩٢ .

رسولاً : قدّمه وأرسله . وفرَط عليه : عجّل وعدا . وأفرط اليه رسولاً : أرسله . وافرط فلان : أعجل في الأمر . وتفرّط الفرسُ الخيلَ : تقدّمها . وتفارط القومُ : تسابقوا . « الفُرُط » : الأمر المجاوَز فيه الحد . و « الفُرُط » : الفرس السريعة التي تتفرّط الخيلَ ، اي تتقدّم [١] . وفي العبرية Farad : قسّم ، جزّأ ، فصل ، فرّق . و férèd : بغل ، و firdah : بغلة [٢] . وفي السريانية frad : فرَد ، اعتزل ، فرّ ، تفرّق [٣] . و frat : شقّ ، مزّق ، فرّط ، نثر [٤] . وفي الاكدية Paradu : اهتزّ ، ارتجف ، ارتبك ، عجّل ، أسرع . و piridu أو purîdu : سريع ، مستعجل ، ساعٍ ، رسول [٥] .

أول لغة ظهر فيها معنى الفصل ، والاسراع ، والارسال هي الاكدية . وأما férèd العبرية الدالة على البغل ، فقد اطلقت على هذا الحيوان لسرعته في السير [٦] . وقد وافق ذلك معاني « فرد ، وفرط » في العربية . من ذلك « فرَط » المراد به السرعة ، والتقدّم ، والسبق ، وارسال الرسول . وكذلك « أفرد » رسولاً : جهزه وبعثه . ومنه ايضاً « الفُرُط » الفرس السريعة .

بناءً على هذا نظن ان تطوّر معاني هذه الألفاظ بدأ بمدلول القطع ، والفصل ، والابعاد ، في الثنائي « برْ » أو « فرْ » ، وتوسع في الثلاثيات « برد ، وفرد ، وفرط » ، ومن فكرة السرعة ، والتقدم ، والسبق ، انتقل الى فكرة الارسال . من ذلك الرسول الماشي او الساعي ، ثم الى فكرة الراكب ، وما يركبه الرسول ، اي الدوابّ ، من بغال ، او حصن ، او جمال ، او مركبات ، ثم الى المسافة التي يقطعها الرسول ، والى المراحل التي ينزلها لتغيير المركوب [٧] .

لذلك نرى الأقرب الى الصحة ان اللفظة سامية ، مبدأ اشتقاقها من الثنائي « بَرْ أو فَرْ » ثم من الاكدية ، ومن هذه اللغة تطرّقت الى العبرية ، والعربية ،

(١) أقرب الموارد ٢ – ٩١٧ ي .
(٢) معجم المالح ، ص ٣٣٠ .
(٣) منّا ، ٦٠٦ ي .
(٤) أودَو ٢ – ٣٢٦ .
(٥) Bezold ٢٢٦ .
(٦) Gesenius ٢ – ١١٢٤ .
(٧) المصباح ، ٥٥ .

والسريانية . ومن اللغات السامية انتقلت الى الألسنة الآرية ، كالفارسية ، واليونانية ، واللاتينية . ومن اللاتينية دخلت اللغات الجرمانية والقلطية وغيرها .

وفي العربية ذاتها ، يظهر لنا ان الفعل « بَرد وأبرَد » بمعنى أرسل ، قد ورد قبل « البريد » الدال على الرسول ، اي ان هذه اللفظة ، وهي تعني الرسول ، او دابة الرسول ، مشتقة من الفعل ، ولم يشتق منها الفعل ارتجالاً ، اشتقاقه من اسم عين أجنبي . فقد ورد في الحديث : « اذا أبردتم اليَّ بريداً ، فاجعلوه حسن الوجه ، حسن الاسم » . البريد الرسول ، وابراده ارساله . وقد قال بعض العرب : « الحمّى بريد الموت » . اراد انها رسول الموت تنذر به . وفي الحديث أيضاً : « لا أخيس بالعهد ، ولا احبس البُرْد » اي لا أحبس الرسل الواردين عليَّ [1] .

أما الفارسية البهلوية ففيها كلمة « بريد » دالة على الساعي والرسول . و « بَريدَن » بمعنى أرسل رسولاً . وفيها كذلك « بُريدَه دُم » : مقصوص الذَنب . بيد ان المعنى الأول هو الأصلي والطبيعي ، ولا الثاني البائن انه من مخيلات أهل المعاجم العربية .

على ان هذه المفردة لم تكن معروفة ، على ما يلوح لنا ، عند الفرس الأقدمين ، اي زمن داريُس وأحشويرُش اللذين أنشئت ، في عهد دولتهما ، اي نحو القرن الخامس ق . م ، منظمة البعث بالتحارير والمراسيم والأخبار ، كما يبين من سفر استير العبري الذي نجد فيه مطلقة على خيل السعاة والرسل اللفظة الدخيلة من فارسية ذاك العصر ، وهي Ahasteranîm ، المحتمل اشتقاقها من كلمة H'satra : مملكة ، فتكون دلالتها « الخيل الملوكية » [2] .

هذا وفي السفر المذكور عينه يدعي السعاة في العبرية rasîm وفي السريانية rahhaté . وكلاهما يطلق على الركاضين ، أو العدّائين [3] .

---

(١) اللسان ٤ — ٥٢ .

(٢) Persian - English dictionary, by F. steingass , p. 182
Critical and exegetical commentary on the book of Esther by L . B . Paton p. 273 .

(٣) سفر استير ، بالعبرية ٨ : ١٠ ، ترجمته بالسريانية ٨ : ١٠ .

على ان هيرودتس قد ذكر في تأريخه كلمة aggarios المراد بها الخادم ، المسخَّر ، الساعي ، الرسول ، من فعل aggareuo سخّر[١] ، ويقابلها في اللاتينية angarius : ساع ، رسول ، والفعل angario : سخَّر للنقل في العجلات . وقد نسبها الى الفرس[٢] .

أما veredus الدالة في اللاتينية على دابة البريد ، و veredarii : رسل البريد ، فقد كانتا متعلقتين بالمصلحة العامة للنقليات والمراسلات المدعوة عند الرومانيين cursus publicus . ومن جملة ارباب الوظائف فيها كان magister officiorum : ناظر الوظائف ، و stationnarii : اصحاب المراحل ، أو المنازل ، و angarii سعاة الدولة[٣] .

أما هذه الكلمة veredus ، التي يقابلها في اليونانية beredos – كما ان veredarius تنظر اليها beredarios – فالظاهر ، على رأي الاستاذ Juret ، في معجمه للأصول اللاتينية واليونانية ، انها دخيلة من لغة غير معينة[٤] وأما اللفظة الجرمانية pferd « بغل » ، وكذا القول عن القلطية ، فتشهد المعاجم انها مأخوذة عن اللاتينية ، وليس بالعكس[٥] .

الخلاصة ، يلوح لنا ، مما بسطناه ، ان كلمة « بريد » ليست من اللاتينية ، او اليونانية ، ولا من الفارسية ، بل هي عربية مشتقة ، على وزن فعيل بمعنى مفعول ، من « بَرَدَ وأبرَدَ » : أرسل رسولاً أو بريداً ، لا بل هي سامية الأصل أسّها الثنائي « برْ » أو « فرْ » ، وقد وردت بما يشبه المعنى المطلق عليها ، في الاكدية والعبرية .

(يتبع) الأب مرمرجي الدومنكي

(١) تأريخ هيرودوت ٨ – ٩٨ .
Greek - English lexicon , by E. A . Sophocles, p . 94 . -
Diction . des antiquités , T . I , p . 1658 s .
(٢) Dictionnaire latin - français , par F . Gaffiot , p . 125
(٣) Diction . des antiquités , T . I . p . 1652 .
(٤) Dictionnaire ètymologique grec et latin , par A . Juret , p . 252 .
(٥) Dictionnaire allemand - français , par schuster, p. 676

المدرسون تحت قبة النسر

تمهيد

اقترح علي صديقنا العلامة خليل مردم بك أن أنشر ما كتبه جدي الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار في تاريخه : (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) فيمن جلس للتحديث في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، فلبيت شاكراً ، ورأيت ان امهد بكلمة في التعريف بهذا التاريخ المخطوط فأقول :

ان هذا التاريخ يقع في مجلدات ، ويبلغ نحو (١٨٠٠) من الصفحات بالقطع المتوسط ، وقد كتبه مؤلفه في أدوار من عهود شبابه وكهولته وشيخوخته ، وترجم فيه ايضاً لطائفة من رجال القرن الرابع عشر وهم احياء ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته بأكثر من عشر سنين ، لما اضر بيده اليمنى من الأمى والشلل القليل ، الى ان توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ ، وقد ترجمه الاستاذان الجليلان محمد كرد علي في مجلة المجمع والزركلي في الأعلام ونشر كاتب هذه السطور له ترجمة مفصلة في مجلة المنار (م ٢١ ص ٣١٧ — ٣٢٤) .

وقد وقع للمرحوم تساهل في ذكر بعض من لا يستحقون الذكر ، كما أنه ترجم بعض الرجال في اواخر سني تحصيلهم ، او اوائل ظهور فضلهم ، ولم تذكر أعمالهم من بعد ان خاضوا في بحران المعترك الديني أو العلمي ، ودعوا الى الاصلاح الاجتماعي او القومي ، وكانت لهم فيه اعمال مشكورة ، وتآليف مشهورة ، كشيخنا القاسمي صاحب التفسير الكبير ، والمؤلفات المطبوعة ، والزهراوي الشهيد منشئ جريدة (الحضارة) ، ومؤلف « خديجة أم المؤمنين » . والمؤرخ الكبير

رفيق بك العظم الذي اشتهر بأجل مصنفاته : (أشهر مشاهير الاسلام) ، وكغير هؤلاء ، ثم اعجزه الشلل اليدوي عن وصفهم في طور حياتهم الأخير ، وجهادهم العلمي والقلمي العظيم ، كما ارَّخ كثيراً ممن ليس لهم آثار تذكر ، كترجمته لبعض اهل الطرق المعروفة ، ونقله بعض ما يأثرونه من حكايات عجيبة ، او امور مبتدعة ، ليست في كتاب ولا سنة ، وإنما جارى فيما يحكيه العصر الأول الذي نشأ فيه ، وقد سبقه الى مثله المؤرخون كالأمين المحبي في اعيان القرن الحادي عشر ، والسيد المرادي في اعيان القرن الثاني عشر ، فقد ترجم الأول لأول رجل في خلاصة الأثر وهو آدم الرومي فقال : احد خلفاء العارف بالله تعالى جلال الدين الرومي المعروف بمنلا خدادنكار ، وكان شيخ زاويتهم المعروفة بمدينة الغلطة ، ووصف الثاني اول مترجم في سلك الدرر فقال في ترجمة ابراهيم الخلوتي : واخذ عنه الطريق (اي عن اخي المترجم ابي الصفا) وعن العارف السيد غازي الحلبي الخلوتي المشهور خليفة الشيخ إخلاص ، وجلس على سجادة المشيخة وبايع واشتهر ، وعقد الاختلاء في جامع المرادية بدمشق اهـ . المراد منه وهذا النمط من التعريف مستفيض في كتب التراجم والتاريخ .

وكان أذن لي المرحوم في اختصار تاريخه « الحلية » والتصرف فيه على وفق ما أرتئيه ، وقد استشرت افاضل اصدقائه بعد وفاته في ذلك فمنهم من اشار باختصاره ، ومنهم من رأى إبقاءه على حاله ، والاعتذار عن المؤلف في كل ما يظهر فيه مجال للنظر ، او موضع للنقد ، ولكل وجهة ، ثم رأيت ان اجمع بين الرأيين بابقاء الأصل على حاله ، واختصاره بكتاب اسميه (المختصر من حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) من دون تصرف في الأصل بزيادة او نقص او تغيير ، وأميز زياداتي واقوالي بعزوها الي .

وقد فرغت من اختصاره في ثلاثة مجلدات سنة ١٣٦٢ هـ — ١٩٤٣ م .

(خلاصة تاريخ المسجد الأموي)

ذكر مؤرخ الشام الحافظ الكبير علي بن الحسن بن عساكر المتوفى سنة ٤٩٩ في باب ما ذكر في بناء المسجد واختيار بانيه موضعه على سائر المواضع ، ناقلاً عن عبد الرحمن بن ابراهيم أنَّ الوليد بنى كل ما كان داخل حيطان المسجد ، وزاد في سمك الحيطان ، وبنى قبة المسجد ، فلما استقلت وتمت ، وقعت ، فشق ذلك عليه ، الى آخر ما جاء في قصة بناء المسجد وقبة النسر [1] .

وقال النعيمي (المتوفى سنة ٩٢٧) : ويشتمل هذا الجامع في وقتنا على تسعة ائمة ، وثلاثة وسبعين متصدراً لإقراء القرآن ، وعشرين سبعاً ، واحدى عشرة حلقة للاشتغال بالعلم ، والصرف عليها من مال المصالح ، وثلاث حلق للاشتغال بالحديث . وذكر النعيمي ايضاً في تحفة الطالب وارشاد الدارس خلاصة تاريخ الجامع الأموي ، وما عرض له من الحرائق والتجديد حتى عصره .

واما الأستاذ بدران (المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ) فقد بسط الكلام على الجامع الأموي في كتابه منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ولما يطبع) ونقل عمن تقدمه من المؤرخين خلاصات في وصفه وتاريخه ، وخرابه وتجديده ، وقال : ثم في ايامنا (سنة ١٣١١) احترق الجامع ، ولم يبق فيه شيء من الآثار القديمة ، واعيد بناؤه على الحالة الحاضرة اليوم ، جعله الله عامراً مدى الأيام اهـ .

واقول : إن العالم السيد علي الألوسي كان نظم قصيدة اثر حادثة الحريق سنة ١٣١١ هـ قبل تعميره وإعادته ، وكتب اليَّ كتاباً من بغداد (مؤرخاً في ١٠ رجب سنة ١٣٣٣) بعد عودته من دمشق صحبة علامة العراق ابن عمه السيد محمود شكري (رحمهما الله تعالى) يقول في ختامه : فرأيت ان أقدم اليكم صورتها (اي القصيدة) إذ يكون لها مساس لمن يشتغل بالتاريخ ومن ابياتها :

---

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٣ من تاريخه طبع دمشق سنة ١٣٢٩ هـ .

الله من نوب الزمان فكم لها ... من فاجعات أعظمت وقعاتها
بالجامع الأموي قف متفكراً ... في حادث عم الورى بجهاتها
نار تطاير بالقلوب شرارهـا ... وتصاعد الزفرات من زفراتها
يا جامعاً جمع المحاسن إذ غدا ... للشام شامتها وعين حياتهـا
قد كنت مجتمع الفضائل والتقى ... في المسلمين لدرسها وصلاتها
واطالما قصدت اليك اولو النهى ... تبغي الأسانيد العلا برواتها

ثم ختمها بهذا البيت الواعظ :

وكذا الزمانُ مسرّة ومساءة ... هذي الحياة وهذه حالاتهـا

(محدثو دار الحديث الأشرفية وقبة النسر)

عرفت الشام من الصدر الأول بأنها بلد السنة ، فمسند الشاميين ـ أي الصحابة الذين نزلوا الشام ـ هو جزء كبير من مسند الإمام احمد المطبوع [1] ، ويجده المطالع في الجزء الرابع منه ، وبالأسانيد المتصلة بهؤلاء الشاميين وغيرهم من الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار اخرج الأئمـة الحفاظ احاديثهم كالبخاري (المتوفى سنة ٢٥٦) ومسلم (٢٦١) واصحاب السنن والمسانيد والمعاجم والجوامع ، وعنهم اخذ أئمة الرواية والدراية مدرسو دار الحديث الأشرفية بدمشق كابن الصلاح (المتوفى سنة ٦٤٣) وابن شامة (٦٦٥) والنواوي (٦٧٦) وابن الوكيل (٧١٦) وابن الزملكاني (٧٢٧) والحافظ المزي (٧٤٢) وعلم الدين البرزالي (٧٣٩) والحافظ الذهبي (٧٤٨) والتقي السبكي (٧٥٦) والحافظ ابن كثير (٧٧٤) وابن جماعة (٧٣٣) اولئك الذين كانوا من مفاخر الدنيا في عصورهم ، وهل ينسى دمشق قول التقي السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى ... الى بسط لهـا اصبو وآوي
لعلي ان امس بحر وجهي ... مكاناً مسّه قدم النواوي !

---

(١) طبع بمصر ومعه منتخب كنز العمال سنة ١٣١٣ هـ .

وروى بالسند عن هؤلاء الأئمة الحفاظ طائفة من محدثي قبة النسر الأعلام، ومن اكبر الأسر التي تسلسل فيها العلم في ديار الشام. وقد كان من شروط قبة النسر ان يقوم على درس الحديث فيها، اعلم علماء دمشق، فآل امرها بالاستحقاق والكفاءة إلى وارث علوم اولئك الائمة خليفتهم وخاتمتهم شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ ولم يأت بعده من يخلفه في علمه وعمله على ما سيأتي في ترجمته، رحم الله اولئك الأبرار، وعوض الأمة عنهم خيراً.

(الدخول في الموضوع)

بعد هذه المقدمات الموجزة نأثر عن العلامة البيطار ما أورده في تاريخه للقرن (الثالث عشر) من سلسلة المحدثين في جامع بني أمية تحت قبة النسر، ناقلاً نبذاً يسيرة من تراجم هؤلاء الأجلاء ـ علاوة على ما ذكره الأستاذ الجد عنهم ـ من تاريخ المحبي المتوفى سنة ١١١١ والمرادي المتوفى سنة ١٢٢٢، وقد تقدم ذكرهما ومن تاريخ الجد نفسه ايضاً جاعلاً في أعلا الصفحات ما قاله في حلية البشر (مختصراً)، مذيلاً بما لخصته من تراجمهم، قال في حلية البشر (ج ١ ص ١٥٣) : ذكر المحبي في خلال ترجمة الامام المحاسني[1] ـ احد مدرسي هذه البقعة ـ أنَّ هذا الدرس وظيفة حادثة بعد الخمسين والالف، رتبها بهرام كَتْخُدا[2] والدة السلطان ابراهيم، وبنى السوق الجديد والخان قرب باب الجابية لأجلها، ثم قال في الحلية : ولا يتوهم ان ابتداء التدريس في هذا المحل من حين الوظيفة، لأن الشمس الميداني الآتي ذكره درس قبل ترتيب الكتخدا بنيف واربعين سنة كما سنذكره مفصلاً إن شاء الله تعالى. وقد اشتهر بين الخاص والعام ان وظيفة هذا الدرس مشروطة لأعلم علماء الشام.

---

(٢) خلاصة الأثر ج ٣ ص ٤٠٨ .

(٣) كلمة فارسية أي وكيل نفقتها .

ذكر اول من جلس للتحديث تحت قبة النسر بعد العصر

في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان

اولهم العلامة الشمس محمد الميداني [1] قال المحبي في أثناء ترجمته : لما مات الشمس الداودي [2] سنة ست والف فقد الناس مجالسه للحديث، فقامت الطلبة على الشمس الميداني بعقد مجلس في الحديث بعد موته بسنتين او اكثر، فأقرأ في صحيح البخاري بعد صلاة العصر، واختار ان يكون جلوسه تحت قبة النسر،

---

(١) هو محمد بن محمد بن يوسف بن احمد بن محمد الملقب شمس الدين، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، الميداني، الشافعي، عالم الشام ومحدثها، وصدر علمائها، الحافظ المتقن. قال المحبي : وبلغ به سطوع الشأن الى مرتبة قل من يضاهيه فيها، حتى ان الحكام كانوا لا يستطيعون الظلم خوفاً منه، ويحترمونه اقوى احترام، مع عدم تردده اليهم، وقلة اكتراثه بهم وحطه عليهم، واكثر الناس من الأخذ عنه والقراءة عليه (ثم قال) واكثر الناس فيه من المراثي والتواريخ، فمن ذلك تاريخ الأديب ابراهيم الأكرمي الصالحي، وهو قوله :

شيخُ دمشق وشمسُ دينِ (م) الإله فيها قضى وماتا
فقلت واحسرتاه أرخ أشافعي الزمان ماتا ؟

وقال فيه أبوبكر العمري شيخ الأدب :

مغاني العلم قد درست وقد أقوت معالمها
فقل إن شئت أو أرخ دمشق مات عالمها

(٢) محمد بن داود المنعوت شمس الدين بن صلاح الدين الداودي القدسي الدمشقي، الشافعي المحدث الفقيه، علم العلماء الأعلام، والمفتي المدرس الهمام، ... وكان يعظ يوم الأحد من كل جهة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان عن ظهر قلب، وكان الوعاظ غيره يعظون الناس من الكراريس .

وكان الداودي يجلس تجاه المحراب الذي للشافعية بعد وفاة البدر الغزي ، واستمر الميدابي الى ان توفي بالقوانج في وقت الضحى يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة سنة ١٠٣٣ ثم قال : ومدة تدريسه على ما ذكر إما اربع او خمس وعشرون سنة ، لا سبع وعشرون كما وهم .

ثم تولاه بعده العلامة الإمام الشيخ نجم الدين محمد الغزي (١) .

واستمر الى ان توفي يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة احدى وستين والف عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة اشهر واربعة ايام ومن غريب ما اتفق له في درسه تحت القبة ان الشمس الراودي كان قد وصل في قراءته البخاري الى باب « كان ﷺ اذا صلى لا يكف شعراً ولا ثوباً » ، ودرس بعده الشمس الميداني من ذلك الباب الى باب « مناقب عمار بن ياسر » ، وتوفي ، ودرس من بعده النجم الغزي الى ان أكمله في ثلاث سنوات ، ثم افتتحه وختمه وأعاد قراءته

(١) محمد بن محمد بن محمد ، محدث الشام ومسندها ، الشيخ الامام نجم الدين ابو المكارم وابو السعود ، ابن بدر الدين رضي الدين الغزي العامري الدمشقي الشافعي ، شيخ الاسلام ، ملحق الاحفاد بالأجداد ، المتفرد بعلو الاسناد .

ترجم نفسه في كتابه بلغة الواجد ، في ترجمة والده البدر ، فقال : مولدي كما رأيته بخط شيخ الاسلام : يوم الأربعاء حادي عشر شعبان المكرم سنة ٩٧٧ (اه) وعدّ له الأمين المحبي نحو ثلاثين كتاباً من تآليفه ، اعظمها : (الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة) ثم قال : وجلس مكان الميداني تحت القبة في الجامع الأموي ، لإقراء صحيح البخاري في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، ورأس الرئاسة التامة ، ولم يبق من أقرانه الشافعية احد ، وهرعت اليه الناس والطلبة ، وعظم قدره وبعد صيته ، وكان جلوسه تحت قبة النسر سبعاً وعشرين سنة ، وهو قدر مدة الميداني ، وهو من غرائب الاتفاق اه (ص ٢٠٠ ج ٤ من خلاصة الأثر) .

وكانت مدة تدريسه سبعاً وعشرين سنة اهـ .

والظاهر أن الكتخدا المقدم ذكره رتبه في مدة النجم كما يعلم مما سلف والله أعلم .

ثم تولاه بعده ولده الفاضل الشيخ سعود الغزي [١]

وابتدأ من محل: انتهى اليه درس والده في صحيح البخاري واستمر الى أن توفي أواسط ذي القعدة سنة ١٠٧١ وكانت مدة قراءته عشر سنوات .

ثم طلب التدريس العالم الجليل الشيخ محمد الاسطواني [٢] من قاضي القضاة واجتمع

---

(١) سعود بن محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري، الدمشقي الشافعي، مفتي الشافعية بدمشق، وابن مفتيها، وابن ابن مفتيها، رؤساء العلم بالشام وكبراؤه، وشهرة بيتهم لا تحتاج الى بيان، وكان سعودي هذا فاضلاً وجيهاً رقيق الطبع، اخذ الفقه والحديث عن جده لأمه الشهاب احمد العيثاوي، وعن والده النجم، وسافر في خدمته الى الحج في سنة ١٠١٤ والى الروم سنة ٣٣ ولما حج والده في سنة ٤٧ اقامه مقامه في خدمة فتوى الشافعية فباشرها، وظهرت كفايته، وحمدت سيرته، ثم مات ابوه في سنة ٦٠، فاستقل بها، وأعطي عنه المدرسة الشامية البرانية، ودرس الحديث تحت قبة النسر، من جامع بني امية، واستمر مدة يفتي ويدرس وكانت ولادته سنة ٩٩٨ — ١٠٧١ .

(٢) محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن سليمان المعروف بالأسطواني الدمشقي الحنفي، الفقيه الواعظ الاخباري، كان احد اعاجيب الدنيا في حلاوة المنطق، وحسن التأدية، ومعرفة أساليب الكلام، لا يمل حديثه بحال، وكلما طال طاب، كان في الأصل على مذهب اسلافه حنبلياً، ثم انتقل الى مذهب الشافعي، ثم تحنف وصار اماماً بجامع السلطان احمد، ثم واعظاً بجامع السلطان ابي الفتح محمد خان (في دار الخلافة العثمانية) واشتهر بحسن الوعظ ولطافة التعبير، ثم امر بالمسير الى دمشق فوردها في سنة ١٠٦٧ واقام بها ولزم الدرس تحت قبة النسر بالجامع الأموي بين العشاءين وبعد الظهر، ونشر علم القراءات والمواعظ، وأقرأ شرح الهمزية، —

هو والشيخ محمد تاج الدين المحاسني في مجلس القاضي ، وكان الآخر كذلك طالباً لها ، فوقع بينهما مقاولة ومخاصمة وقيل إنهما تشاتما بألفاظ قبيحة .

ثم وجهت البقعة للمحاسني (١) ومرض الأسطواني من يومه ، وبعد اسبوعين

— ورغب الناس في حضور دروسه من علماء وعوام لحسن تقريره ، وعذوبة تفهيمه ، ولطافة مناسباته ، قال المحبي في ترجمته ج ٤ ص ٣٨٧ : وسمعت والدي رحمه الله تعالى يقول : إن درسه كان يرحل اليه من بلد الى بلد ، وانه قرر أشياء لم يسمعها من اهالي دمشق احد ، وفيه يقول الأمير المنجكي :

إن سمع العقول يصغي لقول الأسطواني والقلوب لديه

جمع الفضل والمكارم حتى كل حسنى تعزى وتنمى اليه

رجل جاء في الزمان أخيراً يحسد الأول الأخير عليه

وكان بدمشق بعض مناكر ، فتقيد بإزالتها او تخفيفها ، ومن جملتها لبس السواد خلف الميت ، ورفع الصوت بالولولة .

(١) هو محمد بن تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي الحنفي الخطيب بجامع دمشق ، كان فاضلاً أديباً جامعاً لمحاسن الأخلاق ، حسن الصوت ، نشأ في نعمة وافرة ، وكان ابوه ذا ثروة عظيمة ، فكان يصله بكل ما يحتاج اليه من مال ومتاع (قال المحبي) ولما توفي الشيخ سعودي الغزي ، وجِّه إليه درس الحديث تحت قبة النسر من جامع دمشق كما أسلفته في ترجمة محمد بن احمد الاسطواني قريباً ، وانتفع به خلق من علماء دمشق ، وله شعر حسن مطبوع ، فمنه قوله من قصيدة :

يا سقاها مرابعاً للتلاقي كل سارٍ من الحيا غيداق .

ومنها : ياحداة المطي رفقاً بقلبي إن طعم الفراق مر المذاق

ليت شعري متى تعود الليالي ماأتاحت من صفوعيش التلاقي

ومن جيد شعره قوله :

وتنفسي الصعداء ليس شكاية مما قضته سوابق الأقدار . —

توفي قبل الظهر من يوم الأربعاء (٢٦المحرم سنة ١٠٧٢) ودفن بمقبرة باب الفراديس ·
(قال المحبي) : ولم تطل مدة المحاسني : اي لأنه درس شهراً واحداً ، ثم مات في غرة شعبان سنة ١٠٧٢ ودفن بمقبرة باب الفراديس بالقرب من جده الأمير الحسن البوريني ·

ثم وجهت البقعة للأستاذ الكبير محمد بن يحيى الخباز البصير المعروف بالبطنيني[1] ودرس الى ان توفي سنة ١٠٧٥ وكانت مدة تدريسه ثلاث سنين ·

ثم وجهت البقعة للإمام الجليل الحنفي الشيخ علاء الدين الحصكفي[2] ودرس

— لكن بقلبي جملة تفصيلها صعب لدى العقلاء والأحرار
فجعلت موضع كل ذلك أنة ضمنت مرادي من عطاء الباري

ومن شعر المترجم قوله :

أودعكم وأودعكم جناني وأنثر أدمعي مثل الجمان
ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

(١) محمد بن يحيى بن أحمد بن علي الخباز المعروف بالبطنيني ، الدمشقي الشافعي ، المحدث الفقيه الورع الصالح الناسك ، كان غاية في الورع ذا صلابة في دينه ، ينكر المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم ، وكان متواضعاً خلوقاً ، عليه سكينة ووقار · وكان في بداية أمره خبازاً بدمشق ، فارتحل الى مصر ، وجاور بجامع الأزهر سنين ، وفتح الله تعالى عليه بعد رجوعه ، وكان يدرس في فنون ، ويملي من حفظه ما يطالعه بحسن تقرير ، ثم عرض له عمى فزاد حفظه واشتهر ، وانتفع به جماعة من الفضلاء ، وله تآليف منها كتابه : فتح رب البرية بالجواب عن اسئلة الزيدية ، ثم درس تحت قبة النسر البخاي بعد موت الشيخ محمد المحاسني الخطيب ، وانتهت اليه الرئاسة عند الشافعية والتحديث · وكانت وفاته في سنة ١٠٧٥ · والبطنيني نسبة الى قرية من قرى دمشق ·

(٢) محمد بن علي بن محمد الملقب علاء الدين ، الحصني الأصل الدمشقي ، المعروف بالحصكفي ، مفتي الحنفية بدمشق ، وصاحب التصانيف الفائقة في الفقه وغيره ، منها

مدة ، ثم سعى بعض حساده في عزله ، وأرسلوا في ذلك كتباً الى جانب الدولة ، فاستقر ذلك في عقول أصحاب الحل والعقد فعزل .

ثم وجهت البقعة للشمس محمد بن محمد العيثاوي [1] . قال المحبي : وبقي العلاء

— شرح تنوير الأبصار المسمى بالدر المختار ، وله شرح ملتقى الأبحر ، وشرح المنار في الأصول وغيرها . وكان عالماً محدثاً فقيهاً نحوياً ، كثير الحفظ والمرويات ، طلق اللسان ، فصيح العبارة ، جيد التقرير والتحرير . قال المحبي : إلا أن علمه اكثر من عقله (ج ٤ ص ٦٣) ولد بدمشق وقرأ على والده ، وعلى الإمام محمد المحاسني ، خطيب دمشق المقدم ذكره ، ولازمه وانتفع به ، وبلغت محبته له الى أن صيره معيد درسه في البخاري (ثم قال المحبي) : ولما توفي الشيخ محمد بن يحيى الخباز الشهير بالبطنيني ، انحلت عنه بقعة التحديث بجامع دمشق فوجهت اليه ، ودرس بها ، وعلا صيته ، واشتهر أمره ، وبقي يفيد ويدرس الى ان مات سنة ١٠٨٨

(١) محمد بن احمد العيثاوي الدمشقي ، كان قوالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومما اتفق له أنه دخل مرة على محافظ الشام في مصلحة متعلقة بالخانقاه السميساطية وطعامها ، فتشاغل الباشا عنه بأوراق ، فمسك الباشا من طوقه وجذبه ، وقال له : انظر في امر هؤلاء الفقراء ، واقض مصالحهم ، فالتفت اليه وقضى له ما جاء فيه . ودخل مرة أخرى على حاكم آخر بسبب معاليم الجامع الأموي ، وكان سنان باشا المتولي عليه كتب بها دفتراً وأراد قطع شيء منها ، فوجد الباشا ينظر في دفتر المتولي ويتأمله ، فجذبه أيضاً من طوقه وقال له : لا تلتفت إلى ما كتبه هذا الظالم ـ وكان حاضراً في المجلس ـ وانظر الى عباد الله بنور الله ، فعمل على مراده وترك ما أراد المتولي ، وله من هذا القبيل أشياء أُخَر ، وله تحريرات على التفسير وغيره ، لكنها لم تجمع وذهبت . وولي آخر أمره تدريس البخاري في الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بني أمية ، ودرّس ، وكان يقرر تقريراً جيداً ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٠ هـ .

على هذا نحو سنة ، ثم سافر الى الروم ، واجتمع بشيخ الاسلام يحيى المنقاري [1] وشكى اليه حاله . فأعاد عليه بقعة التحديث ، وبقي الى أن توفي سنة ١٠٨٨ ﻫ ثم وجهت البقعة عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي ، الى الشيخ يونس المصري [2] سنة ٨٩ ، فدرس بها الى حين وفاته ، وكانت وفاة الشيخ يونس سنة ١١٢٠ ﻫ

---

(١) يحيى بن عمر المنقاري الرومي شيخ الاسلام ، صاحب التقرير والتحرير ، اخذ بالروم فنون العلم عن أكابر علمائها ، ودرّس بمدارس قسطنطينية ، وولي المناصب العلية ، منها قضاء مصر ، وليها في سنة ١٠٦٤ ، وأعيد اليها مرة ثانية ، وعقد بها درساً بمجلس الحكم في تفسير البيضاوي ، وحضره أكابر علمائها ، وأذعنوا له بالتحقيق الذي ليس له فيه مساوي . وألّف تآليف عديدة في فنون شتى (قال المحبي) : وانتهت اليه الرئاسة في عصره بالعلوم ، وحظي حظوة لم يحظها احد مثله عند ملك الروم ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٨ ودفن باسكدار في مكان عينه في وصيته ، وأوصى أن يعمر عنده مدرسة ، فنفذ ابنه وصيته بعد موته ، رحمه الله تعالى

(٢) ابن أحمد المحلي الأزهري الكفراوي الشافعي ، نزيل دمشق ومدرس الحديث بها ، (قال المرادي) : ترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته المسمى لطائف المنة ، فقال : ولد كما أخبرنا به من لفظه في ذي الحجة سنة ١٠٢٩ بالمحلة الكبرى من اقليم مصر ، ونشأ بها ، وأخذ علم التفسير والحديث والفقه عن جماعة من علماء بلده ، ثم ارتحل المترجم الى مصر ، وأقبل على الاشتغال بالعلوم ، وحضور دروس علماء الجامع الأزهر ، ثم ارتحل الى دمشق سنة ١٠٧٠ وأخذ عن جماعة من علمائها .

وولي بدمشق تدريس بقعة الحديث ، بالجامع الشريف الأموي [تحت قبته] عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي ، سنة ٨٩ فدرس بها الى حين موته . وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ١١٢٠ ﻫ .

وكانت مدة تدريسه ثلاثاً وثلاثين سنة ، ما عدا سنتين درس بها الكاملي [1] . وأما الكاملي فانه توفي سنة ١١٣١ كما في تاريخ المرادي ثم وجهت البقعة للعلامة الشهير الشيخ اسماعيل العجلوني [2] .

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد المعروف بالكاملي الشافعي الدمشقي ، كان فقيهاً واعظاً بركة الشام ، علامة رحلة محققا ، وسيما منورا ، عليه أبهة العلم ورونقه ، وكان خلقه سويا ، وخلقه رضيا ، وشكله بهيا ، ودروسه من محاسن الدروس ، أخذ عنه الكثير من الأطراف والبلاد . ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ وحضر دروس المحدث النجم الغزي ولازمه ، وكانت وفاته سنة ١١٣١ رحمه الله تعالى .

(٢) اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي الشافعي ، العجلوني المولد ، الدمشقي المنشأ والوفاة ، الشيخ الإمام ، الحجة الرحلة ، العمدة ، الورع . ولد بعجلون سنة ١٠٨٧ تقريباً ، وحفظ القرآن في بلده ، ثم ارتحل الى دمشق لطلب العلم سنة ١١٠٠ هـ واشتغل على جماعة أجلاء بالفقه والحديث والتفسير والعربية . قال المرادي : ومشايخه كثيرون ، والكتب التي قرأها لا تعد لكثرتها ، وقد الف ثبتاً سماه «حلية اهل الفضل والكمال ، باتصال الأسانيد بكمل الرجال» وترجم مشايخه به ، وعد المؤرخ المرادي من أجلائهم قريباً من ثلاثين (ثم قال) : وارتحل الى الروم في سنة ١١١٩ هـ فلما كان بها انحل تدريس قبة النسر بالجامع الأموي ، عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته ، فأخذه صاحب الترجمة ، وجاء به الى دمشق ، الى آخر ما جاء في (حلية البشر) أخذاً عن (سلك الدرر) . «وفي السلك» : وألف المؤلفات الباهرة المفيدة ، منها (كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس) (وهو مطبوع بمصر) وعد له عشرة تآليف كاملة وسبعة لم تكمل ، وجلها في التفسير ، والحديث والتاريخ (ثم قال) : وكان صاحب الترجمة حليماً سليم الصدر ، سالماً من الغش —

قال المرادي : وذلك أنه ارتحل الى الروم سنة ١١١٩ هـ فلما كان بها انحل تدريس البقعة عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته ، فأخذه هو وجاء به الى دمشق ، وكان والي دمشق اذ ذاك الوزير ، يوسف باشا القبطان ، ومدة اقامته منذ ابتدأ سنة ٢١ إلى أن مات ـ احدى واربعون سنة ، وكانت وفاته بدمشق في المحرم سنة ١١٦٢ هـ .

ثم وجه تدريس البقعة للعلامة الشيخ صالح الجينيني الحنفي [1] فدرّس الى أن مات وذلك سنة ١١٧٠ وكانت مدة تدريسه تسع سنين .

(يتبع) محمد بهجة البيطار



— والمقت ، صابراً على الفاقة والفقر ، وملازماً للعبادات والتهجد ، والاشتغال بالدروس العامة والخاصة ، كافاً لسانه عما لا يعنيه ، مع وجاهة نيرة (المرادي) : ترجمه بقوله : والجراحي : نسبة الى أبي عبيدة بن الجراح ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة .

(١) ابن ابراهيم بن سليمان بن عبد العزيز الحنفي ، الجينيني الأصل ، الدمشقي المولد ، النعمان الثاني ، وشيخ الحديث ، العمدة الرحلة ، ولد بدمشق سنة ١٠٩٤ ونشأ بها ، وأخذ عن جماعة كثيرين ، وشرع في القاء الدروس بالجامع الأموي وغيره ، وتزاحمت عليه الطلاب وكثر نفعه . ولما توفي الشيخ اسماعيل العجلوني مدرس الحديث تحت (قبة النسر) في الجامع الأموي ، وجّه التدريس المذكور عليه ، واستقام به إلى أن مات .

« كتاب البرهان في وجوه البيان »

تصحيح خطأ عامي ، وتحقيق شخصية كتاب ، وردّ اعتبار لمؤلف طغى على اسمه الزمان .

كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب ، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر » حرره وأخرجه الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي منسوباً إلى أبي الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر » على مخطوطة بمكتبة الإسكوريال رقم ٢٤٣ من فهرس درينبورغ .

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربيتي رقم G 767 تحت عنوان « كتاب البرهان في وجوه البيان » وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر » المطبوع وجدناهما يتفقان في القدر المطبوع وتزيد المخطوطة التي بأيدينا على المطبوعة بمقدار ثلثي الكتاب تقريباً . ولم نشك في أن هذا القدر الزائد إنما هو جزء أصلي من الكتاب قد سقط منه في المخطوطة الإسكوريالية وذلك أن المؤلف قد بنى كتابه على اربعة وجوه للبيان :

البيان الأول الاعتبار ، البيان الثاني الاعتقاد ، البيان الثالث العبارة ، البيان الرابع الكتاب . والبيان الرابع (الذي هو الكتاب) غير موجود في النسخة المطبوعة ، وقد علل محقق هذه النسخة المبتورة هذا النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث (وهو العبارة) الكلام على الوجه الرابع وهو الكتاب . وجعل بهذه الدعوى الكتاب كاملاً بذاته ، وهي دعوى قد فرضها المحقق على الكتاب فرضاً وجزم بها من غير فحص له ، فانه لو كان قد فحص

الجزء الذي بيده من الكتاب لرأى أن المؤلف قد نبه في أثناء الكتاب على أشياء سيذكرها بعد، ومع ذلك لم يأت لها ذكر . فمن ذلك قول المؤلف (صفحة ١٨ من طبعة دار الكتب) . «وأما الحديث فهو ما يجري بين الناس في مخاطبتهم ومناقلاتهم ومجالسهم وله وجوه كثيرة فمنها الجد والهزل والسخف والجزل، والحسن والقبيح والملحون والفصيح، والخطأ والصواب والصدق والكذب والنافع والضار والحق والباطل والناقص والتام والمردود والمقبول والمهم والفضول والبليغ والعيي»، ثم جاء الكلام بعد ذلك عن الجد والهزل والسخيف والجزل والحسن والقبيح والملحون والفصيح والخطأ والصواب، ولكن القول في الخطأ والصواب لم يتم كما أن القول في الصدق والكذب والوجوه الأخرى الباقية لم يأت قط . ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في باب تأليف العبارة (ص ٤٤ — ٤٥ من طبعة دار الكتب) «وقد ذكر الخليل وغيره من أوزان الشعر وقوافيه ما يغني من نظر فيها .... إلا أننا نذكر جملة من ذلك في باب استخراج المعمّى تدعو الضرورة إلى ذكرها فيه إن شاء الله» وليس في نقد النثر كما نشر أي ذكر أو اشارة الى باب المعمّى وذكر العروض والقافية . ومن أمثلة ذلك ايضاً أنه جاء في آخر النسخة المطبوعة هذه العبارة « وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له فقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق» واذا تصفحنا كل ما جاء في النسخة المطبوعة لم نجد ذكراً أو اشارة «لمراتب القول» ولا «لمراتب المستمعين له» على الحقيقة . وبهذا يظهر أن المخطوطة الاسكوريالية والكتاب كما طبع ناقصان نقصاً كبيراً، وان محقق الكتاب لم ينتبه الى هذا النقص الواضح، أو لعله أغمض عينيه عن هذا النقص، وتلمس في بعض الأحيان تعللات لا تقوم وفرضها على الكتاب، بدليل أننا نجد كل هذا المفقود قد جاء بالنسخة المخطوطة التي بأيدينا، فقد جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الكتاب واستغرق من أصل الكتاب جزءاً كبيراً أصلياً، كما جاء فيها الكلام على باب المعمى وذكر العروض

والقافية بتفصيل كامل واف . وكذلك جاء فيها ما بقي من وجوه الحديث وجهاً وجهاً وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبةً مرتبةً . فكانت مخطوطتنا بهذا التحقيق هي النسخة الكاملة للكتاب . ويظهر أن مخطوطة الاسكوريال كانت ناقصة أو نسخت من أخرى ناقصة فزاد كاتبها ما يشعر بالتمام وهو قوله « وقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » وهي عادة معروفة عند الوراقين كما حصل مثل ذلك في كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري مثلاً .

وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر في أنها النص الكامل للكتاب كما كتبه مؤلفه (اي أكثر من ضعف النص المطبوع) بل إن لها أهمية اخرى اكبر من ذلك ، وهي معرفة مؤلف هذا الكتاب على التحقيق . فقد ذكر المؤلف في مخطوطتنا اسمه كاملاً في أثناء كتابه على عادة المؤلفين المتقدمين فقال في اول البيان الرابع : وهو جزء مفقود من النسخة الاسكوريالية « قال ابو الحسين اسحق بن ابراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا بنعمة الله ... » وهو تصريح يبطل نسبة الكتاب الى قدامة بن جعفر ويضع حداً فاصلاً للنزاع في مسألة مؤلف الكتاب ، كما ان مخطوطتنا زيادة على هذا تحمل الاسم الصحيح للكتاب وهو كتاب « البرهان في وجوه البيان » .

وإنه وان كنا لم نعثر على اسم هذا الكتاب او اسم مؤلفه مذكوراً في اي مرجع من المراجع المعروفة عندنا فقد وصلنا الى أن هذا الكتاب ليس لقدامة وتحققنا من نسبته لأبي الحسين ، وليس ذلك فقط من أجل أن المؤلف قد ذكر اسمه في اثناء كتابه بل من اجل ادلة اخرى مضمومة الى هذا الدليل :

أولاً -- يذكر مؤلف الكتاب في أثناء كتابه اربعة كتب له وهي : الايضاح ، أسرار القرآن ، التعبد ، الحجة . وهذه الكتب الأربعة لم يذكرها احد من

مؤرخي قدامة في فهرس كتبه او ما يشبهها في الاسم او الموضوع ، كما أنهم لم يذكروا له كتاباً باسم «البرهان» «أو «نقد النثر» .

ثانياً — وقد نسب الى قدامة كتاب في الكتابة ولكن هذا الكتاب لم يسمه قدامة باسم البرهان او نقد النثر وإنما سماه «كتاب الخراج وصناعة الكتابة» وهو غير الكتاب الذي بأيدينا فان كتاب قدامة هذا أو على الأصح النصف الثاني منه معروف وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلي بالأستانة . وقد استنسخ شارل شيفر هذا المجلد الباقي من كتاب قدامة ، وهذه النسخة محفوظة الآن بدار الكتب الوطنية بباريس . وقد استخرج دي غويه نبذاً منها وطبعها تحت عنوان «كتاب الخراج» وهذه النبذ هي الأبواب الثاني والثالث والرابع والخامس والحادي عشر من المنزلة الخامسة والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة . واسم هذا الكتاب في هاتين النسختين (الأصلية والمنقولة) «الخراج وصناعة الكتابة» ، وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله «وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة» وله كتاب في الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه وكان على تسع منازل وكان ثمانية فأضاف اليه تاسعاً «ويقول المطرزي في كتاب الايضاح شرح مقامات الحريري (مخطوطة المتحف البريطاني) «وله تصانيف كثيرة منها كتاب الالفاظ وكتاب نقد الشعر وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء وقيل هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوالّ منشودة وهو كتاب يشتمل على سبع منازل وكل منزلة منها تحتوي على ابواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء» وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٣٣٧ بمناسبة موت قدامة ما نصه : «وله كتاب حسن في الخراج وصناعة الكتابة» .

ويتضح من كل ذلك أنه كان لقدامة كتاب على منوال كتابنا وأن هذا الكتاب يسمى «الخراج وصناعة الكتابة» وانه كان على تسع منازل أو سبع

منازل وفي كل منزلة ابواب . وهذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب « البرهان » أو « نقد النثر » إذ أنه على اربعة ابواب تناولت كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الكتابة وفضلاً عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج في كتابنا « البرهان » والنتيجة البديهية هي أن قدامة وابا الحسين كتب كل منهما كتاباً في الموضوع ولكن كلاً منهما سلك مسلكه الخاص في علاج الموضوع .

ثالثاً — وقد رجح دي غوبه في مقدمته الفرنسية لكتاب الخراج المستخرج من كتاب قدامة في صناعة الكتابة أن قدامة ألف كتابه هذا بعد سنة ٣١٦ بقليل ، وذلك أن قدامة تحدث في أثناء كتابه عن مليح الأرمني على أنه معاصر له ، ويشير أيضاً الى إغارة أسفار الديلمي على قزوين في سنة ٣١٦ والى الشنائع التي جرت على يد مرداويج واتباعه في السنين التالية كحوادث قريبة الوقوع . ونحن نعلم مما يقوله ابو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة (ج٣ ص١٤٥ ـ ١٤٦) ان قدامة عرض كتابه هذا في سنة ٣٢٠ على عليّ بن عيسى حيث يقول « وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير عرض عليّ قدامة كتابه سنة ٣٢٠ واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرّد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشاركه فيه احد من طريق اللفظ والمعنى » . فهذا الكتاب قد تم الفراغ من تأليفه قبل سنة ٣٢٠ قطعاً . أما كتاب « البرهان » فلم يكن موجوداً في هذا الوقت ولنا على هذا ثلاثة أدلة :

أ — يقول ابو الحسين اسحق بن ابراهيم في البرهان « وقد رأيت شيخنا علي ابن عيسى رحمه الله يكاتب ام المقتدر » واشارة أبي الحسين في كتابه الى وفاة علي بن عيسى تدل قطعاً على ان علي بن عيسى لم يعش حتى يرى هذا الكتاب

وقد مات علي بن عيسى سنة ٣٣٥ وهو امر يدل على ان ابا الحسين الف كتابه بعد سنة ٣٣٥ .

ب — ويقول ابو الحسين ايضاً « ... ومنه ترجمة لآل مقلة ولأبي الحسن ابن خلف بن طياب رحمه الله » وقد كان ابو الحسن بن خلف هذا حياً الى سنة ٣٣٠ (راجع أخبار الراضي والمرتضى للصولي ص ٢٣٠ — ٢٣١) .

ج — ويقول ابو الحسين في « البرهان » أيضاً مشيراً الى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس : « وكان نتيجة هذا الإهمال وثمرة هذه الأفعال أن خرج السلطان في جيشه ، على أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه فقتل وحده من بين اهل عسكره وتفرق عنه الباقون ورجعوا موفورين » وقد حدث هذا في سنة ٣٢٠ (راجع المنتظم ج ٦ ص ٢٤٣) وابو الحسين يقص هذه الحادثة على أنها قصة معروفة للعبرة وضرب المثل فيما يصيب ولاة الأمر عند إهمالهم ، ولا بد ان تكون قد مرت عليها سنوات اصبحت بها مثالاً للعظة وضرب الأمثال ، فكتابه لا بد ان يكون قد أُلّف بعد هذا التاريخ .

والنتيجة التي نجمعها من كل ذلك هي أن قدامة ألف كتابه قبل سنة ٣٢٠ وأن ابا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية في ثنايا الكتابين .

رابعاً — من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة كتابه « نقد الشعر » وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » في كتابه الشعر أيضاً ، فلو انه كان لقدامة لما احتاج الى معالجة هذه الموضوعات مرة اخرى بمثل هذا البيان الكافي ، وفضلاً عن ذلك فان معالجة الشعر في « البرهان » تختلف اختلافاً جوهرياً عنها في كتاب « نقد الشعر » من الناحية الفنية والموضوعية وما تصيّده الاستاذ العبادي في تحقيقه من مقارنات إنما هو مجرد افتراضات لا تقوم امام الفحص . ومما يستحق أن نذكره من المقارنات أن

قدامة في « نقد الشعر » حينما يسوق أقوال المتقدمين من الفلاسفة يذكرها مجملاً : « فلاسفة اليونان » في حين أن صاحب « البرهان » يذكرهم بأسمائهم كأن يقول « قال ارسطوطاليس ... » .

خامساً — وقد كان مؤلف « البرهان » فقيهاً شيعياً من غير شك . ودليل ذلك منثور في أثناء الكتاب . فمن ذلك اهتمامه بنقل أقوال أئمة الشيعة وذكره لهم دائماً عند كل استشهاد بما يشعر بتشيعه كقوله « الأئمــة عليهم السلام .... الأئمة الصادقين ... الأئمة المستودعين علم القرآن ... روي عن الصادق عليه السلام ... » واهتمامه بنقل فقه الشيعة كاملاً في تعرضه لأقوال الفقهاء ، وترجيحه لآرائهم في بعض الأحيان ظاهرة تدل على تمكنه في نحلته الشيعية . وقدامة بن جعفر لم يكن من الشيعة ولا من فقهائهم كما هو معروف وكما يدل عليه ما كتبه عن الخراج وإنما كان نصرانياً في الأصل وأسلم على يد الخليفة المكتفي بالله ، وإذا أسلم نصراني على يد خليفة عباسي — وذلك إنما يكون عادة طمعاً في مناصب الدولة — فمن المستبعد ان يصير علوياً متشيعاً مرة واحدة . وما أورده الأستاذ العبادي في توجيه مسحة التشيع الظاهرة في الكتاب من أن قدامة قد جارى بني بويه بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ يرده النقد التاريخي وقد كتب قدامة كتابه في الكتابة قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاماً على الأقل . ومات بعد دخولهم بغداد بوقت قصير .

سادساً — وصاحب كتاب « البرهان » يُصرّ في كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظماً لهم فخوراً بهم كأن يقول « وقد كان شيخنا ابو علي الحسن بن وهب رحمه الله ... » « وقال ابو أيوب رضي الله عنه ... » « وقد ذكر ابو أيوب رحمه الله رجلاً مشهوراً بالبلاغة ... ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة الا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكفى وأجزى » . وابو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عميد آل وهب وجدّ المؤلف .

سابعاً — وهناك أمر يجب التنبيه اليه وهو ان البطليوسي في كتابه « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » قد كتب فصولاً طويلة بنى عليها مقدمته في شرح الكتاب (صفحة ٦٦ — ٩٠) وهذه الفصول تتفق في لفظها في معظم الأحيان تمام الاتفاق مع بعض فصول كتاب البرهان ، وفي بعض الأحيان تتفق معها مع تعديل طفيف ، ولكن البطليوسي لم ينسبها الى أبي الحسين ولا إلى قدامة وانما أشعر بنسبتها الى علي بن مقلة (المتوفى سنة ٣٢٧) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب « البرهان » هو لابن مقلة ، وان البطليوسي نقل عنه بعد ان اثبتنا أن « البرهان » أُلّف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمان سنين كما أن شيوخ صاحب البرهان كما جاء ذكرهم « بالبرهان » لم يكونوا شيوخاً لعلي بن مقلة ولم تكن له بهم صلة قريبة ولم يكن علي بن مقلة شيعياً . والقدر المتيقن ان البطليوسي لم يحتسب على أي حال قدامة بن جعفر مؤلفاً للكتاب الذي نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل ان يكون « البرهان » قد نسب مرة الى علي بن مقلة كما نسب الى قدامة بن جعفر وجهل امر صاحبه ومن المحتمل ايضاً ان يكون البطليوسي ومؤلف كتابنا هذا من قبل ، كلاهما قد نقل نقولاً من كتاب لابن مقلة في هذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

وجملة القول ان مؤلف كتاب البرهان يجب أن تتوفر فيه من الشرائط : (١) كونه شيعياً . (٢) ان تجمعه اواصر القربى بآل وهب . (٣) أن يكون قد ألفه بعد سنة ٣٣٥ . (٤) ألا تزيد ابواب كتابه على اربعة ابواب كاملة وهذه الأحوال لا تجتمع في قدامة بن جعفر ، ولكنها يمكن ان تجتمع في مؤلف آخر وفي يدنا مخطوطة قديمة كاملة للكتاب ذكر المؤلف فيها اسمه في متن الكتاب ، هكذا « أبو الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب » فنحن على أن ننسب الكتاب اليه الى أن يظهر لنا خلاف ذلك . ولم نجد ذكراً

لهذا الكاتب أو لمؤلفاته في المراجع والمظان المعروفة لنا . ومن غريب الأمر أن هذا الكتاب قد نسب الى قدامة بن جعفر في طرة المخطوطة الاسكوريالية وكذلك في طرة المخطوطة التي بايدينا مع ورود اسم المؤلف في أثناء الكتاب وهو امر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير ، فان الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الأدبية ويعرفون شهرة كتابه في الأدب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا اسمه على هذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين ، ونذكر مثلاً قريباً لذلك كتاب «أسرار البلاغة» نشر بمصر وجاء في خاتمة الكتاب ان مؤلفه اتمه في سنة ٨٥٥ ومع ذلك نسب في طرة الكتاب لبهاء الدين العاملي المتوفى سنه ١٠٠٣ وعرف باسمه لدى الوراقين ، وفي كتب الفهارس ، وغير ذلك كثير .

وبعد فإنصافاً للعلم والعلماء ، وإنصافاً لأنفسنا كذلك لا يسعنا إلا أن ننوه في ختام هذه الكلمة بأن عالمين جليلين كانا قد أظهرا الشك في نسبة كتاب نقد النثر الى قدامة بن جعفر وانه لا بد أن يكون لكاتب آخر مجهول من اهل القرن الرابع ، وهذان العالمان الفاضلان هما الدكتور طه حسين بك والأستاذ محمد كرد علي فاستحقا منا التقدير والثناء .

وها نحن أولاء قد قمنا بما تمليه علينا الأمانة العلمية بتقديم أدلتنا على أن الكتاب اسمه «البرهان» وأنه من تأليف أبي الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، وأن الجزء الذي نشر منه تحت اسم «نقد النثر» ليس إلا نحو ثلث الكتاب الأصلي الذي قد حررناه ونقدمه للطبع الآن ليكون بين أيدي العلماء في القريب ان شاء الله ليصبح موضع بحثهم ونقدهم ولست أنسى هنا أن أقدم للعلماء الأستاذ العالم مجتبى سينوي بلندن زميلي في تحقيق هذا الكتاب واعداده للنشر فهو يشاركني مسئولية اخراج الكتاب بما يتبعها من قبول أو نقد .

المركز الثقافي الاسلامي بلندن — الدكتور علي حسن عبد القادر

كنز من كنوز الجاحظ

اربع رسائل من رسائله

— ٤ —

تتمة ما كتب عن الرسالة الثالثة

التي موضوعها (الجد والهزل)

بقي من تعاليقنا على رسالة الجد والهزل ما يتعلق بالأبحاث اللفظية وما يتخللها من الفوائد اللغوية . من ذلك :

قوله ص ٦٢ (ولا هذه المطالبة من شكل هذه الجريمة) معنى المطالبة متابعة غيرك بحق لك عليه ولم يكن صديق الجاحظ يتابعه بحق وإنما يتجنّى عليه بذنب لم يفعله فهو يعاقبه ظلماً . ويغاضبه هضماً . فمن ثَمَّ كان الصواب (المعاقبة) أو (المغاضبة) مكان المطالبة .

وص ٦٦ قوله : (وصداقة المستطرَف غرر) المستطرَف المستحدث من الأشياء وقد استعمله الجاحظ في معنى المستحدث من المعارف والأصدقاء يقول : كن من صديقك الجديد على حذر حتى اذا بلوت امره وانعمت تجربته استوثق به ، واتكل عليه وان لم تفعل كنت منه في غرر وعلى مدرجة خطر . فالمستطرف في هذا المعنى من طرائف كلم الجاحظ . واعاد ذكره في ص ٩٤ فقال : ما قبَّح الرجال شيء كالوكال ، ولا أفسد الكريم شيء كحب الاستطراف) والوكال أن يتكل على غيره في شؤون حياته . ومعنى كون الكريم يفسده حب الاستطراف ان يملّ اصدقاءه القُدامى ويسأم عشرتهم فيجفوهم ويعرض عنهم الى صديق جديد يهش اليه ويمنحه ثقته ويفرشه دخلته قبل ان يبلوه ويختبر

احواله . وقوله : (التتابع والتبرع) صوابه (التترع) بتاءين وهو التسرع الى الشرور فيناسب (التتابع) الذي معناه التسارع في الشرور أيضاً وان يركب الأمور من غير تثبت . ويأتي في ص ٩٢ سطر ٢ المتبرع صوابه المتترع بتاءين من التترع في الشر بدليل السياق .

وقوله ينصح في التوثق من اتخاذ الصديق والانتباه الى (فحته عند التقريع ، وحيائه عند التعريض ، والى فطنته عند الرشق والتودية) صوابه (التورية) بالراء ليناسب التعريض أي تأمل في اخلاق من تتخذه صديقاً لحين رشقه الناس بلسانه وطعنه عليهم وهل هو في ذلك يصرّح او يعرّض ويكني ويورّي ، او يهتك الأعراض ويعرّي ؟ ؟

وقوله ص ٦٨ في تلمّس أسباب التثبت في أمر الأصدقاء ودلائل الثقة بهم (وتكامل هذه الدلائل وتعاون هذه البرهانات) جمعَ (البرهان) على برهانات وعهدي أنه استعمل هذا الجمع ايضاً في كتابه (البيان والتبيين) كما استعمل جمع الوجدانات جمعاً لوجدان وشؤونات جمعاً لشؤون .

(وقد قال الأول : دلائل الأمور أشدُّ تثبيتاً من شهادات الرجال ... لأن الدليل لا يكذب ولا ينافق اولا يزيد ولا يبدل . وشهادة الانسان ليس معها أمان الخ ..) وكلام الجاحظ هذا يتسق مع القوانين والأنظمة العصرية المعول عليها في المحاكم الجزائية ، فانهم يعتمدون في ايقاع الاحكام على (قرائن الأحوال) التي عبّر عنها الجاحظ بقوله (دلائل الأمور) ولا نعلم إن كان قضاتنا يستحسنون العدول عن اصطلاحهم الى اصطلاح الجاحظ .

وقوله ص ٦٩ (ولا خير في عقوبة تشمت العدو القادم ويُنادي بها العدو الحادث) الظاهر من مقابلة (القادم بالحادث) أنه أراد به (أي بالقادم) اسم الفاعل من قدُم اذا مضى على وجوده زمن لكن اسم الفاعل منه قديم وقُدام لا قادم فلعله محرف ، أو ان الجاحظ اراد المزاوجة اي الموافقة في الصيغة بين كلمتي القادم والحادث . وكثيراً ما فعله البلغاء .

وقوله ص ٧٠ (والريث والأناة في بلوغ الأمل وإدراك النعمة) الأصوب البغية مكان النعمة .

وقوله ص ٧١ (قال الدهقان لعامل خراسان حين مرَّ به وهو يدهق في حَبّه) الدهقان عند الأعاجم مقدَّم فلاحي القرية فهو بمنزلة مختار القرية في عصرنا وكان الدهقان حين مرور العامل عليه يدهق حب حنطة البيدر اي يقطعه ويكسره يعني يدرسه ويدوسه بالنورج لينفصل عن التبن وأرى ان جعل الدهق بهذا المعنى تكلف وان كان ابن الاعرابي قال كما في الصحاح ان الدهق يكون بمعنى القطع والكسر . وعندي ان المراد من كون الدهقان (يدهق) في حبه أنه يقوم بوظيفته في حراسة غلة بيادر القرية ودراس حنطتها ليؤدي ما عليها من حق بيت المال للعامل . ووظيفته هي الدهقنة كما في القاموس . ودهقنوه جعلوه دهقاناً . ويكون اشتقاق فعل دهق من الدهقان مثل اشتقاق فعل هندس من المهندس وفعل نورز من النوروز . ولا يبعد ان يكون فعل (يدهق في حبه) محرفاً عن (يدهقن في حبه) .

وقوله : (ظلمتَ بالبطش والغشم أو ظلمتَ بالدَحْس والدسّ) قال مصحح الرسالة لعل صواب الدحس (الدعس) بالعين . وعندي أن الدحس بالحاء هو الصواب لأن (الدعس) الطعن والوطء ولا ينسجم معناه هذا مع (الدس) الذي معناه نقل الحديث خفية بقصد الفتنة وافساد ذات البين . والدحس والدس شيء واحد . ورحم الله الذي قال :

(وان دَحَسُوا بالشر فاعف تكرُّماً وان خَنَسُوا عنك الحديث فلا تسلْ)

ومعنى خنسوا الحديث اخفوه وستروه .

وقوله ص ٧٤ في صدد العناية بالكتب (وتقدمتَ في استجادة الجلود ، وتمييز الصناع ، وتخيّر الساعات) معنى تقدمت في كذا امرت به . وكلمة (الساعات) لا علاقة لها بجلود الكتب وصنّاعها المجلّدين وأرى انها محرفة عن (الساجات)

جمع (ساجة) وخشب شجر الساج اسود رزين لا تكاد الرطوبة تبليه فكانوا يتخذون منه دفتين للكتب كما يتخذونها اليوم من الورق المقوّى . وفي مكتبتي نسخة مخطوطة من كتاب (مراصد الاطلاع) كانت دفتاها من خشب متين غير أني — وأنا في القدس — أعطيتها لمجلد يهودي وغفلت عن توصيته بإبقاء الخشبتين فبدّل بهما دفتين من الورق المقوى جهلاً منه او خبثاً !!

وقوله : (احكمتُ شأني وجمعتُ اليّ اقطاري) لا أرى حاجة الى جعل (أقطاري) محرفة عن أفكاري وإنما الأقطار جمع قطر بمعنى الجانب ، واقطار الفرس أو الجمل او الجبل كل ذلك جوانبه المشرفة . وكذلك اقطار الانسان :

(نميلُ على جوانبه كأنّا نميلُ إذ نميلُ على أبينا)

ويكون جمع الأقطار كناية عن جمع الهمة والعزيمة والنشاط ويقولون (جمع فلان قطريه) اذا تكبّر متغضّباً . ويشبهه جمع الازار يريدون به تشميره مذ يقولون فلان كميش الازار اي انه عزوم ماضٍ في امره لا يثنيه عنه شيء .

وقوله ص ٧٥ (وموقعه من الدين والفرض عظيماً) صوابه والعِرض بشهادة سياق الكلام .

وقوله ص ٧٨ في ذم الكتب التي تتخذ قراطيسها من جلود بدل الورق (هي أنتن ريحاً واكثر ثمناً وأحمل للغش واكثر خباطاً) الخباط الغبار . وقوله (ثمناً) أي انها اغلى ثمناً . وارجح ان تكون (ثمنا) محرفة عن (ثخنا) مصدر ثخن اذا غلظ وصلب فهو ثخين : لأن المقام انما هو في ذم تلك الكتب فهو يقول انها ذات رائحة نتنة وذات ثخانة وغلظ يصعب معه حملها واستصحابها في الأسفار وأن تاجرها يغشك فيزعم ان جلود الكتاب كوفية مع انها واسطية ويبيعك اياها أحياناً على كونها واسطية مع انها بصرية بخلاف الكتب ذات القراطيس الورقية فإنه لا يتيسر وقوع الغش فيها .

وقوله (وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين وفي الصكاك والعهود وفي

الشروط وصور العقارات) ولا يعتمد في ذلك على الورق كذا زعم ابن الزيات اما الجاحظ فيخالفه فيه . وما المراد يا ترى من قوله (صُوَر العقارات) ؟ هل كانوا يصورون العقارات في صكوك بيعها وشرائها ؟ أم ان للصور هنا معنى آخر او هي محرفة ؟ او لعل المراد بصورها وتصويرها تخطيط مساحتها وتحديد أجزائها واقسامها وسائر مرافقها فيكون المراد بصور العقارات ما نسميه في الشام خارطة البناء او خريطة البناء ومخطط البناء ويسمى في مصر (تصميم) وبالافرنسية Plan أو Croquis .

وقوله (وانكرتَ ان تكون الفارة الى الجلود أسرع بل زعمت انها الى الكاغد أسرع وله أفسد) الكاغَد بفتح الغين يريد به الورق الذي يكتب عليه وهو لفظ فارسي معرب . والوزير ابن الزيات أتى أمراً فرياً في نظر الجاحظ لأنه زعم ان الفارة تسرع الى اوراق الكتب فتقرضها وتعيث فيها اكثر مما تسرع الى الجلود . والحق مع الجاحظ لأن جلود الكتب اذا كان يسرع اليها النتن بسبب ما يلحقها من الرطوبة أحياناً — كما مر ذلك من قول الجاحظ — كان ذلك النتن مما يُغري الفارة بالجلود وتمزيقها بأنيابها . لا جرم ان للفارة التي نحتقرها وندعوها بالفويرة تارة وبالفويسقة تارة نصيباً من أدب الجاحظ ومن عنايته وعناية مناظره العظيم الوزير ابن الزيات .

وبمناسبة اصطناع الكتب من الجلود والكاغد أوصى الجاحظ بتمييز (القرآن) وتخصيصه باسم (المصحف) وان كان المصحف في اللغة اسماً لما يجمع من القراطيس المكتوبة بين دفتين فقال (وقد كان في الواجب ان يدع الناس اسم المصحف للشيء الذي جمع القرآن دون كل مجلد) وما زال عمل الناس جارياً بوصية الجاحظ الى اليوم .

وفي ص ٧٩ اتهم الجاحظ صديقه الوزير بانه يريد ان لا يكون للجاحظ ولد يحيي ذكره فيحوي ميراثه رجال السوء من المعدّلين (فقد رأيت صنيعهم في

مال المفقود والمناعة والوارث الضعيف ومن مات بغير وصية) لا يهمنا ان كان ما قاله الجاحظ في تهمة صديقه حقاً أو باطلاً وانما يهمنا ان نعرف مراده بقوله (والمناعة) وفي بعض النسخ (والصناعة) ولم يرضها المصحح وقال لعل الصواب (وموالي التباعة) ؟ وأحسن الكلمات الثلاث عندي هو (الضاعة) وتكون جمعاً لضائع كالصاغة في جمع صائغ والباعة في جمع بائع في نظير ذلك ويؤيده السياق ولا سيما قوله قبله المفقود فمال المفقودين والضائعين وضعاف الناس عرضة لتسلط الأشرار من معدّلي ذلك العصر ووكلاء دعاويه وقضاته . والمراد بالمعدّلين الشهود الذين يلازمون مصطبة المحكمة لتحمّل الشهادات .

وفي ص ٨٦ اذا تخلص العقل من سورة غضبه شعر براحة وطمأنينة وكان شأنه في ذلك شأن المخمور اذا صحا من سكره والمنهزم اذا عاد الى أهله والمقيد حين يفك من قيوده (والمبرسم اذا افاق من برسامه) . البرسام ومثله السرسام كلاهما لفظ فارسي مركب من كلمتين ويدلان على نوعين من المرض . فالبرسام مرض صدري أو هو ذات الرئة والسرسام مرض دماغي من اعراضه حمى دائمة يرافقها سهر واختلاط ذهن ومن هذه الجهة كان من الأمراض النفسية أيضاً فالإفاقة التي ذكرها الجاحظ انما تتصور في مرض السرسام لا البرسام فصواب برسامه سرسامه وصواب المبرسم المسرسم وفي بعض اللهجات العامية الشامية (مسرسب) بالباء ويعنون به المصاب بشيء من ذهول وعته ووسواس يجعله ينفر من مخالطة الناس ويتجنب مساسهم والدنو منهم .

وقوله ص ٨٧ (وكتب عمر الى قضاته أن ردوا القرابات عن حَرّ القضاء فان ذلك يورث التضاغن) . (حَرّ القضاء) ان لم تكن محرفة عن حكم القضاء كانت كناية عن لذع القضاء وحرقته التي يشعر بها المحكوم عليه في قلبه . وفي المستدرك من معاني الحرّ حرقة القلب من الوجع والغيظ . ومن ذلك قولهم : وجد حرارة السيف والضرب والفراق . فلا بدع ان يكون لحكم القاضي

حرارة في قلوب المحكوم عليهم . فعمر يوصي قضاته بأن يتجنبوا ايقاع الأحكام بين الأقارب فان الحكم مهما كان عادلاً لا بد ان يورث القلوب ضغناً وغيظاً دائماً فتبقى العداوة بين الأقارب الى ما شاء الله . وكان شيخنا محمد عبده يوصي القضاة من أصدقائه وتلاميذه بألا يصدروا حكماً اصلاً بين المتداعين أقارب كانوا او غير اقارب بل يعنوا باقامة الصلح بينهم مكان الحكم ويقول ان الحكم يقطع الوُصَل ويورث الاحقاد ويفسد ذات البين ويعرض المجتمع للخطر . ولا شيء أفضل من تقرير الصلح بينهم فإنه يلقي في المجتمع الطمأنينة والهدوء والهناءة والسلام . والمحاكم المسماة محاكم صلح في تشكيلات محاكمنا اليوم إنما اتخذت وسميت بالصلح لهذا الغرض الشريف وليتجنب الحاكم ما أمكنه الحكم وليؤثر الصلح واصلاح ذات البين .

وفي ص ٩٠ قوله (ولكنك استضعفتني وجعلتني فرّوج الرقا) رجح المصحح ان يكون صواب (الرقا) الرفّاء وهو الذي يرفو الثياب الممزقة فيكون الفرّوج بمعنى القباء الذي شق من خلفه فهذا القباء المسمى فروجاً اذا بلي اعطي الرفّاء ليرفوه ويصلح عيبه فهو ضعيف واهٍ . فضربه الجاحظ مثلاً لضعفه الذي اغرى به صديقه الوزير فغضب عليه ولجّ في عقابه . ولكن (فرّوج الرفاء) لم يشتهر استعماله بين البلغاء مضرب مثل في الضعف والوهن وانما المعهود في ذلك هو (فرّوج الرنقاء) اي فرخها و (الرنقاء) الدجاجة القاعدة على بيضها . فهذا الفرخ يضرب بضعفه المثل . قالت الزبّاء ابنة علقمة الطائي وقد اكرهتها أمها على الزواج بالحرث سيد بني اسد وكان شيخاً هرماً فتنفست يوماً وارخت عينيها بالبكاء وقالت (مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ) وعلى هذا يكون صواب (الرقا) (الرنقاء)

وقوله ص ٩٦ (وليس الصبر بالصمت والسكوت ولا بقلة الصياح والضمور ... وذو المخلب كله ضجور صياح . وذو الحافر كله كظوم ضاغن) والضمور بالراء صوابه والضموز بالزاي المعجمة بمعنى السكوت وهو مأخوذ من ضموز البعير اذا

أمسك جرته في فيه ولم يجتر . اما ضمور الفرس بالراء المهملة فهو هزاله ولا مناسبة له هنا . وكذلك قوله في ما بعد (ضاغن) وفي الأصل بالميم ضامن فصححه المصحح بالضاغن (وهو الفرس الذي لا يعطي كل ما عنده من الجري الا بالضرب) ولا نراه يلتحم مع ما قبله أيضاً . وانما صوابه ضامز بالزاي من الضموز وهو السكوت والكظم كما مر . وقوله (وسمن ذي الظلف عام وهو في الضأن أخفى) ذوات الأظلاف من الماشية يعم فيها السمن ولكنه في الضأن أخفى ولا معنى للخفاء هنا فصوابه احد لفظين : إما (اخظى) بالخاء والظاء المعجمتين من خظا لحمه اذا اكتنز فالسمن في الضأن — بواسطة العناية بالرعي والتغذية المتواصلة — يكون اكثر وأشد اكتنازاً . والثاني ان يكون محرفاً من (احظى) بالحاء المهملة والظاء المعجمة أي سمن الضأن اشد حظوة في نفوس الناس وأشهى اليهم من السمن في سائر المواشي .

وقوله ص ٩٧ (والبازي اكرم من الصقر ... وأعنى صيداً . وأنبل نبلاً) قوله (وأعنى) اي واكثر . وقوله (نبلاً) بالباء صوابه (نيلاً) بالياء المثناة وهو ما تناله من عطاء ونحوه يقال اصاب فلان من الأمير نيلاً فيكون المراد من النيل الصيد الذي يناله صاحب البازي من كسب البازي . أما (أنبل) بالباء الموحدة فمعناه ازكى وأنجب وأفضل . ومحصل القول أن ما يصطاده البازي أوفر وأزكى وأشهى مما يصطاده الصقر .

المغربي

نفائس المخطوطات العربية

في المشهد الرضوي المطهر

المشهد الرضوي المطهر هو البقعة التي تضم رفات الامام الثامن من أئمة الشيعة الاثني عشرية وهو الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي انتقل الى الرفيق الأعلى في ٢٠٣ او ٢٠٢ للهجرة ودفن في ذلك المكان بالقرب من مدينة طوس في اقليم خراسان ، ومنذ ذلك الحين اخذت هذه البقعة تتسع حتى أضحت مدينة كبيرة هي اليوم من أمهات مدن ايران . وقد سميت المدينة [مشهد] او [آستان قدس] نسبة الى المشهد الرضوي الذي فيها .

وقد مرت بهذا الضريح ومشهده احداث كالتي مرت على صاحبه عليه السلام فقد ذكر المؤرخون ان الذي بنى الضريح وما حوله للمرة الأولى هو الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد الذي كان كثير الحب لآل علي . وهم يذكرون انه احسن بناء هذا المشهد وزينه احسن تزيين . كما ان عمال خراسان ايام العباسيين كانوا لا يألون جهداً عن العناية به والاهتمام بما حوله . فلما انقضى عهد السلطة الحقيقية للعباسيين على ايران واخذت ايالات ايران تنفصل واحدة بعد اخرى عن بغداد واضطربت الحالة في ايران منذ نشوء دولة الطاهريين فالصفاريين فمن جاء بعدهم اخذت العناية تقل بهذا المكان وما حوله ويظهر انه قد أصابه بعض التخريب في عصر آل سبكتكين . وظل امر المشهد مهملاً او قليل الحظ حتى جاءت الأسرة الصفوية ، وكانت اسرة علوية شديدة التعصب للمذهب الشيعي المذهب الرسمي للبلاد ، فاهتمت ببنائه وزخرفته واضافت اليه ملحقات كثيرة من مدارس ومعاهد وربط . وقد كان الشاه طهماسب الأول هو اول

من اعتنى به فأعاد بناء ما تهدم احسن اعادة ، وذهب الجدران والقباب وأعاد للمشهد رونقه القديم .

وفي سنة ٩٩٧ هـ اصيب المسجد من جديد بالهدم وامتدت اليه يد بعض الأشرار فانتهكت حرمته وانتهبت كثيراً من نفائسه وتحفه وكتبه ، ولكن لم يلبث ان اعيد بناؤه من جديد . وفي سنة ١٠٠٦ هـ أصاب المشهد ما أصابه في سنة ٩٩٧ من هدم ونهب بسبب الفتن والاضطراب التي كانت تقع في خراسان في تلك العصور ولما ان استقرت الحالة من جديد قام اهل الخير والمروءة وأعادوا بناء ما تهدم كما اعادوا اليه كثيراً من تحفه وسجاده ونفائس ذخائره وأضحى المشهد ومعاهده في القرن الحادي عشر جامعة كبرى تلقى فيها العلوم وتنسخ الكتب والمخطوطات وتلقى فيها المحاضرات في شتى العلوم الدينية والحكمية والأدبية من عربية وفارسية وخاصة في عهد الفاضلين الشيخ الحر العاملي والبهاء العاملي فانهما كانا لا يفتران عن القيام بالدروس والقاء المحاضرات وحض الناس على التعلم او استنساخ الكتب واهدائها الى خزانة المشهد المقدس .

ويظهر ان مكتبة المشهد قد اضحت منذ اوائل القرن العاشر مكتبة عظيمة بل من أعظم مكاتب ايران لا في عدد كتبها بل في نفائس ما فيها ، وفي عصر الدولة الصفوية ازدادت نفائس مخطوطاتها ففي أيام الشاه عباس زار الضريح وأهدى المكتبة كثيراً من الكتب والمصاحف النفيسة في خطها وصنعها . وفي تلك الفترة أيضاً قدّم الشيخ البهاء العاملي الأديب العالم المشهور كنزاً من كتبه ومؤلفاته الى الخزانة وفيها كثير بخط يده الجميل .

ثم أخذت الهدايا من نفائس المخطوطات تتوارد على المكتبة حتى عصر رضا شاه وهي اليوم من أغنى مكاتب ايران واكثرها نفائس في الخط والمذهبات والمرقعات ولا يسبقها في هذا ، كما حدثني بعض فضلاء ايران ، الا مكتبة قصر كلستان الملكي التي تحتوي على كنوز وتحف لا تعرف .

* * *

وأقدم ما يعرف من فهارس خزانة المشهد فهرست يرجع الى سنة ١٢٩٦ ﻫ وهي السنة التي وقف فيها المرحوم الميرزا سعيد خان مؤتمن الملك كثيراً من الكتب القيمة ، حينما كان متولياً على اوقاف المشهد . وقد بلغت كتب الخزانة المشهدية في عهده ٢٠٦٩ كتاباً نظمت جميعها في خزائن حسنة الصنع . وهذا الفهرست لا يحتوي الا اسماء الكتب مع بعض معلومات عن مؤلفيها او واقفيها او سنة نسخها وفيه كثير من الأخطاء العلمية .

وفي سنة ١٣١٢ ﻫ تولى امر المشهد والمكتبة الامير مؤيد الدولة فزاد في الكتب وصنع لها فهرستاً جديداً وقد بلغت الكتب في عهده ٢٩٨٢ كتاباً .

وفي سنة ١٣٤١ ﻫ تولى أمر المكتبة العالم الفاضل ميرزا مرتضى قلي خان فنظم فهارسها من جديد ورتب كتبها ترتيباً جديداً ، ولكن فهرسه هذا لم يخل أيضاً من بعض الأغلاط . ولم يبق طويلاً في الاشراف على المكتبة بل حل محله في سنة ١٣٤٢ ﻫ الحاج ميرزا محمد علي خان فاهتم بالمكتبة كثيراً وزاد في مخطوطاتها ورتب لها فهرستاً حسناً ووظف بعض الأفاضل للعناية بالكتب وبأمر الخزانة والمطالعين ، كما وظف بعض المراقبين واصبحت المكتبة منذ ذلك الحين على شيء كثير من الترتيب والعناية بعد ان كانت قبلاً أشبه بمخزن كبير للكتب منها بمكتبة . وفي هذه الفترة انصرف بعض الموظفين فيها وهو الأديب الميرزا فضل الله السبزواري الملا باشي الى تنظيم فهرست حسن الترتيب ، وقد بلغت كتب الخزانة في هذه الفترة نحواً من ٣٣٤٤ مجلدة .

وفي سنة ١٣٤٥ طلب جلالة الشاه السابق رضا بهلوي الى القائم على المشهد المقدس الميرزا محمد ولي خان الاسدي ان يعتني بتنظيم فهرست لمحتويات الخزانة فاهتم السيد الاسدي بهذا الأمر واخرج ثلاثة اجزاء اشتملت على محتويات كتب المشهد من مخطوط ومطبوع ، ولكن عمله كان سريعاً وقليل الفائدة

ولكنه على كل حال عمل ذو خطر فقد كشف للناس القناع عن كثير من الكتب المجهولة في هذه الخزانة .

ومحتويات هذه الخزانة اليوم ٤١٠٨ مجلدة منها ٢٧٧٥ مخطوطة والباقي مطبوع .

وقد قسم السيد الاسدي فهرسته بحسب الموضوعات ، وقسم كل قسم الى بابين أحدهما خاص بالمخطوط والآخر خاص بالمطبوع واليك تفصيل ذلك :

المجلد الأول : يشتمل على اربعة فصول (١) علم الحكمة والكلام وما اليها (٢) المنطق (٣) التفسير (٤) علم الأخبار . (ويقصد بها الكتب المذهبية المتعلقة بالآثار الواردة عن اهل البيت وأخبارهم وفضائلهم وآداب زيارتهم وما الى ذلك) .

(فالفصل الأول) فيه مخطوطات علم الحكمة والكلام واصول العقائد والتصوف ، وأرقامها من (١) الى (٢٩١) وفيه مطبوعات علم الحكمة والكلام وأصول العقائد والتصوف ، وارقامها من (١) الى (٩٠) .

(والفصل الثاني) فيه مخطوطات علم المنطق وارقامها من (١) الى (١٦٦) وليس في هذا الفصل كتب مطبوعة

(والفصل الثالث) فيه مخطوطات علم التفسير وأرقامها من (١) الى (٢٩٩) وفيه مطبوعات علم التفسير وأرقامها من (١) الى (٥٠)

(والفصل الرابع) فيه مخطوطات الأخبار وأرقامها من (١) الى (٣١٩) وفيه مطبوعات الأخبار وأرقامها من (١) الى (١٧٧)

المجلد الثاني : ويشتمل على سبعة فصول (٥) علم الفقه (٦) علم الاصول (٧) علم التجويد (٨) الأدعية (٩) علم الأخلاق (١٠) علم الرجال والأنساب (١١) علم اللغة .

(فالفصل الخامس) فيه مخطوطات الفقه على المذاهب الأربعة والمذهب الجعفري وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤٦٩) وفيه مطبوعات الفقه على المذاهب الاربعة والمذهب الجعفري وأرقامها تبدأ من (١) الى (١٨٧) .

(والفصل السادس) فيه مخطوطات علم الاصول وارقامها تبدأ من (١) الى (١٠١) وفيه مطبوعات علم الاصول وارقامها تبدأ من (١) الى (٣٩)

(والفصل السابع) فيه مخطوطات علم التجويد وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤٢) وفيه مطبوعات علم التجويد وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤)

(والفصل الثامن) فيه مخطوطات الأدعية وارقامها تبدأ من (١) الى (٢١٤) وفيه مطبوعات الأدعية وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٠٤)

(والفصل التاسع) فيه مخطوطات علم الأخلاق والمواعظ وأرقامها تبدأ من (١) الى (٥١) وفيه مطبوعات علم الأخلاق والمواعظ وأرقامها تبدأ من (١) الى (٨١)

(والفصل العاشر) فيه مخطوطات علم الرجال والأنساب وأرقامها تبدأ من (١) الى (٣١)

(الفصل الحادي عشر) وفيه مخطوطات علم اللغة وأرقامها تبدأ من (١) الى (٦١) وفيه مطبوعات علم اللغة أرقامها تبدأ من (١) الى (٢٨)

(المجلد الثالث) : ويشتمل على ستة فصول : (١٢) في العربية (١٣) في البلاغة (١٤) في التاريخ (١٥) في الأدب (١٦) في الطب (١٧) في الرياضيات م

(فالفصل الثاني عشر) فيه مخطوطات علم الصرف والنحو وأرقامها تبدأ من (١) الى (١٤٤) وفيه مطبوعات علم الصرف والنحو وارقامها تبدأ من (١) الى (٣٥)

(والفصل الثالث عشر) فيه مخطوطات علمي المعاني والبيان وأرقامها تبدأ من (١) الى (٥٢) وفيه مطبوعات علمي المعاني والبيان أرقامها تبدأ من (١) الى (٨)

(والفصل الرابع عشر) فيه مخطوطات علمي التاريخ والقصص وارقامها تبدأ من (١) الى (٩٤) وفيه مطبوعات علمي التاريخ والقصص وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٢٣)

(والفصل الخامس عشر) فيه مخطوطات علم الأدب وارقامها تبدأ من (١) الى (١٣٩) وفيه مطبوعات علم الأدب وارقامها تبدأ من (١) الى (١٠٩)

(والفصل السادس عشر) وفيه مخطوطات الطب وأرقامها تبدأ من (١) الى (١٢٣) وفيه مطبوعات الطب وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٧)

(والفصل السابع عشر) وفيه مخطوطات العلم الرياضي وارقامها تبدأ من (١) الى (١٨٩) وفيه مطبوعات العلم الرياضي وارقامها تبدأ من (١) الى (٢١)

هذا وقد رتبت الكتب التي اردت وصفها في هذه المقالة على سبعة اقسام (١) في التفسير وما اليه (٢) في الكتب المتعلقة بالمذهب الاثني عشري (٣) في الفلسفة والكلام والمنطق (٤) في التصوف (٥) في اللغة وعلوم العربية (٦) في الأدب والشعر (٧) في الموسيقى ·

(١) كتب التفسير وما اليه

(١) معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط النحوي (— ٢٢١/٢١٥ هـ)[1] الامام النحوي الأشهر ذي التآليف الكثيرة التي عددها ابن النديم ولم يبق منها الا شرح «ابيات المعاني» ومنه نسخة في مكتبة الفاتيكان رقمها ٩٧٧ و «معاني القرآن» هذا ولا تعرف منه نسخة في العالم الا هذه النسخة ولكنها مع الأسف الشديد مخرومة الصدر واول الموجود منها «اسمه لأنك اذا صغرته قلت سمي ···» ولعل النقص قليل · وآخرها «··· ويقال فيها ان هذا آخر كتاب الأخفش في معاني القرآن والحمد لله» · وهي بقلم احمد بن احمد المقري كتبها في ربيع الأول سنة ٥١١ · وفي آخر ورقة منها ما نصه «نظره العبد لله والفقير الى رحمته علي بن صدقة بن مسيب المقري في شهور سنة تسع وثلاثين وستمائة» وقفها الأمير جبرائيل سنة ١٠٣٥ ؛ وعدد اوراقها ١٨٧ ورقمها ٢٢٠ تفسير ·

(٢) زاد المسير في علم التفسير

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم (٨١) وارشاد الأريب ٤ : ٢٤٢ ومرآة الجنان ٢ : ٦١ وبغية الوعاة : ٢٥٨ وبروكلمان ١ : ١٠٥ والذيل ١ : ١٦٥

لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن الجوزي (— ٥٩٧)
هذا الكتاب مؤلف[1] من اربعة اجزاء وليس في الخزانة الا الجزء الثاني واوله تفسير سورة الانعام وآخره تفسير سورة الحجر وأول النسخة «بسملة سورة الانعام فصل في نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ...» وآخرها «... والثاني انه الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على اعدائك حكاه الماوردي . آخر الجزء الثاني من كتاب زاد المسير» والنسخة مكتوبة بخط نسخي جيد بقلم ابي حامد محمد بن عبد الخالق بن ابي هاشم الكرخي سنة اربع وثلاثين وستمائة عن نسخة المؤلف . وعدد اوراقها ٣٨٩ ورقمها ١٣٨ تفسير .

(٣) اسئلة اسرار مشكلات القرآن وأجوبتها

لزين الدين محمد بن ابي بكر بن عبد المحسن بن القاهر (القادر) الرازي الحنفي القادري (— ٦٦٠) وهو صاحب الكتاب المشهور «مختار الصحاح» وله شرح على «بدء الأمالي» وتحفة الملوك وغيرها من الكتب الأدبية واللغوية[2] .

والنسخة جد قيمة سلك فيها مسلك الأدباء واللغويين ، واكثر من الشواهد والأبحاث اللغوية واولها «بسملة قال الفقير الى رحمة ربه ومغفرته محمد بن ابي بكر القادري عفى الله عنه ....» وهي في ٢٥٩ ورقة وقفها الملا موسى وهي مكتوبة بقلم حسن نستعليق في سنة ٩٦٩ ورقمها ٤ تفسير .

(٤) كنز العرفان في آيات الاحكام (في تفسير القرآن)

للمقداد بن جمال الدين عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلبي الشيعي الملقب بتلميذ الشهيد الأول وبفاضل مقداد ، المتوفى في حدود سنة ٨٢٢ وقد مات وهو في طريقه من ايران الى العراق ودفن في بقعة هناك في صحراء شهروان وقبره هناك ويغلط من يظن انه قبر الصحابي الجليل المقداد بن الاسود فان هذا دفن في البقيع . والسيوري من جلة علماء الشيعة وكبار مؤلفيهم ومن

(١) انظر بروكلمان ١ : ٥٠٤ رقم (٣٣) .
(٢) انظر بروكلمان ١ : ٣٨٣ والذيل ١ : ٦٥٨

آثاره : نهج المسترشدين ، والتنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع ، وشرح كتاب « الباب الحادي عشر » واسمه النافع يوم الحشر [1] ، وشرح فصول الخواجة نصير الدين الطوسي [2] . وكتاب « كنز العرفان » وقد رتبه على ابواب الفقه فابتدأ بكتاب الطهارة واختتم بكتاب الديات ولم يأت في كتابه هذا بسوى الآيات الكريمة والأقوال الصحيحة في تفسيرها عن الأئمة المعصومين ، كما ذكر في كتابه هذا طرفاً من النكت الأدبية والبيانية وأوله « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب لكل شيء تبياناً ... » والنسخة جيدة الخط مكتوبة بقلم نسخي في ٣٩٤ ورقة وقفها الأمير جبريل ورقمها (١٨٠) تفسير . وقد طبع هذا الكتاب في طهران سنة ١٣١٣ ولكن نسخه جد عزيزة وفي خزانتنا نسخة منه .

(٥) عرائس البيان في حقائق القرآن .

للشيخ صدر الدين روزبهان ابي محمد بن ابي النصر الفسوي الشيرازي البقلي الكازروني الصوفي المشهور بالشيخ الشطاح . طاف البلاد واستقر بالاسكندرية ثم آب الى بلاده وأقام بشيراز يعظ بها ويرشد الى ان هلك سنة ٦٠٦ [3] .

وعرائس البيان تفسير سلك فيه مسلك الصوفية واختار بعض الآيات التي تحتاج الى تفسير على رأيه ففسرها على طريقتهم وأوله « بسملة يارب يسر يا كريم الحمد لله الذي كان في ازل الأزل موجوداً بوجوده .... » والنسخة بخط محمد غني بن صفي الله الحسيني الشهير بسلامي كتبها سنة ١٠٦٠ بقلم نسخي جيد . ووقفها المرحوم عضد الملك عدد اوراقها (٢٦٠) ورقمها ٤٩ تفسير .

(٦) العروة الوثقى .

للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الحائري

(١) في خزانتنا نسخة نفيسة من هذا الكتاب .
(٢) انظر أمل الآمل ٧١ والروضات : ٤٢٨ وبروكلمان الذيل ٢ : ٢٠٩
(٣) انظر بروكلمان ١ : ٤١٤ والذيل ١ : ٧٣٥

الجبائي (٩٥٣ — ١٠٣٠) المشهور بشيخ بهائي وهو صاحب الكشكول والمخلاة المشهورين وكتاب الحبل المتين، ومشرق الشمسين وهما من الكتب المعتبرة عند الشيعة الامامية وله آثار كثيرة بالعربية والفارسية [1] وقد كان للبهاء مكانة سامية عند الشاه عباس الكبير .

والعروة الوثقى حاشية له وضعها على تفسير البيضاوي ولكنه لم يتمها بل بلغ فيها الى تفسير الآية الحادية والعشرين من سورة البقرة . وقد ضمنها كثيراً من الأمثال والشواهد والأخبار الأدبية واللغوية وأولها « بسملة الحمد لله الذي انزل على عبده كتاباً الهياً .... » والنسخة مكتوبة بخط نسخي حسن في ٢٩ ورقة كتبت في سنة ١٠٣٧ ورقمها ١٤٧ تفسير [2] .

(٧) مشكل اعراب القرآن الكريم

لأبي محمد مكي بن ابي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني المقري المفسر (٣٥٤ — ٤٣٧ هـ) [3] . والكتاب من الكتب القيمة التي سلك فيها مسلك المحققين وجميع وجوه الاعراب لكل آية على اختلاف القراءات والمذاهب اللغوية والنحوية . والنسخة جد نفيسة اولها « بسملة ... اما بعد فاني رأيت أفضل علم صرفت اليه الهمم ... هو كتاب الله ... »

وهي بقلم نسخي كتبها محمود بن ميمون بن محمود سنة ٦٧٠

(ب) الكتب المذهبية

(٨) دعائم الاسلام

لأبي حنيفة الشيعي النعمان بن ابي عبد الله محمد بن منصور بن احمد بن حيوان

---

(١) انظر بروكلمان ٢ : ٢٩٧ ونقد الرجال للتفرشي : ٣٠٣

(٢) انظر بروكلمان ٢ : ٥٩٧ رقم ٢٣ .

(٣) انظر أخباره في ارشاد الأريب لياقوت ٧ : ١٧٣ وطبقات القراء لابن الجزري ٢ : ٣٠٩ والبغية للسيوطي : ٣٩٦ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ١ : ٤٠٩ وعقود الجوهر لجميل العظم ١ : ٢٩٧ والوفيات ٢ : ٧٢ وبروكلمان ١ : ٤٠٧ والذيل ١ : ٧١٩ .

(— ٣٦٣) كان قاضي مصر ايام الخليفة الفاطمي تميم بن منصور وهو من كبار الدعاة الى المذهب الفاطمي والكتاب من افضل الكتب الفريدة التي بقيت عن المذهب الشيعي في أيام الفاطميين وهو في مجلدين ضخمين ضمنها ابو حنيفة مجالسه في الوعظ والدعوة ، كما ضمنها كثيراً من اخبار الدعوة والدعاة واركان المذهب وتعاليمه ·

اول الجزء الاول « بسملة قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ···· » وعدد اوراق هذا المجلد ٢٧٤ ورقة

والثاني في ١٩١ ورقة اوله « ذكر الحض على طلب الرزق ···· » وآخره « ومن قواصم الظهر سلطان جائر يعصي الله وانت تطيعه » · والمجلدان مكتوبان سنة ١٠٠٣ ورقمها $\frac{١١٥}{١١٦}$ أخبار ·

(٩) الخرائج والجرائح :

لأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن قطب الدين الراوندي الفقيه الطبيب الثقة ولد سنة ٤٣٦ وتوفي في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي وهو اول من شرح نهج البلاغة ونقل كثيراً عنه ابن ابي الحديد في شرحه ومن آثاره الكثيرة بقي : المغني في تدبير الأمراض ، وكتاب خلق الانسان ، وكتب اخرى في الطب ، والخرائج والجرائح ·

وهو كتاب معتبر عن الشيعة الامامية جمع فيه معجزات النبي (ﷺ) وكرامات الأئمة الاثنى عشر وأوله « بسملة أما بعد حمد الله الذي هدانا الى منهاج الدليل ··· » وهو مؤلف من عشرين باباً وقد طبع هذا الكتاب ولكن طبعته رديئة والنسخة مكتوبة بقلم نسخي جيد في سنة ٩٨٥ وقفها الخواجة شير احمد ورقمها (١١٠) أخبار · وفي خزانتنا نسخة منه حسنة الضبط ·

(١٠) الاربعون حديثاً

للبهاء العاملي (انظر رقم ٦)

وهو من امهات كتبهم الكثيرة التداول والاعتماد عليها كبير واوله « ان احسن حديث تحلى اللسان ...» وقد أتم تأليفه في سنة ٩٩٥ والنسخة مكتوبة بقلم نسخي حسن وقفها الحاج سيد حسن اليزدي وعدد أوراقها ١٤٢ وقد طبعت مرات ورقمها (١٨) أخبار . وفي خزانتنا نسخة منها .

(١١) ايضاح مخالفة السنة لبعض الكتاب والسنة

لجمال الدين ابي منصور آية الله الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي المشهور بالعلامة (٦٤٨ — ٧٢٦) . وقد كان من كبار أئمتهم المعتبرين وكبار مؤلفيهم [١] ، قال عنه صاحب نقد الرجال : « ويخطر ببالي ان لا اصفه اذ لا يسع كتابي هذا ذكر علومه وتصانيفه وفضائله ومحامده وان كل ما يوصف به من جميل وفضل فهو فوقه وله أزيد من سبعين كتابا في الأصول والفروع والطبيعي والالهي وغيرها . ومن جملة كتبه منتهى الطلب وهو سبع مجلدات ، وتذكرة الفقهاء وهو اربع عشر مجلدا وكتاب مختلف الشيعة وهو ست مجلدات ... ودفن بمشهد الغروي » ومن آثاره الباقية : نظم البراهين في اصول الدين ، وارشاد الأذهان الى أحكام الامام ، وقواعد الاحكام في معرفة الحلال والحرام وهو المشهور باسم « قواعد علاّمة » ومنهاج الكرامة في معرفة الامامة ، وخلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، وايضاح الاشتباه في اسماء الرواة .

وكتاب الايضاح تفسير للقرآن مؤلف من ثلاثة أجزاء لم يبق منها الا الجزء الثاني وأوله « بسملة قال الله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا ....» وآخره « تم الجزء الثاني من كتاب ايضاح مخالفة السنة في نص الكتاب والسنة ويتلوه الجزء الثالث سورة النساء على يد العبد الفقير الى الله حسن بن يوسف المطهر مصنف الكتاب تسويداً في المقبرة الشريفة الغروية بتاريخ سنة ثلاث

---

(١) انظر أمل الآمل : ٤٠ ومنتهى المقال : ١٠٥ وروضات الجنات : ١٧١ ومجالس المؤمنين : ٢٧٦٠ وهدية الأحباب : ٢٠١ ونقد الرجال : ١٠٠

وعشرين وسبعمائة ...» والنسخة مكتوبة بعد هذا التاريخ بخط نسخي عادي وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ وعدد أوراقها ١١٥ ورقمها (٥) تفسير .

(١٥) الاستغاثة في بدع الثلاثة (او) البدع المحدثة بعد الاسلام .

للسيد علي بن ابي القاسم العلوي الكوفي الفقيه المتوفى سنة ٣٥٢، وقد كان اماميًا معتدلاً في أمره وكان مستقيم الطريقة ثم انقلب آخر امره غاليًا شديد الغلو وقد ضمن كتابه هذا وبعض كتب اخرى كثيراً من الأخبار التي لا تليق .

والكتاب في ٥٤ ورقة ضمنها كثيراً من الأخبار التي لا سند صحيح لها وجلها مطاعن في الخلفاء الثلاثة الراشدين . وقد اعتمد عليه ابن شهراشوب في كثير من نقوله في كتاب «المناقب» وسماه كتاب «البدع المحدثة بعد الاسلام» .

وأوله «الحمد لله ذي الطول والامتنان والعز والسلطان ....» وآخره «.... وقد شرحنا من فساده وأوضحنا من باطله ما فيه كفايته» . والنسخة حسنة الخط مكتوبة بقلم نسخي سنة تسع وستين وتسعمائة . وقفها الخواجة شير احمد ورقمها ٤٠٦ اخبار . ولم أعثر فيما بين يدي من مصادر على نسخة اخرى كما لم اعثر على شيء مفصل من حياة مؤلفها وأخباره .

(١٦) الشافي في الامامة

للشريف المرتضى ابي القاسم علي بن الطاهر الحسين الموسوي علم الهدى (— ٤٣٦)[1] قال عنه النجاشي (من كبار مؤلفي كتب الرجال عند الشيعة) في رجاله «حاز من العلوم ما لم يدانه فيه احد في زمانه وجمع من الحديث فاكثر وكان متكلماً شاعراً أديبًا عظيم المنزلة في الدين والدنيا صنف كتبًا مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الاول .. وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها توليت غسله ومعي الشريف ابو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز»[2]

(١) انظر بروكلمان ١/٤١٤ والذيل ١/٦٠٦

(٢) انظر نقد الرجال ٢٣٣ : وقد اضاف على الهامش عند قوله «ودفن في داره» : ثم نقل الى جوار جده الحسين كذا نقل من تنزيه ذوي العقول في أنساب آل الرسول .

وله ديوان شعر يزيد على عشرين الف بيت ٠

والكتاب من الكتب المعتبرة عن الشيعة جمع فيه كثيراً من الأخبار والأقوال الخاصة بالامامة وأحكامها عند الجعفرية ، كما ضمنه كثيراً من الاحكام الشرعية والنكات الأدبية ٠ واوله «بسملة الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ٠٠٠» وهو في (٢٧٠) ورقة ورقمه ١٧١ أخبار ٠

(١٧) الأنوار البدرية في رد شبهات النواصب القدرية

للحسن بن محمد بن علي المهلبي الحلي الشيعي وكان حياً في حدود الثمانمائة وكان فاضلاً واسع الاطلاع في التاريخ والكلام ٠

وقد ألف كتابه هذا رداً على كتاب انتقاد الشيعه الامامية ليوسف الواسطي وهو في ٣٦٦ ورقة اوله «الحمد لله الذي هدانا بمن كتب على نفسه من الرحمة بواضح المنهاج ٠٠٠»

وآخره «فرغت من تسويد كتابة الكتاب يوم الأحد اثني عشر سنة اثني عشر والف» وهو مكتوب بقلم نسخي حسن وقفه الخواجة شير احمد ورقمه (٢٣) ٠ وفي الخزانة نسخة اخرى مخرومة الأول والآخر رقمها (٣٤) ٠

(يتبع) اسعد طلس



التعريف والنقد

عبقرية الاسلام في اصول الحكم

ألفه الدكتور منير العجلاني

الأستاذ في كلية الحقوق بدمشق

هذا الكتاب مما جمعه مؤلفه فأحسن جمعه، ووضعه فأحكم وضعه؛ فجاء معلمة موجزة: «في تاريخ الحكومة الاسلامية من عهد الرسول (ﷺ) الى آخر العهد العباسي». فمن موضوعات الكتاب: «مولد الحكومة الاسلامية»، و«طبقات الناس»، وهو فصل تكلّم فيه عن الأرقاء، والموالي، والمرأة، واهل الذمة، والاشراف، عرّف كل طبقة وذكر ما كانت عليه قبل الاسلام، وما صارت اليه بعده. و«الحكومة في الجاهلية»، و«حكومة النبي»: كيف نشأت، وما كان فيها من اعمال، ومن مناصب وامراء وعمال. ثم «الخلافة» وطأ لها بمقدمة تاريخية. وذكر تعريفها وألقابها، وشعارها وأبهتها، ووحدتها وشروطها وحقوقها. و«الوزارة» تعريفها وتاريخها ووحدتها، وصفات الوزراء، وسلطانهم وتقاليدهم والقابهم وآدابهم. و«الامارة»، و«الحسبة»، و«الشرطة»، و«الدواوين»، و«المظالم»، و«القضاء»، و«العقوبات»، ثم «الموارد المالية» وهو خاتمة الكتاب.

استهل المؤلف كتابه بقوله: «نشر قاض مصري من سنوات كتاباً اسماه: «الاسلام واصول الحكم» زعم فيه: ان اصول الحكم ليست من الدين في كثير ولا قليل. فللمسلمين ان يختاروا لأنفسهم نوع الحكم الذي يرضي أذواقهم، فان أرادوا كانوا ملكيين، وان ارادوا كانوا جمهوريين، وان ارادوا كانوا فاشيين، وان أرادوا كانوا شيوعيين؛ كل هذا متروك لاجتهادهم الخاص

لا يلزمهم فيه الدين بشيء ، ولا يحاسبهم منه على شيء ؛ فان اصول الحكم كانت اهون عند محمد (ﷺ) من جناح بعوضة » .

وعقب الأستاذ العجلاني على كلمة القاضي المصري ، بكلمة اقاضٍ لبناني : « أنكر فيها على الاسلام ان يكون عرف القضاء ـ ايام الرسول وايام خلفائه الراشدين ـ وانما هو شيء وجده الأمويون في الشام والعراق ومصر ، فأخذوه عن شعوبها .. »

قال المؤلف : « هذه المزاعم وأضرابها هي التي حفزتني الى الكتابة في تاريخ الحكم الاسلامي . ذلك اني التمست جواباً عليهـا في الكتب التي تداولتها الأيدي في هذا الفن فلم أجده ، وانما وجدته متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ والتفسير والحديث والسير . »

واذا كان الأستاذ العجلاني قد وفق في الرد على القاضي اللبناني ؛ فجاءه بسند من التاريخ ، بل بنص من القرآن نفسه ، أن العرب عرفوا القضاء وعانوه ، قبل ان خرجوا من الحجاز الى الشام ومصر والعراق ؛ فانه ـ في رأينا ـ لم يوفق في رده على القاضي المصري ، التوفيق كله ، ولا بعضه .

نقل المؤلف في مقدمته ما حدّث به ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) : « ان الأمويين استبدوا بالخلافة ، فنهض فقيه من الأردن يقول : لا تجوز الخلافة شرعاً الا في بني امية بن عبد شمس . ثم استبد العباسيون في الخلافة . فقالت الراوندية : لا تجوز الخلافة شرعاً الا في ولد العباس بن عبد المطلب . ونادى ولد علي بن ابي طالب : انهم اصحاب الحق بالخلافة : فاجتمع حولهم علماء كثيرون لا يرون الخلافة جائزة الا فيهم » .

« كل هؤلاء الفقهاء السياسيين ، احتاجوا الى نصوص يسيطرون بها على عقول العامة ، فراحوا يطلبونها في « احاديث » الرسول .. وكم وضعت على لسان النبي احاديث لم يقلها ... أو اخذت الأحاديث التي قيلت في ظرف مخصوص ، فأخرجت عن دائرتها وفسرت على غير وجهها ..

لقد ترك لنا النبي (ﷺ) أموراً كثيرة من امور السياسة والادارة ، لم يبين لنا احكامها ، فلنفكر فيها بعقولنا ، ولنرجع فيها الى ضمائرنا ، فان ما نراه حسناً ، قد تكفل لنا رسول الله بأن الله يراه حسناً .»

قلنا : اذا كان «الفقهاء السياسيون» وجدوا أو اوجدوا لكل من تولوا الخلافة حديثاً او مستنداً يقول : ان الخلافة لا تجوز الا لهم ؛ فان هؤلاء الفقهاء لأحرياء ان يبتدعوا لكل شكل من اشكال الحكم القائم : خلافة ، أو ملكية او امارة ، او جمهورية ؛ مقيداً او مطلقاً ، فاشياً او نازياً او شيوعياً ؛ ما ينطبق على الدين ، بل هم خلقاء ان يجعلوه الشكل الذي أراده الدين نفسه .

واذا كان «الفقه السياسي» لم يؤثر قليلاً ولا كثيراً في سقوط خلافة قوم فسدت سياستهم ، فزالت دولتهم ، فشكل الحكم مهما كان ، لا يبقى على دولة فسد القائمون عليها .

وأخرى ، هي ان الاسلام او المسلمين ما وقفوا عند شكل واحد من اشكال الحكم فتقيدوا به ، فنقول : هذا هو الحكم الذي أمر الله به ورسوله . فلقد عرفوا الخلافة موحدة ومتعددة ؛ وعرفوا الملكية مطلقة ومقيدة ، وعرفوا ما يشبه الجمهورية قديماً ، وعرفوها اليوم ؛ بل هم قد عرفوا لكلٍّ من هذه الأشكال لوناً يختلف عن لون أخيه ؛ فخلافة الراشدين والبيعة في أيامهم ، وولاية العهد عندهم ، غيرها أيام الأمويين ؛ وليست هي اياها في عهد العباسيين والفاطميين ، بل خلافة الراشدين انفسهم على قلة في عددهم ، وعلى قربها عهداً من الرسول ، لم تكن واحدة : اختياراً وبيعة .

ثم ما لنا ولهذا كله ، فالمؤلف نفسه يقول : «لقد ترك لنا النبي أموراً كثيرة من امور السياسة والادارة ... نفكر فيها بعقولنا ، ونرجع فيها الى ضمائرنا ، فما نراه حسناً فهو عند الله حسن ! ..»

الاسلام يهمه من الحكم نوعه لا شكله ، فهو يريد العدل للناس ؛ والعدل

يقوم على روح الحكم ، ثم لا فرق بعد ذلك أكان ملكياً أم جمهورياً ؛ اشتراكياً ام شيوعياً ؛ فليست هذه المذاهب مطلوبة لذاتها ، محبَّبة لاسمها ، بل على قدر ما فيها من صلاح ، من حيث الزمان والمكان . فقد يقبح اليوم ما كان حسناً بالأمس ، وقد يحسن بهذا القطر ما يقبح بالقطر الآخر . فعلى الأمة الرشيدة أن تختار الحكم الذي يرضي مصلحتها ـ لا ذوقها ـ على ما قال الأستاذ عبد الرزاق ، بحيث تكون مصلحتنا العامة ، فثمة الحكم الذي نرضاه ، والصداقة التي ننشدها .

ولا نطيل في هذا ، اكثر من هذا ؛ بعد ان يقول المؤلف : « اذن ليس كل ما قاله القاضي المصري الفاضل (صحيحاً) ، وهبه صحيحاً فاننا انما نؤرخ في هذا الكتاب للحكم الاسلامي » .

يؤخذ على الأستاذ أنه يجتهد احياناً ليجعل من عمل بعض الخلفاء او الوزراء ؛ او من صفات يربدها أديب او فقيه او مؤرخ ، في الخليفة او الوزير ؛ قاعدة يبني عليها اصول الحكم . فاذا كان العمل الطالح يعمله الخليفة او الوزير ، لا يكون حجة في الطعن على الحكم عامة ، فكذلك العمل الصالح يقوم به خليفة او وزير ، لا يكون الحجة التي يقال معها : على هذا بنيت اصول الحكم . فأكثر كلام الأدباء والفقهاء والمؤرخين في الخلفاء والوزراء والمستوزرين لا قيمة له ، بل هو أشبه شيء بمقالات الجرائد ، وبيانات الوزراء وتصريحاتهم الرسمية ، وخطب المعارضين ، ومناهجهم الوطنية والشعبية ، في يوم الناس هذا .

وقد نقل المؤلف : أن جماعة ارادوا الرسول ـ وقد فتح مكة ـ على ان يصرف الحجابة عن صاحبها ويجعلها لعلي بن ابي طالب ، قال : « على نحو ما يصنع الحكام الجدد الذين ما يكادون يتسلمون مقاليد الحكم حتى يقذفوا (بالموظفين) الاكفياء ذات اليمين وذات الشمال ، ليضعوا مكانهم اقرباءهم وأنصارهم » .

وهي غمزة غمزها المؤلف قبل ان يلي الوزارة . ولكنها غمزة في غير موضعها . فليست البلية في ان الحكام عندنا يقذفون بالموظفين الأكفياء ذات اليمين

وذات الشمال . بل البلية في انهم لا يقذفون أحداً لا الأكفياء ولا غير الاكفياء . وهذا التصنيف ، قد فُتح به باب القذف على مصراعيه ، فما قذفوا منه حتى « أشد الناس عداوة للذين آمنوا » بل اصبح معه اتباع الأمس أسياد اليوم .

وأراد المؤلف ان يجعل من بعض الوقائع الغالبة احكاماً عامة ثابتة . من ذلك قسمه الامارة امارتين : امارة عامة على الصلاة والخراج . وامارة خاصة على الصلاة . قال : وان كلمة « الصلاة » لا تعني امامة الناس في صلواتهم فقط ، وانما تعني الولاية عليهم في جميع الأمور : الدينية والسياسية والحربية ، والقضائية والادارية باستثناء « جباية الأموال » فاذا جمع الأمير الصلاة والخراج كانت « امارته عامة » وان قصروا امارته على الصلاة فهي « امارة خاصة » .

ولو كان ذلك كذلك عاماً ، لكانت الامارة على الحرب مثلاً داخلة حكماً في الامارة على الصلاة ، ولما كان من حاجة الى ذكرها معها وعطفها عليها ، حتى في كثير من المواضع التي ذكرها المؤلف نفسه .

وقد جاءت في هذا الكتاب الفاظ لم يعرفها العرب حتى اواخر القرن الرابع الهجري ، فكان اولى ان يستعمل في مواضعها ما كان يعرفه العرب :

البحر الأبيض المتوسط ، بدلاً من بحر الشام . الموظفون ، بدلاً من العمال ، « وقد تكررت هذه اللفظة عشرات المرات ، وفي الصفحة الواحدة حتى ليخيل اليك انك تقرأ قانون الموظفين » . روما ، بدلاً من رومية . والوليد الثاني بدلا من الوليد بن يزيد .

ومن الاستعمال الذي كان يستغنى عنه في مثل هذا الكتاب العربي البحت : المراكز الحساسة ، والمنصب الحساس . والاكثار من استعمال (ما) : (رجل ما) و (حد ما) و (جهة ما) و (خليفة ما) و ... و ... واعتنق ديناً ، ولا أكثر ولا أقل ، وهي ترجمة حرفية عن الفرنسية ، لا يجيزها البيان العربي الا بتأويل وتكلف . ولم يملك لا كثيراً ولا قليلاً .

ومن الكلمات التي تحتاج الى رجع نظر فيها :

(مُباعات) وصوابها مبيعات . ومصانة وصوابها مصونة ، (وقد جاءت في تقليد الصابي وهي ولا شك من خطأ النساخ) ولا سيما وقد جاء فيه بعدها : (وامره ان يصون ...) .

ومثل هذه الهنات التى أشرنا الى بعضها لا يخلو منها كتاب يؤلفه احدنا في أيامنا هذه . وما أردنا الا ان نلفت نظر المؤلف العليم اليها حتى اذا رأى فيها رأينا استدركها في طبعة جديدة .

وبعد ، فان في هذا الكتاب من الفوائد الادارية والسياسية ، ما لو عمل القائمون على الحكم في البلاد العربية ببعضه ، لكنا من أمرنا في أمَنة ومنعة ودعة ، ولكن أنى هذا ، وقد ذهب الذين يعملون ، وجاء الذين يقولون ؛ وشتان ما هما .

فنشكر للوزير المؤلف ما عاناه من جهد في جمع هذا الكتاب ووضعه ، حتى جاء مجموعة قيمة من الفوائد التي لا يستغني عنها معنيٌّ بالسياسة ، متتبع للتاريخ .

عارف النكدي



عائشة والسياسة

تأليف الأستاذ سعيد الأفغاني

كتاب يقع في ثلاث مئة صفحة وتزيد ، من القطع الكبير ، حسن الطبع والتبويب . طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

الكتابة في التاريخ خطة صعبة ، لا يؤمن فيها العثار . فالانسان عسير عليه مهما اجتهد ان يتفلت من مشاعره ، وان يخالف عقائده ؛ وما فيه من نزعة الوراثة ، وهب استطاع ذلك او بعضه ، فهو في ما يكتبه عالة على من سبقه فكتب في التاريخ . والمؤرخون ـ الا اقلهم ـ جروا وراء منازعهم ، واتبعوا مذاهبهم ، وأرضوا نزعاتهم ؛ فأرخ كل مؤرخ ماأملاه عليه هواه السياسي أوالمذهبي .

وصدق الأستاذ السيد محسن الأمين في كلمته التي بعث بها الى المؤلف وفيها :

« ومهما بذل العلماء جهودهم في تنقية الأخبار لم يستطيعوا ـ وان تخيلوا ذلك ـ لأن العصبيات المذهبية والعداوات الدينية تأصلت في النفوس ، وتوارثها الخلف عن السلف ، ومن أراد تجريد نفسه عنهـا لم يوفق لكثرة ما في الأمر من اختلاط ، الا ما شاء الله ، ولا يمكننا تنزيه ما عند فريق دون فريق عن ذلك . فما علينا الا ان نمعم النظر ، ونأخذ بما اتفق عليه الكل ، وتوافقت عليه الأخبار من الطرفين . وأيده الكتاب العزيز والسنة الثابتة عند الجميع » .

ويقول المؤلف : « .... ومن راعى جانب الناس وحاذر ان يصدم ما نشأوا عليه من اهواء ، قضى ولم يقل من الحق شيئاً . وبحثنا هذا شائك ، ما في ذلك ريب ، وقد استعنت الله وسلكته على حرجه ، بل لعلي لم اسلكه الا لحرجه ، وأحب ان يعلم القارئ اني شرعت فيه قبل عشر سنين كوامل ، وانا كغيري من المشتغلين بالتاريخ والأدب ، احمل آراء في بعض الحوادث ، واحكاماً على بعض الأشخاص ، فما زلت أوغل في بحثي ، واتحرى الصغيرة والكبيرة ، وأنظر في مبادئ الحوادث ثم في ذيولها البعيدة .... حتى غيرت ـ على رغم هواي ومألفي ـ كثيراً من تلك الآراء وهذه الأحكام . »

فهل تحرر الأستاذ الأفغاني فعلاً في بحوثه (الشائكة) من سلطان المذهب والعصبية ؟ فكان في ما كتبه المؤرخ العربي المسلم ، او انه ظن ذلك في نفسه ، ولم يكنه ؟ .

في الحق ، ان الكتابة في مثل هذا الموضوع الذي عالجه المؤلف ليست صعبة فحسب بل شائكة ؛ فعائشة (رضي الله عنها) طهرها قوم وكفرها آخرون ؛ فهل جرى المؤلف في تأليفه على ما أخذ نفسه به من النزاهة والتجرد ؟ فكان لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فذكر ما لها غير غالٍ ، وما عليها غير قالٍ ؟ .

نعم ! نقولها غير مترددين . واذا كان ثمة من موطن يناقش فيه ، او رأي يؤخذ عليه ، فما احسب ان المناقش او المؤاخذ يكون اكثر من المؤلف توفيقاً في دعم حجة وهدم حجة .

يقول الأستاذ : « ... الادارة والسياسة تقتضيان بعداً في التفكير ، ومنطقاً سديداً ، وحساباً دقيقاً للعواقب ، وصبراً مضنياً ، وضبطاً للعواطف ، وكبحاً للأهواء والنزوات .... الى صفات كثيرة كلها يعوز المرأة بل يعوز اكثر الرجال . فلا عجب ان كان اضطراب الأمور وتدخل المرأة في السياسة قرينين في التاريخ لا يفترقان ، الا حين يدبر الأمورَ للمرأة وزراء حصيفون من وراء ستار . ومع هذا فقلما خلت امرأة ــ مهما حف بها من فحول المحنكين (كذا) ــ من طامع فيها ، مستغل لضعفها ؛ وما أكثر ما حفظ التاريخ من سير عروش كان الغرام هو الحاكم في ممالكها .... المرأة ريحانة وليست بقهرمانة » .

هذه كلمة عامة ، في المرأة عامة ، تنطبق على كل امرأة ومنهن عائشة ؛ غير ان المؤلف لم يقف عند هذه الكلمة العامة ، بل قال في عائشة كلمة خاصة في خاتمة كلامه :

« ان المرأة لم تخلق قط لتدس نفسها في المنازعات السياسية ... وليس لها ان تشارك في القلاقل والاضطرابات والفتن . ان بيدها مفاتيح خطيرة في التأثير في نفوس الجماهير واستغلال حميتهم ونخوتهم ... وقد أثبتت لك انه لولا موقف السيدة عائشة في امر عثمان ، ثم المطالبة بدمه من بعد ، لتغير مجرى الحوادث في تاريخنا ... ولسارتِ سيراً مأموناً مطرد الرقي مباركاً ، فيه الخير كل الخير للأقطار الاسلامية . »

هذا وأمثاله مما جاء في الكتاب ، يدلك على رأي المؤلف الناضج الموفق ؛ وهو : ان عائشة ما كان من مصلحتها ولا من مصلحة المسلمين ، ان تدخل نفسها في سياسةٍ جرّت كثيراً من المصائب على العرب وعلى المسلمين .

فاذا هو انتهى من هذا الذي عليها من الناحية السياسية ، عاد يثني على علمها : « وانه قد بلغ ذروة الاحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه .... فكان عمر يحيل عليها كل ما تعلق بأحوال النساء او باحوال النبي البيتية ؛ لا يضارعها في هذا الاختصاص احد من النساء على الاطلاق » .

وفي الكتاب على ما قال صاحبه : « الأدب الغزير ، من نثر وشعر واراجيز ، زخرت بها تلك الحوادث الجسام التي اكتوى بهـا العالم الاسلامي يومئذ . فنفث المصدورون من أبطال القتال وفرسان البلاغة أدباً حياً خالداً .... تقرؤه فتشارك قائليه شدائدهم وأهوالهم ، وتجد في نفسك الحسرة التي وجدوها ، وتعاني الآلام التي عانوا ، وتكاد كبدك تتفطر ألماً لما كابدوا .... واذا انت أيضاً تنفس عن صدرك بدموع حرار تسكبها غزاراً وأنت مغلوب على أمرك .... »

قلنا : كأننا في يومنا هذا ؛ نختلف ونتماحك ونتقاتل ؛ والعدو على الأبواب ، يستولي على ديارنا بقعة بقعة ، وبلداً بلداً ، ونحن في هذا الذي نحن فيه ، نمكّن له من التغلل والتغلب على العواصم والثغور .

والذي أريده ـ على ذكر هذا الذي ذكرته ـ ان يقرأ كل عربي ما جاء في كتاب الأستاذ الأفغاني عن ابن سبأ : هذا اليهودي الذي ملأت دسائسه ومؤامراته بلاد العرب ، ففرّق الصفوف ، وزرع البغضاء في القلوب ؛ كمثل ما يفعله قومه اليوم ، وهم يكتسحون بلاد العرب ويعملون على تهويدها قومياً ودينياً .

وفي الكتاب كثير من الآراء الصائبة (راجع الصفحات الـ ١٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٠ و ٢١١) والحجج الراجحة كردّه على الشيخ عبد الوهاب النجار في الصفحة الـ ٩٦ وهو رد موفق ، لم يوفق مثله بالرد عليه في الصفحة الـ ١١٢ ـ ١١٣

والكتاب بعد مكتوب بلغة عربية ناصعة لا يكتب التاريخ في يومنا هذا بأحسن منهـا .

على أننا نريد ان نلفت نظر المؤلف المدقق الى بعض الفاظ وقفنا عندها . منها : جمعه (نيــة) على (نوايا) وما نحسبها تجمع على غير (نيات) . وضبطه (خُبْث) بالضم والتسكين ، في قوله : (كما يخلص الذهب من خُبْثه ، او الثوب من دَرَنه) ولعل الصواب من (خَبَثه) بالتحريك . و (الخَبَث) من المعدن : ما ينفيه الكير مما لا خير فيه ، وبذلك يستقيم المعنى والمبنى بين (خَبَثه) و (دَرَنه) .

واستعمل (الغوغاء) بمعنى الصوت والضجة في قوله : (وكانت بحيث تسمع الغوغاء . . فلم تلبث ان سمعت غوغاء شديدة فقالت ما هذا قالوا ضجة العسكر) . و (الغوغاء) طغام الناس واوشابهم ولعله أراد (الضوضاء) .

وقوله : « ولنرجع ثلاثين سنة . . . فسنجد » وفي رأينا ان الرجوع الى الوراء ثلاثين سنة لا يجتمع وهذه (السين) . وقوله : (تنبه الى هذا الخطر أهل البصر : السنيين والشيعيين) والصواب (السنيون والشيعيون) وقد يكون الأصل (من السنيين والشيعيين) فسقطت (من) في الطبع .

وفي بيت للزبير :

فقلت حسبك من عدل ابا حسن   فبعض الذي قد قلت يكفيني

وهو عجز سقطت منه كلمة فاختل وزنه ، ويمكن ان يقال :

فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

واستعمل (المياتم) جمع (ميتم) لـ (بيت اليتيم) أو (دار اليتيم) وما اظن ان الميتم يؤدي هذا المعنى .

وكنت افضل لو كتب (روما) (رومية) كما كان يكتبها العرب . وكذلك (روسية) و (اوربة) و (اميركة) فذلك اشبه بمصطلح العرب .

هذا ، والشكر الجزيل للمؤلف الفاضل على هذا الكتاب الذي أخرجه أحسن مخرج : موضوعاً ولغةً وأسلوباً وبياناً .

ع . ن

استدراك

ورد في السطر الخامس من الصفحة ٥٩٧ من المجلد الثالث والعشرين (لعله من العراق ؟) والصواب حذف ذلك لأنه زيادة .

ع . ن

الدارس في تاريخ المدارس

تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧

الجزء الأول ص ٦٦٥ عني بنشره وتحقيقه الأمير جعفر الحسني

وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي وطبع بمطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٧ – ١٩٤٨

هذا كتاب آية من آيات المجد العربي فهو تاريخ العلم في دمشق مدة خمسة قرون، وتاريخ من درس في مدراسها من العلماء والفقهاء والمحدثين والقراء والأطباء، حرص المجمع العلمي العربي على نشره منذ زمن وعهد الى ثلاثة أساتذة من أعضائه (الشيخ عبد القادر المبارك والشيخ عبد القادر المغربي والسيد سليم الجندي) النظر في معارضته على عدة نسخ، ثم دفعه الى زميلهم الأستاذ الأمير جعفر الحسني فعلق عليه ونشره على صورة علمية مدققة فجاء مصدراً نفيساً من مصادرنا التاريخية التي لا غنية عنها .

وقد وقع في اسم كتاب الدارس واسم مؤلفه اختلاف منذ القديم فمنهم من نسبه لابن حجي ومنهم من عزاه الى النعيمي وكذلك كان اختلافهم في اسمه فقد قال السخاوي في الضوء اللامع عند ترجمة ابن حجي ان له كتاباً نفيساً سماه الدارس في أخبار المدارس قد احترق غالبه في وقعة التتار وقفت على كراريس منه محرقة . وقد كنا سألنا صديقنا فقيد العلم احمد تيمور باشا رأيه في الكتاب ومؤلفه فأجابنا : (والذي تبين لي أن الدارس في المدارس لا شبهة في أنه لابن حجي اما موضوعه فيجوز ان يكون من موضوع كتاب النعيمي كما يجوز ان يكون مغايراً له . وأما كتاب النعيمي فلا أدري من أين اتاه هذا الاسم بعد ان صرح المؤلف في خطبته بانه سماه « تنبيه الطالب وارشاد الدارس لأحوال مواضع الفوائد بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس » الخ . وجاء في خطبة مختصره لعبد الباسط العلموي ما نصه « وبعد فهذا تعليق لطيف اختصرت فيه كتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس للعلامة محيي الدين ابي المفاخر النعيمي

الشافعي رحمه الله » الخ . وفي كشف الظنون : « تنبيه الطالب وارشاد الدارس فيما بدمشق من الجوامع والمدارس لمحيي الدين ابي المفاخر النعيمي الشافعي ومختصره للشيخ عبد الباسط الواعظ الدمشقي وهو مرتب على احد عشر باباً وخاتمة » انتهى ولم يذكر في حرف الدال الدارس . والظاهر ان بعضهم أراد اختصار اسم الكتاب فسماه بالدارس الا ان يكون المؤلف سمى الكتاب باسمين فقد يفعله بعض المؤلفين بل رأيت من سمى كتابه بثلاثة أسماء ولكن لا بد في ذلك من نص يثبته ولا أدري هل ورد هذا الاسم في طرة نسخة الظاهرية وهل هي قديمة يجوز الاعتماد على ما فيها ام لا) .

وبعد فانه لا يضرُّ العلم الاختلاف في اسم الكتاب واسم مؤلفه بقدر ما يضره فقده وعفاؤه . وان المجمع العلمي ليغتبط ان نشره للناس ووضعه بين أيدي العارفين للانتفاع به ، وعلى القصور في تراجم اكثر من ترجم لهم المؤلف من اعيان تلك العصور فانه ضمَّ فوائد كثيرة وفيه وقفنا على اسماء مدارس وعلماء ما كانت تعرف لولا الدارس ، عرفنا في جملة ما عرفنا اسماء مهندسين واطباء وانه في دمشق كان للهندسة مدرسة ومدارس طبية وكانت عناية هذه المدارس بالعلوم الدينية خاصة ولم تغفل العلوم الدنيوية وما قيل في جقمق ومدرسته صورة من العصر مكبرة وما قيل في المدرسة الجقمقية وما صودر به جقمق وما كان اخذ قازان من اهل دمشق من الأموال واستفدنا مبلغ عناية الملوك بالعلماء والعلم وكانت التداريس بمراسيم سلطانية وتواقيع ملوكية واستفدنا منه اسماء الكتب التي كانت رائجة في التدريس وكانت تحفظ ومنها ما فقد واستفدنا مما نشر من الأقضية والأوامر فيما ورد من مصر الى الشام ان القضاة لا يطلبون أحداً من عند حكام السياسة ولا يحكمون في من سبقت دعواه اليهم وكذلك حكام السياسة لا يأخذون أحداً من مجالس الشرع الشريف ولا يحكمون فيه الى غير ذلك مما لا نكاد نجده اليوم في كتاب .

فالشكر لصديقنا الأمير جعفر الحسني على العناية التي بذلها في خدمة هذا السفر الجليل .

محمد كرد علي

« مذكرات خالدة »

أدب المذكرات عريق في ثقافة الأمم ، فلقد عرفته الانسانية المتأدبة منذ القديم وما آثار « تيت ليف » و « تاسيت » ولا خواطر « كسينوفان » و « أريستوفان » إلا مذكرات فيها كثير مما عاين هؤلاء المفكرون وما تمرسوا به من شؤون وشجون ، وكتب من بعدهم ناس في دنيا الأدب العتيق أخباراً ورسائل وصفوا فيها صوراً من حياتهم ومنازعهم وألواناً من معايشهم وفنونهم ، لكن أحداً منهم لم يفرد للمذكرات كتاباً خاصاً ، وحين هب الأدب الغربي في أرجاء اوروبة أخذ فريق من الكتاب والمفكرين يعبرون عن آرائهم وخواطرهم بأسلوب المذكرات ، وقد بدت آثارهم النفسية وميولهم الذاتية في صور اعترافات ، والاعترافات أشد لصوقاً بصاحبها وتبياناً من المذكرات .

حين قرأت اعترافات فتى العصر لألفريد ده موسيه قلت كم يحلو التأدب بهذه الفِكَر الناقمة على مفاسد الحياة ، والتي تبصر الناشئة بمزالق الشباب ، فلما نقلها الى العربية الخطيب الأديب المأسوف عليه فليكس فارس أهدى الي نسخة منها فقرأتها وأنا أقول : هل يطلع أديب في لغتنا فيكتب لنا قصة حياته على هذا النحو الصادق في تمحيص الفلسفة الضارة والحضارة المتهورة ، وراح فكري وراء كتاب « الأيام » الذي قص فيه الدكتور طه حسين ذكريات طفولته وصباه بين الريف والأزهر ، فكانت هذه القصة الرائعة تأخذ مكانها في منتصف الطريق بين المذكرات والاعترافات ، وكذلك « يوميات نائب في الأرياف » للأستاذ توفيق الحكيم ، فقد صور فيها على السجية والحقيقة حياة القرية في مصر ، فكانت أصدق آثاره وأحسنها ، ولعل الأدب في دنيا المسيحيين قد تناول هذا اللون من الشعور الديني فانتقل فيه الاعتراف من حجرة الكنيسة الضيقة الى آفاق الحياة الواسعة ، ويا روعة حدث في أدب الغرب الحديث جاء به آندره جيد في اعترافاته وذكرياته التي باتت أروع أدب إنساني موروث عن الحضارة

الفكرية الغربية وقد شاع هذا اللون من الأدب في آثار الأمم المعاصرة حتى رأينا كثيراً من المذكرات في الأدب وفي السياسة ، لرجال ونساء .

وإذا انتقلت الى أدب المذكرات عند العرب وجدت أدبنا لم يكن خلواً منها ، فان طائفة من الرواة والأدباء القدامى كانوا يعرفون بالأخباريين ، وهل كان أدبهم في جملته إلا مذكرات عما عالجوا وعاينوا في حياتهم ، وهذا ابو عثمان الجاحظ حشر في كتبه كثيراً من الذكريات في كل ما عرض له ورآه ، فهو حيناً يصور مزاجه في الصحة والمرض ، وآونة يعبر عن خواطره وأطواره فيما اتفق له مع العلماء والكبراء ، ولكم قص علينا كيف كان يأكل وماذا أكل وأين سهر وبات ؛ لقد عاش أوائلنا في أدبهم حياة خافقة بأرواحهم متألقة بمواهبهم ، وما فاتهم أن يقيدوا في دفاترهم جوانب من حوادثهم اليومية ونوادر لفريق ممن عاشروهم ومارسوهم .

ولئن سبقت مصر في نهضتها الأدبية الحديثة الى أدب المذكرات ، فشاع في آثار أعلامها فإن علامة الشام وباعث نهضتها الفكرية الأستاذ محمد كرد علي شاء ان يسد هذا النقص في أدبنا الجديد ، بل ان ظهور مذكراته في فترة طغت فيها المادة وضاع صوت الأدب ليعد حدثاً رائعاً ، وما هذه المذكرات إلا سجل كبير لحياة حافلة بالأحداث الجسام مرت بالمراحل والعهود التي ألمت ببلاد الشام ، وفي المذكرات صور لطائفة ممن عرفهم المؤلف في الشرق والغرب وفي دنيا السياسة والصحافة ، وفيها موضوعات متنوعة عالجها وقيدها كما قال في روح مذكراته « ليشاركه أبناء هذا الجيل والذي بعده في الانكار على من أضجروه بقصورهم وآلموه بغرورهم » ، وكان قصده منها « التحذير من دجل الدجالين والتنبيه على أحابيل المبطلين ، والعمل على مكافحة الظالمين ، ليعرف أن كل جيل لا يخلو من دعاة يحلو لهم الجهر بالحق مهما جشمهم ، ومن افضل الطرق اليه ضرب السفهاء في وجوههم بعيوبهم » .

لقد جمع الأستاذ « كرد علي » في مذكراته سيرة حياته منذ كان يدلف الى الكتّاب الى يومه هذا وفي خلال ذلك ذكر أروع الحوادث التي عرضت له في وطنه وغربته ، في حياته العلمية والسياسية ، ولعل نبوغه المبكر وامتداد صيته الى مصر قد ملأا عمره بهذه الصفحات الغر من الذكرى البعيدة والقريبة

وأول ما طالع علينا من هذه المذكرات لقب مؤلفها وهو « كرد علي » فقد حيره هذا اللقب وحير الناس في أمره ، غير أنه أفضى بعنصره ولقبه الى قارئه فقال :

« جاء جدي من مدينة السليمانية من بلاد الأكراد ، شمال العراق ، وسكن دمشق قبل نحو مائة وخمسين سنة ، وأمي شركسية من قفقاسيا ، فأنا على رغم أنف من آمن وكفر من جنس آري لا يقبل النزاع ، وليس للغربي ولا للشرقي ما يقول في دمي » الى أن يقول « ولما بدأت أكتب في الصحف كان أقصى همي أن أعود الى اسمي الأول والى لقب بيتنا القديم ، فأصبحت « محمد كرد علي » واغتبطت ان حافظت عليه طول عمري وبه اشتهرت » .

وهنا لا بد لي أن أرى لنسب الأستاذ كرد علي الى العنصر الآري أثراً في نبوغه وإبداعه ، وهو رأي أرسله على نحو ما أرسل سليمان البستاني سنة ١٩٠٤ والأستاذ العقاد من بعده بأن تفوق ابن الرومي في الشعر وتجديده فيه كان من هذه الآرية المبدعة .

ثم يمضي الأستاذ كرد علي بقارئ مذكراته إلى ذكريات طفولته ، فياله شيخاً باعد العمر بينه وبين تلك الطفولة الذكية التي كان يصحب فيها أمه الى أسرة بزقاق النارنجة في حي القيمرية بدمشق فيقع نظره لأول مرة على رفوف مصفوف عليها المجلدات ، فيشهق متعجباً ، ويسأل والدته عنها فتجيبه بأنها كتب يقرأ فيها العلماء ، ويعجب الصغير هذا المنظر الطريف فيقول لأمه : أنا أحب أن أتعلم هذه الصنعة !

وشاء القدر أن يربط بعد حين برابطة العلم والأدب بين هذا الفتى النجيب

وبين أكبر عالم سوري في زمانه هو الشيخ طاهر الجزائري الذي ملأ الأستاذ كرد علي قلبه وفاه له فوفاه حقه من الثناء والإعجاب في كثير من صفحات الكتاب ، وما كان أجدره بأن يؤلف للعالم الاسلامي كتاباً عن شيخه الجزائري الذي يعد في الديار الشامية كالشيخ محمد عبده في الديار المصرية .

ويصف بعد ذلك صاحب المذكرات أعذب الذكريات عن صغره العجيب وأثر الغوطة في حياته وثقافته ، منذ كان يذهب الى مزرعة أبيه في جسرين ويمتزج بالفلاحين فلا يتأنف منهم ولا يتجنى عليهم ، لقد نزل دوح جسرين فحنى عليه صغيراً وكبيراً ، وكان هو — مد الله في حياته — وفياً للغوطة على العمر ، ففي أفيائها ورياضها دوّن الأستاذ كرد علي كثيراً من ذكرياته ، ولو أن هذه المذكرات جاءت بترتيب زمني وتتابع منطقي لكانت أوفى بمعناها .

وإذا كانت تآليف الأستاذ كرد علي في جبين الحياة الشامية درة لا تقدر بثمن فإن مذكراته الخطيرة أروعها وأبقاها على الزمان ، فإلى صاحب هذه المذكرات التي جاءت بدعاً من مؤلفات العرب في هذا العصر بما فيها من حرية وبيان وعنافة وطرافة ، اليه تحياتي على الرغم مما جار فيه على بنات جنسي في مجاراة أعداء المرأة وظالميها الذين ينفون عنها كل موهبة ويجردونها حتى من خصائصها الطبيعية .

(دمشق) وداد سكاكيني

النظرية العامة

للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية

تأليف المحامي : صبحي المحمصاني

دكتور في الحقوق (ليون) ب . ح . (لندن)

أستاذ المجلة والقانون الروماني في جامعة بيروت الأميركية

الجزء الأول (ص ٢٦٠) . (الناشر : مكتبة الكشاف ومطبعتها : بيروت)

موضوع هذا الكتاب النفيس هو المقارنة بين فقه الاسلام في التصرفات الشرعية بوجه عام ، والتصرفات غير الشرعية أيضاً ، وبين ما يقابل هذه التصرفات

القانونية وغير القانونية في أعظم الشرائع القديمة والحديثة ، الدينية منها والمدنية ، كالعهد القديم (التوراة) والقانون الروماني ، وكالشرائع المدنية الأميركية والانكليزية والفرنسية والسويسرية ، والقانون المدني الألماني ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني . والدكتور المحمصاني واسع الاطلاع على كتب الحديث ، ومذاهب الفقهاء فهو حجة في صحة ما ينقله عن أمهات المراجع الاسلامية كالمدونة الكبرى لإمام دار الهجرة مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ والأم للامام الشافعي (٢٠٤) والمجموع للنووي(٦٧٦) وهوشرح مهذب الشيرازي الشافعي (٤٧٦) والمغني للموفق المقدسي الحنبلي (٦٢٠) مع الشرح الكبير لابن أخي المؤلف وتلميذه شمس الدين المقدسي (٦٨٢) وكالمحلى لمجدد القرن الخامس أبي محمد ابن حزم (٤٥٦) وكل مؤلف من هذه المؤلفات المذكورة يشتمل على اجزاء كثيرة ، فهو ينقل عن هذه الأمهات ، ويشير الى الأجزاء والصفحات ، وما يعزوه الى غيرها كثير أيضاً ، وهذا دأبه فيما يترجمه من المواد والأحكام ، عن كتب الحقوق الفرنسية والانكليزية وغيرها ، وهو ما تقتضيه أمانة العلم ، وقد قسم المؤلف هذا الجزء الأول من كتابه الى قسمين :

١ — التصرفات الشرعية بوجه عام .

٢ — التصرفات الفعلية أو الأعمال غير المباحة ويدخل فيها كما قال : أبحاث سوء استعمال الحقوق ، وأعمال الفضولي ، والكسب غير المشروع ، والجنايات والحدود ، والغصب والتعزير ، والجرائم المدنية ، ومسؤولية الإنسان عن أعماله وأعمال غيره ، وأعمال الجوامد والحيوانات التي تقع تحت حراسته .

نظرية الموجبات والالتزامات

قال الأستاذ المؤلف : إن نظرية الموجبات والالتزامات نظرية عامة ، وهي بلا ريب أهم ما ترك الرومانيون من نظريات وأبحاث فقهية ، فإنها تشمل ناحية كبيرة من المعاملات الشرعية ، وتضم القواعد التي ترتكز عليها جميعاً ، وقد

أعرب الدكتور المحمصاني عن قصده في طليعة كتابه فقال : وإنما الغاية من وضع كتابي استخلاص النظرية العامة للالتزام في الشريعة الاسلامية ، ومقارنتها بالنظرية العامة المعروفة في القوانين المدنية العصرية ، وأنا لا أدعي ان المسلمين في دراساتهم الفقهية تطرقوا من حيث الأسلوب الى نظرية عامة تشبه النظرية الحديثة ، بل انهم على العكس لم يفعلوا ذلك لأن هذه النظرية رومانية الأصل وإن الفقه الاسلامي لم يتأثر مبدئياً بفقه الرومان ، كما أثبت في كتاب « فلسفة التشريع في الإسلام » .

وهنا نشكر الدكتور على عنايته بهذا المبحث الجد ، وإثباته استقلال شرعة الاسلام عن فقه الرومان ، وتخطئته لمن يتخيل الإمام أبا حنيفة النعمان وغيره من الأئمة مترجمين لفقه الرومان ، ويوهمون أن ما يقتبسه الشرق من قوانين الغرب الجديدة هو دليل على أن التاريخ يعيد نفسه في هذا المضمار ، ثم يكتبون ويستنتجون كما تشاء أهواؤهم ، أو كما يمليه عليهم اعتقادهم المغلوط ، أو كما تؤهلهم له دراستهم السطحية ، ثم قال أثابه الله وأدام توفيقه : وإن كل هذا والله كان من العوامل التي دفعتني الى تأليف كتابي (ص ٧) .

وأجاب المؤلف معتذراً عن فقهاء الإسلام - في إهمالهم لوضع النظرية العامة للعقود كلها ، وما يقابلها من موجبات والتزامات - ومعللاً ذلك بقوله : ولا عجب من ذلك فالفقه الاسلامي لم ينشأ تأريخياً عن بحث علمي ، بل هو وليد القضايا العملية التي كانت أسباب نزول الآيات القرآنية ، وأسباب السنة القولية والفعلية والتقريرية ، والتي كانت ميداناً للاجتهاد والقياس والاستدلال والاستحسان ؛ هذه القضايا العملية وجدت قبل أن توجد المبادئ العامة والقواعد الكلية . اه ص ٣١

وقد بين المؤلف معنى الموجب والالتزام في اللغة والاصطلاح الفقهي ، ومنه : وجب عقد البيع وجوباً بمعنى لزم وتم ، وعناصر الموجب : الدائن أو الدائنون ، والمدين أو المدينون ، ثم الرباط القانوني الذي يربطهما ، ويعتبر المدين بموجبه ملزَماً

(أو ملتزماً) نحو الدائن ، وأخيراً الموضوع ، وهو إما أداء شيء ، أو تسليم شيء أو إجراء عمل ، أو الامتناع عن عمل معين » .

وهنا يخطر في البال سؤال وهو أن الكتاب العزيز والسنة النبوية وافيان بالنصوص التي تعد أصولاً لهذه (النظرية العامة) ـ الرومانيـة الأصل والتي اقتبستها القوانين الحديثة ـ في العقود والعهود والشروط والموجبات والالتزامات ، وهي دالة على معانيها ومقاصدها ، بعموم الفاظها لا بطريق الاجتهاد والاستحسان ، وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية طائفة منها في (أعلام الموقعين) وسترى أنها هي في نفسها قواعد كلية ومبادئ عامة مشتملة على المصالح والمطالب الشرعية ، معللة بعللها وأسبابها ، ولم أرها في كتاب « النظرية العامة للموجبات والعقود » وهي مما يتصل بصميم موضوعه ، وأعلام الموقعين من مراجع الدكتور الكبرى ، وهو معجب بمؤلفه احد أئمة الاصلاح والتجديد (٧٥١) وقد نشر في مجلة مجمعنا العلمي وهو من اعضائه مقالاً ضافياً عنه (ج ٣ م ٢٣) أبان فيه اعجابه بمزاياه ، وإني ألخص عن ابن القيم في أعلامه جملاً قصيرة مما يدخل في نصوص « النظرية العامة » وأدع الباقي لمن يريد استيفاءه منه .

قال عليه الرحمة والرضوان : ان ما لا تتناهى افراده لا يمتنع أن يجعل انواعاً ، فيحكم لكل نوع منها بحكم واحد ، فتدخل الأفراد التي لا تتناهى تحت ذلك النوع ، الى أن قال : « دخل في قوله : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ما لا تحصى أفراده من الجنايات وعقوباتها حتى اللطمة والضربة والكسعة [1] كما فهمه الصحابة . ودخل في قوله : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق » تحريم كل فاحشة ظاهرة وباطنة ، وكل ظلم وعدوان في نفس او مال او عرض .

ودخل في قوله « والجروح قصاص » وجوبه في كل جرح يمكن القصاص منه ، وليس هذا تخصيصاً ، بل هو مفهوم من قوله قصاص وهو المماثلة .

(١) كسعه : اذا ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه

ودخل في قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » وجوب نفقة الطفل وكسوته ، ونفقة مرضعته على كل وارث قريب او بعيد .

ودخل في قوله : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » جميع الحقوق التي للمرأة وعليها ، وأن مرد ذلك الى ما يتعارفه الناس بينهم ، ويجعلونه معروفاً لا منكراً ، والقرآن والسنة كفيلان بهذا أتم كفالة (ج ٢ ، ٢٦ ـ ٢٧) [1] .

النصوص الكلية العامة المغنية عن القياس في « العقود والموجبات »

وقد زاد الإمام ابن القيم على ما تقدم من النصوص العامة المغنية عن القياس في العقود والموجبات معاً ، زيادات مهمة تدل على شمول النصوص للأحكام وتفاوت الأفهام فيها ، وبيان دلالة النص ، والاكتفاء به عما عداه ، وأن القياس شاهد وتابع ، لا أنه مستقل في إثبات حكم من الأحكام لم تدل عليه النصوص : فمن ذلك الاكتفاء بقوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » عن إثبات قطع النباش بالقياس اسماً او حكماً ، إذ السارق يعم في لغة العرب وعرف الشارع سارق ثياب الأحياء والأموات .

ومن ذلك الاكتفاء بقوله : « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » في تناوله لكل يمين منعقدة يحلف بها المسلمون من غير تخصيص إلا بنص أو اجماع ، وقد بين ذلك سبحانه في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين » فهذا صريح في أن كل يمين منعقدة فهذه كفارتها ، وقد أدخلت الصحابة في هذا النص الحلف بالتزام الواجبات ، والحلف بأحب القربات المالية الى الله وهو العتق .
ومن ذلك الاكتفاء بقوله ﷺ : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد في إبطال كل عقد نهى الله ورسوله عنه وحرمه ، وأنه لغو لا يعتد به نكاحاً كان او طلاقاً او غيرهما .

---

(١) من أعلام الموقعين المطبوع مع حادي الأرواح المؤلف أيضاً (طبعة فرج الله زكي الكردي بمصر سنة ١٣٢٥ ﻫ) .

ومن ذلك الاكتفاء بقوله تعالى : « وقد فصَّل لكم ما حرم عليكم » مع قوله ﷺ : « وما سكت عنه فهو مما عفا عنه » فكل ما لم يبين الله ولا رسوله تحريمه من المطاعم والمشارب والملابس والعقود والشروط فلا يجوز تحريمها ، فان الله سبحانه قد فصل لنا ما حرم علينا ، فما كان من هذه الأشياء حراماً ، فلا بد أن يكون تحريمه مفصلاً ، وكما أنه لا يجوز إباحة ما حرمه الله ، فكذلك لا يجوز تحريم ما عفا عنه وأحله وبالله التوفيق » (ج ٢ : ٨١ ـ ٨٣) .

أقول : هذا قليل من كثير من النصوص العامة الشاملة التي تجمع بين المتماثلات ، وتثبت « النظرية العامة للعقود والموجبات » إذ أنها صريحة في أن جميع العقود الدنيوية مأذون فيها ، وعلى الإباحة والصحة وهي تشمل الغذاء والكساء والبناء ، والبيوع والأنكحة وغيرها ، وما فيها من شروط وقيود ، وأنه لا يصح تحريم شيء منها ، ولا تأثيم أحد فيها ، إلا بنص من الشارع ، وقد فصل لنا ما حرم علينا منها . والأصل في ذلك قول الله العليم الحكيم في اول سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » فهو أمر بالوفاء في كل عقد عقده المؤمن وارتبط به مع غيره ، ويدخل في هذا الباب : العقدُ بالفعل ، كإعطاء المال لمن بيده تذاكر السفر في البواخر ، والمراكب البرية والجوية . ومثله قوله : « وأوفوا بالعهد » فهو أمر بالوفاء بالعهود كلها ، وقال : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » فهذه الأدلة تثبت « النظرية العامة في العقود » ويدخل فيها جميع ما أورده الفقهاء في أبواب المعاملات التي عقدوها في كتبهم ، وما سكت عنه الشارع رحمة منه غير نسيان ولا إهمال . وإنما نهى الرسول ﷺ ، عن أنواع من المعاقدات كانت في الجاهلية لما فيها من غبن وغش ، وغرر وضرر ، وأمثلتها معروفة في الصحيحين وغيرهما ، وهي معاقدات باطلة ، لأنها مناقضة للعقود الصحيحة النافعة ، أو هي من الكسب غير المشروع ، ومثلها الخلف في العهود ، والحنث في الأيمان والعقود ، والأعمال غير المباحة كالجرائم (التي يرتكبها شخص ،

ويلتزم بضمان نتائجها) كما قال المؤلف فهي كلها داخلة في مصادر الالتزام والموجبات من كتاب « النظرية العامة » .

ومن هذه القواعد القرآنية ، والمبادئ الكلية العامة التي اشتقت منها ، أخذ علماء الأصول قواعدهم ، وبنى عليها الفقهاء أحكامهم ، فالقرآن الكريم - في هذا الباب كشريعة الرومان - هو أصل الأصول ، ومصدر التشريع والتفريع ، والاستنباط والتخريج ، وقد أسند فيه الافتاء والقضاء الى منزله « قل الله يفتيكم » « فالله يحكم بينهم » وقضت به سنة النبي عليه السلام ، في النوازل والأحكام ، وسار على هذين الأصلين الصدر الأول ومن تبعهم بإحسان ، أخذاً واستدلالاً ، واجتهاداً وقياساً ، فتولدت الفروع من الأصول ، وتنوعت فيها المآخذ والمدارك ، ودونت المذاهب على تراخي العصور ، ورتب الفقه هذا الترتيب الذي نراه في مصنفاته .

ولعل مؤلفنا القانوني الكبير يفرغ في الجزء الثاني هذه المباحث العلمية في لغة النظريات الحديثة ، ويضيف ذلك الى مآثر ابن القيم وخصائصه .

هذا وانا نوجه نظر المؤلف الكريم إلى ما يأتي ولعله من سهو القلم :

جاء في ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٧ : « ابن القيم الجوزية » وإنما هو ابن قيم الجوزية ، والجوزية من مدارس دمشق وقد أم الناس فيها كما في طبقات الحافظ ابن رجب « ودرس بالصدرية وأمّ بالجوزية مدة طويلة » والدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠ ، والشذرات ج ٦ ص ١٦٩

ص ١١٧ و ٢٢٥ « في المذهب الظاهري البائد »

إن أدري كيف يكون بائداً وهو مدون في كتب المذاهب والخلاف المطبوعة ، ومعدود من أفضلها بما فيه من اتباع الدليل ، ومستفاد منه على مر العصور ، وهذا امام الشافعية في عصره ، العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (المتوفى سنة ٦٦٠) يقول : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم ، مثل : المحلّى والمجلّى (لابن حزم) وكتاب المغني للشيخ موفق الدين بن قدامة في جودتهما ،

وتحقيق ما فيها ، وكان يستعير المحلى وشرحه المحلى كما انه نقل عنه أنه قال : لم نطب نفسي بالفتيا حتى صارت نسخة من المغني عندي (انظر ترجمة الموفق في مقدمة المغني طبعة المنار) وقد طبع كتاب المحلى العظيم لابن حزم الظاهري ، وعنه نقل المؤلف ، كما طبع بعض فضلاء الحنابلة بدمشق أقوال الإمام داود الظاهري واختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة واحدة .

ص ١٧٣ «وهذا الاختلاف في الاستعمال لايجب ان يفسر بالغموض ولابالابهام» وإذا انتفى الوجوب في لغة الفقه بقي الجواز ، والصواب : لا يجوز أن يفسر الخ .

وبعد فإن هذا الكتاب من خير ما ألف في موضوعه ضبطاً وتحريراً ، ودلالة على المصادر الفقهية الكبرى ، وأخذاً عنها ، وموازنة بينها وبين المآخذ الأوربية ، وترجيحاً للفقه الاسلامي عليها ، وهو من أهم المراجع لانشاء مجلة تسير على نهج مجلة الأحكام العثمانية (على ألا تكون مثلها مقيدة بمذهب واحد) تبحث في المسائل الشرعية العصرية ، وتضع لها ما يناسبها من الأحكام .

فشكر الله لمؤلفه ما بذل من جهد ، وأنفق من وقت ، وجعله قدوة للعاملين المحسنين في هذه السبيل .

محمد بهجة البيطار



الدرر المباحة في الحظر والاباحة

تأليف الشيخ خليل بن عبد القادر الشيباني الشهير بالنحلاوي

أحسن المؤلف رحمه الله في جمع ما يحتاج الانسان الى معرفته في مأكله وملبسه ومسكنه ، وفي عبادته لربه ، ومعاملته لخلقه ، وما قاله الفقهاء في ذلك كله حظراً أو إباحة ؛ وقد رتب هذا الكتاب الذي يقع في نحو (١٥٠) صفحة على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة . فالمقدمة في تعريف الحظر والاباحة ، والباب الأول في الأكل والشرب ، والثاني في اللبس والكسوة ، والثالث في النظر والمس ، والرابع في الكسب والحرفة ، والخامس في الاخلاق الذميمة ، والخاتمة في العقيدة

الإسلامية . والمؤلف ناقل غير قائل، وهو يعزو إلى الكتب وصفحاتها، وقد ذكرها في آخر كتابه مع رموزها ليسهل الرجوع اليها .

وكنا نرجو أن يختار المؤلف من بين تلك «الدرر المباحة» ما كان أكثر ملاءمة لحاجة العصر، ليتبين به يسر الفقه الإسلامي، وان اختلاف الأئمة رحمة، والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة، وأما التمسك بقول واحد لا محيد عنه فهو نقمة، لا سيما اذا لم يرد به نص صحيح، ولا قياس صريح، وقد قال الشهاب القرافي في قواعده : «ومن جهل المفتي جموده على النصوص في الكتب، غير ملتفت الى العرف» .

وأيضاً فينبغي للمفتي أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك، ولا يلقيه الى المستفتي ساذجاً مجرداً عن دليله ومأخذه، ومن تأمل فتاوي النبي ﷺ الذي قوله حجة بنفسه، رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته، لا سيما اذا كان الحكم مستغرباً جداً مما لم تألفه النفوس وانما الفت خلافه، فينبغي للمفتي أن يوطئ قبله ما يكون مؤذناً به كالدليل عليه، والمقدمة بين يديه . وقد ختم الإمام ابن القيم كتابه أعلام الموقعين بفوائد تتعلق بالفتوى ومنها ما ذكرناه، وانما دعانا الى هذا بعض ما أورده المؤلف من المسائل الغريبة التي يحتاج إثباتها الى نص ديني قاطع وإلاّ وقع الناس في حرمات لا نهاية لها من غير بينة شرعية قطعية، واليك ملخص قوله من الباب الثالث في النظر والمس : «إذا مسّ الرجل امرأة مشتهاة حية تم لها تسع سنين بشهوة من احدهما أو منهما ولو لشعر على الرأس ولو بحائل لا يمنع الحرارة ! .. حرم عليه أصولها وفروعها وحرم عليها أصوله وفروعه ! ... «فلو قبل الرجل بنت امرأته المشتهاة أو مسها بشهوة من احدهما حرمت عليه أمها حرمة مؤبدة ... ثم قال بعد ايراد مسائل من هذا النوع : ولا فرق في ثبوت الحرمه بالجماع .. أو اللمس أو النظر بشهوة بين كونه عامداً أو ناسياً او مكرهاً او مخطئاً ؟

وليس الكلام في حرمة ما ذكره وانما السؤال عن الدليل في تحريم كلٍّ من اصول الرجل والمرأة وفروعها على التأبيد ، لا سيما الناسي والمكره والمخطئ المرفوع عنهم الإثم بنص الحديث ، فما دليل ما ذكروه وما تعليله يا ترى ؟ لقد كان على المؤلف رحمه الله أن يمحص الأقوال قبل عرضها ، فما كل بيضاء فضة ، ولا كل خضراء روضة .

وعلى كل فقد أحسن أولاده الأكارم بنشر هذا المؤلف ففيه فوائد كثيرة مجموعة في كتاب واحد جزاهم المولى خيراً .

م . ب . ب



شروح سقط الزند

قسمها الثالث من السفر الثاني

على أثر إقامة مهرجان ابي العلاء المعري بدمشق (٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤) ألفت وزارة المعارف المصرية لجنة دعتها (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) تعمل على جمع أخباره ونشر ما انطوى من مختلف آثاره فكان أول ما أصدرته السفر الأول المسمى (تعريف القدماء بأبي العلاء) اقتصرت فيه على تراجمه وأخباره ونشرته خلال ايام المهرجان ثم في سنة ١٩٤٥ م اصدرت السفر الثاني واقتصرت فيه من شروح أشعار ابي العلاء المسماة (سقط الزند) على ثلاثة (التبريزي) (والبطليوسي) (والخوارزمي) وجعلته أقساماً وضمنت كل قسم ما قاله الشراح الثلاثة على كل قصيدة من قصائد (السقط) فتذكر البيت من القصيدة وتعقبه بما قاله كل واحد من الثلاثة في شرح معناه وهي طريقة طريفة يستخفها المطالع من حيث أنها تُسهل عليه تناول الفائدة وتقريب ما يريد فهمه من شعر ابي العلاء فالقسم الأول من السفر الثاني استوعب شرح اربع عشرة قصيدة ولم يصل الينا القسم الثاني ، ويظهر أنه استوعب سبعاً وعشرين قصيدة حتى وصل الى مجمعنا بالأمس القسم الثالث مطبوعاً كاخوته في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٧ م

وقد استوعب هذا القسم اثنين وعشرين قصيدة فالمجموع الناجز الى اليوم ٦٣ قصيدة.
وأولى قصائد هذا القسم (اي الثالث) في رثاء ابي ابراهيم العلوي ومطلعها :
(بني الحسب الوضاح والشرف الجم   لساني ان لم ارث والدكم خصمي)
وهو في نحو ٤٦٠ صفحة حسنة الطبع كاملة القطع توفرت فيها العناية ومظاهر الضبط والتصحيح والتعليق الى أقصى حد ممكن، ولا عجب فان أعضاء اللجنة من أنجب من أنبتتهم ارض مصر وأكملهم ثقافة وأشدهم كلفاً بخدمة العلم.

أشرنا آنفاً الى عناية اللجنة بالتعليق والشرح بيد أنا عثرنا ونحن نتصفحه على بضع ملاحظات أحببنا ذكرها توفية لخدمة الكتاب واستئناساً بمشايعة اخواننا أعضاء اللجنة في عملهم.

ص ٩٨٧ في الهامش : قولهم وانما كان مولد الشافعي يوم وفاة ابي حنيفة فلا يتصور التحامل منه على ابي حنيفة صوابه (التحامل على الشافعي) كما هو ظاهر من سياق الكلام في المتن.

ص ١٠٩٩ في الهامش : المَيْس شجر تُعمل منه الرماح صوابه تعمل منه اكوار الإبل ورحالها وكان يحسن ان يقال في التعليق على كلمة الميس الواردة في هذا المقام هكذا : (الميس) اكوار الابل وهو اسم شجر سميت الرحال والاكوار باسمه. وهذا كالشيزى اسم لشجر اسود تتخذ منه جفان تسمى باسمه والغضار اسم لطين حر علك تتخذ منه آنية خزفية وتسمى باسمه. والركب في بيتي ابي تمام انما يمتطون أكوار الميس لا اشجاره.

ص ١١٠٧ قول رؤبة (اذا الدليل استاف أخلاق الطرق) (أخلاق) بالقاف كذا رواها الشراح الثلاثة وقال المصححون : (أخلاق الطرق) هي الطرق القديمة العادية ثم أحالوا القارئ الى خزانة الأدب وديوان رؤبة وأرى ان كلمة (اخلاق) صحفت على من رواها عن رؤبة لا على رؤبة نفسه وانما قال (اي رؤبة) (اذا الدليل استاف اخلاف الطرق) بالفاء لا بالقاف والاخلاف جمع خلف

وهو للناقة بمنزلة الضرع لغيرها جعل رؤبة للطرق اخلافاً بعد ان شبهها بالنياق وكانوا اذا أخطأ الدليل الطريق في الظلام عمد الى ترابه فاستافه اي شمه ليعلم من رائحة ما اختلط به من بول او روث ان كان الطريق طريقه الذي يريده أم لا وهذا كالفصيل يشم اخلاف أمه ليعلم ان كانت هي أمه فيمتلج أم لا فيعمد الى غيرها حتى يهتدي الى أمه (والأخلاق) بالقاف جمع (خَلَق) وأكثر ما توصف به الثيـاب وما يتخذ منها : رداء خلق · ملحفة خلق جبة خلق الخ ولم نر في المعاجم أثراً لوصف الطرق بالخلوقة فلم ينقلوا أنه يقال طريق خَلَق أي قديم او بالٍ على ان الدليل انما يعمد الى شم تراب الطريق الذي يشك فيه سواء أكان قديماً أم حديثاً · وقد استعمل هذه الجملة (استاف اخلاف الطرق) عبد الله بن احمد الخازن من صنائع الصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥) وملازمي مجلسه ثم هجره مغاضباً ثم تاب اليه تائباً وقال في كتاب قص فيه واقعة حاله : (وصبحت جرجان اهدى من القطا الكدري · كأني دعيميص الرمل · استاف أخلاف الطرق الخ) كذا ورد نص هذا الكتاب في ترجمة الخازن في يتيمة الدهر للثعالبي طبعة دمشق (جزء ٣ ص ١٤٨) وفيه (أخلاف) بالفاء وليس في هذا حجة ما دام التصحيف ممكناً وانما حجتنا ما ذكرناه آنفاً · والحجة الوثق هي مخطوطة ديوان (رؤبة) المقروءة على الشيوخ بالرواية عنه اذا تيسر العثور عليها ·

ص ١١٨٧ في الهامش قول متمم بن نويرة :

(وما وجد أظآر ثلاث روائم أصبن مَجَرّاً من حوار ومصرعا)

المجرّ موضع جر الشيء قال ابو الطيب المتنبي (مجرّ عوالينا ومجرى السوابق) وهنا الحوار اذا صرع اما يكون له مجرّ يُجرُّ فيه ؟ نعم ولكن ربما كان الأصح والأصوب (مخرّ) بالخاء المعجمة بمعنى المصرع جاء في اللسان (وخرّ مات وذلك ان الرجل اذا مات خرّ اي سقط ····· وقوله تعالى : فلما خر تبينت الجن · يجوز ان تكون خر هنا بمعنى وقع ويجوز ان تكون بمعنى مات اهـ)

وأشرنا آنفاً الى ان (مجرا) بالجيم لا تعدم تأويلاً ولا سيما اذا ظفرنا برواية عن الشيوخ ·

ص ١١٩٩ قال امرؤ القيس يصف ثغراً :

(منابتــه مثل السدوس ولونه كشوك السيال وهوعذب يفيص)

فسروا (في الهامش) يفيص بمعنى يحيد وتفسيره بذلك لا يناسب هنا وانما المناسب ان يفسر بأحد معانيه الأُخر وهو ما فسره به اللسان في مادة (فيص) (جزء ٨ ص ٣٣٥) وهذه عبارته (وقول امرئ القيس منابته مثل السدوس الخ قال الأصمعي ما أدري ما يفيص · وقال غيره هو من قولهم فاص في الأرض اي قطر[1] وذهب · قال ابن بري وقيل يفيص يبرُق · وقيل يتكلم يقال فاص لسانه بالكلام وأفاص الكلام أبانه · فيكون يفيص على هذا حالاً أي هو عذب في حال كلامه اه) · فيفيص في قول امرئ القيس عن الثغر (وهو عذب يفيص) انما يفسر بأحد هذه المعاني أما تفسيره بيحيد فلا نرضى به وان ارضانا كل ما جاء به اولئك الفضلاء مصححو (شروح سقط الزند) ومفسروها والمعلقون عليها جزاهم الله خيراً عن أتعابهم في خدمة لغتنا وآدابنا ·

المغربي



(١) قطر في الأرض قطوراً ذهب وأسرع ·

من تراث النبوة

في العلم والحكمة والأخوة

تأليف الأستاذ حمدي عبيد

طبع في مطبعة الترقي بدمشق في زهاء ٢٠٠ صفحة بالقطع الصغير

جمع المؤلف في هذا الكتاب المفيد ١٥٥ حديثاً نبوياً التقطها من حديث البخاري وكأنه راعى في اختيارها الإيجاز . ليسهل استظهارها على مطلق الناس . كما انه تعمد بسط معناها بعبارة لينة لا تعقيد فيها ولا تكلف جزالة زيادةً في تسهيل فهمها . وتيسير أمرها على قارئها . والقليل من هذه الأحاديث المختارة في العبادات . وجلّها في يسر الاسلام وفي الآداب ومكارم الأخلاق فما أجدر الجمهور من عامة وفتيان وفتيات بالحرص على مطالعتها والاستضاءة بنور هدايتها مكان تلك (النشريات) الملأى بما يضر ولا ينفع . ويفسد ولا يصلح . والكتاب حسن الحرف جيد الطبع وقد ضبطت احاديثة الشريفة بالشكل الكامل فكان بمجموعه قليل الأغلاط ، ومما لاحظناه عليه وأحببنا التنبيه اليه ان المؤلف ترك تفسير الألفاظ اللغوية الواردة في الحديث والاكتفاء بفهم القارئ لمعنى اللفظ من السياق أو من الشرح والتعليق على الحديث : فأحياناً لا يفهم القارئ معنى اللفظ اللغوي بالمرة وأحياناً يفهمه على صواب كتفسير فعل (لا تزرموه) (ص ١٤) وأحياناً يفهمه على خطأ كتفسير قوله ﷺ (ولعل بعضهم ألحن بحجته) ـ وفسر (اللحن) بالفصاحة وقوة الحجة إذ قال الشارح (لهم ألسنة فصيحة وحجة قوية) (ص ٥٣) مع ان صاحب النهاية في تفسير غريب الحديث يقول في تفسيره : (أراد ان بعضكم يكون أعرف بالحجة وأفطن لها من غيره) وتابعه السيوطي فقال : (أي أفطن لها وأعرف بها) ومهما يكن من أمر فللمؤلف الشكر وجزيل الأجر .

المغربي



آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

١ الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع) دمشق
٢ الدكتور اسعد الحكيم 〃
٣ الأمير جعفر الحسني 〃
٤ الدكتور جميل الخاني 〃
٥ 〃 جميل صليبا 〃
٦ 〃 حسني سبح 〃
٧ الأستاذ خليل مردم بك (أمين السر العام) «
٨ 〃 سليم الجندي 〃
٩ 〃 شفيق جبري 〃
١٠ 〃 عارف النكدي 〃
١١ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس) «
١٢ الاستاذ عز الدين التنوخي 〃
١٣ 〃 فارس الخوري 〃
١٤ السيد محسن الأمين 〃
١٥ الاستاذ محمد البزم 〃
١٦ الشيخ محمد بهجة البيطار 〃
١٧ الدكتور مرشد خاطر 〃
١٨ الأمير مصطفى الشهابي 〃
١٩ الدكتور منير العجلاني 〃
٢٠ الاستاذ هنري لاوست 〃

٢١ الشيخ راغب الطباخ حلب
٢٢ 〃 عبد الحميد الجابري 〃
٢٣ 〃 عبد الحميد الكيالي 〃
٢٤ الدكتور عبد الرحمن الكيالي 〃
٢٥ الاستاذ عمر ابوريشة 〃
٢٦ الشيخ محمد زين العابدين 〃
٢٧ البطريرك مار اغناطوس افرام حمص
٢٨ الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) اللاذقية
٢٩ الشيخ سعيد العرفي دير الزور
٣٠ 〃 ابراهيم منذر بيروت
٣١ الاستاذ أنيس المقدمي 〃
٣٢ 〃 بشارة الخوري 〃
٣٣ الدكتور صبحي المحمصاني 〃
٣٤ 〃 عمر فروخ 〃
٣٥ الشيخ فؤاد الخطيب 〃
٣٦ الفيكونت فيليب دي طرازي 〃
٣٧ الدكتور نقولا فياض 〃
٣٨ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف زحلة
٣٩ الشيخ احمد رضا جبل عاملة

٤٠	الشيخ سليمان ظاهر	جبل عاملة
٤١	الأب ا.س. مرمرجي الدومنكي	القدس
٤٢	محمد الشربتي باشا	عمان
٤٣	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٤٤	طه باشا الهاشمي	«
٤٥	الاستاذ عباس العزاوي	«
٤٦	الشيخ كاظم الدجيلي	«
٤٧	« محمد بهجة الاثري	«
٤٨	الدكتور مصطفى جواد	«
٤٩	الاستاذ احمد حامد الصراف	«
٥٠	« كوركيس عواد	«
٥١	الدكتور داود الچلبي	الموصل
٥٢	الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني	القاهرة
٥٣	احمد امين بك	«
٥٤	الاستاذ احمد حسن الزيات	«
٥٥	الدكتور احمد زكي بك	«
٥٦	احمد لطفي السيد باشا	«
٥٧	الاستاذ خليل ثابت	«
٥٨	خليل مطران بك	«
٥٩	الاستاذ خير الدين الزركلي	«
٦٠	الدكتور طه حسين بك	«
٦١	الاستاذ عباس محمود العقاد	«
٦٢	الدكتور عبد الوهاب عزام	«
٦٣	الشيخ محمد الخضر حسين	«
٦٤	الاستاذ محمد لطفي جمعة	«
٦٥	الأمير يوسف كمال	«
٦٦	الأستاذ عبد الحميد العبادي	الاسكندرية
٦٧	حسن حسني عبدالوهاب باشا	تونس
٦٨	الاستاذ مارسه	«
٦٩	« عبد الحي الكتاني	فاس
٧٠	« عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	عليكر
٧١	« عباس إقبال	طهران
٧٢	« محمد الحجوي	مراكش
٧٣	« كي	بوليفيا
٧٤	« ماسه	باريس
٧٥	« دوسو	«
٧٦	« كولان	«
٧٧	« ماسينيون	«
٧٨	« هيس	سويسرا
٧٩	« كرينكو (كمبردج)	انكلترا
٨٠	« ه.ا. رجيب (اوكسفورد)	انكلترا
٨١	« بروكلمن	المانية
٨٢	« هارتمان (ريشار)	«
٨٣	« سترستين	السويد
٨٤	« استروب	الدانيمارك
٨٥	« موجيك	فينا
٨٦	« ماهلر	بودابست
٨٧	« كراتشكوفسكي	لينينغراد
٨٨	« كرسيكو	فنلاندة
٨٩	« فيليب حتي	اميركة
٩٠	« هرزفلد	«
٩١	« سعيد ابو جمرة	البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٢٣	الاستاذ حسن بيهم	بيروت
٢	〃 سليم البخاري	〃	٢٤	الأب لويس شيخو	〃
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	〃	٢٥	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٤	〃 الياس قدسي	〃	٢٦	الاستاذ جبر ضومط	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃	٢٧	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٦	〃 جميل العظم	〃	٢٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٧	〃 مالنجو	〃	٢٩	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃	٣٠	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃	٣١	〃 بولص الخولي	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃	٣٢	〃 امين الريحاني	لبنان
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃	٣٣	الامير شكيب ارسلان	〃
١٢	الاستاذ اديب التقي	〃	٣٤	الاستاذ جرجي يني	طرابلس الشام
١٣	〃 معروف الأرناؤط	〃	٣٥	〃 نخلة زريق	القدس
١٤	الأب جرجس شلحت	حلب	٣٦	الشيخ خليل الخالدي	〃
١٥	〃 جرجس منش	〃	٣٧	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
١٦	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃	٣٨	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
١٧	الشيخ كامل الغزي	〃	٣٩	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
١٨	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃	٤٠	الاستاذ محمود شكري الآلوسي	بغداد
١٩	الشيخ بدر الدين النعساني	〃	٤١	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٢٠	الدكتور صالح قنباز	حماة	٤٢	〃 معروف الرصافي	〃
٢١	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية	٤٣	〃 طه الراوي	〃
٢٢	الاستاذ ادوار مرقص	〃	٤٤	الأب انستاس ماري الكرملي	〃

٤٥	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٤٦	احمد زكي باشا	〃
٤٧	احمد شوقي بك	〃
٤٨	الاستاذ اسعد خليل داغر	〃
٤٩	حافظ ابراهيم بك	〃
٥٠	السيد محمد رشيد رضا	〃
٥١	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٥٢	احمد كمال باشا	〃
٥٣	احمد تيمور باشا	〃
٥٤	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥٥	الدكتور يعقوب صروف	〃
٥٦	الاستاذ اوجينيو غريفيني	〃
٥٧	〃 رفيق العظم	〃
٥٨	〃 داود بركات	〃
٥٩	الدكتور امين المعلوف	〃
٦٠	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٦١	الدكتور احمد عيسى بك	〃
٦٢	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٦٣	انطون الجميل باشا	〃
٦٤	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٦٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦٦	الاستاذ رينه باسه	〃
٦٧	〃 ميشو بلاير	طنجة
٦٨	〃 زكي مغامز	الاستانة
٦٩	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٧٠	الاستاذ فران	باريس
٧١	〃 كليمان هوار	〃
٧٢	〃 بوفا	〃
٧٣	〃 جويدي	ايطاليا
٧٤	〃 نللينو	〃
٧٥	〃 هومل	المانيا
٧٦	〃 ساخاو	〃
٧٧	〃 هوروفيتز	〃
٧٨	〃 مارتين هارتمان	〃
٧٩	〃 ميتفوخ	〃
٨٠	〃 مونته	سويسرا
٨١	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٨٢	〃 اراندونك	〃
٨٣	〃 هوتسما	〃
٨٤	〃 مرجليوث	انكلترا
٨٥	〃 بفن	〃
٨٦	〃 براون	〃
٨٧	〃 بوهل	الدانيمارك
٨٨	〃 بدرسن	〃
٨٩	〃 اغناطيوس غولدصهير	بودابست
٩٠	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
٩١	الاستاذ ماكدونالد	اميركا
٩٢	〃 آسين بلاسيوس (مجريط)	اسبانيا
٩٣	〃 لويس (اشبونة)	البرتغال
٩٤	〃 موزل	تشكوسلوفاكية
٩٥	〃 كوفالسكي	بولونيه

طه الراوي

هو الأستاذ النحوي الأديب المتفنن السيد طه بن السيد صالح الفُضَيل الراوي نسبةً الى « راوة » قرية مشرفة على الفرات تقابل « عانة » أو « عانات »[١] البلد القديم المشهور في العراق . ولد سنة ١٣١٠ هـ — ١٨٩٢ م في راوة ، ونشأ بين قوم لهم في القبائل أنساب يتمجّدون بها ، وكثير منهم يدعون العَزْوة الى السلالة النبوية ويغلب عليهم التدين والشظف لبعد صقعهم عن العمران . فلما كان في نحو العاشرة ذهب الجُدَريُّ بإحدى عينيه ، فيقال إنه ما رُئِيَ غلام يجزع مما حلّ به جزعَهُ . حتى اذا شبّ شبابه لم تتسع القرية الصغيرة لمطارح آماله ، فهجرها الى « بغداد » في طلب العلم ، وليس له فيها من وَزَر يلجأ اليه إلاّ نفس صافية تألف وتُؤلف وذكاء حادّ يحببه الى الأرواح وتدين بريء يعطف عليه القلوب ، فأوى الى مساجد الكرخ والرُّصافة زمناً طويلاً ، واختلف الى المدارس ومجالس العلم يتلقى عنها علوم العربية والشريعة ويحفظ المتون ويستوعب الشروح والحواشي في جدٍّ بالغ ونفس ظامئة الى منازل الكمال ، فكان لحرصه وقلة ذات يده يقرأ كتب العلم والأدب في ضوء الشمعة فاذا عزّ عليه ففي ضوء القمر[٢] . حتى اذا أوفى من (علوم الجادّة) على الغاية أو كاد ، سما الى الاستزادة من معرفة علاّمة العراق شيخنا الإمام السيد محمود شكري الآلوسي رحمه الله ، وذلك في غمرة الحرب العالمية الأولى ، فأسعفه بالإعفاء من حمل السلاح ، واكتُفي منه بتعليم رجال الجيش ومدربيه من الجرمانيين اللغة العربية ونحوها وصرفها .

ولما استولى البريطانيون على العراق وبدأوا اعادة سيرة التعليم النظامي فيه ، انتمى الى « مدرسة المعلمين » ، وعين بعد ستة أشهر قضاها فيها مديراً لمدرسة ابتدائية في الكرخ ، وأوى الى الحياة الزوجية . ثم عين بعد عامين مدرساً في

(١) معجم البلدان ١٠٢/٦ مطبعة السعادة ، القاهرة .

(٢) حدث بهذا عنه ابنه الأوسط . مجلة الرحاب ، الجزء السادس ١٩٤٦/١٢/٢٢ م .

« دار المعلمين الابتدائية » فالمدرسة « الثانوية المركزية » . ودخل « كلية الحقوق » طالباً ، فاستعان بشهادتها على الانتقال الى المسلك الإداري ، وعين سنة ١٩٢٦ مديراً للمطبوعات ، ثم أميناً لسر مجلس الأعيان في سنة ١٩٢٨ ، وكان معتماً فاستبدل الزي الافرنجي (وهو الزي الرسمي للموظفين) بالجبة والعمامة ، واستمر الى جانب عمله الاداري يدرس ويحاضر ، في بعض المعاهد العالية ، في التاريخ العربي والاسلامي والتفسير والحديث والأدب وعلوم العربية .

وطفق في هذه المرحلة من حياته ينتهز الفرص للرحلة ، فزار تركية وسورية ومصر ، وأفاد من لقاء العلماء صداقة وخبرة ونظراً وعلماً ، وتوسم فيه رجال « المجمع العلمي العربي » في دمشق الفضل ، فانتخبوه في ١٩٣٣/١/٥ م عضواً مراسلاً ، وشرع ينشر في مجلته أبحاثه ومحاضراته .

كما أتاحت له تسع سنين لبثها في وظيفته بمجلس الأعيان صداقات وصلات وثيقة بهؤلاء الرجال الذين يؤتى بهم الى مناصب الدولة ومجلسي التشريع ، وأعانه على كسب هذه الصداقات والصلات دماثة لطيفة فيه وجودة تصرّف وحسن مداخلة ، فاستأنس بعشرته من كان يصيب اللذة بالأحاديث والأسمار من القوم ، ورجع الى مذاكرته بما يدور في المجلس من شؤون السياسة والتشريع آخرون مثقفون ثقافة تركية عسكرية او مدنية ليقيم لهم على عمود القوانين رأياً يريدون إعلانه ، او يحكك لهم كلاماً مكتوباً يبغون إذاعته في الصحف المنشّرة .

فلما صارت الوزارة الى بعض هؤلاء أسندوا اليه مديرية المعارف العامة في ١٩٣٧/٩/١٩ م . وما لبث أن دار الفلك دورته ، واذا بالسياسة المتحوّلة من يد الى اخرى تمتدّ اليه بالتحويل الى مسالك التعليم وتجعله استاذاً في « دار المعلمين العالية » في ١٣/ ٣/ ١٩٣٩م كأن العناية الالهية تأبى الا تيسيره لما خلق له من القيام على اللغة القومية وآدابها . فلم يزل في منصبه هذا الى أن وافاه اجله ضحوةَ يوم الاثنين ٢٤ ذي القعدة ١٣٦٥ هـ - ٢١ تشرين الأول ١٩٤٦ م .

⁂

كان المترجم به واسع الرواية ، غزير العلم ، متفنناً ، صاحب ملكات عالية وذكاء حادّ ، حسن الاستنباط ، جيّد التوليد ، سليم الفكر ، غير أنه كان يؤثر الانزواء ويرى الخِيَرة في الوقوف عند حدود المدرسة ومذاكرة الرفقاء ، وابث على ذلك دهراً لم يؤثر عنه فيه أثر منظور ذو خطر . الى أن انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً ، فبدأ ينشر في مجلته ما تهيأ له من ابحاث ورسائل ، كما بدأ ينشر في بعض المجلات العراقية محاضراته ، وكان العقد الأخير من عمره احفل ايامه بالبحث والنشاط للكتابة في الصحف اليومية في موضوعات شتى يعالجها معالجة خفيفة سهلة حيناً فيكتفي منهـا بالرأي العارض والنظرة العجلى مسايرةً لطبيعة الحوادث الزمنية المسرعة في السير . ويعالجها معالجة دقيقة مستوعبة حيناً آخر فيتعمق الفكرة ويستقصي ويبالغ في هذا الاستقصاء ويجوّد التعبير حتى لتجد عنده طابع المنشئين الأوائل من السجع والموازنة وقوة الأسر ونصاعة البيان .

ولقد أتاحت له الحرب العالمية الأخيرة وضرورات التعاون المحدث بين الأقطار العربية في اثنائها فرصاً مواتية لهذا النشاط الى الكتابة في الصحف والظهور في المجتمعات . اذ انتدبته الحكومة العراقية لتمثيلها في بعض المؤتمرات الثقافية والتربوية والمهرجانات الأدبية في مصر والشام ، فذاكر وحاضر وخطب وكتب ، وعمل في كثير من الجمعيات ورأس بعض اللجان العلمية في وزارة المعارف .

***

أما الآثار التي خلفها مما حاضر ودرس وكتب ، فهي :

(١) « بغداد مدينة السلام » نُشِر ملخصاً في سنة ١٩٤٥م في جملة سلسلة (إقرأ) لدار المعارف في القاهرة .

(٢) « ابو العلاء في بغداد » طبع سنة ١٩٤٤ م بمطبعة التفيض الأهلية

بغداد ، وهو محاضرة تقع في ٧١ صفحة حاضر بها في الموسم الثقافي ، وكان تقيمه وزارة المعارف في اثناء الحرب الأخيرة .

(٣) «نظرة في النحو» بحث يتضمن أنظاراً مقبولة في بابها ، نشر في مجلة المجمع العلمي العربي تباعاً .

(٤) «رسالة الضاد والظاء» لم أرها .

(٥) «تفسير سورة البقرة» نشر اكثره في مجلة الهداية الإسلاميه البغدادية .

(٦) «تاريخ العرب قبل الإسلام» محاضرات حاضر بها طلاب جامعة آل البيت التي انشئت في اوائل ايام الحكومة العراقية ولم تطل مدتها ، نشر اكثرها في مجلة الهداية الإسلامية البغدادية .

(٧) «تاريخ علوم الأدب» مخطوط في مجلد لطيف .

(٨) «الأخلاق» مخطوط يبلغ زهاء ١٠٠ صفحة ، وهو خلاصة محاضراته في كلية الشرطة ببغداد .

(٩) «الرسائل والمقالات» مجموعة ما نشر في الجرائد والمجلات من المقالات العلمية والأدبية والاجتماعية .

(بغداد)  محمد بهجة الأثري

مؤتمر اليونسكو الثالث

تتألف منظمة الأمم المتحدة للعلم والتربية والثقافة من ثلاثة أقسام رئيسية : المؤتمر العام والمجلس التنفيذي وامانة السر العامة . اما المؤتمر العام فيشبه المجلس النيابي في كل دولة ، وهو يحدد توجيه المنظمة ، ومنهجها العام ، ويبدي رأيه في البرامج التي يهيئها المجلس التنفيذي ويقر الميزانية ، وينصح منظمة الأمم المتحدة في القضايا التربوية والعلمية والثقافية ، ويتسلم تقارير الدول الأعضاء ، وينتخب أعضاء المجلس التنفيذي والمدير العام .

وأما المجلس التنفيذي فيتألف من ١٨ عضواً ينتخبهم المؤتمر العام وهو مسؤول

عن تنفيذ البرنامج الذي يقرره المؤتمر، ويشرف على اعمال المنظمة ويهيئ ترتيب اجتماعات المؤتمر وبرنامج أعماله .

وأما أمانة السر العامة فتقوم بتنفيذ جميع المشاريع والخطط، ولها مدير عام ينتخبه المؤتمر ولموظفيها صفة دولية محضة .

ان الاجتماع الأول لمؤتمر اليونسكو العام عقد في باريز عام ١٩٤٦، والاجتماع الثاني عقد في مكسيكو عام ١٩٤٧ . أما الاجتماع الثالث فقد عقد في بيروت بدعوة من الحكومة اللبنانية بين السابع عشر من شهر تشرين الثاني والحادي عشر من شهر كانون الأول عام ١٩٤٨ .

لقد قام مؤتمر بيروت بدراسة جميع القضايا الواردة في جدول أعماله وعالج قضايا اخرى غيرها واهتدى الى مقررات تربوية وعلمية وثقافية لم يصل اليها في باريز ومكسيكو . ويرجع ذلك في نظرنا الى حسن تنظيمه ورغبة أعضائه في التفاهم والتعاون وايمانهم جميعاً بمبادئ اليونسكو .

تنظيم المؤتمر :

افتتح المؤتمر في الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء السابع عشر من شهر تشرين الثاني عام ٩٤٨ من قبل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية في حفلة رسمية القيت فيها بعض الخطب، ثم عقد المؤتمر اجتماعه الأول في الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم نفسه، فدرس بعض القضايا الادارية وانتخب السيد حميد فرنجية وزير التربية الوطنية للحكومة اللبنانية رئيساً له . ثم وزع بعد ذلك اعماله المختلفة على اللجان وهي :

(١) الهيئة العامة　　(٢) لجنة الصلاحيات　　(٣) لجنة النظام الداخلي
(٤) لجنة الترشيح　　(٥) اللجنة الادارية　　(٦) لجنة العلاقات الرسمية والخارجية　　(٧) لجنة البرامج والميزانية .

ولجنة البرامج والميزانية أكثر لجان المؤتمر عملاً وأعظمها نشاطاً، لذلك انقسمت الى عدة لجان فرعية وهي :

١ — اللجنة الفرعية للميزانية ٢ — اللجنة الفرعية للتعمير
٣ — اللجنة الفرعية لوسائل نشر الأفكار ٤ — اللجنة الفرعية للتربية
٥ — اللجنة الفرعية للعلوم الاجتماعية ٦ — اللجنة الفرعية للعلوم الطبيعية
٧ — لجنة المسائل الثقافية .

وقد سبق اجتماع هذه اللجان كلها اجتماع خاص عقده مندوبو اللجان الثقافية الوطنية لبحث المشاكل التي تلاقيها هذه اللجان في ممارسة اعمالها .

ومما يدل على نشاط المؤتمر وكثرة أعماله ان هيئته العامة عقدت (١٩) جلسة القيت فيها كثير من الخطب حول تقرير المدير العام وبحثت فيها تقارير اللجان الفرعية .

ويكاد يكون لأعمال لجنة الصلاحيات ، ولجنة النظام الداخلي ، ولجنة الترشيح ، واللجنة الادارية ، ولجنة العلاقات الرسمية والخارجية ، واللجنة الفرعية للميزانية ، واللجنة الفرعية للتعمير صفة ادارية محضة ، اما أهداف اليونسكو الحقيقية ووسائل تحقيقها فلم تعالج الا في اللجان الفرعية الأخرى كاللجنة الفرعية للتربية والعلوم الاجتماعية والانسانية والعلوم الطبيعية ، والمسائل الثقافية ، ووسائل نشر الأفكار .

قرارات المؤتمر :

ان في القرارات التي اتخذها المؤتمر في ميدان التربية والنشاط الثقافي وفي ميدان العلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية . وفي وسائل التبادل الثقافي ونشر الأفكار اموراً كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا ، كما ان في التقارير التي قدمتها الدول الأعضاء عن نشاط لجانها الوطنية ، وفي الخطب التي القيت في الجلسات العامة والخاصة افكاراً مختلفة يصعب جمعها في مقال واحد . فلنقتصر الآن اذن على الإشارة دون الإبانة ، وعلى التلميح دون التصريح .

تنقسم قرارات المؤتمر في نظرنا الى قسمين : فمنها ما هو عام يشمل الدول العربية وغيرها من الدول ومنها ما هو خاص بالدول العربية وحدها .

أما القرارات العامة فتشتمل على قسمين الأول اداري والآخر فني . فمن المسائل الادارية : تنظيم الميزانية ، وتحديد الملاك ، وانتخاب المدير العام ، وقبول

بعض المراقبين والأعضاء الجدد ، وانتخاب ستة أعضاء للمجلس التنفيذي . ومن القرارات الفنية ما يتعلق بالتربية والعلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية والنشاط الثقافي ، وهي كلها ذات صفة توجيهية عامة سنعود الى ذكرها في مقال آخر ، حتى لقد عاب بعض الخطباء على المؤتمر اقتصاره على هذه المسائل العامة ، وعدم عنايته بدراسة بعض المسائل الثقافية دراسة فنية عميقة ، فاقترح لذلك بعض الخطباء ان ينصرف المؤتمر في دورته القادمة الى دراسة مسألة او مسألتين دراسة علمية شاملة كمسألة حرية الفكر ، او مسألة تعليم التاريخ او مسألة التربيـة الأساسية أو غيرها .

القرارات الخاصة بالعالم العربي :

القرارات الخاصة بالعالم العربي تشتمل على عدة مسائل أهمها مساعدة اللاجئين الفلسطينيين واقصاء المؤسسات الصهيونية عن المؤتمر ، والاعتراف بان اللغة العربية لغة رسمية من لغات اليونسكو ، وتأسيس مركز اقليمي للعلاقات الثقافية في بلدان الشرق الأوسط ، ولنبحث الآن كل مسألة من هذه المسائل على حدة .

١ — اعانة اللاجئين الفلسطينيين : لقد وافق مؤتمر اليونسكو بالاجماع على تقديم الاعانة للاجئين الفلسطينيين من ميزانية التعمير والانشاء التربوي ، ولفت اهتمام السلطات المختصة ولا سيما مؤسسات التعليم العالي الى ذوي الثقافة العالية من اللاجئين الذين يمكن الاستفادة من معارفهم في مختلف حقول العلم . ويمكن ان يعد هذا القرار نتيجة للقرار الذي اتخذته اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية في دورتها الرابعة المنعقدة في لبنان خلال الصيف الماضي . اذ أوصت الحكومات العربية بأن تتخذ الاجراءات اللازمة كي تقدم اليونسكو من ميزانية التعمير مساعداتها لانشاء مدارس جديدة للطلبة الفلسطينيين وتعمير ما خربته الحرب من المعاهد الفلسطينية على ان لا يكون لهذه الاعانة اي وسيلة للتدخل في شؤون فلسطين والمساس بحقوق السلطات المشرفة عليها .

٢ — المؤسسات اليهودية : ومن القضايا التي واجهتها الوفود العربية في اليوم الأول من أيام المؤتمر البحث في قبول ممثلي المؤسسات اليهودية او عدم قبولهم . لقد دارت حول قبول هؤلاء الممثلين مناقشات طويلة انسانية وغير انسانية . فالذين أيدوا قبولهم زعموا ان من واجب المؤتمر ان يسمو الى جو انساني بعيد عن السياسة والذين رفضوا قبولهم ايدوا رأيهم بالفظائع التي ارتكبها الصهيونيون في فلسطين وبمضادة مبادئ مؤسساتهم لأهداف اليونسكو العامة . وقد تبين بعد البحث ان ممثلي المؤسسات اليهودية لم يلبوا دعوة المجلس التنفيذي ، ولم يصل احد منهم الى بيروت فكان هذا الأمر في النهاية حجة جديدة في يد الوفود العربية لحمل المؤتمر على اسقاط اسمائهم . فوافق المؤتمر على اقصائهم عن دورته الحاضرة .

٣ — اللغة العربية : ومما طلبته الوفود العربية من المؤتمر ان تتخذ منظمة اليونسكو لغتنا العربية لغة عمل لها كاللغة الانكليزية والفرنسية . فوافق المؤتمر على ان تكون اللغة العربية لغة رسمية لا لغة عمل . والفرق بين اللغة الرسمية ولغة العمل في نظام اليونسكو ان اللغة الرسمية لا تستعمل الا لترجمة الاقتراحات المتعلقة بتبديل ميثاق اليونسكو . اما لغة العمل فتستعمل في جميع المراسلات والنشرات والوثائق وضبوط الجلسات . وفي وسع الأعضاء أن يخطبوا في لغة العمل وان يستعملوها في مذاكرات اللجان وجلسات المؤتمر العامة . وليس لهم ان يستعملوا لغة اخرى غيرها الا اذا هيأوا هم أنفسهم وسائل الترجمة الى احدى لغات العمل كما فعل لبنان في دورة المؤتمر الحاضرة .

لقد أيدت الوفود العربية اقتراح دول امريكا اللاتينية بعدّ اللغة الاسبانيولية لغة عمل ضمن شروط خاصة ، وادى هذا التأييد الى وقوف هذه الدول موقفاً كريماً من القضايا التي تهم العالم العربي . اما اللغة العربية فقد اكتفى المؤتمر بعدها لغة رسمية تترجم اليها أمهات الوثائق كتقرير المدير العام والميزانية وبرنامج المؤتمر وغير ذلك . وقد وضع لهذا الغرض في ميزانية عام ١٩٤٩ مبلغ قدره عشرون الف دولار .

٤ – المركز الاقليمي للعلاقات الثقافية في بلدان الشرق الأوسط : ومن المسائل التي بحثها المؤتمر انشاء مركز اقليمي للعلاقات الثقافية في الشرق الأوسط .

ان انشاء هذا المركز على أساس جغرافي لا يخلو من المشاكل السياسية التي تعرقل عمل الثقافة لذلك رأت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ان تقيد انشاءه بثلاثة شروط وهي :

آ – ان يكون المركز مقصوراً على الدول العربية نظراً لاتحاد ثقافتها وتقارب ميولها .

ب – ان تكون اكثرية اعضاء المركز من الحكومات العربية يختار كل قطر من يمثله، وان يكون للحكومات العربية رأي فيمن يختارهم اليونسكو له .

ج – ان يكون للحكومات العربية وحدها اختيار القطر الذي سينشأ المركز فيه .

لذلك رأى مؤتمر اليونسكو ان يستبدل بانشاء المركز الاقليمي في هذا العام فكرة جديدة وهي انشاء مكتب في باريز للاتصال الثقافي يقوم بايفاد الخبراء والممثلين الاقليميين لدراسة العلاقات الثقافية بين بلدان الشرق الأوسط .

تلك هي أهم المسائل الخاصة بالعالم العربي . وهناك مسائل اخرى غير هذه كتأليف لجنة من الخبراء العالميين والخبراء العرب لدراسة شؤون التربية الأساسية في بلدان الشرق العربي ، وترجمة كتب ابن سينا الى اللغات الأجنبية لمناسبة مرور الف عام على ميلاده ، وانتخاب عضو عربي للمجلس التنفيذي ، ونقد ما جاء في تقرير المدير العام من الاشارة الى ما في بلدان الشرق الأوسط من الانعزالية والتعصب ، وتأليف كتاب في تاريخ الثقافات وتطور العلم يشترك في وضعه علماء اختصاصيون يمثلون الثقافات العالمية الكبرى كالثقافة اليونانية واللاتينية والعربية والفارسية والهندية والصينية وغيرها . وقد أيدت سورية ولبنان مشروع هذا الكتاب لاعتقادهما انه سيؤدي الى تقريب الأمم بعضها من بعض ، والى اقامة حصون السلام في نفوس الناس .

* * *

ولعل أعظم فائدة جنتها البلاد العربية من انعقاد المؤتمر في بيروت اطلاع البلاد العربية على ما تقوم به منظمة اليونسكو من الأعمال الثقافية في سبيل توطيد السلام ، واطلاع البلاد الأخرى على ما بلغته الدول العربية من الرقي في مضمار التربية والعلم والثقافة . فقد ألقى ممثلو الدول العربيـة عدة خطب ومحاضرات أشاروا فيها الى أثر العرب في العلم والفلسفة والثقافة والى ما تبذله حكوماتهم من الجهود العظيمة في سبيل تعميم التربية وتحقيق مناهج اليونسكو ، واقيمت في مدينة بيروت عدة معارض اشتركت فيهـا سورية ومصر ولبنان والعراق كمعرض الكتاب ومعرض التربية ومعرض العلم ومعرض الفن وهي كلها تدل دلالة واضحة على نهضتنا الحديثة وتشير الى أثر العرب في تاريخ العلم والثقافة .

وقد كان للرحلات التي قام بها أعضاء المؤتمر في سورية ولبنان وللمآدب والحفلات التي أقيمت على شرفهم أثر عظيم في نفوسهم . فأعجبوا بما أحيطوا به من اللطف والكرم والايناس . ولا غرو فالكرم هو أول الصفات الدالة على ايمان العرب منذ القدم بمبادئ اليونسكو وميلهم الى تحقيق التفاهم بين الشعوب وازالة الريبة وسوء الظن ، وتأمين المثل الأعلى الديموقراطي في الكرامة والمساواة واحترام حقوق الانسان دون تفريق في العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين .

جميل صليبا



ما هي العربية ؟

ما هي العربية ؟ أهي لغة قريش التي كان اعجازها القرآن الكريم ام هي لغة العرب من اقدم الأزمنة في كل الأماكن التي حلوا بها ؟ الأجوبة التامة لهاتين المسألتين تتضمن مسألة اخرى وهي تأريخ العرب القديم وهجراتهم ونزوحهم من الصحراء الى الحضارة منذ الوف السنين بل قبل فجر التاريخ ولا يعلم عالم بمشرق الارض او بمغربها ما كانت لغة العرب القديمة على وجه الدقة والحقيقة ولكننا نعرف (أ) ان لسان حمير كان اقدم من اللغة الفصيحة في بعض الوجوه و (ب) أنه ما من بلاد في جزيرة العرب الا لغة قومها كانت من جنس العربية

وان كان يطلق اسم «سامية» عليها وما من بلاد في جزيرة العرب تخلو من نزوح العرب او فتوحهم و (ج) ان لهجة القبائل تفرقت بعد ظهور الاسلام وان كان التباين اقلّ مما هو اليوم و (د) ان طلاب الشواهد اخذوا من شعراء العرب من أي حيّ ولم يقصروا أبحاثهم على قبائل الحجاز رغماً عن انصراف شعراء الشمال عن قواعد النحاة . لا شك ان العربية تماثل سائر لغات العالم من حيث انها تطورت وتغيرت على ممرّ الزمان وفي كل نواحي الجزيرة تكلم الناس لغات تماثل العربية من قريب او بعيد .

لقد كان العرب كالبحر فاضوا على الحضارة جيلاً بعد جيل حتى وان كانت الأعاجم استولوا على بعض بلادهم مثل الحثّيين الذين خالطوا العبريين كما قال النبي خزقيال لليهود «أبوك أموري وأمّك حثّية» ومثل الصليبيين فقد غرقوا في امواج العرب التي تتابعت عليهم حتى ان استرجاع مآثرهم شغلت المستشرقين في كل البلاد العربية .

كانت لغة العرب الذين رحلوا الى فلسطين والشام والعراق في الأيام القديمة لغة العرب في العهد الذي عاشت فيه مع ان الحجة على استمرار كلام العرب منذ ما قبل الاسلام الى الوقت الذي أُلفت فيه المعاجم العربية صعبة جداً فانْ وجدت كلمة في دواوين شعراء العرب قالت النحاة هي كلمة عربية وان لم توجد في الدواوين قالت إنها معربة . وقالوا عن كلمات اخرى اننا لم نسمع بها لذا فهي ليست عربية او لم تستعمل ببلادنا لذلك هي معربة ! وما نحتاج اليه هو برهان (أ) انّ كلمةً ما قد بقيت ودامت على حالها من الزمان القديم حتى اليوم و (ب) ان متكلميها كانوا عرباً . وأعتقد انه من المحتمل ان درس اللهجات العربية يكشف عن الفاظ بهذه الصورة .

ولا شك ان الناس من داخل جزيرة العرب ما زالوا يدخلون المدن والقرى في الأزمن التأريخية وقبلها وما نعرفه من لسانهم يدلنا على أنه تفرّق وتميَّز من اللغة الفصيحة تميّزاً شديداً مع أن هذا الفرق لا يجيز الاثبات بأنه ليس عربياً

لأسباب عديدة أهمها أن درس لسان العرب القدماء يحلّ كثيراً من المشكلات اللغوية والنحوية التي نقلتها الينا النحاة بغير ايضاح مقنع . فمثلاً ان المضارع يدل على الزمان الحاضر او المستقبل وان الماضي يدل على ما مضى . وفي هذا الشرح يقع إبهام والتباس كأنهم لم يقرأوا الآية الكريمة « فَلِمَ تقتلون انبياء الله من قبل » وايضاً « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » فمن الواضح ان الأعمال المشار اليها قد عُملت في الماضي البعيد وليست في الحاضر ولا في المستقبل . والحلّ لهذه المشكلة كما قلنا يوجد في لغة العرب العاربة فانهم استعملوا صيغةً قد سقطت من لغة العرب وهي صيغة « يِفَعَل » (بكسر اوله ثم فتح الفاء والعين او « يِفَعُل » بضم العين) للحاضر وكان الماضي بلغتهم « يِفْعُل » او « يِفْعِل » واما صيغة فَعَل فهي غنية عن الزمان مطلقاً . وفي العربية اتحدت الصيغتان القديمتان « يِفْعَل » (الماضي) و « يِفَعَل » (المضارع) [1] وأهملت الصيغة الثانية وذلك بسقوط حركة الفاء في الصيغة الأخيرة ولهذا السبب تستعمل صيغة المضارع بمعنى الماضي احياناً .

وبناءً على ما اوردناه اعلاه فإننا لا نستطيع ان نهمل اللسان العربي القديم إن اردنا ان نفهم اللغة العربية بشكلها الحاضر وإذا حلّت لغتهم بعض المشكلات في اللغة الفصيحة فليس من المستبعد ان توجد فيها اصول وكلمات قد سقطت من اللغة الفصيحة في الوقت الحاضر بسبب عدم الاستعمال او غيره فإن من درس مجرى تطور اللغات في الشرق وفي الغرب يعرف انه من اسس التطور الحذف والتغيير والاقتباس والزيادة وان في عقل الانسان دواعيَ تؤدي الى التطور . وبلغت لغة العرب نهايتها وكمالها في القرآن الكريم وفي شعر الجاهلية ، وفي مجال الأدب ثبّت القرآن قواعد اللغة الى الأبد .

وقصدي هنا ان اقدّم بعض إشارات قليلة الأهمية فأحاول ان اقارن تطور

(١) أما كسرة الياء فان بعض القبائل العربية كانت تميل الى ابدال الفتحة الى كسرة .

العربية بتطور الانكليزية فهما متشابهان من وجهتين مهمتين : الأولى ان المقياس هو كتاب مقدّس وشعر رفيع . ففي الانكليزية ترجمة الكتاب المقدس وشعر شكسپير ينزلان منزلة القرآن والشعر الجاهلي كما سبق . ثانياً جاء الانكليز الى هذه الجزيرة في موجات متعاقبة قرناً بعد قرن فبقيت في مناطق مختلفة كلمات وصيغ لا توجد في الانكليزية الفصيحة ولكن لا يُنفى كونها انكليزية . ولا يكاد يوجد قوم في العالم اقتبسوا كلمات اجنبية وحفظوا ذكر اصلها اكثر من الانكليز وكانت نتيجة ذلك ان كلمات اجنبية صارت بعد «تجنيسها» فصيحة بينما اصبحت كلمات وطنية قديمة دارجةً وهي في الحقيقة تستحق ان تعتبر انكليزية بحتة .

وإني لأجرؤ ان أشير إلى أن البطريرك مار اغناطيوس في تعليقاته المهمة التي زادت علمنا بالغرائب زيادة عظيمة قد بالغ في الدور الذي لعبته السريانية واظن ان بعض الكلمات التي نسبها الى السريانية على نوعين هما : (أ) اقتباسات واضحة بعيدة عن الصور العربية و (ب) كلمات قديمة مشتركة بين اللغات السامية عدا العربية الفصيحة .

فما يعنينا من النوع الأول الآن ان نشكر المؤلف على بحوثه النفيسة، وعلى كل من يشاء ان يحمل لقب «المستعرب» [1] ان يدافع عن العربية القديمة التي هي في النوع الثاني . وأريد ان أدّعي اصلاً عربياً للألفاظ التالية :

بعير : قال البطريرك «عدّ السيوطي هذه الكلمة من الألفاظ المعجمة في كتاب الإتقان» . وينبغي ان يذكر أولاً أن في كتابه المتوكلي [2] ترك هذه الكلمة من جملة الألفاظ المعربة التي جاءت في القرآن . ثانياً ان الدميري في كتابه «حياة الحيوان» قال : «سمي بعيراً لأنه يبعر يقال بعر البعير» وهذا

(١) انظر ما قال الأستاذ محمد كردعلي في مجلة المجمع (المجلد ٢٣ ص ٣٤٧ - ٣٦٢) .
(٢) حرّره وترجمه ولتيم بك القاهرة ١٩٢٤ .

الخبر صحيح للسبب التالي فان بعيراً بالعربية الابل الذكر أو الانثى وبعض العرب يقول للحمار بعير وهذا شاذ كما قال الدميري · وبالعبرية والآشورية البعير هو البقر او دابة الحمل وبالسريانية هو اي حيوان كان مثل ܒܥܝܪܐ ܕܟܝܐ · ܘܒܥܝܪܐ ܛܡܐܐ اي الحيوانات التي لحومها محللة ومحرمة · ومن المستحيل ان تعبر كلمة واحدة عن أي حيوان بين الساميين إلا لسبب خفي في اصلها وهو ما قاله الدميري كما سبق ويدلّ على ذلك الفعل « بعر » بالعبرية ومعناه حرق واستعمال البعر (بالسريانية ܒܥܘܪܐ) للوقود مشهور [1] · لذلك فان لم يغير السيوطي رأيه اضطررت الى ان أناقضه وأحتج بان كلمة « بعير » عربية محضة ومن اقدم الفاظ الساميين ·

بوص : هذه ليست سريانية بل من اصطلاحات التجار القديمة في المشرق أجمع ومن المحتمل ان يكون اصلها مصرياً ·

بيعة : لا اعرف اصلها بيد ان جريراً سمى مقدس المجوس « بيعة » :

يمشي بها البقر الموشّى أكرُعُه مشْيَ الهرابذ حجّوا بيعة الزون

ثب : اصلها « وثب » ولا تحتاج الى الكلمة السريانية لأن المعنَيين « قفز » بالعربية و « جلس » بلغة حمير يجتمعان في « قرفص » فمن وثب هو بمنزلة من جلس في الهواء · والكلمة توجد في كل اللغات السامية · فالتاء بالسريانية بمنزلة الثاء بالعربية فالقاعدة ان كل شين في العبرية مع ثاء بالعربية تقابلها تاء بالسريانية مشهورة ·

اخيراً فان استعادة الألفاظ العربية التي كمنت في الترجمة اليونانية للعهد القديم ستبين قِدَم العربية اذ ان المترجمين في بعض الحالات قد ترجموا الألفاظ العبرية كما لو كانت عربية محضة مثل « عطا » (وهب) والمعنى بالعبرية غطا ولا توجد

---

(١) انظر كتابي « النبوة والكهانة » لندن ١٩٣٨ ، ص ١٤١ ·

كلمة «عطا» بهذا المعنى في العبرية او في السريانية · وينتج من ذلك ان لغة العرب كانت من لغات فلسطين قبل الاسلام بقرون · واني اعتقد ان تأثير العربية واهميتها في الأزمان القديمة كان اعظم مما قدره اللغويون ولست ابالغ إن قلت انه ما من نحت بلهجة غير معلومة حتى الآن إلا وسيبقى غامضاً إن لم يستعن المترجمون بالمعاجم العربية لحلّ مشكلاته ·

(لندن)  الفرد غليوم

توضيح وتصحيح

رأينا لزميلنا الأستاذ احمد رضا في مقاله المتتابع المنشور في مجلة المجمع بعنوان (العامي والفصيح) رأياً في كلمة (زلمة) وارجاعها الى العربيـة الفصحى (ص ٥٨٧ مجلد ٢٣) وقد وجدنا في بعض جوانب رأيه هذا غموضاً والتباساً احببنا ان نذكر بجانبه رأياً لنا في الموضوع فيتعاون الرأيان على إيضاحه وكشف اللبس عنه :

الزلْم كالقلْم كلاهما بمعنى القطع او هو قطع خاص : أن تحذف عن الشيء زوائده وما تشعب او نتأ منه كقلم الأظفار والأشجار ومنه (القلَم) آلة الكتابة فانك اذا بريته حذفت منه وقطعت ما يجعله صالحاً للعمل ·

أما (الزلْم) فاكثر ما يستعمل في القِداح واحجار الرحى يعمدون الى الحجر الصالح لأن يكون رحى فيأخذون من اطرافه وجوانبه بالأزاميل والمناقير ولا يزالون في نحت حروفه وتسويتها حتى يصبح على استدارة وصلاحية للانتفاع به فهذا الصنع بالحجر يقال له (زَلْم) و (تزليم) ويكونان ايضاً في القداح : يأخذون من اغصان الأشجار الصلبة كشجر النبع عوداً فينحتونه ويسوّونه بعد ان يقطعوا الزائد عنــه ويسمى القِدْح اذ ذاك زَلَماً (بالتحريك) وزُلَماً (على وزن خرد) ويجمع على ازلام وهي الأزلام المشهورة في الجاهلية والمنهى

عنها في الاسلام : لما انهم كانوا يستقسمون بها اي يطلبون الخير والشر بواسطتها : فيكتبون على بعضها (افعل) وعلى بعضها (لا تفعل) ثم ينتهون الى فعل ما تأمرهم به أو تركه .

هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة (الزَلَم) واذ قد كان فيه دلالة على معنى الصلابة والقوة والرشاقة استعمله العرب مجازاً في ما فيه صلابة وقوة ورشاقة وخفة : لأن (الزَلَم) كذلك : ففي مستدرك التاج (ومن المجاز أزلام البقر قوائمها) وقد عنى بالبقر بقر الوحش وهي المها التي تشبه بعيونها عيون الحسان ثم قال (وقيل لها اي لقوائمها ذلك للطافتها شُبهت بأزلام القِداح وفي الأساس : سميت بذلك لقوتها وصلابتها اه) .

ومن هنا سرى الى سكان الديار الشامية استعمال (الزَلَمة) بمعنى الرجل النشيط الماضي في صنع ما يطلب منه ويقال في المدح (فلان زَلَمة) كما يقال فلان رجل وكما يقول المصريون (جدع) .

ومهما يكن من هذا الأمر فان الزَلَم والأزلام لا يستعمل في أشراف القوم وساداتهم وذوي الخطر فيهم وانما يستعمل في ما يقرب من طبقة (الفتوّات) بدليل انه احياناً يستعمل بمعنى الأتباع مذ يقال (أرسل الأفندي زلمته الى فلان) و (جاء الآغا راكباً جواده وأمامه زلمته) أو (حواليه زلمه أو أزلامه) ونرى العرب استعملوا من مادة (زلم) وصفاً للرجل على وزن (مُفَعَّل) فقد جاء في المعاجم : ان المُزَلَّم من الرجال القصير الخفيف الظريف شبه بالقِدح الصغير . ويقال للرجل اذا كان خفيف الهيأة رجل مزلَّم . [وكأنهم ارادوا بالهيأة شكل الجسم وتقاطيعه] وقال ابن الأعرابي : المزلَّم الصغير الجثة اه .

وكل هذا يرشح استعمال اهل الشام للزلمة بمعنى الرجل مطلقاً تارة وبملاحظة القوة والنشاط تارةً اخرى . اما الأصل الصريح في مأخذ الشاميين لكلمتهم فهو قول أهل اللسان (أزلام) لقوائم بقر المها مذ رأوها جمعت بين الصلابة والرشاقة .

وقول العرب في الهجو (انت العبدُ زلمةً) لا يصلح أبداً ان يكون مأخذاً لقول الشاميين لأن معناه انك عبد من جهةِ زَلْمك وخَلْقك وتكوينك فكأنك هو وقد أفرغتما في قالبٍ واحد : قدّك قدّه . وحذوك حذوه في شكلكما وتقاطيعكما . وليس لهذا المعنى علاقةٌ ما باستعمال الشاميين لكلمة (الزَلَمة) في المعنى الذي يستعملونه فيه .

بقي شيء وهو آخر ما في الكنانة بل هو الأمر الذي حفزنا الى تسطير هذه الكلمة وهو لعمري يصلح وحده للتفكير فيه ومشادّة الرأي حوله . اعني به ما جاء في مستدرك التاج ونصه الزَلَم (محركة) الغلام الشديد الخفيف جمعه أزلام قال الشاعر :

(بات يقاسيها غلام كالزَلَم ليس براعي إبل ولا غنم) اه

فمن تأمل عبارة صاحب التاج وجدها لا تصلح شاهداً بل يغلب على الظن أنه سهو منه وجب علينا تأويله والا فان الرجز الذي استشهد به لم يسمّ الغلام زَلَماً وانما شبه الغلام بالزلم . ويؤيد ما قلنا أن أحداً من أرباب المعاجم لم يذكروا ما قاله صاحب التاج ولمْ يشيروا اليه فما ادّعاه ذهول منه أو أن في عبارته نقصاً ارتكبه ناسخ نسخته وان اصل عبارته هكذا (الزَلَم محركة ، يشبَّه بها الغلام الشديد الخفيف) ثم استشهد لهذا التشبيه بقول الشاعر المذكور .

هذا ما خطر لنا من الأمر والمهم فيه استمالة نظر اخواننا المشتغلين في اللغة الى نص عبارة المستدرك فاملُ لهم رأياً فيها غير ما قلنا وأصوب مما قلنا .

المغربي



نظرات في ذيل الروضتين

لأبي شامة المقدسي

— ٢ —

٥٨ — وفي ص ٢٠ س ١٠ « صاحب الجزيرة المعظم شجر شاه وكان أبوه يلقب الناصر شجر شاه بن مودود بن زنكي » والصحيح « سنجر شاه » .

٥٩ — وفي ص ٢١٢ س ٢٣ « توفي الشريف المخلص من بني ابي الحسن الحسيني التاجر » والمعروف أنه « ابن أبي الجن » وبيته مشهور بدمشق ، وقد ذكراسمهم في ص ٢١٨ س ١٨ من الكتاب ففيها « بهاء الدين علي من بني أبي الجن » وهو نقيب الأشراف الطالبيين بدمشق[1] .

هذه هي النقدات التي اعتمدتُ فيها على الذاكرة ، وقد أرجأت ما أرجأت الكلام على الأخرى الى أن أكون على مقربة من المراجع التاريخية كما قدمت ذكره ، أما غلط التصحيف الذي حدث في هذا الكتاب فهذا هو :

٦٠ — جاء في ص ٥ س ٤ « فتخرمه دونها الآجال » والصواب « فتخرمه » بالخاء المعجمة ومنه قولهم « خرمته الخوارم » أي مات ، ومثله « اخترمه الموت » .

٦١ — وفيها س ١١ « وحبّب إليّ الى أن جمت » والصحيح « وحبّب إليّ أن جمت » فلا وجه لتكرار « الي » .

٦٢ — وفي ص ٦ س ٢٥ « وهو الذي كان عسكر الخليفة على همذان وكان طغرل » والصحيح « وهو الذي كسر عسكر الخليفة » .

٦٣ — وفي ص ٨ س ١٦ « في غرة شعبان كسر عسكر الخوارم شاه الأحول ... عسكر الخليفة في عشرين الفاً » والصواب « عسكر لخوارزم شاه » بالتنكير لا بالاضافة و « عسكراً للخليفة » .

(١) وجاء في ص ١٢٠ س ٥ « الشريف مختار الدين عبد المطلب » والصحيح « افتخار الدين » وهو من المحدثين المشهورين جداً وقد ورد لقبه أيضاً في ص ٤٨ من هذا الكتاب « وسمت شمائل النبي ﷺ من الافتخار ... »

٦٤ — وورد في ص ٨ س ٢١ « فانزعج الخليفة وأهله وغلب الأمصار » . والصواب « وغلت الأسعار » .

٦٥ — وفي ص ١٢ س ١٢ « أراد من تخضب يزول خضابه بليمونة » . والصحيح « يخضب » ولعله من غلط الطبع الصناعي .

٦٦ — وفي ص ١٢ س ٢٨ « وتارة يشفق من حبس ابن الراوندي » وهو تصحيف جميل والصواب « يسقّف من جنس ابن الراوندي » والتسقيف في لغة أهل العراق اذ ذاك هو التجديفُ على الله . ومراده انه كان يتكلم مثل كلام ابن الراوندي في ذلك .

٦٧ — وفي ص ١٤ س ٢٩ « واختلف الأمر عليه وتفرق عنه أصحابه » والصواب « الأمراء » وهم أمراء بلاد الجبال الذين كانوا مضادّين لخوارزم شاه ، وايضاح الخبر في كتاب كامل ابن الأثير ، فقد ذكر ذلك .

٦٨ -- وفي ص ١٨ س ٩ « عبد العزول» والتصحيح « المذول » وهذه الأبيات وردت في نكت الهميان في نكت العميان وغيره .

وأرى أنّ من الاطالة ذكر التصحيفات على هذه الصورة ، وأنّ اتباع الجدولة خير منها ، وهذا هو الجدول :

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢٢	١١	لأنك تريد أن تفرح	... أن تتفرج
«	١٧	قيل جثوا المطيّ	قيل : حثوا المطيّ
«	٢٠	لئن تصحب ... خير من أن	لأن تصحب ... خير ...
٢٣	٢٦	وسئل عن لعتة يزيد ...	... عن لعنة يزيد ...
«	٢٩	في خفارة الصبحة	... الصحبة ...
٢٥	١٤	خلق بغير تصبّر ومبيت	... وتثبت
٢٧	٢٩	وعفّاكم مما الاقيه منكم	وعافاكم مما الاقيه منكم

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٣٥	٨	وعابوا كلباً يشق الصفوف	وعاينوا ...
〃	٣١	فيرسل عنه الى بغداد	فترسَّل عنه الى بغداد — كما ورد في ص ٢٦ س ٢١ — .
٣٦	٢٨	تمذهب للنعمان بعد ابن حنبل	تمذهبت ...
〃	٣١	يحيى بن طاهر	يحيى ابن طاهر
٣٧	٧	وكانت ودلاته	وكانت ولادته
٤٠	١٨	وبنص أسماء الورى وحديثهم	وينصّ اسماء ...
٤١	٣	لا يطيقون ما أطاق دعوا التغني ...	... دعوا البغي ...
〃	٤	مواظب الاشغتال	مواظب الاشتغال
〃	٩	عن نشره علمه للموالي	عن نشر علمه ...
〃	١٤	ناشر العلم قائل الحق كم	... قائلو كم قد
〃	١٥	عن مهنة وابتذالي	عن مهنة وابتذال

وأكثر هذا التصحيف في الشعر والاستمرار عليه يطيل الجدول فلنقتصر على التصحيف المهمّ الوارد في النثر، وهذا هو :

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٥٠	٢٧	وكتب [1] المكين كتاباً	ولقب المكين كتاباً
٦٩	٢٣	وحرزُوا ثلاثين الفاً	وُحزرُوا ثلاثين الفاً
〃	٢٧ ــ ٢٨	شكلاً لخيل المسلمين وكرفسارات	... وسرفسارات [2]
٨٠	١٩	وخفّ ولدين	وخلّف ولدين
٨٨	١١	بعدمامات جدي: تيسر لي صديق	بعد ما مات جدّي بيسير :

(١) وأول الجملة « وأنشأ محمد بن محمد القمي ... – ولقب المكين – كتابا ... –

(٢) السرفسار هو اللجام وقد ورد ذكره في الروضتين « ج ٢ ص ١٩ » وفي معجم الأدباء ج ٦ ص ٣٥٧ « وبين يديه ثمان جنائب بالمراكب والسرفسارات الذهب » .

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٩١	١٧	ثم تعدّت اليه العساكر	ثم نفذت اليه العساكر
٩٢	٢	ففعل في ملكه ما أراد	ففعل [الله] في ملكه ما أراد
٩٧	٣	خرجت ٠٠٠ الى الغزاة	٠٠٠ الى الغزاة ـ كما في ص١٢٨ ـ
١٠٠	٢٣ ـ ٤	وانهدمت بغداد بأسرها والحال	٠٠٠ والحال
١٠١	١٤	وصحبتُ في عودة	وصحبتُ في عودتي
١٠٣	٢٦	ودفن في الشونيزية في صفط الجنيد	٠٠٠ في صفّة الجنيد
١٠٨	٨	في تولية القضاء	في تولّيه القضاء
١٠٩	١٥	أخذ الفرنج النازلين	اخذ الفرنج النازلون
١١١	١٢	في الهدنة مع الانكليز ملك الفرنج	٠٠٠ مع الانكتار او الانكلتر
١١٤	٤	ومائة فوحرة تمر	ومائة قوصرة تمر
〃	١٤	فدعى له الأمير ابو العباس ذلك	فرعى ٠٠٠ ذلك
〃	١٩	ويسمّى بالملك الرحيم	وتسمّى بالملك الرحيم
١١٨	١٤	ويأسف الناس لما جرى عليه	وتأسَّف الناس ٠٠٠
١٢٤	٢٨	وكأن حفظه للحكايات	٠٠٠ حُفَظة ٠٠٠ (على وزن هُمَزة لُمَزة)
١٢٥	٢	قال : فأقبل وحدي ؟	قال فأقتل وحدي [1] ؟
〃	١١	نفعه في بلاد العجم	تفقّه في بلاد العجم
〃	٢٨	الشيخ الفاعل الصنائع	٠٠٠ الصانع ٠٠٠
١٢٧	٢٠	قد نخرت الصخرة	قد نجرت الصخرة

(١) ومضمون الحكاية أنّ امرأة دعت رجلاً في محلة الشيعة بأبي بكر ليفتكوا به فقال لها « يا عيشة » أي ياعائشة . حتى يقتلوها ، وذلك أضعف الدفاع عن نفسه ، فلما استغربت ذلك منه، قال لها « أفأقتل وحدي ؟ » أي أتكوني السبب في قتلي وتريدي أن تنجي ؟ وهذه الحكاية من طرف الحكايات وأدلها على الذكاء .

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
〃	٣٢	ونظر إليّ شذراً	... شزراً
١٣٣	٢٣	فأبقاه وأخوه المعظم	فالتقاه أخوه ...
١٤٠	١٤	فمرضت مرضاً شجّ أعضائي	... شنّج أعضائي
١٤٢	١٥	كلاب حديد يضربه به كيفما أراد	... يصرّفه به ...
١٤٣	٩	قاعدتين يتحدثان	قاعدتين تتحدثان
١٤٤	٢٥	ولم يزل ينتقص عليه حتى مات	ولم يزل ينتقض عليه حتى مات
١٤٥	١٣	قد استوى على الخلافة	قد استولى ...
〃	٢١	فقيل له : ألا يتفسّح ؟	... ألا تتفسّح ؟
١٤٧	٢٦	يتجدونّي ، قال : نعم	تتجدونّي قال : نعم
١٥٠	٢٩	فكان البوّاب إذا مسكوا	فكان النُوّاب اذا مسكوا
١٥٢	٨ — ٩	وعرة كثيبة الصوان	... كثنيّة الصوان
١٥٥	٦	فلم ينظم صلح ظاهر	فلم ينتظم ...
〃	٢٦	تكثر الرجمة والضراب	... الزَحمة ...
١٥٧	٣١	ههنا رجلاً من الأبدال	... رجل ...
١٩٦	٩	ويلقب شجرشاه	... ونلقب ...
٢٠١	٢٣	وكثرت الرجمات	وكثرت الرجفات ...
٢٠٢	١٩	بالمأمونية من أعمال بغداد	... من مَحالّ بغداد
٢٠٣	٣	مملوك بفت أتابك	مملوك بيت أتابك
〃	١٠	سمار القضايا	سمسار القضايا
٢٠٨	٤	ويقرّب بها الى الرؤساء	... وتقرّب ...
٢١٠	٧	بين قتل المظم ابن الصالح	... المعظم بن الصالح

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢١٠	٢٧ — ٨	ونظير ذلك لأنّ نجم الدين	ونظير ذلك أنّ ...
٢١٧	٤	وسوّد تاريخاً بحلب	... لحلب ...

وجاء في ص ١٤٣ س ١١ «وكان يقدم كل عام من بغداد على بعض سيلانات الخليفة (؟)» ثم استدرك المصحح في ص ٢٨٥ وقال «لعله معرّب ساليانات اي المخصصات السنوية» . قلت : وذلك بعيد والصواب «سبيلات» جمع سبيل وهو ما كان يوقف على حجاج بيت الله الحرام في أثناء سفرهم من الماء والطعام والكساء وذلك شيء متعارف في اصطلاح القوم حتى لقد ورد في الكتاب نفسه ص ٩٣ س ٢٣ «وجهّزني الأشرف الى الحج وعمل لي سبيلاً مثل سبيله» . وقد جاء في الوفيات ج ٢ ص ٧ «يُقيم في كل سنة سبيلاً للحج» وأصله للماء ، ففي الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٥٦ «ويقولون : الماء للسبيل» . ولم نزل نسمع العامة بالعراق يسمون السقاية الموقوفة «سبيلخانة» . وفي ص ٨٤ س ١٢ «أتتك بخائن رجلاه» والمثل هو «أتتك بحائن» أي من حان موته .

وجاء في ص ١٤٨ س ٥ «وعنده الأشرف من هذا المقعد المقيم (؟)» ولا حاجة الى الاستفهام والصواب حذف الهاء من (عنده) أي ان ذلك يقعده ويقيمه غضباً وحنقاً .

وورد في ص ٩٨ س ٧ :

ولا غرو أن آتي هنيدة سالماً فقد يدرك الانسان ما يتوقع

ثم قال المؤلف ، س ١٠ «هنيدة اسم علم على المائة (؟)» وقد وضع القائم على الطبع علامة الاستفهام كما ترى ، ولا وجه لذلك ، فان هُنَيْدة اسم علم للمائة — كما قال المؤلف — ومنه قول الشاعر «لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها» . والأصل للابل ثم أطلقت على المائة من كل شيء .

مصطفى جواد

حب العرب والاسلام

كتب الينا من كمبردج العلامة السيد كرينكو من اعضاء المجمع العلمي العربي يقول من رسالة : كانت مطالعاتي في الآداب القديمة من زمان الجاهلية الى غاية القرن الثامن من الهجرة .. ولعلي قرأت من كتب الشعر والعلوم الدينية والدنيوية والتواريخ القديمة ما يزيد على كثير مما طالعه بعض أبناء لغة الضاد والمستشرقين في سائر بلاد اوربا . وقد جمعت على طباق وورقات مخصوصة جملة كثيرة من الأبيات القديمة وتاريخ وفيات الرجال من كل طبقة الى منتهى القرن الثامن .. قال ان الألفاظ الجميلة التي تذكروني بها كل مرة لا استحقها وما نشأ حبي للعرب خاصة الا من تعميقي في آدابهم ومن حبي الاسلام والمسلمين .



بيان من الادارة الثقافية

في جامعة الدول العربية

تود الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تلفت الأنظار الى أن مسابقة التأليف التي سبق الاعلان عنها في مطلع هذا العام ، والتي اختير لها الموضوعان التاليان :

(ا) تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى خروج العرب منها ، وما يتصل بذلك من الحوادث في بلاد المغرب .

(ب) تاريخ الأمة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان — بلاد المغرب — جزيرة العرب) من سقوط بغداد الى أول القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

وقدّر مبلغ ٥٠٠ جنيه مصري لأحسن ما يكتب في كل من الموضوعين ، قد امتد آخر موعد لتقديم الرسائل المكتوبة فيهما الى أول مايو سنة ١٩٤٩ بدلاً من الموعد المحدد سابقاً وهو اول مايو سنة ١٩٤٨ .

فهرس الجزء الأول من المجلد الرابع والعشرين

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٤٩ ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٥ —

حرف الشين

شاطر : قال ابو عبيدة : الشاطر الذي شاطر الى الشر اي عدل اليه بوجهه ، وفي اللسان : الشاطر من اعيا اهله خبثاً وارآه مولداً . هو سرياني ܫܳܛܽܘܪܳܐ وܫܳܛܽܘܪܳܐ shotouro , shatouro ومدلوله : جاهل ، غبيّ ، ضالّ والفعل ܫܛܰܪ shtar زاغ ، جهل ، ذهب عبثاً . وفي انجيل لوقا (١ ص ١٥) ورد مثل الابن الشاطر . وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص ٤٠٣ « ظهر ببغداد صبيان من الشطّار » .

شاطئ : الساحل من النهر والبحر وقال الاسكافي ص ١٩ « الشطّ والشاطئ والشُّقُر : فم النهر » وهو بالسريانية ܫܳܛܳܐ shato ولعله من توافق اللغتين .

شانئ : مبغض ، عدوّ وبالسريانية ܣܳܢܝܳܐ ، ܣܳܢܳܐ sanoio , sono والفعل ܣܢܳܐ sno شنأ ، ابغض . والاسم ܣܶܢܝܳܬܳܐ ، ܣܶܢܐܬܳܐ sénétho ,

sénoutho شنأة ، بغضة ، ومثله بالعربية ، ومنه في سفر اللاويين ١٩ : ٧ « لا تشنأ رفيقك » وفي سفر الأمثال ١٤ : ١٧ « وذو المكايد يُشنأ »[١] .

شَبُّوط : قال الجواليقي ص ٢٠٧ « شَبُّوط اسم اعجمي وهو ضرب من السمك . قال الليث : والشُّبُوط (بضم الشين) لغة فيه وهو دقيق الذنب عريض الوسط ، ليّن الملمس ، صغير الرأس » قال الخالدي في بعض اشعاره في دير مار ميخائيل الواقع على ميل من الموصل :

يجرّ صيادُه الشَّبوطَ مضطرباً   حيّا وقاصدُه اليعفورَ مذبوحًا[٢]

هو سرياني ܫܰܒܽܘܛܳܐ ، ܫܺܝܒܽܘܛܳܐ shibouto , shabouto .

شَبين ، واشبين : ويقال له أيضًا عرّاب الطفل المعتمد اي كفيله ، كلمة مسيحية سريانية ܫܰܘܫܒܺܝܢܳܐ shaweshbino ، والمرأة شبينة واشبينة ܫܰܘܫܒܺܝܢܬܳܐ shaweshbinto والاسم ܫܰܘܫܒܺܝܢܽܘܬܳܐ shaweshbinoutho وجمع الاشبين اشابين واشابنة . عمّ استعمالها الروم والقبط فوردت في كتاب الناموس بلفظها السرياني بحذافيره قال : « يحرم عليهم أيضًا ان يتزوجوا ششابين آبائهم وأمهاتهم من المعمودية » وكذا في كتاب الجوهرة لابن السباع القبطي .

شَتَل : غرس ، نصب ܫܬܰܠ shtal ومنها ܫܶܬܠܳܐ shetlo : غرس و ܫܶܬܠܬܳܐ shétltho غرسة و بيث ܫܶܬܠܳܬܳܐ Beth shetlotho : مغرسة (مشتلة) فالمادة سريانية وتداولها عامة اهل العراق والجزيرة والشام . وفي معجم الشهابي ص ٤٨٤ مشتل ، من اصل سرياني و ص ٥٠٣ وشتلة ، سريانية —

(١) الشاوي في عُرف اهل الشام ، هو الذي يتعهد توزيع الماء على المزارعين وتنقيته ، وهو حرف سرياني ܫܰܘܺܝ shawi ومعناه : سوّى وساوى وعادلَ وطرح .

والشبشث او الشبش : غصن الكرم الدقيق الذي يُكسَح في كل سنة ، اورده ابن بهلول في معجمه عمود ١٩٣٣ و ١٩٣٤ وهو حرف سرياني ܫܒܶܫܬܳܐ shbeshto وقيل في جمعه ܫܶܒܫܳܬܳܐ shebshotho لفائف قضبان الكرم وهي لفظة يتداولها عامة أهل الجزيرة .

(٢) مسالك الأبصار ص ٢٩٨ .

وصح استعماله فصيحاً اذ قالوا : المشتل الزراعي — وفي الفصيح والمولد للاستاذ كرد علي مج ١٩ : ٧ والشتلة آرامية عربيتها غرسة ، ومنها المشتلة اي المغرسة .

شَحيثا : قال الفيروزابادي ٢ : ١٦٨ « شَحيثا كلمة سريانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح » واعترض عليه مؤلف الجاسوس بقوله ص ٣٠٩ « وهو باطل من وجهين ، الأول ان صيغة هذه الكلمة لا توافق صيغ اللغة السريانية واذا يوجد فيها شحتو بالتاء ܫܚܘܬܐ shhôtho اي الوسخ وشحّد بالدال ܫܚܕ shhadh وهو البرطيل « صوابه رشا ، برطل » . واظن هذا هو الذي يفتح الاغاليق بلا مفاتيح . الثاني كيف يكون عند السريان هذه الكلمة وهم لا يعرفونها ولا يستعملونها فتكون الدنيا كلها مسخَّرة لهم ! قال المحشي : بعد ذكر هذه الكلمة : اي مناسبة بين هذا وبين كلام العرب ولغاتهم ... انه لغو من الكلام الباطل ... ولا ينبغي ذكره من المصنف لو كان صحيحاً ولا يليق اهـ . فان قيل إن الأزهري نقل أيضاً هذه الخرافة ، قلت قد نقلها عن الليث وقال في اولها الليث بلغنا انها كلمة سريانية الخ ولا يخفى ان قوله بلغنا يصرف النقل عن التحقيق بخلاف رواية المصنف » اهـ .

قلنا ، ويشمل هذا النقد صاحب اقرب الموارد الذي نقل في ص ٥٧٣ عبارة القاموس بنصها . وكله خطأ صوابه في ما نرى ان اللفظة المبحوث عنها هي بالسريانية ܫܘܥܝܬܐ shouiitho ومعناها قصة وخُرافة او ܫܘܬܐ shoôtho ومدلولها لعب، باطل هذيان . وتوسع اهل الباطل فيها فزعموا ما زعموا . واما ܫܚܝܛܐ shhitbo فمعناها : كامخ وقضيب وغصن .

شِرْش : عِرْق : سريانية ܫܶܪܫܳܐ shersho : اصل كل شيء ، اساس ، والفعل ܫܰܪܶܫ sharèshe اصّل ، اسّس . استعملها (وفا) الشاعر الارامي الذي كان قبل العصر المسيحي بدهر طويل في ما نقله الراهب انطون التكريتي الفصيح[1]

(١) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ١٧٠ .

وصرّح صاحب معجم الألفاظ الزراعية بسريانيتها ص ٥٣٠ وفي الفصيح للاستاذ كرد علي ١٩ : ٧ شرّشت الشجرة ضربت عروقها في الأرض ومنها الشرش للجذر .

شُرعوف : في القاموس ٣ : ١٥٧ « الشُرعوف كعصفور نبت او ثمر نبت ، والشرعاف بالكسر والضم قشر طلعة الفحّال من النخل » وفي السريانية ܣܪܘܥܦܐ و ܣܪܥܦܬܐ souroofo , sarèfto وفيها لغتان اخريان : شُعبة سُعفة ، غصن فرع ، والفعل ܣܪܥܦ نبت ، تفرّع sarèef .

شَشقَل : ܫܩܠ ܒܬܩܠܐ skal - bteqlo استوفى حقه من الفضة موزونة بالمثقال (المزهر ١ : ١٦٤) « قال في الجمهرة قيل ليونس بمَ تعرف الشعر الجيد فقال بالششقلة ، قال والششقلة ان تزن الدينار بازاء الدينار تنظر أيهما اثقل ، ولا احسبه عربياً محضاً ، وششقل الدينار عيّره » . وكذا الصغاني نبه على ان لفظة ششقل ليست بعربية محضة[1] قلنا هي سريانية مركبة مدلولها الحرفي اخذ بالوزن .

شَطَح : ورد في معجم الأدباء ١٣ : ٥٨ ثم شطح في الكلام . وعلق عليها الناشر « اي توسع وتبسط ولم اجد شطح فجعلتها سطح بمعنى بسط ... ويقال ان هؤلاء لهم شطحات » قلنا الكلمة سريانية ܫܛܚ shtah ومعناها : سطح ، بسط ، مدّ ، و ܫܛܚ ܡܠܬܐ ܥܠ shtah meltho ʿal : أسهب الكلام . ولا (شطح) في الفصحى ولكنها من كلام العامة ، ومنها ܡܫܛܚܐ Mashtoho : لما ينشر من عنب ونحوه وجمعه مشاطيح[2] .

شُفنين : الشفنين بالضم اليمام او الورَشان (ابن بهلول) وفي صبح الأعشى ٣ : ٧٤ الشفنين بالضم اليامة . وفي كتاب المرشد للتكريتي (الباب ٥١) « ومن القربان ... فراخ الشفنين والعصافير » . لفظة سريانية ܫܦܢܝܢܐ

---

(١) الجاسوس على القاموس ص ١٣٣ .

(٢) شطف ، غسل : سريانية ܫܛܦ shtaf ومنها التشطيف في كتاب ابن السباع وهي عامية : واما في العربية فمعنى شطف : ذهب وتباعد .

shoufnino · والجمع شفانين قال الجاحظ في كتاب الحيوان ١ : ٢٨٨ « واصناف الشفانين والوَراشين » ·

الإشفى : المِثقب والسراد يُخرَز به ، وعن ابن السكيت : الإشفى ما يُخرز به الأَساقي ج اسقية وهي جمع سقاء ، والمزاود واشباهها · والمِخصَف للنعال ج الاشافي · وقال ابن فارس في مقاييس اللغة ص ١٠٧ « آشفَ : الهمزة والشين والفاء كلمة ليست بالأصلية فلذلك لم نذكرها ، والذي سُمع فيه : الإِشفى » قلنا هي سريانية ܫܦܘܝܐ shfoio و ܡܫܦܝܬܐ Mashfitho ومعناهما ، مِنخس ، مهماز ، مسلّة · وحقها ان تذكر في حرف الالف ·

الشاقول : وزّان البنائين والمهندسين : ܬܩܘܠܐ Tokoulo ·

شِقِرّاق : جنس طيور من الجواثم (المعجم ٥٥٠) وبالسريانية ܫܪܩܪܩܐ shraqroqo وقالوا فيه شرَقرق ·

شُقفة : قال ياقوت في معجم الأدباء ٥ : ٤٢٧ طبع مرجليوث « وأتفق ان الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة وهي التي تسمى التراقي ويقال لها قملة النسر أيضاً فمات منها » قال الكرملي (مجلة مج ١٦ : ١١٧) انه مشتق من الارامية من فعل « ܫܩܦ shkaf » ومعنى الكلمة الرضّة والشدخة والصدعة بمعنى اختها (التراقي) ويجب ان تضبط وزّان الغرفة · اه ܫܘܩܦܬܐ shoukftho: لطمة ، صدمة ، صفعة ، و ܫܩܦ : شقف ، لطم ، صدم ، رضّ ·

شَلّ : في شفاء الغليل ص ١١٨ « شللت الثوب ، خطته خياطة خفيفة ، كذا في المصباح » ܫܠ shal : شلّ ، خاط ·

شَليل : غُلالة تلبس تحت الدرع ، ومسح من صوف او شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرحل ، ܫܠܠܐ shélo [1] ·

(١ شلّح فلانا عراه ، سوادية أوردها احمد عيسى في المحكم . وجاء في اقرب الموارد « وفي حديث علي ، خرجوا لصوصاً مشلّحين » هي سريانية ܫܠܚ shalah : ومعناها سلب ، قطع الطريق ، ومثلها ܐܫܠܚ ashlah ·

شَليف : سلف ، جوالق . قال الاسكافي ص ٨٨ : الشليف قطعة من خيش تُلبَس السِقاء والقِرَب لتكُنّها من الشمس ، يقال إداوة مُشَلَّفة ، وفي السريانية ܫܠܝܦܐ ، ܫܠܝܦܐ shalifo , shlifo . وهذه الألفاظ الثلاث اما سريانية الأصل واما من توافق اللغتين .

شمّاس : خادم ديني وهو دون القسيس ومعاونه في اثناء القيام بالخِدَم الكهنوتية وجمعه شمامسة وجمعه البيروني : شماسين (الآثار الباقية ص ٢٩٢) ومصنف ديارات الحيرة : شماميس (مسالك الأبصار ص ٢١٢) وفيه أيضاً ص ٣٤٢ قال مؤلفه ابن فضل الله العمري في دير الدواكيس شرقي القدس :

دير الدواكيس ام ريش الطواويس ام الشموس سنا تلك الشماميس

وقال ص ٣١٢ في دير الاسكون : راكب للنجف فيه قلالي وهيا كل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم ، فاذا كان يوم الشعانين اتوه من كل ناحية مع شماميسهم بصُلُبهم وأعلامهم . وجمعه البحتري : شمامس قال : بين شمامس وقسوس (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣) وقال عبد الله بن العباس الربعي (الأغاني ١٧ : ١٦٩) :

رُبَّ صهباء من شراب المجوس قهوة بابليّة خندريس
قد تجليتها بنأي وعود قبل ضرب الشماس بالناقوس

قال ابن سيدة ١٣ : ١٠١ (الشماس من رؤس النصارى يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة ، وليس هو بعربي صحيح ، وكذلك قال صاحب التاج وزاد : وهذا عمل عدولهم وثقاتهم ، قاله الليث ، وقال ابن دريد : فاما شماس النصارى فليس بعربي محض ، وفي المحكم ، ليس بعربي صحيح ، والصواب ما قلناه في أعلاه ، وليس الشماس رأساً للنصارى ، وكان قديماً يلزم البيعة اما اليوم فلا . والكلمة سريانية من الألفاظ المسيحية ܫܡܫܐ shamosho وܡܫܡܫܢܐ Mshamshono والاسم الشماسية ، والشموسية غلط . قال القس ابو البركات ابن كبر في كتابه

« مصباح الظلمة » ص ٤٩ « من كان موسوماً بسمة الشماسية مرسوماً للخدمة الكنائسية » والفعل : شمّس ܫܰܡܶܫ shamèshe خدم ، وفي الجدل لعمرو الطيرهاني ص ١٣ « رأى الملائكة يشمّسون اعني يصلّون »[1] .

شُمْرَة : رازيانج ، وفي معجم الزراعة ص ٢٧٠ « شَمار » رازيانج وله اشباه في الآرامية والعبرية والاثورية » وبالسريانية ܫܰܡܪܳܐ ، ܫܽܘܡܪܳܐ shamro shoumro[2] .

شَمْعَل : حرف سرياني ܫܰܡܶܠ samèl ومعناه انحلّ بالتقشف والنُسك ورثاثة الثياب و ܐܶܣܬܰܡܰܠ Estamal : تزهد ، تنسك . والاسم ܣܽܘܡܳܠܳܐ soumôlo : نسك ، زهد . واسم الموصوف ܡܣܰܡܠܳܐ Msamèelo الناسك ، الزاهد . قال مُدرك الشيباني (تزيين الأسواق ص ٣٣٠) :

بحقّ قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طولَ الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشَمعلينَ يعبدون عيسى

وقال جحظة يصف دير العذارى (ياقوت ٢) :

وقد نطق الناقوسُ بعد سكونه وشَمْعَلَ قسيسٌ ولاحَ فتيلُ

وقال ربيعة بن مقروم في وصفه راهباً « الأغاني ١٩ : ١٢ » :

يَجْأرُ ساعاتِ النيامِ لربه حتى تخدّد لحمُهُ متشَمعِلِ

وقال : المتشمعل : المتغني في تلاوة الزبور .

الشّهر اي القمر : ܣܗܪܳܐ sahro وورد في الاتقان ص ١٤٠ في شهر قال الجواليقي ص ٢٠٧ فاما الشهر ، فقال بعض اهل اللغة : اصله بالسريانية (سَهْر)

(١) شمس : قال حنين بن اسحق في كتاب القوانين بالسريانية « سميت الشمس بالسريانية ܫܶܡܫܳܐ شمشا shèmsho لخدمتها البشر بنورها » يريد اشتقاقها من فعل ܫܰܡܶܫ ومدلوله خدم .

(٢) يستدرك على صاحب التاج قوله : ٥ : ٣٩٦ « شمون الصفا اخو يوسف الصديق » فشمعون هامة رسل السيد المسيح استشهد عام ٦٧ م ويوسف الصديق بن يعقوب بن إسحق بن ابرهيم الخليل . وُجد في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فانظر المدة التي بينهما ومبلغ هذا التخليط !

فعرّب . وقال ثعلب : سمي شهراً لشُهرته وبيانه ، لأن الناس يشهَرون دخوله وخروجه . وقال غيره : سمي شهراً ، باسم الهلال لأنه اذا أهلّ يسمى شهراً قال ذو الرُمّة : يرى الشهرَ قبل الناسِ وهو نحيلُ

وقال صاحب اللسان : والشهر القمر سمي بذلك لشهرته وظهوره . وفي المصباح : الشهر قيل معرب وقيل عربي وقيل الشهر الهلال سمي به لشهرته ووضوحه ثم سميت به الأيام .

اسماء الشهور : وقال صاحب اللسان « وآب من الشهور العجمي معرّب » وأخطأ بنسبة الشهور الى الرومية بقوله : « والكانونان شهران في قلب الشتاء رومية » ووهم مثله صاحب القاموس بقوله : وحزيران اسم شهر بالرومية وكذلك نيسان وتشرين وآذار . وزاد الشرتوني تمحلاً بقوله ٢ : ١١٠٨ « الكانونان كانون الأول وكانون الثاني شهران في قلب الشتاء ، قيل هو عربي مأخوذ من معنى الثقل لشدّة برده ،وصعوبة المتسبّب والحركة فيه ، وقيل دخيل » اهـ .

وقال البيروني في الآثار الباقية ص ٥٩ و ٣١٨ « المجوس وقد يسمون الشهور بالأسماء السريانية ، اما النصارى بالشام والعراق وخراسان فقد مزجوا بين شهور الروم وشهور اليهود ... وسموها باسماء سريانية وافقوا في بعضها اليهود وباينوهم في بعضها » وذكر شهور السريانيين ص ٧٠ .

وقال ابن العبري في كتابه الفلكي السرياني الموسوم بالصعود العقلي مج ٢ ص ١٩٠ « فمن الأمم من عدّت بعض شهورها ثلاثين يوماً ومنها اكثر من ثلاثين ، وبعضها اقلّ منه كالرومان واليونان والرهاويين السريان ، واما الرهاويون لما اقتبسوا اسماء الشهور من العبرانيين لم يوافقوهم في تقسيم كمية ايامها لكنهم وافقوا في ذلك اليونان والرومان » اهـ .

وفي قول هذا العلاّمة نظر ، فان اربعة اسماء من شهور العبرانيين لا توافق اسماء شهور السريانيين وهي : مرحشوان وكسليو وطيبث وسيوَن ، والثلاثة

الأولى توافق تشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني . واورد الأب دُورم في كتابه «البلاد الواردة في الكتاب المقدس ص ٤٢ و٤٣ و٤٦ ان طيبث Tebet وسيوَن Siwan اسمان بابليان ، اذاً لا تثبت نسبتها الى العبرية . وذكر أيضاً في كتابه المنوَّه به وكتابه الموسوم بالديانة الاثورية البابلية ان اسماء شهور آذار ونيسان وايار وتموز وآب وايلول (ويسمونه Ululu اولولو) وتشرين ويذكرونه مرخَّماً (تشري) كما هو عند العبرانيين والسريانيين أيضاً Tésrit هي بابلية الأصل «راجع في الكتاب الأول ص ١٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ وفي الثاني ص ٦٧ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٧ ، ١٤٩»

ومن البابلية اخذها العبران والسريان فقال العبرانيون : نيس واوب (مثل السريان) وتمّز وايلل وشغط . وأما حزيران وكانون الأول والثاني فأسماء سريانية ܚܙܝܪܢ ، ܟܢܘܢ ، ܩܕܡܝܐ ، ܟܢܘܢ ، ܬܪܝܢܐ Konoun , Hziron ، Traïno , Konoun , Kadhmoïo . ولما كان كتبة العصور الوسطى العرب يجهلون ما ورد في اللغة البابلية وخالطوا السريانيين ، اثبتوا ان الشهور المذكورة كلها سريانية لاستعمال السريان اياها . وكأنَّ البيروني أراد بالمجوس البابليين .

شواصرا : اقحوان او شويلاء ، حشيشة لونها بين خُضرة وصُفرة لها رائحة طيبة وزهرة صفراء ܫܘܨܪܐ shouoçro [1] .

شَوبَق : قضيب ، عصا دقيقة تستعمل لبسط الرغيف حتى يرقّ . قال الاسكافي ص ٦٤ ويقال للذي تُسوّى به الرغفان وترقّق : المِرقاق ، والمِحوَر ، والكَربب والصُّوبَج . وفي شرح درة الغواص للخفاجي ص ١٦٩ «صوبج على فوعل وهو ما يبسط الخبّاز عليه الرقاق والعامة تقول له شوبق» وفي لغة الموصل وغوطة دمشق العامة : الشوبك ، بالكاف . ويسمى أيضاً المِطلَمة وهي آلة تسوّى بها الطلمة ، والمِسطح . وبالسريانية ܫܒܘܩܐ shabouqo .

---

(١) يسميها أهل أرياف حمص : صويصرا .

- شوَّشَ : اختلف اللغويون في هذا الحرف . فجاء في المزهر ١ : ١٧٩ «قال عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصيح : أجمع أهل اللغة على ان التشويش لا أصل له في العربية وانه مولّد وخطّأوا الليث فيه» وقال الخفاجي في شرح درة الغواص ص ٦٢ «التشويش وقع في كلام الزمخشري واهل المعاني كقولهم : لفّ ونشر مشوش، وفي شعر الطغرائي :

وان قدرتِ على تشويش طرّته فشوّشيها ولا تبقي ولا تذري

وما أنكره الحريري أثبته الجوهري فقال التشويش، التخليط . وقد تشوش عليه الأمر، وكذلك قال الليث، وقال صاحب القاموس انه وهم . وقال ابن بري انه من كلام المولدين، ولا أصل له في العربية الا ان الليث أثبتها وهو ثقة» وقال في الشفاء ص ١١٥ والجوهري والليث ثقتان . وقال السيد محمود آلوسي في كتابه : كشف الطرة عن الغرة ص ٢٩٣ «ولا عبرة بانكار صاحب القاموس وغيره بعد رواية الثقة ذلك» قلنا وممن استعمله البيروني قال ص ٣٣٢ «فانها (القوانين) اذا قرّت على حالها لم تخلُ عن تشاويش وتخاليط وقد أنبأنا عن اكثرها» والحرف سرياني ܫܘܫ shawèshe ومعناه شوّش، بلبل، والاسم ܫܘܫܐ و ܫܘܫܘܬܐ shawshoutho , shawsho . فهو اذا معرّب من السريانية [1] .

شِيد : ما طلي به الحائط كالجصّ ونحوه، وبالسريانية ܫܝܕܐ sido .

شَيْلَم، شَوْلَم، شالم : نبت بين الزؤان والشعير حبّة مرّ، قيل انه فارسي، وقالوا فيه : الزؤان يكون بين الحنطة، وفي معجم البلدان ٥ : ٣٢٨ «الشيلم بلغة السواد الزؤان الذي يكون في الطعام» كذا . وهو بالسريانية ܫܝܠܘܡܐ و ܫܝܠܡܐ shiloumo , shaïlmo .

(١) شياف : الشِّيف نوع من الأدوية يستعمل للعين وغيرها: قال ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٨ «ثم بدأ يداوي عينه بالأشياف» وهو بالسريانية ܫܝܦܐ shiofo .

والشِّيح : نبات انواعه كثيرة منه طيب الرائحة ، ومنه ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي وهو بالسريانية ܫܝܚܐ shiho . وهذان الحرفان لم يتحقق أصلها اللغوي.

حرف الصاد

صامَ : فعل سرياني بحت : ܨܳܡ som والمصدر ، صوم وصيام ܨܰܘܡܳܐ sawmo وفي نبوة اشعيا ٥٨ وهل تسمي هذا صوما » وقال النمر بن تولب :

صدّت كما صدّ عمّا لا يحلّ له   ساقي نصارى قبيل الفِصح صوّامُ

(كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ٢٩) .

صحناء ، صحناة : سمك صغير مملّح ، وفي اللسان : الصحناء ادام يُتخذ من السمك ، والأصح من السمك الصغار ، وفي عيون الأخبار لابن قتيبة الدنيوري ١ : ٢٢١ « اما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناء » وفي معجم الأدباء ١٣ : ٢٥٩ تعليق من عبد الخالق على الصحناة قال « وكأنه ما نسميه السردين » سريانية ܨܰܚܢܺܝܬܳܐ sahnitho .

صَدَقة : عطية يُراد بها المثوبة ܙܶܕܩܬܳܐ Zedktho والفعل ܐܶܙܕܰܕܰܩ Ezdaqaq تصدّق وفي انجيل لوقا ١٢ : ٣٣ « بيعوا ما لكم واعطوا صدقة » وفي الحديث (جس ٣٧) (ان الصدقة تقع في يد الله) .

صِدّيق : بكسر الصاد وتشديد الدال ، قال القاموس : الصدّيق : الكثير الصدق . واضبط منه : هو البار قولاً وفعلاً ، وفي سفر التثنية ٣٢ : ٤ « لا جورَ فيه صدّيق وعادل » وقال جبرائيل الملاك ليوسف : أتعرفني ايها الصدّيق . حرف سرياني ܙܰܕܺܝܩܳܐ Zadiqo ومنه :

صِدّيقية : ܙܰܕܺܝܩܽܘܬܳܐ Zadiqoutho : برارة : قال الشرتوني نقلاً عن التعريفات : « الصدّيقية درجة أعلى من درجات الولاية وادنى من درجات النبوة ، فمن جازها وقع في النبوة » وفي عيون الأخبار » لابن قتيبة ٢ : ٢٧١ « وقرأت في الانجيل « ... فالتمسوا ملكوت الله وصدّيقيّته فانكم سوف تُكفَون »

صُراحيّة : قلة ، جرة اناء للخمر : جاء في شفاء الغليل ص ١٢٦ « صراحية يستعملها الفرس والروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب ، وهي لغة عربية

صحيحة اهملها القاموس ، وفي شرح ابنية سيبويه : الصُراحيه الخمر التي لم تُشب بمزاج » اه · قال بعضهم ان وضعها الأصلي للدلالة على الخمر ثم استعملت مجازاً لآنية الخمر · وفي التاج : الصراحية بالضم وتشديد المثناة التحتية ، آنية للخمر ، قال ابن دريد ولا أدري ما صحته » · قلنا هي سريانية معربة من ܨܠܘܚܝܬܐ sloubitho ومعناها صراحية ويقال أيضاً صلاحية ، قلة ، جرة ·

صُرصُور ، والصُرصُر : حيوان فيه شبه من الجراد قفّاز يصيح صياحاً رقيقاً وقيل هو الجُدجُد (الشرتوني : ١ : ٦٤٣) وفي سفر التثنيه ٢٨ : ٤٢ «يتولاه الصرصر» · ووقع في شعر نرمي من شعراء المشارقة المتوفى سنة ٥٠٧ م ܨܪܨܘܪܐ ، ܨܨܪܐ sarsouro , sesro ·

صرّهُنّ : قال السيوطي في كتاب الاتقان : اخرج ابن جرير عن ابن عبّاس في قوله « فصرّهن » قال هي نبطية : فشققتهن · واخرج مثله عن الضحاك ، وأخرج ابن المنذر عن وهب ابن منية قال : ما من اللغة شيء الا في القرآن شيء منه ، قيل وما فيه من الرومية ؟ قال فصرّهن · يقول قطّعهن اه · قلنا لاحاجة لهذا التكلف فاللفظة سريانية من فعل ܨܪܐ sro ومعناه: قطع ، شقّ ، خرق ·

صَفْصاف : جنس شجر حرجي مائي (الشهابي ص ٥٦٦) وفي المعاجم الصفصاف الخلاف او صنف منه · وفي التاج : انها لغة شامية : ܨܦܨܦܐ safsofo سريانية ورد في سفر ايوب : ٤٠ : ٢٢ « يحيط به صفصاف » ·

الصَّليب : ܨܠܝܒܐ slibo حرف سرياني لم يرد في المعاجم وبمعناه المسيحي وهو الخشبة التي عليها صُلب السيد المسيح · وليس معرّب جليبا بالجين كما زعم صاحب التاج في هامش صفحة ٥٥ اذ لا (جين) بالسريانيه لكن معرب صليبا السريانية · وجمعه صُلبان وصُلُب ، كما نقله مصنف ديارات الحيرة في مسالك الأبصار ص ٣١٢ · ومنه :

الصَّليبوت : بالمعنى نفسه خاصّ بالصليب المقدس ܨܠܝܒܘܬܐ slibouthc

وفي مختصر الدول ص ٣٨٦ « واعادة صليب الصلبوت » وقال البيروني ص ٣١١ « الجمعة التي صُلب فيها المسيح وهي الصَّلَبوت » وقال ابو الفداء في تاريخه ١ : ٩١ في يوم الجمعة « ويسمى جمعة الصلبوت » .

صلّى : الرجل ، دعا وأقام الصلاة مبتهلاً الى ربه ، فعل سرياني بحت ܨܠܝ sali[1] ، والاسم : الصلوة ܨܠܘ ، ܨܠܘܬܐ slou , sloutho . وبالواو لا بالالف كُتبت في أقدم نسخ القرآن . ورد في المزمور ٤ : ١ « اسمع صلاتي » وفي الحديث « الصلاة مفتاح كل خير » (المناوي ١٩٣) وقال منظور الاسدي

كأنَّ مَهْواه على الكَلْكَلِ موقعُ كفّي راهبٍ يُصلّي

وبيت الصلاة : ܒܝܬ ܨܠܘܬܐ Beth sloutho : المصلّى ، المعبد . قال الفرزدق يمدح جُبيرة بنت ابي بذّال :

تهادى الى بيت الصلاة كأنها على الوعْث ذو ساقٍ مهيضٍ كسورُها

والوَعْث العظم المكسور .

ويُجتزأ عن بيت الصلاة باللفظة الثانية « الصلاة » للمعنى نفسه كما اعتاد مسيحيو أهل حمص وشرقي الأردن تسمية البيعة بالصلاة فيقول احدهم : هل فتحتَ الصلاة ؟ يريد البيعة . ومن السريان أخذ العبريون اللفظة فسموا كنيستهم « صَلوتا » والجمع صلوات على ما ورد في القرآن في سورة الحج ٤٠ ونصه « ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لهُدِّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسم اللهِ كثيراً »[2] .

وبما أن اللفظة سريانية النجار والاشتقاق وهي دخيلة في العبرية التي لا تعرف سوى فعل « صلح Sâlâh » بمعنى « شوى » كما ورد في العربية « صليت اللحم

(١) وتوافق اللغة الاكّدية السريانية بهذه اللفظة Sullu : صلّى (الديانة الأثورية البابلية لدورم ص ٢٤٨) .

(٢) نقل الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٢٣ انهم فسروها بقولهم : الصلوات لليهود والبيع للنصارى والصوامع للصابئين ، وانما قدّمت على المساجد لأن الهدم اهانة .

اصليهُ من باب رمى : شويتهُ » (المصباح المنير ١ : ٥٢٩) وكذلك العربية اخذت الكلمة من السريانية بمعنى الدعاء والاستغفار والبركة وما الى هذا ، وليست الصلاة في ماوهم ابن فارس من صليت العود بالنار اذا لينته لأن المصلي يلين بالخشوع (المصباح ١ : ٥٣٠) ولا من قول بعضهم ان أصلها من الصَّلاء ومعنى صلّى الرجل أي انه ازال عن نفسه بهذه العبادة الصَّلاء الذي هو نار الله الموقَدة (المفردات للراغب الاصفهاني ص ٢٨٧) .

فقد غلط الجواليقي في المعرّب ص ٢١١ والسيوطي الذي نقل عنه في الانقان ١ : ١٤٠ ، والخفاجي في شفاء الغليل ص ١٢٣ ـ ١٢٤ والفيروزابادي ٤ : ٣٥٣ والشرتوني الذي نقل عنه ١ : ٦٦٠ وغيرهم بقولهم ان « صلوات » عبرية الأصل .

صَمصام : سيف لا ينثني وورد في السريانية ܨܡܘܡܐ ، ܨܡܨܘܡܐ Smomo Samsomo أورده ابن بهلول ع ١٦٧١ وفي هامش ١٦٧٢ وصاحب كنز اللسان السرياني مج ٢ ص ٣٨١ ومؤلف اللباب ٢ : ٣٧٥ وأثبته دوفال في الألفاظ السريانية مج ٣ : ١٦٨ .

مَصنَفة : وزان مفعلة بفتح الميم او كسرها : عصابة كالمنديل يغطي بها الاسقف السرياني رأسه في أثناء اقامته القدّاس وسائر الخدم الحبرية ، وتكون من قماش حرير مزركش ، ويقال فيها أيضاً : تاج او منديل شبيه بالبَيرون ، نصيف ، صِماد ، عمامة ومقنعة للرأس ولها شرُفات كالتاج . وقال فيها ابن بهلول ع ١١٤١ « عمامة ، عصابة ، نصيف ، مقنعة أو هي قبع له شرفات من الأمام وتشبه التاج الذي يُلبَس في الرأس تحيط برأس رئيس الكهنة كالاكليل وتشبه بالتفافها النصيف الذي تلفه النساء الروميات على رؤوسهن » ذُكرت في التوراة السريانية البسيطة احدى عشرة مرة في سفر الخروج ٢٨ : ٤ و ٣٧ و ٣٩ ـ و ٢٩ : ٦ و ٣٩ : ٢٨ و ٣١ . وفي سفر اللاويين ٨ : ٩ و ١٦ : ٤ . ܡܨܢܦܬܐ Masnaftho « ܘܡܨܢܦܬܐ خروج ٢٨:٤ » « ܘܥܒܕܘ ܡܨܢܦܬܐ ܕܒܘܨܐ :

لاويين ٨ : ٩ » . وترجمتها النقول العربية ب : تاج ، برنس ، عِمامة ، قلنسوة . ماعدا النقل القديم الذي ترجمها بلفظة مصنفة في ثلاثة مواطن قال « واصنع مصنفة من كتان » ـ خروج ٢٨ : ٣٩ « واجعل المصنفة على رأسه واكليل القدس على المصنفة » ـ خروج ٢٩ : ٦ ، وفي سائر المواضع وافق النقول . وأما المعاجم فانفرد منها دليل الراغبين بايرادها بلفظها ص ٦٤٣ . واللفظة من فعل ܨܢܦ snaf : لفّ ، صمد رأسه ، و ܨܰܢܶܦ sanef : عصب ، لفّ ، صمد رأسه بصماد وهو المأنوس ، والاسم ܨܢܶܦܬܳܐ senefitho : صَنِفة ، حاشية الثوب ، طرفه . وورد أيضاً ܢܨܝܦܳܐ nsifo : نصيف ، جُنَّة ، عمامة (دليل الراغبين ص ٤٦٢)

وكذلك هي باللغة العبرية מצנפת Misnêfêt (معجم برون : ٥٤٩) و sanif : عِمامة والفعل sanaf : طوى ، دوّر ، أدار .

وأما في العربية فقد جاء في القاموس ٣ : ١٦٣ « صَنِفة الثوب كفرحة ، وصِنفُهُ وصِنفته بكسرها : حاشيته أيّ جانب كان ، أو جانبه الذي لا هُدْب له او الذي فيه الهُدب » وفي الفائق للزمخشري ص ٣٩٣ « الصَنِفة ، حاشية الازار التي تلي جسد (الرجل) ، ونصف الجارية خمَّرها وتنصفت الجارية اختمرت ، والنصيف كأمير : الخمار والعمامة وكل ما غطى الرأس ، ومن البُرْد ماله لونان (القاموس ٣ : ٢٠٠) .

فاللفظة سريانية وعبرية لثبوت الفعل فيهما . ولا بدّ من ادخالها المعاجم واستعمالها دفعاً للالتباس بينها وبين تعريف التاج والعمامة والنصيف والبرنس كما هو واضح[1] .

صَنَم : وثن ، تمثال : جاء في التاج « يقال انه معرّب شمن ولا أدري في أي لسان فانه في الفارسية بت ، وقال الدكتور الجلبي : شمن فارسية ومعناها عابد صنم ، ورجح أصل اللفظة السرياني بدليل مشتقاتها فيه (الآثار ٦١)

(١) ارتأى الأب اوغسطين مرمرجي في كتابه « هل العربية منطقية ص ٦٤ – ٦٥ » ان صنيف أو مصنفة دخلت مقلوبة الى العربية عن العبرية رأساً ؟

قلنا هي معربة من السريانية : ܨܠܡܐ Salmo والفعل ܨܠܡ Salèm : صوَّر : وفي سفر التكوين ٣١ : ١٩ «فسرقت راحيل أصنام ابيها» وفي نبوة اشعيا «وسبك صنماً لغير نفع» ٤٤ : ١٠ [١] .

صير : في مبادي اللغة : ٣٩ «والخرق في الباب يسمى الصِّير وهو الشقّ» ، وفي الحديث : من نظر في صير بابٍ ففُقئت عينه فهو هَدَر» وعن ابن سيدة قال ابن دريد : احسبه سريانياً معرباً لأن أهل الشام يتكلمون به . قلنا هو كذلك : ܨܪܝܐ ، ܨܪܝܐ Sroio , Serio . أما ان الصير نوع من السمك وهو سرياني معرب كما زعم الجواليقي والخفاجي (ص ١٢٤) او انه إدام من سمك كما ذهب غيرهما فلا صحة له [٢] .

حرف الطاء

طاغوت : كل رأس ضلال ، وفي ذيل اقرب الموارد عن التاج ص ٢٧٧ «الطاغوت ، الصارف عن طريق الخير ، والطواغيت والطواغي : بيوت الأصنام» وفي القرآن «اجتنبوا الطاغوت» وفي مفردات الراغب ص ٢٠٧ «والطاغوت عبارة عن كل متعدٍّ وكل معبود من دون الله . . . ولما تقدم سمّي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً ووزنه فيما قيل فَعَلُوت نحو جبروت وملكوت» اه فاللفظة بصيغتها هذه سريانية الأصل ܛܥܝܘܬܐ Toôioutho ومعناه : ضلال ، غلط ، غش ، من فعل ܛܥܐ Too : ضلّ ، طغى ، غلط ، اغوى ، والدليل وزنه نحو جبروت وملكوت وهما وزنان

(١) وكذلك بالعبرية (بروان ص ٥٤٥) .

(٢) صلام ، شجر صَلب وهو بالسريانية ܨܠܡܐ ܨܠܡܘܢܐ ܨܠܡܐ Salomo , Salmouno , Salmo (دليل الراغبين ٦٣٨ وابن بهلول ع ١٦٦٩ وقال فيه : شجرة صلم) ولم نعثر عليه في دواوين اللغة .

الصِّيق : قال الجواليقي ص ٢١١ عن ابن قتيبة «الصيق الريح وأصله نبطي» (زيقا) وقال الليث : الصِّيق ، الغُبار الجائل في الهواء ، وعلق الشارح عن اللسان نقلاً عن بعضهم ان الكلمة عبرانية بقوله : لا دليل لمن زعم عجمتها .

يوافقان الصيغة السريانية ، وليس فارسية الأصل كما وهم الثعالبي (فقه اللغة : ٣١٦)

طِبْطاب : جاء في التاج : قال ابن دريد ، الطِبطاب الذي يُلعَب به ليس بعربي . قلنا هو سرياني ܛܦܛܦܐ Taftofo : طبطابة خشبة يُلعب بها بالكرة[1]

طلا ، طَلو ، طُليّ : وفي الجمهرة الطُّلَيّ تصغير طلا (ص ٤٤) الطّلا والطّلو ، ولد الظبي ساعة وُلد ، والصغير من كل شيء ، وهو بالسريانية ܛܠܝܐ ، ܛܠܐ Tàlio , Tlé : طلو ، طلا ، حدث صغير ، والفعل ܛܠܐ و ܛܠܝ Tlo , Tli : صغر ، ولا فعل منه بالعربية فترجح سريانيته بدليل فعله .

طَنَز به : سخر ، قال الجوهري ١ : ١٧٨ الطنز أظنه مولَّداً أو معرَّباً ومعناه السُّخْرية » وفي الجاسوس ص ٣٥٨ « الطنز غير عربي نبَّه عليه الجوهري . قلنا هو سرياني ܛܢܙ Tnaz .

طُوبى : جاء في التاج ٣ : ٧٥ طوبى لهم وحسن مآب اي الحسنى لهم وطوبى ، اسم الجنة بالهندية (كذا) معرب عن توبى . وعن سعيد بن جبير ان طوبى اسم الجنة بالحبشية . وفي المزمور ١ : ١ « طوبى للرجل » وفي الحديث « طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرَني » المناوي ٨٨ .

قلنا طوبى سريانية ܛܘܒܐ Toubo ومدلولها الغبطة والسعادة والحسنى ، ويقال طوبى لك وطوباك ، والأولى أفصح . وليست من جمع الطيبة من نوادر الجموع كما زعموا ، ولا هي شجرة في الجنة ، وليست الجنة بالهندية والحبشية ، وأنى لهم ان يعرفوا اسم شجرة في الجنة فقالوا فيها طيبى ، وأين ورد هذا وما سنده ؟

(١) من الألفاظ التي أخذها السريانيون من اليونانية ثم وردت في العربية :

طِرّيخ : وهو سمك صغار تعالج بالملح وتقول فيه العامة ترّيس : ܛܪܝܟܐ Torikho

وُطغمة : جوقة ، كتيبة ، جماعة تُطلق على الناس والملائكة ܛܓܡܐ Tèghmo

وَطَقس : نظام ، رتبة ، صفّ ، ويعنون بها خصوصاً : مجموعة أدعية ، وحفلات دينية ܛܟܣܐ Teqso وأصلها Taksoes وصاغوا منها فعل ܛܟܣ Takes : رتّب ، هذّب وغير ذلك .

وقال البيروني في الآثار الباقية ص ٣٣٣ «شوال اول يوم منه عيد الفطر ... وزعموا ان فيه خلق الله الجنة ولم يذكر في قولهم معما فيه ويلزمه حتى الحقوا به التشبيه الفظيع من قولهم: ان فيه غرس شجرة طوبى بيده، ولم يأوّلوا ذلك بل اعتقدوه جهلاً كما هو» اه. ومن هذا الحرف طوباوي ܛܘܒܢܐ Toubono ومؤنثه ܛܘܒܢܝܬܐ طوباوية Toubonitho .

طُور: الطور، الجبل، وفي التاج ٣: ٣٦٩ والطور جبل قرب أيلة وهو بالسريانية طورى، والطور الجبل بالسريانية (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٦٣ والجواليقي ٢٢١) وفي الاتقان: اخرج الفريابي عن مجاهد قال: الطور الجبل بالسريانية، وأخرج ابن أبي حاتم الضحاك انه بالنبطية. قلنا هو ܛܘܪܐ Touro ومنه (طورزيتا) لفظتان سريانيتان معناهما: جبل الزيتون. وفي معجم البلدان ٦: ٦٨ و ٦٩ «طور زيتا جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون عذيّ يسقيه المطر. ولذلك سمي طور زيتا. وفي فضائل البيت المقدس وفيه (طور زيتا) وهو مشرف على المسجد ومنه رفع عيسى بن مريم»[1] واللفظة توافقت فيها السريانية والعبرية والعربية (معجم برون ص ١٨٤).

الطُوري والطُوراني: الوحشي من الطير والناس (اقرب الموارد ١: ٧٢١) ولعلها ܛܘܪܝܐ Touroio بمعنى ناسك، متوحد ساكن الجبال، وقد وقعت في بعض أشعار الامام القديس افرام السرياني.

الطَّوف: الرَّمث، الكَلَك: وفي ذيل أقرب الموارد عن اللسان: الاطواف الارماث التي يركب عليها فوق الماء، الواحد طوف وهو مذكور في الكتاب: قلنا وفي سفر الملوك الأول ٥: ٩ «وأنا أصيِّرها أطوافاً في البحر» (في الترجمة الموصلية عن النسخة السريانية البسيطة) وهو حرف سرياني ܛܘܦܐ Tawfo .

(١) طور عبدين ܛܘܪܥܒܕܝܢ Tourabdine من أعمال نصيبين، وليس هو بليدة كما قال ياقوت لكنه جبل فسيح المدى يشتمل على قرى كثيرة.

طوفان : سيل عرمرم ܛܘܦܢܐ Tawfono وفي سفر التكوين « فها أنا جالب طوفان الماء على الأرض ٦ : ١٧ » ان دوفال أحصى هذه اللفظة في عداد الألفاظ السريانية ٣ : ١١٧ . أما نحن فاذا اعتبرنا فعل طاف في السريانية والعربية فلا نمالئ دوفال في رأيه ونرجح اشتراك اللغتين فيها[1] .

طَيْجَن، طاجن : مقلاة ، طابق . وفي كتاب العنوان للمنبجي ص ١٣٤ «وطرحوه في طيجن» قال الخفاجي في شفاء الغليل ١٣٨ «طاجن وطيجن بمعنى مقلي : فارسي معرب تكلموا به قديماً» وقال السيوطي في المزهر ٢ : ٩٤ و ١٥٩ و ١٦٦ «في الجمهرة الطيجن ، لغة شامية وأحسبها لغة سريانية او رومية» . وعدّه برون في معجمه ص ١٨٠ والأستاذ بندلي جوزي في مجلة مجمع اللغة ٣ : ٣٤٣ من الألفاظ اليونانية Teègan - on ورجح المطران ادّى شير يونانيته . اما المستشرق روبنس دوفال فاحصاه في عداد الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية فهو بالسريانية ܛܓܢܐ Tegno و ܛܝܓܢܐ Tigno والفعل ܛܓܶܢ Taguène : طجّن ونحن الى رأيه أميل بدليل وقوعه في التوراة بحسب الترجمة السريانية البسيطة « ܘܐܢ ܩܘܪܒܢܐ ܥܠ ܛܓܢܐ : لاويين ٢ : ٥ ومثله في النقل اليسوعي «وان كان قربانك تقدمة على طاجن» والشدياقي « وان كان قربانك هدية في طاجن» .

(١) الطيبوث : لفظة سريانية ܛܝܒܘܬܐ Taïbautho يراد بها ، جبْلة من زيت مقدّس وماء وزميم بعض القديسين ، قال الخالدي « في دير القيّارة بين الموصل والحديثة على جانب دجلة الغربي تحته حمّة عظيمة ، وسبيل من قصدها أن يظلّ نهاره في مائها ويأوي ليلهُ هيكل ديرها ، ويدهنه رهبانه بالطيبوث فيشفى باذن الله » وقال الكندي المنبجي حين مرّ بدير مار ماعوث « وصوابه باعوث » :

ولقد سلكت مع النصارى كل ما سلكوه غير القول بالثالوث

بتناول القربان والتكفير للصلبان والتمسيح بالطيبوث

معجم البلدان ٤ : ١٧٦ .

حرف الظاء

ظَبي : الظبي الغزال جنس حيوانات مجترات من ذوات الأظلاف المجوّفات القرون (معجم الشهابي ٥٣ و ٢٩٩) ورد في سفر التثنية ١٢ : ١٥ «كالظبيّ والايّل» وهو بالسريانية ܛܒܝܐ Tabio مما توافقت فيه اللغات الثلاث (برون : ١٨٠)

مِظَلّة : سقيفة ، عرزال ، لفظة متقادمة العهد وردت في سفر التكوين ٣٣ : ١٧ «وصنع لمواشيه مظلاّت» وفي سفر ايوب ١٧ : ١٨ «وكمظلة صنعها الناطور» ومنها عيد المظالّ ، قال ابو الفداء في تاريخه ١ : ٨٩ «ومن اعيادهم (اعياد اليهود) المظالا وهي سبعة أيام يستظلون فيها بالخلاّف والقصب وغير ذلك» ܡܛܠܬܐ Mtaltho ܡܛܠܠܬܐ ، ܡܛܠܐ Matlo والفعل ܛܠ Tal : دام ظِلّه ، ظلّل ، وهي مما توافقت فيه السريانية والعبرية والعربية (معجم برون ١٨٧) .

ومما يلحق بها وفاتنا ذكره : «بَرطُلّة» قال الجواليقي ص ٦٨ «والبرطُلّة كلمة نبطية وليست من كلام العرب . قال ابو حاتم ، قال الاصمعي «بر» [ܒܪ Bar] ابن ، والنبط يجعلون الظاء طاء وكأنهم أرادوا «ابن الظلّ» ألا تراهم يقولون الناطور وانما هو الناظور» ؟ كذا . وعلق الشارح عليه بقوله «عن الليث ان البرطلة هي المظلة الضيقة» وتبعه فيه صاحب القاموس ٣ : ٣٣٤ اه . وفي ذيل أقرب الموارد ص ١٣٤ عن اللسان : البرطلّة المظلة الصيفية ، نبطية استعملت في لفظ العربيــة . وعبارة اللسان نقلها التاج عن التكملة والتهذيب وقال «هو الصواب» قلنا ويتضح هذا بشهادة الجاحظ في البيان والتبيين ٣ : ٥١ قال «ولا بد للجاثليق من قناع ومن مِظلة وبُرطلة ومن عكازة وعصا» ووردت اللفظة أيضاً في ترجمة مرقس الضرير ابن القنبر القبطي الذي كان سنة ١١٨٥ م

« قال ومدّ البطريرك يده الى رأسه (رأس مرقس) وطرح البرطلة وبقي مكشوف الرأس ، وان أحد تلاميذ البطريرك أعاد البرطلة الى رأسه » (الجزء الثاني من كتاب الشيخ المؤتمن أبي المكارم سعد الله بن مسعود المنسوب الى أبي صلح الأرمني ، في الصفحة الثانية من ورقة ٣٦ من النسخة المصونة في خزانة باريس) فيظهر من هذا ان البرطلة يومئذ كانت صنفاً من العمامات الكبيرة التي يغشاها ما يشبه المظلة أو تمتد أطرافها الى ما يشبه ذلك .

أما ܒܪܛܠܐ Bartélo فلم ترد في دواوين اللغة السريانية ولا عثرنا عليها في تاريخ الجثالقة ولكن القياس لا يأباها ، فهي اذاً كلمة سريانية مركبة (لا نبطية) . وارتأى مجمع اللغة الملكي أن يطلقها على (مظلات النساء) (مجلة اللغة العربية ١ : ٤٥) وكان عليه أن ينوّه بأصلها السرياني وتوافق اللغات الثلاث فيها ، ويعرّفها بالصيغة ، لا الضيقة التي وردت مصحفة .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

كنوز الأجداد

- ١١ -

ابن خلكان

شمس الدين احمد الاربلي

(٦٨١)

قاضي القضاة الكملة ، شيخ المؤرخين ، علم المحققين ، المتفنن في العلوم ، البارع في تصنيفه ، العظيم في تفكيره ، الجيد في شعره ونثره ، ينمّ ما كتب على ذوق عال في الأدب وعلى اطلاعه الواسع في جميع فروعه ، ماهر بالمناسبات والمقارنات ، صاحب اليد الباسطة في النقد وليس ممن يقنعه النقل المجرد ، يجمع بين معرفة نفسية الناس ومعرفة التاريخ ومعرفة الشريعة ومعرفة السياسة ومعرفة الأدب ، والنفوذ أبداً الى الحقائق والعلوم المنوعة التي أعانته على التجويد في تأليفه .

ولد سنة ثمان وستمائة في مدينة اربل بمدرسة سلطانها مظفر الدين بن زين الدين وكان والده يتولى التدريس فيها . وقيل في نسبه انه ينسب الى البرامكة فهو احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان بن باوك بن عبد الله بن شاكل ابن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . قال ابن العديم انه من بيت معروف بالفقه والمناصب الدينية وقال غيره كان إماماً عالماً فقيهاً أديباً شاعراً مفتناً مجموع فضائل معدوم النظير في علوم شتى ، حجة فيما ينقله ، محققاً لما يورده ، متفرداً في علم الأدب والتاريخ وكان ولي قضاء دمشق مرتين ثم عزل وقدم القاهرة وأفتى ودرس ودام بها نحو سبع سنين ثم أعيد الى قضاء

دمشق وسر الناس بعوده ومدحته الشعراء بعدة قصائد من ذلك ما قاله رشيد الدين الفارقي :

أنت في الشام مثل يوسف في مصـ ـر وعندي ان الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعـد السـ ـبع عام فيـه يغاث النـاس

وقال سعد الدين الفارقي :

أذقت الشام سبع سنين جدباً غداة هجرته هجراً جميـلا
فلما زرته من أرض مصر مددت عليه من كفيك نيلا

وكانت مدة مقامه بدمشق عشر سنين كوامل لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً وعاد الى القاهرة فصادف فيها كتباً كان يؤثر الوقوف عليها فطالعها وأخذ منها حاجته . «وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من بقية المذاهب فاستقلوا بالأحكام بعد ما كانوا يكونون من نوابه» وأثرت هذه المأثرة للظاهر بيبرس وكان بينه وبينه صلات ود وشغل . والظاهر هو الذي جعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة قاضياً يقضي بينهم .

ذكر في مقدمة كتابه أن ما دعاه الى جمع تاريخه أنه كان مولعاً بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم ومن جمع منهم كل عصر فوقع له منه شيء حمله على الاستزادة وكثرة التتبع فعمد الى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن وأخذ من أفواه الأئمـة المتقنين له ما لم يجده في كتاب فرتبه على حروف المعجم ولم يذكر أحداً من الصحابة ولا من التابعين الا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس الى معرفة أحوالهم وكذلك الخلفاء فانه لم يذكر أحداً منهم وذكر جماعة من الأفاضل الذين شاهدهم ونقل عنهم أو كانوا في زمنه ولم يرهم ولم يقصر مختصره على طائفـة مخصوصة من العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء بل كل من له شهرة بين الناس وقيد من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيحه وذكر من محاسن كل شخص ما يليق به من

مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفكه به متأمله ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله والدواعي انما تنبعث لتصفح الكتاب اذا كان مفنناً واسماه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » مما ثبت بالنقل أو السماع وأثبته البيان .

وطلب في مقدمة الكتاب وخاتمته ممن وقف عليه من أهل الدراسة بهذا الشأن ورأى فيه خللاً فهو المثاب في اصلاحه بعد التثبت فيه . وطلب في آخر كتابه ممن وقف عليه من أهل العلم ورأى فيه شيئاً من الخلل فلا يعجل بالمؤاخذة فيه فاني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي مع أنه كما يقال : أبى الله أن يصح إلا كتابه . أي أنه بذل الجهد في التدقيق فان ظهر ما فيه خلل بعد ذلك فانه أجاز العالم المطلع عليه أن يصلحه ، وأي أمانة للعلم أعظم من هذه الأمانة .

أعجب علماء المشرقيات بكتاب الوفيات وقالوا انه ليس في لغاتهم من كتب التراجم ما يماثله في التحقيق وما أعجبوا به إلا لأنه نشره لما حقق كل ما فيه وتمثله وهضمه فهو كتاب في التحقيق معجب لا يحتاج مطالعه عند تلاوة ترجمة من الترجمات الى مزيد اذا انتهى من الترجمة شرح ما يخشى أن يعسر فهمه على القارئ من ألفاظ لغوية غامضة وكلمات قد تكون مبهمة على القارئ في الجغرافيا والتاريخ والنسب .

وعندي ان هذا هو الكتاب المحرر وهكذا يجب أن تكون الكتب يتعب المؤلف أعواماً طويلة في تأليفه ليخرجه كسبيكة الذهب فيستريح من يتناوله بعده للاستفادة ، ولو كانت كل كتبنا على هذا المثال في التحقيق لسقط قسم كبير من المؤلفات وبقي السليم المفيد والزبدة الخالصة .

قالوا كان فيه سكون الطائر المعهود في القضاة وعدم التسرع بما يعرض له بادئ الرأي لا يبت في فصل القضايا إذا رأى في حسمها ضرراً وكذلك فعل بتأليفه فما أخرجه للملاءِ إلا بعد مضغه وهضمه وتذوقه وحققه وهي مزية امتاز بها بعض المؤلفين الذين كتب الخلود لمؤلفاتهم . وحسنة أخرى كانت تبدو في

كتابه وهي أنه استخدم كل ما حواه صدره من المعارف وما بلغه من عظيم التجارب في القضاء في تأليف كتابه الممتع فقد يكون المؤرخ عند نفسه انه تام الأدوات بما أحكمه من فنه فيكبو في فنون كانت تلزمه للتحقيق يدرك هذا النقص كبار المحققين .

وعلى استغراق أوقات ابن خلكان في «فصل القضايا الشرعية والأحكام الدينية» وجد وقتاً لمطالعة القدر الممكن من الأمهات يزين بنصوصها كتابه ووجد وقتاً للتدريس في عدة مدارس بدمشق لم تجتمع لغيره ولم يبق معه في آخر الوقت سوى الامينية وبيد ابنه كمال الدين موسى سوى التجيبية . ولعل لاستئثاره بعدة مدارس على ما لم يجتمع لغيره دخلاً في امالة بعض الوجوه عنه ففتح المجال لحساده ان يزنّ بأمور هو منها بريء . ذلك ان مشايخ المدارس أنكروا ولا شك هذا الطمع من قاضي القضاة وربما كان باكتفائه بمدرسة واحدة أكبر داع الى تجويد التدريس والاتقان في العمل ، وارضاء بعض المدرسين بتوزيع هذه التداريس عليهم خير من ضمها في يد واحدة .

وترجم له ابن الكتبي في فوات الوفيات الذي جعله ذيلاً على كتاب ابن خلكان ترجمة من يفرح بالمساوئ ويغضي عن المحاسن واتهمه بحب المرد ، وأورد له بيتين يقال انه قالها في ابن صاحب حماة وربما كان بقصد النكتة ، وسكت عن محاسنه ولم يذكر كتاب وفيات الأعيان وأين الأصل من الفرع الوفيات كله تحقيق والفوات جله تلفيق .

وروى الكتبي ان ابن خلكان كان في المدرسة العادلية وبات ليلة يدور حول بركتهـا ويكرر هذين البيتين الى أن أصبح وتوضأنا وصلينا والبيتان هما :

أنا والله هالك آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

ونقل له أبياتاً كلها من الغراميات منها :

وسرب ظباء في غدير تخالهم بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي امالك عن هذي الصبابة مذهب

وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى   فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

ومن شعره :

يا رب ان العبد يخفي عيبه   فاستر بحلمك ما بدا من غيبه
ولقد أتاك وماله من شافع   لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

ومن شعره :

تمثلتم لي والبلاد بعيدة   فخيل لي ان البلاد لكم مغنى
وناجاكم قلبي على البعد والنوى   فآنستمو لفظاً وأوحشتمو معنى

ابن أبي أُصيبعة

موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي

(٦٦٨)

هو من الخزرج من ولد سعد بن عبادة . ولد بدمشق وقرأ مبادئ الطب على والده ثم اتصل بعلماء اجلاء أخذ عنهم التاريخ والأدب والطب وممن تلقى عنهم الطب مهذب الدين الدخوار الذي انتهت اليه رياسة صناعة الطب في عصره . ولما أقام الدخوار بدمشق شرع في تدريس صناعته فاجتمع اليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه وأقام موفق الدين بدمشق لأجل القراءة عليه ، وكان يشتغل عليه في المعسكر لما كان ابوه والحكيم الدخوار في خدمة السلطان . قرأ على الدخوار كتب جالينوس ولازمه في وقت معالجته للمرضى فتدرب معه وباشر عندئذ أعمال صناعة الطب وكان مع شيخه لمداواة المرضى في البيمارستان النوري الحكيم عمران من أعيان الأطباء وأكابرهم في المداواة والتصرف في أنواع العلاج ، فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما ومما كان يجري بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها ومما كان يصفانه للمرضى .

فالدخوار هو الذي تخرج به المؤلف في الطب واقتبس في المعالجة فوائده وفوائد الحكيم عمران . أما شيوخه في الأدب والتاريخ وغيرهما فلم نعرفهم . وكان مبرزاً في الأدب بنثر وينظم اشتهر بنظمه من مدحه صدور صناعته وكان يقول الشعر على البديهة ويجتمع الى الشعراء ومن أصدقائه فتيان الشاغوري أكبر شعراء دمشق في عصره ومن شعره قصيدة يتشوق فيها الى دمشق ويمدح موفق الدين عبد السلام . قال فيهـا :

لعل زماناً قد تقضي بجلق ... يعود وتدنو الدار بعد التفرق

وان تسمح الأيام من بعد جورها ... بعدل واني بالأحبـة نلتقي

فكم لي الى أطلالها من تشوف ... وكم لي الى سكانها من تشوق

ترنحني الذكرى اليها تشوقاً ... كما رنحت صرف المدام المعتق

ومن عجب نار اشتياقي بأضلعي ... لها لهب من دمعي المترقرق

لقد طال عهدي بالديار وأهلهـا ... وكم من صروف البين قلبي قد لقي

ولو كان للمرء اختيار وقدرة ... لقد كان من كل الحوادث يتقي

ولكنها الأقدار تحكم في الورى ... وتقضي بأمر كنهه لم يحقق

ومن قصيدة له في الوزير الصاحب امين الدولة ابي الحسن بن غزال وهو الذي أهدى اليه كتاب الطبقات :

فؤادي في محبتهم أسير ... واني سار ركبهم يسير

يحنُّ الى العُذَيبِ وساكنيه ... حنيناً قـد تضمنه سعير

ويهوى نسمة هبت سحيراً ... بهـا من طيب نشرهم عبير

واني قانع بعـد التداني ... بطيف من خيالهم يزور

ومعسول اللمى من التجني ... يجور على المحب ولا يجير

تصدى للصدود ففي فؤادي ... بوافر هجره أبداً هجـير

وقد وصلت جفوني فيه سهدي ... فما هذي القطيعـة والنفور ...

وهبط موفق الدين مصر وأكمل صناعته في المستشفى الناصري ثم انتقل الى صرخد في جبل حوران وكان مالكها عز الدين ايبك ، وفي صرخد هلك ودفن . والى صرخد كتب اليه شرف الدين الرحبي يحثه على العودة الى دمشق ويكره اليه البلد الذي نزل به قال :

موفق الدين ماذا السهو منك على ... ما نلت من رتبة في العلم والأدب
أتعبت نفسك بالنزر الحقير لقد ... أرخصتها بعد طول الجد والدأب
أقمت في بلد يزري بساكنه ... لا يرتضيه لبيب من ذوي الفطن
ناء عن الخير ذي جدب فليس به ... سوى صخور وحرّ منه ملتهب
مضيعاً فيه عمراً ماله عوض ... اذا تصرم وقت منه لم يؤب
أتحسب العمر مردوداً تصرمه ... هيهات أن يرجع الماضي من الحقب
أم تحسب العمر ما ولت لذاذته ... ينال بعد ذهاب العمر بالذهب
اذا تولى شباب المرء في نغص ... فما له في بقايا العمر من ارب
لو كان ما أنت فيه مكسباً لغنى ... لما وفى بذهاب العمر في نصب
فكيف مع قلة الجاري وخسته ... والبعد عن كل ذي فضل وذي أدب
فعد الى جنة الدنيا فقد برزت ... لمجتلي الحسن في أثوابها القشب
ولا تقم في سواها مع حصول غنى ... فالعمر فيما سواها غير محتسب
واقطع زمانك طيباً في محاسنها ... وعد الى اللهو واللذات والطرب

الى آخر القصيدة فجاوبه ابن أبي أصيبعة بقصيدة مدحه بها ومن أبياتها :

واني بعـد ماجد الفراق بنا ... والبعد لم يصف لي عيش ولم يطب
وكيف يلتذ عيشاً من أتاح به ... هذا الزمان الى قوم من الحطب
لم يعرفوا قدر ذي علم لجهلهم ... وليس ذلك في الجهال بالعجب
أتيت من ضاع فضلي في فنائه وهل ... غباوة العجم تدري فطنة العرب

الى آخر ما استدللنا به على انه لم يكن في صرخد على فراش من الورد وان الحاجة أو الشيخوخة دفعته الى الرضا بالاستخدام عند صاحبها الأعجمي في بلد يغلب الجهل على أهله ٠

***

هذا ما كان من نشأته وتمحضه لصناعة الطب وكان من أمره بالبراعة في التأليف انه ألف كتابه النفيس «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» واسطة عقد تآليفه والدرة الثمينه التي خلد فيها على الأيام ذكره وذلك في سنة ٦٤٣ وهو في سن الكهولة وبقي خمساً وعشرين سنة يمحو ويثبت كما فعل ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ترجم فيه للموافق والمخالف وأنصف جميع من ترجم لهم كأنهم أبناء مذهبه ، وكأنهم كلهم أبناء مذهب واحد وهو مذهب العلم ٠ وأودعه نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ومعرفة طبقاتهم على توالي ازمنتهم وأوقاتهم وأودعه نبذة من أقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم وشيئاً من أسماء كتبهم ليستدل بذلك على ما خصهم الله تعالى به من العلم قال فان كثيراً منهم وان قدمت أزمانهم وتفاوتت أوقاتهم فان لهم علينا من النعم فيما صنعوه ، والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ، ما هو تفضل المعلم على تلميذه ، والمحسن الى من أحسن اليه ٠

قسم كتابه الى خمسة عشر باباً الباب الأول في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها ٠ الثاني في طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها وهم ثلاثة ٠ الثالث في الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقيلبيوس وهم ستة ٠ الرابع في الأطباء اليونانيين الذين أذاع ابقراط فيهم صناعة الطب وهم تسعة ٠ الخامس في الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه ٠ السادس في الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في أزمنتهم من الأطباء النصارى وغيرهم ٠ السابع الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الاسلام من أطباء العرب وغيرهم وهم عشرة ٠ الثامن في الأطباء السريانيين الذين كانوا

في ابتداء ظهور دولة بني العباس وهم أربعة وثلاثون . التاسع الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم وهم سبعة وثلاثون . العاشر الأطباء العراقيون وأطباء الجزيرة وديار بكر وهم اثنان وثمانون طبيباً . الحادي عشر الأطباء الذين ظهروا في العجم وهم ثلاثة وعشرون . الثاني عشر الأطباء الذين كانوا في الهند وهم ستة . الثالث عشر الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها وهم تسعة وثمانون . الرابع عشر الأطباء المشهورون من أطباء مصر وهم سبعة وخمسون . الخامس عشر الأطباء المشهورون من أطباء الشام وهم تسعة وخمسون .

ورتب من ترجم لهم على سني وفياتهم ولا تعد هذه الطبقات كتاباً للطب والأطباء بل كتاب الحكمة والحكماء والمفننين من العلماء يقع القارئ فيه على أشياء في مدنية الاسلام وعيون المسائل الصحية والعلمية وأسماء التراجمة عن اليونانية والسريانية وغيرهما تتراوح فيه بين التعريف بالأطباء والفلاسفة والحكم المستعذبة والأشعار اللطيفة والنثر البديع فهي كتاب أدب ومحاضرة كما هي كتاب حكمة وطب تتنقل بين الاستفادة من هذه وترويح النفس بتلك الى غير ذلك من الفوائد التاريخية والاجتماعية والطبية عدا ما فيه من النكات والفكاهات .

ومن فكاهاته ما رواه عن يوحنا بن ماسويه الطبيب العالم المشهور وكان فكهاً ذا دعابة وظرف قال : شكا اليه رجل جرباً قد أضرّ به فأمره بفصد الأكحل من يده اليمنى فأعلمه انه قد فعل . فأمره بفصد الأكحل أيضاً من يده اليسرى فذكر أنه قد فعل . فأمره بشرب المطبوخ فقال : قد فعلت . وأمره بشرب الاصطمخيقون فأعلمه انه قد فعل . فأمره بشرب ماء الجبن أسبوعاً وشرب مخيض البقر أسبوعين فأعلمه أنه قد فعل . فقال له : لم يبق شيء مما أمر به المتطببون الا وقد ذكرت أنك فعلته وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس وقد رأيناه يعمل على التجربة كثيراً فاستعمله فاني أرجو ان ينجع علاجك إن شاء الله . فسأله ما هو ؟ فقال : ابتغ زوجي قراطيس وقطعها رقاعاً صغاراً

واكتب في كل رقعة رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية ، وألق نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام ، والنصف الآخر في المسجد الغربي وفرقها في المجالس يوم الجمعة فاني أرجو أن ينفعك الله بالدعاء اذ لم ينفعك بالعلاج .

توسع المؤلف في حرية القول الى التي لم يصل زمانه الى أوسع منها وحرص على نقل الشعر ولا سيما شعر الأطباء وفيه المستملح وفيه العالي ، ولكثرة غرامه بالحرية نشر طائفة من الشعر الذي نصفه بالأدب المكشوف فأراد أن يجعل كتابه مرجعاً كبيراً وموردا فائضاً في كل أطروفة وأطروبة ولذلك رأيناه لما أهدى نسخاً لبعض من يغلب عليهم الوقار حذف هذه الزائدات ومن رآهم يحبون الأشياء على أصلها استنسخ لهم من كتابه نسخة تامة ، وهذا هو السبب في اختلاف النسخ التي ظفر بها طابع الكتاب ـ قاله أستاذي الجزائري .

والغالب ان الأطباء ومهنتهم تقتضيهم النظر في أعضاء البدن كافة لا يتحرجون كسائر الشعراء من النظم في الأدب المكشوف تسلية لأنفسهم ولغيرهم في صناعة صعبة تحتاج الى مرح ودعابة وقد وقع لهم في عهد المدنية العربية من ذلك أشياء كثيرة قصد بها ادخال السرور على النفوس ولولا ان بعضهم يشمئزون من ذكر هذه المسائل ما توقفت عن ان أتقدم أول المؤلفين في إثبات ما قالوا ما دام أجدادنا لم يحجموا عن إنشادها وتدوينها أيام عزة الاسلام .

ومن حرية المؤلف انه نشر النسخة التي كتبها ابن حمويه المتصوف لعمه رشيد الدين علي بن خليفة بالباسه خرقة التصوف . ولعله قصد باثباتها في مصنفه لينعى على بعض أهل هذه الطريقة تخريفهم خصوصاً وقد ادعى ابن حمويه انه أخذها عن والده عن جده وأنه أخذها عن الخضر عليه السلام والخضر عن رسول الله ﷺ ، والخضر كالعنقاء والمهدي ما جاآ قط . وبنقله هذه النسخة فضح معتقداً واهياً بقي يجوز على عقول العامة قروناً .

لموفق الدين عدة كتب لم تصل الينا ووصل الينا طبقات الأطباء وهو بحق من الأمهات المعتبرة حفظت فيه مطالب مهمة جداً لولاه لضاعت على العلم العربي .

الثعالبي

ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري

(٤٢٩)

هذه النسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لأنه كان فراءً ونشأ في نيسابور وطاف البلاد والغالب انه من أصل عربي أخذ عن ابي بكر الخوارزمي وسماه بعضهم جاحظ نيسابور . قال ابن خلكان فيه انه كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه ، سار ذكره سير المثل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب وتواليفه كثيرة . وأكبر كتبه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وفيه يقول ابن قلاقس :

أبيات أشعار اليتيمة   أبكار أفكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم   فلذاك سميت اليتيمة

كان شاعراً عظيماً وكاتباً مجيداً يعرف ما يختار ويبدع وفي كل ما كتب أجاد وأبدع ونمّ عن ذوق ظريف في الشعر والنثر .

وما جود الثعالبي هذه الاجادة النادرة في تأليف اليتيمة إلا لأنه تصدى لتصنيفها والعمر في اقباله ثم تعاورها بالزيادة والنقص الى أوان نضجه واكتماله قال : «وحين أعرته على الأيام بصري وأعدت فيه نظري تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة الا أحب في غدها ان يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة» والنسخة الأخيرة التي اعتمدها من اليتيمة تجمع «من بدائع أعيان الفضل ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً تتضمن من ظرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار وأطيب من فوح نسيم الأسحار بروائح الأنوار والأزهار ما لم تتضمنه

النسخة السائرة الأولى والشرط في هذه الأخرى ايراد لب اللب وحبة القلب وناظر العين ونكتة الكلمة وواسطة العقد ونقش الفص ، مع كلام في الاشارة الى النظائر والأحاسن والسرقات فتأخذ في طريق الاختصار ونبذ من أخبار المذكورين وغرر من فصوص فصول المترسلين يميل الى جانب الاقتصار » ·

بدأ بشعراء الشام وفضلهم في البلاغة على غيرهم وقال ان السبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم ، فجمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة · قال كانت أشعار الاسلاميين أرق من أشعار الجاهليين وأشعار المحدثين ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ولانتهائها الى أبعد غايات الحسن وبلوغها أقصى غايات الجودة والظرف تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ومن حد الشعر الى السحر فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم وثمرات قرائحهم وابكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لاقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة ·

بدأ اليتيمة بسيف الدولة والذين كانوا من شعرائه في الذروة ثم شعراء مصر والمغرب والموصل وشعراء بني بويه وكتابهم وشعراء البصرة والعراق وحده ثم بغداد وحدها واصبهان والجبل وفارس والاهواز وجرجان وطبرستان وخوارزم وخراسان ونيسابور وغيرهم من أهل البلاد التي نسي اسمها الا من كتب التاريخ وتقويم البلدان وكانت تقيم للآداب أسواقاً وتفضل على الأدباء والشعراء فتنضر أوراقه وتينع ثماره ·

وكتابه الثاني فقه اللغة واسرار العربية وهو كتاب كاد يحيط باللغة قسمه أبواباً وضم كل معنى الى شكله وكل لفظ الى ما يماثله وجعله في متناول الخواص

والعوام والبنات والبنين وهو كتاب آخذ بناصية الكمال من أوله الى آخره ، قدمه لأبي الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي وكان أقام عنده زمناً في ضيعته فيروزاباد من رستاق جوين وأمده بكتب من خزائنه حتى كتب هذا الكتاب الدال على اغراقه في النظام والتنسيق ما يكاد يكون فيه منقطع النظير .

وكتابه الثالث « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » ليس أقل من الثاني تنسيقاً وجمالاً وقد خرجه « في أحد وستين باباً ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً ويفصح عن الاستشهاد وسياق المراد آخراً وما منها الا ما يتعلق من المثل بسبب ، ويوفي من اللغة والشعر على طرف ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم ، ويجيل في خصائص البلدان والأماكن قدحاً ، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطاً » وكتابه هذا كله علم وبحث .

أما كتبه الصغيرة فكثيرة وكلها من الامتاع والاجادة في القمة منها أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام ، ومنها كتاب من غاب عنه المطرب وأحسن ما سمعت والكنايات والتمثيل والمبهج وسحر البلاغة والاعجاز والايجاز والأمثال وبرد الأكباد في الاعداد وخاص الخاص وسر الأدب وغرر أخبار ملوك الفرس والفرائد والقلائد ونثر النظم وحل العقد والكناية والتعريض ولطائف المعارف واللطائف والظرائف والمؤنس الوحيد ومرآة المروآت ومكارم الأخلاق والمنتحل الى غير ذلك مما طبع له وكله مجموعة فوائد وغرر في اللغة والتاريخ وتراجم الشعراء وأشعارهم والأدباء وأخبارهم والكتاب ومنثورهم « وشيء كثير جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم دلالة على كثرة اطلاعه » ينقل ما ينقل من الكتب المعتمدة المشهورة في عصره ويضم بعضه بنظام راق وعلم واسع يستفيد منه المتعلم والمتفكه حتى لتتألف من كتبه خزانة لطيفة . وكان يلقى المشهورين من الشعراء الممتازين ويستنشدهم شعرهم

ويقتبس أحاديثهم ويأخذ من دواوينهم ومن هؤلاء الذين عاصرهم ضم كتابه طائفة عظيمة كانوا حلية زمانهم وسادة أبناء صناعتهم . ولم يتقزز من نقل أكثر الشعر بذاءة كشعر الواساني وابن الحجاج مثلاً فجاءت يتيمته مرآة العصر الذي كتبت فيه ومثالاً من أدب اهله ومن سبقهم الى الأرض .

وأعظم ما نفعه في تآليفه تنقله في حواضر الاسلام وأخذه من الكتب الموقوفة وكتب الخواص ما طاب له وكفاه ان نشأ في نيسابور وكانت في زمنه أعمر مدن الدنيا بالعلم والأدب كادت تفوق بغداد في القرن الثالث والرابع ونيسابور كاصفهان نبغ بها من كل صنف من أصناف الرجال المشتغلين بعقولهم ما يتعذر احصاؤه .

ومن شعره :

وسائلٍ عن دمعي السائل ... وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له والأرض في ناظري ... أوسع منها كفة الحابل
بليت والله بملوكة ... في مقلتيها ملكا بابل
فان لحاني عاذل في الهوى ... يوماً فما العاذل بالعادل

ومنه :

سقطت لحيني في فراشٍ لزمته ... اضم الى قلبي جناح مهيض
وما مرض بي غير حي وانما ... ادلس فيكم عاشقاً بمريض

وكتب الى ابي نصر سهل بن المرزبان ولقد لسعته عقرب على قدمه فلما وجدت وقتلت زال الوجع بهذه الأبيات :

يا عمدة الأمراء والوزراء ... يا عدة الأدباء والشعراء
يا غرة الزمن البهيم وناظر الـ ... ـكرم الصميم وواحد الفضلاء
أرأيت همة عقرب وثبت الى ... قدم بهــا تخطو الى العلياء
لما ارتقت باللسع أعظم مرتقى ... أحنت عليهــا رتبة العظماء

ان ذقت ضراء العقارب فابقين بمقارب الأصداغ في سراء
يا طيب لسعة عقرب درياقها ربق الحبيب بقهوة عذراء

وله : ثلاث قد مُنيت بهن اضحت انار القلب مني كالأثافي
ديون أنقضت ظهري وجور من الأيام شاب له غدافي
وفقدان الكفاف وأي عيش لمن يُمنى بفقدان الكفاف

ومن شعره ما كتبه الى الأمير ابي الفضل الميكالي :

لك في المفاخر معجزات جمة أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه شعرالوليد وحسن لفظ الأصمعي
وترسّل الصابي يزين علوّه خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع
كالنَوْر او كالسحر او كالبدر او كالوشي في بُرد عليه موشع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى وافى الكريم بعُيَيْد فقر مدقع
واذا تفتق نَوْر شعرك ناضراً فالحسن بين مرصع ومصرّع
ارجلت فرسان الكلام ورضت افـ راس البديع وانت امجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدائعاً تزري بآثار الربيع الممرع

ومن شعره :

لما بعثت فلم توجب مطالعتي وأمعنت نار شوقي في تلهبها
ولم أجد حيلة تبقى على رمقي قبلت عيني رسولي اذ رآك بها

محمد كرد علي

موقفنا من الفلسفة

١ — توطئة عامة

كان من نتائج سياسة الخلفاء في العصر العباسي الأول ان تشوق العلماء الى الاطلاع على العلوم الفلسفية ، فأوفد المأمون الرسل الى بلاد الروم لاستخراج علوم اليونانيين ، ثم حمل المترجمين على نقلها الى اللغة العربية . فنقلوا كتب (افلاطون) و (أرسطو) و (تيوفراست) و (جالينوس) و (وفيثاغوروس) و (فرنوريوس) وشروح (الاسكندر الافروديس) و (تيمستيوس) (وامونيوس) وبعض كتب افلوطين وغيرها ، كما نقلوا أيضاً بعض الكتب السريانية والفارسية والهندية .

ولم يمض على نقل العلوم الفلسفية الى اللغة العربية الا القليل حتى عكف العرب على شرح معانيها والنسج على منوالها ، فأبدعوا لأنفسهم فلسفة خاصة مشبعة بعقائدهم الدينية ، وميولهم الاجتماعية والسياسية ، ثم نقلت هذه الفلسفة الى الغرب ، وسيطرت على التفكير الأوروبي حتى نهاية القرن الخامس عشر .

إلا ان الدولة العربية لما غلبت على أمرها ، وتسلط عليها الأتراك والبرابرة ، ركدت بها ريح العمران ، واضمحلت منها حرية الفكر ، واتهم الفلاسفة في صدق ايمانهم ، وصحة عقيدتهم ، وحاربتهم الخاصة والعامة . فالغزالي هدم فلسفة ابن سينا ، واتهم صاحبها بالكفر والزندقة ، وابن رشد نكب في المغرب ، واحرقت كتبه ، حتى قال الحاج ابو الحسين بن جبير فيه ، وفي نكبته :

نفذ القضاء بأخذ كل مموه   متفلسف في دينه متزندق

بالمنطق اشتغلوا فقيل حقيقة   ان البلاء موكل بالمنطق

وابن خلدون نفسه كتب فصلاً هاماً في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها .
وما زال العلماء والمحدثون ينتقدون الفلاسفة ، حتى صارت كلمة فلسفة مرادفة في أذهان العامة للثرثرة والتمويه والالحاد ، والفيلسوف عندهم هو الرجل الذي يلوك الكلام ويأتي بالأفكار الشاذة ، ويعرض نفسه للهزء والسخرية . ولم تسترد الفلسفة بعض ما فقدته من الرواج والانتشار الا في أيامنا الأخيرة ، إذ عكف المترجمون على نقل كتبها من اللغات الاوروبية الحديثة ، وأخذ الكتاب والعلماء والمثقفون يعنون بها عنايتهم بفروع العلوم الأخرى . وكان من نتائج ذلك ان اتسعت الحركة الفلسفية في العالم العربي الحديث ، وأقبلت الصحف والمجلات على نشر المقالات الفلسفية ، ومال القراء الى مطالعة ما يفهمونه ، وما لا يفهمونه منها . فمن قائل بضرورة الرجوع الى الفلسفة العربية القديمة لاحياء آثارها ، واظهار معالمها ، ومن قائل بضرورة الأخذ بالفلسفة الغربية الحديثة كما هي ، دون أي تبديل او تغيير ، ونريد الآن ان نحدد موقفنا ازاء كل من هذين الرأيين .

٢ — موقفنا من الفلسفة العربية

ما هو موقفنا إزاء الفلسفة العربية القديمة ، هل ينبغي لنا الأخذ بها كما هي ، أم يجب الاعراض عنها ، والاتجاه نحو الفلسفة الغربية الحديثة ؟

لا شك ان الاعراض عن الفلسفة العربية القديمة ليس في مكنتنا ، لأن هذه الفلسفة قد نفذت الى نفوسنا ، وبدلت أفكارنا وعواطفنا . وهي فلسفة عقلية ، وتوحيدية ، وروحانية معاً ، من مبادئها الأساسية ان الحقيقة الدينية لا تختلف عن الحقيقة الفلسفية ، وان الحكمة هي صاحبة الشريعة ، واختها الرضيعة . ومن نظر في آراء حكماء العرب ، من الفارابي الى ابن سينا ، ومن ابن سينا الى ابن رشد ، علم ان التوفيق بين الحكمة والشريعة كان همهم الأول ، حتى ان المتأخرين من علمائنا كالأستاذ الامام محمد عبده لم يخرجوا عن هذا المبدأ في

تفسير آيات القرآن الكريم . وجميع ما جاء في الشريعة عندهم متفق مع ما يكشف عنه النظر العقلي . فالمنقول مطابق للمعقول ولا فرق بين حقيقة وأخرى .

ولا شك ايضاً في ان الأخذ بالفلسفة العربية بأصبارها لا يتفق ومبادئ العلم الحديث . ففي الفلسفة العربية امور كثيرة لا تصلح لتوجيه تفكيرنا ولا لتنظيم حياتنا الحاضرة .

ان نظرية الفيض التي وضعها فلاسفة العرب للتوفيق بين الدين والفلسفة تستند الى اعتقادهم ان الارض هي مركز العالم ، وان الأفلاك طبقات مختلفة تحيط بالارض كما تحيط القشرة بالبيضة . ثم ان نظرية النفس ، ونظرية العقل ، ونظرية الطبيعة ، مشتملة جميعها على آراء لا يؤيدها العلم الصحيح .

لذلك كله كان من العبث الأخذ بالفلسفة العربية القديمة بأصبارها ، ان هذه الفلسفة يجب أن تدرس كما تدرس سائر الاتجاهات الفكرية القديمة لا للإفادة منها في توجيه سلوكنا ، ولكن لاستكمال ثقافتنا الفكرية ، واطلاعنا على ماضينا وتعريفنا بأنفسنا ، وتوضيح تطور أفكارنا ، فاذا شئنا ان تكون لنا فلسفة عربية حديثة تأتلف وميولنا ، وحاجاتنا الحاضرة ، وجب علينا اولاً دراسة الفلسفة العربية دراسة تاريخية لتأمين الاتصال بين اتجاهاتنا الفكرية الحديثة وعبقريتنا القديمة .

ان الحاضر كما قال (ليبنيز) مثقل بالماضي وممتلئ من المستقبل ، والأمم التي ليس لها ماض ليس لها شخصية كاملة . ومن أعرض عن دراسة الماضي حرم الاطلاع على أجمل آثار الفكر التي خلفها الاجداد .

على ان هذا الالتفات الى الماضي يجب ان يكون دافعاً الى الحركة والتقدم ، لا باعثاً على الركود . ان كثيرين من الشيوخ الذين يعيشون في الماضي يعجزون عن تفهم الحاضر ومسايرة تطوره . ان اعجابهم بماضيهم يلهيهم عن الاهتمام بالحاضر ويحول بينهم وبين التطلع الى المستقبل .

فموقفنا من الفلسفة العربية القديمة يجب ان يكون اذن موقفاً علمياً محضاً ، ونعني بهذا الموقف العلمي أن تاريخ الأفكار يجب أن يطلب لذاته ، لا لعبره

وفوائده ، ومتى طلب التاريخ لذاته انكشف هو نفسه عن كثير من المسائل التي توحي الينا بالأفكار والآراء الجديدة .

هناك أمران يحددان لنا هذا الموقف العلمي : الأول هو التعريف بالفلسفة العربية ، والثاني هو نقدها وتحليلها .

١ — فالعرب لا يزالون حتى الآن جاهلين بكثير من مسائل الفلسفة العربية . وربما كان بعض المستشرقين أحسن احاطة بهذه المسائل من بعض علمائنا المعاصرين . أما فلسفة الكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، فلا تزال محاطة بكثير من الغموض ، كما ان فلسفة علماء الكلام من المعتزلة وغيرهم لا تزال قليلة الوضوح . والسبب في ذلك يرجع الى ان كثيراً من الكتب الفلسفية القديمة لم يصل الينا ، حتى اصبحنا لا نعرف منها الا اسماءها كما ان كثيراً من المخطوطات لا تزال محفوظة في خزائن الكتب الخاصة لم يطلع عليها الا القليل من الناس ، وفي اللغة اللاتينية وغيرها تراجم لبعض الكتب العربية المفقودة . فهل من مصلحتنا ان تبقى هذه الكتب مخزونة في الصناديق في وقت نحن أحوج الأمم فيه الى التعريف بماضينا . ان أول عمل علمي يجب علينا القيام به هو احصاء المخطوطات الفلسفية العربية في البلدان الشرقية والغربية ، وتحقيقها ونشرها ، ثم اعادة طبع الكتب الفلسفية المنشورة سابقاً ، لاشتمالها على كثير من الأغلاط ، فبعضها لم يطبع حتى الآن الا على الحجر ، وبعضها الآخر طبع للتجارة لا للعلم والتحقيق ، وبديهي ان احياء النصوص الفلسفية يجب ان يشمل أيضاً كتب العقائد والتصوف . ففي كتب العقائد كثير من الفلسفة ، كما ان في كتب الأخلاق والتصوف نزعات فلسفية أصلية لا ينبغي اهمالها .

٢ — والأمر الثاني الذي يحدد لنا هذا الموقف العلمي هو وضع دراسات تحليلية عن فلاسفة العرب تشرح فيها فلسفتهم وتبين منابعها وأصولها ومدى تأثيرها في الحضارتين الشرقية والغربية . ان هذه الدراسات التحليلية هي الوسيلة

الأكيدة لتعريف العرب بحضارة العرب . وكما يتقدم التحليل على التركيب في ارتقاء العلوم الوضعية فكذلك يجب ان تتقدم الدراسات التحليلية الخاصة في تاريخ الفكر على النظرات التركيبية العامة . ان مؤرخي الأفكار الذين ينصرفون الى التركيب قبل التحليل يشبهون الروائيين الذين يؤلفون الوقائع الخيالية من مواد أولية وهمية . فقد يبعدهم هذا البناء الوهمي عن معرفة الحقائق ، وقد يقلب التاريخ الى اسطورة كاذبة ، وفي تاريخ العلوم آيات ناطقة تدل على ان العلماء لا يصلون الى المرحلة الوضعية الا بعد عكوفهم على تحليل العناصر ، واعراضهم عن حل المسائل الكبرى حلاً تركيبياً مربعاً . فالرياضي ، والفلكي ، والفيزيائي والكيميائي ، وعلماء الحياة والنفس والتاريخ يحددون في مرحلة التحليل دائرة بحثهم ، وينصرف كل منهم الى موضوع خاص ، او الى ناحية واحدة من موضوع خاص . ثم اذا تم لهم هذا التحليل انتقلوا منه الى مرحلة التركيب ، وكشفوا عن الخطط العامة المشتملة على تعليل العناصر وتوضيحها . لذلك كان من الصعب جداً على الباحثين في تاريخ الفلسفة العربية وضع تاريخ جامع لتطور الفكر العربي قبل القيام بدراسة النصوص ، وتحليل الآراء ، وتحديد الاتجاهات الفكرية الخاصة . وأنّى لنا ان نضع هذا التاريخ الجامع اذا نحن لم نحلل المذاهب الفلسفية المختلفة ، ولم نكشف عن الاتجاهات الفكرية المتباينة ، ولم نؤلف منها خططاً عامة تقرب الأفكار المتشابهة بعضها من بعض ، وتجمعها في تيار واحد .

وقصارى القول ان موقفنا من الفلسفة العربية القديمة يجب ان يكون موقفاً علمياً وضعياً غايته التعريف بها ونقدها وتحليلها ، لا الأخذ بأصبارها ، والنسج على منوالها . فان لكل زمان فلسفة موافقة لبنيته الاجتماعية وحالته العلمية وتطوره الفكري . ومن أراد ان يكون له في القرن العشرين فلسفة القرون الوسطى كان كمن يمشي الى الامام مشية القهقرى .

٣ — موقفنا من الفلسفة الغربية

ان هذه الاشارات كافية لتحديد موقفنا من الفلسفة الغربية . فكما ان احياء الفلسفة العربية القديمة لا يكفي لبعث الفلسفة في ربوعنا ، فكذلك الأخذ بالفلسفة الغربية كما هي لا يكفي لتوجيه سلوكنا في مجتمعنا الحديث ، المتردد بين روحانية العقل ومادية العلم . فلا بد لنا ها هنا أيضاً من اتباع الطريق الذي سلكناه في تحديد موقفنا من الفلسفة العربية وهو : التعريف بهذه الفلسفة أولاً ، ثم نقدها وتحليلها .

١ — ينبغي لنا أولاً ترجمة امهات الكتب من الفلسفة اليونانية القديمة كفلسفة افلاطون وأرسطو وغيرها . ان الكتب العربية القديمة المترجمة عن اليونانية كثيرة الابهام والتعقيد ، لا يتوصل القارئ الى ما فيها من المعاني العميقة الا بعد قراءتها عدة مرات . فقد حكي عن الفارابي انه قرأ كتاب النفس لارسطو مائتي مرة ، وذكر ابن سينا عن نفسه انه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو اربعين مرة من غير ان يفهم ما فيه . ومن نظر في كتاب (قاطيغورياس) الذي ترجمه حنين بن اسحق وجد فيه من الغموض وركاكة الاسلوب ما يدعوه الى قراءته عشرات المرات . فلا بد لنا اذن من إعادة ترجمة هذه الكتب من لغتها الأصلية باسلوب عربي واضح ، ان الكتاب المعاصرين الذين ترجموا بعض كتب ارسطو وافلاطون عن الفرنسية او الانكليزية ضلوا سواء السبيل ، وليس في تجديد هذه التراجم كلها مضيعة للوقت ، اذ ان اكثرها قد فقد ، والموجود منها يكتنفه الغموض . ومن تذكر ان التفكير الأوروبي في اواخر القرن الخامس عشر وفي القرن السادس عشر قد استند الى الفلسفة اليونانية في نهضته الحديثة أدرك ما لتعريب كتب افلاطون وارسطو من عميق الأثر في احياء فلسفتنا العربية القديمة من جهة ، وفي تفهم الفلسفة الغربية من جهة اخرى .

فالفلسفة اليونانية لا تزال حتى اليوم معجزة المعجزات ، تجد فيها أصولاً لجميع المذاهب الحديثة من (ليبنيتز) الى (نيتشه) ومن (ديكارت) الى (كانت) . ومن أراد ان يكون له في ميدان الفلسفة أقل اثر فما عليه أولاً الا ان يرتوي من معين الفلسفة اليونانية .

٢ — وينبغي لنا ثانياً ان نترجم أمهات الكتب من الفلسفة الغربية الحديثة ككتب (لوك) و (ديكارت) و (ليبنيتز) ، و (اسبينوزا) و (هيوم) و (كانت) و (سبنسر) و (هيجل) و (شوبنهاور) و (اغوست كونت) و (نيتشه) و (برغسون) وغيرهم . ان هذه الترجمة ضرورية لنا اليوم اكثر من الدراسات التحليلية المقصورة على التعريف بالفلاسفة الغربيين . ومن قرأ هذه الدراسات عرف انها لا تطلعه على افكار الفلاسفة الا من وراء حجاب . واذا فهم ما كتبه اصحابها لم يجد في افكارهم ما يرفعه الى فضاء الفكر ويوحي اليه بالمعاني الجديدة . ومن شروط الترجمة ان تنقل الكتب من اللغة الأصلية التي كتبت فيها ، لأنها اذا نقلت عن لغة ثانية كان ذلك باعثاً على غموض الأفكار وتحريفها وبعدها عن الضبط . دع ان المترجمين لا يحسنون الاختيار فيترجمون ما يصل اليهم من الكتب على غير هدى من غير ان يكون لها قيمة حقيقية . مثال ذلك ان بعض قراء العربية كانوا الى عهد قريب يعدون (غوستاف لوبون) اعظم فلاسفة الغرب . والسبب في ظنهم هذا يرجع الى ان بعض الأساتذة نقل كتبه الى اللغة العربية . لا شك ان (غوستاف لوبون) شارك في علوم كثيرة ، الا انه لم يتعمق في علم من العلوم تعمق رجال الاختصاص ، فهو قد كتب في علم الاجتماع ، ولكنه ليس عالماً اجتماعياً كدوركهايم وليفي بروهل ، وهو قد كتب في علم الفيزياء ولكنه ليس عالماً فيزيائياً كجان برن وطوسون وأينشتاين ، وكتب في التربية والأخلاق ولكنه لم يبلغ في ذلك ما بلغه جيمس وديوي ، وبينه ، وبرغسون من بعد النظر ودقة الفكر . فمن الضروري اذن وضع برنامج واسع للترجمة

الكتب ، تتولى اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية الاشراف عليه ، ثم توزع العمل على الاختصاصيين في مختلف الدول العربية لتنفيذه وانجازه .

٣ – وقد يقال ان في العالم الغربي انواعاً من الفلسفة لا تأتلف وعبقرية الأمة العربية ، وان نقل هذه المذاهب الى لغتنا قد يؤدي الى استهواء الكثير من الناس ، وادخال الفوضى على العقائد الموروثة . فنقول رداً على ذلك ان نقل المذاهب المختلفة لا يودي بالضرورة الى الأخذ بها . ففي الفلسفة الاوروبية مذاهب روحانية ومذاهب مادية كما ان فيها مذاهب خيالية ومذاهب وجودية ، وهي تتهافت ، ويهدم بعضها بعضاً كما تتساند وتتعاون . فاذا ترجمت كلها معاً استطاع القارئ العربي ان يقارن بينها وان ينقدها ويحللها ويكون لنفسه بعد ذلك رأياً شخصياً فيها . وربما كان لنقل هذه المذاهب المختلفة اثر عميق في تربية حرية الفكر . لقد تعود مفكرونا ان يقيدوا آراءهم الفلسفية بالعقائد الموروثة والتقاليد الاجتماعية المعروفة . واذا خرجوا عن هذه التقاليد أثاروا حولهم موجة من السخط والاستنكار . إن الابداع الفلسفي شبيه بالابداع الفني ، لا ينمو الا حيث تنمو حرية الفكر . ومتى خضع للقيود الاجتماعية والسياسية انقلب الى تقليد محض . أضف الى ذلك ان الفلسفة الغربية ليست مضادة لعبقريتنا ، فهي قد تولدت من الفلسفة اليونانية كفلسفتنا القديمة ، وكان للفلسفة العربية نفسها أثر عميق في نشأتها . ان القديس (توما الاكويني) و (غيوم دوفرني) و (روجه باكون) قد أخذوا كثيراً عن ابن سينا وابن رشد ، حتى ان اعجاب (غيوم دوفرني) بهما كان لا يقل عن اعجابه بأرسطو . فليس بيننا وبين الغربيين في هذه الناحية الا فرق واحد ، وهو ان الفلسفة قد اضمحلت من العالم العربي الا قليلاً من رسومها نجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء الدين ، اما الغرب فقد عرف الفلسفة اليونانية أولاً عن طريق الفلسفة العربية ، ثم عرفها بعد ذلك مباشرة ، وبقيت الفلسفة عند الغربيين نافقة الأسواق متجددة الرسوم حتى وصلت الى ما هي عليه

الآن من الابداع . فليس في الفلسفة الاوروبية اذن ما يخالف عبقرية الشعب العربي وميوله ، بل ان تكامل الفكر العربي الحديث يقتضي اقتباس الفلسفة الاوروبية وربطها بالأصول اليونانية القديمة . ومتى تم لنا هذا الاقتباس استطعنا ان نجدد تفكيرنا وأن نبدع لأنفسنا فلسفة عربية حديثة .

وجملة القول ينبغي ان يكون موقفنا من الفلسفة الغربية كما كان موقف اجدادنا من الفلسفة اليونانية . وهو موقف ايجابي يدعو الى ترجمة الفلسفة الغربية والأخذ بكثير من مسائلها ، ثم تأليف عناصرها في قوالب عربية مستوحاة من ماضي الأمة وحاضرها .

٤ — موقفنا من الفلسفة بصورة عامة

وها هنا اشارة لا بد من ذكرها في آخر هذا المقال . وهي انه ينبغي لنا في كل ذلك ان نتجنب التقليد المحض . ان مجلاتنا الشهرية طافحة بالمقالات الفلسفية ، كما ان دور النشر تصدر في كل شهر كتاباً فلسفياً موضوعاً أو مترجماً . الا ان هذه الزيادة في الانتاج لا تدل على ابداع حقيقي ، لأنها زيادة وهمية مبنية على التقليد . لقد أصبح البحث في المسائل الفلسفية عندنا زياً من الأزياء . وقلما وجدت كاتباً لم يكن له في هذا الباب باع طويل . وهذه الظاهرة تدل على ان القارئ العربي يرغب اليوم في مطالعة الموضوعات الفلسفية بالرغم من اضمحلال الفلسفة ، وزوال رسومها من ربوعنا . ولكن معالجة هذه المسائل لا تتعدى الآن طور التقليد الأعمى . اننا نقلد الغربيين في كل شيء ، نقلدهم في الأزياء كما نقلدهم في الأفكار والعواطف . نعم قد يكون التقليد ضرورياً في المراحل الأولى من الحياة الفكرية ، الا انه اذا طال أفقد الفكر روعته وابداعه ، فاذا شئنا ان تكون لنا فلسفة عربية حديثة دالة على عبقريتنا وجب علينا أولاً ان نتجنب التقليد الأعمى ، وان نسمو الى يفاع الاستبصار والابداع .

وهذا لا يمنع من ان يكون في العالم العربي فلاسفة مقلدون يذهبون الى ما ذهب اليه ابن رشد في وحدة العقل أو يقولون بما قال به ابن خلدون من ابطال علم ما بعد الطبيعة ، أو يعتنقون مذهب (كانت) او (اغوست كونت) او (سبنسر) في المعرفة · الا انه ينبغي ان يوجد الى جنب هؤلاء التابعين فلاسفة آخرون مبدعون يقتبسون العناصر من هنا وهناك ويصوغونها في قوالب جديدة · والشرط اللازم لهذا الابداع هو في نظرنا فك الفلسفة من عقالها ، واطلاق حريتها ، وتجريدها من القيود التقليدية ، والضغط الاجتماعي · وليس في اطلاق حرية الفلسفة اي خطر على الدين ، لان الإيمان أقوى من أن يتصدع بمعاول العقل ، لا بل قد يكون في هفوات العقل تأييد له ورجوع اليه · وما الفلاسفة الا شعراء يصوغون مادة العلم في قوالب العقل ، كما ينسج الشعراء رموزاً ومجازات ورؤى وأحلاماً مقتبسة من الطبيعة · فاذا نظرنا الى الفلسفة هذه النظرة الفنية أمكننا أن نحلها دار الأمان ، وان نتغاضى عن المتفلسفين كما نتغاضى اليوم عن الشعراء ·

جميل صليبا

تحقيقات معجمية

— ٣ —

ج — بَلَد والبَلَد

العربية :

بَلَدَ في المكان : أقام به ؛ و — اتخذه بلداً ؛ وبلد القومُ : لزموا الأرض يقاتلون عليها . بَلِد : كان بليداً ، أي غير ذكي ولا فطن . بَلُد : لم يكن ذكياً ؛ و — الفرسُ : تأخَّر عن الخيل السوابق ، فهو بليد ؛ و — الجملُ والحمارُ : كان لا ينشّطه تحريك . أبلَد القومُ : صارت دوابّهم بليدة ، لا تسبق ؛ أو لصقوا في الأرض استكانةً .

أبلَد فلاناً الشيءَ : ألزمه اياه ؛ و — في المكان : أقام به ولزمه ؛ و — الرجلُ : لحقته حيرة ؛ و — الحوضُ : تُرِك ولم يستعمل ، فتداعى .

بلَّد الرجلُ : اذا لم يتجه الى شيء ، و — نكس في العمل ؛ و — الفرسُ : ضعف حتى في الجري ؛ و — السحابُ : لم يمطر ؛ و — الانسانُ : لم يَجُدْ ؛ و — الفرسُ : لم يسبق ؛ و — الجبالُ : تقاصرت في رأي العين لظلمة الليل ؛ و — فلانُ : ضرب بنفسه الأرض ؛ و — لحقته حيرة . تبلَّد : تحيَّر ؛ سقط الى الأرض من ضعف ؛ تلهَّف ؛ تسلَّط على بلد غيره ؛ نزل ببلدٍ ما به أحد ؛ تكلَّف البلادة . ابلَندي : صلُب وكثر لحمه .

البَلَدُ : التراب ، القبر ؛ الدار ؛ الأثر من الدار ؛ مأوى الحيوان وان لم يكن فيه بناء ، كل موضع أو قطعة من الأرض متحيّزة ، عامرة أو غامرة ، خالية أو مسكونة ؛ جنس المكان كالعراق والشام ؛ مكّة تفخيماً لها . والبلد الحرام :

مكة . البلدة : الصدر؛ راحة اليد من الخف والحافر . ضرب بلدته على بلدته : الاولى راحة اليد ، الثانية الصدر ؛ منزل القمر ؛ الأرض ؛ القطعه من الأرض ؛ الثغرة في النحر [١] .

تنسيق وتعليل

(١) ان الثلاثي « بَلَد » ليس له مقابل في غير العربية من اللغات السامية . فكان هذا الواقع مما حمل المستسيم (Sémitisant) Noldeké — وقد تابعه في رأيه غيره من رصفائه العلماء ، مثل Fraenkel، وVollers، وBrockellmann— على الزعم بان كلمة « بلد » ليست بعربية ، بل دخيلة من اللاتينية ؛ وان اللفظة اللاتينية المعربة والمُضحية « بَلَد » هي Palatium التي يقابلها في اليونانية Palation ؛ ومعناهـا القصر والصرح أو البلاط الروماني . أما المستعرب de Laudberg فقـد نبذ ، بكل صواب ، هذا الزعم ناعتاً اياه « بالغرابة الشنيعة » من حيث الاشتقاق ، ومن الناحية التاريخية [٢] .

(٢) هذا وان جارينا هؤلاء المستسيمين ، اضطررنا الى الذهاب الى ان مادّة « بَلَد » فعلٌ ارتجالي مشتق من كلمة اجنبية ، ومن هذه اللفظة الدخيلة قد تفرعت كل الصيغ الأُخر بضروب معانيها التي بسطناها اعلاه . وعليه يكون العرب قد اقترضوا من الأجانب لفظةً أوليّة في حياتهم ، وواردةً في أوائل آثارهم الأدبية ، ومطلقةً على اقدم واقدس موقع ومدينة في ديارهم ، الا وهو مكة وأرضها المدعوة في المصحف وخارجاً عنه « البلد الأمين » الحرام [٣] .

(٣) فقد اصاب ، على رأينا ، المستعرب de Laudberg بذهابه الى ان « بلدَ » ومشتقاتها كلها عربية صحيحة ، لا بل سامية قحة ، لا يشتم منها رائحة الاجنبية قطعاً .

(١) اللسان ٤ – ٦٢ ي ي . التاج ٢ – ٣٠٥ ي . الصحاح ١ – ٢١٤ Lane ٢٤٦ ي ي .
(٢) المعجم الدثيني ١ – ٢٠٠ ي .
(٣) سورة البلد ١ ، ٢ : « لا أقسم بهذا البلد . انت حلّ بهذا البلد » سورة التين ٣ : « وهذا البلد الأمين » سورة النمل ٩٠ : « انما أُمرت ان أعبد رب هذه البلدة التي حرّمها .. »

(٤) في سائر ألسنة بني آدم سُنة طبيعية هي سنة «القلب» . وهذه السنة جارية في العربية أكثر من غيرها من اللغات السامية وسواها ، لما هو معلوم من ان العربية مجموعة لهجات متعدّدة ، هي أهم سبب لمنشأ القلب في اللغات .

(٥) فاذا فرضنا سنة «القلب» ، أمكننا القول بانه منذ الأزمنة القديمة ، قد قلب لفظ «بَلَدَ» عن حرف «لَبَدَ» . وبهذا الافتراض تتجلى الكلمة عربية وساميّة ، لوجودها في كل هذه الألسن على الصورة المذكورة . وهذه هي معانيها :

العربية : «لَبَد» في المكان : لزق به ، واقام فيه . تلبد الصوف : تداخل ولزق بعضه ببعض ؛ و — الطائرُ في الأرض : جثم عليها . اللَّبِد : من لا يسافر ، ولا يطلب معاشاً ، ولا يبرح منزله . عصابة مُلبِّدة : لاصقة بالأرض من الفقر . اللُّبَدَة : الجماعة من الناس يقيمون كأنهم بتجمّعهم تلبّدوا [١] .

السريانيـة : albèd ، labbèd ، lbad : لبّد ، كثّف ، جمّد . lâbôdâ : ملبّد . lbîdâ : متلبّد ، متراكم ، كثيف [٢] . العبرية : lâbad وحّد ، ضمّ . hitlabbèd اجتمع ، التحق [٣] .

(٦) والثلاثي «لَبَد» مشتق من الثنائي «أَبّ» . وهذه مداليله في الساميات :

في العربية : «لبّ» بالمكان : اقام به ولزمه . ألبّ على الأمر : لزمه ولم يفارقه . ورجلٌ لبٌّ على الأمر : لازم له لا يفارقه [٤] .

السريانيـة : lebbâ : اللبّ ، لتلبّه ؛ لباب ، لب الحنطة . labbèb : قويّ القلب ، شجاع [٥] .

العبرية : leb ، lebab : لب ، قلب lâbab : كان ذا قلب وفهم [٦] .

(١) الصحاح ١ : ٢٥٨ .
(٢) معجم منّا ، ص ٣٦٦ .
(٣) معجم المالح ص ٢٠٨ .
(٤) البستان ٢ : ٢١٣٧ .
(٥) معجم أودو ٢ — ٧ .
(٦) معجم المالح ص ٢٠٨ .

الاكدية : labâbu ، libbu : لُب ، قلب [١] .

الحبشية : leb : لب [٢] . السبئية : leb : لُب [٣] .

(٧) اذن « بَلَد » هو مقلوبُ « لَبَدَ » . ويظهر ذلك من تحديد « بَلَد » ، كما هو وارد في المعاجم ، ولا سيما في « تهذيب الألفاظ » لابن السكيت (ص ٤٤٦) . فقد جاءت بمنزلة مترادفات الأفعال التالية : بَلَد بالمكان ، وأبلَد ، ولبَدَ ، وألبد به ، ولَبَّ به ، بمعنى مكث فيه ولم يبرحه .

(٨) بفضل هذا الافتراض افتراض قلب « بَلَد » عن « لَبَد » ، واشتقاق « لَبَد » من « لَبّ » الثنائي ، ينفك مغلق بقيــة مخاوي مشتقات « بَلَد » . فمن مفاهيم « بَلَدَ » . الأولية دلالته على التراب . وذلك لتلبيه ، وتلبُّده ، وكثافته ، ومن معنى التراب ، اطلقت كلمة « بَلَد » على القبر . لأنه يُحفر في الأرض ؛ وما الأرض سوى مجموعة من التراب .

وانتقل المدلول من الأرض الى الدار ، والقرية ، والمدينــة ، والناحية ، والاقليم ، والمملكة . لأنها كلها قائمة في الأرض والتراب . ثم شملت لفظة « البلد » كلّ مكان ، وجنسَ المكان كالعراق والشام . ثم اختصت بمكة تفخيماً لها .

(٩) « البَلْدة » أو « اللَّبْدة » الصدر وراحة اليد ، لتلبّد وتلبّب اللحم عليها . ودلّت ايضاً على منزل القمر ، لكونه فيه مدة من الزمان .

كذلك « ابلندى » : صلب وكثر لحمه (الجمل) . فهو مزيد فيــه الهمزة والنون ، اذ مجرده « لبَد » ، وهو من « لَبّ » . وفي كلهــا معنى التجمع والتلبّد بكثر اللحم .

(١٠) هناك دلالة اخرى لفعلي « بَلِدَ وبَلُدَ » وهي عدم الذكاء والفطنة . فهذا أيضاً ينحلّ مشكله بافتراض القلب عن « لَبَد » واشتقاقه من « لَبّ » .

(١) معجم Bezold ص ١٥٧ . (٢) معجم Dillmann ٤١ .

(٣) Robinson ص٥٢٣ . راجع في شأن مادة « لبد ، ولبّ » ، « هل العربية منطقية » ، الكتاب الجديد لمرمرجي ، ص ١٢ ي . و ٧٥ ي ي .

لان البلادة، اي الحمق والغباوة، تفترض غالباً التلبّد، والتضخّم في البدن، والكثافة في العقل . فينشأ عن ذلك قلة النشاط في حركة الجسم، والحيرة في العمل .

وهكذا تثبت عربية وسامية هذه المفردة، ويتجلى التناسق والمنطق في اشتقاق وتوسع معانيها، دون الحاجة الى الزعم بانها معرب Palatium اللاتينية .

ح : لحَن واللَّحن

العربية :

لَحَن : اصاب في التكلم ؛ و — أخطأ في الاعراب وخالف وجه الصواب ؛ ولحن الرجلُ : تكلم بلغته ؛ ولحن اليه : قصد ومال اليه، ولحن قولَه : فهمه ؛ و — فلانٌ لفلان لحناً : قال له قولاً يفهمه عنه، ويخفى على غيره ؛ و — الرجلُ : فطن لحجته وانتبه ؛ ولحَن في قراءته : طرّب فيها وترنّم . رجلٌ لاحِن : اذا صرف كلامه عن جهته . لَحْنُ الكلام : فحواه ومعاريضه . اللَّحْن له ستة معانٍ : الصواب في الكلام، الخطأ في الاعراب، اللغة، الفطنة، التعريض، المعنى، الغناء . قِدْح لاحِن : اذا لم يكن صافي الصوت عند الافاضة [1] .

العبرية : lahan ج lehânîm : لحن، ألحان [2] .

تنسيق وتعليل

(١) لقد ارتأى المستشرق Gunsburg ان « اللّحْن » آتٍ من الكلمة اليونانية lixanos الدالة على وتر المزهر الذي يضرب عليه بسبابة اليد اليسرى (lixanos : معناها الحرفي : اللاطع او اللاحس ؛ من فعل leixo : لطع، لحس)، وقد اطلق عليه صوت هذا الوتر الصادر عند الضرب عليه .

(١) التاج ٩ — ٣٣٠ . اللسان ١٧ — ٢٦٣ ي ي .
(٢) معجم El-Maleh ٧٧٧ .

والمستعرب de Landberg يرى ان كلمة « لحن » ، بمختلف مدلولاتها ، ليست مشتقة عن أصل واحد [١] .

أما نحن فنقول : نعلم من الوجهة التاريخية ان العرب ، بعد الاسلام ، قد نقلوا ، فيما نقلوه ، عن اليونان ، صناعة الألحان ، المدعوة في اللاتينية musica ، وفي اليونانية mousiké ؛ وقد عربها العرب بلفظة « موسيقى » . وقد كانت تطلق في القديم ، عند اليونان ، على عامة الفنون الفتانة ، ولا سيما الشعر والغناء منها ، تلك الفنون التي كانت ، حسب روايات تخيلاتهم (mythologie) تشرف عليها بنات المشتري التسع ، المدعوات Muses [٢] . وقد كانت لفظة الموسيقى المعربة معروفة في زمن اسحق الموصلي (٢٣٦/٨٣٠) [٣] . ومعلوم أيضاً ان العرب اقتبسوا صناعة الألحان ، قبل الاسلام وبعده ، من الفرس . الا انهم كانوا يسمونها ، فضلاً عن الألفاظ الأجنبية ، بلفظ عربي ، وهو « علم الايقاع والنغم » .

(٢) أما الغناء فقد كان دارجاً بينهم ، منذ أقدم العصور ، وهم بعد في عهد البداوة . وقد بدأ بالحداء ، وانشاد الشعر . وقد ورد حرف « اللَّحْن » في أمثالهم . ومنها قولهم : ألحنُ من جرادتين . وهو مثل عاديٌّ قديم . والجرادتان كانتا قينتين لمعاوية بن بكر العمليقي سيد العمالقة الذين كانوا نازلين بمكة ، في قديم الدهر [٤] .

(٣) أما من جهة الاشتقاق اللغوي فنقول : ان مادة « لَحَن » عربية محضة في أصلها وفروعها المعنوية . فلا حاجة الى استعارتها من لغة غريبة . ونثبت ذلك ، حسب النظرية الثنائية والألسنية السامية .

(١) المعجم الدثيني ، تأليف de Landberg ٣ - ٢٦٢٢ ي .

(٢) Greek - English lexicon , by Leddell . II , p 1055 .
Dictionnaire étymologique du grec . par Boissac , p 568 .
Larousse du xxe siècle. E . 4 . p . 1074 , et 1049 s .

(٣) المعلمة الاسلامية (بالفرنسية) ج ٣ - ٨٠١ . الأغاني ١ - ٩٨ و ٤ - ٥٢ ي .

(٤) مجمع الأمثال ، للميداني ، ٢ - ١٣٨ . فرائد الآل في مجمع الأمثال ، للأحدب ، ٢ - ٢١٥ .

(٤) ان الثلاثي (لَحَنَ) صادر عن الثنائي «حَنْ» وهذه معانيه في الألسن السامية:

العربيــة :

حنّ : نزع الى الشيء ، و — عليه : عطف اليه ونزع اليه . و — القلبُ الى الشيء : اشتاق ، و — صدّ ، ردّ ، صرف .

حنّت الابل : نزعت الى أوطانها ، و — الناقة إثر ولدها : عطفت اليه .

حنّ واستحنّ : اضطرب . وفي اللهجة الدثينية : «حنّ» : طنّ ، رنّ ، أنّ [١] .

الحنين : الشديد من البكاء والطرَب ، أو هو صوت الطرَب ، سواء كان ذلك عن حزن أو فرح ، و — الشوق وتوقان النفس . حنين الناقة : نزاعها بغير صوت ، أو بصوت ؛ لكن أكثره بصوت . أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها . ويطلق أيضاً على الحمامة ، ثم على البشر .

الحنون من الرياح : التي لها حنين كحنين الابل ، أي صوت يشبه صوتهـا عند الحنين . عُود حنّان : مطرِب . وسهم حنّان : مصوّت [٢] .

حنا : عطف ، انثنى . حنا ظهره : عطفه . الحنيّة : القوس (فعيل بمعنى مفعول) ، لأنها معطوفة ، ملويّة . الحانية والحنواء : النعجة أو الناقة التي تلوي عنقها لغير علة [٣] .

السريانية : (ح) Han : حنّ ، عطف .

Hanhèn : حنحن ، اشفق .

Hannânâ : حنّان ، متعطف .

Hna : حنا ، مال ، نحا ، اتجه الى .

Hnayâ : مقصد ، غرض ، رأي [٤] .

العــبرية : Hanan : مال الى ، تحنّن .

(١) المعجم الدثيني ، تأليف de Landberg ١ — ٥٠٠ .

(٢) اللسان ١٦ — ٢٨٤ ي ي . التاج ٩ : ١٨٤ . Lane ٦٥٢ ي . ي .

(٣) الصحاح ٢ — ٤٦٦ . Lane ٦٦٠ ي .

(٤) معجم Brockellmann ص ٢٤٢ ي .

العـبرية : Hithannan : توسّل الى .

Hanun : رحيم ، شفيق [١] .

الاكدية : Annu : (الاصل حَنُو) : عطف ، منح .

Ténînu : (ح) تحنّن .

Tênu : منحى ، متكأ ، مضجع .

Manîtu : (محنيتو) : بيت ، مسكن [٢] .

الارميــة : Hanan : حنّ .

السبئية : Han : حنين .

الفنيقيــة : Han و Hanan : منحة .

El - hanan : (اسم علم) الله يتحنّن .

Ḥananba ᶜ al : («) حنبعل [٣] .

(٥) في كل هذه اللغات يدل هذا الأصل الثنائي على الميل ، والاتجاه ، والانعطاف ، والالتواء ، والانحناء ، والتقوّس ، والاتكاء ، والاضطجاع . ومن الاتكاء جاء المخيّم ، والمسكن ، والبيت .

(٦) من الاتجاه والميل مادياً تولد الميل عقلياً ، وهو المقصد والغرض ، والرأي . ومن الميل الحسي نشأ الميل الأدبي ، وهو الانعطاف الى الغير بالتحنن ، والشفقة ، والرحمة ، والمنح .

(٧) على ان العطف ، والميل ، والنزع في الحيوان والانسان ، يرافقه غالباً اصوات للتعبير عن حاسات الحزن والفرح . من ذلك جاء الحنين دالاً على الشديد من البكاء والطرب ؛ وعلى نزع الناقة الى ولدها ، يرافقه الصوت كثيراً ما ، ويطلق ذلك أيضاً على الحمامة والانسان [٤] . لأن «حَنْ» اسم صوت يخرج بشدة

---

(١) El Maleh ٥٠٦ ي .
(٢) Bezold ص ٤٩ و ١٢٤ .
(٣) Robinson ص ٣٣٥ .
(٤) الصحاح ٢ – ٣٦٨ . اللسان ١٦–٢٨٥ ي .

العاطفة؛ ويشمل كذلك أصوات الرياح التي تشبه حنين الناقة؛ وكذا القول في العود والسهام حين يصوّتان[١].

(٨) وهذه فكرة الميل، والاتجاه، والصدّ والردّ، المتجلية في الثنائي «حَنْ» بنوعيه: الخالي من الصوت، والمرافق بصوت، قد توسعت بزيادة حرف اللام عليها تتويجاً. فجاء من ذلك حرف «لَحَنَ» متصفاً بهاتين الخاصتين، اي الاتجاه، والانعطاف دون صوت، وبصوت. وهذه الفكرة تظهر جلياً في مختلف معاني هذه الكلمة.

(٩) أول هذه المداليل في «لَحَنَ واللَّحْن» هو «الصواب في الكلام». ومعنى ذلك العدول عن الخطأ الى الصحيح من التعبير في اللغة. مثال ذلك: «تعلموا اللحن في القرآن» اي تعلموا كيف لغة العرب فيه الذين نزل القرآن بلغتهم[٢] ثم قوله «هذا ليس من لحني ولا من لحن قومي، اي من نحوي، ومن مذهبي الذي أميل اليه وأتكلم به، اعني لغته»[٣].

(١٠) ثانياً يراد باللحن «الخطأ في الكلام»؛ وما هذا الخطأ سوى الميل او العدول عن صحيح القول وصوابه. فيقال: «لحن في كلامه، اذا مال به عن الاعراب الى الخطأ، أو صرفه عن موضوعه الى الألغاز[٤]».

(١١) ثالثاً من معاني اللحن «التعريض» وما التعريض، حسب قول الأزهري، سوى الايماء الى الشيء. فجاء في الحديث: «اذا انصرفتما فألحنا الي لحناً، أي اشيرا الي، ولا تفصحا، وعرّضا بما رأيتما[٥]».

(١٢) رابعاً اللحن هو «الفطنة». يقال: لحن له لحناً، اي قال قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره، لأنه يميل بالتورية من الواضح المفهوم؛ وما ذلك الا

(١) الصحاح ٢ – ٣٦٨. اللسان ١٦ – ٢٨٥.
(٢) التاج ٩ – ٣٣١.
(٣) الأساس ٢ – ١٨٩
(٤) الأساس ٢ – ١٨٩.
(٥) التاج ٩ – ٣٣١.

لفطنته . لأن الفطنة ان تتكلم بشيء وانت تريد غيره ؛ وتعرض في حديثك فتزيله عن جهته لفطنتك [١] .

(١٣) خامساً اللحن « مدلول الكلام ومفهومه » . ولذا قيل : « لتعرفنّهم في لحن القول ، اي في معناه وفحواه ، وهو القصد الذي يوجه اليه الكلام [٢] » .

(١٤) سادساً اللّحن « التطريب ، وترجيع الصوت ، وتحسين القراءة ، والشعر ، والغناء » . فيقال : لحَن في قراءته : غرّد وطرّب فيها بألحان . وورد : « إقرؤا القرآن بلحون العرب » . ويقال : فلان ألحن الناس ، اذا كان أحسنهم قراءةً وغناءً [٣] .

وهكذا ثبت ان لكلمة « لحَن » أصلاً واحداً عربيّاً محضاً ، وانها ليست تعريب اللفظة اليونانية lixanos .

* * *

سَمّ ومشتقاتها

السريانية : Sammèm : سمّ ، سمّم .

Samsèm : داوى ، طبّب ، صوّر ، نقش .

Smîma : مسموم .

Samma : سمّ ، دواء .

Smama : وسخ السراج ، سموم تخرج من منافذ الانسان [٤] .

Sam : وضع ، فرض ، قصد ، سام ، رمم ، ألّف ، حكم ، دفن ، ألقى .

Sîm : وَضْع .

Syama : مؤلَّف ، مصنَّف .

Sayôma : مؤلِّف ، كاتب ، راسم ، مشترع ، مؤسِّس ، موجب .

(١) الصحاح ٢ — ٤٠٦ . (٢) اللسان ١٨ — ٢٦٥

(٣) اللسان ١٧ — ٢٦٣ . الصحاح ٢ — ٤٠١ . التاج ٩ — ٣٣٠ . ي

(٤) معجم منّا ، ص ٤٩٧ . Payne - Smith ٢٦٥١ .

Sôma : دواء، مرهم [1] .

Sma : عَمِيَ .

Samya : أعمى .

Asmî : جعله أعمى [2] .

(ص) Samma : صَمَّ، سدّ .

Masmana : صامّ، سادّ .

Samma : أصمّ، أطرش .

Sam : صامّ، سدّ فمه عن الأكل، امتنع [3] ا .

العبرية : Sammèm : سمّ، سمّم .

Sammè : عمَى، اعشى

Histamma : تعمّى .

Sûma : أعمى، مكتوم [4] .

العربية : سَمَّ الطعامَ : جعل فيه السمّ ؛ و — فلاناً : سقاه السَم ؛ و — الشيء : أصلحه ؛ و — الأمرَ : نظر غوره وسبره ؛ و — بينهما: أصلح ؛ و — الريحُ : احرقت .

السّمامة : شخص الرجل ؛ و — الطلعة ؛ و — ما شخص من الديار الخراب .

السُم : ثقب الإبرة ؛ و — القاتل من الدواء . السّموم : الريح ذات الحر الشديد النافذ في المسامّ . المسامّ من الجسد : ثقبه ومنافذه، كنابت الشعر [6] .

سما : ارتفع ؛ و — البصرُ : شخص ؛ و — القومُ : خرجوا الى الصيد .

ساماه : فاخره وباراه .

---

(١) معجم Brockellmann ٤٦٠ ي . معجم أودو ٢ — ١٤٠ ي ي .

(٢) معجم أودو ٢ — ١٥٤ . Payne - Smith ٢٦٠٤ ي .

(٣) معجم القرداحي ٢—٣٦٧ . معجم منّا، ص ٦٣١ . Payne - Smith ٣٣٧٩ ي .

(٤) معجم المالح، ص ٢٩٠ .

(٥) البستان ١ — ١١٤٢ ي . Lane ١٤١٨ ي ي .

سام : البضاعةَ : عرضها وذكر ثمنها · (رفع ثمنها فيخفضه المشتري) او وضع ؛ و — الطيرُ على الشيء : حامت ·

سوّم الفرسَ : أعلمه بسَومة ، اي بعلامة تُجعل على الشاة وغيرها · الخيل المسوّمة : المعلَّمة · ساوم السلعة : غالى بها ، أي رفع ثمنها [1] ·

وَسَمَ : وسَمه : كواه ، وأثر فيه بسمة وكيّ ·

وسَّم الحج : شهد الموسِم · توسَّم الشيءَ : تخيّل سمتَه ، وطلب وسمَه اي علامته · الوِسام : ما وُسم به الحيوان من ضروب الصور · وسام الدابة · السمة والوسمة : أثر الكيّ ، العلامة ، سمة الابل ·

الموسِم : المجتمع · سمي بذلك لأنه مَعلَم يُجتمع اليه · واكثر استعماله لوقت اجتماع الحاجّ وسوقهم في مكة [2] ·

صَمّ : سدّ · وصُمّ صمَماً : انسدّت اذنه ، وثقل سمعه ·

صام : أمسك عن الطعام والشراب ؛ و — امتنع عن الفعل [3] ·

تنسيق وتعليل

(١) كل هذه المفردات ، مع اختلاف معانيها ، لها أصل واحد ، وهو الثنائي « سَمْ او صَمْ » بتفخيم السين · ومن مفاهيم هذا الثنائي اولاً الوضع · فاذا وُضع الشيءُ على الشيء ، كانت النسبة بينهما نسبة ارتفاع الواحد على الآخر · واذا كان الشيءُ الثاني مفتوحاً ، نجم عن ذلك السدّ · واذا لم يكن مفتوحاً ، فتحه · فنتج عن ذلك فكرة الحفر ، فالثقب ، فالولوج ·

(٢) أولاً تظهر فكرة الوضع في الفعل السرياني Sam : وضع ، فرض ، رسم

---

(١) أقرب الموارد ١ — ٥٤٥ · Lane ١٤٣٣ ي ي ·

(٢) محيط المحيط ٢ — ٢٢٥٠ ي · Lane ٣٠٥٣ ي ·

(٣) الأساس ٢ - ١٦ و ١٩ ، Lane ١٧٢٢ ي ، و ١٧٤٩ ي ·

ألـَّف أو وضع كتاباً ، حكم ، قرّر الرأي واثبته ؛ اشترع ، أو وضع سُنة ؛ أسّس ، او وضع قانوناً أساسياً .

(٣) يتبعُ الوضعَ عموماً الوضعُ مخصوصاً ، اي جعلُ الشيء فوق الشيء ؛ مما ينشأ عنه الارتفاع . وذلك بيّن في العربية في فعل «سما» : البصرُ : شخص ، اي ارتفع ؛ وخرج الى الصيد ، اي طلع ؛ وفي الطلوع ارتقاء . ساماه : فاخره ، اي حاول التفوق والارتفاع عليه . والسَّمامة : شخص الرجل ، اي ما علا منه وطلعته ؛ وما شخص ، اي ما علا من الديار الخراب . وسام البضاعةَ : عرضها للبيع مع رفع ثمنها قدر ما يمكن البائع . والمساومة هي ان يعرض البائع سلعته ذاكراً لها ثمناً غالياً ، فيأخذ المشتري في اخفاضه ، وهكذا الى ان يصلا الى ثمن متوسط بين العالي والمنخفض . كذلك وسَم السِمة ، أو العلامة على الحيوان أو الشيء ، لتمييزه عن غيره . وكل علامة تحوي فكرة الاعتلاء على ما تعلّمه أو تسمه .

(٤) اذا وُضع الشيء على شيء مفتوح سدّه . من ذلك فعل «صمّ» : سدّ . وانسدّت اذنه وثقل سمعه . و «صام» : أمسك عن الطعام ، اي صمّ فمه ممتنعاً عن ادخال الأكل فيه . كذلك ورد في السريانية Samm : صمّ سدّ ؛ و Samma : أصمّ ، أطرش ؛ و Sam : صام ، امتنع ، سدّ فمه عن الأكل . وجاء أيضاً Sma : عمي ، و asmi عمّى ، و Samiya أعمى . وفي العبرية Sammé : عمّى ، أعشى ، و Histamma : تعمّى ، و Suma أعمى . وما العمى الاّ سدّ العين وكفها عن النظر .

(٥) اذا وضع الشيء على غيره ، وكان هذا غيرَ مفتوح ، امكنه فتحه . والفتح يجري بالحفر ، والثقب ، والكيّ ، وبالفتح يسهل الدخول والايلاج . من ذلك ورد في العربية : السمّ : ثقب الابرة ؛ والمسامّ من الجسد : ثقبه ومنافذه ، كمنابت الشعر . وسمّ الأمر ، نظر غوره وسبره ، اي ثقبه ليرى داخله . ومن ذلك Samèmm في السريانية ، بمعنى نقش وصوّر ، مما يستلزم الحفر .

(٦) أما الكيّ فهو نوع من الحفر والثقب ، اذ يؤثر في الجلد واللحم ، فينشئ حفراً فيه . من ذلك في العربية : «وسمه» (بزيادة الواو على «سَمْ» تنويجًا) : معناه كواه ، اي أثّر فيه بسِمة وكيّ . والسِمة أثر الكيّ ؛ ومنه سمة الابل . والوِسام : ما وُسم به الحيوان من ضروب الصور . ولذا يقال: وِسام الدابة .

(٧) أما المَوسِم فحدّه في المعاجم : «المُجتَمع ، سمي بذلك لأنه معلَم يُجتمع اليه . واكثر استعماله لوقت اجتماع الحاجّ وسوقهم في مكة [١] » . بيد ان هذا المعنى متأخر وليس هو أصليًا أوّليًا . رأينا ان وسَمَ يراد به الكيّ . فكان القوم قديمًا — كما لا يزال الأمر جارياً بين أهل البادية — يميّزون ، كلّ صاحب مال ، ماشيته ، او إبله ، او دوابّه ، بسِمة او علامة . وهذه العلامة كانت تجري بالكي ، بانواع من الصور . وكان عمل هذا الكي او الوسم يتم في بعض فصول السنة . ولذا دعي هذا الوقت «المَوسِم» ، اي وقت كيّ المال ، قصد تمييزه عن غيره . وبعد ذلك ، من هذا المعنى الخاصّ الدال عليه الثنائي «سَم» وهو الكيّ ، انتقل الى المعنى العام ، وهو الدلالة على كل وقت يجري فيه أمر معيَّن من الأمور . فيقال موسم البذر ، او القطف ، أو الحصاد .

وقد اطلقه البحّارة العرب على الفصل من فصول السنة الذي يبقى فيه بحر الهند مضطرباً . وقد أخذ البحّارة الفرنج عن العرب هذه اللفظة ، فحوّلوها الى صورة Mousson [٢] . وأخيراً استعملت هذه المفردة في العرف الديني الاسلامي للدلالة على زمن اجتماع الحاج . وفي العرف المسيحي شملت العيدين الكبيرين ، أي عيد الميلاد ، وعيد الفصح .

---

(١) الصحاح ٢ – ٣٤٣ .

(٢) Larousse du XXe siècle , T . 4 p 1021

Les mots Français dérivés de l'arabe , par Lammens , p 172 .

(٨) من فكرة الولوج جاء في السريانية Samma بمعنى الدواء، لأنه يوضع، أو يُدخل، أو ينفث في بدن الانسان، لاجل العلاج. و Samsèm داوى، طبَّب، وجاء في العربية: سمَّ الشيء: أصلحه، وسمّ بينهما: أصلح.

(٩) واذ كان ما يُدخَل أو يُنفَث في بدن الانسان ليس مما ينفعه دائماً، بل مما يضره، وردت كلمة «سمّ» في العربية بدلالة: سقاه السمّ، اي الدواء القاتل. و — الطعام: جعل فيه السمّ. وفي العبرية Sammèm: سمّ، سمَّم وفي السريانية Sammèm: سمّ، سمَّم.

(١٠) واذ كان مما يُكرَه ويُنبَذ، نجد في السريانية Smama بمعنى الوسخ، وسخ السراج؛ وكذلك كل أوساخ البدن التي تخرج من منافذ الانسان.

(١١) واذ كان السمّ مما يضرّ، اطلقت في العربية لفظة «السَّموم» على الريح ذات الحرّ الشديد المحرق النافذ في المسامّ. وقيل: سمَّت الريح: أحرقت.

(يتبع)

الأب مرمرجي الدومنكي

المدرسون تحت قبة النسر

- ٢ -

ثم وجه تدريس القبة للإمام الكبير الشهاب احمد المنيني [1] .

واستمر الى ان توفي سنة ١١٧٢ وكانت مدة تدريسه سنة واحدة .

---

(١) احمد بن علي بن عمر ، بن صالح بن احمد بن سليمان ، بن ادريس بن اسماعيل بن يوسف ، بن ابراهيم الحنفي الطرابلسي الأصل ، المنيني المولد ، الدمشقي المنشأ . كان ألمعياً ، لغوياً نحويا ، اديباً حاذقاً ، لطيف الطبع ، حسن الخلال ، عشوراً ، متضلعاً ، منطلعاً ، متمكناً خصوصاً في الأدب وفنونه ، وحسن النظم والنثر ، ولد بقرية منين سنة ١٠٨٩ ولما بلغ سن التمييز قرأ القرآن . ثم قدم الى دمشق فقرأ على سادات أجلاء ذكرهم في ثبته .

ودرّس بالجامع الأموي بامر من شيخه الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة ، لما توفي ولده الشيخ عبد الجليل ، فاستقام الى أن توفي الشيخ ابو المواهب . فبعد وفاته درّس بحجرته داخل المدرسة السميساطية ، الى أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، فانتقل اليها ودرّس بهـا ، وأقام على الافادة في المدرسة المذكورة والجامع الأموي ، مدة عمره ، فدرس بالجامع المذكور في يوم الأربعاء في البيضاوي ، وفي يوم الجمعة بعد صلاتها صحيح البخاري ، وبين العشاءين فى بعض العلوم ، وانتفع منه خلق كثير . وللمترجم :

على السر لا تطلع صديقاً ودعه في ضميرك عن كل الأنام مصونا

فانّ ضمير الفرد مستتر وإنْ تثنّى تبدّى للعيان مبينا

وكانت وفاته في يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، ودفن بتربة مرج الدحداح قال المؤرخ المرادي : والمنيني : نسبة —

ثم وجه التدريس للعلامة علي افندي الداغستاني (١)

ودرّس الى أن أصابه داء الفالج في صفر سنة ٩٦ فأناب الجهبذ النحرير الشمس محمد الكزبري ، فدرس بالنيابة عنه اربع سنوات الى ان توفي الداغستاني سنة ١١٩٩ ودفن بسفح قاسيون .

ثم وجه التدريس الى السيد محمد العطار (٢)

— الى قرية منين من قرى دمشق ، ولد بها هو ونشأ ، واصله من برفائيل قرية من أعمال طرابلس الشام . كان والده ولد في برفائيل المذكورة في سنة ١٠٢٨ ثم ارتحل وسنه احدى عشرة سنة الى دمشق الشام ، وتوطن بصالحيتها ، واشتغل بطلب العلم على جماعة منهم العلامة الشيخ محمد البلباني الصالحي ، والشيخ علي القبردي الصالحي ، وتفقه على مذهب الامام الشافعي ، ثم ارتحل الى قرية (منين) المذكورة في سنة ١٠٤٦ وكان مرجعاً لأهل تلك القرية وغيرها بالفرائض ، وتوفي بالقرية المزبورة سنة ١١٠٨ ودفن بها .

(١) ابن صادق بن محمد بن ابراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي ، الداغستاني الأصل والمولد ، نزيل دمشق ، ومدرس الحديث بها ، تحت قبة النسر ، ولد في حدود سنة ١١٢٥ وقرأ على جملة من علماء بلادهم ، ثم قدم دمشق وتوطنها وذلك سنة ١١٥٠ ولما توفي الشهاب احمد المنيني المدرس تحت القبة ، توجه له عنه التدريس المذكور ، وبقي عليه الى وفاته ، وتصدر في دمشق ، وكان يرجع اليه في مهات الأمور ، ونزل به الفالج في آخر أمره ، في صفر سنة ٩٦ وبقي في داره منقطعاً الى ان توفي سنة ١١٩٩ رحمه الله تعالى .

(٢) جدّ بني الحسيبي ، قد أجمع الناس على طيب أصله . ولد سنة الف ومائة ونيف وثلاثين ، واشتغل في العلم والعبادة ، الى أن برع وفاق ، واشتهر في الآفاق ، تولى القضاء بمدينة غزة هاشم ، وكان في أحكامه تقياً بعيداً عن المحارم ، وكان السيد محمد التافلاني مفتي القدس الشريف ، فوقع بينهما في مسألة من المسائل اغبرار ، فكتب السيد محمد التافلاني رسالة في تعنيفه وارسلها اليه ، فعقب وصولها شرحها وردّها من غير مهلة عليه . مات المترجم في الآستانة سنة تسع ومائتين والف .

ولم يدرس بل أناب الشمس الكزبري ، فبقي مدرساً الى ان توفي السيد محمد العطار سنة ١٢٠٩

ثم تولاه العلامة المحدث الشمس محمد الكزبري [1] من غير تعرض له ، واستمر الى أن توفي سنة ١٢٣١ وكانت مدة تدريسه احدى عشرة سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم العامل القدوة الشيخ عبد الرحمن الكزبري [2] .

---

(١) قال السيد محمد عابدين : مدرس الحديث الشريف تحت قبة النسر ، في جامع بني أمية في دمشق المحمية ولد في سنة ١١٤٠ ونشأ في حجر والده ، وتفقه عليه وعلى خال والده الشهير ، بالشافعي الصغير ، الشيخ علي بن أحمد الكزبري ، وأخذ الحديث عنهما ، وكان والده قد أذن له بافادة الطالبين في حياته ، وجلس مكانه بين العشاءين في الأموي سنة ١١٨٥ بعد وفاته ، وفي سنة عشر ، جاءته قبة النسر تسعى من غير طلب ، فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، وهو في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان من كل عام ، وقد أشرت الى ذلك في ضمن موشحة كنت تطفلت بها على مدح جنابه حيث قلت :

مَن به قبة ذاك الجامع لم تزل في كل عام تسعَدُ
حين يروي في الصحيح الجامع لحديث المصطفى أو يُسندُ
يا له من خير درس جامع ولأهل العلم فيه مشهدُ
فكأن الوجه منه حينما ينثر الدر على الملتمِس
قمرٌ عن جانبيه العلما كنجوم أشرقت في الغلس

توفي رضي الله تعالى عنه سنة ١٢٢١ هـ .

(٢) الشافعي الدمشقي ، محدث الديار الشامية ، ولد يوم عيد الفطر سنة ١١٨٤ في دمشق الشام ، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس الى ان اتقن وتفنن وفاق ، وطار صيته في الأمصار والآفاق ، وعدّ له الأستاذ الجدّ في (حلية البشر) —

فدرس الى ان توفي في البلد الحرام ختام اثنتين وستين ومائتين والف ، وكانت مدة تدريسه اثنتين واربعين سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم الفاضل الشيخ عبد الله الكزبري [١] .

فدرس الى ان توفي سنة ١٢٦٥ وكانت مدة تدريسه سنتين .

ثم تولاه بعده اخوه العالم الجليل الشيخ احمد مسلم [٢] .

— أساتذة كثيرين من عرب وعجم ، (ثم قال) : وقد اخذ عنه علماء الشام ، وغيرهم من العرب والأعجام . وبعد موت والده وجّه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم ، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه . وفي سنة ١٢٦٢ توجه المترجم الى الحجاز بقصد النسك ، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي الى رحمة الله ، وصلي عليه في الحرم الشريف ، ودفن في مقبرة المعلا .

(١) ولد سنة ١٢٢١ ، ونشأ من أول عمره على الطاعة والدين ، ناهجاً منهج والده ، إلى أن صار معدوداً من افراد العلماء الأعلام . وبعد وفاة والده جلس في مكانه تحت قبة النسر ، يقرأ صحيح الامام البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بعد العصر ، ولم يزل مثابراً على ذلك الى أن سقته المنية كأس الحمام ، وذلك سنة ١٢٦٥ هـ رحمه الله .

(٢) قال في الحلية : ولد سنة ١٢٣٦ وحضر دروس والده وغيره من العلماء الأفاضل ، وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار ، واستجازه فأجازه ، ثم قال : قد أحبه الولاة والحكام ، وكان جاهه لعلمه ساتراً ، ولتقدمه على أضداده ناصراً ، لأن دائرة اشتهاره كانت أوسع من دائرة علمه . وبعد موت أخيه الشيخ عبد الله سنة ١٢٦٥ جلس مكان أخيه تحت قبة النسر ، لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر في شهر رجب وشعبان ورمضان ، الى أن توفي سنة ١٢٩٩ وصلى عليه في الجامع الأموي اكثر أهل الشام رحمه الله تعالى .

فجلس مكان أخيه تحت قبة النسر في جامع بني امية ، وابتدأ من محل ما وصل اليه أخوه من الصحيح الشريف ، وفي سنة ١٢٧٨ وجهت عليه نقابة أشراف الشام ، وفي سنة ٨٥ فصلت عنه ، ووجهت الى احمد افندي ابن المرحوم امين افندي منجك ، الى ان جذبت المترجم يد المنية سنة ١٢٩٩ رحمه الله تعالى .

سليم بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري [1] .

مات والده سنة تسع وتسعين ومائتين والف ، فأراد بعض الناس ان يكون ولده المترجم مكانه ، في تدريس صحيح الامام البخاري بعد العصر ، في رجب وشعبان ورمضان تحت قبة النسر ، في جامع بني أمية .

وختم في الحلية ترجمته بقوله : توفي هذا المترجم رحمه الله تعالى سنة ١٣٣١ هـ وجلس في مكانه ولده الشيخ محمد علي [2] فتح الله علينا وعليه .

الشيخ بدر الدين ابن الشيخ يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله ابن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي المغربي أصلاً ، الدمشقي مولداً .

لم يذكر (في الحلية) كيف حصل المترجم العلم ، ولا شيوخه فيه ، وانما وصف حاله وأعماله بعد أن تصدر للتدريس ، فقال : اذا أخذ في القاء الأخبار وجدته بحراً عجاجاً ، وان تكلم في أنواع العلوم أبدع تقريراً وإنتاجا ، كأنما الاحكام في صدره مرقومة ، وعوارف المعارف في خياله مصوّرة وفي لسانه منظومة ؛ وله حافظة تحصي له كل ما يسمع ، وإدراك هو أخف من النسيم وأسرع ؛ يقرأ في كل يوم جمعة بعد الصلاة صحيح البخاري في جامع بني امية ، ويزدحم الناس

(١) لم ينظمه (حلية البشر) في سلسلة المحدثين المدرسين تحت قبة النسر ، وانما عرض الى درسه في ترجمة مستقلة عن أولئك الأعلام .

(٢) اقول : ولم تطل مدة ولده هذا بعد أبيه ، وانما توفي في أثناء الحرب العامة الأولى ، فباشر هذا الدرس محدث الديار الشامية شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني ، فأعاد اليه رونقة ورُواءه .

على درسه ، غير أنه يسرد ما علقه في ذهنه ولا سؤال من أحد ولا جواب ، وله حجرة في مدرسة دار الحديث قريبة من مقام ابن أبي عصرون ، لا تكاد تجدها في وقت خالية من درس في فن من الفنون ، وهو لا ينفك في يومه عن صيامه ، ولا في ليله عن قيامه ، كثير الذكر قليل الكلام ، دائم الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام .

يقول الضعيف محمد بهجة البيطار :

هذا مجمل ما وصفه به الأستاذ الجد في تاريخه «حلية البشر» وإني أحب أن أتوسع قليلاً في ترجمة شيخنا الحسني لسببين (١) أني أصفه وصف معرفة ومشاهدة ، فقد قرأت عليه في كتب الأصول والمعقول والحديث ، جزاه الله عنا خيراً و (٢) لأنه خاتمة المحدثين تحت قبة النسر ، إذ لم يخلفه احد في حفظه وعلمه فيجلسَ مجلسه ويحقق شرط الواقف :

(حفظه ودرسه)

كان علم الفقيد كعلم من سبقه من أولئك الأئمة ـ علم حفظ ورواية ، لا علم كتب وقراءة ، وفرق بين علم يضيع بضياع الكتب ويذهب بذهابها ، وعلم يبقى محفوظاً مدى العمر في الصدر ، يحدث صاحبه به ويملي على الناس منه في أي آن ومكان ، ولا يبالي بالكتب حضرت أو نأت عنه .

لما احترقت خزانة دار الحديث -- وكان فيها مخطوطات الفقيد النفيسة ، ومؤلفاته التي كان كتبها في صباه ، كما احترق غيرها من مكتبات دمشق في الحريق الذي وقع في سوق الحميدية سنة ١٣٣٠ هـ ـ أخذ يقرأ الدروس الخاصة والعامة من حفظه ، ويمليهـا على الطلاب من مكنونات صدره ، والعلم ما وعته العقول والصدور ، لا ما أودعته القراطيس والسطور . وكان أستاذه الأوحد العلامة الجليل الشيخ أبو الخير الخطيب ، والد صديقنا زكي بك النائب الكريم ، ثم كان ابن همته وعزلته عن الناس السنين الطوال .

(علم الحديث تحت قبة النسر)

أما الحديث فلا نعلم له نظيراً في حفظه ، ولا في ضبط رجاله ، ومعرفة سنده ، وحسبه روايته له في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، ـ من بعد فريضة كل جمعة الى صلاة العصر ، وقد دأب على ذلك نحو ثلاثة أرباع القرن . ومما يقضي بالعجب من تلك الدروس أنها كانت محط رحال الحكم والعلم ، وأن محدثنا العظيم كان يراعي فيها حال المستمعين ، ويتكلم بما تدعو اليه الحاجة والمناسبة ، فاذا وقف على درسه رجال الحكم أخذ يعظهم ويذكرهم بما يجب للأمة على ولاة الأمور ، فلا يصدرون عنه إلاّ وقد مُلئوا اعجاباً بلطف تنقلاته ، وبديع مناسباته ، وأخذه إياهم بالحق والصدق ، واذا حضر علماء الدين ملكتهم الحيرة والدهشة مما وعاه قلبه ، ورواه لسانه من تلك الأحاديث النبوية موصولة الأسانيد ، صحيحة الضبط ، تامة الحفظ ، يتلوها من غير توقف ولا تلعثم ، كأنما يغترف من عباب ، أو يقرأ في كتاب ، مع ذكر ما قاله أئمة هذا الشأن فيها ، واستحضاره ما أورده العلماء من معانيها .

(في دار الحديث الأشرفية)

ولم يكن يقرأ للطلاب في دار الحديث من كتب العلوم الشرعية والعربية والعقلية إلا مطولاتها وصعابها ، ولا من كتب المقالات والنحل والأهواء والبدع إلا القديمة الموروثة . وكان يرى أن هذه الكتب ترفع الهمم الى ما فوقها من كتب السلف ، وتقوي الملكات في فهمها ، وتعين على دفع الشبهات والاشكالات العصرية كلها .

وقد تشرفت بالحضور عليه رحمه الله تعالى في الكتاب المسمى بالتقرير والتحبير شرح العلامة ابن امير الحاج على تحرير شيخه الامام الكمال بن الهمام ، الذي جمع فيه بين اصطلاحي الحنفية والشافعية في اصول الفقه ، فكاد يأتي شيخنا البدر

على مسائل الكتاب حفظاً ، وكان يحققها معنى وافظاً ، ولكنه كان يتحامى النطق بألفاظ الطلاق والحرام وما أشبهها ، وجميع ما يشتم منه رائحة التعريض بأحد ، وهذا دأبه رحمه الله في حياته كلها .

(ادخاله طلاب السنة في طور جديد)

كنا نجلس في حلقة فقيدنا الامام في دار الحديث ، ونقرأ صباح كل ثلاثاء وجمعة « منتخب كنز العمال » ـ من كتب الحديث الجامعة ـ رواية ودراية . فلما وقفنا على باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، قلت لأستاذنا أنعد نحن الآن من المعتصمين بهما ؟ قال : نعم ، اذا قصدتم العمل . وقد أوجد رحمه الله ميلاً قوياً في نفوس طلابه لاقتناء كتب السنة ودراستها والعمل بها ، والاهتداء بهديها .

(قوله في دراسة اللغات الأجنبية)

سئل رحمه الله وأنا اسمع عن حكم التكلم باللغات الأجنبية ، فقال : المكروه من ذلك ما كان للتفكه ، وقد كان الفقيد يحب الجد والعمل ، ويكره اللغو والباطل ، والا فان لغات الأمم الحية صارت اليوم مفتاحاً للعلوم الكونية ، وقوة للدفاع عن حقوق الأمم والشعوب المختلفة ، وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن ثابت الأنصاري (رض) قال ، قال رسول الله (ﷺ) انها تأتيني كتب لا أحب ان يقرأها كل أحد ، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو السريانية ، فقلت نعم ، فتعلمتها في (١٧) ليلة . وكان زيد بن ثابت يكتب للملوك ، ويجيب بحضرة النبي (ﷺ) وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والحبشية والقبطية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل تلك الألسنة ، فهذا نص في تعلم اللغات التي ورثنا حضارة أهلها ، وأورثناها امم المدنية الحديثة .

(مسألة مهمة)

وهنا مسألة مهمة ، وهو أن الذي كان يتعلم اللغات الأجنبية كان ينتقى من أفضل رجال الأمة وآمن أمنائها ، وزيد بن ثابت هذا كان كاتب الوحي ،

وقد قال له الرسول : إنها تأتيني كتب لا أحب ان يقرأها كل أحد ، ومعنى ذلك أنه (ﷺ) اختار زيداً كاتماً لسره ، كما اختاره كاتباً لوحيه . ولما استدعاه ابو بكر (رض) لجمع القرآن في عهده ، قال له : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ﷺ) . وكان على بيت المال في خلافة عثمان (رض) .

فاتضح من هذا كله أن من يتعلم للأمة وعلى حسابها اللغات أو بعض الصناعات ، يجب ان يكون من الشبان العقلاء الذي لا نتهمهم بدينهم ولا أمانتهم ، ويجب على الأمة ان تراقبهم وتحاسبهم على وقتهم وعملهم . ومن الظلم للأمة والتفريط بمصالحها أن يعلم على نفقتها من يكون عابثاً لاهياً ، او مقصراً وانياً ، او ملحداً جانياً .

من جلس الى جانب رخامة معينة في الجامع الأموي

يشبه حديث الجلوس الى جانب الرخامة التي ورد ذكرها في طبقات الشافعية للسبكي ، حديث «الجلوس تحت قبة النسر» فقد جاء ذكرها في الطبقات ، ونحن ننقله لشبهه بموضوعنا في تسلسله بمن درسوا عند تلك الرخامة [1] ، ثم كانوا من أعلام الاسلام ، وناهيك بسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وهو منهم ، وإني مورد اسماءهم نقلاً عن طبقات السبكي نثراً ونظماً ، مع ذكر تاريخ وفياتهم ، وأما تراجمهم فيجدها المطالع في الجزأين الخامس والسادس من الطبقات ومثلها من الشذرات ، واليك ما قاله التاج بن التقي السبكي في طبقاته (ج ٦ ص ١٦٦) : وقد جلست للشغل في العلم عقب وفاة الشيخ الامام فخر الدين المصري إلى جانب الرخامة التي يقال إن اول من جلس إلى جانبها شيخ الاسلام فخر الدين محمد بن عساكر (٦٢٠) ثم تلميذه شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام (٦٦٠) ثم تلميذه الشيخ تاج الدين بن الفركاح (٦٩٠) ثم تلميذه وولده الشيخ

(١) جاء في نهاية الأرب للنويري ١٥٥/١ (الرخامة آلة تعرف بها الساعات) (المجمع)

برهان الدين (٧٢٩) ثم تلميذه الشيخ فخر الدين المصري (٧٥١) ثم أنا (٧٧١) وكتبتها من خط الوالد (٧٥٦) رحمه الله تعالى .

الجامع الأموي فيــه رخامة يأوي لها من للفضائل يطلب
الشيخ فخر الدين نجل عساكر والشيخ عز الدين عنه تنسب
والشيخ تاج الدين نجل فزارة عنه تلقاها لعبد (كذا) وتأدب
ثم ابنه أكرم به من سيد ورع له كل المناقب تخطب
وتلاه فخر الدين واحد مصره بذكائه كالنــار حين تلهب
وابني يليهم زاده رب السما علماً وفهماً ليس فيه بنصب

أقول : اما الرخامة المذكورة فلعلها كانت في الحائط الشمالي من الجامع الأموي، فقد جاء في ترجمة مجد الدين بن عبد المجيد بن ابي الفرج اللغوي نزيل دمشق أنه « كانت له حلقة اشتغال بالحائط الشمالي » اهـ من شذرات الذهب (ص ٣٢٤ ج ٥) وقد كانت وفاة هذا المترجم سنة ٦٦٧ هـ فهو معاصر للشيخ عز الدين ابن عبد السلام المتوفى قبله بسبع سنوات .

تنازل بعض مدرسي قبة النسر

بالاستقالة او التوكيل لمن هم أعلم منهم

بلغ حب الانصاف والإخلاص، وإسناد الأمور الى اهلها، في بعض المدرسين تحت قبة النسر، الى الاستقالة من وظائفهم، او التوكيل فيها إلى مَن هم أكفأ وأمثل، وقد عدّ شيخنا القاسمي (١٣٣٢) في كتابه « إصلاح المساجد من البدع والعوائد » رجالاً من هؤلاء حتى في باب القضاء، ونحن نأثر عنه ما يتعلق بغرضنا، قال رحمه الله : ومن ذلك تنازل السيد محمد العطار — احد اجداد بني الحسيبي — عن تدريس صحيح البخاري تحت قبة النسر ـ لما سعي في توجيهه عليه ـ

الى الشيخ يوسف الشهير بابن شمس (١) وقراءة المذكور عنه بالوكالة الى وفاته .
ومن ذلك نزول الوجيه احمد افندي المنيني عن تدريس الحديث تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة الى الشيخ سعيد الحلبي (٢) وقراءة المذكور عنه الى وفاته ، ثم قراءة ابنه الشيخ عبد الله الحلبي (٣) بالوكالة عن ابن صاحب الوظيفة الى أن نفي في حادثة الشام المعروفة (سنة ١٢٧٦) .

ثم ختم أستاذنا هذا المبحث النفيس بقوله : هذا ما نحفظه ونأثره عن أشياخنا وكله مما يشف عن عقل وفضل بل وإراحة نفس من عناء ما قد لا يتفرغ له ،

---

(١) الدمشقي المولد : (١١٥٨) الإمام المحدث ، العلامة المحقق ، عدّ له في الحلية أكثر من ثلاثين أستاذاً من فحول الشام ثم قال : مات رحمه الله تاسع شوال سنة ١٢١٥ ودفن في مقبرة الشيخ أرسلان .

(٢) شيخ المحدثين ، من شيد ربوع العلم ، ولد بحلب سنة ١١٨٨ ونشأ بها وقرأ على جملة من أفاضل علمائها ثم في سنة ١٢٠٧ قدم دمشق الشام واستوطن في حجرته بجانب مدرسة الكلاّسة في جامع بني أمية ، وتصدر للإفادة والتعليم . ومن بعد أن ذكر الأستاذ الجد بعض شيوخ المترجم بدمشق قال : وقرأ صحيح الامام البخاري تحت قبة النسر في الأشهر الثلاثة نيابة عن العلامة الشهاب المنيني . مات (رض) في اليوم الثامن من شهر رمضان سنة ١٢٥٩ .

(٣) الشيخ عبد الله بن سعيد بن احمد المشهور بالحلبي ، صدر الشام وعالمها ، لقد انفرد بعلو الهمة ، واقتصر عليه الخاص والعام في الأمور المهمة ، وكانت الحكام تفضله وتهابه وتعظمه ، وتعتمد في المهمات عليه ، وتستند في حل المشكلات اليه ، وقد تصدر بعد موت والده للإقراء والتدريس ، وكان يقرأ صحيح الامام البخاري تحت قبة النسر في جامع بني أمية في كل يوم جمعة من شهر رجب وشعبان ورمضان ، توفي في قرية برزة من قرى دمشق سنة ١٢٨٦ ، وفي صبيحة تلك الليلة أحضر الى الشام ، وصلي عليه في جامع بني أمية ، ودفن عند قبر أبيه في مرج الدحداح بمشهد عظيم . رحمه الله تعالى .

أو يكون الساخط عليه فيه أكثر من الراضي ، أين هذا من التكالب والتهاوت على نقل ما كان لسلفهم اليهم ، والسعي وراءه ، وإن كانوا ليسوا له بأهل ، وكم من منصب بيع لصغير وجاهل لنقده فيه من الأصفر الرنان ما أبكم من أولئك كل لسان . ألا إن التاريخ بالمرصاد فهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فرحم الله من عرف قدره ، ولم يتعد طوره اهـ .

وإني أختم هذه النبذ التاريخية بكلمة جامعة لأوصاف من يصلح للتدريس تحت قبة النسر ، أو يحاول الارشاد والاصلاح في هذا العصر :

يستسهل من لا خبرة له ولا دربة أمر الإصلاح العام ، مع أنه مطلب عظيم ، لا يصلح له إلا كل من اتسعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فان إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الأمور ، لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطال عليها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى أنه أدنى الى اقناعهم ، وقد كان رسول الله ﷺ ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول « كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ » فالمذكر او الواعظ او المرشد هو كما وصفه بعض الأجلاء ملخصاً : حافظ لحدود الله ، قائم على إرشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات ، وإماطة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وترات الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم مواضع الخلاف والوفاق ، سائس لسامعيه بما يلائمهم من الأحكام ، بل هو العامل الأكبر في اخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده ، بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه ، إذ ليس مسؤولاً عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وأمته » .

محمد بهجة البيطار

جزء من رواية ابي عمر الزاهد غلام ثعلب

التعريف بالمؤلف وكتابه

أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرّز الورّاق المعروف بغلام ثعلب ، المتوفى سنة ٣٤٥/٩٥٧ ، أحد مشاهير اللغويين الكوفيين وثقة من الثقات في الحديث ، كما ورد في تاريخ بغداد (ج ٢ ص ٣٥٧) : « فأما الحديث فرأينا جميع شيوخنا يوثقونه فيه ويصدقونه حدثنا < أبو > علي بن أبي علي < التنوخي > عن أبيه قال : ومن الرواة الذين لم نر قط أحفظ منهم ابو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب أملى من حفظه ثلاثين الف ورقة < في > اللغة فيما بلغني وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف » . هكذا كتب ابن الخطيب في تاريخه ، وقد أصلحت متن الطبعة المصرية بعد مقابلته بكتاب ارشاد الأريب لياقوت (اخراج مرغليوث ج ٧ ص ٢٦) .

وقد ألّف الأستاذ الهندي العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي مقالة طويلة نُشرت في مجلة المجمع (ج ٩ ص ٤٤٩ — ٤٦٠) جاء فيها بفهرس مصنفات غلام ثعلب ، وهو بحث نفيس فريد في بابه ، مع ان الأستاذ الراجكوتي لم يذكر فيها رسالة صغيرة نحن بصددها في هذا الموضع ؛ وكان ذلك من الطبيعي ، لأن وجود هذه الرسالة مجهول وقتئذ .

وبينما كنت أتصفّح المخطوطات الجيّدة المحفوظة في خزانه صديقي المستر تشستر بيتي بلندن ، عثرت على مجلد له أهمية فائقة ، يحتوي على عدّة رسائل نادرة في الحديث والأخبار ، منها الجزء العاشر من كتاب الرقائق والحكايات لأبي الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي من علماء القرن الرابع ، والجزء الأول من الفوائد المنتقاة الغرائب الحسان لأبي الحسن علي بن عمر بن محمد

ابن الحسن الحربي ، والجزء الثاني من أمالي الوزير ابي القاسم عيسى بن علي بن عيسى ابن داوٗد بن الجراح ، وجزء من حديث ابي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي الصوفي المتوفى سنة ١٠٣١/٤١٣ ، والجزء الخامس من أمالي القاضي ابي عبد الله الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي المتوفى سنة ٩٤١/٣٣٠ ، وصفة المنافق لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض الفريابي ، ومشيخة الشيخ المشهور شهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي المتوفى سنة ١٢٣٤/٦٣٢ ، ورسالة في التسوية بين حدّثنا وبين أخبرنا لأبي جعفر احمد ابن محمد بن سلامة الطحاوي المتوفى سنة ٩٣٣/٣٢١ . وبين ص ٥٩ و ص ١٠٩ من هذا المجلد نجد جزء غلام ثعلب في الحديث والأدب ، وهذه هي النسخة الوحيدة ، مع ان الرسالة مذكورة في كشف الظنون (ج ١ ص ٣٠١ من الطبعة المصرية) كما يلي : « جزء أبي عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي » .

ومما يزيد هذه المجموعة نفاسةً أنها كلها بخط المؤرخ المشهور محمد بن شاكر الشافعي الكتبي ، صاحب فوات الوفيات وعيون التواريخ ، المتوفى سنة ١٣٦٣/٧٦٤ ، وقد أنجز النسخة في شهور سنة ١٣٣٨/٧٣٨ بقراءته عن عماد الدين ابي الفضل محمد بن تاج الدين احمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن الشيرازى المتوفى سنة ١٣٤٨/٧٤٩ (راجع الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٦٥) بسماعه عن شهاب الدين ابي المعالي احمد بن رفيع الدين ابي محمد اسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن اسماعيل الهمذاني الأبرقوهي المتوفى سنة ١٣٠٢/٧٠١ (راجع الدرر الكامنة ج ١ ص ١٠٣) . وقد سمع هذه الرسالة وسائر رسائل المجموعة المؤلف المعروف محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة ، والد الشاعر ابن نباتة ، المتوفى سنة ١٣٤٩/٧٥٠ ، بقراءة ابن الشيرازي ، كما ورد بخطه في ص ٩٥ و ١٠٨ و ١٠٩ .

وها هو ذا متن الجزء :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ربّ يسّر .

أخبرنا الشيخ العالم الفاضل المحدّث شهاب الدين ابو المعالي احمد بن الحافظ ابي محمد اسحق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمذاني الأبرقوهي قراءة عليه وأنا أسمع مع عمي الشيخ العالم كمال الدين ابي القاسم احمد بن القاضي عماد الدين محمد بن محمد بن هبة الله الشيرازي لتسع ليالٍ بقين من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستمائة بالجامع الطولوني بين القاهرة ومصر المحروستين قال انا ظفر بن سالم بن علي ابن البيطار بقراءة الشيخ الحافظ تقي الدين محمد بن عبد الغني مع والدي وأخي رحمهما الله تعالى في سلخ جمادى الأولى سنة عشرين وستمائة ببغداد قال انا ابو المظفر هبة الله بن احمد الشبلي قراءة عليه وأنا اسمع في جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وخمس مائة قال انا ابو الغنائم محمد بن علي بن الحسن بن ابي عثمان سنة ثمان وسبعين واربع مائة قال انا ابو الحسين محمد بن احمد بن القاسم المحاملي سنة سبع واربع مائة قال انا ابو عمر الزّاهد غلام ثعلب قال :

(١) اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي عن هشام الكلبيّ عن ابي المقوم يحيى بن ثعلبة الأنصارى عن أمه عائشة بنت عبد الرحمن بن السائب عن أبيها من بني جحجبأ قال : جمع زيادٌ أهلَ الكوفة ليعرضهم على شتم علي عليه السلام والبراءة منه فملأ الرّحبة منهم والقصر والمسجد والناسُ يومئذ في امرٍ عظيم فأغفيتُ إغفاءةً ومعي ناسٌ من اصحابي من الأنصار فرأيتُ في منامي شيئًا أقبل طويلَ العنق أهدبَ أهدلَ فقلتُ ما انت فقال انا النقار ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فاستيقظت فزعًا فقلتُ لأصحابي أرأيتم ما رأيتُ قالوا ما رأينا شيئًا قال فوصفتُ لهم ما رأيتُ فما كان إلا ريثَ ساعة حتى خرج علينا خارجٌ من القصر فقال أيها الناس انصرفوا فان الأمير عنكم مشغول واذا الفالج قد ضرب زيادًا فقال عبد الرحمن بن السائب :

ما كان منثنياً عما اراد بنا حتى تناوله النقار ذو الرقبه
فأسقط الشق منه ضربة ثبتت كما تناول ظلماً صاحب الرحبه

(٢) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار ابو جعفر ثنا يحيى بن عبدويه ثنا شعبة وحماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة .

(٣) حدثنا ابو بكر احمد بن عبيد الله النرمي ثنا عبيد الله بن موسى ثنا سفيان عن عبيد الله عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال كبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على النجاشي اربعاً .

(٤) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسحق بن يوسف الأزرق ثنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصور عبدٌ صورةً إلا قيل له يوم القيامة أحيِ ما خلقتَ .

(٥) حدثنا الحارث بن محمد ثنا يزيد بن هرون ثنا اشعث بن سوّار عن الزهري عن أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت الانصار فحلبت له شاةٌ فأُتي بلبنها وابو بكر عن يساره واعرابيٌ عن يمينه وعمر بين يديه فخاف عمر ان يدفع فضله الى الأعرابي فقال يارسول الله أعطه ابا بكر فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن .

(٦) حدثنا محمد بن هشام بن البختري ثنا سليمان بن الفضل الزيدي ثنا حسان ابن ابراهيم الكرماني عن حماد بن سلمة عن ايوب وهشام بن حسان وعبد الله ابن عمر وحبيب بن الشهيد عن نافع عن ابن عمر وحُميد عن بكر بن عبد الله عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وزاد فيه ابن عمر من قبله لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك والرغباء اليك والعمل .

(٧) حدثنا ابو بكر احمد بن عبيد الله النرمي ثنا شبابة بن سوّار ثنا المسعودي

عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يتجاوز لأمتي ما حدثت به انفسها ما لم تكلم به او تعمل به

(٨) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا عبد الله بن بكير السهمي ثنا ابو الورقاء عن عبد الله بن ابي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال اثنتي عشرة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد كتب الله له الفي الف حسنة ومن زاد زاده الله عز وجل ٠

(٩) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا الحارث بن محمد ثنا محمد بن عمر ثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن يزيد بن الهاد عن محمد بن الحارث التيمي عن عامر ابن سعد عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سجد العبد سجد على سبعة آرابٍ وجهه وكفيه وكتفيه[1] وقدميه ٠

(١٠) حدثنا محمد بن يونس ثنا حجاج ثنا قرّة السدوسي عن ابن سيرين قال اخبرني ابو زيد بن أخطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جمّلك الله وكان شيخاً جميلاً حسنَ الشمط قال ابو العباس الكريمي رأيتُ احمد بن حنبل جاء الى الحجاج بالبصرة فسأله عن هذا الحديث ٠

(١١) حدثنا محمد بن عثمان ثنا يزيد بن مهران ابو خالد ثنا ابو بكر بن عياش عن الأعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم يا حسرتي قال الحسرة اذا رأى اهلُ النار منازلهم من الجنة فهي الحسرة ٠

(١٢) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ام الفضل بنت الحارث قالت آخر ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات ٠

(١٣) حدثنا احمد بن زياد بن مهران ثنا زكرياء بن عدي ثنا مسلم بن خالد عن زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعثتُ في أثر ثمانية الف نبي منهم اربعة آلاف من بني اسرائيل

(١) الصواب وركبتيه كما هو ظاهر ٠ (المجمع)

(١٤) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن ابيه عن ابي سعيد الخدري قال [قال] رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخيروا بين أنبياء الله عز وجل .

(١٥) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن ابيه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمس اواق صدقة وليس فيما دون خمس ذودٍ صدقة .

(١٦) حدثنا احمد بن عبد الله النرمي ثنا ابو غسان ثنا زهير ثنا خصيف عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير عن ابن عباس أن الفضل اخبره أنه كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لم يزل يلتي[1] حتى رمى جمرة العقبة .

(١٧) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا اسامة بن زيد الليثي عن بكير ابن عبد الله الأشجّ عن كريب عن أم الفضل بنت الحارث قالت ناولتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حلاباً فيه لبنٌ يوم عرفة فشربه .

(١٨) حدثنا محمد بن يونس ثنا بدل بن المحبر ثنا شعبة قال قلتُ لقرة بن خالد السدومي وكان من ثقات الشيوخ يعني قال بكر بن وائل إنك تحدّث عن رجال من أهل الثروة فترضاهم قال فقال مثلي يقال له هذا ماحدّثتُ عن رجل منهم إلاّ وقد رضيتُ دينه وأمانته منهم ابو العجصاء (كذا) الدارمي سمعته تلا هذه الآية أفمنْ هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون فبكى حتى عمي وصلى حتى أُقعد من رجليه وصام حتى خوى ولم ينظر الى السماء اربعين سنة ياأبا بسطام أفي كيسك مثل هذا فقال شعبة عندي أفضل من هذا ايوب بالبصرة ومنصور بالكوفة

(١٩) حدثنا ابراهيم بن اسحق ثنا محمد بن الصباح ثنا ابن المبارك عن ابراهيم ابن نشيط عن رجل عن عبد الله بن الحارث بن جزء دخل عليه رجلان فألقى لهما

(١) لم يزل يلبي الخ كما في الصحيحين وغيرهما . (المجمع)

وسادةً وكان متكئاً عليها قالا إنا لا نريد هذا إنما جئنا لنسمع شيئاً فننتفع به قال من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا ابراهيم صلى الله عليهما وسلم ·

(٢٠) حدثنا الحارث ثنا داوُد بن المحبر ثنا عبد العزيز بن مسلم الخراساني عن ضرار بن عمرو عن الحسين بن ابي الحسين قال ما أعلم شيئاً أفضل من الجهاد في سبيل الله جلّ وعزّ ومن خرج من بيته في طلب العلم فانه أفضل من الجهاد في سبيل الله عز وجل ومن خرج من بيته في طلب العلم حفته الملائكة بأجنحتها وصلت عليه الطير في جوّ السماء والسباع في البر والحيتان في البحر وآتاه الله جلّ وعز أجر اثنين وسبعين شهيداً ألا فاطلبوا العلم واطلبوا للعلم السكينة والحلم تواضعوا لمن يعلمكم وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تباروا به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا تجتلبوا الأُمراء ولا تطاولوا به على عباد الله عزّ وجل فتكونوا من جبابرة العلماء الذين ادركهم الله عز وجل فكبهم على مناخرهم في النار واطلبوا علماً لا يضرّ بكم في عبادة الله واعبدوا الله جل وعز عبادةً لا تضرّ بكم في طلب العلم فانه لا يُنتفع بهذا إلا بهذا ولا تكونوا كأقوامٍ تركوا طلب العلم وأقبلوا على العبادة حتى اذا قحلت جلودهم على أجسادهم خرجوا على الناس بأسيافهم ولو أنهم طلبوا العلم لكان العلم يحجزهم عما صنعوا ان العامل بغير علم كالجائر عن الطريق فهو لا يزداد اجتهاداً الا ازداد بعداً فكان ما يفسد أكثر مما يصلح قال قلنا عمن هذا يا ابا سعيد قال لقيت فيه سبعين بدرياً واغبرّت قدمي في طلبه اربعين عاماً ·

(٢١) حدثنا بشير بن موسى ثنا ابو عبد الرحمن المقرئ عن محمد بن راشد الدمشقي صاحب مكحول عن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عن ابيه عن جده عبد الله بن العباس كنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سفرٍ فأصابنا رعدٌ وبرقٌ فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد سبحان من سبح الرّعدُ بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد

قال ابن عباس فقلنا فعوفينا ثم لقينا عمر بن الخطاب في بعض الطريق فاذا بردة قد أصابت أنفه فأثرت به فقلت يا أمير المؤمنين ما هذا قال بردة اصابت أنفي فأثرت فيه فقلت إن كعباً حين سمع الرعد قال من قال حين يسمع الرعد سبحان من سبح الرعدُ بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد فقلنا عوفينا فقال عمر هلاّ أعلمونا حتى نقول .

(٢٢) حدثنا احمد بن عبيد الله النرسي ثنا يزيد بن هارون ثنا حريز بن عثمان سمعتُ حبيب بن عبيد الرحبي يقول تعلموا العلم واعقلوه وتفقهوا به ولا تعلموا لتجمّلوا به فانه يوشك ان طال بكم عمر أن يتجمل بالعلم كما يتجمل ذو البز ببزه

(٢٣) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسمعيل بن عليّة عن يونس بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملٌ قليلٌ في سُنةٍ خير من عملٍ كثيرٍ في بدعةٍ .

(٢٤) حدّثنا محمد بن عثان ثنا ابراهيم بن محمد بن ميمون سمعتُ مصعب بن سلاّم عن سعد بن طريف عن الأصبع عن علي عليه السلام قال ستٌ من أخلاق قوم لوط في هذه الأمة الجُلاهق (١) والصفير والبندق والخذف (٢) وحلّ أزرار القباء ومضغ العلك وثمانية من الناس لا نسلم عليهم اليهودي والنصراني والمجوسي والمتفكهين بسبّ الأمهات والشاعر الذي يقذف المحصنات وقوم يشربون بين أيديهم الرّيحان وأصحاب النردشير والشطرنج وستة لا يُصلى خلفهم ولد الزّنا والعبد والمتعرّب بعد الهجرة والأعرابي والمحدود إلاّ أن يتوب والأعمى (٣) .

(١) الجلاهق : البندق الذي يُرمى معرّب . (٢) لعله والحذف .

(٣) هذا الأثر موقوف على الصحابي ، وفقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً ، والمرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم خبراً ، والموقوف ليس بحجة على الأصح عند علماء الحديث . والمراد من ايراد هذا الأثر – على فرض صحة سنده الى علي عليه السلام – هو التحذير في الجملة من أن يتصف الانسان بمثل هذه الأوصاف ، أو يتلبس بهذه الأعمال ، بل يحمل نفسه على كريم الخصال والفعال . وأما السلام فهو تحية الاسلام ، فاذا حيانا غير المسلم بتحية رددنا عليه أخذاً بعموم الآية الكريمة « واذا حُييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها » . (المجمع)

(٢٥) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار حدثني اسود بن سالم حدثني يحيى بن عبد الملك بن ابي غنيّة عن رباح بن ابي نصر قال مررتُ على طلحة اليامي فقال يا رباح أخرجك أهلك الى السوق قلتُ نعم قال عليك بالصدق وأداء الأمانة وترك الخيانة فانها مطردة للرزق ·

(٢٦) حدّثنا احمد بن زياد ثنا موسى بن داؤد عن شريك عن سعيد بن مسروق ابو المنذر شكّ شريك ان الربيع بن خُثيم كان يصلي وكان له فرسٌ أعطي به ثلاثين الفاً فجاء إنسان فحله فلم يقطع صلاته ·

(٢٧) حدّثنا محمد بن هشام البحتري قال ثنا محمد بن حاتم الزمي ثنا محمد بن الحجاج أنبأني محمد بن عبد الرحمن بن سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء قبل ان يموت بشهرين وشدّ المئزر وتعبد حتى كان كالشنّ البالي ·

(٢٨) حدّثنا محمد بن هشام قال سئل ابن عُيينة ما بال الناس يؤمرون في الجنازة بالسكون قال لأنه حشرٌ ·

(٢٩) حدثنا محمد بن هشام ثنا الحسين بن عثمان ثنا بقية عن اسماعيل البصري يعني ابن علية عن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُقبل قولٌ إلا بعمل ولا يُقبل قولٌ وعملٌ إلا بنية ولا يقبل قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا باصابة السنة ·

(٣٠) حدثنا محمد بن يونس ثنا عثمان بن صخر العقيلي ثنا الهيثم البكاء سمعتُ مالك بن دينار يقول يا معشر الأغنياء موتوا كمداً فان العرس في الدار الأخرى

(٣١) حدثنا محمد بن يونس ثنا عثمان بن صخر ثنا الهيثم البكاء قال سمعتُ مالك بن دينار يقول يا من تُغذي الخلق وتعشيهم ومن مجده تُسمى الوهاب حرم هذا البدن على النار ·

(٣٢) أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي

قد هلكت جارتنا من الهمجْ وان تجع تأكل عقوداً أو بذَجْ

قال الهمج الجوع والبذج الحمل والعقود الجديُ ·

(٣٣) اخبرنا ثعلب قال كنا عند شيخ من الشيوخ من النحويين الكبار قال اريد ان أُبُلُ فتضاحك منه الناس وقدرنا أنه لحن ونحن إذ ذاك صغار حتى حدثني سلمة عن الفراء عن الكسائي قال من العرب الفصحاء من ينصب بان الخفيفة المفتوحة وأخواتها وهو الباب ومنهم من يرفع بها ومنهم من يجزم بها الفعل المستقبل

(٣٤) أنشدنا ثعلب عن ابي نصر عن الأصمعي

تداويتُ من ليلى بهجران بيننا وداويتُ اقواماً مراضاً قلوبها

فأما الذي داويتُ بالهجر فاشتفى بهجر واما النفس فاعتلّ حوبها

(٣٥) حدثنا ثعلب عن عمر بن شبة عن رجاله قال قال احدهم سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله بخناصرة يقول يا معشر الناس اجملوا في طلب الرزق فلو كان رزق احدكم في عرعرة جبل او حضيض ارض لأتاه قال العرعرة رأس الجبل والحضيض أسفله ·

(٣٦) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي

لا تتبعنّ نعم لا طائعاً أبداً فان لا افسدت من بعدها نعم

إن قلتَ يوماً نعم بدءاً فتمّ بها فان إمضاءها صنف من الكرم

يقال صنفٌ بالفتح وصنفٌ بالكسر

(٣٧) وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي عن المفضل :

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى

وربّ ضيفٍ طرق الحيّ سرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

إن الحديث جانبٌ من القرى

(٣٨) حدثنا ثعلب وثنا ابو زيد عن علي بن زيد قال قال الحسن :

لولا جريرٌ هلكت بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

أمدحه أم هجاه قلتُ مدحه وهجا قومه قال ما مُدح من هُجيَ قومه ·

(يتبع)

ملاحظات لغوية على الفاظ زراعية

(١) الاقليم . — الكلمة الفرنسية Climat والانكليزية Climate والعربية إقليم كلها من أصل يوناني واحد وهو Klima بمعنى المَيل ، ويريدون به مَيل مكانٍ ما من الارض عن معدَّل النهار ؛ ثم استعملوها بمعنى المكان المائل ، ومعنى القطر والكورة والصقع والرستاق ، اي بما نسميه اليوم « منطقة » (انظر ما ورد في التاج وفي مقدمة معجم البلدان نقلاً عن البيروني وهذا عن المروي) . وهي تتضمن عند الفرنج معنى القطر والكورة ؛ وتتضمن أيضاً معنى آخر اكثر شيوعاً وهو جماع الأحوال الجوية والجغرافية التي تسود ذلك القطر ، اي ما نسميه اليوم بالعامية الطقس والمناخ من رياحٍ وأمطار وحرارة وموقع جغرافي الخ . ولذلك نرى ان تُستعمل كلمة إقليم المعربة قديماً لهذا المعنى الاخير ايضاً ، على ما هو شائع في مدارس الشام والعراق ، منذ أيام الدولة العثمانية . اما الجوّيات فقد وضعتها في معجم الألفاظ الزراعية امام لفظة Météorologie .

(٢) المنطقة . — شاع استعمال هذا اللفظ للدلالة على بقعة من بقاع الأرض ؛ ولم اجده بهذا المعنى فيما لديَّ من معجمات اللغة . وفي لساننا الفاظ كثيرة تؤدي المعنى المذكور كالقطر والكورة والرستاق والطسّوج والصقع والبقعة والناحية الخ . ولا بد في هذا الموضوع من التخصيص ، اي اتخاذ كلمة عربية لكلٍ من الألفاظ الفرنسية الآتية وهي Contrée و Région و Territoire و District وغيرها ، بعد النظر الى تعريفاتها المضبوطة .

(٣) التَّبغ والطُّباق . — على الرغم مما كنت كتبته في هذه المجلة وفي المقتطف والاهرام المصريتين من ان التبغ نبات والطباق نبات آخر ، ما برح بعض الكتاب

في مصر يعبرون عن كلمة تاباك الفرنسية بكلمة طباق ، لمجرد تقارب اللفظين ليس غير . فنبات التبغ (تعريب تاباك) من نباتات امريكة ، وهي مهده ؛ وهو لم يكن معروفاً في بلادنا ولا في اوربة قبل الكشف عن البلاد الأمريكية ، ولهذا ليس له اسم عربي ، شأنه في ذلك شأن كل النباتات التي نقلت من العالم الجديد كالفليفلة والبطاطة والأناناس والبنادورى والجوافة والذرة الصفراء والقشدة والأوكاليبتس وغيرها . أما الطباق فهو نبات مبذول ومعروف في لبنان وسورية ، يسمى بالعامية الطيّون وعرق الطيون واسمه العلمي **Inula viscosa** ، وهو يُستعمل لصد الزنابير عن العنب الذي يُزبَّب . وعندي من الأدلة على جهل العرب لنبات التبغ قبل كشف امريكة ما يملأ صفحتين على الأقل . فيجب اذن الاقلاع عن تسمية التبغ بالطباق ، وترك هذه الكلمة الأخيرة لما وضعت له في كتب اللغة اي لنبات الطيون .

(٤) الكرم . — كثيراً ما يستعمل ارباب الزراعة في ديار الشام لفظ الكرم بمعنى مغرس او بستان ، فيقولون مثلاً « كرم زيتون » و « كرم تين » . والكرم نبات معروف في المعاجم وفي الكتب الزراعية . ولم أجده فيها قط بمعنى المكان الذي يغرس فيه شجر آخر ، ولذلك يكون هذا الاستعمال خاطئاً .

(٥) الدالية . — يطلق الشاميون هذه الكلمة على الكرمة . أما في المعجمات فهي تدل على الناعورة والمنجنون وأداة للسقي معروفة في مصر ؛ وتدل أيضاً على ضرب من العنب أسود غير حالك عناقيده عظام ، وعلى بسر يعلّق فاذا أرطب أُكل ، وعلى الأرض تُسقى بدلو او منجنون . ولم أجد الدالية بمعنى الكرمة والحَبَلة والزَرَجُونة والجَفْنة وهي كلها تدل على النبتة الواحدة من الكرم . والظاهر ان العامة سمت الكرم دالية لتدلي عناقيدها ، كما سمتها عَرِيشة لأنهم يعرشونها على العَرْش والعَرِيش وهو جماع العيدان التي تُجعل في هيئة السقف فتُرفع الكرمة عليها . ولو قالوا معروشة ومعروشات لكان قولهم أصح ، لأن

المعروشات هي الكروم . ومع هذا فقد جاء في المخصص ان الكرم الذي يُسند يسمى العريش والمعرَّش والمعروش وغير ذلك . أما الدوالي فهي وان لم تذكر في مادة «دلو» في المعجمات ، فقد ذكرها الفيروزابادي في القاموس في مادة عرش ، قال : عَرَشَ الكرمَ رفع دواليه على الخشب كعرَّش . ويتضح من ذلك ان لفظ الدالية يُستعمل بمعنى الجفنة منذ زمن طويل .

(٦) الحَرَجة . — كثير من الكتاب في مصر والشام يسمون جماعة الشجر الحرش ويجمعونها على أحراش . والصحيح بالجيم لا بالشين ؛ ففي كتب اللغة الحرجة جماعة الشجر ، وجمعها حِراج وأحراج وحَرَج ومَحاريج . وفي المخصص انها سميت حراجاً لالتفافها وضيق المسلك فيها . وفيه : اذا اجتمع الشجر في عرض وطول فهو حرَجة .

(٧) الرُز والوَز والخَرُّوب . — معظم الكتاب يعدلون عن هذه الكلمات ويستعملون بدلاً منها كلمات الأُرز والأُوز والخرنوب . ويذهب بعضهم الى أن الأولى غير صحيحة ، على حين أنها فصيحة لا غبار عليها ، وهي أقل حروفاً من الثانية ، فلا يجوز إهمالها ولا تحاشيها .

(٨) الفَرَس . — لا يطلق الشاميون لفظ الفرس الا على أنثى الخيل ، على حين انه يُطلق في المعاجم على الذكر وعلى الانثى . اما الاسم الذي خُصت به الأُنثى فهو الحِجْر .

(٩) الدواجن . — اعتاد الكتاب في مصر تسمية الطيور الأهلية بالدواجن ، حتى انهم عندما يلفظون هذه الكلمة الأخيرة وحدها فهم لا يعنون بها الا الطيور المذكورة دون غيرها من دواجن الحيوان . ومن البديهي أن هذا التخصيص خطأ . فالدواجن (والمفرد داجن وداجنة) هي الحيوانات التي تَدْجن بالمكان اي تقيم به وتألفه ، من خيل وإبل وبقر وضأن ومعز ودجاج وحمام الخ . وهذا التعميم واضح في المعجمات . ولذلك عندما يُقتصر على كلمة الدواجن فمعناه الاشارة الى جميع الحيوانات المذكورة لا الى الطيور التي دُجنت وحدها . أما اذا أريد ذكر تلك

الطيور دون غيرها فيجب ان يقال الطيور الدواجن او الطيور الأهلية ، اي لابد من ذكر كلمة الطير او الطيور قبل لفظ الدواجن .

(١٠) جملةٌ من الكَلِم . — في مصر يُكثر الكتاب من استعمال لفظ « العزبة » بمعنى المزرعة . ولم أجد كلمة العزبة هذه فيما لديَّ من الأمهات . وفي العربية ألفاظ كثيرة تدل على معناها كالمزرعة والجرْبة والمَشارة والزَّراعة والكُرْد . والقرية اكبر منها . ويقولون « التقاوي » بدلاً من البذر والبذار ؛ و « الكبري » بدلاً من الجسر ؛ وهذه اللفظة تركية النجار ؛ و « الطَرْح » بمعنى الحَمْل والجَنى والثمر ؛ و « الأُذرة » بمعنى الذرة ، ويذكرونها وهي مؤنثة . ويلزمون كلمة الري والأرواء فلا يستعملون مادة سقى يسقي الا نادراً ، على حين ان هذه المادة هي الشائعة في المعجمات والكتب الزراعية القديمة (انظر باب السقي في الجزء التاسع من المخصص) فلا يجوز تجنبها ، ترجيحاً لفصيح الكلم على غيرها . ويكثرون من استعمال الطين بمعنى الأرض ، ولم أجد للطين هذا المعنى ، فهو نوع من أنواع الأتربة كالغرين والصلصال والطمي ، وليس بأرض ولا بمزرعة . ويجوز ان يقال طين الأرض ، وارض طينية او رملية أو كلسية الخ . وفي الشام يقولون « حاصود » و « راجود » على وزن فاعول ، لمن يحصد الزرع ويرجده ؛ والصحيح الحصَّاد والرجَّاد . ويقولون « الفصَّة » والصحيح الفِصْفِصَة وهو ما يسمى البرسيم الحجازي في مصر ، ويسمى بالفرنسية Luzerne .

ويسمون البرتقاليات اي اشجار الفصيلة البرتقالية او أثمارها الموالح في مصر ، والحوامض في الشام . ومن المعلوم انها كثيرة الأنواع كالبرتقال والليمون الحلو والحامض وليمون الجنة (غريفون) والأترج والنارنج واليوسفي الخ . فتسميتها بالحوامض لها وجه ، لأن فيها حامض الليمون . أما تسميتها بالموالح فلم أر لها وجهاً . ومن الصعب جداً حمل الكتاب على اطراح اسماء كهذه مما يتفشى استعماله في جميع الطبقات .

وفي الشام يطلقون اسم الغنم على الضأن وحدها، على حين ان هذا الاسم يطلق على الضأن والمعز جميعاً ٠

(١١) يتضح مما مرّ ذكره ان بين مصر والشام اختلافاً في تسمية بعض النباتات الزراعية، وبعض الآلات والمواد التي لها صلة بالزراعة ٠ ولعله من المفيد أن نذكر جملة منها في الجدول الآتي :

الشام	مصر	ملاحظات
انجاص	كمثرى	الثانية في الفصيحة بمعنى Poirier ٠ والأولى غير صحيحة
دراقن	خوخ	كلاهما فصيح بمعنى Pêcher
خوخ	برقوق	الفصيح إجاص بمعنى Prunier ٠ وللبرقوق وجه ٠ والخوخ غلط ، فهو في اللغة يدل على الشجر السابق
كبّاد	أترج	كلاهما فصيح Cédratier
كستنة	ابو فروة	اسمه القديم القسطل والقسطن والشاهبلّوط ٠ Châtaignier ٠ والكستنة من اللاتينية ، والقسطل من اليونانية ، والشاهبلوط من الفارسية بمعنى بلوط الشاه ٠
ملفوف	كرنب	Chou ٠ الأولى مولدة ٠ والثانية صحيحة ، وهي من أصل يوناني ٠
كرنب	ابوركبة	Chou - rave ٠ كلاهما مولد بهذا المعنى ٠ والكرنب في اللغة هو النبات السابق ٠
شوندر	بنجر	Betterave ٠ الأولى من أصل فارسي ، والثانية من التركية ٠
بطاطة	بطاطس	Pomme de terre كلاهما مولد من كلمة Patate وهي من لغة سكان هيتي الأصليين ٠

الشام	مصر	ملاحظات
بنادورى	طاطم	Tomate . هو كالسابق من نباتات أمريكة فليس له اسم عربي .
ذرة صفراء	ذرة شامية	Maïs . وهذا ايضاً من نباتات امريكة التي لم تعرف الا بعد الكشف عنها . والأولى من كلمة ايطالية، والثانية من كلمة تمت الى لغة الازتيك القديمة في المكسيك
يكي دنيا ، إيكي دنيا	مشملة	Bibassier كلاهما من التركية .
فستق العبيد	فول سوداني	Arachide .
فلفل	شطة	Poivrier . الأولى صحيحة .
فليفلة	فلفل	Piment . كلاهما مولد لأن هذا النبات نقل من امريكة .
هليون	كشك الماظ، هليون	Asperge . الهليون هو الفصيح بكسر الهاء وفتح الياء بينهما لام مجزومة .
إنكنار، ارضي شوكي	خرشوف	Artichaut . الفصيح هو الحَرْشَف، ومنها أرتيشو الفرنسية . أما ارضي شوكي فمن الكلمة الفرنسية هذه . فتأمل كيف ترد العامة الينا كلماتنا العربيات مشوهة ، وذلك كقولهم سينما الحمرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر .
مشط	زحافة	Herse . الأولى أفصح . وقد وردت بهذا المعنى تماماً في المخصص .
كلس	جير	Chaux كلاهما فصيح .

هذه ملاحظات عنت على البال فلعل فيها فائدة للأساتيذ الذين يبحثون في العلوم الزراعية ومصطلحاتها .

مصطفى الشهابي

كنز من كنوز الجاحظ

اربع رسائل من رسائله

— ٥ —

الرسالة الرابعة من رسائله الأربع

عنوان هذه الرسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) افتتحها بقوله : (أصحب الله مدتك السعادة والسلامة ، وقرنها بالعافية والسرور) . والخطاب فيها موجه الى الوزير ابي الحسين عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل . ولم يصرح باسمه في طرة الرسالة — كما صرح باسم المخاطبين في الرسالة الأولى والثالثة — وانما فهم ذلك عنه في ختام الرسالة ص ١٢٢ وسيأتي . ويقول الجاحظ للوزير المشار اليه ان رسالته او كتابه هذا (كتاب نبيل بارع فُصِل فيه بين الحسد والعداوة لم يسبقني اليه احد) بلى سبقوه الى ذكر الحسد والعداوة ومبلغ ضررهما بالمجتمع وسرد ما ورد فيهما على ألسنة الأنبياء والصحابة والحكماء غير ان الذي لم يسبقوه اليه تشقيقه القول فيهما وتفننه في حسن التمثيل والاستشهاد لهما بما لا يخطر لأحد ببال ، أو يجري منه في خيال ، وكل ما أراده من صديقه ثواباً على تخصيصه اياه بهذه الرسالة ما ذكره بقوله مخاطباً له : فأنا أسألك بساطع كرمك ، وناصع فضلك لمّا امتننتَ عليّ بصرف عنايتك الى قراءتها ، فان لم يمكنك تبحرها ، والتقصي لجميعها ، للأشغال التي تعروك ، فبحسبك ان تقف على حدودها ، وتتعرّف معاني أبوابها ، بتصفح اوائلها ، : فان معك قلباً به من اليقظة والذكاء ، والتوقد والحفظ ، ما يكفي معه نظر الخاطف) وقوله (لما امتننتَ عليّ) (لمّا) هنا بمعنى (الاّ) كما في قوله تعالى (إن كل نفس لمّا عليها حافظ) ويقول العرب (أنشدك الله

ألّا فعلتَ) اي الا فعلت . وقوله (تبحّرها) التبحر في العلم التوسع فيه فمعنى تبحرهـا التوسع في فهم مضامينها . لكنّ الجاحظ عدى فعل التبحر بنفسه . وهو انما يتعدى بالحرف . فكأنه ضمّنه معنى التقصّي والتتبع .

وأول ما وصف من العداوات عداوة العلماء بعضهم لبعض فصنّفهم الى علماء أهل حق (مخضوا الحكمة وعجموا عيدانها ، ووقفوا على حدود العلوم) ـ واهل باطل يعارضون الأولين (وقد تسموا بأسماء العلم على المجاز بغير حقيقة . ولبسوا لباس الزور متزخرفين متشبعين بما لا محصول له) وأتى على وصف التحاسد والتنافس بين هؤلاء واولئك . وقصّ بعض ما كان يقع في مجالس الخلفاء من مناظرات العلماء حول آرائهم ومصنفاتهم مما منشؤه العداوة والحسد . وأخذ في التفرقة بينهما (اي بين العداوة والحسد) : من ذلك (ان العداوة لها عقل تسوس به نفسها ، فينجم قرنها ، وتُبدي صفحتها ، في أوقات الهَتْر ، وإلا فانها كامنة : تنتظر ازمنة الفرص . والحسد مسلوب المعقول (اي العقل) بازاء الضمير (؟) في كل حين وزمان . ومن لؤم الحسد أنه موكل بالأدنى فالأدنى والأخص فالأخص (اي كلما ازدادت القرابة والخصوصية بين الناس ازداد الحسد تكالبًا بينهم . و (الهتر) تمزيق العرض بالطعن والثلب فقوله بعده (بازاء الضمير) لعل صوابه (بإزاء الهتر) . وخلاصة ما قاله الجاحظ في هذا الباب ان العدوّ له عقل اما الحاسد فلا عقل له .

ومن الأدلة على ان الحسد أوجع وأوضع من العداوة أن الحسد انما يثور في نفس الحاسد لأسباب ليس للمحسود صنع فيها وانما هي من صنع الله كجمال الصورة وفصاحة اللسان وكرم المحتد وحسن الأخلاق وهذا بخلاف العداوة فان المعادي لك انما يقصد الى ضررك والحاق الأذى بك لأسبابٍ صدرت منك كأكلك ماله او تحقيرك له او الحاحك عليه بالأذى والشر . فاذا كففت عن ذلك . او اعتذرت اليه زالت العداوة بزوال اسبابهـا ورجعتما خليلين متصافيين ، ولا كذلك الحسد فان اسبابه فضلك او فصاحتك مثلاً وكلاهما لا يمكن تجنبهما

ولا الاعتذار عنها ما داما من صنع الله . فالحسود عدو الله في الحقيقة ، وكل هذا (دليل على ان الحسد لا يكون الا عن فساد الطبع ، واعوجاج التركيب ، واضطراب السوس (اي الطبيعة) وقال بعضهم الحسد انثى لأنه ذليل والعداوة ذكر فحل لأنها عزيزة) (أقول) وكان الأحسن لو قال الحسد انثى لأنه ضعيف يتستر مثلها ويتوارى تواريها ، والعداوة ذكر قوي فهي ظاهرة سافرة بادية صفحة الوجه كما ان الرجل القوي كذلك . ووصف الجاحظ عالماً عراقياً رآه وشاهد ما اصابه من البرحاء وحرقة الحسد حين بلغه عن زميل له في خراسان من اتساق الرياسة له في بلده (ونبل محله عند اهل مصره ، وطاعة العامة له ، فطار قلب العراقي فرقا . واخذته الأُرَباء وتنفس الصعداء ، وانتفض انتفاض المعلّس الممطور) قال الجاحظ فقال لي رجل من إخواني كان عن يميني حين رأى ما رأى من ذلك العالم العراقي : (لم يُر ظالم اشبه بمظلوم من حاسد نعمة ؛ فان نَفَسه متصل ، وكربه دائم ، وفكرته لا تنام) وقوله (الأُرباء) بالمد لم أره ولعله (الأُرَبى) ومعناه الداهية . واي داهية ادهى من حز الحسد في النفس . ويمكن ان يقال ان (الأُرباء) هنا هي الأُربى غير ان الجاحظ مدها لضرورة السجع او لمزاوجة الصُعداء . وقولهم (تنفس فلان الصُعداء) يستعمله الفصحاء كما استعمله الجاحظ في التوجع ومقاساة مضض الغم لا في انكشاف الهم وزوال الكرب كما يستعمله بعض الناس . فقد قرأت في (مجلة الرسالة) لكاتب يصف قوماً يمقتون فاضلاً يشتغل معهم ثم نقل الى عمل آخر قال (ولعلهم واجدون في إبعاده متنفساً لصعدائهم) اي انفراجاً لكربهم واستعماله بهذا المعنى غير سديد. ومخالف لما يستعمله البلغاء فيه . و (المعلّس) الرجل المجرب ولا تناسب ارادته هنا وانما المناسب ان يكون محرفاً عن اسم طائر او حيوان ينتفض حين وقوع رذاذ المطر عليه (كما انتفض العصفور بلله القطر) واقرب ما يمكن ان تكون (المعلّس) محرفة عن العَمَلَّس . وهو اسم للجمل وجاء في (ديوان الحيوان) للسيوطي

ان (العَمَلَّس) اسم الذئب الخبيث والكلب الخبيث . وفي تشبيه ذلك الحسود بالذئب الممطور او الكلب الممطور زيادة تبكيت له ، وتنفير من حسده ، ومعرة لؤمه .

وصغار الكتاب في عصرنا يعمدون الى الفحول من كتاب بلدهم وشعرائه فيطعنون فيهم ، ويتخذون منهم أداة لهو وسخر ، ليصرفوا انظار الناس عنهم اليهم وينالوا الشهرة دونهم وكما ان في الكسب مال سحت كذلك في الشهرة شهرة سحت كشهرة هؤلاء الكتاب والشعراء الذين كان مثلهم كثيراً في عصر الجاحظ وقد وصفهم وذكر نوادر من اخبارهم : من ذلك ما حدثه به صريع الغواني الشاعر قال (خُيِّل الى نوكى الشعراء أنهم لا يُقضى لهم بجودة الشعر الا بهجائي والطعن في شعري . وهجو عرضي . وانا لا انفك متهماً من غير جرم أجرمته الا ما سبق الى قلوبهم من وساوس الظنون والخواطر التي أوهمتهم انه لا يسجل لهم بجودة الشعر الا اذا استعملوا فيَّ ما خيّل اليهم) . وذكر الجاحظ ان الحساد يقبلون على مصنفات محسوديهم فيقرأونها ويلتهمون معانيها التهاماً ، ويشهرون بها امام الناس ويحقرون من شأنهـا ، ثم لا يلبثون اذا كتبوا او صنفوا ان يحملهم نوكهم على استعمال معانيها والفاظها في رسائلهم الى اخوانهم الذين كانوا من قبل سمعوا منهم الطعن في تلك الألفاظ والمعاني نفسها . وما قاله الجاحظ مصداق قول الشاعر :

(ترى الفتى ينكر فضل الفتى   لؤماً وخبثاً فاذا ما ذهب)
(لجَّ به الحرص على نكتة   يكتبهـا عنه بماء الذهب)

وهنا (ص ١٠٨) وصف الجاحظ ما كان يلاقيه هو ومصنفاته من حساده : يطعنون فيها وهم يعرفون براعتها ونصاعتها . وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان مصنفه مقدماً الى ملك (فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة) فان أمكنهم اسقاط ذلك المؤلف في نفس الملك والا عمدوا اليه فسرقوا معانيه . وألفوا من أعراضه (جوانبه) وحواشيه كتاباً . وأهدوه الى ملك آخر معجبين بما كتبوا . وان كانوا قد ذموه وثلبوه لما كان منسوباً الى الجاحظ . وكان الجاحظ

يؤلف احياناً مؤلفاً دون سائر مؤلفاته في معانيها والفاظها وينسبه الى غيره ممن تقدمه (مثل ابن المقفع والخليل ويحيى بن خالد والعتّابي) فيأتي حساد الجاحظ اليه رافعين عقيرتهم بالاعجاب والثناء على ذلك المؤلف ويلتمسون منه استنساخه وقراءته عليه وروايته عنه وينشرونه في الناس ويتخذونه إماماً . كل ذلك لأنه لم ينسب الى الجاحظ ولم يترجم باسمه قال (ولربما خرّج الكتاب من تحت يدي مُحصفاً (اي محكم الفتل) كأنه متن حجر املس بمعانٍ لطيفة محكمة ، والفاظ شريفة فصيحة ، فأخاف عليه طعن الحاسدين إن انا نسبته الى نفسي فأظهره مُبهماً غُفلاً في جملة الكتب التي لا يُعرف وضّاعها . فينهالون عليه انهيال الرمل ويستبقون الى قراءته استباق الخيل) .

وهوّن الجاحظ من امر العدوّ والحسود والمغتاب اذا كانوا أغبياء جهلاء لأنّ غباوتهم تدل عليهم فيقل تأثير كلامهم في نفوس السامعين . أما البلاء الذي ما فوقه بلاء فهو في ما اذا كانوا عقلاء اذكياء ذوي فطانة وحذق فان كيدهم يكون اشدّ ، وسهام اذاهم أحدّ واسدّ . وقد صور الجاحظ هذا المعنى أبلغ تصوير فقال (وانما البلية في غيبة حذاق المغتابين الذين يسمعون (اي الطعن في المحسود) فيضحكون ولا يتكلمون . وأحذق منهم الذين يستمعون ويُسكتون القائل ويدعون بالصلاح للمقول فيه) . فدعاؤهم له بالصلاح اقرار بصحة ماقيل فيه من الطعن والثلب والا (لُجبه القائل وردع عن قوله) فهذه الطريقة أخبث انواع الغيبة واشدها خطراً في رأي الجاحظ ، ومما يؤسف له ان هذا النوع الخبيث من الغيبة فاش في عصرنا هذا كثير الشيوع في مجالسنا فلا يجبه مغتاب ولا يردع ، بل يقرّ طعنه ويسمع ، ثم بالدعاء والاستغفار يُلحق ويتبع ، فيقولون (اصلحه الله) او (غفر الله لنا وله) وهذا عين ما قال الجاحظ انه كان يقع في عهده قال : وكان (عبيد الله بن عبد الله بن مسعود) من نبلاء المغتابين وحذاقهم مذ يقول مخاطباً عدوين له منافسين :

(فلو شئتُ أدلى فيكما غير واحدٍ علانيةً ، أو قال ذلك في سرِّ)

(فإن أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما ضحكتُ له حتى يلج ويستشري)

وسرق العتابي هذا المعنى فقال :

(إن كنتَ لا تحذر شتمي لِما تعرف من صفحي عن الجاهل)

(فاخش سكوتي سامعاً ضاحكاً فيك لمشنوع من القائل)

والمشنوع المشهور بالقبيح . وقول عبيد الله (أدلى فيكما) اي قال فيكما قولاً قبيحاً . وقد كثر بين الكتاب استعمال فعل (أدلى) كثرةً لا مسوّغ لها . وفي فصيح اللغة من التعابير ما يغني عنه . فالسكوت والضحك من ألين انواع الغيبة وأنعمها . وألينُ منهما تبسم الإمام (ابي حنيفة) فقد كان يبلغ من التبسم من (الثوري) ما لا يبلغ الثوري بالتصريح منه . والين من هذا وذاك غيبة القاسم بن معن وقد سئل عن ابن ابي ليلى فقلّب كفه وقال :

(من الناس من يخفى ابوه وجدّه وجدّ ابي ليلى لكالبدر ظاهر)

فتقليب كفه اشارة الى حيرته في امر ابن ابي ليلى . اما ما استشهد به من الشعر فهو على حد :

(خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء)

فهو يقول ان جد أبي ليلى ظاهر ظهور البدر : فاحتمل ان يكون أراد بظهوره ظهور خسة نسبه وضآلته . كما احتمل ان يكون اراد ظهور رفعته ونباهته . ومن أبلغ ما قيل في وصف ذلة الذي يغتاب عدوه ويتملقه اذا حضر قول خالد بن صفوان في شبيب بن شيبة (ليس له أخ في السر ولا عدو في العلانية) — وقول العتابي في اهل بغداد : (حساد : اخوان العلانية . واعداء السريرة : يعطونك الكل . ويمنعونك القلّ) اي يعطونك كل ما رضيته اذا جالستهم فاذا غبت عنهم بخلوا عليك بالقليل من حقك .

وأفاض الجاحظ في اي الأمرين يكون الصواب والسداد والحزم : أفي مصارحة

العدو بالعداء؟ او في مداراته وتجنب ملاحاته ؟فمنهم من كان يقول بالمداراة (يعني على طول الخط كما يقولون) ومنهم من يرى الفرار منها والاعذار فيها (فان هي — أي العداوة — أبت إلا المقارنة قارنوها بمثلها) (كذا في ص ١١٤) ولعل صوابه (فان هي أبت الا المقاومة قاوموها بمثلها) وهذا على حد قول الشاعر :

(واني لآبي الشر حتى إذا أبى يجنب داري قلت للشر مرحبا)

(وأركب ظهر الأمر حتى يلين لي اذ لم أجد الا على الشر مركبا)

ومنهم من غلا في المصارحة واللجاج في مقاومة العدو ولو نزل على حكمك وأنصفك كالعباس بن عبد المطلب الذي يقول لأخيه :

(ابا طالب لا تقبل النصف منهمو ولو أنصفو حتي تَعُقَّ وتظلما)

والنصف (مثلثة النون) بمعنى الانصاف وهذا ما عناه طوق بن مالك بقوله (من لم ينتهز من عدوه انتهز منه) . وعلى عكس هذا قول عبيد الله بن عبد الله بن مسعود الذي جعله الجاحظ كما مر (من نبلاء المغتابين وحذاقهم) فان قوله أبلغ ما قيل في المسالمة والمداراة وهو :

(منافسة الصحاب او الأعادي تجرّ الى المذمة والملامة)

(اذا أعطاك نصفًا ذو وداد وبعض النصف فانتهز السلامة)

قوله (ذو وداد) لعل صوابه (ذو عداء) لأن المقام مقام التوازن بين مقاومة الأعداء ومداراتهم : يقول اذا انصفك عدوك ولو بعض الانصاف فاغتنم فرصة السلامة والراحة من عناء مكابدته . كما قال صاحب التائية من المتأخرين :

(لما عفوتُ ولم أحقد على أحد أرحتُ نفسي من همّ العداوات)

وهناك قوم الخشوا في مقاومة العدو الى حد الظلم والبغي . منهم مصعب بن الزبير الذي قال (اذا رأيت يد الدهر قد لطمت عدوك فبادره برجلك : فان سلم من الدهر لم يسلم منك وانشد :

(اذا برك الزمان على عدو بكبته أعنتُ له الزمانا)

وقال العتابي (إن من شرط الدهر ، ومن صناعة الزمان السلب (اي سلب ما اعطى أو هو محرف عن التقلّب) فاذا حمّلت الأيام على عدوك ثقلاً ، وأمكنتك منه فزده ثقلاً الى ثقله) ويقال ان المقابلة بالشر قد تكون أحياناً أنجع في الوصول الى ما يبتغي الانسان من حاجة :

(وفي الشر نجاة حيـــن لا ينجيك احسان)

قال الجاحظ حدثنا ابو مسهر عن خالد الكلبي قـال : (كنا مع ابي برزة الاسلمي في غزاة . فكان منا رجل يمتار لنا الميرة . ويقوم بحوائجنا . فاذا اقبل قلنا له جزاك الله خيراً . فيغضب لدعائنا . فشكونا أمره الى أبي برزة . فقال : كنا نسمع أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر . فاقلبوا له . فكنا نقول له - إذا أتانا بالحوائج - جزاك الله شراً وعسراً . فيضحك لذلك) .

وروى الجاحظ لبعض الأعراب ابياتاً حضّ فيها على الحلم والصفح عن الجهال ومنها:

(فأبق على جهـال قومك انه لكل حكيم موطن هو جاهله)

فالشاعر يحضّ الحكماء العقلاء على ملاينة الجهال والابقاء عليهم . ومعنى الابقاء عليهم رحمتهم وترك اخذهم بالعنف . وبهذه المناسبة نقل الجاحظ عن عمر انه قال : (استوصوا بالغوغاء خيراً : فانهم يطفئون الحريق . ويسدّون البثوق) اقول : ويروى بين الفقرتين (وينقذون الغريق) . لا جرم أن هؤلاء الغوغاء المنتشرين في الأسواق هم الذين يترامون على الحريق فيطفئونه . وعلى الغريق فينتشلونه . واذا انبثق ماء النهر على أهل الجوار اسرعوا الى سده . ويروى (ويشهدون السوق) مكان (ويسدون البثوق) وكأن احداهما محرفة عن الأخرى . ومعنى يشهدون السوق - ان صحت روايتها - ان العامة يشهدون مواطن البيع والشراء فاذا حصل أحياناً بين المتبايعين خلاف ونزاع ، ولكم وصراع ، ساعدوا اعوان القاضي والشُرَط على معرفة أسرار النزاع فلا تفوت الشرطي معرفة الحقيقة من بين اقوالهم وثنايا شهاداتهم .

ولما اوشك الجاحظ ان يختم الرسالة أتى في خطاب الوزير بأبلغ ما يقال في الحسد وانه هو (اي الجاحظ) كثير الحساد بسبب الانتماء اليه كما انه كثير الخلان فقال :

وكنت امرءاً قليل الحساد حتى اعتصمتُ بعروتك . واستمسكتُ بحبلك ، واستذرأتُ بظلك . فتراكم عليّ الحساد وازدحموا . ورموني بسهامهم من كل اوب وأفق . وتتابعوا عليّ تتابع الدَبر على مشتار العسل . ولئن كثروا لقد كثر بهبوب ريحك إخواني . وبنضرة أيامك . وزهرة دولتك خلاّني . وانا كما قلتُ :

(فأكثرتَ حسادي واكثرتَ خلّتي وكنتُ وحسادي قليلٌ وخلاني)

وهنا انتقل الجاحظ في الكلام على الحسد الى حديث طريف ، في اسلوب مبتكر ظريف، فسرد خبراً عن رفاق زاروه ، وخاضوا معه في بحث الحسد والحساد . وأستبعد أنا جداً أن يكون خبر هذه الزيارة وما تلاها واقعياً . إنما هو مخترع لظهور أثر الاصطناع والاعتمال فيه . فهو في اسلوبه وتأليف أجزائه أشبه بما ابتكره بديع الزمان الهمذاني وقلده فيه الحريري مما أسمياه (المقامة) و (المقامات) . فيكون الجاحظ هو واضع هذا الفن أو غارس غرسته الأولى . فاستثمرها وقلدها بديع الزمان الذي عاش بعد الجاحظ بنحو قرن ونصف . وها نحن أولاء ننشر الخبر او (المقامة الجاحظية) بنصها الساذج وللقارئ حكمه عليها ورأيه في ما قلناه فيها :

قال الجاحظ مخاطباً الوزير عبيد الله بما نصه :

لما بلغت هذا الفصل من تأليف هذا الكتاب دخل عليّ (عشرة نَفَر) من الكتّاب : قد شملهم معروفك ، ورفع مراتبهم جميل نظرك ، فهم من طاعتك والمحبة لك على حسب ما أوليتهم من إحسانك . وجزيل فوائدك . فأفاضوا في حديث من أحاديث الحسد ، فشعّب لهم ذلك الحديث شعوباً افتنوا فيها . والحديث ذو شجون . فما برحوا حتى أتتني رقعةُ أناسيةٍ (أي اناس) من الحساد ، فيها سهام الوعيد . ومقدمات التهديد والتحذير والتخويف للطعن على ماأؤلف من الكتب ، إن أنا لم أضمن لهم الشركة فيما يُجرَى عليّ . فدفعتُ رقعتهم الى من قرُب إليّ منهم (أي من العشرة) فقرأها ثم قال الأول: قاتلهم الله أبظلم يرومون النيل . ويلتمسون الشركة في المعروف . لنزْع الروح بالكلاليب . أهون من بذل معروف بترهيب . وأنشأ يقول:

(أما الحوادث من خليـ لك مثل جندلة المراجم)

(قـد رامني الأعداء قبـ لك فامتنعت من المظالم)

ودفعها (أي الرقعة) الى من قرب منه فقرأها . وقال (الثاني): صكة جلمود . لكل مرعد حسود . يستمطر العُرف بالتهديد ، خلّ الوعيد يذهب في البيد ، وانشأ يقول :

(أبرق وأرعـد يا يزيـ ـدُ فما وعيدك لي بضائر)

ودفعها الى (الثالث) فقرأها وقال : سألوا ظلماً . وخوّفوا هضماً ، لقُوا حرباً ولقيتَ سلماً . وانشأ يقول :

(زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أَبشر بطول سلامةٍ يا مربع)

ودفعها الى (الرابع) فقرأها . وقال : قولُ الذليل وبولُه سيّان . وانشأ يقول :

(ما ضرّ تغلب وائل أهجوتها أم بُلت حيث تناطح البحران)

ودفعها الى (الخامس) فقرأها . وقال: نهيق الحمار . ودم الأعيار ، جُبار جبار . وانشأ يقول :

(ما أبالي أنَبَّ بالحزن تيس أم لحاني بظهر غيبٍ لئيم)

ودفعها الى (السادس) فقرأها وقال : إذا عَلِقتك الأمجاد . فليهن عليك الحسّاد . وانشأ يقول :

(إذا اهل الكرامة اكرموني فلا اخشى الهوان من اللئام)

ودفعها الى (السابع) فقرأها وقال : كيف يخاف الصُرَعَة . مَن هو في ذي المنعة . وانشأ يقول :

(كم تنبحون وما يُغني نباحكم مايملكُ الكلبُ غيرَ النبحِ من ضرر)

ودفعها الى (العاشر) [1] فقرأها وقال : نَوْكى هَلْكى ، لم يعرفوا خبرك . ولا دروا أمرك . وانشأ يقول :

(فلو علم الكلاب بنو الكلاب بحالك عنـد سيدنا لذلّوا)

---

(١) كذا في الأصل فلعل صوابه (الى الثامن) ليكون حذف من النفر العشرة اثنين

وعندي صديق لي من السُوْقَة له أدب ، فقال لي بعقب فراغهم سِرّاً : إن هؤلاء الكتّاب قد أظهروا الاستخفاف بقول الحسّاد . وضربوا الأمثال في هوانهم عليك ، وعرفوا أنك في منعة من عزّ ابي الحسن ـ أطال الله بقاءه ـ ومعقل لا يُسامى ولا يُنال ، وأنا أقول بالشفقة :

(توَقّ قوماً من الحسّاد قد قصدوا   لحطّ قدرك في سرّ وفي علن)

فقلت له : إني اقول بيتين هما جوابك وجواب الحساد :

(إن ابن يحيي عبيدَ الله أمنني   من الحوادث بعد الخوف من زمني)

(فلست أحذر حسّادي وان كثروا   ما دمتُ ممسكَ حبل من ابي الحسن)

فلما رأى صديقي اقتفائي آثار الكتّاب ، باستهانتي بالحساد ، عند اعتلاقي حبائلك ـ أعزك الله ـ أنشأ متمثلاً بقول نصر بن سيّار :

(إني نشأتُ وحسّادي ذوو عدد   يا ذا المعارج لا تَنْقُص لهم عَدَدا)

(إن يحسدوني على ما قد بنيتُ لهم   فمثلُ حسن بلائي جرّ لي الحسدا)

انتهت (مقامة) الجاحظ . وبعدها رجع الى مخاطبة الوزير وتعجبه من كثرة حسّاده عليه وسرد بعض الآثار والأخبار والأشعار التي قيلت في الحسد والحسّاد وشؤم حياتهم وسوء منقلبهم .

***

فرغنا من التعليق على (الرسالة الرابعة) في العداوة والحسد وعرض نموذجات من آراء الجاحظ وأفانينه فيها . ولنقبل الآن على شيء من انحائها اللفظية وما يتخللها من الفوائد اللغوية . من ذلك قوله :

ص ١٠١ وصف الجاحظ علماء الباطل الذين يلبسون لباس الزور وقال ان لهؤلاء أساليب بها (تستوي لهم الرياسة على طغام الناس ورعاعهم ويستخولوا رعاعهم وقومهم) رعاعهم الثانية محرفة في الغالب عن (زعمائهم) اي ان أولئك العلماء المبطلين بمخاريقهم واحابيلهم يتخذون من زعماء القوم خولاً وخدماً وحاشية لهم .

ص ١٠٣ سطر ٥ قوله (فغَلِق المأمون واحتدم) (غلق) و(قلق) بمعنى واحد

يقال إياك والغَلَق والقَلَق والضجر والحدّة والغضب . فلا حاجة الى تصحيح إحداهما بالأخرى كما فعل المصحح .

وقوله (لم ير احداً يدب عن كتابي) صوابه (يذبّ) بالذال المعجمة أي يذود ويدافع .

ص ١٠٤ قوله : (بإزاء كل حاسد راهن) لعل صواب (راهن) (راحم) اي راحم يرحم الحاسد من فرط ما يعاني من لذع الحسد . فلا حاجة لما قاله المصحح .

وقوله (لن تعدم الحسناء ذامّا) بتشديد الميم اسم فاعل من الذم والمعنى ظاهر لكن الأشهر في المثل (ذاما) بتخفيف الميم والذام هو العيب . ويؤيده البيت الذي بعده:

(ولن تصادف مرعى ممرعاً أبداً الا وجدت به آثار مأكول)

وعقب الجاحظ هذا البيت بقوله (يقال يعاب في كل حَسَن ويؤكل منه فيعيبه ذلك) فقوله (يقال) أي في تفسير معنى البيت وقوله (يعاب) محرف عن (يعاث) والعيث الافساد وقوله (في كل حَسَن) اي ان كل شيء حسن لا بد ان تنال منه الناس بما يشوهه ويفسده . لكن قوله بعده (ويؤكل منه) يرجح ان تكون كلمة (حَسن) محرفة عن (حش) بتثليث الحاء وهو البستان ومجتمع النخل وهو المناسب لقوله في البيت (مرعى مُمرع) ثم استُعمل (الحش) مكنيًا به عن المرحاض . قال صاحب القاموس في تعليل ذلك : (لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين) .

وقوله ص ١٠٨ (الا ان نار الحسد تلهبه : فيهذي هذيان المريض ويهمز همزان المعزى) في الأصل العنزى مكان المعزى فصححه المصحح بالمعزى ولو صححه بالعنز لكان أقرب (وهمز همزان) لا معنى له هنا ولا يقال في مصدر همز همزان وانما صوابه قفز قفزانا أو نقز نقزانا وكلاهما بمعنى وثب وثبانا . وفي الحديث عن عائشة أنها هي وام سلمة كانتا في وقعة (بدر أو أُحد) تنقزان القِرَب اي تقفزان بها قفزاً لسقي الجرحى . والحسود اذا فوجئ بخبر من مباهج محسوده لا يملك نفسه عن ان يتحرك في مجلسه صُعُداً أو يمنةً ويسرةً لاضطراب نفسه . وارتعاش

اعصابه . لكن الجاحظ بالغ مذ جعل هذه الرعشة قفزة كقفزة العنز .

وقوله (فان كان السيد نحريراً نقاباً ونقريساً بليغاً) فسروا النقريس بالطبيب ومرادهم بالطبيب والطَبّ الحاذق في عمله ثم غلب على الحاذق في مداواة الأبدان وهذا كالنطاسي والنطّيس قال الشاعر :

(وقد أكون مرة نِطّيسا طَبّاً بأدواء الصبا نِقريسا)

وقوله ص ١١٠ (والحاسد الذي فيه تقيّة . ومعه مُسكة . وبه طَعْم أو حياء) طعم الشيء حالته في المذاق طيباً او قبيحاً . وفي الأساس (ما فلان بذي طعم ولا طعم له اذا لم يكن مقبولاً) اي اذا لم يكن سائغ العشرة والحديث في مذاق الناس ، ثم شاع استعمال الطعم بمعنى النباهة والفطانة في الحديث ومعاملة الناس فكما يقال فلان ماله ذوق او لا يذوق يقال فلان لا يستطعم اي لا يذوق وقلما نقول فلان ما عنده طعم او ما به طعم اي ذوق لكن الجاحظ في عبارته السابقة استعمل (الطعم) بمعنى الذوق كما هو ظاهر السياق . ومعنى (معه مُسْكة) اي رأي وعقل يرجع اليه .

وقوله في وصف الحاسد الحاذق (ولا سيما ان كان جليساً لازماً . ومحدّثاً لا يريم) اشتهر التحديث بمعنى رواية احاديث النبوة ، والمحدث هو الذي يحفظها ويتقن روايتها ، اما الذي يروي أحاديث الناس فلا يوصف بالمحدث وانما يقال انه اخباري وراوية للأخبار لكن الجاحظ استعمل (المحدث) بهذا المعنى اي معنى الاخباري الذي يروي احاديث الناس ، ويجيد القاءها ، ويحسن التصرف في إيرادها ، ومن الغريب ان يعود اليوم هذا الاستعمال فيشيع على ألسنة الناس وقد سمعت فاضلاً بالأمس يقول ان جلالة الملك عبد العزيز بن سعود محدث عظيم ، والأمير شكيب ارسلان أيضاً محدث كبير ، ولا يريد الا أنهما حسنا الحديث ، غزيرا المادة في رواية الأخبار وسرد الوقائع بحيث يملكان على السامع نفسه واصغاءه .

وقوله (ص ١١١ سطر ٨) (راجع وكان بدر منه عن وهم وخطأ) صوابه راجع ما كان بدر منه الخ .

وقوله (ص ١١٤ سطر ٥) (وأوكدوا قولَ القائل) نبه بعضهم في عثرات الأقلام على أنه لا يستعمل فعل (وكَّد وأكَّد وأوكد) الا في الأيمان والعهود والمواثيق كما ورد في القرآن «فلا يقال أوْكد لك الخبر ولا أوْكد لك قولي» . لكن الجاحظ في عبارته المذكورة استعمل هذا الفعل مع القول فقال (وأوْكدوا قول القائل) اي ان حذاق الحساد في إسكاتهم صاحب الغيبة وعدم نهيهم له عنها انما كانوا مؤكدين ومثبتين قوله . فاستعمال الجاحظ هذا يصح ان يعتبر بمنزلة روايته له وان لم تذكره المعاجم .

وقوله ص١١٦ (حر"ان ليس على التراب براقد) صوابه (على الترات) جمع ترة وهي الثار

وقوله (ان المصيبات تنزع السجيات) السجية الطبيعة ويمكن ان نجد معنى لقوله ان المصائب اذا نزلت غيّرت الطبائع ، وبدلت الأخلاق ، غير ان السياق يدل على غير هذا المعنى : يدل على ان المصائب تسلّ الضغائن من الصدور . فالسّجيات اذن محرفة عن (السخيمات) جمع سخيمة وهي الضغينة وجمعها على (سخائم) اكثر وأشهر .

وقوله :

(اذا المرء ذو القربى وذوالجند أجحفت   به سنةٌ سلّت مصيبته جعدي)

وما قلناه آنفاً نقوله هنا من أن السياق يدل على ان صواب (ذو الجند) (ذو الحقد) وصواب (جعدي) (حقدي) اي اذانزلت مصيبة بقريبي الحاقد عليّ زال الحقد من صدري عليه .

وقوله ص ١١٧ :

(وان اكتسى ثوباً نسيساً لم أقل   يا ليت ان عليّ حسن ردائه)

صوابه (ثوباً قشيباً) .

وقوله بعده :

(واذا تخرق في غناه وفرته   واذا تصعلك كنتُ من قرنائه)

التخرق كناية عن الاسراف في الجود كأن الكف تنخرق فلم تعد تمسك مالا .

وقوله (وقرته) بالقاف لا معنى له يناسب هنا . وصوابه (وفرته) بالفاء اي اذا استغنى ابن عمي واسرف في الجود على الناس أتجنبه وأوفر عليه ماله فلا أسأله ولا ارزؤه وعلى عكس ذلك اذا افتقر فاني الزمه وأواسيه . وكان عبد الله بن مروان يقول ـ اذا سمع هذه الأبيات ـ هذا والله من شعر الأشراف .

و ص ١١٨ ذكر أبيات النابغة الجعدي التي أنشدها بين يدي النبي (ﷺ) ومنها في صفة خيلهم في الحرب :

(وليس بمعروفٍ لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكرا ان نعفّرا)

نعفر بالفاء من العفر وهو التراب اي لا نرد خيلنا صحيحة بل معفّرة وممرّغة في التراب . وهو حسن ولكن الأحسن منه والأصوب (ان نعقّرا) بالقاف اي لا نردها صحيحة الأعضاء بل نردها معقورة ـ من كثرة ما طُعنت بالرماح وضربت بالسيوف . و (العقر والتعقير) الجرح وأن تقطع قوائم الفرس بالسيف .

وقوله من أبيات الفند الزمّاني :

(فلما صرخ الشرّ وأمسى وهو غرثان)

صواب (صرخ) بالخاء المعجمة (صرّح) بالحاء المهملة اي ظهر وانكشف للعيان . و (غرثان) اي جوعان وهو خطأ صوابه وهو (عريان) بالعين المهملة وبالياء كناية عن ان الشر لا ستر عليه . وهو يؤيد رواية (صرح) كما ان رواية (صرح) تؤيده .

وقوله منها : (بضربٍ فيه توهينٌ وتضجيعٌ واذعان)

(وبعض الحلم عند الجهـــل للذلة إذعان)

(اذعان) الأولى صوابها (إرنان) وهو الصياح . و (ضجّع) في الامر اذا قصر فيه ولا يناسب هنا فصوابه (تفجيع) ويروى (تخضيع) .

وص ١١٩ قوله (بقافية تقرى العروق فتحسم) صوابه (تفرى) بالفاء اي تقطع .

و ص ١٢١ قوله (لنزع الروح بالكلاليب . أهون من بذل معروف بترهيب) هذه العبارة قالها احد العشرة الذين بنى الجاحظ (مقامته) على أقوالهم وقد ذكرناها

بنصها آنفاً وهي تصور لنا كيف كان سفهاء أدباء العصر العباسي يهددون نبلاء الكتاب بالحط من مؤلفاتهم وأشعارهم وآثارهم اذا هم لم يشركوهم في الجائزة والمعروف . وهذا التهديد يسمى في أدب الافرنج شانتاج chantage وقد مرت الاشارة اليه في الكلام على الرسالة الثالثة (في الجد والهزل) وقلنا ثمّ ان المرحوم الأب أنستاس وضع كلمة (تشنيح) وهو التشنيع نفسه غير ان الجاحظ في (مقامنه) هذه استعمل كلمة (ترهيب) فهي اذن أولى بالاستعمال وأجدر بان تحل محل كلمة (chantage) . بقي انه لا يقال في اللغة (رهّبه) وانما يقال (أرهبه) اذا خوفه و (ترهّبه) اذا هدده وتوعده . ومصدره الترهّب فما للجاحظ يقول (ترهيب) ؟ ولنا ان نقول ان ما قاله الجاحظ بمنزلة ما رواه وهو موثوق في اللغة مأمون على ألفاظها . أو يقال انه استعملها لضرورة سجعة (كلاليب) وقد نصوا على جوازه في الشعر فهل يجوز في السجع يا ترى ؟ وعلى هذا لا يجوز لنا استعمال مصدر (الترهيب) الا لضرورة او مزاوجة فيقال مثلاً (بالغ الأمير في ترغيب القوم وترهيبهم) ولا يصح ان يقال (بالغ في ترهيبهم) وحدها وانما يقال (بالغ في التوعد والترهّب) ويشهد لجواز استعمال الترهيب في مقام المزاوجة ما درج عليه السلف من تسمية كتبهم (بالترغيب والترهيب) فابن زنجويه (المتوفى سنة ٢٤٨ هـ) له كتاب بهذا الاسم ومثله ابو القاسم الاصبهاني (المتوفى سنة ٥٣٥ هـ) ومثلهما ابن عبد القوي (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) .

وفي ص ١٢٢ يخاطب الجاحظ الوزير بقوله (وليس العجب ان يكثر حسادي وانا أنعق بمحاسنك واهتف بشكرك) النعيق صياح الراعي بغنمه وصياح الغراب ولا يكاد يستعمل في غيرهما الا بقصد السخرية، نعم جاء في الأساس (نعق المؤذن . وسمعت نعقة المؤذن ونَعَقاته) فهو اذن استعمال سائغ . والأوقع في نفوسنا اليوم ان يقال : (وانا أُشيد بمحاسنك او أشدو بمحاسنك او أنوه بمحاسنك) .

انتهى ما اليه قصدت من الكلام على رسائل الجاحظ الأربع والبحث في بعض ماتدعو الحاجة اليه من مطالب اللغة والانشاء وصياغة الكلام ونسأله تعالى حسن الختام .

المغربي

(استدراك) قلنا آنفاً ان الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ ﻫ) قد يكون اول من ابتكر فن المقامات . وأذكر انني كنت منذ بضع عشرة سنة وأنا أطالع أمالي ابي علي القالي — رأيت في (أحاديث) يرويها صاحب الأمالي عن ابن دريد (المتوفى سنة ٣٢١ ﻫ) ما يشبه ان تكون (أي تلك الأحاديث) مرتجلة لا مسبوقة وموضوعها خيالي لا واقعي وان ابن دريد وضعها من عند نفسه ليكون لشُداة الأدب فيها متعة من لغةٍ أو خبر أو عظة أو فكاهة . خطر لي هذا ودونته في مفكرتي لأبني عليه مقالاً او محاضرة وبعد مدة من الزمن ذاكرت بذلك زميلي الأستاذ خليل بك مردم بك فاذا هو يقول : إن له بحثاً في ان البديع الهمذاني هل استقى طريقة مقاماته من أحاديث ابن دريد في الأمالي أو من غيره ؟ وان بحثه هذا نشره في مجلته (الثقافة) سنتها الأولى . فاغتبطت لهذا التوارد . ثم قرأت في مجلة (الرسالة) مناظرة طويلة الذيل بين الأستاذين : ذكي مبارك والسباعي بيومي حول موضوع أحاديث ابن دريد وهل كانت نواة لمقامات البديع أو لا ؟ وقد أثير غبار مثل هذه المناظرة في مجلة الأصداء الدمشقية بين الأستاذين جميل سلطان ومحمد خلف الله الأديب المصري وكان إذ ذاك نزيلاً في دمشق .

المغربي



نفائس المخطوطات العربية
في المشهد الرضوي المطهر
- ٢ -
(جـ) الفلسفة والكلام والمنطق

(١٨) اثبات واجب الوجود تعالى

لشمس الدين محمد بن احمد الخفري الشيعي (- ١٠١٥) وكان من كبار مؤلفي الشيعة في الفقه والحكمة والرياضيات . وقد اضطرب بروكلمان في كتابه GAL في اسمه ففي ٥٠٩/١ يسميه (الخضري) [بالخاء والضاد] ثم يسميه ٥١١/١ [الحفري بالحاء المهملة والفاء] حين يذكر شرحه على تجريد العقائد للنصير الطوسي . ثم يعود في الذيل ٩١٣/١ فيسميه باسمه الخضري (بالضاد) والصواب ما أثبتناه نسبة الى الخفر وهي بليدة معروفة في ايران اسمه (خپر) بالباء المثلثة وربما قالوا في تعريبها أيضاً (خبرى) كما يقولون (خفرى) .

ولا يذكر بروكلمان من كتب الخفري غير شرح التذكرة النصيرية ، ورسالة واجب الموجود ، وتعليقات على الشرح الجديد للنصير الطوسي ، مع ان صاحب روضات الجنات يذكر انه الف ثلاثة كتب في اثبات الواجب كبير ووسيط وصغير .

والنسخة الموجودة في ٢٤ ورقة ولعلها الكتاب الصغير ، واولها « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين و ... » وآخرها « تمت الرسالة المملوءة بالحقائق والدقائق لأستاذ المحققين والمدققين شمس الملة والدنيا والدين محمد الخفري غفر الله له في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة احدى وتسعين وتسعمائة » وهي مكتوبة بقلم نسخي وقفها نادر شاه سنة ١١٤٥ ورقمها (٧) كلام .

وفي الخزانة نسخة اخرى رقمها (٨) ويليها رسالة «حسرة الفضلاء في الرد على ابن كمونة واولها «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي محمد ...» وآخرها «... ولما كان مبحث العلم بحراً عميقاً لا ساحل له اقتصرنا على ما ذكرنا والحمد لله على أفضاله» وهي في ٥٣ ورقة .

(١٩) مصارع المصارع

لمحمد بن حسن نصير الدين ابي جعفر الطوسي المؤلف المشهور بالخواجه نصير وافضل العالم وصاحب المؤلفات الكثيرة (٣٨٥ — ٤٦٠ هـ)[1] .

وقد رد في كتابه هذا على كتاب «المصارع» او «المصارعات» لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني الذي انتقد فيه بعض أقوال ابن سينا وآرائه وأول النسخة : «الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ...» وهي مكتوبة بخط نسخي جيد في سنة ١٠٢١ نقلت عن نسخة قديمة مكتوبة في سنة ٧٠٧ . وقد وقفها الملك نادر شاه على خزانة الضريح الرضوي في سنة ١١٤٥ ورقمها ٢٦٧ كلام . والكتاب نفيس قيم جدير بالطبع .

(٢٠) كتاب اثولوجيا

لأرسطو الحكيم بتفسير فورفوريوس الصوري . وقد ترجمه الى العربية عبد المسيح بن عبد الله بن الناعمة الحمصي . ثم اصلح الترجمة بعده ابو يوسف يعقوب ابن اسحق الكندي للأمير احمد بن الخليفة المعتصم بالله العباسي .

والكتاب معروف باسم «الميامر او الياميز» ومعناها بالسريانية «المحاضرات» وهو مؤلف من مقدمة وعشرة ميامير وأوله «أما بعد اذ قد صح وبان ان النفس ليست بجرم وانها لا تموت ...» وآخرها «... لأنها قد لبست صوراً كثيرة فهي خفية تحتها لا ينالها شيء من الحواس» .

والكتاب في ٢٠٢ ورقة وقفه نادر شاه وهو مكتوب بقلم عادي في سنة ١٠٧٠

---

(١) بروكلمان الذيل ١/٢٨٩ رقم (m ٢٢) .

ورقه (١٤) كلام[1] . ومن الكتاب نسخة في خزانة المجلس النيابي في طهران رقمها ٤١٣٩
وفي خزانتنا نسخة جد نفيسة منه ربما اتينا على وصفها بتفصيل ان شاء الله .

(٢١) السماء والعالم

لأرسطو وقد ترجمه الى العربية مهران بن منصور المسيحي الذي كان حياً في سنة ٥٥٣ . والنسخة قيمة اولها « قال الحكيم اذ جعل المعرفة بالطبيعة .... » وآخرها « .. فقد لخصنا الآن الثقيل والخفيف والاغراض العارضة فيها وميزناهما وقلنا فيهما قولاً مستقصياً شافياً على هذا المذهب والحمد لله على ذلك كثير . تمت المقالة الرابعة من كتاب ارسطو في السماء والعالم وبتمامها تم الكتاب والحمد لله والمنة كما هو اهل » . وقد ذكر ارسطو في هذا الكتاب فلسفته في الأجسام البسيطة . وهي مكتوبة بقلم نستعليق حسن جداً وقد وقفها نادرشاه في سنة ١١٤٥ ورقمها (٤٩ :) حكمة . ومن الكتاب نسخة اخرى في مجموعة رقمها (٨٠) في خزانة المجلس النيابي في طهران .

(٢٢) كتاب « التلويحات » او « اللمحات »

للشهاب ابي الفتوح يحيى بن حبش بن اميرك السهروردي الصوفي المقتول بحلب وصاحب الشطحات والتأليفات ومن اشهرها « حكمة الاشراق » (— ٥٨٥[2]) والنسخة حسنة اولها « السبحات لجلالك اللهم يا قيوم افض علينا من عظائم بركاتك ويسر لنا العروج الى عروش قدسياتك ... وبعد فان هذه اللمحات في الحقائق على غاية الايجاز ولم اذكر فيها غير المهم من العلوم الثلاثة ... العلم الاول المنطق ... »
وآخره « ... لا تبذلن العلم واسراره الا لأهله واتق شر من احسنت اليه من اللئام فلقد اصابني منهم شدائد واذكرنا في صالح دعائك ووفقنا الله واياك ورحمنا وآوانا انه سيدنا ومولانا ولواهب العقل حمداً غير متناه » .

---

(١) بروكلمان ١/٤٠٢ و ٥٠٢ والذيل ١/٣٦٤ و ٣٧٢ .
(٢) انظر بروكلمان ١/٤٣٧ والذيل ١/٧٨٢ .

وللفيلسوف سعد بن منصور المشهور بابن كمونة اليهودي شرح على هذا الكتاب لم نعثر عليه . وعدد اوراق النسخة (٣٨) ورقمها (٥٣) .

وفي خزانة مكتبة المجلس النيابي بطهران نسخة مكتوبة سنة ٦٠٧ في ملاطية اي بعد نحو اثنتين وعشرين سنة من وفاة المؤلف ولكنها مخرومة الأول . ورقمها ٦٩٣٢

(٢٣) «منطق العين» او «حكمة العين في المنطق»

لنجم الدين علي بن عمر بن علي القزويني الكاتبي المشهور بدبيران تلميذ نصير الدين الطوسي ومؤلف رسالة «الشمسية» في المنطق وغيرها من الكتب القيمة (– $\frac{٦٧٥}{٦٩٣}$)[١]

وهي رسالة في المنطق على ترتيب رسالته المشهورة «الشمسية» مؤلفة من مقدمة وثلاث مقالات وخاتمة، ولكنها أوسع تفصيلاً اولها «قال مولانا افضل المتأخرين سلطان المحققين نجم الملة والدين ....» وهي مكتوبة بخط الشيخ ابي الغنائم الحسين بن احمد بن ابي الفضائل بن محمد سنة ثمان وثمانين وستمائة، اي في عصر المؤلف وهي جد قيمة لضبطها وتصحيحها على عدة نسخ قيمة وعدد أوراقها (٥٥) ورقمها (١٦٤) منطق .

وفي خزانة المجلس النيابي شرح على حكمة العين لشمس الدين محمد بن مبار كشاه البخاري رقمه ٦٩٣١، وحاشية او تعليقات عليها اسمها «كشف الغين عن شرح حكمة العين» لشمس الدين محمد بن مبار كشاه الفه قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي رقمها (١٣٩) .

(د) التصوف

(٢٤) «الشطحيات» او «منطق الأسرار ببيان الأنوار»

لصدر الدين ابي محمد روزبهان بن ابي النصر الفسوي الشيرازي البقلي الكازروني الصوفي المشهور بالشيخ الشطاح . وقد أقام مدة في الاسكندرية واهتم فيها بنشر التصوف والعرفان ثم رجع الى بلاده وأقام في شيراز يعظ الى ان هلك فيها (– ٦٠٦)[٢]

(١) بروكلمان ١/٤٦٦ والذيل ١/٨٤٥ (٢) بروكلمان ١/٤١٤ والذيل ١/٧٣٤

والنسخة جد قيمة ونادرة تعين على فهم كثير من أسرار الصوفية وحقائق مذهبهم اولها «الحمد لله الذي تقدس بسبحات جمال جبروته ....» وهي في ١٤٧ ورقة وقفها الملك نادر شاه سنة ١١٤٥ . ورقمها ١٥٦ تصوف وعرفان .

(٢٥) محاسن المجالس

لأبي العباس احمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الماري الأندلسي المشهور بابن عريف [1] . ولد في المرية سنة ٤٨١ ومات في مراكش سنة ٥٣٦ وكان من أكابر الصوفيـة الأندلسيين وحكمائهم وقد بقي من آثاره هذا الكتاب ويسمى أيضاً النفائس ومحاسن المجالس وشبكات الألباب ومطالعات الأحباب .

والنسخة جد نفيسة ترجع الى القرن الثامن أو السابع ذكر فيها طرفاً من أخبار الصوفية وآدابهم وتعاليمهم . وهي من أمهات كتبهم كتبت بخط نسخي حسن في ٤٣ ورقة وقفها امين خاتون ورقمها ١٠٩ أدبيات .

(هـ) اللغة وعلوم العربية

(٢٦) جواهر النحو

لأبي علي الحسن بن احمد (بن محمد) بن عبد الغفار الفارسي الفسوي (نسبة الى فسا وهي تعريب پسا) بليدة في (اقليم فارس) ، الامام النحوي الأشهر صاحب التآليف الكثيرة وأستاذ بعض كبار الرجال مثل ابي الفتح بن جني وعلي بن عيسى الشيرازي وعضد الدولة البويهي . ومن اشهر كتبه (الايضاح في النحو) و (المقصور والممدود) و (الحجة في علل القراءات) و (التكملة في النحو) ولد بفسا سنة ٢٨٨ واقام ببغداد وحلب عند سيف الدولة في سنة ٣٤١ وجرت بينه وبين المتنبي مجالس ومات ببغداد سنة ٣٧٧ ودفن بالشونيزي [2] .

والجواهر من كتب النحو النادرة بحث فيه عن الأسماء وتصريفها وعللها

---

(١) ابن خلكان رقم ٤٧ وبروكلمان ١/٤٣٤ والذيل ١/٧٧٦ .

(٢) بروكلمان ١/١١٣ والذيل ١/١٧٥ .

وأوله « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... » وآخره مخروم ينتهي عند أول باب العدد . وهو في ٣٠ اورقات وقفه الخواجه شير احمد ورقمه ١٩ صرف ونحو .

(٢٧) المقدمة الكافية في علم العربية

لأبي الحسن طاهر بن احمد بن ادريس المشهور بابن بابشاذ [١] النحوي الجوهري الديلمي الامام في العربية وعلومها . ومن آثاره المقدمة في النحو وشرحها ، وشرح جمل الزجاجي (— ٤٦٩) [٢] .

والمقدمة من أمهات كتب العربية التي تداولتها الناس شرحاً وتعليقاً كما ذكر بروكلمان وهي في عشرة أبواب .

والنسخة حسنة الخط مكتوبة بقلم نسخي جيد ترجع الى القرن السادس او السابع واولها « قال الشيخ العالم ابو الحسن طاهر بن احمد بن بابشاذ النحوي الجوهري الحمد لله رب العالمين .... » وعدد اوراقها (٢٩) ورقمها (١٤٣) صرف ونحو .

(٢٨) التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن

لعبد الواحد ابي المكارم كمال الدين بن عبد الكريم بن خلف الانصاري الزملكاني ابن خطيب زملكا قاضي صرخد (— ٦٥١) [٣] .

نسخة حسنة اولها « بسملة الحمد لله الذي اشرقت بسناء محامده في سماء المعاني من شموس البيان أنجم وبدور ... » وهي في ١٦٠ ورقة وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ ورقمها (٤) معاني وبيان . وفي الخزانة نسخة اخرى منها رقمها (٥) معاني وبيان .

(٢٩) الاعجاز في الاحاجي والألغاز

لأبي المعالي سعد بن علي بن القاسم الوراق الحظيري الشاعر المعروف بدلال الكتب (— ٥٦٨) [٤] صاحب (زينة الدهر) ذيل دمية القصر للباخرزي ، و(ملح الملح) .

(١) كلمة فارسية تعريبها (سرور الأب) .

(٢) انظر بروكلمان ١/٣٠١ والذيل ١/٥٢٩ .

(٣) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥/١٣٧ وبغية السيوطي ٣١٦ وشذرات الذهب ٥/٢٥٤ وبروكلمان ١/٤١٥ والذيل ١/٧٣٧ .

(٤) ارشاد ياقوت ٤/٣٢٣ وابن خلكان رقم ٤٤٥ وخزانة الأدب ٣/١١٨ وبروكلمان ١/٢٤٨ والذيل ١/٤٤١

والكتاب من أقدم كتب الأحاجي والألغاز في العربية اوله « بسملة الحمد لله الذي احتجب لافراط نوره ٠٠٠ » وقد عدد فيه طرفا من انواع البديع ، وسرد كثيراً من الألغاز قديمها وحديثها وهو في (٢٠٠) ورقة ورقمه (٢) ادبيات ٠

(٣٠) فتيا فقيه العرب ، ويسمى أيضاً ، كتاب المسائل

لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب القزويني الهمذاني اللغوي الأشهر وأستاذ البديع والصاحب بن عباد والخطيب التبريزي المتوفى في الري[1] (— $\frac{٣٩٥}{٣٩٠}$) ومن آثاره المهمة الباقية (مقاييس اللغة) ومنه عدة نسخ في خزائن ايران ، و (ذم الخطأ في الشعر) ٠ و (كتاب الثلاثة)[2] ٠

والكتاب يبحث في بعض المسائل اللغوية المشكلة ونسخته حسنة الخط وعدد أوراقها (١٥) ورقمها (٨٤) أدبيات ٠

(٣١) آفة أصحاب الحديث

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي المشهور بابن الجوزي الامام الأشهر صاحب التآليف الجمة القيمة (— ٥٩٧) ٠

وهو كتاب ذكر فيه طرفاً من أغلاط المحدثين اللغوية وتحريفاتهم ، وله من هذا القبيل كتاب « مختصر تقويم اللسان » ومنه نسخة في خزانة مسجد سپهسالار بطهران ٠

ورسالة « آفة اصحاب الحديث » من الرسائل الممتعة في بابها اولها « الحمد لله الذي فاوت بين الأفهام والعقول ورزقنا بفضله فهم المنقول والمعقول ٠٠٠ » وآخره « ٠٠٠ ولولا ما قصدته من امانة الحق للمبتدئين لكان الاضراب عن اجابة الجهال أولى » والنسخة مكتوبة بقلم نسخي حسن في (١٩) ورقة وقفها الملا علي گل منشي الاستراباذي ورقمها (٣٤) أخبار ٠

---

(١) فتشت كثيراً — أثناء اقامتي في طهران — بين القبور المعروفة (في الري) فلم اعثر على قبره ٠

(٢) انظر بروكلمان ١/ ١٣٠ والذيل ١/ ١٩٨ والكنى والألقاب ٢/ ٢٦٠

(و) الأدب والشعر

(٣٢) سلوان المالك في تدبير الممالك

للشهاب احمد بن محمد بن ابي الربيع الأديب العالم ، وكان من رجال الخليفة المعتصم بالله العباسي وله آثار (٢١٨ — ٢٧٢)[١] .

وهو كتاب لطيف ألفه على طريقة التشجير على نمط تقويم الأبدان ، وتقويم البلدان وأوله «الحمد لله الذي خلق الانسان في احسن تقويم وعدله ...» وهو في ثلاثة فصول جمع فيه ضروب الأخلاق والسياسات الخاصة والعامة وقدمه للخليفة المعتصم وآخر النسخة مخروم وهي في (٤٣) ورقة مكتوبة بقلم نسخي وقفها ابن خاتون ورقمها (١) اخلاق . وفي مكتبتي نسخة جد نفيسة من هذا الكتاب حسنة التذهيب والخط .

(٣٣) فحول الشعراء

لأبي تمام الطائي حبيب بن اوس الشاعر الأشهر (١٩٠/٢٣٢ هـ) من المعروف ان لأبي تمام : الحماسة المشهورة ، ومختار اشعار القبائل ، وفحولة الشعراء او فحولهم . وقد ذكر هذا الآمدي في الموازنة بين الطائيين .

وفحول الشعراء هذا ديوان في (١٩٣) ورقة سلك فيه مسلك الحماسة فرتبه على الأبواب التالية : باب الاضياف فباب السخاء فباب الأدب فباب المراثي فباب النسيب ثم باب الهجاء .

والنسخة جد نفيسة خطها قديم يرجع الى القرن الخامس . وهذه النسخة هي الفريدة من نوعها فيما يذكر بروكلمان[٢] . ولم ار نسخة غيرها فيما اعرف من دور الكتب . ورقمها (٨٣) أدبيات .

(٣٤) الكفاية في علم الكتابة

لعل المؤلف هو كاتب النسخة علي بن عمر بن علي (؟)

---

(١) انظر بروكلمان ١/٢٠٩ والذيل ١/٣٧٢ (٢) انظر بروكلمان

وهي رسالة في آداب الكتابة ومعرفة كيفية كتابة الشروط والسجلات والوثائق والعقود وما اليها . ولم يذكرها صاحب كشف الظنون ولا بروكلمان .
وأولها «الحمد لله الذي قدر المقادير على ما يشاء ....» وهي في (١٠٢) ورقة وقفها الخواجه شير احمد ورقمها (١٠١) أدبيات .

(٣٥) نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
جمع الشريف السيد الرضي (٣٥٩ — ٤٠٦)

الكتاب معروف ومشهور ولكن النسخة نفيسة في خطها وتذهيبها وضبطها وتجليدها . فقد كتبتها يدا قبلة الخطاطين والكتاب ابي الدر ياقوت المستعصمي في سنة ٧٠١ هـ . على ان اهلوارد المستشرق الألماني مؤلف فهرست كتب خزانة برلين يذكر ان في تلك الخزانة نسخة من «مختار جامع الأصول في أحاديث الرسول» كتبها سنة ٦٩٢ . وان ياقوتا مات في سنة ٦٩٨ هـ و ١٢٩٨ م . وفي خزانة المجلس النيابي نسخة من الكافية النحوية لابن الحاجب بقلم ياقوت كتبها سنة ٦٩٠ . وفي خزانة المشهد الرضوي أيضاً مصحف شريف كتبه ياقوت نفسه في سنة ٧٠٤ .

والنسخة مكتوبة بالقلم النسخي البديع ، وعناوين الخطب والرسائل والمواعظ مكتوبة بالقلم الجلي . والأوراق كلها مجدولة بالذهب واللازورد . وفي صدر النسخة لوحتان مذهبتان حسنتا التذهيب وعدد اوراقها (٢٣٩) ورقمها (٢٩١) أخبار .
وفي خزانتنا ثلاث نسخ من النهج احداها قديمة العهد ترجع الى القرن السادس .

(٣٦) تحقيق البيان

للحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الاصفهاني ، صاحب المفردات في غريب القرآن ، والمحاضرات ، والذريعة الى مكارم الشريعة وغيرها من الكتب القيمة (— ٤٥٢)[1] . ولم أر من أشار الى هذا الكتاب فيمن ترجمه .

(١) البيهقي في تاريخ حكماء الاسلام طبعة كردعلي ص ١١٢ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى ١٨٣/١ والسيوطي في البغية ٢٩٦ وروضات الجنات ٢٩٤ . وبروكلمان الذيل ٥٠٦/١ .

والكتاب فريد وجد نفيس في موضوعه فيه أمور في اللغة والعربية والأخلاق والحكمة ولكن أوله مخروم . يبدأ هكذا « في صوره المختلفة وذلك ظاهر من خبر جبرائيل واتيانه النبي صلى الله عليه وسلم تارة .... » وآخره « ذكر الطريق المتوصل بها الى المعارف . المعارف ضربان ... » .

والنسخة مكتوبة بقلم نسخي في سنة ٦٧٩ هـ وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ عدد أوراقها (١٦٩) ورقمها (٥٦) أدبيات .

(٣٧) الحجة في سرقات ابن حجة

لشمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي القاهري الشافعي مؤلف حلبة الكميت والطراز الموشى وغيرهما من الكتب الأدبية (٧٨٥ — ٨٥٩) [١] وكان شاعراً أديباً كثير التأليف .

والكتاب رد فيه على سرقات ابن حجة تقي الدين ابي بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأديب الشاعر صاحب ثمرات الاوراق وغيرها (٧٧٦ — ٨٣٧) . وقد نظم بديعية مدح بها الرسول المصطفى وشرحها في كتاب سماه خزانة الادب ذكر فيه أشياء كثيرة . والنواجي ينتقد في حجته هذه كتاب الخزانة ويبين ما فيه من عوار وسرقات .

والنسخة جد نفيسة بخط المؤلف أولها « الحمد لله الذي امرنا ان نؤدي الأمانات الى أهلها .... » وقد أتم تأليف هذا الكتاب سنة ٨٣٠ في دمياط كما يظهر من آخر النسخة . وهي في (١٣٦) ورقة . وقفتها السيدة تاج ماه بيكم في سنة ١٢٦٢ ورقمها (٢٠) أدبيات .

(٣٨) ربيع الأبرار فيما يسر الخواطر والأفكار

للامام جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٤٦٧ — ٥٣٨) المدفون بجرجانية خوارزم .

(١) انظر حسن المحاضرة ٣٣/١ والخطط الجديدة ١٣/١٧ والضوء اللامع للسخاوي ٢٢١/٧ وشذرات الذهب ٢٩٥/٧ والبدر الطالع للشوكاني ١٥٦/٢ وبروكلمان ٥٦/٢ والذيل ٥٦/٢

والنسخة قيمة قديمة الخط في مجلد واحد اولها «الحمد لله الذي استحمد الى عباده ....» وآخره «... فلا يتبقى عقرب حتى تبعته والله سبحانه اعلم .

وقد وقف النسخة الحاج ميرزا موسى خان سنة ١٢٦١ وعدد أوراقها (٤٧٠) ورقمها (٥٣) أدبيات .

(ز) كتب الطب

(٣٩) تقويم الأبدان في تدبير الانسان

لأبي الحسن علي بن يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي المشهور (— ٤٩٣)

الكتاب من أشهر كتب الطب وربما سمي منهاج الدكان في تدبير الأبدان أيضاً . والنسخة نفيسة جداً كتبت في سنة ٧٣١ واولها «الحمد لله الذي خلق فسوى ....» وهي على شكل جداول في (١٠٠) ورقة وقفها الملك نادرشاه افشار ورقمها (٢٥) طب .

وفي خزانتي نسخة قيمة قديمة من هذا الكتاب .

(٤٠) التعاليم في الطب

لحمد بن علي بن عبد الله بن احمد المصري المشهور بزين العرب المتطبب — (؟)

والكتاب مؤلف من اربعة تعاليم (١) في كليات الطب الجزئية العملية والعلمية وهو مقالتان (٢) في الأغذية والأشربة والأدوية المفردة والمركبة (٣) في الأمراض المنخفضة من الرأس الى القدم مع ذكر الأسباب والعلامات والمعالجات (٤) في الأمراض العامة وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها .

وقد تم تأليف الكتاب في مدرسة الأمير شيخو بالقاهرة في احدى وستين وسبعمائة . والنسخة منقولة عن نسخة المؤلف المكتوبة في تلك المدرسة في سنة احدى وسبعين وسبعمائة واولها «الحمد لله القادر المصحح الحكيم ....» وهي في ٢٥٣ ورقة مكتوبة بقلم نسخي عادي ورقمها (٢٦) طب .

(١) انظر بروكلمان ١/١٩٢ والذيل ١/١٢ .

(٤١) شرح الكناش في الطب الذي ألفه جورجيس بن بختيشوع الطبيب الجنديسابوري طبيب ابي جعفر المنصور •

لأبي يزيد صهاربخت احد تلاميذ المؤلف •

والنسخة حسنة قديمة الخط ترجع الى القرن الخامس او السادس • واولها (الحمد لله الذي لم يزل أبدياً بغير بدء •••) وهي في ٩٤ ورقة ورقمها (٧٩) طب •

(ح) الموسيقى

(٤٢) الرسالة الفتحية في الموسيقى

لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي

رسالة لطيفة ألفها للسلطان بايزيد بن محمد خان العثماني • وهي مؤلفة من مقدمة وطرفين وأولها « الحمد لله الذي أذاقنا حلاوة الحان عنادل ورد جماله •••• » وآخرها « ••• وان كان بالعكس يسمى قبل • تمت الرسالة الفتحية وهي مكتوبة بقلم مصطفى المكي في سنة ٩٥٧ ولعلها مكتوبة في عصر المؤلف عدد أوراقها ١٣٧ ورقمها (١٤٢) رياضي •

اسعد طلس



مجموع خطي

دخل هذا المجموع في خزانتنا سنة ١٩٣٩ • وقد اقتنيناه في بغداد من بعض باعة الكتب • وهو صغير الحجم ، يبلغ طوله ١٥٫٥ سنتمتراً بعرض ٩ سنتمترات ويتألف من ٨٨ ورقة ، وتختلف أسطر صحائفه بين ١٢ و ١٧ سطراً • وخطه مختلف ، فيه النسخي وفيه التعليق • وهذا وصف الرسائل التي يضمها بين دفتيه :

١ — رسالة في النقود والموازين والمكاييل

(الورقة ١ — ٣٠) • لا نعلم مؤلفها • فإن أولها مخروم ، ربما سقط منه ورقتان أو ثلاث • وتتألف الرسالة من اثني عشر باباً ، وثلاثين فصلاً ، وخاتمة • وهذه عناوين الموجود منها :

الباب الثاني : في بيان صاع النبي (ﷺ) •

〃 الثالث : في الصاع المشهور •

〃 الرابع : في بيان المُدّ •

〃 الخامس : في بيان الرطل العراقي •

〃 السادس : في بيان الرطل المدني •

〃 السابع : في بيان الوَسْق •

〃 الثامن : في بيان أول نصاب الغلات •

〃 التاسع : في بيان نصاب الذهب وما يجب فيه •

〃 العاشر : في بيان نصاب الفضة وما يجب فيها •

〃 الحادي عشر : في بيان الدرهم الشرعي •

〃 الثاني عشر : في بيان الدرهم البغلي والطبري والمثقال الشرعي •

وهنا يتحوّل من «الأبواب» الى «الفصول»، وهذا بيانها :

الفصل الأول : في قدر الطسوج .

〃 الثاني : في قدر الحبة .

〃 الثالث : في قدر القيراط .

〃 الرابع : في قدر الحمصة .

〃 الخامس : في قدر الدانق .

〃 السادس : في قدر الدرهم الطبري .

〃 السابع : في قدر الدرهم الشرعي .

〃 الثامن : في قدر الدرهم البغلي .

〃 التاسع : في قدر المثقال الشرعي .

〃 العاشر : في قدر المثقال الصيرفي المشهور بين عامة الناس .

〃 الحادي عشر : في قدر الرطل العراقي المستعمل عند الفقهاء .

〃 الثاني عشر : في قدر الرطل الطبي .

〃 الثالث عشر : في قدر الرطل المدني .

〃 الرابع عشر : في قدر المنّ الذي قد يستعمله الأطباء .

〃 الخامس عشر : في قدر الأوقية عند أهل الشرع .

〃 السادس عشر : في قدر الأوقية عند الأطباء .

〃 السابع عشر : في قدر المُدّ .

〃 الثامن عشر : في قدر المُدّ على ما وقع في صاع النبي (ﷺ) .

〃 التاسع عشر : في قدر الصاع المشهور .

〃 العشرون : في قدر صاع النبي (ﷺ) .

〃 الحادي والعشرون : في قدر الكُرّ .

〃 الثاني والعشرون : في قدر الوسق .

الفصل الثالث والعشرون : في قدر أول نصاب الغلات .

〃 الرابع والعشرون : في قدر أول نصاب الذهب .

هنا نقص يبدأ بأواخر الفصل الرابع والعشرين ، وينتهي بأواخر الفصل الثامن والعشرين فيكون الساقط من المخطوط زهاء أربعة فصول .

الفصل التاسع والعشرون : في قدر الدينار الذي يستعمله في بلدة اصفهان أهل الحرفة .

〃 الثلاثون : في تحويل الدراهم والمثاقيل بعضها الى بعض .

الخاتمة ، يليها خمسة جداول تتضمن خلاصة ما سلف من الكتاب .

وهذه الرسالة مكتوبة بخط نسخي على ورق هش ضارب الى الصفرة . وهي غير مؤرخة ، بيد ان حالها تنبئ بكونها مكتوبة في المائة الثانية عشرة للهجرة .

٢ — نسيم السَحَر

(الورقة ٣١ — ٣٦) . وهو مختصر في فقه اللغة ، كُتب تحت عنوانه انه لأبي منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) . ولم يرد ذكر هذا الكتاب في كشف الظنون للحاج خليفة ، ولا في الذيل عليه لاسماعيل باشا البغدادي . كما أننا لم نجد بين مَن ترجم للثعالبي ، من قدماء ومحدثين ، مَن ذكر هذا الكتاب بين مؤلفاته [1] .

وفي خزانة برلين نسخة من هذا الكتاب [2] ، ولكنها منسوبة فيه الى « ابي منصور النعالي » . ولا نعلم من أمر هذا « النعالي » شيئاً . وكأنه تصحيف « الثعالبي » .

---

(١) أنظر مثلاً : وفيات الأعيان لابن خلكان ، ونزهة الألباء للأنباري ، ودائرة المعارف الإسلامية (مادة الثعالبي) ، وبروكلمان في تاريخ آداب اللغة العربية .

(٢) Ahlwardt , Verseichniss der Arabischen Handschriften zu Berlin . (Bd . 6 , p . 283; N° 7034) .

ومن هذا الكتاب نسخة أخرى في خزانة الفاتيكان [١] ، وهي منسوبة أيضاً الى أبي منصور النعاني •

وأشار الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، في مقال له بعنوان « من نفائس الخزانة التيمورية » [٢] ، الى وجود نسخةٍ من هذا الكتاب في تلك الخزانة ، لم يُعيِّن فيها اسم مؤلفها •

أوله : « أما بعد حمد الله الذي هو أول القرآن وآخر دعوة أهل الجنان ••• »

وهذه محتوياته :

في التنزيل والتمثيل عن ثقات الأئمة • في أشياء تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها • في تقسيم الجودة • في تقسيم الطول • في تقسيم اللين • الشدّة [٣] • الكثرة • القلّة • السعة • الطراوة • القِدَم • خيار الأشياء • الخلوص • ما لا خير فيه من الأشياء الرديئة والفضالات والأثفال • الملاء • الخلاء • البياض على ما يوصف به • السواد . السواد والبياض • في تقسيم الأشياء على اليد • الأنوف • الشفاه • العَضّ • الصدر • الثدي • الأظفار • الذكور • النكاح • الأنائة • ما يخرج من الحيوان • الجلود • البَيض • الروائح الكريهة • التغيّر والفساد • القتل • حركات الانسان من غير تحريكه • ما تُحرّك به الأشياء • الاشارات • المشي على ضروب الحيوان • الوثب • عدْو الفرس • سير الإبل • الضرب بأشياء مختلفة • الرمي بأشياء مختلفة • الأصوات • الأصوات ما سوى الحيوان • القَطْع في أشياء مختلفة • القِطَع وتفصيلها • الشَقّ • التشقيق • الخُرب • الكسر • النسج • الخياطة • الخيوط • فيما يشدّ به أشياء مختلفة • في السرير إذا كان للملك • في الخيْل • في تفصيل جماعات شتى • في ترتيب

(١) Della Vida , Elenco dei Manoscritti Arabi Islamici della Biblioteca Vaticana . (p. 179 ; N° II 77).

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي (٣ [١٩٢٣] ص ٣٤٠) .

(٣) اقتصرنا على لفظة « الشدة » . وهي في المخطوط « في تقسيم الشدة » . وعملنا مثل هذا في سائر التقاسيم .

المطر • في خروج الماء من أماكنه وسيلانه • في ضروب الأمكنة • في تقسيم الحُمرة والشقرة • في ترتيب الأنهار • في تقسيم بيوت العرب وتفصيلها •

٣ — رسالة صغيرة في المثلثات اللغوية :

(الورقة ٣٦ ب — ٣٧ أ) • قال واضعها بعد البسملة : « الأَل والأُل والإِل • فأما الأول بالفتح فالبريق ... » •

٤ — مثلثات قُطرُب :

(الورقة ٣٧ — ٤١ أ) • وقطرب هو محمد بن المستنير النحوي اللغوي البصري ، المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) • وأمرها مشهور بين الأدباء ، وقد طُبعت غير مرة •

٥ — ما تلحن فيه العوام :

(الورقة ٤١ — ٤٦ أ) • لعلي بن حمزة الكسائي النحوي اللغوي المتوفى سنة ١٨٩ هـ (٨٠٤ م) • وقد وضعه لهرون الرشيد • وهذه الرسالة طبعها بروكلمن في برسلو سنة ١٨٩٨ •

كُتبت هذه النسخة في سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) ، وخطها يشبه خط الرسائل الثلاث التي تقدمتها •

٦ — أسامي الكتب الطبية مع مصنفيها وأسامي شرّاح القانون :

(الورقة ٤٦ ب — ٤٧ أ) • لا نعلم مَن جمعها • ونظراً الى ما في إيراد أسماء هذه الكتب من فائدة ، فاننا ننقلها هاهنا كما وردت في الرسالة ، مع حذف بعض النعوت التي نُعت بها المؤلفون • وأغلب الكتب المذكورة فيها لم يُطبع ، وفيها جملة لا نعلم من أمرها شيئاً •

كامل الصناعة الطبية : لعلي بن العباس المجوسي الفارسي ، تلميذ أبي ماهر موسى بن سيار •

المختار في الطب : لابن هبل ، تلميذ ابي البركات البغدادي .

ما لا يسع الطبيب جهله : ليوسف بن اسمعيل بن الياس الجوبني [١] المعروف بابن الكتبي [٢] الشافعي .

شرح الكليات المسمى بالتحفة السعدية : لقطب الحق والدين محمود بن ضياء الدين مسعود بن المصلح الشيرازي المعروف بالقطب الشيرازي وهو كازروني الأصل .

نفائس الفنون : لمحمد بن محمود الأعلمي، شارح الكليات .

الحاوي الصغير : لنجم الدين محمود بن صائن الدين السعيد الشهيد الياس الشيرازي . وله رسالة وجيزة فارسية جيدة جداً في الطب ، وكذا رسالة غريبة [٣] في تشريح الأعضاء المفردة والمركبة .

أقرابادين القلانسي : لمحمد بن بهرام القلانسي .

الغنى والمنى : لأبي منصور الحسن بن نوح القمري .

العمدة : للمسيحي بن القف .

كتاب المائة : لأبي سهل يحيى بن عيسى المسيحي . وكذلك : خلق الانسان .

فردوس الحكمة : لعلي بن ربن الطبري .

بستان الأطباء : لابن مطران .

دعوة الأطباء : لأبي الحسن بن بطلان .

لقط المنافع : لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .

ترويح الأرواح، والتلويح : لفخر الدين الخجندي .

شرح فصول ابقراط : لعبد الرحمن بن علي بن أبي صادق، مصنف كتاب نخبة العلاج .

(١) كذا ما في المخطوط . والذي في كشف الظنون « الخوبّي » وهو الوجه .

(٢) في كشف الظنون : ابن الكبير . والوجه ما في أعلاه .

(٣) لعلها : عربية .

زاد المسافر : لأحمد بن ابراهيم بن خالد .

الكفاية المنصورية : لمنصور بن محمد بن احمد بن يوسف بن الياس .

الموجز : لأبي الحسن علاء الدين علي بن ابي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس الملقب بجالينوس الثاني . وله كتاب مبسوط في فنون الطب كلها سماه بالشامل .

الجامع المالقي : لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن احمد المالقي العشّاب المعروف بابن البيطار المغربي .

شرح الموجز : لجمال الدين محمد المشهور بأقسرائي .

منهاج الأدوية [1] : ليحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي .

المعالجات البقراطية : لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري .

كتاب الخمسة : لنجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي .

شرح الموجز : وكذا شرح كتاب الأسباب والعلامات ، وكأنه ليس منها . من الكتب الخمسة النجيبية السمرقندية : لنفيس بن عوض الطبيب الكرماني أخي مولانا ظافر وتلميذه . وكان ملازماً ليعقوب خان والي تبريز من قِبَل شاهرخ . وجعل شرحه للموجز باسم شاهرخ . ومولانا ظافر لفرط ورعه واحتياطه مع انه كان أعلم من أخيه لم يباشر الأمر العلاج .

شرح الموجز المسمى بكتاب المغني في شرح الموجز : لسديد الملة والدين الكازروني .

الحاوي الكبير ، والمنصوري ، والمرشد ، وتقاسيم العلل ، والتجارب ، وكتاب مَن لا يحضره الطبيب ، وكتاب الأغذية والأدوية الموجودة في كل مكان ، ورسالة الأبدان ، وفي القولنج ، وفي الباه ، وفي الفصد : لمحمد بن زكريا الرازي .

شرح مباحث تشريح الأعضاء المفردة والمركبة من كتاب القانون : لمحمود ابن مسعود بن محمود الملقب بعماد الدين الشيرازي وهو من أولاد حارث بن كلدة طبيب النبي (ﷺ) فيما يؤثر .

---

(١) هو « منهاج البيان فيما يستعمله الانسان » لابن جزلة . وهو غير مطبوع . ومنه نسخ شتى في كثير من خزائن الكتب .

رسالة في الفصد : لأمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد بن ابراهيم المعروف بابن التلميذ .

إيضاح محجة العلاج : لطاهر بن ابراهيم بن محمد بن طاهر السجزي .

طب المساكين : لأحمد بن ابراهيم .

تقويم الأبدان : لصاحب كتاب منهاج البيان (١) .

حدود الأمراض : جمع أبي المجد الطبيب .

يلي ذلك : أسامي شرّاح القانون ، وهم :

الامام فخر الدين الرازي . عز الدين الرازي . قطب الدين المصري . أفضل الدين محمد الخونجي . رفيع الدين عبد العزيز بن عبد [... ؟] . نجم الدين أحمد بن أبي بكر بن محمد النخجواني . القرشي صاحب الموجز المعروف بابن النفيس يعقوب بن اسحق [... ؟] الطبيب بمصر . يعقوب بن اسحق الطبيب المسيحي المعروف بابن القف . هبة الله بن جميع اليهودي المصري . قطب الدين الشيرازي . الآملي . الحكيم عماد الدين محمود الشيرازي . حكيم علي الجيلاني . سديد الدين الكازروني .

٧ — رسالة في علم الحساب :

(الورقة ٤٧ ب — ٧٤) . بالفارسية . وفي آخرها مقالة في علم المساحة .

٨ — جواهر نامه :

(الورقة ٧٤ ب — ٨٢ أ) . وهو رسالة بالفارسية في علم الجواهر والأحجار ، ولا نعلم مؤلفها .

أولها بعد البسملة : « الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ... » . وهي في اثني عشر باباً ، تناول المؤلف فيها الكلام على : الماس ، الياقوت ،

(١) مرّ انه ابن جزلة الطبيب البغدادي .

اللعل (البلخش) ، الزمرد ، اللؤلؤ ، الفيروز ، الباذزهر ، العنبر ، الأشهب ، اللازورد ، المرجان ، العقيق ، اليشب .

والرسائل ذات الأرقام ٦ و ٧ و ٨ في هذا المجموع ، تشبه في خطها خط الرسائل ٢ و ٣ و ٤ و ٥ . بل كأنها مكتوبة بيد واحدة وفي تاريخ واحد . وقد ذكرنا ان الرسالة الخامسة من هذا المجموع ، وهي «ما تلحن فيه العامة» للكسائي ، مكتوبة في سنة ١٠٥٩ هـ . فتكون هذه الرسائل الأخرى المماثلة لها قد كُتبت في نحو ذلك التاريخ .



٩ — تعليقات شتى :

(الورقة ٨٢ ب — ٨٨) . وهي بخطوط مختلفة . فيها أقوال في التصوف والآداب والحكم ومقتبسات من كتاب الكافي ، ومن كتاب الأصول لمحمد بن محمد بن الحسن الطوسي .

* * *

فهذا المجموع ، على صغر حجمه ، جمع بين دفتيه مواضيع شتى متباينة : في النقود والموازين والمكاييل ، واللغة والأدب ، والطب ، والحساب والمساحة ، والجواهر والأحجار ، وغير ذلك .

وفي وجه الورقة ٤٧ ، تملك لأحدهم هذا نصه : «تملك هذا الكتاب ، يوسف بن الحاج يوسف الأُزري ، سنة ١٢٠٧» (١٧٩٢ م) . وبيت الأزري من الأسر البغدادية الشهيرة في يومنا هذا .

(بغداد)

كوركيس عواد

التعريف والنقد

خزائن الكتب القديمة في العراق

تأليف الأستاذ كوركيس عواد

كتاب يقع في ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير · طبعته مطبعة المعارف بيغداد · ثمنه خمس مئة فلس · وهو يبحث عن هذه الخزائن « منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة » يقول المؤلف : « وخزائن الكتب القديمة في العراق ، بعضها يرقى الى أزمنة ما قبل الميلاد ، وبعضها يعود الى الفترة التي امتدت بين الميلاد وظهور الاسلام · وبعضها – وهو الأوفر — نشأ في العصور الاسلامية · وأقول بتعبير أدل : نشأ في العصر العباسي وفي ما بعده » ·

« وتلك الخزائن ، كان بعضها في القصور الملوكية ، او المعابد القديمة ، او الديارات والكنائس ، او الجوامع والمساجد ، او المدارس والربط ، او البيوت الخاصة · ومن ثمة يمكننا تقسيمها اجمالاً الى نوعين :

الخزائن العامة ··· والخزائن الخاصة ··· »

ويعرّف المؤلف هذين النوعين · ثم يعقد فصلاً عنوانه « الوراقة والوراقون » وما يتعلق بذلك من النسخ ومن النساخين ومن اشتهر منهم بحسن الخط ، وسرعة الكتابة ، وكثرة النسخ · قال : ونشأ بين النساخ جماعة « فاقوا أقرانهم بتجويد الخط وتحسينه ، والبلوغ به الى أعلى مراتب الاتقان ··· هؤلاء هم « الخطاطون » الذين كان يغالي الناس في احراز ما تسطره أناملهم من بدائع الخط ··· »

وتكلم المؤلف عن أدوات الكتابة ، وتجليد الكتب ، وما بلغه من اتقان ، وبيع الكتب وشرائها ، ووقف الكتب وما يعرض لها من حرق او احراق ،

وغرق او اغراق ، ومن دفن وغسل حتى « ينحل حبرها وتطمس كتابتهـا وتشوش معالمها » .

كتب المؤلف كتابه هذا بعبارة فصيحة صحيحة وبإحاطة جامعة وافية . وبدأ بحثه في خزائن كتب العراق قبل الميلاد ، فقال : « وخزائن الكتب العراقية ... وكانت حينذاك مجموعات من المدونات الرسمية ، والنصوص الدينية ، والقطع الأدبية والتاريخية ، وما يتعلق بالحياة اليومية من بيع وشراء وما الى ذلك . كانت هذه المدونات تجمع في مواضع معلومة من المعابد والقصور الملوكية وبعض دور الخاصة . ويطلق عليها « دور السجلات » او « بيت الرُقم » . وكان أمر الثقافة عند البابليين منوطاً بالكهنة ، الذين يستمدون علمهم من « نَبُو » مبتدع الكتابة والرسائل وصنوف أبواب المعرفة ، ... ويشير الى ألواح يرجع تاريخهـا الى ٢٧٠٠ — ٢١٠٠ قبل الميلاد . وينتهي بخزانة ابن الثروة المتوفى سنة ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م » .

وفي هذا الكتاب من النكت الأدبية والفوائد العلمية الشيء الكثير . من ذلك ماذكره عن أثر المرأة في العمل العلمي : له وعليه . فقد ذكر في حديثه عن خزانة المدرسة البشيرية ببغداد ، ان هذه المدرسة « أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم أم ولده ابي ناصر ... وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة ، على قاعدة المدرسة المستنصرية ، ووقفت عليها وقوفاً كثيرة قبل فراغها ... وكان مما وقفته صاحبة هذه المدرسة ، خزانة كتب يرجع اليها طلاب العلم ... »

وأن المدرسة الزاهدية أسستها الأميرة زاهدة العباسية ... وجعلت فيها خزانة كتب .

ومما يتصل بذلك : أن من الخلفاء من بنى الرباطات ووقف دور الكتب باسم زوجته . وأن من النساء من خدمن في دار العلم منهن : الجارية توفيق السوداء كانت تخرج الكتب الى النساخ .

والى جانب هذه الأعمال العلمية القيمة التي قامت بها المرأة ، ذكر الأستاذ

المؤلف حادثة الخليل بن احمد يوم «اشترى جارية نفيسة ، فغارت ابنة عمه وقالت : والله لأغيظنّه ! وإن غظته في المال لايبالي ولكني أراه مكباً ليله ونهاره على هذا الكتاب ، والله لأفجعنّه به . فأحرقته » .

ومثل ذلك ما نقله المؤلف في « الملاحظات والاستدراكات » من أن الأمير ابن فاتك كان : « محبّاً لتحصيل العلوم ، وكانت له خزائن كتب . فكان في أكثر أوقاته ، اذا نزل من الركوب لا يفارقها ، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ... وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة . فلما توفي ... نهضت هي وجوار معها الى خزائن كتبه : وفي قلبها من الكتب ، وانه كان يشتغل بها عنها فجعلت تندبه ... وترمي الكتب في بركة ماء ... » (١)

وبعد ، فانا نشكر الأستاذ عواد ما عاناه من جهد في اخراج هذا الكتاب القيم .

عارف النكدي

المآصر في بلاد الروم والاسلام

للأستاذ ميخائيل عواد

كتاب من القطع الكبير يقع في تسعين صفحة . طبعته مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٨ طبعاً حسناً . وثمنه مئتا فلس .

والكتاب « دراسات في التاريخ الاقتصادي للدول الاسلامية » قدمه المؤلف الى قرائه بقوله : « كنا نشرنا فصول هذا الكتاب في ستة أجزاء من المقتطف ،

(١) يحضرني في هذه المناسبة ما يشبه هذا ، وان كان الخطب فيه أيسر – لأننا في عهد الطباعة ، ولأن الأمر وقف عند النكتة ولم يتجاوزها الى التحريق أو التغريق أو التغسيل – ذلك انا كنا نحضر دروساً ومذاكرات في الشريعة والقانون كان يلقيها سليم باز – صاحب المؤلفات الشرعية والقانونية المشهورة – ويذاكر بها في بيته . وكان ليلة من الليالي مريضاً ، فدعانا الى غرفته الخاصة ، وبدأ حديثه عن قانون حكام الصلح ، وكان قد صدر حديثاً ، فاذا بزوجته ، تدخل مسرعة وتتناول مجموعة من كتبه تضعها على الفراش ، وتلتفت الينا فتقول : أتظنون اني متزوجة رجلاً ? لا ! انى متزوجة هذه الكتب .

ظهرت في سنة ١٩٤٤ و سنة ١٩٤٥ . ثم عدنا الى هذه الفصول بعد نشرها، بالزيادة والتهذيب فقام من ذلك هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقراء .

يتناول هذا البحث أموراً خطيرة الشأن في التاريخ الاسلامي : فهو يبحث في تاريخ الموانئ الاسلامية في الشرق الأدنى، وشمالي افريقية .

وتتجلى فيه صفحة مجيدة من تاريخ الأسطول الاسلامي .

ويعطف على أبحاث تمت بصلة وثيقة الى الضرائب والعشور في العصور الاسلامية .

ثم ان هذا الكتاب ، الى ذلك كله ، بحث في الحروب الصليبية ، وفي الفتوحات الاسلامية .

لقد استندنا في كتابة هذا الموضوع الى اوثق المصادر وأصدقها فلم نورد قولاً ما لم ندعمه بسند تاريخي » .

واذا كان الأستاذ عواد قد أحسن في جمع كتاب « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » وتهذيبه فهو قد أحسن أيضاً في وضع هذا الكتاب « المآصر » وترتيبه . فجاء دراسةً اقتصاديةً تاريخية ممتعة أتمت نقصاً كان في دور الكتب العربية ما كان ينبغي ان يكون . عرف المؤلف « المأصر » لغةً بانه : « الحبس » . « عقد الشيء » « حبسه بقهره » . وانه اصطلاحاً « محبس السفينة » و « مركز الضرائب » وأشار الى ما نبه اليه الحريري من قولهم : « المأصِر بفتح الصاد والصواب كسرها ، لأن معناه : الموضع الحابس للمار عليه ، العاطف للمجتاز به . . . . » ثم تناوله من وجهة تاريخية : من ذكره من المؤرخين والجغرافيين ، وأول من استعمله منهم ، ومواضع استعماله . ثم أشار اليه من وجهة أدبية ، وما جاء من ذكره في الشعر . ثم من الوجهة الادارية والسياسية .

وينطوي هذا الكتاب على فوائد أدبية ، ونوادر تاريخية ، فيها كثير من العبرة والعظة لمن يتعظ أو يعتبر .

جاء في الصفحة الـ ١٦ : « جلس العبادي بجامع السلطان ، وحضر السلطان

عنده . فوعظه وذكر ما يجري على المسلمين من الظلم ثم قال : يا سلطان ! أنت تهب في ليلةٍ لمطرب مثل هذا المأخوذ من الناس — يريد المكوس في الأسواق — فاجعلني ذلك المطرب ، واجعل ذلك شكراً لما أنعم الله عليك . فأشار بيده قد فعلت » . قلنا : حبذا لو كان في هذه الأمة اليوم من يقول لصاحب السلطان وهو يبذر الأموال بالملايين ، نعم بالملايين ! على الحفلات الساخرة ، والاستقبالات الهازلة ، اجعل هذا الوطن ذلك الزائر السخيف ، وانفق بعض ما تنفقه عليه في سبيل الاصلاح والاعمار ...

ومن ذلك : ما روي في غير موضع من هذا الكتاب من ان الملك العادل ، بلغه وهو ببرج الصفر ، ان الفرنج ملكوا (برج السلسلة) بمصر . فتأوه لذلك تأوهاً شديداً ، ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وبلادها ومرض من ساعته مرض الموت » . قرأت هذا ، والتفت الى صديق كان الى جانبي فقلت له : هذه فلسطين تذهب من يد العرب والمسلمين وذهابها أشد خطراً عليها من (برج السلسلة) . وليس في رجال العرب المسؤولين من يدق بيده على صدره ويموت من ألمه ؟ .... فابتسم الي ابتسامة المتوجع وقال : لقد ماتوا ... والانسان لا يموت مرتين ...

جمع هذا الكتاب بين العبارة الفصيحة والأسلوب البليغ . واستعمل مؤلفه فيه الألفاظ التي كانت يستعملها العرب أنفسهم . استعمل أكثر ما استعمل (بحر الشام) لما أصبح يطلق عليه بعد الترك (البحر الأبيض المتوسط) أو (بحر الروم) واستعمل (العشّار) (والمكّاس) لصاحبي العشر والمكس ؛ الى غير ذلك من الألفاظ التي يجب ان تبعث في عصرنا هذا . ومن حسنات الكتاب انه ذكر السنة الميلادية الى جانب السنة الهجرية .

غير انه صرف (ياقوت) فقال : (ان ياقوتاً) . واستعمل (الذعار) لأهل الفساد بالذال المعجمة ، ولعل الصواب بالدال المهملة . وقال في بعض القرى

أو المدن الصغيرة (بُليد) ولعل استعمال (البليدة) كما استعملها أحياناً أدق وأفصح . وأسقط الهمزة من (ابن) في أول السطر ، وهو مخالف لما عليه المدققون أمثاله .

هذا ، وجزى الله الأستاذ عن أمته ولغته خير الجزاء .

ع . ن

أقسام ضائعة من كتاب
تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء
جمعها الأستاذ ميخائيل عواد

كتاب من القطع الكبير . في مئة صفحة . ثمنه مئتا فلس . طبعته مطبعة المعارف ببغداد فأجادت طبعه . الف هذا الكتاب هلال الصابئ ، وجمع هذه الأقسام الضائعة الأستاذ ميخائيل عواد ، وعلق عليها حواشي دقيقة قيمة . وقدم لها بمقدمة رائعة ترجم فيها المؤلف ترجمة وافية : ذكر مولده ووفاته ونسبه ومؤلفاته وما يتصل به . وعناية الأستاذ عواد من تدقيق وتمحيص ، ظاهرة في كل صفحة من صفحات الكتاب ، مما يشكره عليه كل عربي محب للغته غيور عليها ، وعلى نشر كنوزها العلمية الدفينة .

وقد بدت لنا ونحن نطالع هذا الكتاب أشياء أحببنا ان نلفت اليها نظر الأستاذ . من ذلك البيتان اللذان رواهما لأبي الفرج الاصفهاني . وأولها :

ابعين مفتقر اليــك رأيتني   بعد الغفل (كذا) فرميت بي من حالق

ولم نستبن لهذه «الغفل» معنى في هذا الموضع ، ولا هي مما يستقيم معها وزن البيت[1] . وفي الصفحة الـ ٤٦ : « فقال لي متبادراً على نفسه .. » ولعلها « متنادراً » .

---

(١) كان الشيخ ابراهيم اليازجي أشار الى هذين البيتين في شرح ديوان المتنبي وقال : انهما في جملة ما ينسب اليه ، وروى البيت الأول :

أبعين مفتقر اليك نظرتني   فأهنتني وقذفتني من حالق

وعلق على ذلك بقوله : « ولعل الرواية الصحيحة مفتقر اليه بضمير الغائب ، اي بعين رجل مفتقر اليه والهاء نائب مفتقر »

ونرى أن المعنى صحيح وواحد في اللفظين « اليه واليك » .

وفي الصفحة الـ ٤٧ : « فاستسرف ذلك فعله استسرافاً بلغه » وهي جملة قلقة لا يستقيم معناها الا بحذف « ذلك » فيقال : « فاستسرف ذلك استسرافاً بلغه » أو بحذف « فعله » فيقال : « فاستسرف ذلك استسرافاً بلغه» أو بان يكون « فعله » مما أخطأ به الناسخ وصوابها « منه » فيكون الأصل : « فاستسرف ذلك منه ٠٠ »

وفي الصفحة الـ ٤٨

رأيت في الوجه طاقة بقيت سوداء عيني تحب رؤيتهـا
فقلت للبيض إذ تروعهـا بالله الا (ما) رحمت غربتها

و « ما » هنا زائدة زيادة اخلت بوزن العجز في البيت الثاني والصواب :

« بالله الأ رحمت غربتها »

وفي الصفحة الـ ٥٤

وليست باولى بدعة لك في الندى لهـا موقف الحمد ينشر

وعجز البيت غير مستقيم وزنه ٠ ولعل الأصل

لها موقف في الحمد والحمد ينشر

على ضعف في المعنى ٠٠٠

وفي الصفحة الـ ٦٤ :

فلو ان عيني راهنت بدموعها عيناك بالسقيا لغزت بخصلها

والصواب (لفزت) وهو غلط مطبعي ظاهر

وفي بعض الصفحات ابيات نابية جداً كان أجمل لو أنها حذفت

والى جانب الاعجاب بادب المؤلف ، وبفضل الجامع ؛ يأسف المطالع انه لا يجد في سيرة هؤلاء الوزراء عملاً اصلاحياً ، ولا عمرانياً ، ولا حرصاً على مصلحة عامة او ما يتصل بها ؛ وانما هم جماعة همهم الأكل والشرب ، ونهب الأموال ، كأكثر وزراء العرب في هذا اليوم حذوك النعل بالنعل ٠ وهبوط العرب ، وضياع ملكهم كان نتيجة محتمة لهاتيك السياسة ٠ واذا كان العقل كما يقول العرب : معرفة ما يكون بما قد كان ، فسيكون غد العرب شراً من يومهم ، ومن يعش يره ٠

ع ٠ ك

معنى النكبة

للأستاذ قسطنطين زربق

كتيب من القطع الصغير ، يقع في تسعين صفحة . طبعته (دار العلم للملايين) في مطبعة الكشاف ببيروت . ثمنه ليرة سورية لبنانية . لقد وفق الأستاذ زربق في كتابه هذا كل التوفيق ، من اسمه الى آخر كلة فيه . سمى كتابه (معنى النكبة) فدل بهذه التسمية (النكبة) يطلقها غير مقيدة ، على انها النكبة العظمى التي ليس بعدها نكبة . وهل بعد نكبة فلسطين من نكبة على العرب . وهي المقدمة التي سيكون من نتائجها على العرب — اذا ظلوا آلةً بيد ملوكهم وأمرائهم ورؤسائهم — ان يسلبوا ديارهم وأوطانهم ، وكل ما يملكون من كرائم في هذه الحياة .

من عادتي ان انقل من كل كتاب انقده جزءاً منه ، اعرضه مثالاً للكتاب . واعترف اني في (معنى النكبة) لم أدرِ ما أختار ، فموضوعاته كالحلقة المفرغة ، متصلة متماسكة ، لا ينفصل بعضها عن بعض ، ولا يغني جزء منها عن جزء .

فعلى كل عربي ، ان يتدارس هذا الكتاب اذا اراد ان يعرف حاضره وما يخبئه له مستقبله ، وان يعمل بما فيه اذا أراد الحياة الكريمة له ولوطنه .

واني لأشكر للأستاذ زربق فضله في اخراج هذا الكتاب الذي أوحاه اليه فكر نيّر ، وقلب معمور بالايمان .

ع . ن



محاضرات نقابة المحامين في حلب

في السنة القضائية (١٩٤٧ الى ١٩٤٨)

وهي المجموعة الثالثة التي تصدرها نقابة المحامين بحلب . صفحاتها قرابة ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير . وتشمل ثماني محاضرات : قواعد الاثبات العامة

للأستاذ مظلوم — والاثبات بالرسائل والأوراق غير الموقعة والسند المؤيد والأوراق الخفية للأستاذ زمريا — وانكار التوقيع والادعاء بالتزوير للأستاذ الشعباني — والاثبات في المواد التجارية للأستاذ جبارة — والشهادة للأستاذ الزين — وسر المهنة في الشهادة للأستاذ الترمانيني — والاستجواب وطلب الاسناد للاستاذ عبد الله — وتنازع القوانين في الزمان للأستاذ اسيون ٠

وهذه الموضوعات كلها قيمة تشتد الحاجة الى تفهمها ومدارستها ٠ وقد كتبت بلغة صحيحة سائغة ٠

وصُدِّرت هذه المجموعة ، بالمذكرة الايضاحية لقانون البينات ، وهي مذكرة موفقة أسلوباً و موضوعاً ، نظَّمها الأستاذ الكوراني الامين العام لوزارة العدلية ٠ وقد أشار الأستاذ في بعض المواطن الى ما يتصل بالشريعة الاسلامية من هذا القانون ، تلطيفاً له في النفوس ، وتقريباً بينه وبين عرفنا الشرعي وتقاليدنا الموروثة ٠ وحبذا لو انه أشار الى هذه الصلة حيث تكون ٠ مثلاً اليمين التي دعوها (المتممة) ، وتحليف المدعي اليمين هما مما أجازه الشرع ونص عليه كثير من الفقهاء ، فالاشارة اليه والى أمثاله فيه تنويه بالشريعة السمحة الغراء ، وتمتين للصلة بينها وبين هذا القانون ٠

ويجيء بعد هذه المذكرة ، (قانون البينات) وهو قانون صالح مفيد ، والعمل به موافق لمقتضيات الزمان وحاجاته ٠ وان كان هذا القانون لم يخلُ من نواقص يمكن ان تتدارك مع الزمن ٠

ونستعير هنا بعض ما جاء في المذكرة الايضاحية لبيان بعض مزايا هذا القانون الذي لا نرى بدأً من الكلام فيه ، بعد ان ضمته هذه المجموعة ٠

أولاً : — الثقة بالقاضي

ثانياً : — الحؤول دون المطل والتسويف في فصل الخصومات ٠

ثالثاً : — الأخذ بما تعارف عليه الناس في حياتهم وتعاملوا به

قلنا : بقي أن يثق القضاة هم أنفسهم بأنفسهم فعلاً ، وان يطبقوا هذا القانون تطبيقاً يحول دون المطل والتسويف ، ويكفل للناس حقوقهم بما تعارفوا عليه . وان يسموا عن أن يتأثروا بمداخلة مهما كان مصدرها . فالقوانين — على ما قلنا غير مرة — جوفاء لا قيمة لها الا على قدر ما للعاملين بها من قيمة .

وهذا القانون بادية عليه العناية بحوكه وصياغته ، على ما فيه من مآخذ وهفوات كان يمكن ان لا تكون . فالأمم حريصة على أن تكون لغة قوانينها ناصعة جامعة مانعة ، وقد كنا كذلك في أمسنا ، فعسى ان نعود الى ما كنا عليه ، في غدنا .

ولا نرى بداً من شكر الأمين العام والأساتذة المحاضرين على هذه المجموعة القيمة التي نرجو ان يكون لهم مثلها في كل عام .

ع . ن

الاجتهاد في الشريعة الاسلامية

اطروحة وضعها باللغة الافرنسية الأستاذ محمد معروف الدواليبي العليم في الحقوق ، والمجاز بالحقوق الرومانية من جامعة باريز . وحامل شهادة مدرسة العلوم الاسلامية بحلب . تقع الرسالة في مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير .

قدم لهذه الأطروحة الأستاذ (لويس ماسينيون) بمقدمة جاء فيها ما معناه : « .... وأراد المؤلف ان ينقض الرأي الشائع في الغرب من ان الشريعة الاسلامية لا تتسع طبيعتها لمطالب العصر الحاضر . لذلك بدأ بالمصدر الرابع من مصادر الشريعة ، وهو الاجتهاد ، العلم الذي تقوم عليه الشريعة أو أصول الفقه » .

ويثني الأستاذ ماسينيون على نشاط الأستاذ المؤلف واخلاصه للموضوع الذي يدافع عنه، والروح الاجتهادية التي كان يستمد منها رجال الشريعة المسلمون» .

يمهد المؤلف لأطروحته بتوطئة يبين فيها : كيف اختار موضوعه — ومعنى الاجتهاد الذي يرمي اليه في بحثه . ويتناول في جملة ما يتناوله من الأبحاث : روح الاسلام — الاجتهاد في العصر الأول (عصر الصحابة) ثم في العصر الثاني

(وهو عصر أئمة الاسلام اي المجتهدين) وما كانت عليه بلاد العرب يوم ظهور الاسلام . وما كان يتنازعها من عقائد . ويستشهد بكلمة قالها (مونته Montet) وهي (كان العرب يوم جاء محمد في حالة من الانحطاط الديني والأخلاقي تتطلب مصلحاً كبيراً) .

ويشرح المؤلف معنى الاسلام ، واهدافه ، وعلاقة الانسان بخالقه ، وعلاقة الانسان بأخيه الانسان ؛ وما يتفرع عن ذلك من الحقوق الخاصة ، والحقوق العامة التي جاء بها الاسلام وأمر بها نبيه وأقرتها صحابته . من : استثمار الخراج ، والحجر الصحي ، واقامة رباطات على الطرقات العامة ، وفرض ضرائب تنفق على المحاويج والعبيد ، واقرار المساواة والعدالة ، وعقد المعاهدات . وخص فصلاً بالقرآن : تعريفه ، وموضوعه ، واسلوبه . ثم تكلم عن السنة ، والاجماع ، والاجتهاد وعليه مدار البحث .

كل ذلك مكتوب بلغة افرنسية صحيحة واضحة . وقد استعمل عنواناً لكتابه « الحقوق الاسلامية » بدلاً من « الشريعة الاسلامية » وهو ماخفي علينا السبب فيه .

ع . ن



المدخل الى الحقوق الرومانية

للدكتور الدواليبي أيضاً

وهي محاضرات القاها المؤلف في كلية الحقوق بالجامعة السورية (تعرّف الحقوق الرومانية أولاً ، وتشير الى سمو الشرائع الشرقية القديمة ثانياً ، وخاصة منها ما كان في سوريا ومصر . ثم تناقش بصورة علمية آراء القائلين بتأثير الحقوق الرومانية في الحقوق الاسلامية) وجاء بحجج دامغة تؤيد ما ذهب اليه .

فنشكر للمؤلف الفاضل جهوده الموفقة وأبحاثه العلمية الناضجة . أكثر الله من أمثاله العالمين العاملين .

ع . ن



رحلتا مراكشيين عظيمين الى اسبانيا

(**الرحلة الأولى**) عنوانها (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) تأليف محمد بن عبد الوهاب الغسّاني وزير مولاي اسماعيل ملك مراكش وسفيره الى كارلص الثاني ملك اسبانيا (١١٠٢ هـ ١٩٦٠ م) طبعت في مدينة العرائش بالمغرب سنة ١٩٤٠ م .

(**الرحلة الثانية**) عنوانها (نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد) تأليف احمد بن المهدي الغزّال كاتب أسرار مولاي محمد بن عبد الله ملك مراكش وسفيره الى كارلص الثالث ملك اسبانيا (سنة ١١٧٩ هـ ١٧٥٦ م) وقد طبعت بالعرائش أيضاً سنة ١٩٤١ م .

فالرحلة الثانية وقعت بعد الأولى بنحو ٧٧ سنة والغرض من كلتيهما واحد وهو فكاك الأسرى المراكشيين الموجودين في اسبانيا ويضاف الى ذلك تحسين علائق الجوار بين المملكتين واطلاع كل منهما على ما عند الأخرى مما يهمها أمره . ولم تخلُ الرحلتان ولا سيما الثانية من غرض علمي شريف : وهو جلب ما في مكاتب اسبانيا ومكتبة الاسكوريال خاصة من الكتب الدينية الاسلامية التي يهم المسلمين أمرها ويخشى عليها الضياع أو البلى من تقادم الزمن .

والرحلتان او الكتابان مما أصدرته مؤسسة الجنرال فرانكو (ديكتاتور اسبانيا في عهدنا هذا) فان حكومته أخذت تتأسى ببقية الدول الاستعمارية في بث الدعايات واصدار النشريات باللغتين الاسبانية والعربية وارسالها الى الشرق العربي . ومن ذلك بعث المخطوطات العربية من مراقدها في اسبانيا والمغرب وطبعها في مدينة تطوان وترجمتها الى الاسبانية يساعدها على هذا العمل الرفيع الشأن أديب لبناني فاضل هو (الفريد البستاني) استاذ الآداب العربية في مدرسة تطوان . والرحلتان المذكورتان من جملة منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو بعناية الأستاذ الفريد المذكور .

ورحلة (الوزير الغساني) لا أثر فيها للكلفة لا من حيث الطبع والتنسيق ولا من حيث الأناقة والتعليق بخلاف الثانية رحلة (الكاتب الغزّال) فان تكلف

العناية بها بلغت حدها الأقصى ولا سيما ما تخللها من التزاويق والصور والرسوم التاريخية : الأندلسية القديمة والاسبانية الحديثة · ولعل السبب في ذلك ان ناشر الكتابين لم يكن راضياً أو لم يكن على وفاق في المنزع مع الوزير الغساني · فان هذا الوزير تعرض في رحلته الى مسائل تتعلق بالطقوس المسيحية واوسعها تعليلاً وتحليلاً لا يتفق مع الواقع في رأي الناشر : مثل حالة الرهبان والرواهب في الأديار وسرد الأسباب التي تحملهم على الترهب : من ذلك أن أحد عظماء الاسبانيول خاف على فتاته الحسناء من الوسط الاجتماعي فأدخلها الدير ريثما يخطبها خاطب فتنجو بعفتها وكرامة أبيها · وكذلك تعرض الوزير للتقاليد الكنسية والتراتيب البابوية لامزاً غامزاً ووصف المستشفيات من حيث علاقتها بالرهبان وتوسع في تاريخ فتح العرب لاسبانيا وفي تاريخها السياسي وتعاقب أسرها المالكة ووصف حركة البيع والشراء في الأسواق وأصناف البضائع وما يجلب اليها من القرى وتعرض للبريد وناقله وسماه الرقّاص وقال إن الرقاقيص يأتون بالرسائل والبراوات وقد أراد بالبراوات البراآت وهي الرسائل في غالب الظن وذكر الكاسيطة (اي الغزيتة يعني الجريدة) التي تطبع يومئذ في مدريد قال (يجمعون الأخبار ويفرغون عليها قالباً للكتابة فيطبع عليها آلاف من القراطيس ويبيعونها) · وتعرض لذكر الارث وكيف يتوارث أشراف الاسبان في أموالهم وألقابهم · وبالجملة فان (الوزير الغساني) في رحلته كان يصف البلاد من نواحيها التاريخية والسياسية والادارية لأن هموم نفسه في وزارته كذلك أما الكاتب الغزال فقد وصف بلاد اسبانيا من ناحية جمالها العمراني ومن حيث براعة أهلها في زراعتها وصناعتها وأبنيتها وتنظيم هيأة الاجتماع البادي حسنه في منازهها وحفلاتها ومجتمع عائلاتها · وصف لنا كل ذلك وصفاً شعرياً وأحياناً يلقي عليه من بيانه روعة خيالية محببة الى النفس بحيث يجعل المرء يحكم بأن اسبانيا كانت بحق سيدة اوروبا مدنيةً وحضارة ورقياً اجتماعياً لذاك العهد وهو القرن السابع عشر · ولكن ما الذي أزعجها عن تلك المنصّة التي تبوأتهـا ؟

يجيب الوزير الأول (مؤلف الرحلة الأولى) على هذا بأن اسبانيا بعد ان استولت على كنوز امريكا التي اكتشفها أحد أبنائها أخذت تنفقها في سبيل البذخ والترف والشهوات (اي كما فعل العرب بعد فتوحاتهم) وبذلك فسحوا المجال للافرنسيين فكانوا أنشط أمم اوروبا في التجارة وإعداد وسائلها وفتح أسواقها في الشرق والغرب . وهذا ما قدمهم وأخر غيرهم . والأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

أشرنا آنفاً الى نتف من مضامين رحلة (الوزير الغساني) ونظلم (الكاتب الغزال) ان لم نشر الى شيء من مضامين رحلته هو أيضاً . فان فيها من الفائدة والامتاع وحسن الايراد ما لم يوجد في رحلة زميله .

يظهر أن الآداب الاجتماعية والأخلاق الشعبية العامة في عهد رحلة (الغزال) اي منذ (١٧٠) سنة كانت لدى الاسبانيين أرقى أو مثل ما عند أرقى أمم أوروبا في ذلك العهد ومثلما هي اليوم في اسبانيا مع فرقٍ طفيف قد لا يجوز لمثلي تحديده ما دمت لم أشهد الحالتين ولم أختبر الحضارتين ولم أزر البلدين فأنا اذن أنقل للقراء نتفاً مما ذكره الغزال في رحلته ولهم بعد ذلك حكمهم :

كل شيء رآه (الغزال) في اسبانيا كان حسناً جميلاً باعثاً على ثنائه واعجابه سوى ما استنكره من بشاعة حفلات صراع الثيران وأمرها مشهور . ووخامة مدينة (طريفة) من عمالة قادس (فان بها من الهواء الفاسد والعياذ بالله والوخم ما اشتكى بسببه الكثير من رجال البعثة المراكشية ساعة حلوها) وهناك شيء على حسنه في نظر الناس قبيح في نظر (الغزال) وهو تبرج النساء ، وتباهي الرجال بجمال بناتهم وزوجاتهم والحديث عنهن : الى حد كان يوقع الشيخ في الارتباك أحياناً اذ هو موضوع لم يعتد إبداء الرأي فيه ولا الجولان حواليه . بل يعتده خروجاً عن الأدب وقوانين الحشمة ، وقد كرر الغزال في رحلته القول في النساء وولوعهن بالموسيقى والرقص والتردد الى المنازه العامة وان النساء كن يتسابقن الى الحفلات لأجل رؤية (الغزّال) ورفاقه والجلوس اليهم بما فيه ازعاج لهم . واستعاذة بالله منهن .

ولكن القوم كانوا حريصين على أن تعرف نساؤهم أحوال الأمم ولا سيما جيرانهم ·
فما قال (فما شعرنا الآ والنسوة يتزاحمن على المحل الذي نحن فيه ، الكل يطلب رؤيتنا
الى أن تفاقم الأمر للحاج فيما بينهن فطلبنا ان نعود للدار وتعللتُ بعلة النوم) ·

ووصفه للصور والتماثيل المبثوثة في جنبات البلاد دل على ان للقوم عناية فائقة وبراعة تامة في فن التصوير : من ذلك تمثال الشاب الجميل وشبابته في فمه وأصابعه على ثقوبها وكلباه أحدهما باسط ذراعه على ركبته اليمنى والآخر على اليسرى ولسانهما وذنبهما يتحركان (ولم نشعر بأن الشاب والكلاب تصاوير من غير روح الا بعد حين) ·

ووصف براعة القوم في فن المعمار وصفاً دقيقاً · وكان نزولهم في مدريد في دار الملك فرأوا فيها قبة بلورية غاية في جمال الصنعة وبجانبها قبة أفخم منها وأعظم وبعد أن أسهب في نعتها قال ولما سألنا عن الغرض منها اذا هي المسماة عندهم (الكميدية) وان الملك يؤمها بأهله للفرجة · وكان يعجب من صناعتهم كيف يلصقون الذهب على الرخام والجبس وأراد ان يعرف منهم سر هذه الصنعة قال : (فأوهمتهم بجمجمة) أني أعرف ذلك فاعتذروا بأن ملكهم لم يأذن لهم بكشف السر · فقال ولكن نحن معشر المسلمين لا يمنعنا سلطاننا من نشر الحكمة وتعليمها الناس · ثم ذكر لهم طريقة من طرق الطلي بالذهب · فنزعوا الشماربر (أي القبعات) عن رؤوسهم وطأطأوها اعترافاً بفضل المسلمين ·

ووصف كنيسة الاسكوريال والابداع في بنائها ولفت نظره دقة التحام الحجارة واتصال بعضها ببعض من دون ان يكون بينها طين أو جبس (مونة) وهكذا (عمل الجبّاص والنجار والرخّام المشتمل على التشجير والتسطير والتزليج والتوريق والتمويه) ومثل ذلك اتقانهم فن الزراعة وانشاء الحدائق واستكثارهم من الأشجار غير المثمرة في المتنزهات · وانه رأى ضرباً من النبات يقوم غراسه كالجدران يتخللها ممرات حتى اذا دخلها المرء رأى نفسه متورطاً فيها لا يمكنه الخروج منها الا بصعوبة أو بواسطة البستاني · أقول وقد رأينا مثل ذلك في القاهرة في (الحديقة الأندلسية) ولعل هذا من ذاك ·

ووصف غير ذلك من مظاهر الحضارة كمامل الورق والخزف والقيشاني والفناجل (الفناجين) والزجاج ويتخذون من الطين أشجار الورد والياسمين بأزهارها الملونة .

ووصف جسراً (كوبري) على النهر الكبير متحركاً . وقنوات ماء بشكل قناطر متراكبة ووصف جنينة الطيور و (الكوميديا) والبنت الصغيرة التي مثلت الكوميدية بمفردها عن ظهر قلبها في شكل الإلقاء التمثيلي وهي قصة كالعنتربة (قصة عنتر) عندنا (معشر المراكشيين) .

قال والطاغية نفسه (ملك اسبانيا) هو الذي أوصى عماله ان يطلعونا على الكبير والصغير من أحوال بلاده حتى انه أمر باقامة ميدان لرمي المدافع واصابة الأهداف وقام بذلك أمامنا أبناء الأعيان والأشراف . وبهذه المناسبة جرى حديث بين الغزّال المراكشي ووزير اسباني كان يرافقه لم نستملحه قط : ذلك ان الغزّال حط من قدر المدافع وقذائفها والرمي بها . قال : وان ذلك كله انما هو أثر من آثار الجبن والاعتصام في المعاقل والحصون أما المراكشيون فلا يستعملون المدافع ولا يلجؤون الى الحصون وانما حربهم الصدام في الميدان . والضرب بالسيف والسنان .

ومن الغريب ان ينخدع الغزال بموافقة الوزير الاسباني له على ما قال . نقول هذا اليوم أي بعد نحو ٢٠٠ سنة ونحن معشر العرب أشد ما نكون حاجة الى ان يكون في بلادنا معامل للمدافع والقنابل نستعين بها على مدافعة العدو عن فلسطين العربية :

(لقد شرب الأوائل كأس خمر غدت منه الأواخر في خمار)

وزار الغزّال مدرسة بحرية يتعلم فيها الصبيان فن سلك البحار والتدرب على أعمال الملاحة فسرّه ما رأى منهم وطلب من ادارة المدرسة السماح لهم بعطلة ثلاثة أيام ذكرى لزيارته . ففرح التلاميذ وعطعطوا وجعلوا يصيحون بالاسبانية (ڤيڤا راي مروك ، ڤيڤا) أي ليعش ملك مراكش (ڤيڤا الباشادور ، ڤيڤا) ليعش السفير يعنون الغزّال وهو (الباشادور) وبالافرنسية (امباسادور) .

وبعد هذه الحفلات والمهرجانات اخذ الغزال في تدارك ما جاء لاجله وهو فكاك الأسرى وكانوا من بلاد مختلفة : منهم مراكشيون يمكنه انقاذهم ومنهم جزائريون ونحوهم لا يمكنه ان يصنع لهم شيئاً ، ومنهم المسلمون الأندلسيون الذين أوطنوا

اسبانيا . فلما رأوا السفير الغزال جعلوا يبكون ويكبرون الله للدلالة على تمسكهم باسلاميتهم . فرثى لهم وأوصاهم بالثبات والتمسك بدينهم. واعتذر بانه عاجز عن افتكاك غير المراكشيين الا اذا كانوا شيوخاً هرمين او من رجال الدين . وهناك أسرى مرضى أو مسلولون . فوعدهم بانه سيجتهد في اقناع الطبيب بلزوم تسريحهم الى بلادهم شفقةً وانسانية . ثم لزم الغزال المنزل الذي هو فيه وتظاهر بالمرض ودعا اليه الطبيب الاسباني الموكول اليه أمر الأُسرى . وما زال يُقبل به ويدبر حتى أقنعه بلزوم تسريح المرضى . وهكذا نجح في انقاذ هؤلاء التعساء . ومن لطيف ماحكاه ان فتاة مسلمة جزائرية صغيرة أرادها سيدها على النصرانية ليتزوجها وهي تأبى عليه وكانت تصرخ وتقول (لا أريد إلا دين حبيبي محمد) وقد تعب السفير الغزال في اقناع القوم بأخذ فدية عنها وتسريحها الى أهلها .

وبعد انجاز أمر الأسرى فرغ الى المخطوطات العربية الاسلامية والتقاطها من هنا وهناك فجمع منها ماتيسر له جمعه .

ثم ودع الطاغية (أي الملك) وداعاً جميلاً وأصحبه الملك بسفير من رجاله ليزور مراكش ويقابل سلطانها . فلما دخلاها قابلهم الجماهير وطوائف العساكر والقبائل باطلاق المدافع والمكاحل وألعاب الفروسية حتى حجب دخان البارود ونقع حوافر الخيل عين الشمس . وكانت تقام لهم المآدب فكان الطعام فيها كثيراً يفضل عن الحاجة . قال السفير المراكشي ذلك مباهياً به ولا سيما مذ رأى السفير الاسباني يدوِّن ما كان يراه في دفتر مذكراته . ومما افتخر به أيضاً ان الملك امر ان ينقل ثَقَل السفير وأمتعته على نفقته الملوكية ومن دون ان يدفع السفير درهماً واحداً ! ! ومشى الثلاثمائة الأُسرى في الموكب وعلى رؤوسهم الكتب والمخطوطات التي جاؤوا بها من مكاتب الأندلس وحولهم النوبة والنساء بالزغاريت والرجال بالبكاء والدعاء لملك مراكش (محمد بن عبد الله) ثم قابل الملك سفير اسبانيا مقابلة حسنة . وجاء في أطواء كلام الملك ـ بمناسبة ما للسفير من حاجات أثناء اقامته في مراكش ـ قوله كل ما يحتاج اليه السفير (نقضوه له) . وصوابه نقضيه . وغلطة الملك ملكة الأغلاط .

وبمناسبة اللغة وأغلاطها نقول انه جاء في كتاب رحلة الشيخ الغزال الفاظ كان يحسن إطالة البحث حولها : منها ما هو أعجمي عرّبه المغاربة . ومنها عربي ولدوه وليس من العربية الفصحى في شيء . ولكن الأمر يطول على القارئ فنجتزئ عنه على سبيل المثال ببضع كلمات . منها (الخِصَّة) يريدون بها الفسقية ذات النوفرة اما الكبيرة فيسمونها الصهريج . (والمداشر) القرى (والشراجيب) الشبابيك . ومن المعربات اليَمَنْط الألماس و (الفسيان) الضباط (office) و (الشلطاظ) الجنود . واذا أرادوا ان يقولوا استعراض الجنود قالوا تسراد الشلطاظ . والتسراد عربية من السرد . والشيليات الكرامي . والكودشة والأكداش عربات الخيل . ونسمعهم في دمشق يقولون لخدمة الجامع الأموي (حسكية) واحدهم (حسكي) قالوا انه محرف من (خاصكي) وهواستعمال تركي يراد به خادم بيت الملك الخاص فنقله الاستعمال الى خادم بيت الله . غير أن الغزّال في رحلته قَرَن (الحسك) بالمنارات (اي الثريات) التي يستضاء بها في المساجد ثم فهم منه في مكان آخر ان المراد بالحسك المسارج أو الشمعدانات التي تنقل من مكان الى مكانٍ آخر بين أبدي الناس المجتمعين . وهذا نص عبارته كما في ص ٣٣ :

(وقد هيئ لهذه الليلة العدد الكثير من الشيليات (أي الكراسي) بما يزيد على الأربعة آلاف . . . وأوقد من الشمع ستة آلاف شمعة ما بين المنارات البلورية والحسك المتصلة بالمرايا . . . والحسك الموضوعة بالأرض بين صفوف الشيليات الخ) فالشموع كانت موزعة على المنارات وعلى شمعدانات لاصقة بالمرايا على الجدران وعلى شمعدانات أخرى منتقلة (بورتاتيف) منثورة على الأرض بين صفوف الكراسي .

فلعل الحسكية في جامع دمشق سموا بهذا الاسم نسبة الى تلك الشمعدانات المسماة (حسك) اذهم الذين يتولون أمر تنظيفها وتخبئتها في مستودعاتها وتوزيعها بين أيدي القراء في الحفلات . بقي أن يقال : ومن أيّة لغة جاءت كلمة (حسك) ؟ وفي أي عصر تولّدت ؟ وهل أخذها المغاربة من دمشق أو على العكس ؟

المغربي

ديوان التميمي

حققه كل من علي الخاقاني ومحمد رضا السيد سلمان

طبع في النجف سنة ١٩٤٨ م عدد صفحاته ١٨٠

اسم صاحب الديوان الشيخ (صالح بن درويش) التميمي فهو عربي المحتد ، نجدي الأصل ، نجفي المنشأ : ولد في حدود سنة ١١٩٠ ه وتوفي سنة ١٢٦١ ه اي أنه عاش في العهد الداودي : عهد داود باشا والي بغداد المشهور بفضله وحبه للأدباء ، ويروى ان لهذا الوالي مشاركة في الأدب وقرض الشعر . وله مجالس ينضوي اليها ادباء عصره وشعراؤه فيتلقون من عطفه ورفده ما يملأ قلوبهم حباً ، وجيوبهم ذهباً ، وكان أقربهم مجلساً اليه ، واكثرهم دالة عليه ـ الشاعر التميمي : فكان الوالي يؤثره ، وبنوه بمنزلته ، كما كان شاعر العراق الأكبر الشيخ عبدالباقي العمري يقول : ان صالح التميمي أستاذي وشيخي . وقد أولع الشاعر المترجم منذ حداثته بأبي تمام الطائي ، وحفظ أشعاره ، ومن رأيه تفضيله على سائر شعراء الاسلام ، ويقول هو شيخي : تخرجت على ديوانه . وسئل يوماً كم تحفظ من الشعر الجاهلي فقال : لو أن شيخي ابا تمام لم يتقدمني الى ديوان الحماسة لاختصرت لكم حماسة ثانية .

وقد أدرك القارئ من هذه الخلاصة في ترجمة الشاعر التميمي ان محاسين البيئة والزمن والخلطاء والدراسة ـ كل ذلك توفر له ، وتمهد بين يديه ، فلا جرم ان يكون من كبار أدباء العراق ، وفحول شعرائه ، وكذلك كان التميمي : فهو منهم . بل من المشهورين بينهم . لكنه لم يبلغ منزلة شعراء الطبقة الأولى فيهم : كالأزري والعمري واضرابهما . ونستشهد على قولنا هذا بما قاله الفاضل الخاقاني ناشر ديوانه في مقدمته : (وشعر التميمي تأثر فيه بأدب أستاذه ـ يعني ابا تمام الطائي ـ ولكنه لم يستطع ان يحكم قواعده وأسسه كما احكمها الطائي : إذ نراه يعلو ما وسعه العلو فيخيل اليك انه شاعر عباسي قد صقلته تلك الحضارة العربية . ويسف إسفافاً بدعك تحكم انه ليس بصاحبك الذي ارتفع بك) اه .

وقد قدم ناشرا الديوان ومحققاه مقدمة له أسهبا فيها القول وأجادا في التعريف

بالشاعر وبأدبه وبكل ما له علاقة بنشأته وبيئته : حتى ترجما للوزيرين اللذين اكثر من مدحهما في ديوانه : داود باشا وعلي رضا باشا . كما انهما ترجما للشاعر العمري ولعالم بغداد يومئذ ابي الثناء محمود الألوسي وغيرهما مما يلقي نوراً على ذلك العهد الخصيب بالأدب والأدباء والشعر والشعراء . وقد وصفا المخطوطات التي ظفرا بها لذلك الديوان ، وقارنا بينها معتمدين على أصحها وأوثقها ، والحقا بالديوان مجموعة قصائد للتميمي مسماة بالروضة التميمية تشتمل على ٢٨ قصيدة بعدد حروف الهجاء تضمنت مدح الشاعر للشيخ (عبد علي) الشهير بمولى الحويزة . وقد أفرغ التميمي قصائد روضته في قالب قصائد روضة صفي الدين الحلي التي مدح بها الملك المنصور : فالقصيدة الأولى أسست قوافيها واول كلمات أبياتها على الهمزة . واول بيت من قصائد الروضة قوله :

(أروضة سُقيت من غيث وَطفاء   فألبست نسج حمراء وصفراء)

وهكذا الى آخر القصيدة الأولى : همزات في اول ابياتها واواخرها . ثم القصيدة الثانية بُنيت على حرف الباء الى سائر قصائد الروضة . وتكلف الصنعة ظاهر أتم الظهور فيها . كما ان البيت الذي مثلنا به يدل القارئ على صحة ما قاله الفاضل (الخاقاني) من ان التميمي يعلو بشعره ما وسعه العلو ثم يهبط ويسف حتى تكاد تنكر انه هو . فما ابين الفرق بين قوله (أروضة سقيت من غيث وطفاء) وبين قوله في الشطر الثاني (فألبست نسج حمراء وصفراء) وهكذا الحكم في ابيات سائر قصائد الديوان . تارةً مخشلب وطوراً در ومرجان . وعناية الناشرين بهذا الديوان هي على أتمها في مقدماته وخواتيمه وطبعه وتصحيحه والتعليقات عليه . فاستحقا بذلك اجزل الثناء . من فريقي الأدباء والشعراء .

غير انا لاحظنا تسامحها أحياناً في تفسير بعض الألفاظ : من ذلك قوله ص ٤٨

(فيا أيها الغادي المهجّر خائضاً   من الآل يمّاً مار في العين مائره)

قالا (الآل) الغبار وصوابه (السراب) وقوله ص٤٧

(وعفو تعفّى منه قيس ابن عاصم   أمانٌ لباغٍ أسلمته جرائره)

يصف الممدوح بالعفو عن اصحاب الجرائر . وبدل ان يفسر المصححان

الجرائر بالجرائم والآثام فسراها بارتكاب الآثام وفرق كبير ما بينهما . ولم يفسرا المراد من فعل (تعفى) وما معنى كون قيس بن عاصم تعفى من عفو الممدوح وهل يكون تعفى بمعنى استعفى ؟ أو أن تعفى بمعنى اضمحل واندرس ؟ ولو فعلا لزادا القراء وطلاب الادب بصارة في الشعر وعونا على تحصيل ملكته .

هذا ما رأينا ان نقوله في تقريظ (ديوان التميمي) وانا لنكرر الثناء على ناشريه . ونلفت أنظار أهل الفضل والأدب اليه .

المغربي

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث

تأليف الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

في ٢٦٦ صفحة (١٧ × ٢٤) سم ، طبع بمطبعة المقتطف والمقطم في مصر ١٩٤٨

كان الشعر المعاصر الى زمن قريب يطلق على الثلاثة الكبار شوقي وحافظ ومطران فألفت فيه مختارات وظهرت فيه كتب نقدية نذكر على سبيل المثال منها ما أرسله المازني والعقاد في « الديوان » وما كتبه الدكتور طه حسين بك في « حافظ وشوقي » وما خصته به « السياسة الاسبوعية » و « البلاغ الاسبوعي » من مقالات عقدها الباحثون والأدباء . فلما كتب الدكتور طه مقالاته في « حديث الأربعاء » عن ابراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود أبي الوفا تحول الناس الى شعراء الشباب آنذاك ودار حولهم نقد جديد . وعقدت لهم كتب جديدة أهمها للدكتور مندور ولاسماعيل أدهم وحبيب الزحلاوي وعمر أبي النصر والعقاد والرافعي . وقرأ الناس عن الزهاوي والرصافي والجارم ومحرم ونعيم وشكري .

ولكن الكتاب الذي بين أيدينا جديد طريف جامع يلم بهذه الكتب جميعاً ويشمل أكثر ما فيها ، فهو يتخذ سبيلاً واسعاً في فهم كلمة « معاصر » ولعله يريد بها هذه الأعوام الخمسين التي توشك أن تنقضي من القرن العشرين . وبديهي أن يدخل فيها الأموات والأحياء والشيوخ والشباب . فقد رأيناه يجمع من شعرهم ويحلله ، ويروي من مقاطعهم ويقدم لها أو يختمها بدراسة نفسية تعتمد على أحدث الآراء في هذا الفن ، ولكن تعابيرها ما تزال غريبة على الأسماع

بعيدة عن النقد العربي المعاصر . فالأستاذ السحرتي فيما نرى يعتمد على المصادر الانكليزية ويوردها باسمائها وأصحابها ويخترع لألفاظها ما يقابلها من قواعد ونظم يرسلها في نقد الشعر المعاصر .

وفي الكتاب سعة اطلاع ووفرة جمع تدلان على كثرة ما قرأ الرجل من دواوين صدرت في لبنان وفي المهجر وفي مصر ، وأما في سورية فقد نقد الاستاذ ما وصل اليه من دواوينها وما نراها الا قلة ، ذلك لأن شعراءنا المعاصرين لا يطبعون دواوينهم ، ولا يهتمون بتبويبها ونشرها في الناس ولأن مجلاتنا السورية التي تنشر لهم أبكار شعرهم لا تتخطى حدود البلاد ، فيصبح من العسير على الناقد أن يلم إلا بما تطبع مصر من شعرنا أو يقف عليه أدباؤها في مصادفة أو مناسبة .

وليس هذا مما يؤخذ على الأستاذ الناقد ففي صفحات كتابه من الجهد في الاستيعاب والسعي في الجمع ما يستحق كل ثناء . ويخرج القارئ من هذا السفر وهو ملم بأبواب النقد الحديث وأصوله وأركانه كما هو اليوم في قلب أوربة ، واقف على ما في الشرق العربي من نزعات جديدة وتجديدية عرض لها الباحث واستعرض من شعرها فأصبح الكتاب مجموعة مختارة من الشعر الحديث لمختلف الشباب في أعمار متفاوتة ، وأساليب متباعدة ، وهو على ذلك يضرب الأمثال من الشعر الأوربي ويترجم مقاطع منه ليقرنها إلى شعرنا الشاب ويوازن بينه وبينه .

واسلوب الكتاب رصين قويّ في عبارة مشرقة فصيحة وحجة هادئة طبعها صاحبها بطابع العلم ومقاييسه حيناً ، والشعر وأساليبه حيناً آخر . وكم نتمنى أن يصب هذه المعرفة بالشعر الحديث ، بعد هذا الكتاب ، في كتاب يؤرخ فيه للشعر الحديث المعاصر عاماً فعاماً وشهراً فشهراً ، على عادة الغربيين . فالدواوين مؤرخة والمجلات والصحف معروفة مشهورة ، يستطيع أن يؤرخ منها هذه النزعات والمذاهب ، مما نحتاج اليه في أدبنا العربي ومما نتلفت باحثين عنه فلا نجده ولعله فاعل إن شاء الله .

والأستاذ السحرتي في كتابه اليوم يستحق شكر الأدباء على ما قدم لهم من حسن صنيع وكريم يد .

الدكتور سامي الدهان

آراء وانباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في الجلسة التي عقدها في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ خمسة أعضاء مراسلين هم الأساتذة :

١ — المستشرق البريطاني الأستاذ الفرد غليوم (لندن)

٢ — المستشرق البريطاني الأستاذ ا · ج · اربري (كمبردج)

٣ — المستشرق الأندلسي الأستاذ اميليو غراسيا غومز (مدريد)

٤ — المستشرق الايطالي الأستاذ ف · جبريللي (روما)

٥ — المستشرق الألماني الأستاذ ه · ريتر (استانبول)

وقد صدرت مراسيم تعيينهم في ٢٨ كانون الأول سنة ١٩٤٨



النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية

قرأت كلمة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار في العدد الأخير من مجلة المجمع الزاهرة عن الجزء الأول من كتابي «النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية» فشكرت له جهوده الطيبة الموفقة واني افتخر بما تفضل به من كلمات الثناء التي لا أستحقها والتي ستكون لي بلا شك من أهم عوامل التشجيع في المستقبل ان شاء الله ·

ثم اني ارجو ايضاح ما تساءل عنه حضرة صاحب الفضيلة في ذلك المعرض ، اذ اني أوافقه تماماً على ما قاله من أن في الكتاب العزيز وفي السنة الشريفة نصوصاً تعد أصولاً كافية للنظرية العامة للموجبات والعقود وان ابن قيم الجوزية

وغيره من فقهاء المسلمين رحمهم الله قد تعرضوا باسهاب للقواعد الكلية والمبادئ العامة المشتملة على المصالح والمطالب الشرعية . ولقد استشهدت بابن القيم وبغيره في الجزء الثاني من كتابي .

غير اني أصر على القول بان الفقهاء المسلمين لم يتطرقوا من حيث الأسلوب الى نظرية عامة تشبه النظرية الرومانية اذ ان الفقه الاسلامي لم يتأثر بفقه الرومان . وان قولي هذا يتعلق بالأسلوب فقط ، أما فيما عدا الأسلوب الشكلي فان الفقهاء المسلمين توصلوا من حيث الجوهر والمبادئ الأساسية الى ما يماثل النظرية العامة الحديثة والى ما يفوقها في التعمق والتدقيق في بعض الأحيان . ولعلي قد توفقت لاثبات هذه المسألة في الجزء الثاني من كتابي (الذي طبع مع الجزء الأول) حيث نوهت فيه بأهمية النظرية العامة الاسلامية . وان ما استشهد به العلامة الشيخ البيطار عن ابن قيم الجوزية يوافق ما قلته من حيث الاساس . أما من حيث الشكل فهو لا يشبه الأسلوب الحديث وما يستتبعه من تفصيلات تتعلق بتقسيم الالتزام ومصادره وترتيب نظرية العقد ودرسها على النمط المعروف عند الرومان وعند من اقتبس عنهم . وعلى كل فان هذا الاختلاف في الترتيب لا يقلل من قيمة ما كتبه ابن القيم وغيره بشيء .

ثم اني أرجو أن أوضح ما أقصد بالمذهب الظاهري البائد اذ لا يخفى على القارئ الكريم ان هذا المذهب هو أحد المذاهب السنية التي اصطلح المؤرخون على تسميتها بالبائدة ، بسبب انقراض اتباعها اليوم وان المذهب الظاهري هو مذهب ابي سليمان داود بن علي وقد كان مذهبه متبعاً الى القرن الخامس ثم اضمحل شيئاً فشيئاً . وان اشتهار من اتبع هذا المذهب بالعلم كابن حزم لم يمنع المؤرخين من عده من المذاهب البائدة (مثلا تاريخ التشريع الاسلامي للخضري ص ١٦٦ ، وتاريخ القضاء في الاسلام لعرنوس ص ٦٣) .

واني ختاماً أكرر شكري لحضرة العلامة الشيخ البيطار على ما تفضل به من ملاحظات قيمة ، جزاه الله كل خير .

(بيروت) صبحي المحمصاني

الجزء الأول من الدارس في تاريخ المدارس

هذا الكتاب مثل تاريخ الآداب العربية في الشام مدة ثلاثة قرون وأكثر على أن لي عليه بعض ملاحظات أذكرها فيما يلي :

ص ٢٠ ح ٦ هو محمد بن يونس الموصلي المتوفى سنة ٦٠٨

« ٢٢ « ٤ هو بركات بن ابراهيم المتوفى سنة ٥٩٨

« « « ٥ هو القاسم بن علي بن هبة الله المتوفى سنة ٦٠٠

ص ٢٣ س ١٤ الصواب ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن

« ٢٤ « ١٣ يحيى بن شرف بن مِرى وموسى تصحيف مِري

« ٢٨ « ٢ الامين الاربلي

« ٣٤ « ٣ هو احمد بن محمد بن محمد بن نصر الله المتوفى سنة ٧٣٦ الدرر ١/ ٣٠٠

« ٤٧ « ١٦ ابو المكارم هو احمد بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٥٩٦

« ٤٧ ح ١ توفي سنة ٦٩٨

« ٤٧ س ٢ المعجم المختصر

« ٥١ « ١٠ قُميرة تصغير قمرة

« ٦٦ « ١٥ احمد بن حامد الارتاحي

« ٦٩ « ١١ الكمال بن فارس هو ابراهيم بن احمد بن فارس المتوفى سنة ٦٧٦

« ٦٩ « ١١ زهير الزرعي هو زهير بن عمر بن زهير المتوفى سنة ٦٧٣

ص ٧ س ٣ عبد الحافظ بن بدران توفي سنة ٦٩٨

« ٧٨ « ١١ زينب بنت عمر بن كندي توفيت سنة ٦٩٩

« ٧٨ « ٣: ابن الطلاية بالمثناة كثر ذكره في الدرر وفي نسخة جيدة من ذيل ابن الدبيثي

« ٨٧ س ١٢ شمس الدين ابو محمد بن سلار [السلار أيضاً] هو عبد الوهاب ابن يوسف بن كرم توفي سنة ٧٨٢

ص ٨٧ س ١٣ ها هنا اضطراب فان الأسدي ذكر شخصاً توفي بالطاعون الخميس ١٩ صفر سنة ٨٢٦ قرأ صحيح البخاري على جمال الدين الشرائحي (وله ترجمة في الذيول ٢٦١ والضوء ٧/٢ وهو عبد الله بن ابراهيم بن خليل سنة ٨١٩) وكان صاحباً للشيخ بن قدَبدار الضوء (٣٢٧/٦) ولم أتثبت من معرفته أهو شمس الدين محمد بن عبد الله بن عمر ٠٠ المقدسي المعروف بابن المكي والذي كان رئيس المؤذنين بالجامع الأموي المتوفى في جمادى الأولى من السنة ، أم ابن حجي المتوفى في صفر من سنة ٨٢٦ فقد كان صديقاً لابن قدبدار أيضاً ٠

ص ٨٩ س ٧ ابو نصر محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ٥٣٠ له ترجمة في المنتظم لابن الجوزي

ص ٨٩ ح ٦ هو يوسف بن رافع بن تميم صاحب سيرة صلاح الدين توفي سنة ٦٣٢

ص ٦٧ س ٢ ابو بكر بن مكارم هو ابو بكر علي بن مكارم بن فتيان المتوفى سنة ٦٦٠

〃 ٦٧ ح ٤ ابن عبدالدائم هذا هوابو العباس احمد بن عبد الدائم المتوفى سنة ٦٦٨

〃 ٩١س ٢ ابو محمد العثماني هو عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى المتوفى سنة ٥٧٦ ذكره السيوطي في حسن المحاضرة الطبعة الأولى ج ١ / ١٧٢

ص ٩١ ح ٤ ابن شادي (والأفضل شاذي بالذال المعجمة اذ أن هذا اسم فارسي وكانوا يلفظون في ذلك الزمان الذال بعد الالف في الاسماء)

ص ٩٤ س ٩ ابو الفتح بن سيد الناس هو محمد بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٧٣٤

〃 ١٠٥ 〃 ٣ ابو المظفر سعيد بن سهل الفلكي الوزير توفي سنة ٥٦٠ انظر أيضاً ص ١٠٤ س ٣

ص ١٠٤ س ٣ لعله عبد الرحمن بن سالم التنوخي المتوفى سنة ٥٥٧

〃 ١٠٥ 〃 ٦ الزكي المنذري مشهور بعبد العظيم وعبد القوي توفي سنة ٦٥٦

ص ١٠٥ س ٣ ابوالمكارم عبد الواحد بن محمدبن المسلم توفي سنة ٥٦٠ (شذرات)

〃 ١٠٧ 〃 ١ ابن شُنَيْف (مصغراً)

〃 ١٠٨ 〃 ١٨ القطب اليونيني المؤرخ

〃 ١١٠ 〃 ٣ ابو الفضل عبد السلام الداهري توفي سنة ٦٣٨

〃 ١١٠ 〃 ١٥ ابن ابي لقمة هو محمد بن السيد بن فارس توفي سنة ٦٢٣

〃 ١١١ 〃 ٣ الدخميسي هو احمد بن الفضل بن ابي المجد ولد سنة ٦١٢

(معجم البلدان لياقوت)

ص ١١٧ س ٢ اسمه في النجوم بيدرا وعند القطب اليونيني بيدرة (كلاهما صحيح)

ص ٣٢٣ س ١٥ بضحان والصحيح بصخان بالصاد المهملة والخاء المعجمة

ص ٦٤٩ س ١١ الياروقي بالياء المثناة توفي سنة ٦٦٣

〃 ١٢١ ح ٤ ابن رُوزَبِه بالهاء غير منقوطة اسم فارسي هو ابو الحسن علي ابن ابي بكر بن روزبه توفي سنة ٦٣٣ (عميان والشذرات)

ص ١٢١ س ٦ القطيعي ابو الحسن محمد بن احمد بن عمر توفي سنة ٦٣٤ لسان الميزان ٤٦/٥ : شذرات

ص ١٢٠ س ٣ شمس الدين بن ابي الفتح ابو عبد الله البعلبكي توفي سنة ٧٠٩

〃 ١٢٣ ح ٣ لا يلبس محرَّماً صحيح أي لم يلبس الا ما هو مباح من قماش القطن ولم يلبس الحرير وما يشبهه

〃 ١٣١ س ١٥ السراج الارموي هو محمود بن ابي بكر بن احمد توفي سنة ٦٨٢

〃 ١٣١ ح ٣ ابن المرحل لعله محمد بن مالك بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧١٠ وهو الأشهر

ص ١٣٣ س ٢٠ ابن المجد

〃 ١٥٤ 〃 ١١ عمر بن عبد العزيز

〃 ١٦٢ 〃 ١٠ الروذراوري كذا ص ١٦٧ س ٥

ص ١٣٩ س ١٣ التقي سليمان بن حمزة القدسي توفي سنة ٧١٥

〃 ١٤٠ 〃 ١٤ صلاح الدين العلائي هو خليل بن كيكلدي المتوفى سنة ٧٦١

〃 ١٦٧ 〃 ١ ابن ابي الخير هو ابو العباس المتوفى سنة ٦٧٨

〃 ١٦٧ 〃 ٥ مجد الدين بن الروذراوري عبد المجيد بن ابي الفرج بن محمد ابو محمد توفي سنة ٦٦٧ (اليونيني)

ص ١٦٧ س ١٢ ابو سعد بن أبي عصرون هو عبد الله بن محمد بن هبة الله توفي سنة ٥٨٣

〃 ١٦٧ 〃 ١٤ ابو حامد بن الصابوني هو محمد بن علي بن محمود توفي سنة ٦٧٠

〃 ١٦٧ هامش ٨٨٦ صوابه ٧٨٦

〃 ١٦٨ 〃 ٤ الجرائدي هو عماد الدين محمد بن يعقوب بن بدران توفي سنة ٧٢٠

〃 ١٧٨ 〃 ٤ لعل الصواب أبي موسى محمد بن عبد الله اللامشي

〃 ١٧٩ 〃 ١٤ بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن الحسن السنجاري توفي سنة ٦٦٣

〃 ١٨٠ 〃 ٤ قطب الدين بن ابي عصرون هو احمد بن عبد السلام بن المطهر توفي سنة ٦٧٥ (شذرات ٥/٣٤٥)

ص ١٨٠ س ١٧ بركات بن ابراهيم الخشوعي توفي سنة ٥٩٨ (شذرات)

〃 ١٨٢ 〃 ١٦ شرف الدين علي بن محمد بن علي بن المسلم أرخ ابن الدبيثي (نسخة كامبرج) وفاته سنة ٦٠١ وسماه ابن الشهرزوري

ص ١٨٣ س ٦ ابو الوحش سبيع بن المسلم بن علي توفي سنه ٥٠٨

〃 ١٨٣ 〃 ٣ ابو الحسن علي بن الحسن بن الحسين السلمي الموازيني توفي سنة ٥١٤

〃 ١٨٤ 〃 ١١ ضياء الدين ابن عقيل عند السبكي ٥/١٢٥ علي بن عقيل بن علي بن هبة الله ... أبو الحسن الحبوبي الثعلبي وهو الصواب . وربما كان ابو يعلى ابن الحبوبي الذي ورد ذكره ص ١٨٢ سطر ٦ جده ولحفيده محمد بن محمد بن علي ترجمة في الدرر الكامنة

ض ١٨٤ س ١٣ ابو المكارم عبد الواحد بن هلال الازدي توفي سنة ٥٦٥

ص ١٨٤ س ١٤ الشهاب القوصي اسمعيل بن حامد توفي سنة ٦٥٢
« ١٩٠ ح ١ اللورقي نسبة الى لورقة مدينة في الأندلس
« ١٩٠ « ٤ بهاء الدين بن حناء هو الوزير علي بن محمد بن سليم بن حناء توفي سنة ٦٧٧

ص ١٩٢ س ٤ المؤيدبن محمدبن علي بن الحسن رضي الدين الطوسي توفي سنة ٦١٧
« ١٩٣ « ٢٢ الرشيد العطار هو ابو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله توفي سنة ٦٦٢
« ١٩٥ « ١٤ جلال الدين القزويني هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر توفي سنة ٧٣٩
« ١٩٦ « ١٦ جمال الدين الزرعي هو سليمان بن عمر بن سالم توفي سنة ٧٣٤
« ١٩٩ « ١٨ نجم الدين القحفازي هو ابو الحسن بن داود توفي سنة ٧٤٥
« ٢٠٣ « ١٣ جمال الأئمة في غاية النهاية لابن الجزري ـ علي بن الحسن بن الحسن ابن الماسح وهو الصواب

ص ٢٠٧ س ٦ عبدالعزيز بن منينا هو عبد العزيز بن معالي بن غنيمة المتوفى سنة ٦١٢
« ٢٠٧ « ١٤ كمال الدين ابو الفضائل سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الاربلي توفي سنة ٦٧٠ (لعله تصحيف ٦٩٠) السبكي وابن كثير

ص ٢٢١ س ٧ محي الدين محمد بن الزكي ـ محمد بن محمد بن يحيى توفي سنة ٥٩٨
« ٢٢٨ « ٧ لعله نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم البارزي المتوفى سنة ٦٨٣
« « « ٨ الروذراوري
« « « ١٢ عز الدين الفاروثي ابو العباس احمد بن ابراهيم بن عمر المتوفى سنة ٦٩٤
« ٢٣٩ « ٧ نور الدين ابن الصائغ محمد بن محمد بن محمد توفي سنة ٧٤٩
« « « ١٨ شمس الدين ابن النقيب محمد بن ابي بكر بن ابراهيم توفي سنة ٧٤٥
« « « ١٥ الزنكلوني مجد الدين ابو بكر بن اسماعيل بن عبد العزيز توفي سنة ٧٤٠ (ورد في الدرر الكامنة السنكلوني)

ص ٢٤٠ س ١١ شمس الدين الاصفهاني محمود بن عبدالرحمن بن احمد توفي سنة ٧٤٩

ص ٢٤١ س ٢ شمس الدين الغزي ـ محمد بن خلف بن كامل توفي سنة ٧٧٠
« ٢٤٥ « ٦ جمال الدين ابن جملة يوسف بن ابراهيم توفي سنة ٧٣٨ (مر ص ١١٩)
« ٢٤٧ « ١٨ رضي الدين المنطقي ابراهيم بن سليمان توفي سنة ٧٣٢
« ٢٥٣ « ١١ علاء الدين ابن نحلة ـ علي بن يحيى بن عثمان توفي سنة ٧٢٣
« « « ١٩ قطب الدين السنباطي ـ محمد بن عبد الصمد توفي سنة ٧٢٢
« ٣٠٤ « ٣ رُوزَبِه فارسية معناها اليوم السعيد
« ٣٠٥ « ١١ الصواب اسندمر بالنون كذا سطر ١٣ كذا ورد في الدرر الكامنة عن نسختين جيدتين كانتا عندي حين حققت الكتاب وقد ورد بعد تراجم من اسمه اسماعيل كذا أيضاً في ترتيب الضوء اللامع وهو اسم تركي قديم معناه الحديد الصالح .

ص ٣٢٤ س ٢ في الدرر الكامنه ٤/٤٧٥ ابو الفضل يوسف بن محمد بن منصور بغير لقب المتوفى سنة ٧١٠ ولكن كان في النسخ الخطية الكُنَيري (مصغرا) ثم طبع الكفري . وذكر الذهبي (الطبعة الأولى) في تذكرة الحفاظ ٤ / ٢٥٢ سطر ٦ في شيوخ أبي شامة شهاب الدين الكفري ولعله هو . ثم رأيت أنه ذكر في سطر ١٣ وهو مشهور له ترجمة في العميان والدرر والجواهر المضيئة وعند ابن الجزري .

ص ٣٢٥ س ٣ شمس الدين ابن اللبان مات قبل شهاب الدين ابن النقيب ولعل الذي عني هو محمد بن احمد بن علي المتوفي سنة ٧٧٦ وله ترجمة في الدرر

ص ٣٣١ س ٧ زنكي بن آق سنقر
« ٣٤٩ « ١ دار ايوب
« ٣٥٨ ح ٣ جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المتوفى سنة ٧٧١ له ترجمة في الدرر
« ٣٦٣ هامش ٦٠٢ -- ٦٧٢
« ٣٧٧ س ٣ اسندمر بالنون

ص ٤٠٠ س ١ المزرفي بالفاء

« ٤٠٠ « ٥ الحصين بالصاد

« ٤٠٠ « ٦ ابو الحسن بن دبين ـ هو علي بن دبيس (بالسين) الموصلي ذكره السيوطي في البغية ص ٣٢٧

ص ٤٠١ س ١٠ ابو نصر بن الشيرازي محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله المتوفى سنة ٦٣٥

ص ٤٠١ س ١١ ابو بكر عبد الله بن الحسن بن الحسين عماد الدين بن النحاس توفي سنة ٦٥٤

ص ٤٠٧ س ١٦ ابو القاسم النسيب هو علي بن ابراهيم بن العباس الدمشقي توفي سنة ٥٠٨

« ٤٠٧ « ١٧ ابو الحسن بن قيس أنا أشك في اسم جده قيس اذ ورد ثلاث مرات في مرآة الزمان ابو قبيس بباء موحدة قبل الياء

ص ٤٢١ س ٧ أنا أشك في ابن ماسويه وقد ورد ذكره في الدرر الكامنة ٤ مرات مرتين بابن باسويه مثل ترجمة ٣٨١ (في المجلد الرابع) ومرتين بابن ماسويه بالميم

ص ٤٣١ س ١٣ ابن أبي الاصبغ بالغين المعجمة

« ٤٥٧ « ٦ حسام الدين القرمي بالراء

« ٤٧٥ « ٩ جمال الدين الحصيري محمود بن احمد بن عبد السيد البخاري توفي سنة ٦٣٦

ص ٤٨١ س ٨ برهان الدين البلخي هو ابو الحسن علي بن محمد له ترجمة في مرآة الزمان

ص ٤٨٤ س ٣ و ٥ ابن الطير بالباء الموحدة

« « ١٣ الكديمي بالدال ـ هو محمد بن يونس بن موسى المتوفى سنة ٢٨٦

« ٤٨٥ « ٥ عبد الله نجيب الدين

« ٤٨٧ « ٧ محمد بن الحسين بن احمد بن النعالي توفي سنة ٧٨٠

ص ٥٠٤ ح ١ البُرْسقي أرخ ابن الجوزي قتله في سنة ٥١٩ وكذا تبعه سبطه في مرآة الزمان

ص ٥٠٧ س ١٣ فاستعاد أبراجًا (اي فتحها)

« ٥٢٢ « ٦ محمد بن وثاب ... النخيلي كذا في ذيل مرآة الزمان لقطب الدين رواية البرزالي عن نسخة في غاية الصحة

ص ٥٣٥ « ٢ ابن روزبه بالهاء غير منقوطة والباء الموحدة من تحت

« ٥٣٧ « ١٦ ابو الحسن علي بن الحسن البلخي توفي سنة ٥٤٩

« ٥٣٩ « ٧ نور الهدى الزيني : ابو طالب الحسين بن نظام بن الخضر توفي سنة ٥١٠ (جواهر)

ص ٥٥٩ س ١ تاج الدين النخيلي : محمد بن وثاب بن رافع توفي سنة ٦٦٧

« ٥٧١ « ٤ رُوزَبِه بالهاء غير منقوطة اسم فارسي

« ٥٧١ ح ٥ عبد العزيز بن دُلَق باللام

« ٥٨١ س ١٣ الصواب مجير الدين كما في ابن كثير وعند قطب الدين اليونيني

(كمبردج) سالم الكرنكوي



استدراك

جاء عن الذرة الصفراء والذرة الشامية في الصفحة ٢٤٩ الملاحظة الآتية : «الأولى من كلمة إيطالية ، والثانية تمت الى لغة الأزتيك في المكسيك» .

والصحيح ان هذه الملاحظة ترجع الى الكلمتين السابقتين ، أي الى البنادوري والطماطم فلينتبه الى ذلك .

مصطفى الشهابي



فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين

الصفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٤٩ ٦ رمضان سنة ١٣٦٨

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٦ —

حرف العين

عاشوراء : اليوم العاشر من تشري اليهود (البيروني ٣٣٠) قيل انه عبراني معناه عاشور ، وفي السريانية لفظ مثله : ܥܣܝܪܝܐ Eciroio وتاسوعاء ܬܫܝܥܝܐ Tchioio ومعناهما : العاشر والتاسع ·

عاقِر قَرْحا : كلة مركبة سريانية ܥܩܪ ܩܪܚܐ Eqorkarho ومدلولها : الجذر العريان نبات من فصيلة المركبات يستعمل جذره في الطب (معجم الشهابي ٥٢٧) وفي دليل الراغبين ٥٦٣ انه نبت يكثر بافريقية وقيل عكّوب ·

عُبّ : حضن ، غبّ ، خليج · جاء في التاج ج ١ ق ٣ : ١٨٠ العبّ بالضم الردن ، قال شيخنا « ابو عبد الله محمد الفاسي المتوفى سنة ١١٧٠ ه » هي لغة عامية لا تعرفها العرب ، قلت : كيف يكون ذلك وقد نقله الصاغاني » اه ·

نقول أخطأ الصاغاني وغيره من اللغويين وأصاب الفاسي فاللفظة سريانية ܥܘܒܐ Oubo · (برون ٤١٧)

عَجلة : مركبة : في سفر صموئيل الاول ٦ : ٧ « اعملوا عجلة واحدة جديدة » ، وعدّها دوفال في جملة الألفاظ السريانية والعبرية النجار (معجم ابن بهلول ٣ : ١٥١) ܥܓܠܬܐ Ogaltho · ومعجم برون ٤٣٢

عدَن : اخرج ابن جرير عن ابن عباس انه سأل كعباً عن جنات عدن : قال جنات الكروم واعناب بالسريانية ، ومن تفسير جويبر انه بالرومية (الاتقان ص ١٤٠ وما بعدها) صوابه : عدن : أرض الفردوس محل النعيم ، وفي سفر التكوين ٢ : ١٠ « يخرج من عدن ليسقي الجنة » · قال ابن مروشويه الكلمة عبرية معناها ، نعيم ، أو خصب بالاشجار الطيبة ، ومثلها السريانية ܥܕܢ Eden موطن النعيم · ولا تعني « جنات اقامة لمكان الخلود » كما توسع فيها بعض اصحاب المعاجم (أقرب الموارد ٢ : ٧٥٤ والمصباح ٢ : ٦٠٦) ولا كما زعم الراغب في المفردات ص ٣٢٨ بقوله « جنات عدْن اي استقرار وثبات وعدَن بمكان كذا استقرّ » والفعل ܥܕܢ Adène ومعناه : نعِم ، رفِه ، أخصب ·

عَدّان : جاء في القاموس وأقرب الموارد : عَدَان كسحاب « بتخفيف الدال » من الزمان سبع سنين اهـ ، وبالسريانية ܥܕܳܢܳܐ Edono : الوقت على الاطلاق · قال ابن سيده ٩ : ١٦ « كان ذلك على عدّان فلان اي على عهده » وبالتشديد يلفظها بعض عامة بلاد الشام ، واللفظة تتوافق فيها السريانية والعبرية (برون : ٤٢٥)

عَرْب : عَرْبة والجمع عُروب : رحى ، عربة ، طاحون يديرها الماء ، لفظة سريانية ܥܪܒܐ Arbo وقال فيها ابن بهلول : دولاب ، الطاحون المُدار ، وأيضاً العَروب التي يُطحن بها الدقيق وتكون في الماء (عمود ١٤٥٩ و١٤٦٠) وعن ابن السني في الترجمان : عَرْبة ، اداة طحن ، وأيضاً : العربة من أدوات الطحان · ويقال فيها أيضاً ܥܪܒܘܢܐ Arbouno وفي شفاء الغليل ص ١٣٧ « عربة بلغة أهل الجزيرة ، سفينة يعمل فيها رحى في وسط الماء الجاري مثل دجلة يديرها شدة جريه ، وهي مولدة في ما أحسب ، قاله في المعجم وأنا لا أدري هل المركب المسمى عربة أخذ من هذا أو هو غير عربي وهو الظاهر » اهـ ، وفي التاج :

«من معاني العربة النهر الشديد الجري ، والعربات سفن رواكد كانت في دجلة واحدتها عربة» .

عَرّاب : كلمة مسيحية سريانية ܥܪ̈ܘܒܐ ، ܥܪܘܒܐ Oroubo , Arabo معناها : كفيل المعتمد بماء المعمودية ، والفعل ܥܪܒ Erab ، وعرّب : كان عرّابا وهي مرادفة كلمة اشبين .

العُرْبان : والعُرْبون ، والعَرَبون : وقد تبدل عينهن همزة : هو ما عُقد به المبايعة من الثمن ، او هو ان يشتري الرجل شيئاً او يستأجره ويعطي بعض الثمن او الاجرة ، ثم يقول ان تم العقد احتسبنا والا فهو لك ولا آخذه منك ، (أقرب الموارد ، والتاج ، ويقرب منهما المصباح) قال الأصمعي العربون أعجمي معرب (أقرب الموارد ٧٥٩) وكذا التاج . وصرّح الكمال الدميري في شرح المنهاج بانه لفظ معرب ليس بعربي . وفي شفاء الغليل ص ١٣٤ «عربون وعربان : معرب ، والعرب تسميه مُسكان وجمعه مساكين . وصرّح الفرّاء أيضاً بعجمته كما ورد في الجواليقي ص ٢٣٢ وقال هذا ويجمع العربان على «العرابين» واللغة العالية : العَرَبون . ونقل عن بعض شروح الفصيح أنه مشتق من التعريب الذي هو البيان لأنه بيان للبيع !

قلنا انه سرياني بحت وفيه ثلاث لغات : ܥܪܒܘܢܐ ، ܥܘܪܒܢܐ ، ܪܗܒܘܢܐ Rahbouno , Ourbono , Aarbouno : رهن . وفي سفر صموئيل ١٧ : ١٨ «وخذ منهم عربونا» .

عِرزال : مظلة ناطور الكرم ، عريش . وهو في الأصل موضع يتخذه الناطور في أطراف النخل خوفاً من الأسد (الدليل ص ٢٤٤) وفي نبوة اشعيا ٢٤ : ٢٠ «تدلدلت كالعرزال» كلمة سريانية ܥܘܪܙܠܐ ، ܥܪܙܠܐ Ourzolo , Arzolo . قال أبو الخير فهر بن جابر المشكال بن عمار الطائي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ في كتابه «العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال» المصون في

احدى خزائن كتب القسطنطينية «وقد شاهدت صوامع وعرازيل وكهوفاً على الجبل ونواحيه ... يسكنها أقوام قوّام وصلحاء صوّام يشهد لهم بالقربات والطاعات» [المجلة البطريركية السريانية مج ٣ ص٦٨: مطبعة ديرمارمرقس بالقدس سنة ١٩٣٥]

عَرْش : سرير ، وفي نبوة دانيال ٧ : ١٩ «وعرشه لهيب نار» سريانية ܥܪܣܐ Aarso بالسين المهملة[1] . وكذا بالعبرية (بزون ٤٦٣ ودوفال ١٥٧)

عُرْمة ، وعَرَمة : الكدس من الزرع الذي جمع وديس ليذرّى : وفي نبوة حجي ٢ : ١٦ «كان أحدكم يأتي الى عرمة» لفظة سريانية ܥܪܡܬܐ ، ܥܪܡܬܐ Eromtho , Eramtho والفعل ܥܪܡ Eram أُرْم ، تكوّم و ܥܪܡ Arème : كوّم ، جمع .

عَرُوبة : يوم عروبة يوم الجمعة . قال في الجمهرة ١ : ٢٦٧ «يوم عروبة يوم الجمعة ، معرفة لا تدخلها الألف واللام في اللغة الفصيحة . وقد جاء في الشعر الفصيح بالألف واللام أيضاً قال القُطامي :

« نفسي الفداء لأقوام هُمُ خلطوا يومَ العَروبة أوراداً بأورادِ »

وقال صاحب التاج ١ : ٣٠٠ الجمعة صفة اليوم أول من سماه بها كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة . وقال ابن سيده ٢ : ١١٧ «العروبة الجمعة للإشعار بمكانها والافصاح عن حقها واشادة الشرع بقدرها لان موضوع هذه الكلمة الاظهار» اهـ . قلنا لا معنى لهذا التعليق والتعليل ، اذ اللفظة سريانية ܥܪܘܒܬܐ (عْروبثا) Eroubtho ولا تحتمل لغوياً هذا المعنى بل عكسه ، لأن فعل ܥܪܒ (عرَب) Erab معناه غرُب ، غاب ، أفَل ، وايس : بان وظهر . وهي اسم احد أيام الأسبوع في الجاهلية . بل ان الحسن بن بهلول ذكر سبب تسميته به قال « كان هذا اليوم يسمى السادس ، ولم اقف في موضع على

(١) عَرْطنيثا : ܥܪܛܢܝܬܐ Artonitho : شجرة مريم ، بَخور مريم وأصلها آرامية (معجم الشهابي ص ٢٠٩) وقال فيها « جنس نباتات عشبية معمرة من فصيلة الربيعيات ، لها زهر جميل الخ . » .

تسميته بالعروبة حتى عهد السيد المسيح . فأطلق عليه هذا الاسم ، لغروب الشمس والشرع والعبادة (الموسوية) فيه » عمود ١٤٦٣ ، وفي مختصر الدول لابن العبري ص ٥ « آدم ابو البشر خُلق يوم العروبة » وجاء في أقرب الموارد ٢ : ٧٥٩ « عَرُوبة والعَرُوبة ويوم العَرُوبة : يوم الجمعة وهو من اسمائهم القديمة وهو تعريب (أرُبا) النبطية ، او عَرُوبتا السريانية . قال ابو المعالي اللغوي « عروبة يوم الجمعة » وهي معرفة قلما تدخلها الألف واللام . وقال سيبويه « العروبة يوم الجمعة ومن قال « عروبة » أي بدون (ال) فقد أخطأ . وبلغ ذلك يونس بن حبيب فقال أصاب سيبويه » اه . وفي المعرب للجواليقي ص ٢٣٤ « قال ابو حاتم ، قال الأصمعي « العروبة » الجمعة وهي بالنبطية « ازينا » كذا . قلنا واللفظة النبطية تصحيف صوابه « أرُبا » كما مرّ بك آنفاً . وعلى هذا التصحيف بنى شارح المعرّب رأيه منكراً عجمة الاسم واهماً .

عسكر : جاء في الجمهرة ٣ : ٥٠٣ « والعسكر فارسي معرّب وانما هو لشكر وهو اتفاق في اللغتين . قال ابن الأعرابي : العسكر الكثير من الشيء يقال عسكر من رجال وخيل وكلاب » وقال الجواليقي ص ٢٣٠ « قال ابن قتيبة « والعسكر فارسي معرب . قال ابن دريد وانما هو لشكر بالفارسية وهو مجتمع الجيش » وزاد في شفاء الغليل ص ١٣٤ « ويسمى به الجيش نفسه » .

قلنا ورد بالسريانية بلفظه العربي ܐܣܩܪܘܬܐ وجمعه ܐܣܩܪܬܐ Ascrotho , Ascartho ومعناه عسكر ، جيش فاما هو سرياني معرب واما توافق بين السريانية والعربية ، ان لم يكن بابلي الأصل Vsqaru ; Askaru ومعناه السلاح سمي به الجيش من تسمية الشيء باسم آلته [1] .

عَفْر : العَفْر : ظاهر التراب باسكان الفاء وفتحها (ابن سيده والتاج ٣ : ٤١٠) قال المسعودي في التنبيه ص ٢٣ « فان كانت الرمل حُمْرا فوحشها عُفْر »

---

(١) الديانه الآثورية البابلية للأب دورم ص ٧٨

ويقال ما على عَفَر الأرض مثله أي وجهها · حرف سرياني ܥܦܪܐ Afro وفي نبوة اشعيا ٣٤ : ٩ «وعَفَرُها الى كبريت» و ܥܘܦܪܐ Oufro بمعنى · والفعل ܥܦܪ و ܥܦܪ Afar , Efar : عفّر ، ترّب · احاله ترابا · توافقت فيه اللغات السامية الثلاث : السريانية والعبرية والعربية في رأي برون ٤٥٤ واستثنى دوفال الثالثة : ١٥٥

عفص : قال الجوهري : العَفْص الذي يُتخذ منه الحبر مولد وليس في كلام أهل البادية (المزهر ١ : ١٧٩ وشفاء الغليل ١٣٤) وزاد هذا «وقيل انه عربي وأورد كلاماً لابن تيمية قال فيه : ومنه طعام عفص ، وعفاص القارورة ما يُشدّ به فمها» وجاء في التاج : عفص مولد وليس من كلام أهل البادية ، وكذا في أقرب الموارد · وأردف التاج : «وقال ابن بري وليس من نبات أرض العرب أو كلام عربي ، قاله ابو حنيفة» · قلنا هو سرياني ܥܦܨܐ ، ܐܦܨܐ · Afso , ʿAfso

عقّار : جاء في الصحاح : « العقاقير أصول الأدوية واحدها عقّار» (أقرب الموارد ٢ : ٨٠٩) وحكى ابو زيد : العقار ما يتداوى به من نبات وشجر ، وفي القاموس ٢ : ٩٤ ما يتداوى به من النبات أو اصولها · كلمة سريانية ܥܩܪܐ Êqoro مدلولها : أصل كل شيء ، جرثومة عقّار واحد العقاقير · وتراها في معجم ابن بهلول منسوبة الى زهاء خمسة وعشرين نوعاً من النباتات كعقّار آدم ، والعقار الخصب ، وأصل المازريون وعاقر قرحا وغيرها ، ويقرب من هذا العدد في دليل الراغبين ص ٥٦٢

عقل : في شفاء الغليل ص ١٣٦ «عقل معروف وما يمسك البطن من الاسهال عقول وامسا كه عقل وقبض بمعناه ليس استعمال العرب : قال القالي : عقل الطعام بطنه يعقله عقلاً اذا شدّه ، ويقال اعطني عقولاً أشربه فيعطيه دواء يمسك بطنه »اهـ · وفي الفصحى : عُقّال كرّمان · قلنا المادة سريانية : ܥܩܠ Eqal ومعناها

عقل ، شدّ ، حبس ، مغص ، أصابه مغص مع التواء وانقباض البطن .
والمصدر ܥܩܠܐ Eqolo واسم الفاعل ܥܳܩܘܿܠܐ Oqoulo .

عَكّوب : نبات بري يُطبخ ويقلى تلفظه عامة العراق مقلوباً (كعّوب) وهو المعروف عند اهل الجزيرة بالحرشف ، وعند أهل الشام به وبالسلبين ، قال الشيخ داود الانطاكي في تذكرته ص ١١٧ «الحرشف هو العكّوب والسلبين وهو نبات ذو أصناف» حرف سرياني ܥܰܩܘܼܒܐ Aqoubo [1] .

عَمّ : قوم ، أمّة ، جماعة . قال السيوطي ٢ : ٢١٨ جاء من باب المشترك . وفي الجمهرة العم : أخو الأب ، والعمّ : الجمع الكثير قال الراجز :

يا عامر ابن مالكٍ يا عمّا   أفنيت عمّاً وجبرتَ عمّا

فالعم الأول أراد به يا عمّاه ، والعم الثاني أراد به أفنيت قوماً وجبرت آخرين وهي لفظة توافقت فيهـا السريانية والعبرية وعُرّبت ܥܰܡܐ Amo . (معجم برون ٤٤٧) .

عمّدَ : هذه مادة سريانية تختص باول أسرار النصرانية ، تقول : عمّد القسيسُ الطفلَ فهو مُعمَّد ، واعتمد الطفل فهو معتمِد أي صُبغ بماء المعمودية أو غُمس فيه ، وفي انجيل متى ١٨ : ١٩ «وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس»

---

(١) ورد في خطبة نسبت الى الامام علي في نهج البلاغة «وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول» وفي خطبة أخرى «وكل قائم في سواه معلول» فقالوا ان (معلول) مخالفة لقواعد اللغة والفصيح منها ، ولكن المصباح قال ص ٦٥٢ «واعلّه الله فهو معلول ، وقيل في النوادر التي جاءت على غير قياس وليس كذلك فانه من تداخل اللغتين ، والأصل أعلّه الله فعلّ فهو معلول ، أو من (علّه) فيكون على القياس ، وجاء مُعلّ على القياس لكنه قليل الاستعمال» . قلنا هو من توافق السريانية والعربية والعبرية ܐܶܬܥܠܠ ، ܐܶܬܥܰܠܰܠ Èthalal, Èthélèl علّ ، مرض . و ܥܰܠܝܠܐ Alilo : من قد دخل في السن وأصابه المرض . ومن هذا التوافق أيضاً «عِلّية» غرفة في الطابق الثاني . ܥܶܠܝܬܐ Elitho وردت في سفر القضاة ٣ : ٢٠ «وهو جالس في علّية» (برون ٤٤٢ و ٤٣٩ ودوفال ٣ : ١٥٣) .

ܐܬܥܡܕ Aamedh ، ܥܡܕ و ܐܬܥܡܕ Ethemedh , Emadh والمصدر ܥܡܕܐ Emodho : عماد و ܡܥܡܘܕܝܬܐ Maamouditho : معمودية ، وفي انجيل متى ٢١ : ٢٥ « معمودية يوحنا » وعلق الشارح على هامش القاموس ١ : ٣١٧ قال : « قال الصولي في شرح ديوان ابي نؤاس ان لفظ معموذية معرّب (معموذيت) بالذال المعجمة ومعناها الطهارة » و ܥܡܝܕܐ Emidho : المتعمّد والمعتمد · ومنه اسم الفاعل ·

المَعْمَدان : بفتح الميم واسكان العين وفتح الميم الثانية لا « المُعمِدان » كما اعربها الشرتوني ٢ : ٨٢٨ ܡܥܡܕܢܐ Maemdhono لقب القديس يوحنا الحصور لتعميده ، وفي انجيل متى ٣ : ١ « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان » وفي الآثار الباقية للبيروني ص ٢٩٤ « وفي الرابع والعشرين (من شباط) ذِكران وجود رأس المَعْمَدان وهو يحيى بن زكرياء » ·

العُمْر : الدير جمع اعمار · قال اغابيوس المنبجي في كتابه العنوان ص ٢٧٧ « وبدأ بخوم الراهب المصري يبني الأعمار والديارات بارض مصر » وقال القس يعقوب الماردبني السرياني في احدى خمرياته :

أَمِطْ عن سناها الختمَ طال بها العُمرُ فما صانها الا لاربابها العُمْرُ

وقال الحسن بن هانئ وقيل انه للحسين ابن الضحاك :

آذنك الناقوس بالفجرِ وغرّد الراهب بالعُمْرِ

(الديارات للشابشتي ١١٢ : ١١٣) ويقال لصاحبه عمّار ، وفي ديوان ابي نؤاس (باريس رقم ٤٨٣ ص ٤٢٥) :

اذا الندامى أرادوا ما باعهم خمّارُ
حمراء فيها اصفرارٌ وعندهم عمّارُ

قال ياقوت في معجم البلدان ٦ : ٢٢١ « أما العمر فهو الدير للنصارى ، وذكر ابو حنيفة الدينوري في كتاب النبات : ان العُمر الذي للنصارى انما سمي بذلك

لان العمر في لغة العرب نوع من النخل وهو المعروف بالسكّري خاصة ٠ وكان النصارى بالعراق يبنون ديرتهم عنده فسمي الدير به ، وهذا قول لا أرتضيه لأن العمر قد يكون في مواضع لا نخل بها البتة كنحو نصيبين والجزيرة وغيرهما ، والذي عندي فيه انه من قولهم : عمرت ربي اي عبدته ، فيجوز ان يكون الموضع الذي يتعبّد فيه يسمى العمر ، ويجوز ان يكون مأخوذاً من الاعتمار والعمرة وهي الزيارة ٠٠٠ ويجوز ان يكون العمر الموضع الذي يُخدم فيه الرب ٠٠٠ ويجوز ان يكون من العمر الذي هو الحياة ، كأنهم سموه بما يؤول اليه لأن النصراني يُفني عمره فيه » وفي مراصد الاطلاع ١ : ٤٢١ ان الدير يسمى عمراً اذا كان مجاورا للاماكن المعمورة وهو قوله ، « ما كان من مواضع المتعبَّدات التي فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فانه يسمى العمر » ٠ وقال صاحب التاج ٣ : ٣٢٠ انه سمي بالمصدر لأنه يُعمَر ٠ وفي القاموس ٢ : ٩٥ العُمر بالضم ، المسجد والبيعة والكنيسة ٠

قلنا لا يخفى على الفطن ما انطوى عليه هذا التأويل من تعمّل فارغ محاولة لادخال الكلمة الأعجمية ، العربية قسراً ، ولو قصد اللغويون ومن نصبوا أنفسهم لهذا الفن لدراسة أصول الألفاظ سبيلاً سوياً ، وعدلوا عن جادّة التكلف المُمل ، كان ذلك بهم أولى وباللغة أجمل ٠ فان الكلمة سريانية خالصة وفي مهد مسيحي نشأت ܥܘܡܪܐ Ooumro ومعناها : دار ، مسكن ، مقام ، دير ٠

عُمروس : خروف صغير ، حرف سرياني ܐܡܪܘܨܐ Émrouço ٠

عَمودي : العمودي يُراد به في العرف المسيحي ، الناسك الذي يتعبد لله في صومعة على رأس عمود أخذاً من طريقة مار سمعان الناسك صاحب العمود المتوفى سنة ٤٥٩ م وثابر السريانيون على طريقته حتى منسلخ المئة الخامسة عشرة ٠ وسموا الاسطوانة صومعة وصاحبها يسمى عندنا ܐܣܛܘܢܪܐ Estounoro وهذا الحرف يوناني ٠ وأما العمودي الذي هو لفظ عربي أوردناه لادخاله المعاجم العربية ٠

عَنان : جاء في مجلة لغة العرب ٨ — ٧ : ٥٢٢ «العنان : السحاب ويكاد يكون كذلك في اللغات السامية : العبرية والارامية (والصابئية) وما تفرع منها» كذا . قلنا مما توافقت فيه السريانية والعبرية والعربية : ܥܢܢܐ Enono . (برون ٤٥١)

عِنّين : العِنّين بكسر العين وتشديد النون ، العاجز عن الجماع ، لفظة سريانية فيها لغتان : ܥܢܢܐ و ܥܢܢܐ Énono , Anono والاسم ܥܢܢܘܬܐ Énonoutho : التعنين والعِنّينة . وفي القاموس : الاسم العِنانة والتعنين والعِنينة بالكسر وتُشدَّد . قال الفيومي في المصباح ص ٦٦٣ «رجل عِنّين لا يقدر على اتيان النساء او لا يشتهي النساء ، وامرأة عِنّينة لا تشتهي الرجال . والفقهاء يقولون به عُنّة . وفي كلام الجوهري ما يشبهه ولم أجده لغيره . . . وصرّح بعضهم بانه لا يقال عنّين به عُنّة كما يقوله الفقهاء فانه كلام ساقط . قال والمشهور في هذا المعنى كما قال ثعلب وغيره رجل عنّين بيِّن التعنين والعِنينة ، وقال في البارع ، بيِّن العَنانة بالفتح» وليس هي من « عنّ » اي اعترض ، فكأنه يتعرّض للجماع ولا يقدر عليه ، كما زعم الأزهري . وكما ذهب الحريري في « درّة الغواص في أوهام الخاص» ص ٩٤ . وقال الخفاجي في شرح هذه الدرة ص ١٩٨ «قال ابو حيان التوحيدي في كتاب البصائر « قل فلان عِنّين بيِّن التعنّن ولا تقل بيِّن العِنّة كما يقوله الفقهاء فانه كلام مردود » وفي المغرب « العِنّة على زعمهم اسم من العنّين وهو الذي لا يقدر على اتيان النساء ، أو من العُنّة بالضم اسم للحظيرة (من خشب تُعمل للابل والخيل) او من عَنَّ اي اعترض لأنه يعترض يمينا وشمالا . ولم اعثر عليها الا في الصحاح أو من العناء نقلت عن الزمخشري » اهـ . فانظر الى هذا التمحّل والتحيّر في تخريج لفظة اعجمية يحاولون إقحامها في العربية .

عِيد : العيد ، الموسم ، قال امرؤ القيس :

فآنستُ سرباً من بعيد كأنه رواهبُ عيد في مُلاءٍ مُهدَّبِ

وفي سفر الخروج ٢٣ : ١٥ « تحفظ عيد الفطير » والجمع اعياد . كلمة سريانية وعبرية ܥܐܕܐ Ido . ومنه اشتقوا اسم بيعة بتقديم ܒܝܬ bèth عليهـا .

***

حرف الغين

غُبَيراء : في معجم الشهابي ص ٥٨٤ « جنس أشجار من فصيلة الورديات » وفي الجواليقي ص ٢٣٦ « والغُبيراء هذا الثمر المعروف دخيل في كلام العرب ، لفظ الواحد والجمع فيه سواء » وفي الجمهرة ١ : ٢٦٨ « والغبراء والغبيراء نبت تأكله الغنم ، فاما هذا الثمر الذي يسمى الغبيراء ، فدخيل في كلامهم » وفي اللسان « والغبراء والغبيراء نبات سهلي ... واما هذا الثمر الذي يقال له الغبيراء فدخيل في كلام العرب ، قال ابو حنيفة : شجرة معروفة سميت غبيراء للون ورقها وثمرتها اذا بدت ثم تحمر حمرة شديدة ، قال وليس هذا الاشتقاق بمعروف » هو بالسريانية : ܓܘܒܝܪܐ و ܓܒܝܪܐ Gbaïro , Goubaïro .

غَدير : بركة وفيه لغتان ܓܕܝܪܐ ، ܓܕܘܪܐ Gdoro , Godiro .

غُرّ : طائر مائي ܥܘܪܐ Ouro .

غِراء : ما طلي به : ܓܝܪܐ Guiro .

غِرارة : جوالق منسوج كالشبكة ، في شفاء الغليل ١٤٢ « غِرارة جمعه غرائر وهي معروفة ، قال الجوهري أظنها معربة » ܓܘܪܓܬܐ Gourgtho .

غَرَب : خِلاف ، صفصاف ، ووردت اللفظة السريانية في المزمور ١٣٦ : ٢ ولكن الترجمات العربية قالت فيها الصفصاف « على الصفصاف في وسطها علقنا » ܥܪܒܐ Arbo ويقال ܥܪܒܬܐ Arbtho غَرَبة ، صفصافة .

غِفّارة : وشاح الكهنة في الهيكل ، ويقال أيضاً مِغفَر : لفظة مسيحية سريانية

النجار : ܡܥܦܪܐ و ܡܥܦܪܬܐ ، ܐܦܘܪܐ Maëfro , M'aafartho , Eforo
واشتقوا منها فعل ܐܬܡܥܦܪ Ethm'afar تعفّر و توشح بالعفّارة [1] .

* * *

(١) من الألفاظ التي توافقت فيها اللغات السامية السريانية والعبرية والعربية في حرف الغين

١ ــ مغارة : غار ، كهف وهي بالسريانية ܡܥܪܐ ، ܡܥܪܬܐ Maarto , M'aaro
وجمعها ܡܥܪ̈ܐ Maaré (معرّي) وبهذا اللفظ سميت بعض البلاد منها ، معرة النعمان ومعرة مصرين في بلاد الشام ، وقرية (معاري) في لحف جبل طور عبدين ، وفي سفر التكوين ١٩ : ٣٠ « فسكن في المغارة » .

٢ ــ غبي : قليل فطنة ، جاهل ܥܒܝܐ Abio وفي سفر التثنية ٣٢ : ٦ « يا شعباً غبياً غير حكيم » .

٣ ــ غُرلة : قُلفة ܥܘܪܠܘܬܐ Ourloutho وغرِل غرلا اذا لم يختن فهو أغرل ܥܘܪܠܐ Ourlô وفي سفر التكوين ١٧ : ١٤ « فتختتنون في لحم غرلتكم » والفعل ܥܪܠ ، ܐܥܪܠ aarel , eral غرل ، وقلف .

٤ ــ مغرفة : قال الاسكافي ص ٦٥ « المِغرفة والمِقدَحة واحد » ܡܓܪܘܦܝܬܐ ، ܡܓܪܘܦܝܬܐ ، ܡܓܪܦܬܐ Maghrofitho,Maghroufitho,Maghraftho
وتعني أيضاً مجرَفة لأن مدلول الفعل ܓܪܦ graf غرَف وجرَف .

٥ ــ غلّ ، دَخلَ ، وفي التاج ١ : ٢٢٣ « يتعدى ولا يتعدى يقال غلّ فلان المفاوز ، دخلها وتوسطها ، ܥܠ àal .

٦ ــ غلّة : وهي الدخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة ارض ونحو ذلك (الشرتوني عن التعرفات) ܥܠܠܬܐ Elaltho ومعناها ما يحصل من ريع الأرض ، وفي التكوين ٤٧ : ٢٤ « وخُمس غلة أرض مصر » .

٧ ــ غُلام : فتى ، وفي التاج ٥ : ٢٦٤ « قالوا العلام لغة في الغلام أبدلت العين من الغين » وبالسريانية ܥܠܝܡܐ Elaïmo وفي التكوين ٤٣ : ٨ «أرسل الغلام معي (علَيْما) وبالعبرية êlem

٨ ــ غُلامة : فتاة ، شابة ، وفي المصباح ص ٦٩٣ « وجاء في الشعر غُلامة بالهاء للجارية قال : يُهان لها الغُلامة والغُلام ، ܥܠܝܡܬܐ Elaimtho والفعل ܥܠܡ Elème : غلم (كان قوياً ضخماً) (دليل الراغبين) وبالعبرية âlmâh : شابّة .

حرف الفاء

فَاثُور : الفاثور في التاج ٣ : ٣٢ وأساس البلاغة ٢ : ١٨٦ والمزهر ٣ : ٨٢ والنهاية لابن الأثير وأقرب الموارد ٢ : ٩٠٣ الطست او هو الطشتخان [(١)] ونسبه الزمخشري الى العامة . الخُوان من رخام وقيل من فضة او ذهب وعم به بعضهم جميع الأخونة [(٢)] وخص الأزهري فقال « وأهل الشام يتخذونه من رخام يسمونه الفاثور ، وقال الاسكافي ص ٥٨ الفاثور الخوان بلا طعام من صفر وغيره . وقال ابو حاتم في الخوان الذي يتخذ من الفضة :

ونَحراً كفاثور اللُجَين يزينه توقّد ياقوتٍ وشذراً منظّماً

وفي مجلة المجمع العلمي ١٩ : ٣٦٣ « قالت طائفة من علماء اللغة ان الجام هو الفاثور » وفي اللسان : الفاثور ، المائدة بلغة اهل الجزيرة . يقال هم على فاثور واحد اي مائدة واحدة . وقال صاحب العين ، أي بساط واحد (المخصص ١٢ : ١٦٢) ومثله قال الليث عن أهل الشام والجزيرة . وفي حديث سويد بن غفلة انه دخل على عليّ فاذا بين يديه فاثور عليه خبز السمر وهو الخشكار (التاج) وفي الاساس : فلان واسع الفاثور .

قلنا الفاثور كله سريانية ܦܛܘܪܐ Potbouro معناها ، مائدة ، خوان ، طبق ، والغالب عليه الرخام والفعل ܐܦܛܪ Apthar : أَولم ، أَدب ، اكل ، وعمّ استعمالها في الشام والجزيرة وكانت لغتها السريانية . وأخطأ صاحب الروض الانف بقوله فيها « سبيكة الفضة والسبيكة لا حروف لها ، او ابريق من فضة » وقول ابن سيده وغيره ان المراد بقولهم هم على فاثور واحد اي المنزلة والبساط

---

(١) الطشتخان او الطستخان ، قصعة كبيرة يُتناول عليها الطعام ، لفظة دخيلة ، والطست لغة في الطشت أو الطس : اناء من نحاس لغسل اليد معرب تست ، الفارسية ، وبالسريانية ܛܣܐ Taço : اناء لغسل الأيدي .

(٢) في أقرب الموارد جمعه اخونة وخُون . وفي كتاب الأشربة : خوان جمعه اخاوين .

انما هو مجاز . وافصح دوفال بنجار الكلمة السرياني وتوافقها والعبراني ص ١٦٦ خلافا لمن زعم انه فارسي، فضلاً عن وجود الكلمة في اللغة البابلية Passuru (پشورو) بلفظ الثاء شيناً «الديانة الآثورية البابلية لدورم ص ٣٦٨» .

فاشَرْشتِين : ܦܫܪܫܬܝܢ Fasharshtine ذكره الحسن بن بهلول في معجمه السرياني العربي عمود ١٨١ و ١٨٣ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ١٦٤٥ قال :[1] الفاشرشتين وسماه «مسيح» [2] أيضاً شستبذان، وقال عبدوس بن يزيد بناه وابن سرافيون، ان الفشر معناه الكرمة البيضاء . وقال الطبيبان جبرائيل آل بختيشوع وشملي [3]، انه الكرمة السوداء التي هي البروانيا البرية Bryonia، وارتأى المطران توما اودو في معجمه «كنز اللغة الآرامية» مج ٢ ص ٣٥٠ انه كرم أبيض وسماه فاشرستين . وقال الشرتوني ص ٩٥٦ انه الكرمة السوداء الثمر [4]، وهو كما عرفه الأمير الشهابي في معجمه ص ١١٥ و ٦٠٢ «نبت معترش ينبت في الحراج له ثمرة عنبية حمراء أو سوداء، وجذور غلاظ شديدة الاسهال تستعمل في الطب» وصرّح بسريانيته . ولكن وقع تصحيف في اسمه «فاشرستين» كما أخطأ الشرتوني بتسميته «الفاشرشير» والصواب ما ذكرناه في أعلاه .

وهو عندنا لفظ سرياني مركب أو لفظ فارسي سرياني معناه : شراب الكرمة البرّية، او الشراب الهاضم، لان «فاشرا» اما أن تعني : الكرمة البرية واما من لفظة ܦܫܪ السريانية Fshar ومدلولها هضم الطعام . وشتين من فعل ܫܬܐ السرياني Shto ومعناته : شرب .

فِجل : قال الجواليقي ص ٢٤٣ «الفِجْل والفُجُل (بسكون الجيم وضمها)

---

(١) جاء به المنصوري وهو كتاب لابي بكر بن محمد بن زكريا الرازي
(٢) هو ابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني .
(٣) كان شملي طبيباً ازهر في القرن التاسع للميلاد .
(٤) وسمى ابن بهلول الكرم الأبيض بالفارسية (سنبدابار) والأسود (هزاركشان) وقيل (ازهركشان) .

أُرومة نبات ، قال ابن دريد وليس بعربي صحيح ، قال وأحسب ان اشتقاقه من (فَجَل الشيءُ يفجُلُ فجلاً ، اذا استرخى وغلظ » اه ، ومثله في شفاء الغليل ص ١٤٦ . هو سرياني ܦܘܓܠܐ Fouglo وصرّح بهذا دوفال ص ١٥٨ .

فَخ : جاء في شفاء الغليل ص ١٤٩ « فخ ، الذي يصاد به الطير معرّب وليس بعربي ، واسمه بالعربية (طرق) وهو اسم وادٍ عربي كذا في المعجم » وقال الخليل هي من كلام العجم ج فخاخ وفخوخ ، وتسميه العرب الطرق (الشرتوني ٢ : ٩٠٦) هو سرياني ܦܚܐ Fabo .

فَدَن : الفَدَن محركة ، صبغ احمر والقصر المشيد (الفيروزابادي ٤ : ٢٥٥ والشرتوني ٢ : ٩٠٨) وأوردها الزمخشري في الأساس ٢ : ١٩٠ ووقعت في معلقة عنترة قال :

فوقفتُ فيهـا ناقتي وكأنها   فَدَن لاقضي حاجة المتلوِّم

واللفظة بالسريانيـة ܐܦܕܢܐ ofadno و ܐܦܕܢܐ afdono ومعناها قصر ، صرح ، جوسق ، مقصورة (ابن بهلول ١ : ٢٤٨) ووقعت في بعض أشعار مار يعقوب السروجي المتوفى سنة ٥٢١ م واعتبرها دوفال سريانية النجار (٣:٨٣) فاما ان تكون معربة من السريانية على ما ترى ، واما من توافق اللغتين .

فَدّان : آلة الحرث . قال الجواليقي ص ٢٤٥ « قال ابو بكر (الفَدَان) نبطي معرّب ، فان شئت فشدّده وان شئت فخففه » وعلق عليه الشارح قال « هذا الذي ذكر ابن دريد انما هو في الفدان مراداً به « الذي يجمع أداة الثورين في القران للحرث . وقيل الثور ، وقيل : الفدان واحد الفدادين وهي البقر التي يُحرث بها ، كما في اللسان . وفيه « قال ابن الأعرابي هو الفَدَان بتخفيف الدال . وقال ابو حاتم : تقول العامة الفدّان والصواب الفَدَان بالتخفيف ، وأما الفدان بمعنى المزرعة أو بمعنى المقدار المعروف من الأرض بمصر ، فلم أجد نصاً صريحاً فيه . ولكن ذكر في اللسان بمعنى المزرعة وضُبط بالقلم بالتشديد ،

والظاهر انه معرّب أيضاً » اه . وفي شفاء الغليل ١٤٧ « وجمعه فدن وأفدنة وقال بعضهم ، المشدّد مقدار معلوم ، والمخفف آلة للزراعة » قلنا الكلمة سريانية ܦܕܢܐ Fadono ومعناها : ثوران يقرنان لحرث الارض ، وآلة للحرث ، ومسافة أربعمائة او ثلثمائة وثلاثين قصبة مربعة . (دليل الراغبين ص ٥٧٦ / ٥٧٧) وفي سفر الملوك الأول ١٩ : ١٩ « فانطلق ايليا من ثم ، فوجد اليشاع بن شافاط يحرث ، واثنا عشر فدّانًا قدامه »[١] .

تفرّج : جاء في تحرير التنبيه للنووي : التفرج لفظة مولدة لعلها من انفراج الغم وهو انكشافه (المزهر ١ : ١٧٩) وفي شفاء الغليل ص ١٥٣ فرجة ، الذهاب للتنزه قال الارجاني :

رياضٌ لعين الناظر المتفرج

وعندنا أنها معربة من السريانية ܦܪܓ Farèg : تفرّج ، تلذذ و ܐܦܪܓ Afrèg فرّج ، أبهج ، نزّه شرح خاطره و ܦܘܪܓܝܐ ، ܦܪܓܐ Fourgoio Fargo انشراح ، فرجة .

فِرْدوس : في الأساس ٢ : ١٩٣ البستان الواسع الحسن ، وفي التاج ٤ : ٢٠٦ قيل عربية وهو قول الفراء او رومية نقله ابن الزجاج وابن سيده . او سريانية نقله الزجاج . وفي الاتقان ص ١٤٠ اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال « الفردوس » بستان بالرومية ، واخرج عن السدي قال الكرم بالنبطية واصله (فرداسا) وعدّها دوفال من الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية وصوابه انها يونانية الأصل Paradeisos اتخذها السريان ܦܪܕܝܣܐ Pardaiço وعنهم أخذها العرب .

فِرْزِل : الفِرْزِل كزِبْرِج : القيد والمقراض يقطع به الحدّاد ، والحديد .

---

[١] ذكر (دوفال) ان فِرث ܦܪܬܐ Pertho : بعر ، سرجين وفرّجون : ܦܪܓܘܢܐ Fargouno محسّة ، من الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية (ص ١٦٥ و ١٦٣) .

وفرّز له : قيده . لفظة سريانية ܦܪܙܠܐ Farzlo : حديد ، قيد ، محزر ، سكين . و ܦܪܙܠܢܝܐ و ܦܪܙܠܝܐ Farzlonoio , Farzloio فرزلي ، حديدي ، والفعل ܦܰܪܙܶܠ farzèl فرزل ، قيد .

فُرْزوم : ستر (اللباب) مِئزَر وهو السراويل ، نوع من الثياب يقال له المِرْط او المئزَر . وفي أقرب الموارد : الفُرزوم نوع من الثياب يقال له المرط أو المئزَر . وفي الجواليقي ص ٢٦٦ « قال ابو بكر : وتسمي عبد القيس المِرْط والمِئْزر : فُرزُوماً ، بالفاء وأحسبه معرّباً » وفي الهامش : قال ابن دُريد أيضاً ٣ : ٣٣٧ فأما الفُرزوم بالفاء فإزار تأتزر به المرأة في لغة عبد القيس وأحسبه معرّباً » والمادة بهذا المعنى لم تذكر في اللسان ولا في القاموس . قلنا هي سريانية ܦܪܙܘܡܐ frozoumo والفعل ܐܬܦܪܙܡ Ethfarzam : تأزر لبس سراويل . فاللفظ معرب من السريانية [1] .

فُرْصة : وسيلة ، واسطة ، وفي أقرب الموارد والمصباح ، النوبة وفي السريانية ܦܘܪܣܐ ، ܦܘܪܨܐ fouroço , fourso والفعل ܐܬܦܪܣ Ethfarace : انتهز فرصة . وذهب الاستاذ بندلي انها يونانية الاصل Peros ومن السريانية أخذها العرب . (مجلة مجمع اللغة العربية ٣ : ٣٤٤) .

فَرط : فرّد ، حبّب الرمان . وفي شفاء الغليل ١٥١ « فرط » العامة تقول لتبديد حبات العقد والرمان ونحوه ، تفريط ، وهو مجاز قريب مولد . اه ، وبالسريانية ܦܪܶܕ farèd .

فُرطوسة ، وفِرطيسة الخنزير : انفه وكذلك فِنطيسة الخنزير : خطمه :

---

(١) فُرشان : أورد ابن جرير التكريتي هذه اللفظة في كتابه المرشد ، الباب ٥٤ قال « ان يؤخذ من البركة اولا وهي الفرشان المقسوم على المذبح الذي قد بورك » اه ، وهي معرب ܦܘܪܫܢܐ ويقال فيها (برشان) وقد مرت بك .

ܦܪܛܘܫܐ بالسين المعجمة fartousho والفعل ܦܪܛܫ fartèsh : فرطس ، مدّ فرطوسته [(١)] .

فَرْفَخ : في اقرب الموارد ٢ : ٩٢٠ « الفرفخ البقلة الحمقاء التي يقال لها الفرفير وهي الرجلة ، معرّب ، وفي معجم الشهابي ٥١٦ « رِجلة ، بقلة حمقاء ، بقلة مباركة ، فَرفَحين ، وفرفحينة في لبنان . وهما من السريانية ، بقلة عشبية لحمية تزرَع ، وكثيراً ما تنبت في الزروع » ܦܪܦܚܝܢܐ farfhiné .

فاروق : جاء في المصباح ص ٧٢٢ « الفاروق الرجل الذي يفرق بين الامور اي يفصلها » . وزاد الشرتوني : ولقب عمر بن الخطاب . وفي معجم البلدان ٧ : ٢٩٨ « قال علي بن ابي طالب في مسجد الكوفة ... وهو الفاروق » . والفاروق في عُرفنا المسيحي هو المخلص والمنقذ وهو سيدنا المسيح : جاء في مصحف الناموس للروم في فصل « حقوق الله » (هكذا يقول سيدنا المسيح ووسيطنا وفاروقنا) وورد الفاروق أيضاً بمعنى الواقي والمنجي من الهلاك ومنه في كتاب العنوان للمطران اغابيوس المنبجي الرومي ص ١٨ طبعة بيروت قال « وكان شيخه (شيخ جالينوس) في الطب طبيب اسمه اليانوس ، وهو الذي توجه الى مدينة انطاكية في السنة التي وقع الموت باهلها ومعه ترياق (الفاروق) فمن شرب منه قبل ان يمرض نجا ، والذين شربوه بعد المرض منهم نجا ومنهم هالك » وقال البيروني ص ٣١١ وكالفاروقة وتفسيرها : النجاة .

والكلمة سريانية ܦܪܘܩܐ forouqo وهي اسم فاعل من فعل ܦܪܩ fraq الذي يعني : فرق ، فصل وخلّص ونجّى . وبهذا المعنى جاء الفاروق في عرفنا . أما فعل فرق العربي فلا يتناول معنى خلص ونجى ونحوهما . والمصدر من ܦܪܩ

---

(١) قال ابن دريد ٣ : ٢٦ « الفِطَـّيس المطرقة العظيمة هي اما سريانية واما رومية الا ان العرب قالت فطّيسة الخنزير يريدون بها أنفه (ابن سيده ١٢ : ٢٥٨) وفي الجوالبقي ص ٢٤٥ عن ابن دريد « ليست بعربية محضة اما رومية واما سريانية » .

ُفرقان : ܦܘܪܩܢܐ fourqono ومعناه خلاص ، نجاة ، نصر ، فدية ، حق ، ملك . وبهذا المعنى وردت في القرآن في سورة الأنفال « ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » فشرحه ابن سعيد بقوله : الفرقان ، النصر على الأعداء . وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفرقان » يوم النصر . أخذاً من السريانيه . هذا وبمعناه استعملوه للقرآن فقالوا دعي القرآن « بالفرقان » لأنه يفرق الحق من الباطل ، وفسروه أيضاً في قوله في سورة البقرة « آتينا موسى الكتاب والفُرقان » بمعنى التوراة [1] .

فَرنَسة المرأة : حسن تدبيرها وهي ُمفرنسة والنون زائدة . (أقرب الموارد) ولا فعل عربي لهذه اللفظة . وهي سريانية ܦܘܪܢܘܣܐ fournoço مصدر فعل ܦܪܢܣ farnèce ومعناه : ساس ، ودبَّر ، اعتنى ، رتّب .

فَريسة : برشانة التقديس : مسيحية سريانية ܦܪܝܣܬܐ fristo اقتصر على ايرادها ابليا ابن السني في ترجمانه .

ُفستُق : الفستق وتاؤه مضمومة ومفتوحة ، جنس اشجار مثمرة وحرجية من فصيلة البطميات (الشهابي ٥٠١) وفي المصباح بتصرف (ص ٧٢٤) نُقل معروف وهو معرّب والتعريب حمل الاسم الأعجمي على نظائره من الأوزان العربية ، وفي البارع وتقول العامة ُفندَق وُفستَق بالفتح والصواب الضم ، نقله الاصمعي وثوب ُفستُقي بالضم اهـ . وفي شفاء الغليل ص ١٤٨ « فستق معروف معرّب » والذي عندنا انه ورد في السريانية والعبرية ، ومنه في سفر التكوين ٤٣ : ١١

---

(١) ُفرْن : قال الجواليقي س ٢٤٤ وكذلك « الفُرن الذي ُيختَبز فيه « ليس بعربي محض » ومنه اشتقاق اسم (الفُرنيّة) وفي الجمهرة ٢ : ٤٠٢ « والفُرن شيء ُيختبز فيه ولا أحسبه عربياً محضاً » وفي المجمل : الفرن : ليست عربية محضة (أقرب الموارد ٢ : ٩٢٢) وفي مجلة مجمع اللغة ١ : ٤٢ (الفرن الخبز معرّب والفارنة الخبّازة) . قلنا هو لفظ لاتيني النجار من fornax ومنه أخذت الفرنسية : fourneau « قاموس ميخائيل Thiel ص ٦٤٦ » ومن اللاتينية أخذه السريان بلفظة ܦܘܪܢܐ fourno .

« ولاذنًا وفستقًا ولوزًا » ܦܣܬܩܐ Pestho وأثبته دوفال في عداد الفاظ اللغتين ٣ : ١٦٢ واستعملته اللغات اليونانيـة واللاتينيـة والطليانيـة والفرنسية والانكليزية والفارسية (انظر معجم Chambers في اللغة الانكليزية ص ٥٩٦) والتركية (معجم كاكيان ص ٨٩٨) .

فَسَر الطبيب فَسْرًا وتفسِرةً : نظر الى بول المريض ليستدل به على شيء من أمره . والتفسرة مصدر او هي البول يستدل به ... أو القارورة التي فيها بول المريض ليعرَض على الطبيب . وفي القاموس ٢ : ١١٠ او هي مولدة . ووردت في جميع الكتب الطبية .

قلنا انها لفظة سريانية الاصل ܬܦܫܘܪܬܐ Tafshourtho و ܦܫܪܐ fashro و ܦܫܪܬܐ fshartho بمعنى . والفعل ܐܬܦܫܪ Tafshar : بال المريض خاصةً . وليست كما زعم الراغب في مفرداته بقوله فيها ص ٣٨٩ « الفَسْر اظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما يُنبيء عنه البولُ : تفسِرة » [1] .

فَشَّ : جاء في المصباح ٢ : ٧٢٦ فشَّ الرجل الباب فهو فشّاش ، اذا فتح الغلق بآلة غير مفتاحه حيلةً ومكرًا » وفي شفاء الغليل ص ١٥٣ « فشَّ القفلَ اذا فتحه بغير مفتاح » فهي لفظة دخيلة في العربية وأراها معربة من السريانية ܦܫ fash فشَّ ، ارخى ، حلَّ ، ومشتقاتها بمعنى .

فُشار : قال صاحب شفاء الغليل ص ١٤٦ « الفشار للهذيان ليس من كلام العرب كما في القاموس » وفي التاج « الفشار كغراب ، الذي تستعمله العامة بمعنى الهذيان وكذا التفشير ليس من كلام العرب وانما هو من استعمال العامة » قلنا الفعل ܦܫܪ fshar سرياني معناه هذى ، بذى ، فشر ، والمصدر ܦܫܪܐ

(١) فسقيّة : «مجمع الماء جمعه فساقي اشتهر في الاستعمال وعبارات الفقهاء ولا أدري له أصلًا» (شفاء الغليل ص ١٥٢) قلنا اللفظة لاتينية النجار Piscina وصرّح به الشرتوني ٢ : ٩٢٥ ومن اللاتينية أخذتها السريانية ܦܣܩܝܢ Peskine : قناة ، بركة ، صهريج ، وبوساطتها أخذتها العربية . ومن اللاتينية سرت الى الفرنسية Piscine والانكليزية Piscina .

fshoro و ܦܘܫܪܢܐ foushrono والفاعل من ܦܫܪ المتعدي fashar ܦܫܪܐ fashoro : فشّار ، هذّاء ، كذّاب ·

فِصْح : لفظة عبرية الأصل (Pésach پيساخ) ألحقت بها الف بحسب الطريقة الآرامية فصارت ܦܨܚܐ پسخا Pascha بالسين المهملة وعربوها ولا سيما اليهود : فِسْح · وأوردها ابن بهلول في معجمه عمود ١٥٨٩ و ١٥٩٦ ܦܣܚ ، ܦܣܚܐ و ܦܨܚܐ : الفِسح او الفصح · وهو عند اليهود عيد تذكار خروجهم من مصر بعبور البحر الأحمر ودخولهم أرض الميعاد بعد ذبحهم خروف الفصح · وعند المسيحيين عيد القربان الإلهي المعروف بالفصح الجديد ويكون في الخميس السابق عيد القيامة ويسميه السريان خميس الفصح ، ويطلق أيضاً على عيد القيامة نفسه ، ومن العبرية أخذ السريان هذه اللفظة فأبدلوا السين بالصاد وقالوا فيها ܦܨܚܐ Pes - ho فِصح وبلفظهم هذا نقلها عنهم العرب ولم ترد عندهم إلا في فصح النصارى ، قال الأعشى يمدح هوذة بن علي النصراني الذي أطلق اسرى بني تميم يوم عيد الفصح :

بهم تقرّبَ يوم الفِصح ضاحيةً يرجو الالٓهَ بما أسدى وما صنعا [1]

واتفقت اللغتان العبرية والسريانية على معنى الفصح اللغوي وهو العبور والاجتياز أما الأولى ففي الفعل الثلاثي Pésach وأما الثانية ففي المزيد ܐܦܨܚ Afsah ودليله في السريانية ما ورد في سفر الخروج بحسب الترجمة السريانية البسيطة ١٢ : ١٣ « ويكون الدم علامة لكم على البيوت التي انتم فيها فأرى الدم واجوز عنكم » وبالسريانية ܐܦܨܚ ܥܠܝܟܘܢ Efsah elaicoun والفعل ܐܦܨܚ يعني جاز وعبر ، وأيضاً عيّد وأكل الفصح « كنز اللغة السريانية ص ٣١٣ ودليل الراغبين ص ٦٠٠ [2] و ܐܬܦܨܚ Ethfasah للمعنى الثاني فقط · وجمع

---

(١) النصرانية وآدابها لشيخو ١ : ٢١٦

(٢) فضلاً عن فعل ܦܣܥ Fsaa ومعناه عبر ، جاز ، جاوز وكذا في العبرية

الفصح فصوح قال البيروني ص ٣٢٣ « ثم نستخرج من هذه الفصوح المصححة فِطر الصابئين » والفعل أفصح يقال أفصح النصارى واليهود : حان فصحهم ·

ودخلت لفظة الفصح اكثر اللغات بوضعها كاليونانية Paska واللاتينية Pascha [1] والنسبة اليها Pasckalis و Paskalios فصحي ، ومن اليونانية انتقلت الى الحبشية Pâska . Pésch والفرنسية Pâque [2] والانكليزية Pasch [3] وغيرهما من اللغات الغربية والأرمنية Passèk والتركية : باسقاليه [4] أخذاً من اليونانية بلفظها المنسوب اليه · ولا يزال الأقباط يلفظونها بحسب الوضع العبري فيقولون جمعة البسخة

أفصي : تفصّى : تخلص من خير او شرّ ، وانفصى من الشيء تخلص وخرج منه · وفي أساس البلاغة ٢ : ٢٠٣ « وقع في مالا يقدر على التفصي منه ، وليتني أتفصّى من فلان أي أتخلص منه وابينه » وأورد ياقوت في خبر مدينة البصرة ، « قال نافع بن الحارث ان اخته لما أخذت الأُرز توقد تحته ، نادت ألا انه (يتفصّى) من حُبيبة حمراء » معجم البلدان ٢ : ١٩٤ والفَصية : المرّة واسم بمعنى التخلص تقول فضى الله لي بالفصية من هذا الأمر · هذه المادة تتفق فيها اللغتان السريانية التي تكثر استعمالها ونظن اصل الكلمة منها ، والعربية التي يندر فيها استعمالها · ففي السريانيــة ܦܨܐ fso و ܦܰܨܺܝ faci : فصى ، فصّى ، خلّص ، استنقذ و ܐܬܦܰܨܺܝ Ethfaci : تفصّى و ܦܘܨܳܝܬܐ fsoito : نجاة ، فَصية · وتوافقها العبرية في الثلاثي Pso بمعنى (المعجم السرياني اللاتيني للاب برون ص ٥٠٤) ·

(يتبع) **مار اغناطيوس افرام الاول برصوم**

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس



---

(١) قاموس Thiel ص ١١٢٣ (٢) فيه

(٣) معجم اللغة الانكليزية تأليف Chambers ص ٥٧٤

(٤) قاموس كلكيان ص ٣١٣

كنوز الأجداد

- ١٢ -

أبو الفرج الاصفهاني

علي بن الحسين

(٣٥٦)

قيل انه من ولد هشام بن عبد الملك وساق ياقوت نسبه هكذا : علي بن الحسين ابن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد في اصفهان وأخذ العلم في بغداد عن ابن دريد وابن الانباري والجمحي والأخفش ونفطويه وكتب عليه أن يتنقل في البلاد وانتهى الى أن أصبح من ندماء الوزير المهلبي ووصل الى سيف الدولة ابن حمدان . وصفه ياقوت بالعلامة النسابة الاخباري الحُفَظَة الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه وكان مع ذلك شاعراً مجيداً .

وقال التنوخي كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم يحفظ مثله أحد ويحفظ دون ذلك من علوم أخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك وله شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء والشعراء .

كتب المؤلف مصنفات كثيرة أجاد فيها وأجلها كتاب الأغاني جمع فيه الأصوات القديمة وما قيل فيها وتراجم الأدباء والشعراء وأخبار الحضارة والعلم

بما لم يكتب لكثيرين ان يجيدوا فيه ، فالأغاني كتب كثيرة في كتاب ، انتفع به كل مؤلف وكل أديب وكل شاعر وكل ناثر على اختلاف العصور ولو قد كتب له الضياع لفقد الأدب العربي بفقده أعظم جزء مهم . ومن عظمة هذا الكتاب ان فيه أخباراً اقتبسها من كتب لم تصل الينا وقد حمله أشعاراً وقصصاً من الأدب المكشوف لا تروق الافرنج طريقتها وتلائم العرب لعهدنا في الاشمئزاز من كتبها وتلاوتها وانشادها .

وقد استغرب من ترجموا لأبي الفرج بانه كان على نزعة شيعية مع انه أموي من صميم بني أمية والغالب ان بيئته اوحت اليه ذلك وكانت بعض الكتب التي اعتمد عليها من مؤلفات الشيعة . وقيل انه كان يؤلف بعض الكتب ويرسلها الى ذوي قرباه من الأمويين في الأندلس ويجيزونه عليها سراً . وهذا كتابه الأغاني اهداه لسيف الدولة بن حمدان وهو شيعي فأجازه عليه بألف دينار وبلغ الصاحب بن عباد فقال: لقد قصر سيف الدولة وانه يستاهل أضعافها ووصف الكتاب فأطنب ثم قال : ولقد اشتملت خزانتي على مائتين وستة آلاف مجلد ما منها ما هو سميري غيره ولا راقني منها سواه . قال ابو محمد المهلبي سألت أبا الفرج في كم جمعت هذا الكتاب فقال في خمسين سنة . قال ياقوت : « ولعمري ان هذا الكتاب لجليل القدر ، شائع الذكر ، جمّ الفوائد ، عظيم العلم ، جامع بين الجد البحت ، والهزل النحت » .

جمع الاصفهاني كتابه من كتب من سبقوه الى خوض هذه الموضوعات ومن دواوين الشعر والخطب والأخبار ما عزّ على غيره استيفاء مثله . جمعه بذوق عال شفاف حتى لينسى قارئه ان ابا الفرج جماعة قلّ ان يأتي بشيء من عنده واذا أتى به كان من الجيد الممتع لا يخرج كتابه عن منهاجه ولا يحيد عن ترتيبه . وأسلوبه السهل الممتنع في الكتابة وربما كان كاتباً أكثر منه شاعراً وان نسب المؤلفون اليه الشعر ووصفوه بالجودة . فالأغاني مفخرة لغة العرب

لو اقتصر متأدب عليه لجاء منه أول أديب لأنه يظفر فيه بأدق الشعر وأجزل الخطب الى ما هناك من أخبار وطرف وسيَر ومجالس وبدائع كتبهـا بجرأة ظاهرة وما عمد الى شيء من التقية في تقييدها وتدوينها .

ورموا أبا الفرج بانه كان مستهتراً في سيرته شأن بعض الندماء في العصر العباسي وكيف يمتنع النديم عن أشياء حظرها العرف والشرع وهي معروضة عليه كل ساعة وبها قد ينفق على مخدومه . وكما كانت بيئته الأصلية أوصلته الى القول بالتشيع لأهل البيت وهو من أسرة منافسة لهم ساقته الندامة الى ارتكاب امور كان يعف عنهـا لو لم يصل الى تلك المجالس والملاهي . ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه .

ثم ان من الطبيعي ان يرجع من يكتب كتاب « مقاتل الطالبيين » الى مصادرهم ويرشح فكره من أفكارهم ، وكما ان من يتوسع في الترجمة لأبي نواس وينقل شعره العاهر بدون حرج يحكم على المؤلف انه كان في كتاب « مقاتل الطالبيين » شيعياً جلداً [1] وفي الشعر النواسي خليعاً ماجناً . وكتاب الأغاني على أي حال هو معلمة أدب أو أكبر معلمة في أدب العرب لا يستغني عنـه كاتب ولا مؤلف ولا تلميذ ولا أستاذ . كتبه مؤلفه في السنين الطويلة ولم يدخر وسعاً في تجويده فجاء كما أراد هو وأراد الأدب وحاول بعض المتزمتين اختصاره فما أتوا بكبير أمر وبقيت قلوب الدارسين والمتلهين لا تعلق لهـا بغير قراءة الأصل والاعتماد عليه .

ألف كتاب الأغاني في عصر نضجت فيه الآداب نضجاً لم يتيسر لها في القرون التالية ان وفقت الى أكثر منه فهو بلغته السامية ومادته الواسعة من النمط

---

(١) يقول صديقي الأستاذ المحقق شفيق جبري انه أمعن النظر كثيراً في كتاب الأغاني فرآه ينقل ما يرميه بالتشيع وما تثبت به براءته منه فهو بريء من التشيع اذا اعتبرنا مجموع كلامه . واذا صح رأي الأستاذ الحبيب يخرج أبو الفرج من تهمة ألصقت به زمناً طويلاً لأني ما رأيت مؤلفاً من القدامى الا وتأثر بشيعيته .

العالي ، وفي جودة تأليفه المثل السائر بين المؤلفات ، صرف مؤلفه في تصنيفه نقد عمره فخلد اسمه تخليداً لم يبلغه من ألفوا مجلدات أكثر من مجلداته ، ذلك لأن هؤلاء كتبوا برؤوس أناملهم من حاضر الوقت وكتاب ابي الفرج كتبه بتحقيقه وجمال ذوقه وخلع على ما جمع حلة شائقة من ظرفه ، ومجموع هذا دلّ على نبوغ تفرّد به في هذا الباب من دون أكثر المؤلفين ، ومثل هذا التأليف اذا أرادت أمة عظيمة من أمم الحضارة الحديثة أن تخرجه للناس لا يعمل فيه أقلّ من خمسين عالماً اخصائياً في فنه وابو الفرج عمل وحده وكان نسيج وحده ، فالأغاني كنز من كنوز الأجداد ومفخرة الآباء والأبناء والأحفاد .

ومما روي من شعره ما قاله في هجو المهلبي :

أبعين مفتقر اليك رأيتني بعد الغنا فرميت بي من حالق
لست الملومَ أنا الملوم لأنني أملت للاحسان غير الخالق

ومنه :

حضرتكم دهراً وفي الكم تحفة فما أذن البواب لي في لقائكم
اذا كان هذا حالكم يوم اخذكم فما حالكم تالله يوم عطائكم

وذكروا ان صاحب الأغاني كان كاتباً لركن الدولة حظياً عنده محتشماً له وكان يتوقع من الرئيس ابي الفضل بن العميد ان يكرمه ويبجله ويتوفر عليه في دخوله وخروجه وعدم ذلك منه فقال :

مالك موفور فما باله أكسبك التيه على المعدم
ولِمْ اذا جئت نهضنا وان جئنا تطاولت ولم تتمم
وان خرجنا لم تقل مثل ما تقول « قدم طرفه قدّم »
انْ كنت ذا علم فمن ذا الذي مثل الذي تعلم لم يعلم
ولست في الغارب من دولة ونحن من دونك في المنسم
وقد ولينا وعزلنا كما انت فلم نصغر ولم نعظم
تكافأت أحوالنا كلها فصل على الانصاف او فاصرم

وقد روى ابو حيان في كتاب الوزيرين من تصنيفه من خبر هذه الأبيات غير هذا

ومن قوله في المهلبي :

ولما انتجعنا عائذين بظله أعان وما عنّى ومنّ وما منّا

وردنا عليه مقترين فراشنا ورُدنا نداه مجدبين فأخصبنا

وله من قصيدة يستميحه :

رهنت ثيابي وحال القضاء دون القضاء وصد القدر

وهذا الشتاء كما قد ترى عسوف عليّ قبيح الأثر

نعادى بصرّ من العاصفا ت أو دمق مثل وخز الابر

وسكان داري ممن اعو ل يلقين من برده كل شر

فهذي تحن وهذي تئن وأدمع هاتيك تجري درر

اذا ما تململن تحت الظلام يعللن منك بحسن النظر

ولاحظن ربعك كالمحلين شاموا البروق رجاء المطر

يؤملن عودي بما ينتظرن كما يرتجى آيب من سفر

شعر لطيف ولكنه بعيد عن عزة النفس ما كان يليق صدوره من مثله ٠

عماد الدين الكاتب الاصفهاني

محمد بن محمد

(٥٩٧)

قالوا خرج من اصبهان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن وعلى الخصوص علم الاسناد فان أعمار أهلها تطول ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ولها عدة تواريخ ٠ والعماد الكاتب هو من هذه المدينة الجميلة نشأ بها وجاء بغداد شاباً فانتظم في سلك طلبة المدرسة النظامية وتفقه بأجلة فقهائها ومحدثيها واجازوا له ثم رجع

الى اصفهان فتفقه بهـا أيضاً على الخجندي والوركاني وعاد الى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبغ واتصل بالوزير يحيى بن هبيرة فولاه النظر في البصرة ثم بواسط ولما توفي ابن هبيرة أقام العماد ببغداد مدة منكد العيش ثم انتقل الى دمشق فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالمدرسة النورية وكان للعماد معرفة بنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين ، عرفه بتكريت حين كان نجم الدين والياً عليها ، فلما سمع نجم الدين بوصوله بادر للسلام عليه في منزله ومدحه العماد بقصيدة جاء في مطلعها :

يوم النوى ليس من عمري بمحسوب ولا الفراق الى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى كرها بما ليس يامحبوب محبوبي

وكان القاضي الشهرزوري يذكر العماد عند السلطان نور الدين وذكر له تقدمه في العلم والكتابة وأهله لكتابة الانشاء فتردد العماد في الدخول فيما لم يتقدم له اشتغال طويل به ، مع توفر مواد هذه الصناعة عنده ، خوفاً من التقصير فيما لم يمارسه ثم أقدم بعد الاحجام فباشرها وأجاد فيها حتى زاحم القاضي الفاضل بمنكب ضخم . وكان ينشئ الرسائل بالفارسية أيضاً فيجيد فيها اجادته بالعربية .

وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحب سره وفوض اليه تدريس المدرسة العمادية وولاه الاشراف على ديوان الانشاء . ولما توفي نور الدين وولي ابنه الملك الصالح اسماعيل اغراه بالعماد جماعة كانوا يحسدونه ويكرهونه فخاف على نفسه وخرج من دمشق قاصداً بغداد فوصل الى الموصل ومرض بها ولما أبل من مرضه بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر قاصداً دمشق ليستولي عليها فعزم على الرجوع الى الشام وخرج من الموصل فوصل الى دمشق وسار منها الى حلب فلزم بابه ينزل بنزول السلطان ويرحل برحيله .

هذا ما نقله ياقوت قال ولم يزل يغشى مجالسه ملازماً لخدمته حتى قربه واستكتبه واعتمد عليه فتصدر وزاحم الوزراء وأعيان الدولة وعلا قدره وطار صيته .

قالوا ولما دخل القاضي الفاضل على صلاح الدين لما أدخل عليه العماد الكاتب قال له غداً يأتيك تراجم الأعاجم وما يحلها مثل العماد . فقال له السلطان مالي عنك مندوحة أنت كاتبي ووزيري ورأيت على وجهك البركة فاذا استكتبت غيرك تحدث الناس . فقال : العماد يحل التراجم ولربما أغيب أنا فاذا غبت قام مقامي . وكان اذا انقطع القاضي الفاضل عن الديوان ناب عنه في النظر عليه وألقى اليه السلطان مقاليده وركن اليه باسراره فتقدم الأعيان وأشير اليه بالبنان .

وكان عماد الدين محل ثقة القاضي الفاضل آمناً من توثبه عليه ولهذا كان يطمئن اليه اذا غاب عن السلطان . وكان شديد الحرص على تحصيل الدنيا وكان الفاضل يلومه ويعتبه ويعذله ويؤنبه على ذلك فلا يرعوي وله في هذا حكايات منها أن رجلاً من أهل حمص جاءه بطبق كيزان وتفصيلة كتان قيمة ذلك كله نحو خمسين درهماً وسأل حاجة فأخذ قصته وقرأها على السلطان وكان قد بلغه الخبر فلم يجبه ، فأعاد العماد عرض القصه وقراءتها مرات في مجالس عدة والسلطان لا يأمر فيها ولا ينهى ففطن العماد وعلم أن الخبر قد اتصل بالسلطان فأعاد عرض القصة فلم يجبه عنها . قال : يا مولانا الطبق الذي أحضره صاحب هذه القصة باق الى الآن لم أنصرف فيه فان كان ما ينقضي شغله أعدت عليه طبقه فضحك السلطان وعجب من دناءة نفسه وأمر بقضاء شغل الرجل .

وكان شديد التهافت على أخذ الختوم الذهب التي تجيء على كتب الفرنج ، فوصل منهم كتاب بغير حضوره ففتحه السلطان بيده وأخذ بعض الحاشية الختم فلما جاء العماد قيل له اكتب جواب هذا الكتاب ، فقال يكتب جوابه من أخذ الختم فعز قوله على السلطان وقال له : قم اخرج ، الوقت ما هو محتاج اليك . فأتى الى الفاضل وعرّفه ما كان فقال له رُح الى الخانكاه واقعد بها مع الفقراء والبس زيهم ، فاذا طلبك السلطان قل انا دخلت في أمر لا أخرج منه ثم لا تخرج حتى يأتيك السلطان بنفسه مترضياً . وكان من هذا التدبير ان جاءه السلطان وترضاه . ومن شعره :

هي كتبي فليس تصلح من بعـ ـدي لغير العطار والاسكاف

هي اما مزاود للعقاقيـ ـر واما بطائن للخفاف

ولما توفي صلاح الدين اختلت أحوال العماد ولزم بيته وأقبل على التصنيف والافادة حتى توفي سنة ٥٩٧ . وله من المصنفات خريدة القصر وجريدة العصر تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد المائة الخامسة الى ما بعد سنة سبعين وخمسمائة وله البرق الشامي والفتح القسي في الفتح القدسي وهذا مطبوع وله غير ذلك من الكتب والدواوين .

أما انشاؤه فسجع وفي الفتح القسي منه مثال يأتي على حلم الحليم ، لما أكثر فيه من الجناس وأتى من أنواع البديع وقد شهد القاضي الفاضل بانه كالزناد ظاهره بارد وباطنه فيه نار . ونحن نقول ان شهرته أعظم من حقيقته . لا جرم انه متمكن من اللغة يصرفها كما يشاء بقلمه وتكلفه لا يخفى على صاحب هذا الفن . وفي الفصل الذي عقده في الفتح القسي لوصف نساء الافرنج اللاتي فدين أنفسهن في الحروب الصليبية للترفيه عن بني قومهن في فلسطين مثال بين من ذلك . وما قيل في نثره يقال في شعره فانه يكثر فيه الجناس أيضاً حتى يفقد سلاسته ولنا ان نقول انه شاعر أرقى من الوسط وناثر كذلك ، هيأت له الايام شهرة طالما تخطت من بذوه وما ساواهم في أدبهم وأخلاقهم . ومن قصائده الطوال في مدح السلطان صلاح الدين ضمنها فتح القدس وفلسطين قال في مطلعها :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا

وأسأل عنكم عافيات دوارس غدت بلسان الحال ناطقة خرسا

معاهدكم ما بالها كعهودكم وقد كررت من درس آثارها درسا

وقد كان في حدس لكم كل طارف وما جئتم من هجركم خالف الحدسا

أرى حدثان الدهر ينسى حديثه وأما حديث الغدر منكم فلا ينسى

تزول الجبال الراسيات وثابت رسيس غرام في فؤادي لكم أرسى

حسبت حبيبي قاسي القلب وحده وقلب الذي يهوى بحمل الهوى أقسى

ومنهـا :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى

وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر ولسنا نرى الا أنامله الخمسا

سجيته الحسنى وشيمتـه الرضى وبطشته الكبرى وعزته القعسا

فلا عدمت أيامنـا منه مشرقاً ينير بما يولي ليالينا الدمسا

جنودك أملاك السماء وظنهم أعاديك جناً في المعارك او انسا

ومن غزلياته قوله :

أفدي الذي خلبت قلبي لواحظه وخلفت لذعات الوجد في كبدي

صفـات ناظره سقم بلا ألم سكر بلا قدح جرح بلا قود

على محياه من نار الصبا شعل وورد خديه من ماء الجمال ندي

ومن حكمياته :

اقنع ولا تطمع فان الغنى كماله في عزة النفس

فانمـا ينقص بدر الدجى لأخذه الضوء من الشمس

وقال : وما هذه الأيام الا صحائف يؤرخ فيها ثم يمحى ويمحق

ولم أر في دهري كدائرة المنى توسعها الآمال والعمر ضيق

ابن القلانسي

حمزة بن اسد بن علي ابو يعلى التميمي

(٥٥٥)

ترجم له ابن عساكر فوصفه بالعميد وانه كانت له عناية بالحديث وكان أديباً له خط حسن ونثر ونظم . وكان فيه تخصص وصنع تاريخاً للحوادث بعد سنة اربعين واربعمائة الى حين وفاته ، وتولى رياسة دمشق مرتين ، وكان يكتب

له في سماعه ابو العلاء المسلم بن القلانسي فذكر انه هو وانه كذلك كان يسمى

وفي تاريخ الاسلام انه كان كاتباً أديباً وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب وحمدت ولايته توفي في عشر التسعين . وفي طبقات الأدباء انه الأديب الكاتب الشاعر المؤرخ كان من اعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ولي رياسة ديوانها مرتين . وقالوا فيه أيضاً انه كان كاتباً مترسلاً أي متثبتاً ومعنى انه كان فيه تخصص انه يعرف علوماً اختص بها لا يعرفها غيره او فاق فيها غيره

وكل ذلك لا يفي بالغرض في الترجمة له وكأن السياسة غالت أدبه ، والرياسات تقتضي صرف أوقات . ولم يصرح من ترجموا لابن القلانسي هل كانت ملكة السياسة فيه أمتن أم ملكة العلم والأدب ؟ وعندي ان كل واحد منهما اعان الشق الآخر على النمو ، ولولا أدبه ما وصل الى هذه المرتبة ، ولولا سياسته ما انتفعت به بلده وعد من حسناته ، ولولا جميل اخلاقه ما حمدت ولايته . والأرجح أن ابن القلانسي حصر جهوده في مدينته وما ينفعها ولم يتعد اجتهاده الى بحث غيرها فأنقص ذلك من شهرته ، ولو رحل الى عواصم أخرى وأطال الرحلة لذكرته تواريخ هذا الشرق القريب ولعرفنا أموراً نجهلها عنه مما شغل به في خدمة وطنه

الف ابن القلانسي تاريخه ذيلاً لابن عساكر وكان فيه قسم لأواخر عهد الفاطميين وقد ذكر من ظلمهم وتقلقل سياستهم ما كان فيه حجة لأنه دمشقي يكتب في دولة ظالمة تحكم امة يخالف سوادها الأعظم في مذهبهم . وهو من سياسة البلدة في صميمها ومن بعد النظر وسعة العقل بالمكان الأسمى .

وصف بعض رجال الفواطم وبعض ملوكهم أجمل وصف كما أحسن الاحسان كله في الترجمة لمن ترجم لهم من الطارئين على الفيحاء من العلماء ومنهم من رثاهم على قرب عهده بصداقتهم . وما أجمل قوله في وصف الحاكم بأمر الله : وقال المغالون في المذهب انه غائب في سره (؟) ولا بد ان يؤوب ، ومستتر في غيبه ولا بد ان يرجع الى منصبه ويثوب ، ووصف ولاية معلى بن حيدرة بن منزو

على دمشق وقد وليها قهراً وغلبة وقسراً من غير تقليد ، ولم يلق أهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جبيش بن الصمصامة ما لقوه في ولايته . وفي أيام الفاطميين تغلب على دمشق قسام الحارثي من أهل تلفيتا في جبل سنير وكان تواباً ينقل التراب على ظهور الدواب .

ومن ذكاء ابن القلانسي انه كان يلتزم الكتمان في بعض الأحوال ، بخاصة هو يعرف ان الدول في عصره متقلقلة متحولة ، فمن فاطمية الى سلجوقية الى نورية وهو لا يعرف لمن تتم الغلبة الأخيرة ولهذا كان يجمجم أحياناً وهو على صواب في جمجمته ويتقي وهو غير آثم في تقيته . قال ولما اضطربت المسالك والأعمال ، وانطلقت أيدي التركمان والحرامية في الافساد في الأطراف ، واستولى نور الدين محمود على دمشق قال قصيدة مطولة وقال انها نظمت (للمجهول) في صفة هذه الحال أبيات شعر تنطق بذكرها بانها له لأنه سبق له أن نظم في الحكم كثيراً . جاء في آخرها :

ومن ذا الذي ينجو من الدهر سالماً   اذا ما أتاه الأمر والله حاتمه (؟)
ومن رام صفواً في الحياة فما يرى   له صفو عيش والحمام يحاومه
فاياك لا تغبط مليكا بملكه   ودعه فان الدهر لا شك قاصمه
فان كان ذا عدل وأمن لخائف   فلا شك ان الله بالعدل راحمه
وقل للذي يبني الحصون لحفظه   رويدك ما تبني فدهرك هادمه
فكم ملك قد شاد قصراً مزخرفاً   وفارق ما قد شاده وهو عادمه
وأصبح ذاك القصر من بعد بهجة   وقد درست آثاره ومعالمه
وفي مثل هذا عبرة ومواعظ   بها يتناسى المرء ما هو عازمه

ومن شعره :

يا من تملك قلبي طرفه فغدا   معذبًا بين أشواق وأشجان
أمنن بوصل لعلي أستجير به   من سطوة البين في صد وهجران

مالي منيت بممنوع يعذبني ولا يزيد فؤادي غير احزان
لا برأ الله قلبي من تخوفه إن شبت حبي له يوماً بسلوان
إذا ترنم قمريّ على فنن في ليلة زاد في حزني وأشجاني
وكم أسر غرامي ثم أعلنه وليس يخفى لكم سري واعلاني
لا برد الله شوقي ان نويت لكم تغيراً لي بمال أو بسلوان

وله أيضاً :

يا نفس لا تجزعي من شدة عظمت وأيقني من إله الخلق بالفرج
كم شدة عرضت ثم انجلت ومضت من بعد تأثيرها في المال والمهج

وله أيضاً :

اياك تقنط عند كل شديدة فشدائد الأيام سوف تهون
وانظر أوائل كل أمر حادث أبداً فما هو كائن سيكون

وبعد فليس ذيل تاريخ دمشق وهو تاريخ مختصر جعل على السنين ومزجت فيه السياسة بوفيات الرجال هو كل ما يجب ان يخلفه ابن القلانسي المفتن البارع ، والغالب ان مشاغل البلد وسياستها شغلته عن وضع تآليف ، وقد طال عمره ؛ اذا لم يؤلفها أمثاله فمن يؤلفها بيد انه لم يفعل . والرياسات مهما كانت اعداؤها خفيفة تستغرق الوقت ، وهو ما قصد من تاريخه الا الوفاء بغرض ان لم يقم هو به ضاعت حوادث كثيرة من تاريخ الاسلام ولا سيما تاريخ بلده وهو يحبه ويتفانى في محبته خصوصاً ما كان منها متعلقاً باخبار الفاطميين الذين شهد ظلمهم الفظيع وتعصبهم الذميم لا يدون بعضها أشياعهم وأتباعهم .

محمد كرد علي

تحقيقات معجمية

— ٩ —

ح : ثَغَرَ والثَّغْر

العربية :

ثغره : كسر أسنانه . ثُغِر : دُقَّ فمه ؛ و — الغلامُ : سقطت اسنانه . اثغر واثّغر وادّغر : نبتت اسنانه (بعد سقوطها) . الاثّغار يكون في النبات والسقوط . اذا وقع مقدَّم الفم من الصبي ، قيل : اثّغر . فاذا قُلع من الرجل بعد ما يسِنّ ، قيل : قد ثُغِر . أصل الثَّغْر الكسر والهدم . ثغرت الجدار : اذا هدمته . الثَّغر والثُّغرة : كل فرجة في جبل أو بطن وادٍ ، أو طريق مسلوك . و — كل جوبة منفتحة ، أو عورة . والثُّغرة : الثلمة . ثغرناهم : سدّدنا عليهم ثَلْم الجبل . والثَّغْر : موضع المخافة من فروج البلدان ، و — الفم ؛ أو اسم الأسنان كلها ما دامت في منابتها قبل ان تسقط . هي الأسنان كلها كُنَّ في منابتها أو لم يكنّ . تسمى الأسنان ثغوراً ، لأنها تسقط أو تكسر ؛ ثم لأنها تنبت بعد السقوط ، من باب تسمية الشيء بما كان عليه سابقاً من السقوط [1] .

الثنائي : ثرّ : غزُر ، وسع . ردّد ، بدّد ، خلط . الثرثار : كثير الكلام [2] . تَرَّ الشيءُ : بان ، انقطع ، و — قطع كل عضو ، انقطع ، بان ، سقط . و — عن بلاده : بَعُد . الترترة : التلتلة والتعتعة . التُّرّى : اليد المقطوعة [3] .

---

(١) اللسان ٥ — ١٧١ . الصحاح ١ — ٢٩٣ . Lane ٣٣٨ ي .

(٢) الأساس ١ — ٩٤ .

(٣) البستان ١ : ٢٣٢ .

السريانية :

(ع) Tra : ترع ، شق ، خرق ، ثلم ، ثغر ، هدم ، فصد ، أفرى ، أبعد ، جرى .

Tar â : باب ، مدخل ، رأس ، فصل .

Tarrâ â : ترّاع ، بوّاب .

Ture tâ : ترعة ، ثلمة ، فجوة [١] .

الثنائي : Tər : قطع ، انقطع ، ترّ ، أترّ ، فصل ، انفصل .

Tartar : ترتر ، بدّد [٢] .

العبرية :

(ع) Sâ ar : فلق ، قسم ، خزّق .

Sa ar : باب ، مدخل .

Sô èr : بوّاب [٣] .

Sârah : حلّ ، فصل ، أرخى [٤] .

الاكدية :

Sarû : فتح ، دشّن .

Tasrîtu : افتتاح ، تدشين [٥] .

الحبشيه :

(ع) Sa ara : شق ، فلق ، خزق ، حلّ [٦] .

Saraya : حلّ ، غفر : سامح [٧] .

---

(١) أودو ٢ - ٦٣٦ ي ، Payne - Smith ٤٥٠٣ ي ي .

(٢) معجم متّا ، ص ٨٤٨

(٣) معجم Bobinson ١٠٤٤

(٤) معجم الفالح ٣٩٦

(٥) معجم Bezold ٢٨٥

(٦) Dillmann ٣٩٠

(٧) Dillmann ٣٤٦

تنسيق وتعليل

(١) ان مادة « ثغر » هي واحدة في اللغات السامية الاخوات ، وان ظهرت مختلفة من حيث الحروف ، لأن الثاء العربية هي تاء في السريانية وشين في العبرية والاكدية ، وسين في الحبشية . والعين والغين تتعاقبان في هذه الألسن . وهذا الاختلاف جارٍ في المادة الثنائية المشتق منها الثلاثي . فاذا تقرَّر هذا نقول .

(٢) ان الأصل الثنائي لهذه المادة الثلاثية هو في العربية « ثَرْ » ومداليله هي : غزر ، وسع ، بدّد ، خاط . ومنه الثنائي المكرَّر : ثرثر : بدّد . أو الثنائي « ترْ » ومحاويه : بان ، انقطع ، قطع كل عضو . أترّ اليد واطرّها : قطعها . وفي السريانية Tar : قطع ، انقطع ، ترّ ، فصل . و tartar : ثرثر ، بدّد . وفي العبرية sârah : فصل ، حلّ ، أرخى . وفي الحبشية saraya : حلّ ، غفر .

(٣) من القطع والفصل والفتح يتولد في الثلاثي « ثَغَر » بمعنى الكسر والهدم ، والقلع ، والنزع ؛ ثم الشق والفلق ، والخزق ، والثلم ، والابعاد ، وبقية ما هناك من هذا القبيل ، مما يسهل ادراكه . من ذلك جاء في العربية ثغره : كسر أسنانه . ثُغر الغلام : سقطت أسنانه . وفي العبرية : Sa ar : فلق ، قسم ، خزق . وفي الاكدية Sâru (اصله Sa âru : فتح ، دشَّن . و Tasritu (اصله Tasrî tu) . وفي الحبشية Sa ara : شق ، فلق ، خزق ، حلّ . أما المادّة السريانية فقد جرى فيها القلب . إذ عوض T ar يقال Tra : ترع ، شقّ ، خزق ، ثغر .

(٤) من ذلك وردت المعاني المختلفة لكلمة « ثَغْر » في العربية ، وهي الثَغْر والثغرة : كل فرجة في جبل ، أو بطن وادٍ . الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان . والثَغر : الفم ؛ والثغر الاسنان كلها ان دامت في منابتها أو سقطت . وفي العبرية Sa ar : ثغر ، باب . و Sô èr : بوّاب . وفي السريانية (بالقلب) Tar â : باب ، مدخل ، فصل . و Tarra a : ترّاع ، بوّاب . و Tare ta : ترعة ، ثلمة ، فجوة .

خ : مَلَك والملاك

العربيــة :

ملك الشيء : احتواه قادراً على الاستبداد به . ملك العجينَ : عجنه فأنعم عجنه وأجاده ؛ اعتمد عليه بجمع كفّه يغمزه بشدة . ملك نفسه عند شهوتها : قدر على حبسها . ملك القومَ : استولى عليهم ؛ ملك المرأةَ : تزوَّجها . ملّكه : جعله ملكاً . المالك : صاحب الملك والسيادة . المِلاك : الاقتدار . المَلاك : أحد الأرواح السماوية . الملِك : من تولى السلطنة بالاعتلاء على الأمة . المُلْك : اسم لما يُملَك ويُتصرَّف فيه . الملكوت : العز والسلطان . الملَك : الملاك [1] .

السريانية :

Mlak : ملك ، استولى ، أشار ؛ نصح ، أقنع ، وعد .

Etemlèk : استشار .

Mallèk : ملَّك ، سلّط ، أشار ، نصح ، وعد .

Etmallak : تملّك ، تسلّط ، استشار ، أشار ، تشاور .

Malka : ملِك ، قَبْل .

Malekta : ملِكة ، أميرة ، سلطانة .

Malkûta : مُلك ، مملكة ، دولة ، سلطنة ، عظمة ، ملكوت .

Melka : مشورة ، نصيحة ، رأي .

Mulkana : مشورة ، مُلك ، عقار ، قنية ، وقف ، وعد [2] .

العبرية :

Malak : مَلَك ، صار ملكاً ، حكم ، دبّر .

Melek : مَلِك ، أمير ، حاكم ، رئيس ، الله .

Malkût : مُلك ، مملكة .

---

(١) Lane ٣٠٢٣ . القاموس ٣ – ٣٢٠ .

(٢) Payne - Smith ٢ – ٢١٣٩ ي . منّا ، ص ٤٠٤ ي

Malkah : ملِكة ، أميرة .

Malak : أشار ، نصح . (من الارمية)[١] .

الاكدية :

Malaku : أشار ، اعتبر ، فحص ، استشار .

Milku : إشارة ، استشارة ، حكم ، قضاء .

Maliku : مشير .

Maliku / Malku : ملِك ، أمير ، رئيس .

malaktu : ملِكة ، أميرة .

malikûtu : مُلك ، مملكة ، ملوكية ، رياسة ، حكومة[٢] .

الحبشية :

malaka : اقتنى ، ملك ، احتلّ ، استولى ، ساد .

amlaka : أملك ، ملَّك ، سوَّد .

malaki : مالِك .

melûk : مملوك .

melkat : مملكة ، سلطنة .

melkat : مِلكيّة .

amlak : أملاك ، الملوك ، الملك الله .

malakôt : سيادة ، قدرة ، ألوهية[٣] .

تنسيق وتعليل

(١) الاصل الثنائي لهذا الثلاثي ، والذي به يسوغ التوفيق بين مختلف مفاهيمه هو «مَلْ» الظاهر في العبرية في الفعل malal : قال ، تكلّم ، تحدّث[٤] .

(١) المالح ٢٣٩ . Robinson ٥٧٢ ي .
(٢) Bezold ص ١٧٤ .
(٣) Dillmann ١٥٠ ي .
(٤) Robinson ٥٧٦ .

وفي الفعل السرياني mallèl : قال ، تكلَّم ، تحدث ، أخبر ، وصف[١] . وفي الفعل العربي : أمَّل ، وأملَل ، وأملى : تلا الخبر على غيره ليكتبه[٢] .

(٢) من الكلام ، من باب الاطلاق ، توسَّع المعنى فوصل الى الكلام من باب التقييد ، وهو التكلّم لابداء الرأي ، والمشورة ، وبتُّ الحكم ، واتخاذ التدابير . وهذا ما جرى بزيادة الكاف تذييلاً على الثنائي «مَلْ» فأصبح «ملَك» ولذلك ورد هذا الفعل دالاً على الرأي ، والمشورة والنصح ، في اللغات السامية الثلاث ، السريانية ، والعبرية ، والاكّدية .

(٣) على ان من كان ذا حصافة ، وحنكة ، وسداد رأي ، وفصاحة وبلاغة ، كان ذا تفوّق وسلطة على غيره . وعليه جاء «مَلَكَ» مشيراً الى استعلاء المرء على أقرانه ، بقبضة على زمام ادارة الأمور وتدبير الاحوال ، والقضاء في المحاكم ، في مختلف الجماعات البشرية ، سواء أكانت قبائل ، أم شعوباً ، أم أمماً ، أم ممالك . وهذا هو منشأ التسلّط او التملّك . ثم توسعت فكرة التسلط حتى أصبحت سيادة مطلقة على شعب من الشعوب ، أو مملكة من الممالك . واذا ثبت هذا التطور ، أُدرك بسهولة مختلف الدلالات المطلقة على هذا الفعل في الألسن السامية .

(٤) واذ كان الله تعالى مدبر الكائنات بعنايته ، بعد أن خلقها بقدرته ، كان من البديهي ان ينسب اليه ما تشير اليه هذه اللفظة من العظمة ، والجبروت ، والسيادة ، والعز ، والسلطان ، فهو ملك الملوك ، ورب الارباب ، وعنه يصدر كل سلطان .

(٥) أما كلمة «مَلَكَ أو مَلاك» المطلقة على كل من الارواح السماوية ، فهي ليست من هذا الأصل . فانها تخفيف «مَلْأَك» المشتق من الفعل العربي «لأَك أو أَلَكَ»[٣] ، والفعل السرياني l'èk[٤] ، والفعل الحبشي la'ika[٥] .

---

(١) منّا ، ٣٩٩ .
(٢) الصحاح ٢ — ٢٤٠ . البستان ٢ - ٢٣٠٩ .
(٣) المصباح ١ — ٢٦ .
(٤) معجم أودو ٢ — ٦ .
(٥) Dillmann ٤٧ .

ومعنى جميعها : أرسل ، أوفد سفيراً . ومن ذلك « الألوكة والمَلأكة » : الرسالة ، التحرير . و « ألَك » صادر عن الثنائي « ألْ » : أسرع [١] . وبين السرعة والارسال لحمة معنوية .

(٦) أما « مَلَك » بمعنى : عَجَن العجين فأنعم عجنه وشدّده وأجاده ، فذلك لأن العاجن يتسلّط على العجين بقوته ، واعتماده عليه بجمع كفّه ، وغمزه إياه بشدّة .

(٧) ثم ان « ملَك » يُراد به « تزوّج » ومنه « الملاك » : الزواج . فذلك لأن الرجل ، بالاقتران يخوّل الحق على قرينته ، فيصبح فيهما وربها ومالكها بنوع ادبي ، وبطريقة مشروعة ، معقولة ، خالية من روح الاستبداد والطغيان .

* * *

د : قاس والقَوس

العربيـة :

قاس : الشيء على غيره وبغيره : قدره على مثاله ؛ وقاس القومَ : سبقهم . قوِس الشيخُ : انحنى ظهره . قوّست السحابةُ : تفجرت عنهـا الأمطار . قوّس الشيخُ : انحنى ظهره . تقوّس : انعطف ، تقوّس الشيبُ فلاناً : وخطَه . تقوّس قوسه : احتملها . اقتاس بأبيه : احتذى حذوه . استقوس الشيخُ : انحنى فصار كالقوس . وكذلك استقوس الهلال . القوسُ : آلة نصف دائرة يُرمى بها . القوسُ : الذراع ، لأنه يقاس به . وكل ما كان منحنياً على هيئة القوس يسمى قوساً . القُوميّ : الزمان الصعب . القوّاس : الرامي بالقوس ، وصاحبها ، وصانعها . ليل أقوس : شديد الظلمة . المِقوس : وعاء القوس [٢]

قسا : صلب ، غلظ ؛ و — الدرهم : زاف ، اي صلبت فضته ، لكونها غير خالصة . يوم قسيّ ، وعام قسيّ : شديد البرد أو الحر [٣] .

(١) أقرب الموارد ١ — ١٦ .
(٢) Lane ٢٥٧٤ ي ي . التاج ٤ — ٢٢٤ ي و ٢٢٧ . اللسان ٨—٦٨ ي ي .
(٣) الاساس ٢ ١٤٢ .

السريانية :

(ش) Qsi : قسا ، صلب ، غلظ ، ظلم ، اشتدّ ، صعب .

Qassi : قسّى ، صلّب ، شدّد .

Qasya : قاسٍ ، صلِب ، قوي ، ظالم ، شاقّ[1] .

Qsat : رشق ، رمى نبالاً .

Qesta : قوس ، آلة تُرمى بها النبال . منطقة البناء .

Qestanaya : أقوس ، منحنٍ ، قوّاس[2] .

Qaysa : خشبة ، عود ، حطب ، دقل السفينة ، شجرة ، وثن ، صليب .

Qas : يبس ، صوى ، تخشّب ، تصلّب .

Qayyès : أيبس ، خشّب ، صلّب .

Qustana : يابس ، متصلّب ، متخشّب[3] .

(ش) Qas : قسا ، تصلّب ، يبس ، شاخ ، قشّ .

Qassisa : متيبّس ، قديم ، شيخ ، قسّيس ، جدّ[4] .

العبرية :

(ش) Qasa : قسا ، صعب .

Qêsêt : قوس[5] .

الاكدية : Qastu : قوس[6] . الحبشية : Qasat : قوس[7] .

الارميـة : Qasat : قوس . المندائية : Kasta : قوس .

التدمرية : Qastat : قوّاس[8] .

---

(١) منّا ، ص ٧١١ . Payne - Smit ٣٧٦٧ ي .

(٢) Brockellmann ص ٧٠٣ . Payne - Smith ٣٧٧٢ .

(٣) أودو ٢ – ٤٧٠ . Payne - Smith ٣٧٦٥ ي .

(٤) منّا ، ص ٧١٠ .

(٥) المالح ص ٣٥٧ ي .

(٦) Bezold ، ص ٢٤٨ .

(٧) Dillmann ٤٣٣ .

(٨) Robinson ، ٩٠٦ .

تنسيق وتعليل

(١) بعد الاشارة الى ان هذه المفردة تتعاقب فيها السين والشين في اللغات السامية ، نقول ان الأصل الثنائي لهذه المادة هو السرياني Qas : قشّ ، قسا ، تصلّب . ومثله Qsi : قسا ، صلب ، غلظ . ومنه في العربية : قسّ : أذّي بكلام قبيح (من باب المجاز) . وفي العبرية Qasa : قسا ، صعب .

(٢) من فكرة الصلابة والقسوة ، جاء في السريانية Qaysa : خشب ، حطب ، عود ، دقل . وذلك لما في الخشب من الصلابة والغلظ . ومنه فعل Qas : تخشب ، تصلّب ، يبس ، صوى . و Qayyès : خشّب ، أيبس ، شنّج . وكذلك من مداليل Qas السريانية : شاخ ، وقدم ؛ و qassisa : المتيبّس ، والشيخ ، والهرم . لأن من علامات الشيخوخة تيبّس الشرايين والعظام . ومن ذلك جاء أيضاً qassîsa بمعنى القسّ والقسيس المعرب عن السريانية دلالةً على الكاهن . لأن القسوس كانوا يختارون قديماً من بين الشيوخ ، لاتصافهم بالحكمة والفطنة اللازمة لرعاية الشعب . ومما يدل على الصلابة في العربية القوسى : الزمن الصعب . ومن فحاوي qaysa : الشجرة ، لأن مادة سيقانها الخشب الصلب ؛ ويراد بها أيضاً الصليب لكونه من خشب ؛ وكذلك الوثن ، لأنه ينحت أحياناً من خشب . ومن صلابة الخشب ، ورد «قسا» في العربية بمعنى الشدة من البرْد والحرّ . وليل أقْوَس : شديد الظلمة . ويراد به زَيف الدراهم ، أي صلابة فضتها ، لكونها غير خالصة .

(٣) أما «القوس» فقد أطلق عليه هذا الاسم ، من باب تسمية الشيء باسم مادّته . ومعلوم ان القسيّ تصنع من الخشب . ولذا ورد في كل اللغات السامية اسم هذه الآلة ، في العربية : قوس ؛ وفي السريانية qèsta ؛ وفي العبرية qésèt ؛ وفي الاكدية qastu ؛ وفي الحبشية qaset ؛ وفي الارمية qasat ؛ وفي المندائية kasta ، وفي التدمرية qasta .

(٤) واذ كانت القوس ملوية أو منحنية بشكل نصف دائرة ، أرتجل من هذه الهيئة ، في العربية ، المشتقات التالية : قوس ، وقوّس ، وتقوّس الشيخُ : انحنى ظهره . ولما كان المتقوِّس شائباً جاء تقوس بمعنى : وخَطَه الشيب . وكل ما كان منحنياً على هيئة القوس يسمى قوساً ؛ من ذلك قوس القنطرة ، وقوس الدائرة ، ومنطقة البناء ، وقوس قزح . وعلى مثال ذلك يسمى الأقوَس : المشرف من الرمل كالاصار . ومن القوس اشتق : تقوّس قوسَه : احتملها ؛ والمِقوَس : وعاء القوس . وفي السريانية qsat ، رشق ، رمى نبالاً ، و qestanaya : قوّاس .

(٥) ويطلق اسم القوس على الذراع ، لأنه يقاس به . ومنه الفعل : قاس الشيء على غيره : قدره على مثاله .

(٦) من الصلابة تنشأ الشدة ، ومن الشدة الجدّ . ومن أنواعه الجدُّ في السير . من ذلك تتبُّعُ المرء صاحبَه لغلبه في الشوط . ومنه أيضاً في العربية : قاس القومَ : سبقهم . ومنه كذلك : القَيّاس : الذي يرسل الخيل ؛ والمِقوَس : الموضع الذي تجري منه الخيل للسباق .

(٧) القوس آلة نصف دائرة . وهي سلاح يرمى به النبال . والقوّاس : صاحب القَوس ، وصانعها ، والرامي بها . وقد توسعت معاني هذه اللفظة توسعاً بعيد المدى عن أصلها الأول . فقد كانت تستعمل قديماً سلاحاً للرمي بالنبال . فلما صار الرمي بالأسلحة النارية ، بواسطة البارود ، أطلق فعل « قوّس » على استخدام البارودة والبندقية للصيد والقتل . لذا يقال قوّس فلانٌ فلاناً : أطلقَ عليه النار فقتله . ومما هو أغرب أن دلّ فعلُ « قوّس » في بعض البلاد العربية ، على وسيلة قلع الحجار ، في المقاطع الواقعة في الجبال ، بألغام البارود . فقد سمعتُ يوماً في لبنان ، وأنا مارٌّ في أحد طرق الجبل ، فعلَة ينادون محذرين العابرين من الخطر بقولهم « يِقَوْسُوا يِقَوْسُوا » اي ان الألغام مزمعة أن تنفجر ، أما في فلسطين فيصرخون : « بارود ، بارود » .

ذ : متن والمثانة

العربية :

مثنه : أصاب مثانتــه ؛ وأمثن فلاناً بالأمر : غمَّه به . قال الأزهري : أظنه متنه بالتاء ، مأخوذ من المتين . مَثِن : اشتكى مثانته ، فهو مثِن وأمثن . مُثِن ، فهو مثنون ومثين : اشتكى مثانته . المثانة : مستقرّ البول ، وهو داخل الجوف . المثِن : الذي يحبس بوله . المَثَن : وجع المثــانة . الأمْثن : الذي لا يستمسك البول في مثانته [1] .

السريانية :

Tôn : بال ، رشح ، ذاب .

Tyana : بول .

mtanta : مثانة [2] .

العبرية :

Sayîn : بول .

Satan
Hastèn } بال [3] .

الاكدية :

Samu
Is în } بال .

Sînaté : بول [4] .

---

(١) الصحاح ٢ - ٤١٠

(٢) Payne - Smith ٤٤١٠ . منّاءص ٨٣٣

(٣) المالح ٣٩٨

(٤) Robinson , p 1010
Assyrisches Handworterbuch , von Frisdrich Delitzsch , p. 655

الارمية :

Sin : بال ·

Sayané : بول [1] ·

الحبشية :

Sêna : بال ·

Senet : بول [2] ·

تنسيق وتعليل

(١) مما تجب ملاحظته ، بادئ بدء ، ان الشين ، والتاء ، والثاء تتعاقب في هذه المادة في الألسنة السامية · فما هو ثاء في العربية قد أصبح تاءً في السريانية وشيناً في بقية اللغات الأخوات ·

(٢) ان الفعل « مَثَن » وما يشتق منه ليس فعلاً أصلياً ، بل فعل مرتجل · لأن جميع الصيَغ والمعاني متعلقة باسم الوعاء ، وهو المثانة · من ذلك جاء مثنه : أصاب مثانته ؛ ومُثِن : اشتكى مثانته · والمَثَن : وجع المثانة ، والأمْثَن : الذي لا يستمسك البول في مثانته ·

(٣) أما أصل المادة الاولي ، فان كان غير ظاهر في العربية ، فهو جليٌّ في بقية اللغات السامية · وهذا الأصل يدل على البول ، وتجمعه في وعائه ، وهو المثانة ، أو رشحه ، أو خروجه منها ·

(٤) من ذلك في العبرية Satan و Hastèn و Sêtèn · وفي السريانية Ton و tyana و mtanta · وفي الارمية Sin و Sayané · وفي الاكدية Sanu و Sinaté · وفي الحبشية Sêna و Senet · وكلها تفيد معنى بال والبول ووعائه ·

---

(١) A dictionary of the Targum , the Talmud and the Midrashic litterature . Compiled by Marcus Jastrow , II , p 1564 .

(٢) Dillmann ٢٦٤ ·

(٥) أما الأصل الثنائي لعامة هذه المفردات فيسوغ الافتراض انه « شَنْ » المراد به في العربية : صبّ الماء . وقد توسعت هذه الفكرة في الأجوف ، فدلت على البول ووعائه . بيد لا يوجد لكلمة المثانة ، في العربية ، أصل فعلي تشتق منه . ولو ورد لكان « ثان ، يثين » ولكان منه « المَثْيَنَة » التي اصبحت بفعل الاعلال « مثانة » كما أن مَقوَمة أضحت مقامة .

(٦) أما اللغات الأخر ففيها الأصل الفعلي وهو Sin و Sêna و isten و tôn ، وجميعها بمعنى بال ، أو رشح السائل . وفي هذه الحال ، قد اتضح الغامض في العربية بواسطة ما يقابله من الأصول الجلية في أخواتها السامية .

* * *

ر : سَنَه والسنة

العربيـة :

سَنَهَ : تغير الطعام والشراب ؛ وسَنَهَ : أتت عليه السنون ؛ سانَهَه : عامله بالسنة ؛ تسنّه عنده : أقام سنة ؛ تسنَّه الخبز : تغيَّر ، عفن . السنة : مقدار قطع الشمس للابراج الاثني عشر [١] .

العبرية :

Sana : تغيّر ، تقلّب .

Sanah : سنة .

Sanah : ثنى : كرّر ، أعاد [٢] .

الأكدية :

Sanu : كرّر ، ثنى ، تغيّر .

Sattu : (اصله Santu) سنة [٣] .

(١) الاساس ١ — ٤٤٢ .

(٢) Robinson ١٠٣٩ ي

(٣) Bezold ٢٧٩ .

السريانية :

Tna : ثني ، عطف ، لوى ، كرّر [1] .

Sna : تسنّى ، انتقل ، زال ، تغيّر .

Sna , Santa , Satta : سنة [2]

تنسيق وتعليل

(١) المعنى الأصلي لهذه المادة في كل اللغات السامية هو في الثنائي « ثَنْ » الظاهر في فعل « ثنى » ، المراد به : العطف ، اللّي ، التكرار ، الانتقال ، التغيّر .

(٢) من ذلك جاء أصل كلمة « سنة » المفهوم منها مقدار قطع الشمس للابراج الاثني عشر . وفي غضونها يجري تقلّب الفصول ، وتغير المناخ ، فيتحوّل من حال الى حال . من ذلك كلمة « الحَوْل » . فكما ان الحَوْل مشتق من حالَ يحول حَوْلاً ، أي تقلّبَ من حال الى حال ، كذلك السنة ناجمة عن سَنَه وسنى ، أي ثنى ، وتغيّر ، وتحوّل وتسنى وتكرّر .

* * *

ز : أصل كلمة « الادب »

يؤخذ مما ورد في المعاجم ، ان الأدب يحدّد بتحديدات مختلفة . « فالأدب » أولاً هو تعلّم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق وتجنب القبائح . ويقع على كل رياضة محمودة يتخرّج بها الانسان في فضيلة من الفضائل .

وفي هذا المعنى يكون ناجماً عن علم الأخلاق . ويقابله في الفرنسية كلمة la morale ثانياً يفيد « الأدب » الظرف وحسن التناول . وهو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً ، والأخذ أو الوقوف مع المستحسنات ، وتعظيم المرء من هو فوقه ، ورفقه بمن هو دونه . ويرادفه الأنس واللطف وحسن المعاشرة . وينظر اليه في الفرنسية

---

(١) منّا ، ص ٨٤٣ .   (٢) منّا ، ص ٨٠٢

كلمة politesse . ثالثاً يطلق لفظ « الأدب » على علوم العربيـة . وهو علم يحترز به من جميع أنواع الخطأ . وتعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله . ويكتسب بالدرس والحفظ والنظر في الآثار الأدبية من منظوم ومنثور . ويضارعه في الفرنسية la littérature أو les belles - lettres . رابعاً يراد بكلمة « أدَبَ » معنى صنع صنيعاً ودعا الناس اليه . ويرادفه أقام وليمة ، وصنع غداءً ، ودعا الى دعوة . ويقابله في الفرنسية inviter à un festin [1] .

فجميع هذه الفحاوي ، مع ما يظهر فيها من التباين ، عائدة الى اصل واحد وهو العمل ، او الصنع ، أو الجهد ، في عدة احوال . بيد ان لفظة « أدَب » الثلاثية ، بحالتها هذه ، لا تتضمن ، حسب الاشتقاق ، معنىً يدلّ على العمل ، والجد ، والكسب . ولهذا تضاربت الآراء في تأصيلها ، حتى قال بعضهم بأنها دخيلة من اليونانية ، كأن العربية مفتقرة الى الاجنبية حتى في قوام العلوم اللغوية والاخلاقية ، والحياة الاجتماعية .

على اننا نرى هناك وسيلة لجعل هذا الاشتقاق منطبقاً على تحديد الكلمة ، وتفرّع معانيها ، فيصبح هذا الاشتقاق معقولاً ، متساوقاً ، منطقياً ، ألا وهي وسيلة الرجوع الى الأصل الثنائي .

غير انه يقتضي الفرض أولاً ان كلمة « أدب » ليست باصلية ، بل هي مقلوبة عن لفظة اخرى وهي « دأب » المراد بها : جدّ في عمله مستمراً . والدأب العادة والشأن ، مما يتطلب المثابرة على العمل [2] . إلا ان « دأبَ » ذاته صادر عن الثنائي « دَبَّ » ومدلوله : مشى على هينته ، وسرى ، وجرى [3] . اذن من المشي والجري توسع المعنى الى العمل بجدّ ومثابرة ؛ ومن ذلك تحصل العادة ، المتوقفة على تكرار الأفعال ، مما ينجم عنه الملكات . فاذا كانت هذه الملكات حسنة ، صدرت عنها الأخلاق الحميدة . واذا كانت هذه الملكات

(١) Lane ٣٤ ي . علم الادب ، لشيخو ، ص ٥ ي . مقالات علم الادب ، لشيخو ، ص ٣ ي . المجلة الاسلامية (بالفرنسية) ١ — ١٢٤ .

(٢) Lane ٨٣٩ي .

(٣) Lane ٨٤١ ي .

مترسخة في تصرف المرء ومعاملته لأقرانه في الحياة الاجتماعية ، كان منها الظرف والكياسة وحسن المعاشرة . واذا جدّ المرء في اقتباس العلوم اللغوية من منظوم ومنثور في الكلام والكتابة ، والوقوف على آثار الكتاب والأدباء ، نشأ عنه « علم الأدب » اي مجمل المعارف والآثار العربية التي تولدت بعد الاسلام . أما المعنى الرابع للأدب فهو ناشيء أيضاً عن العمل . لأن إيلام الولائم ، والدعوة الى المآدب انما هو صنيع صادر عن كرم الأخلاق .

* * *

س : أصل كلمة « الباصّ »

ان هذه الكلمة الأخيرة المقصود البحث عن أصلها ليست من المفردات القديمة ، بل هي عصرية حديثة الوضع ، ويستعملها الناس ، دون ان يعرف أكثرهم مصدرها ، وكيفية وصولها الى حالتها الحاضرة . فأحببنا بسط اشتقاقها ، تسهيلاً لعمل أرباب التأصيل في مستقبل الأزمان ، وخدمةً لتأريخ المعجمية العربية .

إن « الباصّ » كلمة مطلقة ، في فلسطين والعراق ، وربما في غيرهما من البلاد ، على السيارات الكبيرة التي يركبها نحو عشرين أو ثلاثين شخصاً ، سواء في داخل نطاق المدن ، أم خارجاً عنها . وقد استحدث لها بعض الكتاب في اللغة الفصحى ، لفظة « حافلة » جمعها « حافلات » . أما « الباصّ » فتجمع « باصّات » . ولربما يحدث في المستقبل ان فريقاً من « صرعى الغرائب » في تأصيل الكلمات ، يظنها عربية النجار . فيشتقها من « بَصَّ » ، اي لمع ؛ لما يُصبَغ به خارجها من الأصباغ الزاهية اللامعة . على مثال الغرابات التي كان يتخيلها بعضهم ، كالادّعاء بان مفردة « العقل » العربية الصميمة ، هي معرّبة عن اللفظة اللاتينية oculus [1] .

على ان هذه الكلمة المبحوثة ، اعني « الباصّ » هي بالحقيقة مفردة أجنبية ولجت العربية العامية رأساً عن الانكليزية . وهي ليست بكلمة قائمة بذاتها ، ذات فحوى

---

(١) « هل العربية منطقية ؟ » (كتاب مرمرجي) ١٢٦ ي ي .

أصلي واشتقاقي . انما هي فضلة من لفظة اخرى ، وهي omnibus اللاتينية ، ومعناها « للجميع » أو للعموم ، وهي في حال الجرّ ، ومرفوعها omnes : « الجميع » .

وكانت omnibus تضاف قديمًا الى اسماء تدل على النقل ، مثل voiture : عجلة ؛ و train : قطار ؛ و bateau : مركب . فكان يقال train omnibus : قطار للجميع ؛ و bateau omnibus : مركب للجميع ؛ و voiture omnibus : عجلة للجميع ، اي للجمهور ، أو للعموم . وهذه العربات كانت تسير في شوارع المدن ، فتقف في مواقف معينة ، لإنزال الركاب ، واصعاد غيرهم . وبتواتر الاستعمال ، حُذفت كلمة voiture ، وأُبقيت omnibus ، دالةً على المركبة [1] .

ولما اختُرعت السيارات ، اي العربات الجارية بقوة المحرّكات ، صيغ لها ، في الفرنجية ، كلمة automobile المركبة من الأداة auto الآتية من اليونانية autos المراد بها « الذات » ، ومن اللفظة mobile ، اعني المتحرِّك ، وشملت كل المركبات المتحرِّكة بقوة البخار . ومن باب الاختصار ، يقال أحيانًا auto وحدها .

واذ كانت العربات المستخدمة للعموم تسمى omnibus ، كما رأينا أعلاه ، بُترت هذه المفردة ، فحذف منها الجزء الأصلي ، واحتفظ بأداة الجر : bus : ثم أضيفت اليها الأداة auto ، فقيل autobus . وبكثرة التداول ، اجتزأ الجمهور بكلمة bus ، كما يلفظها الانكليز : حسب طريقة اللفظ في لسانهم ، اي بفتحة قصيرة : فصارت : « بَسّ » . وعند انتشار السيارات والحافلات في الربوع العربية ، تلقّى عامة القوم المفردة bus ، المطلقة ، بحالتها المقتضبة ، على الحافلات ، ففخّموا فيها حرف السين ، فأصبحت « بَصّ » ؛ ثم اشبعوا فتحتها ، فحصل من ذلك لفظة « الباصّ » الشائعة هذا الشيوع [2] .

فليُحفَظ هذا الاشتقاق لفائدة متقصي اصول الألفاظ في الأحقاب المقبلة .

الأب مرمرجي الدومنكي

(١) Larousse du xxe siècle , T. 5 , p. 204

(٢) راجع معجم Larousse المذكور ، في الصفحات التالية :
Tome I. p.p. , 415 , 451 , 917 .

جزء من رواية ابي عمر الزاهد غلام ثعلب

- ٣ -

(٣٩) حدثنا ثعلب عن ابي زيد عن محمد بن سلاّم ثنا محمد بن جعفر قال أتى الفرزدق الحسنَ فقال إني قد هجوتُ إبليس فاستمع مني قال لا حاجة لنا فيما قلتَ قال لتستمعنَّ أو لأخرجنَّ فأقولنَّ : إن الحسن نهاني أن أهجو إبليس لعنه الله فقال له اسكتْ فإنك بلسانه تنطق .

(٤٠) أنشدنا ثعلب عن ابي نصر عن الأصمعي :

إن اكتحالاً بالنقي الأفلج ونظراً في الحاجب المزجج
مئنّة من الفعال الأعوج

قال الأصمعي مئنّة مخلقة قال ابن الأعرابي مئنة علامة

(٤١) أخبرنا ثعلب عن أبي زيد بن شبة ثنا عبد الله بن محمد بن حكم الطائي ثنا خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن ابيه قال لما هجا الأخطل الأنصار قال :

ذهبتْ قريشٌ بالسماحة والعلى واللؤم تحت عمائم الأنصار

وكان يزيد أمره بهجائهم قال أقبل النعمان بن بشير الأنصاري حتى جلس بين يدي معاوية فقال يا أمير المؤمنين هل ترى لؤماً لؤماً قال وما ذاك فأنشده قول الأخطل فقال له معاوية لك لسانه قال فأتى الأخطل يزيد بن معاوية فأخبره الخبر فمكث يزيد حتى أتى معاوية فقال اقض لي حاجةً قال قد قضيتها ان لم يكن الأخطل قال ومالي وللأخطل لعنه الله ليس الأخطل حاجتي قال قد قضيتها قال هبْ لي لسان النعمان بن بشير قال هو لك فلما بلغ النعمان ذلك كفّ عن الأخطل فقال يزيد :

دعا الأخطلُ الملهوف بالستر دعوةً فإني مجيبٌ كنت لما دعانيا
يفرّجُ عنه مشهدَ القوم مشهدي وألسنة الواشين عنه لسانيا

(٤٢) وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

يا ربّ عفوك عن ذي سيّئةٍ وجل كأنه من حذار النار مجنون
قد كان قدّم أعمالا مقاربةً أيام ليس له عقلٌ ولا دين

(٤٣) أنشدنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي :

لسان الفتى سبع عليه شذاته وإلا يُرَع من عونه فهو آكله[1]
وما العيُّ إلا منطقٌ متسرعٌ سواءٌ عليه حقٌّ أمرٍ وباطله

(٤٤) أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال هشام بن عروة مكتوب في الحكمة : بُنيّ لتكن كلمتك طيبةً ووجهك بسطًا تكن أحبّ الى الناس ممن يعطيهم العطاء

(٤٥) حدثنا ثعلب ثنا عمر بن شبة حدثني أحمد بن معاوية بن بكر السهمي ثنا عمرو بن مخل السدوسي عن مطهر بن خالد الربعي عن سلام الحماني أن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال أخبروني عن القرآن كله كم حرف هو : قال وكنتُ فيهم فحسبنا فتساءلنا فاجتمعنا على القرآن كله انه ثلاثمائة الف حرف واربعون الف حرف وسبعمائة ونيف واربعون حرفًا قال فأخبروني اي حرف ينتهي الى نصف القرآن فاذا هو في الكهف وليتلطف في الفاء قال وأخبروني بأسباعه قال السبع الأول في النساء فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه في الدال والسبع الثاني في الأعراف « فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار » والسبع الثالث في الرّعد « أكلها دائم » في آخر الحرف الذي في أكلها والسبع الرابع في الحجّ « منسكاً » والسبع الخامس في الأحزاب « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة » في الهاء والسبع السادس في الفتح « الظانين بالله[2] السوء » في الواو والسبع السابع باقي القرآن قال فأخبروني

---

(١) لعل صواب هذا البيت :
(لسان الفتى سبع عليه شذاته والا يزع من غوله فهو آكله)
وشذاته : شرّه وأذاه . ويزع : يكفّ . وغوله : اغتياله . (المجمع)

(٢) التلاوة : ظن السوء (المجمع)

بأثلاثه قال أوّل ثلثٍ قال أول ثلثٍ قال رأس مائة من براءة والثاني مائة أو إحدى ومائة من الشعراء والثلث الثالث باقي القرآن قال عمرو بن المنخل فأخبرني ثوبة بن علوان عن المجاشعي وكان من قرّاء الناس عن الحماني وسألنا عن أرباعه قال أول ربعٍ منه خاتمة الأنعام [و] الثاني فليتلطف[1] والربع الثالث خاتمة الزمر والربع الرابع ما بقي من القرآن قال عملنا في أربعة أشهر وكان الحجّاج يقرأ كلّ ليلة ربعاً .

(٤٦) أنشدنا ثعلب عن عبد الله بن شبيب :

وبالناس عاش الناس قدماً ولم يزل من الناس مطلوبٌ اليه وطالبُ
وما يستوي الصابي ومن ترك الصبا وإنّ الصبي للعيشُ لولا العواقبُ

(٤٧) أنشدنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي لابن عمران السلمي :

قعد الشيب بي عن اللذات ورماني بجفوة القينات
فاذا رُمتُ ستره بخضابٍ فضحته طوالعُ الناصلات
ما رأيتُ الخضابَ إلاّ سراباً غرّني لمعه بأرض فلاة
فاذا ما دعا الى الكأس داعٍ قلتُ : ما للكبير والنشوات
إنّ فقد الشباب أنزلني بعْـ ـدَك دار الهموم والحسرات
ورماني بحادث الشيب دهرٌ قارعتني أيامه عن حياتي

(٤٨) أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي :

لا تتعبوا في الرّزق أبدانكم فانما الرزقُ بمقدار
قد جفت الأقلام فيها بما يكون من عسر وايسار

(٤٩) حدّثنا ابرهيم بن الهيثم البلدي ثنا ابو صالح ثنا الليث ثنا مالك بن انس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن هرمز عن ابي هريرة قال [قال] رسول الله ﷺ من سأله جاره ان يغرز خشبة في جداره فلا يمنعه .

(٥٠) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار ثنا يحيي بن عبدويه ثنا اسرائيل

(١) وليتلطف . (المجمم)

عن أبي اسحق عن علي قال لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظهر قدميه لرأيت أنّ مسح أسفل القدمين أفضلُ ٠

(٥١) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابو نعيم الفضل بن دكين ثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال سمعتُ رافع بن خديج يقول نهى رسول الله ﷺ عن المزارعة

(٥٢) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا ابو النضر ثنا عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له وجُعل رزقي تحت ظل رمحي وجُعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم ٠

(٥٣) حدثنا احمد بن عبيد الله النرمي ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن ابراهيم بن طهمان عن هشام الدستوائي عن يحيى بن ابي كثير عن ضمضم بن جوس عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اقتلوا الأسودين في الصلاة فقلتُ ما الأسودان قال الحية والعقرب ٠

(٥٤) حدثنا الحارث بن محمد ثنا يزيد بن هرون انا محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال نهى رسول الله ﷺ عن المحاقلة والمزابنة ورخص في العريّة

(٥٥) حدثنا محمد بن هشام بن البختري ثنا محمد بن الربيع بن عبد الرحمن الأسدي ثنا سلمة الأحمر ابو اسحق عن ابى اسحق السبيعي عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر الأسدي الجهني قال كنا في غزاة مع رسول الله ﷺ لم يكن لنا خدمٌ نتناوب الرعي حتى اذا كان يوم نوبتي سرحتُ الابل فأتيت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس فوضعت يدي على كتفي عمر بن الخطاب فسمعته يقول من توضأ فأسبغ الوضوء ثم أتى صلاته يعقل ما يقول فيها أقبل أو انصرف كيوم ولدته امه بريءٌ من الخطايا فو الله ما صبرتُ ان قلتُ بخٍ بخٍ قال فقال

عمر بن الخطاب أولا أخبرك بما هو أجود منها قالها قبل ان تجيء قلتُ بلى فداك أبي وأمي قال قال من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال عند فراغه من وضوئه أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله فُتحت له له يوم القيمة ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء قال ثم ينادي منادٍ ثلاث مرات سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون قال وينادي منادٍ ثلاث مرات سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار قال ثم ينادي منادٍ ثلاث مرات سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الحمادون

(٥٦) حدثنا بشر بن موسى ثنا الحسن بن موسى الأشيب عن ابي هلال محمد ابن سليم ثنا مطر الورّاق عن انس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يطوف على نسائه في ضحوة .

(٥٧) حدثنا ابراهيم بن اسحق موسى بن اسمعيل ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالاجر كله قال لا ما دعوتم لهم وأثنيتم عليهم .

(٥٨) حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا اسحق بن بشر الكاهلي ثنا مهاجر ابن كثير عن الحكم بن مسقلة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ما من عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من مخافة الله عز وجل الا أمنها الله عز وجل يوم الفزع الأكبر

(٥٩) حدثنا احمد بن عبيد الله النرسي ثنا قبيصة ثنا سفيان عن معمر عن يحيى ابن ابي كثير عن ضمضم بن جوس عن ابي هريرة قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الأسودين في الصلاة .

(٦٠) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار ثنا هشام بن بهرام المدائني

ثنا ابو شهاب عن اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن جرير قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال إنكم ستروْن ربكم عياناً كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته ٠

(٦١) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسماعيل بن علية عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عملتم بالخطايا حتى تبلغ السماء ثم تبتم تاب الله عليكم ٠

(٦٢) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا محمد بن هلال عن أبيه أنه سمع ميمونة بنت سعد تقول سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أجمع الصوم من الليل فليصم ومن أصبح ولم يجمعه فلا يصم

(٦٣) حدّثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن يزيد بن الهاد عن هند بنت الحارث الفراسية عن ام الفضل بنت الحارث قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده وهو شاكٍ فتمنى الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا الموت فانك ان تك محسناً تزداد إحسانا الى احسانك وإن تك مسيئاً فتؤخر تستعتب فلا تمنوا الموت

(٦٤) حدثنا بشر بن موسى ثنا خالي حيان بن بشر عن ابي معاوية عن الأعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له اختان او ابنتان فأحسن اليهما ما صحبتاه كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين

(٦٥) حدثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن عبد العزيز سمعتُ بشر بن الحارث ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن حبيب بن ابي عميرة قال إذا ختم الرجل القرآن قبّل الملك بين عينيه قال يعني بشر فحدّثت احمد بن حنبل فاستحسنه قال لعل هذا من مخبّآت سفيان

(٦٦) حدثنا محمد بن يونس ثنا سهل بن حماد ابو عتاب ثنا المختار بن نافع عن ابي حيان التيمي عن ابيه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحوّلني الى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله رحم الله عمر يركب الحقّ وان كان مراً تركه الحقُ ماله من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله علياً اللهم أدرْ الحقّ معه حيثما دار

(٦٧) حدثنا الحارث بن محمد ثنا داود بن المحبر ثنا ميسرة بن عبد الله عن أبي عبد الله الشأمي عن مكحول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا أكلت وشربت فقلت بسم الله والحمد لله فإن حفظتك تكتب لك الحسنات حتى تنتبذ عنك إذا غشيت أهلك وما ملكت يمينك فقل باسم الله والحمد لله فأن حفظتك تكتب لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان اغتسلت من الجنابة غفرت لك ذنوبك يا أبا هريرة فان كان لك من تلك الوقعة ولد كتب لك حسنات بعدد نفس ذلك الولد وعقبه إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد يا أبا هريرة إذا ركبت الدابة فقل باسم الله والحمد لله تكن من العابدين حتى تنزل عن ظهرها يا أبا هريرة اذا ركبت سفينة فقل باسم الله والحمد لله تكن من العابدين حتى تخرج منها يا أبا هريرة اذا لبست ثوباً فقل بسم الله والحمد لله تكتب لك حسنات بعدد كل سلك فيه يا ابا هريرة لا يهابنك ما ملكته يمينك أن يكلمك فانك إن متّ وأنت كذلك ذكر كلاماً سقط من كتاب ابي عمر يا ابا هريرة لا تهجر امرأتك إلا في بيتها ولا تضربنها ولا تسبنها الا في امر دينها فانك ان كنت كذلك مشيت في طرقات الدنيا وأنت عتيق الله عز وجل من النار يا أبا هريرة احمل الأذى ممن هو اكبر منك واصغر منك وخير منك فانك اذا كنت كذلك باهى الله بك الملائكة ومن باهى الله به الملائكة جاء يوم القيامة وهو آمن من كل سوء يا أبا هريرة إن كنت أميراً او وزيراً او مشاورَ امير فلا تجاوز سنتي وسيرتي فانه أيما اميرٍ او وزيرٍ او مشاورِ اميرٍ خالف سنتي وسيرتي فانه يُبعث يوم القيامة تأخذه النار من كل مكان ثم يصير الى النار يا ابا هريرة عدلُ ساعة

خير من عبادة ستين سنة يا أبا هريرة قل للمذنبين الذين أصابوا الصغار والكبار من الذنوب فلا يموتن أحدهم وهو مصرّ فانه من لقي الله عز وجل مصراً على ذنب وإن كان صغيراً فان عقوبته كعقوبة من لقي الله مصراً على كبيرة .

(٦٨) حدثنا احمد بن عبيد الله ثنا عبيد الله بن موسى ثنا ابن ابي ليلى عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس في قوله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قال ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا في شهر رمضان فيدبر أمر السماء فيمحو ما يشاء غير الشقاء والسعادة والموت والحياة .

(٦٩) حدّثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيى عن مسعر عن عدي بن ثابت أنه سمع البراء قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة

(٧٠) حدثنا بشر بن موسى ثنا خلاد ثنا مسعر عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح بين يديه عنزة او شبيه بالعنزة والطريق من ورائها والمارة .

(٧١) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابرهيم ثنا سفيان عن يزيد بن ابي زياد عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أكلتنا الضبع يعني السنة قال غير ذلك أخوف عندي عليكم اذا صُبت عليكم الدنيا صباً فليت أمتي لا يبخلون بالذهب .

(٧٢) حدثنا احمد بن زياد بن مهران ثنا محمد بن سابق ثنا ابرهيم بن طهمان عن ايوب عن مكحول عن عراك بن مالك عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحفظ ـ الشك من ابراهيم ـ أنه قال ليس على الخيل والرقيق صدقة

(٧٣) وبه عن أيوب عن محمد بن مسلم الزهري عن عبد الرحمن بن هرمز عن عبد الله بن مالك أنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم العصر فقام في الركعتين ثم جلس حتى اذا قضى صلاته ثم سجد سجدتين وهو جالس .

(٧٤) حدثنا محمد بن يونس ثنا عبد الملك الاصمعي قال وقف اعرابي على قوم فقال يا أيها الناس اقربوا من الله عز وجل لا يبعد منكم فانه لا قليل من الخير ولا غناء عن الله عز وجل ولا عمل بعد الموت إني لأقول هذا القول وفي الصدر حزازة وفي الحلق غصة ولكن الفقر أمانة ولا يعلم إلا بالابانة وقد قضيت ما علي وبقي ما عليكم ٠

(٧٥) حدثنا محمد بن يونس عن الأصمعي قال دعا أعرابي لرجل قد أولاه خيراً فقال جزاك الله خيراً فقد أعنتني على دهري وأتعب معروفك شكري واعتقني من رقّ صلة اللئام ٠

(٧٦) حدثنا محمد ثنا الاصمعي قال دخل قوم على ابن عم لهم فقالوا له ما تجد قال أجدُني كما لا اشتهي واشتهي ما لا أجد ٠

(٧٧) حدثنا محمد بن عثمان ثنا عون بن سلام ثنا سوّار بن مصعب عن مجالد عن الشعبي أن فاطمة لما ماتت دفنها علي ليلاً واخذ بضبعي ابي بكر فقدمه

(٧٨) حدثنا محمد بن هشام ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت أُهديَ الى النبي صلى الله عليه وسلم ضب فلم يأكله قالت عائشة يارسول الله ألا تطعمه المساكين قال لا تطعموهم ما لا تأكلون

(٧٩) حدثنا محمد بن هشام ثنا شبويه بن حميد عن مكي بن ابرهيم قال قال رجل واغوثاه بالله من النار فهتف به هاتف من القائل الكلمة التي أبكت البارحة سبعين الف ملك ٠

(٨٠) حدثنا محمد بن عثمان ثنا عبد الحميد بن صالح ثنا محمد بن ابان حدثني رجل من قريش من ولد سعيد بن العاص عن الحارث العكلي جاء رجل الى علي بن ابي طالب فقال له الحسن بن علي عليه السلام إنه قد خلا بدعاء يدعو به اذا حزبه أمرٌ فجلس على الباب الذي هو فيه وهو يقول يا كهيعص يا نور يا قدوس يا أول الأولين وآخر الآخرين يا الله يا الله يا رحمان اغفر لي الذنوب التي تغير النعم

واغفر لي الذنوب التي تنزل النقم واغفر لي الذنوب التي تورث العدم واغفر لي الذنوب التي تحبس السقم واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء واغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء واغفر لي الذنوب التي تؤيل (كذا) الأعداء واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء

(٨١) حدثنا الحارث ثنا كثير بن هشام ومات في سنة سبع ومائتين بفم الصلح قال قال الحكم بن هشام لقيت سفيان الثوري فقلت يا ابا عبد الله شيء حدثنا به الحسن بن ابي حبيبة قال اثنتا عشرة ركعة من تطوع ليس له منزل من صلاهن في يوم وليلة بني له بيت في الجنة قال صدق قلت مرة واحدة أو الدهر كله قال ما ادري •

(٨٢) حدثنا ثعلب ثنا عبد الله بن شبيب عن رجاله قالوا هنأ محمد بن علي بن الحسين عليه السلام رجلاً بمولود فقال أسأل الله أن يجعله خلفاً معك وخلفاً من بعدك فان الرجل خلف اباه في حياته ويخلفه بعد موته قال ـــــ وكان يقال أولى الناس بالفضل أعودهم بفضله واعود الأشياء على تزكية العقل التعلم وأدل الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير قال وقال مسلمة بن عبد الملك ما حمدتُ نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ولا لمتها في مكروه ابتدأته بحزم وقال الجهل في القلب كالبُرّ في الأرض والبرّ احور كالماء يفسد ما حوله (كذا) قال وقال معاوية المروّة من غلب خيره شرّه قال ويقال الأحزان اسقام القلوب كما ان الأمراض اسقام الأبدان وكان يقال ينبغي للمرء ان يُظهر مسروراً يُرجى لأن الرجاء غرور فان اشعر قلبه بذلك اضعف عليه اذى الاكراه ان ابتلي به ويقال لا تصحبن الا من ينسى معروفه عندك ويقال ثلاث ليس معهن غربة : مجانبة اهل الريب وحسن الأدب وكفّ الأذى

(٨٣) حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال وقال عمر بن الخطاب انه ليعجبني

ان اري مَن عقله زائد على لسانه ولا يعجبني ان ارى مَن لسانه زائد على عقله

(٨٤) حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال حكى اصحابنا قال معاوية لعتبة يوم الحكمين يا اخي اما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر اذنيه ولو قدر ان يتكلم بها لفعل وغفلة صاحبه مجبورة بفطنته وهي ساعتنا الطولى فاكفنيه قال قلتُ بجهدي قال فقعدتُ الي خيمة فلما اخذ القوم في الكلام اقبلت عليه بالحديث فقرع يدي وقال ليست ساعة حديث فأظهرت غضبًا وقلت يا بن عباس انّ ثقتك بأحلامنا اسرعت بك الي اغراضنا وقد والله تقدم فيك الغدر وكثر منا الصبر ثم افتدعته وارتفعت اصواتنا فجاء القوم فأخذوا بأيدينا ونحوه عني قال فجئت فقربتُ من عمرو فرماني بمؤخر عينيه اي ما صنعتَ قلتُ كفيتك التقوالة قال فجمجم كما يجمجم الفرس للشعير قال وفات ابن عباس اول الكلام فكره ان يتكلم في آخره ٠

(٨٥) حدثنا ثعلب حدثني ابو زيد عمر بن شبة حدثني ابن مثيم عن ابن شبرمة قال زوجت ابني على الفي درهم فجعلت اتذكر من اكلم فأتيتُ ابا ايوب المورياني فقلتُ اني زوجت ابني على الفي درهم والله ما هي عندي وما ذكرتُ لها غيرك قال قد امرنا لك بها فجزيته خيراً وذهبت اقوم فقال لا تعجل اجلس اذا دفعتَ اليهم المهر افلا تحتاج الى طعام قلتُ بلى قال والفين للطعام فجزيته خيراً وذهبتَ اقوم فقال لا تعجل اجلس الا تريد خادماً قلتُ بلى قال والفين للخادم ثم قال واذا اخذتَ هذا فلا تريدُ نفقة لغير هذا قلتُ بلى والله قال والفين للنفقة قال ولا يريد الشيخ شيئًا قلتُ بلى قال فلم أزل اجزبه ويكون يعطيني حتى قمتُ بخمسين الفًا ٠

(٨٦) حدّثنا ثعلب انا محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان تجهز عبد الله ابن جعفر للحج فأتاه وكيله بحسابه فبقيت خمس مائة درهم باقية قال تذكر هل

وجهتها في شيء قال نعم خيل وقال ويحك بخمس مائة قال أبرو فقال إن كان لبرو فنعم .

(٨٧) حدثنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي فيمن جعل الأولى بمعنى الذي :

وما العلمُ إلا بالتعلم فاغتنم سؤال الأولى تسترشد المتعلم

(٨٨) قال وانشدنا ابن الأعرابي :

بنيّ إذا ما سامك الذل قادر عليك فان الرفق واللين أجدرُ
فلا تحرمنْ بعض الأمور تعززاً فقد يبعث الذل الطويل التعززُ

(٨٩) أنشدنا ثعلب انا ابن الأعرابي :

وصلتكم جهدي وزدتُ على جهدي فلم أر فيكم من يدوم على العهد
فآتيتكم بعد الصديق لتقصدوا وتأبون إلا أن تحيدوا عن القصد
فان أمس فيكم زاهداً بعد رغبة فبعد اختيار كان في وصلكم زهدي
اذا خنتمُ بالغيب عهدي فما لكم تدلون إدلال المقيم على العهد
صلوا وافعلوا فعل المدلّ بوصله وإلا فصدّوا وافعلوا فعل ذي الصدّ
فكم من نذير كان لي قبل حبلكم وها أنا ذا فيكم نذير لمن بعدي
تعزّوا بيأسٍ عن هواي فإنني إذا انصرفت نفسي فهيهات من ردّي
أرى الغدر ضداً للوفاء وإنني لأعلمُ أن الضدّ يأباه ذو الضدّ

(٩٠) أخبرني السياري عن الناشي أنشدنا ابو الحارث :

أطعمتني[1] فقلت آخذ ما بك في وعادت على رجائي بعطف
زعمتْ أنها تريد عفافاً قلتُ ردي عليّ قلبي وعفي

(٩١) وأخبرنا السياري عن الناشي قال كتب القتبي الى العتبي وكان القتبي بجي والعتبي بالبصرة :

لو كان قلبي له جناحٌ لطار شوقاً اليك قلبي
وبعتُ مستيقناً بربح وحشة نأيي بأنس قربي

(١) لعله : اطمعتني . (الجمع)

ولم أكن موطناً بلاداً ليست بها أسرتي وصحبي

فالبصرة احتلها فؤادي لديك والجسمُ حلّ حبي

عتبة أسناك ذو المعالي من بعد صخرٍ وبعد حرب

ورُبّ عمّ لكم وخالٍ كان بحبي ملِيل حُب

كانوا ملوك الورى وكانوا ليوث حرب غيوث جدب

واسوا وساسوا ولم يساسوا في كل شرق وكل غرب

فأجابه العتبي :

إليك عمن سواك يُسلى وفيك يدعو الهوى ويُصبي

فليس وجد امرئ كوجدي بل ليس حب امرئ كحبي

إن كان جسمي ثوى غريباً فإن روحي ثوت بحبي

آخره والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم .



دراسات لما قبل التاريخ في سوريا

ان دراسات ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى قد سارت في السنين الاخيرة بخطى سريعة في سبيل التقدم ؛ غير ان بعض المناطق أصابت منها نصيباً أوفر . فقد أُجريت حفريات دقيقة في عدد وافر من تلال فلسطين كتل فرعا وتل المتسلم وتل تجنك وتل سندحنه ، وكتليلات غسول في شرقي الأردن ، ومن كهوفها ككهوف وادي خريطون ، جنوبي بيت لحم ومغارة جبل قفزة بالقرب من الناصرة ، ومغارة شقبة في السفيلة . وفي وادي المغارة في جبل الكرمل ، وفي مغارة الأميرة ومغارة الزطية غربي بحيرة طبرية الخ ... والفضل في ذلك يرجع الى ما بذلته بعض الجمعيات العلمية وبعض الافراد من جهود مستمرة . وقد مكنتنا تلك الأبحاث من معرفة سكان أرض كنعان في الطور الطبقي الرابع والمناخ الذي عاشوا فيه والحيوانات التي حامت حولهم ولقد صار بوسع بعض الاختصاصيين كالسيد رنسه نيقل (R. Neuville)[1] والآنسة (D. A. E. Garrod)[2] والسيد ليون پيكارد (L. Piard)[3] ان يشرعوا في وضع تنسيق للصناعات الحجرية التي تعاقبت في فلسطين منذ أقدم العهود الى العصر البرنزي أي الى الألف الثالث قبل المسيح .

ولقد صادف لبنان بعض الحظ عندما شرعت بعثة أميركية من جامعة بوسطن

---

(١) R. Neuville , le Préhistorique de Palestine , Revue Biblique , 1934 , pp. 237 - 259 .

(٢) D. A. E. Garrod et D. M. A. Bate , The Stone Age of Mount Carmel , Oxford , 1939 .

(٣) L. Picard , Structure and Evolution of Palestine Quarternary , Jérusalem , 1943.

في الحفر في مأوى مظلل بالصخر بالقرب من انطيلياس إذ عثرت على هيكلين بشريين دعي الواحد منهما اگبرت (Egbert) وهو الاسم المعروف به الآن عند العلماء وهو يرتقي الى العصر الأورينياسي (Aurignac) اي الى الألف الثلاثين قبل المسيح ولهذين الهيكلين أهمية كبرى لأنهما أول ما وجد من نوعهما من العصر الأورينياسي في الشرق الأدنى [١] وقد أتاحت لهم هذه الحفريات أن يتبعوا الصناعات الظرانية وتطورها من عصر لفلوا (Levallois) الى عصر اورينياك أي من الألف السبعين الى الألف الثلاثين قبل المسيح . أما سوريا فلم تحظَ بذلك التوفيق مع ان الأدوات الظرانية وجدت فيها قبل سنة ١٨٨٠ ومنذ ذلك العهد ما برحت اسماء الأماكن التي سكنها الانسان الأول تتزايد حتى نشر بعضهم في صدر هذا القرن دراسات عمومية في ما قبل التاريخ بسوريا [٢] والسبب في هذا التأخير هو انه لم تُجرَ حفريات منظمة في الكهوف وفي طمي الأنهار والى هذه الحفريات وحدها يستند العلماء في دروسهم حالة الإنسان الأول وتحقيق التطورات التي مرّ بها والعصور التي تعاقبت عليه .

لا شك أن دراسات جاك دي مرغان (J. De Morgan) في الشرق الأوسط [٣] لها أهمية كبرى ، ولقد فتحت حقبة جديدة فيما قبل التاريخ الشرقي ؛ غير ان معلوماته عن سوريا غير كافية ، لأنه استند على الاكتشافات الظرانية التي وجدت على سطح الأرض وهي لا تجدي نفعاً ما لم يسبقها حفريات في طبقات الأرض يتاح منها للعالم ان يقارن بين الأدوات التي وجدها في الحقول والتي

---

(١) لم تنشر البعثة الى الآن الا بعض مقالات عامة عن أعمالها ، منها مقال في المشرق عنوانه : لمحة في حياة الانسان الأول في العصر الظرّاني القديم – حفريات كسار عقيل فوق انطلياس ، بقلم الأب ج . فرنكاين يوونغ اليسوعي من جامعة فوردام ، المشرق ، ١٩٤٧ ، ص ٢١٨ – ٢٤٨ .

(٢) راجع مقالنا في مجلة العاديات السورية ، السنة الخامسة ، ١٩٣٧ ص ٤٩ .

(٣) La Préhistoire Orientale, 3 vol., Paris, 1926 - 1927

لا تحمل تعريفاً ، وتلك التي اخرجها من الكهوف والتلال مزوّدة بتاريخ أصلها وصنعها .

كثر في عهد الانتداب الذين شغفوا بجمع ادوات الانسان الأول وقد الف بعضهم مجموعات لا يستهان بها وصفوها في مقالات شتى وعرضوها في متاحف اوربا غير انهم في وصفهم كانوا معتمدين معلوماتهم عما قبل التاريخ باوربا وهي تختلف كثيراً عنها في بلاد الشرق [١] انما لا ننكر فضل السيد الفرد روست (A . Rüst) الألماني الذي اشتغل طيلة ثلاثة اعوام من سنة ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ في البحث عن الأماكن التي سكنها الانسان الأول في ما يجاور النبك ويبرود فتوصل الى اكتشاف عدد منها ثم راح يجري حفريات في ثلاثة مآوٍ تحت الصخر قرب يبرود فكشفت له جهوده عن وجه جديد من وجوه الصناعة الظرانية دعاه باسم « اليبرودي » وقد نشر بعض المعلومات عن اكتشافه هذا في مجلة ما قبل التاريخ الألمانية [٢] واننا لا نزال ننتظر الدراسة المفصلة التي سوف يصدرها عن حفرياته فلربما تميط اللثام عن نقاط غامضة في حياة الانسان الأول في سوريا . إذ هي الحفريات العلمية الأولى التي أجريت في بلادنا والتي تدور حول ما قبل التاريخ .

ومنذ سنة ١٩٤٠ ظهرت عدة دراسات في عهد ما قبل التاريخ في سوريا نخصّ منها بالذكر مقالاً للمقدم الافرنسي غريدل (Gridel) عنوانه « ما قبل التاريخ في جبل الدروز وفي سوريا » [٣] ومقالاً آخر للأب اليسوعي بوليو (Beaulieu) عن مدينة جبل الدروز الأولى [٤] وهو درس سطحي أقل قيمة

(١) راجع مقالنا السابق ص ٥٠ – ٥١ .

(٢) Praehistorische Zeitschrift , t. xxiv , 1933 , pp . 205-218

(٣) Bulletin de la Société Préhitorique Française , 1944 , pp. 80 - 82 .

(٤) La Première Civilisation bu Djebel Druze, Syria, 1944-1945 , t . xxiv pp . 232 - 250 .

من درس آخر للدكتور برفس (Pervès) ظهر في المجلة نفسها تحت عنوان : ما قبل التاريخ في سوريا ولبنان [١] وقد أصلح فيه ما قاله هو نفسه في مجلة جمعية ما قبل التاريخ الافرنسية [٢] وقد جارى في موضوعه ما كتبه السيد جان هلر (Jean Haller) سنة ١٩٤٥ [٣] تحت عنوان : لمحة عن ما قبل التاريخ في سوريا ولبنان .

تلك نظرة خاطفة في دراسات ما قبل التاريخ في بلادنا : وهي دراسات متقطعة لا تفي الموضوع حقه . اذ يتناول القسم الأكبر منها البحث عن اماكن متباعدة متشتتة وُجدت فيها آثار الانسان الأول . ثمّ ان الاكتشافات السطحية تربو عدداً على الحفريات والاكتشافات الطبية .

فمن الضروري ان توحد الجهود فتقسم البلاد إلى نواح تدرس الواحدة بعد الأخرى وعندما توضع لوائح للأماكن ، من حقول ومآو سكنها الانسان الأول وترك فيها ادوات عمله وصناعته ، يُختار كهف أو طمي نهر من كل هذه النواحي وتُجرى فيه حفريات علمية تحت اشراف اناس اخصائيين . ثم تُجمع المعلومات العلمية التي توصل اليها هؤلاء الاخصائيون والمأخوذة عن نقاط متفرقة من البلاد فيؤلف منها هيكل لدراسات ما قبل التاريخ في سوريا ؛ أخيراً تطبق الاكتشافات السطحية على نور هذه المعلومات وهكذا نكون قد وقفنا على ناحية مهمة من تاريخ بلادنا لا بل من تاريخ البشرية لأن سوريا ملتقى الطرق ومحط الشعوب منذ فجر العالم . ومن ثمّ فلدرس ما قبل التاريخ اهمية أكبر منها في أي قسم من المعمور .

---

(١) La Préhistoire de la Syrie et du Liban Syria, 1946-1948, t. xxv, pp. 109 - 129.

(٢) Bulletin de la Société Préhistorique Française,

(٣) Notes et Mémoires de la Délégation Générale de France au Levant, Section Géologique, t. IV, pp. 49-58.

من سنين خلت وكنا كرسنا اوقات فراغنا للتجوال في نواحي القلمون فأسعدنا الحظ بان نقف على اكثر من خمسين مكاناً سكنه انسان العصر الرابع وجمعنا من أدوات شغله مجموعة لا يستهان بها؛ ثمَّ عثرنا على آثار تركها هذا الانسان من نوع (Dolmen) او (Monuments mégalithiques) وهي الأولى من نوعها التي تكتشف في سوريا وقد خصصنا لهذه الاكتشافات عدة مقالات وقد قام الأب (Beaulieu) بالعمل نفسه في جبل الدروز فلماذا لا تتابع هذه الجهود في نواح أخرى من البلاد ؟ اخيراً وقفنا بالقرب من درعا على محطة لانسان العصر البرنزي التقطنا فيها عدة آلاف من الأدوات الظرانية من فؤوس ومناشير وسكاكين ومخارز ومجارف ومناجل وغير ذلك من الأدوات المنزلية او الصناعية والزراعية التي كان يستعملها في ذلك الوقت [١] .

لا يخلو هذا الاكتشاف من الأهمية العلمية إذ ينبئنا عن أبعد نقطة سكنها الشعب المدعو الغسولي (Ghassoulien) والذي ترك لنا مدنية زاهرة في شرقي الأردن وقد تتبع العلماء آثاره في فلسطين ومصر ولا نعرف الى الآن اصل هذا الشعب ومنشأه . ولذا فكل نقطة نجد فيها من بقاياه تعبر معلماً يهدينا الى الطريق الذي تبعه .

يستدل من الأدوات التي وجدناها أن هذا الشعب كان منصرفاً الى الزراعة والصناعة، يجيد زراعة الحبوب . فكثرة المناجل والطواحين اليدوية التي وجدناها دليل واضح على ذلك وهكذا يتسنى لنا بالاستناد الى ادوات ظرانية يستخف بها المارّة ان نتأكد أن حوران كانت منذ الألف الرابع قبل المسيح كما كانت على أيام رومة كما هي الآن أهراء سورية .

(١) P. J. Nasrallah, Une Station ghassoulienne dans le Hauran, Revue Biblique, 1948, t. LV pp. 81 - 103.

وفي عدد الأدوات التي عثرنا عليها أداة غريبة الشكل ، وهي الأولى في نوعها حتى في اوربا ، وقد اقترحنا انها مشط للصوف لعلمنا من بقايا الحيوانات التي وجدت في تليلات غسول ، في شرقي الأردن ، ان الشعب الغسولي كان يهتمّ بتربية المواشي ·

هذه هي الاستنتاجات التي يخولنا أن نستدركها درس أدوات الانسان الأول ، وهي مبنية على أساس علمي راسخ وليس مجرّد خيال · وعندما نكون قد عرفنا وعيّنا الأماكن التي سكنها الانسان القديم في سوريا يمكننا ان نخط الصفحة الأولى من تاريخ بلادنا ولا غرو انها سوف تكون صفحة مجيدة لأن الشرق كان منذ فجر الانسانية مبعث الحضارة ·

الأب يوسف نصر الله

مخطوطة رسالة المآخذ

ومؤاخذتها والاستدراك عليها

أما رسالة المآخذ فهي لابن الدهان النحوي الكبير المتوفى سنة ٥٦٩ هـ وهو مترجم في ابن خلكان وفي معجم الادباء (ج ٤ ص ٢٤١) . وقد قالوا في ترجمته : ان كتبه غرقت في دجلة فأراد استصلاحها وتجفيف أوراقها فعالج تبخيرها باللاذَن فعمي . واللاذن (بفتح الذال المعجمة) ضرب من العلوك . ومن شعر ابن الدهان قوله :

(لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصة والجد تعلو به بين الورى القيَم)

(ولا يغرنك من ملك تبسمه ما تصعق السحب الا حين تبتسم)

ورسالته او كتابه (المآخذ) جمع فيه ما تابع المتنبي به ابا تمام في شعره . ولم يذكر ياقوت في معجمه اسم هذا الكتاب بين مصنفات ابن الدهان . أما صاحب كشف الظنون فقد ذكره وسماه (الرساله السعيدية في المآخذ الكندية) فقوله (السعيدية) نسبة لابن الدهان نفسه فان اسمه (سعيدبن المبارك) وقوله (الكندية) نسبة الى ابي الطيب المتنبيء فانه كِندي النسب . و (المآخذ) جمع مأخذ بمعنى الأخذ أو مكان الأخذ : فابن الدهان في كتابه هذا يرشدنا الى أخذ المتنبيء بعض معاني اشعاره من شعر ابي تمام أو أنه يرشدنا الى مواضع الاخذ من شعره . وبعد نحو ستين سنة من زمن ابن الدهان يقوم اكبر أديب عربي مارس صناعة الأدب وعالج نقد الشعر وتبحر فيه علماً وعملاً ووضع له أصولاً وقواعد : اعني به ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب (المثل السائر) والمتوفى سنة ٦٣٧ هـ وهو من المولعين بالمتنبي وشعره — يقوم هذا الأديب فتحمله الأنفة

مما نسبه اليه ابن الدهان في مآخذه التي يعبرون عنها بالسرقات أحياناً ويؤلف كتاباً فيؤاخذ ابن الدهان على ما كان منه ويناقشه في مؤاخذاته ويفند معظمها لكنه مع هذا لم يملك نفسه ولم تطاوعه امانته واخلاصه للأدب وخدمة الأدب في السكوت عما عثر عليه هو من تلك المآخذ التي غفل عنها ابن الدهان في شعر المتنبي فيكون في كتابه هذا قد جمع بين شيئين : مؤاخذة ابن الدهان على مؤاخذاته — واستدراكه عليها بذكر ما فاته منها وسمى كتابه (الاستدراك في الأخذ على المآخذ) .

وفي مكتبتي الخاصة نسخة من كتاب الاستدراك هذا لكنها قد خرمت من أولها بنحو بضع ورقات ومن وسطها كذلك . وقد قدرت الخرْم في آخرها بنحو خمسين صفحة . والموجود لديّ منها مئة ورقة ونيف متوسطة القطع حسنة الخط وعليها تعاليق قليلة بعضها بخط محمد النصري الطرابلسي مؤلف كتاب اللؤلؤ الرطب على قصيدة كعب . وقد صحح كثيرٌ من الفاظ الرسالة . على أنها لا تخلو من أغلاط وتحاريف . وعرفنا أن مؤلف الكتاب هو ضياء الدين من أطواء هذه الأوراق : ففي الصفحة (١٦) ما نصه (والكلام في مثل هذا الموضع طويل عريض . ولو أخذت في استقصائه لاتسع المجال لكنه يؤخذ من كتابي الموسوم بالمثل السائر فانه موضوع لبيان أسرار الألفاظ والمعاني وتفصيل اقسامها) . وفي مكتبة احمد تيمور باشا نسخة من هذا الكتاب موسومة باسم (الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية) وقد اسهب ضياء الدين في مقدمة كتابه (الاستدراك) في مباحث نقد الشعر وأكثر من الشواهد الشعرية وقارن بينها . وتخلل كلامه كثير من تبجحاته التي اشتهر بها . ولو حماه الله منها لكان أقرب الى النفوس . ولكانت مصنفاته أعلق بالقلوب . وقد استطال في كتابه على ابن الدهان فلم يرع حقه . ولم يوقر حرمته . ولا سلامة قلبه التي ظهر أثرها في التدخين على كتبه باللاذن حتى فقد عينيه : فكان يسخر منه أحياناً

ويعيره بانه نحوي لا بصارة له في صناعة الأدب · ولا عناية بفن نقد الشعر ·

ومن أمثلة صلف ضياء الدين وتبجحه ما ننقله عن نسختنا (الاستدراك) في الصفحة ١٧ فقد قال ما نصه :

(وعرض عليّ بعض الاخوان ممن عنده فضيلة -- كتاب الحماسة وقد قرأه على شيخٍ من مشيخة علماء العربية بالعراق وكتب له خطه بالقراءة والبحث عن مشكلات الكتاب · والتوقيف على معانيه · فأخذته الى يدي وتصفحته ، فأول ما خرج منه القطعة الرائية للمنخّل التي اولها :

(ان كنتِ عاذلتي فسيري نحو العراق ولا تحوري)

وأول ما وقع نظري على بيت منها وهو :

(ولقـد دخلت على الفتا ة الخدر في اليوم المطير)

سنح لخاطري في تلك الحال ان المنخل أراد كذا وكذا · فقلت لذلك الرجل : ما شرحَ لك شيخك من معنى هذا البيت ؟ فقال : هذا معنى ظاهر لا يُسأل عنه · فقلت : وما هو هذا الظاهر ؟ فقال : يريد أنه دخل على هذه المرأة في يوم يجيء فيه المطر · قلت إن كان أراد هذا فقد خاب وخسر · وان كان ابو تمام فهم ذلك منه واختاره فهو أخيب وأخسر · وأي معنى ها هنا حتى يُختار · إن كان المراد به ذلك · فوجم الرجل لقولي وأطرق · ثم رفع رأسه وقال : ما الذي عندك ؟ فقلت ان المنخل قد وصف نفسه بالشجاعة والاقدام وقوة الجنان : يريد أنه دخل على هذه المرأة وزوجها شاهد أي حاضر في البيت · ولم تمنعه المراقبة ولا الخوف من دخوله عليها · ألا ترى ان من العادة في الأكثر والأغلب أنه اذا جاء المطر يمتنع المسافر عن السفر والزائر عن الزيارة وصاحب الشغل عن السعي في شغله ، وقد يسافر عند مجيء المطر ويزور ويسعى في الشغل لكن يقع ذلك نادراً والحكم انما يكون على الأكثر والأغلب ·

فالمنخل يريد بقوله في اليوم المطير أنه دخل على هذه المرأة وزوجها حاضر في البيت · ولم يرد أنه دخل بمرأى منـه ، بل دخله وهو حاضر فيه ولم يصدّه عن ذلك خوف ولا مراقبة ، ومما يشهد بذلك أن النعمان دخل بيته عند نزوله من ركوبه فرأى امرأته وقد ربطت رجلها ورجل المنخل في قيد وهما جالسان : قصدت بذلك ان تقرّبه منها قرباً ملصقاً بحيث لا ينفك عنها · فأخذه وسلمه الى صاحب حبسه · وهو رجل اسمه عِكَبّ[1] وأمره بقتله ، والحكاية في ذلك مشهورة · انتهى

المغربي



(١) عكبّ بكسر ففتح فتشديد صاحب سجن النعمان بن المنذر قال المنخل اليشكري في عكبّ هذا :

(يطوّف بي عِكَبّ في معدٍّ ويطعن بالصُّمُلّة في قَفَيّا)

والصُّمُلّة العصا أو الحربة . والقفيّ جمع قفا .

القول الناجع في الغلط الشائع

لقد كان من الحرص على سلامة اللغة العربية وصحتها ومن حب الاتسام بسمة العلم بها أن كثر نقد اللغويين والكتاب النحويين لما عُرف بالغلط الشائع ، في عصرنا هذا الذي كثر فيه النقل من اللغات الغربية الى اللغة العربية . ومن المجلات العربية التي وازرت على ذلك النقد وآزرت النقاد وتنخلت الآراء هذه المجلة المباركة ، التي تعاون على الكتابة فيها والتعهد لرياضها والتهذيب لها جماعة من أفاضل كتاب العرب في هذا العصر .

وأنا إذ سميتُ القول المختلف في سلامته والكلمة المختلف في صحتها « بالغلط الشائع » جريتُ على التسمية المتعارفة وإنْ لم يكن ذلك القول الشائع في الأحيان غلطاً ولا شططاً ، فان للاشتهار حكماً نافذاً أو غالباً ، وما القول الشائع المزنون بالغلط إلا كالمتهم المرفوع الى الحاكم فهو صائر إما الى التبرئة واما إلى التجريم .

ولقد ذكرتُ غير مرة في غير موضع أن أكثر من احدثوا الغلط الشائع في لغتنا العصرية كانوا من النَقَلة أعني التراجمة ، ومن الذين ساعدوهم على وجدان مفاريد[1] العربية المقابلة لمفاريد[1] اللغات الغربية ـ على ما وهموا اليه أو تحققوا[2] بمعرفته ـ ومن الحق علينا أن نعترف بصعوبة إتقان لغتين اتقاناً مستوياً بحيث يستطيع

(١) المفاريد جمع تكسير للمفرد كالمرسل فانه يجمع على مراسيل والمسند على المسانيد والمصعب على المصاعيب والمنكر على المناكير، وقد شارك اسم المفعول اسم الفاعل في هذا الجمع نحو « مُجرع مجاريع وموسر مياسير ومُفطر مفاطير ومُطفل مطافيل » وذلك لاشتراكهما في ضم الميم وعلى هذا يجب أن يقال قياساً « معجم معاجيم » لامعاجم لأن المعاجم جمع المعجم بفتح الميم كقولهم « فلان صلب المعاجم » .

(٢) يقال « تحقق فلان بكذا » أي اتسم به واختصّ ، وهو من التعابير الفصيحة التي فاتت معاجيم اللغة العربية العتيقة .

متقنهما أن يؤدي احداهما بالأخرى حق الأداء ، وينقلها اليها كامل النقل ، على أن هذا الاعتراف لا يبرئ النقلة الذين تبحروا في اللغة الغربية وتخلفوا في العربية فجاء نقلهم مسخاً من المسوخ أو ضرباً من التدليس والتزوير ، وذلك أنهم لضآلة إيمانهم بكرامة العربية وكرامة اهلها لم يعنوا بدراستها وتفهمها ولا عاجوا على مغانيها ومعانيها ، فهم من اشرار التجار ، وحملة العار ، ولقد علم الماضون منهم والغابرون أن الذي يغلط من الغربيين في استعمال حرف جر من لغته أو تصريف فعل من افعالها ، يستثير على نفسه النكير والتثريب فلا يزال القوم به حتى يرغموه على الاقرار بغلط نفسه والنزوع عنه .

وحسب الباحث والناقد ، في هذا الموضوع ، ان يستفرغ الطاقة ويبذل المجهود ، ويخلص النية ويستبرئ الطوية ، معتمداً على أصل من العلم باللغة أصيل ومستنداً الى فهم نبيل ، لا يسلكه النفج فجاجاً مبهمة عليه ولا يورطه التجني في ورطة الدعاوي العريضة والمؤاخذات المريضة ، فانه إن فعل ذلك لم يبال تغيظ المخطئين ولا تغضب الغالطين ، ولا شتيمة السفهاء ولا سفاهة الرقعاء ، فان الدفاع عن اللغة دفاع عن أمتها وصون لحرمتها ، وتقوية لشوكتها ، وتزكية لأرومتها ، ولا يزال العرب في خير ما حافظوا على لغتهم واعتصموا بعروبتهم واعتزّوا بجمرتهم [1] .

وقبل أن اعالج القول الناجع في الغلط الشائع أرى ان أشير الى بعض ما وقع فيه النقاد من الوهم وضعف الحكم في نقدهم ، وذلك انهم نقدوا التعابير بأعيانها ، والأفعال بمواضعها ولم يراجعوا في ذلك القواعد العامة ولا الأمور الشاملة ، ولا استبطنوا أسرار العربية من قياس واشتقاق واقتباس وانما اعتمدوا على المنقول بنصوصه فتحجروا الواسع وتغافلوا عن الواقع ، ونفجت بهم طريق الانتقاد الى غير السداد ، فظنهم الناس ـ ولا ابرئ نفسي ـ متجنين متشددين ، جامدين

(١) الجمرة كل قوم تضاموا فصاروا يداً واحدة ، يقال « بنو فلان جمرة » اذا كانوا أهل منعة وشدة ، فالجمرة هنا مستعارة من الحصا المجتمع ومنها جمرات العرب .

حاقدين ، وطاح الحق بين الفريقين : فريق النقاد وفريق المنقود عليهم ، وكلهم يظنون أنهم يحامون عنه [1] وهم في الحقيقة يحامون عليه ، وأنا لا أدّعي في مقالتي هذه كل الصواب والسداد ولا أطمع في غير التنبيه على القواعد العامة التي فاتت القوم ففاتهم شيء كثير ، من صواب الرأي وصحة الحكم ونجوع القول ، وهذا اوان الشروع في الموضوع .

القول في الحروف « على وأفعالها »

الحروف في كل لغة كالمفاصل في الأجساد والأجسام ولا سيما حروف الجر فانها مفاصل العربية بها تتحرّك وتتصرّف ولا حياة إلا بالحركة والتصرف ، وكما يطبق المفصل موضعه يجب ان يطبق الحرف موقعه ، فالتطابق شرط في سلامة الأعضاء وصحة الحركات ، ولقد غبرت عدة سنين ألتمس الدليل على صحة قولهم « حروف الجر ينوب بعضها عن بعض » فلم أظفر به ولا لمحت خياله ، فانه لعمر الله قول مطلق يقتضي العموم ويفيد الشمول ، فاذا أنت عرضته على الواقع من مسموع اللغة ومقيسها ضاق وتضاءل حتى الاضمحلال ، لأنك تعلم علم اليقين أن « ذهب عنه » غير ذهب اليه و « رغب فيه » غير رغب عنه واليه و « مال اليه » غير مال عليه وعنه و « حكم عليه » غير حكم له و « تصرّف فيه » غير تصرّف به و « طلب اليه » غير طلب منه ، وأظهر ما يقال في هذا الأمر أنّ أحرف الجر الخاصة بالظرفية المكانية قد ناب بعضها عن بعض في شيء من كلام العرب وشعرهم ، كنيابة الباء عن « في » او نيابة هذه عن تلك إذا استعملتا في التعابير المكانية ، ومع ذلك لا تصح النيابة اذا خيف الالتباس كقولك « تصرّف فيه » فان ذلك يعني مكاناً يذهب ويُجاء فيه حقيقة كالطريق أو مجازاً

---

(١) يحامون عنه اذا كان في حوزتهم وحيزهم فهم ينفحون عنه ويذبون و « يحامون عليه » اذا كان بينهم وبين خصومهم فكأنهم واقفون عليه مدافعين . وهذا من أسرار العربية التي استبطنتها ولم يسبقني اليها أحد ، فان « عن » تفيد المجاوزة فيكون الحق وراء المحامي و « على » تفيد الاستعلاء فيكون الحق بين يديه .

كالأملاك [١] وغيرها ، وقولك « تصرّف به » يعني شيئًا يحمله المتصرف معه كالنقود والجواهر ، والمقصود الحمل ، ومنه قولهم « تصرّفت به الأحوال » أي تقلبت عليه والمراد « حملته معها » ولطالما احتجّ أصحاب هذا الرأي ـ رأي النيابة ـ بقوله تعالى : « ولأصلبنكم في جذوع النخل » قالوا : أراد على جذوع النخل ، وهو من تعابير الظرفية المكانية التي أشرنا اليها ، على أن « الصلب » وتكثيره ومبالغته « التصليب » يفيد التسمير والتثبيت ، كما هو معروف في الديانة النصرانية واصول التعذيب القديم ، وعلى ذلك يقال « سمّره فيه وثبته فيه تسميراً وتثبيتاً » لا « سمره عليه ولا ثبته عليه » ثم تغير الصلب وصار تعليقاً للمصلوب [٢] على أن الذي يدّعي ان المراد بقوله تعالى هو « على جذوع النخل » يجب عليه أن يأتي بعبارة سابق تاريخها لنزول الآية الكريمة يستعمل فيها فعل الصلب مع « على » ، وإلا فان ذلك من الدعاوي حسب . ولا يصح الاستشهاد بمثل قول الشاعر:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نرَ مهدياً على الجذع يصلب

لأنه من اشعار العهد الأموي اي العهد الذي صار فيه الصلب تعليقاً ، والمعروف ان يقال « علقته عليه وبه » بله ان الشعر لا يستطيع مناهضة النثر في مثل هذا المقام فان الشاعر لو قال « في جذع نخلة » و « في الجذع يصلب » لكسر البيت . أما قولهم « كان ذلك على عهد فلان » وتأويلهم اياه بأنه « في عهده » وأن « على » قامت مقام « في » فجدّ غريب ، لأن الظرف المسمى بظرف الزمان لا يستحق هذه التسمية فالزمان لا يكون في الحقيقة ظرفاً وإنما هو وقت مصاحب

---

(١) ويقال «تصرّف على أحكامه» أي طبقها واتبعها و « تصرف على الأرض : سار عليها » ومن مجاز تصرف في قولهم « نظم الشعر وتصرف في النثر » و « تصرف العلماء في مسائلهم » و « تصرف في فنون العلم » وقد جمع المتني الوجهين في قوله :

أكلما رمتَ جيشاً فانثنى هرباً تصرّفت بك في آثاره الهمم

(٢) راجع تفصيل الصلب في حادثة وقعت سنة ٦٤٦ هـ بدمشق ، سمّرت فيها يدا المصلوب وعضداه ورجلاه « ذيل الروضتين لأبي شامة ص ١٨٠ » وجاء في ص ٢٠ منه « وهو مصلوب في وسط الجذع » .

للفعل ولذلك يجوز ان يجتمع هو وظرف المكان في جملة واحدة كما في قولنا «أقام في المدينة شهراً» والمراد «اقام في المدينة وشهراً» يؤيد ذلك قولهم «جاءنا مع الليل وجاءنا بالليل» فالمعية والمصاحبة غالبة على ما يسمى ظرف الزمان والباء هي الأصل في جره لأنها للمصاحبة كقوله تعالى: «وسارت بالنهار» ولقلة تعلق الفعل به او ضعفه سهل نصبه من حيث كون النصب أخف الأعاريب، فهو على الضد من ظرف المكان فان نصبه مقيد في الغالب، إلا اذا ذهب به مذهب الاتساع كقوله تعالى: «ولأقعدنّ لهم صراطك المستقيم» «اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» «أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم».

ومن المقرّر في كتب ضرائر الشعر ان وضع حرف مكان حرف هو ضرورة تسوغ للشاعر دون الناثر وليس للتضمين حكم مقبول، لأن الفائدة البلاغية لا يصحّ البتة أن تكون في مخالفة الفصاحة بوضع اللفظ في غير موضعه، فالدعوى باطلة من اصلها، ألا ترى الى قوله تعالى: «فادخلي في عبادي وادخلي جنتي» فان العباد لخلوها من الظرفية استعمل الفعل معها على اصله، و «الجنة» لصلاحها للظرفية استعمل الفعل معها على الاتساع، فهل لقائل ان يقول: «ادخل القوم» مضمناً هذا الفعل الثلاثي معنى «أدرك» او «خالط» او غيرهما؟ لا يجوز ذلك أبداً والبلاغة منه براء.

والكلام على الحروف يستدرجني الى الكلام على الأفعال وقد استرجحت ان اتكلم عليها على حسب حروف المعجم فأذكر المشترك منها في حرف الجرّ مثل «اثر عليه» و «اكد عليه» و «ينبغي عليه» و «اجاب عليه» و «احال عليه» و «حافظ عليه» و «حكم عليه» و «خفي عليه» و «ردّ عليه» و «زحف عليه» و «استند عليه» و «تساهل عليه» و «اضطره عليه» و «اضفى عليه» و«انطلى عليه» و «عوّده عليه» و «اعتاد عليه وتعوّد عليه» و «علا عليه» و «اغدق عليه» و «اغراه عليه» و «فتش عليه» و «تكلم عليه» و «نقد عليه» و «رد عليه» «ووزّع عليهم».

فأما «اثر عليه» تأثيراً فقد تنبه لغلطه النقاد وذكروا ان الصواب فيه «اثر فيه» تأثيراً، ولم يجاوزوا في تصحيحهم الاستشهاد بما ورد في كتب اللغة، ولا حاولوا تعليل ذلك، ولا ذكروا تاريخ هذا الغلط لظنهم أنه من الغلط العصري، والتحقيق انه كان مستعملاً قبل اكثر من الف سنة «مروج الذهب ج ٢ ص ٩١ من الطبعة الجديدة». وقد وردت الباء فيه بدلاً من «في» «الأغاني ج ٥ ص ١١٩ من طبعةدار الكتب المصرية» و «شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٣٦١ و ج ٣ ص ٢٠٦» و «الكامل ج ٣ ص ٢٩٦» وقد ورد في قصة الأعسر بن مهارش الكلبي من معاصري سيف الدولة الحمداني، وقد نقلها كمال الدين عمر بن العديم الحلبي في تاريخ حلب من نسخة كانت في وقف الكتب التي وقفها امير المؤمنين الناصر لدين الله في تربة زوجه سلجوقي خاتون ببغداد، شطرٌ هذا نصه: «يؤثر من حدر على صفحة الخد [1]». واذ كان المقصود بالتأثير احداث أثر وكان الأثر واغلاً في الشيء داخلاً فيه لزم ان يقال «أثر فيه» لا اثر عليه، لأن «على» لا تبلغ بالمؤثر ان يكون مازجاً للمؤثر فيه، لافادتها الاعتلاء والغلبة والتسلط والسيطرة، دون المازجة والملابسة، فقولهم إذن «اثر عليه» معناه «ترك اثراً فوق جسمه او فوقه مطلقاً» ولا يسمى ذلك تأثيراً ولا المتروك الصعب التصور «اثراً» ففي العبارة احالة واستحالة، وتأويل ذلك ان الأثر يجب ان يكون داخل المؤثر فيه، فاذا قلت «اثر فيه» وفسرت ذلك قلت «جعل فيه أثراً وأحدث فيه اثراً وعمل فيه اثراً» ولم تقل «عليه» واذ تطرقتُ الى «على» للاستعلاء لم اجد بداً من الاشارة الى أن صدراً من الأفعال التي يناسبها الاستعلاء يستغني فيها عن هذا الحرف فيقال «حضنته» بدلاً من «حضنت عليه» وعلاه بمعنى «علا عليه» و «عضه» بدلاً من عض عليه و «غطاه» اي غطى عليه و «قبضه» اي قبض عليه، وكل ما كان في هذا المعنى فهذا سبيله، وليس

---

(١) أصول التاريخ والأدب «مج ١٧ ص ١١٥» وقد ذكرنا أن هذا المجموع من مجموعاتنا الخطية في «٣٥» مجلدا.

الأمر على ما يظن بعض النقاد من أن الأصل «علاه يعلوه [١]» لأن هذه الأفعال لازمة في الأصل مستقرة في فاعلها، فالتعدية طارئة وهي من باب الاتساع، فتأمل ذلك.

فمن القواعد العامة إذن استعمال «على» مع كل فعل يدل على الاستحواذ والسيطرة والاحتواء والشمول، وان كان الاحتواء ناشئاً من الشفقة، كقولك «عطف عليه وحنى عليه وحدب عليه» وعلى هذا يجب ان يقال «استحوذ عليه وسيطر عليه واستولى عليه واحتوى عليه واشتمل عليه» سواء اورد السماع به أم لم يرد، الا ترى انهم قالوا «ظفر عليه وغلبه عليه واستوى عليه» من حيث نظروا الى جهة وقوع الفعل، وهذه القاعدة الشاملة هي التي حملت جماعة من المعاصرين أن يقولوا «حاز عليه» بمعنى حازه، وقديماً قال ابن الساعاتي الشاعر المقتدر:

ما أنسَ لا أنسَ الوداع واعينُ الـ آجال حائزة على الآجالِ

ويلي أثر عليه في ترتيب حروف المعجم «اكد عليه» يقولون «اكد فلان على الأمر» واراه من الترجمة لقول الفرنسيين Insister sur qc على ان الناقل الأول لهذه العبارة الأعجمية لم يعدم الصواب في اختياره «اكد» فانه من اقرب الافعال الى اداء هذا المعنى، والتعابير البشرية كثيرة التشابه مع اختلاف اللغات، لأن المعايش الانسانية كثيرة التشابه، واللغات من آلات المعيشة، إلا أن الفصحاء قالوا «اكد على فلان» بادخال هذا الحرف على الانسان لا على الشيء والأمر، وهم في الغالب يحذفون مفعول التأكيد ويقولون «اكد عليه في كذا» والأصل «اكد عليه الأمر والوصية» فالمفعول به معلوم حق العلم وليس من البلاغة أن يذكر المعلوم بالبداهة، وعلى هذا ورد صدرٌ من الأفعال، أعني أنها وردت محذوفاً مفعولها وروداً كثيراً بحيث يظن غير المتبحر في العربية أنها لازمة مثل «حامى عنه أو عليه ودافع عنه، وحافظ عليه وذبّ

(١) قال تعالى: «اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» فتعديته بعلى هي الأصل عندي.

عنه واستقصي عليه وفتش عنه » وكثير مما لا يحضرني ، فالأصل « حامى غيره عن الشيء او عليه ، ودافعه عنه وحافظه عليه وذبه عنه واستقصى الحساب والأمر عليه وفتش المكان او البلد عنه » وكيف يكون مثل « حامى ودافع وحافظ » من الأفعال اللازمة ونحن نعلم أن « فاعل مفاعلة » متعدٍ بالسماع والقياس ؟ ولم يندّ عن ذلك إلا قولهم « بالى به مبالاة » مع ورود « بالاه يباليه » في الفصيح من اللغة ، وعلى هذا الوجه يحمل قولهم « دخل الحجاز وجاور في مكة » يعنون « جاور الله تعالى » ومن هذا الجوار قيل للزمخشري العلامة الامام « جار الله » .

وانك لتجد « أكد عليه في كذا » في تاريخ الطبري « سنة ٢٥٥ ص ١٦٣ » من طبعة مصر الأولى ومعجم الأدباء لياقوت « ج ٧ ص ٢٥٦ » من طبعة مرغليوث ، ومنهم من يعنيه ذكر مفعول « أكد » كما جاء في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٢١ « ثم نهاه عن الظلم وأكد الوصاية عليه » وكذلك ورد في تاريخ الطبري « سنة ٢٢٧ ص ٧٢ » من الطبعة التي أشرنا اليها ، وقد جاء في التاريخ الفخري ص ٢٣٣ « وأكد عليه النهوض » والصواب « وأكد عليه في النهوض » ولم تخف صحة التعبير على مختصر رحلة ابن بطوطة ومحرّرها فقد جاء فيها ج ١ ص ١٢١ من طبعة مصر الصفراء « وأكد عليهم في ذلك أشد التأكيد » .

فالصواب ان يقال « أكد عليه في الدفاع وأكد عليه في الحضور » وباظهار المفعول به « أكد عليه الوصية في الدفاع او الحضور » ولأخذي بمعالجة المتشابهات أرجئ الكلام على « تأكد منه » حتى يأتي مكانه .

وقبل ان أخلص الى الفعل الذي يلي « أكد عليه » اودّ ان اعالج السبب في استعمال « على » معه دون غيرها من حروف الجر إذ كان هذا البحث مقصوراً على حروف الجر اثر ذي اثير ، فالسبب في ذلك ما قدمتُ ذكره من كون « على » للاستعلاء فهي تفيد السيطرة والقدرة ، وما زال العلو دليلاً على القهر والغلبة والسفول دليلاً على الذلة والضعة ، فلذلك وجب استعمال « على » إرادة أنّ

المؤكد آمر ومسيطر على المؤكد عليه، تقول «حكم عليه وأعان عليه وساعد عليه وهجم عليه ودخل عليه وتماجن عليه وتنادر عليه وتساهل عليه وفاق عليه وعلا عليه وتجاهل عليه، ووثب عليه ووجب عليه ونفق عليه وزاد عليه واشتد عليه واستقصى عليه واستحبّ عليه» وما جرى هذا المجرى، وخلاصة القول أنّ «على» اكثر ما تستعمل مع الأفعال الحايدة - ان صح التعبير - للاضرار بالمجرور او اظهار ضعفه .

ويلي «اكد عليه» قولهم «ينبغي عليه[1]» نظروا فيه الى «يجب عليه ويحق عليه» لما اسلفت ذكره من مدلول «على» ولكنّ طبيعة الفعل «ينبغي» لا تتهيأ لمثل هذا الاستعمال، لأن الانبغاء «انفعال» فهو من معالجة الفاعل فعلاً في نفسه والباعث عليه هو رغبته فيه او ميله اليه لا بتأثير مؤثر خارج عنه سموه «المطاوعة» اعتباطاً، فليس للمطاوعة اثر في لغة العرب على التحقيق وانما هي من مخترعات الصرفيين تقول «انطلق» ولم يأمره احد بالانطلاق و«انصرف» ولم يأمره احد بالانصراف و«تقدَّم» ولم يوجب احد عليه التقدم و«تعلم» ولم يلزمه احد التعلم، فقولهم «انبغى ينبغي» كقولهم «حق يحق ووجب يجب» إلا ان رغبة الفاعل فيه راهنة دائمة، فكيف نستعمل معه «على» وفيها قهر للمجرور ومضادّة لمراده ؟ فالانبغاء دليل على رغبة المنبغي وسهولته؛ ولا يستعمل مع الأذى والسيطرة والاذلال، وعلى هذا يجب ان يستعمل الحرف المضاد لعلى وهو «اللام» حرف النفع والعائدة فيقال «ينبغي لك كذا وكذا» كما يقال «يجب لك ويحق لك ويتحصل لك ويتهيأ لك» وغير ذلك .

(١) يرى قراء الكتب العربية في الأحيان حروفاً مستعملة مع أفعال لاتمت اليها بصلة استعمالية أصلية كصلة «الى» بذهب، فيظنونها من حروف تلك الأفعال كقول نصير الله ابن الأثير «لأنه ينبغي - على قياسه - أن يكون جناح الذل ... زيادة في أسماء الطيور» (المثل السائر ص ١٤٦) فربما ظنه الشادي «ينبغي على القياس أن يكون جناح الذل ..» وهو كلام لامنطق فيه، فان المراد «ينبغي - اعتماداً أوجرياً على قياسه - أن يكون ...» فالحرف «على» متعلق بمحذوف لا يتم المعنى الا به .

أما « بغى عليه يبغي بغياً » فان « على » كما ذكرنا من افادتها القهر والأذى ، والمفعول به محذوف والتقدير « بغى عليه شيئاً من الأشياء او امراً من الأمور » اي اراده على رغمه والا فان البغي معروف بانه الارادة والطلب والرغبة في الشيء فكيف يبتعد عن اصله ويفيد الجور والظلم من غير تأويل ولا توجيه ؟ والصحيح ما ذكرته ألا ترى انك تقول « اخترتُ عليه فلاناً » اي اخترته على غير هوًى منه ، و « استحببت الشيء على غيره » و « فضلته عليه » وما الى ذلك من الأفعال المشار فيها الى كراهة المجرور بعلى للفعل ومخالفة الفاعل لهواه .

ويأتي بعد ينبغي عليه « أحاله عليه يحيله عليه » فان من الكتاب من يقول « احاله الى كذا » و « تحيله الدولة الى المعاش » وليس ذلك بصحيح لأن في الاحالة قهراً وتسليطاً فكما تقول « سلطه عليه » تقول « أحال عليه » لما ذكرت من اختصاص « على » بهذا المقام ، ومعنى « أحاله على كذا » : جعله يحول عليه اي ينتقل ، واصله من « حال على ظهر دابته[1] واحاله عليه غيره » « شرح نهج البلاغة المذكور ج ١ ص ٢٦ وجمهرة أشعار العرب ص ١٨٠ من الطبعة الأولى » ، وقد كثر استعمال « احال به عليه » ففي الكامل ج ١ ص ١٧ « ولكن احال به كل واحد منا على الآخر » ومنه قولهم « أحال عليه بالسوط يضربه » . وهذه الباء للأفعال الدالة على الدفع والتحريك خاصة ، تقول « لفظ به ودفع به ورمى به وألقى به وأحال به وأمر به ونطق به وتكلم به وانعم به وجاد به » وما أشبه ذلك ومنهـا ما يصحّ فيه الوجهان مثل « لفظه ودفعه ورماه وأحاله وألقاه » ، وليست الباء للمصاحبة كما يتبادر الى الذهن أول وهلة ، فلا صلة بين الباء في رمى به والباء في « ذهب به » .

ويلي احال عليه قولهم « حافظ عليه » وقد اشرنا اليه في الكلام على « أكد عليه » وذكرنا أن المفعول به محذوف والأصل « حافظ فلاناً على الشيء » أي

(١) ويقال ايضاً « حال فيه وأحاله فيه » لتشبيه ظهر الدابة بالمكان ، والقول فيه كالقول في « صلب » .

غالبه في حفظه و « على » للاستعلاء وتأويل ذلك أنّ كلا الخصمين يشفق على الشيء ويحدب عليه فكأنه مطروح بينهما وهما واقفان عليه ، ومعنى الاستيلاء مفهوم من الاستعلاء ، ومن الغلط ان يقال « حافظ الشيء » بجعل الشيء مفعولاً به للفعل كالذي ورد في شعر علي بن الجهم على حسب نقل محيي الدين بن العربي في مسامراته « ج ٢ ص٣ » :

أنت كالكلب في حفاظك للعهـ ـد وكالتيس في قراع الخطوب

فانه يستطيع أن يقول « في الحفاظ على » وكالذي ورد في شرح الشافية للاسترابادي ج ٣ ص ١٢٤ « ولمحافظة الالحاق » وكذلك ورد في الأشباه والنظائر « ج ٣ ص ٨٩ » ومعجم الأدباء لياقوت « ج ٦ ص ٥٢٠ » والذي أوقعهم في الوهم كون « حافظ » على وزن فاعل فهو متعد بالقياس ، وقد ذكرنا حقيقة تعدّيه مع « ذبّ عنه وحامى عنه أو عليه » وكذلك القول في « دفع عنه » فان الأصل « دفع العدو عنه » .

ومن حافظ عليه انتقل الى ثلاثيه « حفظ » فانهم يقولون « حفظت حقوق[1] التأليف للمؤلف » و « حقوقه محفوظة للمؤلف » والصواب « حفظت الحقوق على المؤلف » و « الحقوق محفوظة على المؤلف » وبذلك ورد كلام الفصحاء « شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩ » ومنه قول احدهم كما في مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٣٤ « أسألك ان تحفظ عليّ مكاني من قلبك » وقول ابي حيان التوحيدي في الامتاع ج ٢ ص ١١ ، ص ١٨٦ « فانهم يحفظون الصحة على أصحابها » . وان لقائل ان يقول : كيف وردت « على » في هذه العبارة مع أنها في اكثر احوالها للاستعلاء والاستيلاء والأذى ؟ والجواب عن ذلك أنّ هذا الاستيلاء نافع للمستولى عليه أو المنظور له بكون الفعل « حفظ » من الأفعال النافعة فهو مثل « اشفق عليه وحدب عليه وتساهل عليه ، وأتمّ عليه النعمة وأسبغها عليه » في الشمول رعاية لمكان الفعل من العناية ، ألا ترى انك تقول « حبست عليه

(١) مأتى الجمع من اللغات الغربية والأولى بالاستعمال في العربية مفرد الحقوق فيقال « حق التأليف » .

عقاراً ووقفته عليه» وجدتُ عليه بمال وعطفت عليه» اي عطفتُ عنايتي ، وما أشبه ذلك ، ثم إنّ قولهم « حفظت له كذا » جائز في غير هذا المعنى ، لأنه بمعنى أن الشيء لم يكن له بجملته في حيزه ، أما « حفظته عليه » فمفاده ان الشيء كان له من قبل واستدمتَ بقاءه له ، وهذا واضح كل الوضوح من القول الذي نقلته آنفاً « أسألك ان تحفظ عليَّ مكاني من قلبك » ، ومن المعلوم أنَّ حقوق الطبع خالصة لصاحبها من قبل فهو يريد « حفظها على نفسه » اي استدامة ملكيتها له .

وإني لآسف على نسياني « أجاب عليه » بعد « ينبغي عليه » فهناك موضعه ، ولكن الكلام عليه ههنا خير من تركه بتة ، فانَّ من الكتاب من يقول « اجاب عليه » والصواب « اجاب عنه » لأن الاجابة مأخوذة من الجوب أي الطواف والسياحة ، والانزياح ، فمعنى « اجاب عن كذا » ازاح عنه ، والمفعول به محذوف تقديره « اجاب الحجاب او الغموض او الابهام عنه » فلا يصلح غير « عن » في هذا المكان لأنها للمجاوزة والمساعدة ، ومن هذا المعنى قولهم « انجابت السحابة اي انكشفت وانزاحت » فالقائل « اجاب عليه » مخطئٌ لشاكلة الصواب لأنه لا يقال « ازاح الغموض عليه » وهو قول ساقط ، بكون الازاحة اي الاجابة إبعاداً وبكون « على » للتقريب والشمول ، الا ترى انك لا تقول « كشفت الستار على الباب » لأن الكشف ابعاد لا يستعمل معه « على » ؟

وقد يرى القارئُ في الكتب العربية استعمال « على » مع « اجاب » ولكنْ ذلك للظرفية لا للفعل نفسه كأن يقال « اجاب الحاكم على عريضة المدّعي بكذا وكذا » اي وقع عليها وكتب عليها ، ولذلك يصح الجمع بينهما فيقال « اجاب عن السؤال على ورقة كبيرة » وتأتي « على » ايضاً مع « اجاب » لبيان الحال ، تقول « أجاب عن الاستفتاء على مذهب الشافعي [1] » « شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٥ » وما اشبه هذا .

---

(١) أنا لا أتقيد بذكر النصّ في الاستشهاد لأنّ المقصود التركيب والتأليف ، الا اذا قلت « كقول فلان أو كقول أحدهم او كما ورد في كذا » .

ويلي حافظ عليه « حكم عليه » فانَّ من الكتاب من لا يميز بين « حكم عليه » و « حكم له » ولقد أشرنا الى موضع « على » من الضرر وموضع اللام من النفع ، فيجب ان يقال « حكم عليه القاضي بالحبس » و « حكم له الحاكم بعشرين ديناراً تؤخذ من خصمه » ، وعلى هذا يكون القياس في سائر كلام الناس ، واذا أريد الحكم مطلقاً قيل « حكم في الأمر وحكم في الناس وبينهم فحكم لناس وحكم على آخرين » . ومن الأدلة على ما ذكرت قول أحدهم في الكامل ج ٢ ص ٢٢ « ثلاثة يحكم لهم بالنبل ... وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار » وكذلك القول في « حقَّ له وحقَّ عليه » و « وجب له ووجب عليه » و « اجتمع له واجتمع عليه » .

ومن حكم عليه أصير الى « خفي عليه » فقد ذكر بعض النقاد أنه لا يقال « خفي عنه » وأن الصواب « خفي عليه » والصحيح أن لكل منهما موضعاً ، لأن الخفاء يستعمل حقيقة ومجازاً ، فالخفاء الحقيقي هو ذهاب الشيء عن البصر وعجز البصر عن ادراكه ، والخفاء المجازي هو عجز البصيرة عن ادراك الشيء ، فالحقيقي يستلزم « عن » للمجاوزة لأنه ابتعاد وذهاب ، والمجازي يستلزم « على » لأنها للضرر ، فلمقابلة « بدا لك وظهر لك » تقول « خفي عليك » فالخفاء الحقيقي طبيعي ، والخفاء المجازي اكتسابي ، ولا يلام الانسان على ضعف البصر وانما يلام على ضعف البصيرة ، ومن الأدلة على ما ذكرت قول الشريف الرضي الشاعر الفحل :

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

فان الطلول يدركها البصر فلذلك قال « خفيت عني » ولم يقل « خفيت علي » وكذلك قول المتنبي :

واذا خفيتُ عن الغبي فعاذري أن لا تراني مقلة عمياءُ

وقالوا في تفسير : لاحه ببصره لوحة « رآه ثم خفي عنه » ولم يقولوا « خفي عليه » وقد يشترك المعنيان في موضع واحد كقول احد الشعراء في المثل السائر ص ٦١ من الطبعة الجديدة :

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيتْ عنه بنو أسد

فقد استعمل «على» لما يخفى من اجسام الخلق وأحوالهم، واستعمل «عن» لبني اسد لأنه أراد خفاء أجسادهم، وكلما حصل الاشتراك بين المعنيين غلبت «على» على التركيب كقوله في ض ر ح من اساس البلاغة «وهل يخفى على الناس النهارُ» لأنه اراد الاستدلال البصري والبصيري، وكذلك قول أحدهم في ب هـ ر من الصحاح «وقد بهرت فلا تخفى على احد[1]» اي لا تخفى على بصيرته ولا عن بصره، ومما يؤيد قولي في ذلك أنك تقول «أخفيت الشيء عنه» لأنه إخفاء عن البصر لا عن البصيرة، فمن أين أتت «عن»؟ ومن القدماء من لم يميز بين الخفاءين كما ورد في المستجاد ص ١٣١ «لم يخف عن نظرك» وإنما أراد بالنظر البصيرة وكان حريًا ان يقول «لم يخف على نظرك».

ويلي خفي عنه «ردّ عليه» واستعمال «على» معه مفروغ من الكلام عليه إلا أن من الكتاب من لا يحسن استعمال هذا الحرف: يدخله على المردود بأن يقول «ردّ على قول فلان» ومن العنوانات المتعارفة بينهم «ردٌّ على ردّ» والصحيح ادخال الحرف على الانسان لافادة توجيه الضرر عليه فيقال «ردّ على فلان قوله» وعلى ذلك يقال «ردٌّ ردّ» لا ردٌّ على ردّ، ويقال أيضاً «ردّ عليه جواباً مقذعاً» و«ردّ عليه السلام». وهم يعكسون الحرف في التردّد: يقولون «تردّد على فلان» والصواب «تردّد اليه».

ومن الغلط الشائع قولهم «زحف على المدينة وعلى العدو» وليس المراد استعلاء الزاحف وانما المراد سيره وقصده على تؤدة، وهذا معروف مألوف حتى لتجده في تعابير البحر، ففي السلوك للمقريزي ج ١ ص ٥٦ «وزخفت مراكب الفرنج الى الميناء». وزحف الجيش والناس غير زحفان الأطفال أي حبوهم، تقول «زحف الطفل او زحف على يديه او مقعدته ويديه أي دبّ» والمقصود بيان

(١) وفي شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٠٨ «فلا يخفي علي الناس نورها» علي أن الشعر في الأحيان يحتمل ما لا يحتمله النثر.

العضو المزحوف عليه، لا جهة المزحوف اليه، فلذلك يصح الجمع بين الحرفين في جملة واحدة تقول «زحف الطفل على ركبتيه ويديه من الصحن الى الباب»، والظاهر أن السبب في الخطأ هو انهم يظنون «زحف» مثل هجم [1] فيعدّونه بحرفه - اعني على - وهذا وهم منهم لأن الهجم والهجوم يحدثان من أعلى فيستعمل معها حرف الاستعلاء «على» وليس الزحف كذلك. ويلي زحف اليه «استند عليه» فانهم يعدّونه بعلى، جاعليه مثل «اعتمد عليه» مع ان الاستناد غير الاعتماد، فالاول من الجانب، والثاني من أسفل، أعني ان الاستناد ملحوظ فيه موضع «السند» والاعتماد مرعيّ فيه حالة العماد، والسند في الأصل ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح، ومنه اشتق الاسناد [2] أي الصعود في السند، وإسناد الشيء أي الصاقه بالسند والاستناد اي اتخاذ السند والميل اليه، ومن البين أن السند لا يتصل بالمستند إلا من الجانب لذلك وجب ان يقال «استند اليه» و«اعتمد عليه» لأن المعتمد يكون فوق المعتَمَد عليه.

ويأتي بعد استند اليه «تساهل عليه» فان كتاب العرب المعاصرين انا قاطبة يقولون «تساهل معه» وهذا من الترجمة أو سوء التعبير، والصحيح «تساهل فلان على فلان وتساهل الأمر على فلان» لأن الأصل «سهل عليه» باستعمال «على» التسلطية معه، والسبب في ذلك أن الفعل وان دل على السهولة فانه أُريد به الاشارة الى صعوبة كانت حقيقية أو مظنونة، فكأنك قلت «لم يعسر عليه ولم يصعب عليه» فانتفاء الفعل لم يُذهب عنه حرف الجر، وكذلك الحال في لحظ اصل المعنى كأن يقال «خف عليه وهان عليه».

ويتلوه في الترتيب «اضطرّه عليه» وهو مما يستعمله الكتاب، اخذوه مصحفاً

---

(١) أصل «هجم عليه» هو «هجم عليه الدار» أي دخلها عليه، ولكثرة استعماله محذوف المفعول به اشتقوا له مصدراً لازماً هو «الهجوم» كلوقف المتعدي والوقوف للازم والرجع للمتعدي والرجوع للازم والصد والصدود والصدف والصدوف.

(٢) أنا من الذين يذهبون الى أن المصادر مشتقة لدلالتها على المعاني المجرّدة فالحركة - وهي الفعل - سابقة لاسمها وهو المصدر.

من بعض الكتب[1] المساء طبعها ، ومنهم من ظنه صواباً لقربه من قولهم « اجبره عليه » ولكنهم فسروا الاضطرار بالالجاء والاحواج وكلاهما يطلب « الى » دون على ، ومعنى « اضطرّه » أصابه بالضرورة أي الحق به الضرورة مثل « اغتابه » أصابه بالغيبة واجتاحه وانتقصه ، ويأتي هذا المعنى على « تفعّله » اكثر من « افتعله » لأن هذا الأخير مختص بمعالجة الفاعل شيئاً لنفسه كالاختيار والائتدام والاغتسال ، ومن أجل ذلك والتعويض عنه ، شارك « تفعل » افتعل في معنى المعالجة ، كأن الأوزان بني بعضها لبعض ، مثل « تخمرت المرأة وتعصبت وتعمم الرجل وتنوّر » .

أما « أضفى عليه » فمعلوم سبب استعمال « على » معه من حيث كون الاضفاء آتياً من أعلى الشيء ، ولكنّ بعض النقاد اللغويين المعاصرين أنكر وجوده في اللغة ، بشبهته أن كتب اللغة لم تذكره ، مع أن إدخال الهمزة على الثلاثي اللازم للتعدية قيامي متعالم ، تقول « ضفا الثوب يضفو ضفواً أي سبغ ، وأضفاه الخياط » وقد استعمله الفصحاء قال ابو اسحاق الصابي ـ كما في رسائله ج ١ و ٣ ـ « ولا سلبك ما أضفت عليك الامامة من مرضاتها » وجاء في كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٤ « واصفى مشربك وأضفى ملبسك » وكذلك ورد في معجم الالقاب لكمال الدين ابن الفوطي ، وأرى أن الجدال في تعدية الافعال الثلاثية اللازمة ، بالهمزة من بواطل الأقوال ، فالمانع لتعديتها بذلك كالقاطع عضواً من أعضاء اللغة العربية لكي يجعلها مؤوفة معيبة .

ويلي أضفى عليه قولهم « انطلى عليه » بمعنى تمّ عليه وراج ، وا كثر ما يستعملونه في الحيلة وذلك نحو « انطلت عليه الحيلة » أي تمت عليه ، والانطلاء مأخوذ من الطلاء[2] وهو القطران وما يُطلى به ، وثلاثيه « طلاه يطليه » اي وضع عليه

---

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٦٥ « ليس على معنى أن القاتل مضطر على قتله » وهو تصحيف والأصل « الى قتله » فقد جاء في أخباره ج ١ ص ٤٢٣ «حتى اضطررناهم الى الجسر » .

(٢) وقد جاء جمعه قياسياً على « أطلية » كما في مروج الذهب « ج ١ ص ١٨٠ ، ٢٢٨ » .

الطلاء ، والمبالغة منه « طلاّه تطلية » ويجوز في كل فعل ثلاثي ان يشتق منه « انفعل » إذا كان فاعله معالجاً للفعل بنفسه ولنفسه لا بتأثير خارج كما ادّعى القائلون بالمطاوعة وهي في الحقيقة عنقاء مغرب ، ولقد أشرنا الى ذلك وأتينا بانصرف وانطلق في الاستدلال ، و « انطلى » لا يمكنه ان يكون من هذا الباب ، لأن الطلاء شيء خارج ومادّة منفصلة عن المطليّ بها قبل الطلي ، ومثله طلاه « عسله عسلاً » اي خلطه بالعسل ، وقرظه اي دبغه بالقرَظ وملحه ملحاً بمعنى جعل فيه الملح فالشيء الأصلي هو المفعول ، وإذ لم يجز أن يقال « انعسل العسل ولا انقرظ القرظ ولا انملح الملح ولا انعسل الشيء ولا انقرظ الجلد ولا انملح الطعام » لم يجز ان يقال « انطلت الحيلة » . ويجوز على الاستعارة ان يقال « طليت عليه الحيلة » اي كتمتُ حقيقتها فتمت عليه ، ولا يصح غير ما ذكرت .

وأخلص بعد « انطلى » الى « عوّده على الأمر وتعوّد عليه واعتاد عليه » فان كثيراً من الكتاب يعدّون هذه الأفعال بعلى – كما ذكرتها – والصواب تعديتها بأنفسها ، ومنشأ الغلط إما الاقتداء ببعض المؤلفين المتأخرين بالاضافة الى عهود الفصاحة كابن الطقطقي في تاريخه الفخري [1] ، واما التضمين كما يقال « درّبه عليه ومرّنه عليه » واذا أخذنا باستعمال زهير بن ابي سلمى الذي ذكرناه في الحاشية ، وجب علينا ان نجيز « التعدية بعلى » في الشعر خاصة لأنه استعمل الوجهين في بيتين متواليين ، ولا مندوحة عن أن يكون أحدهما الغالب والآخر على غير الوجه ، والذي في كتب اللغة والآثار الأدبية أن تُعدّى هذه الأفعال بأنفسها ، وذلك لأن ثلاثيها هو « عاد الشيء يعوده » أي أبداه ثانيةً وباشره مرة أخرى ، فعوّده الشيء جعله يعوده ، وتعوّد الشيء واعتاده بمعنى كرّر عوده ، واتخذه

(١) راجع « ص ٢٢ » من طبعته المصرية الأولى « وتعويد النفس على ذلك » ، ولكن بعض المحتجين لصحة التعبير ذكروا أن زهيربن أبي سلمى وهو شاعر جاهلي استعمل الوجهين في قوله :

وعوّد قومه هرم عليه ومن عاداته الخلق الكريم
كما قد كان عوّدهم أبوه اذا أزمتهم يوماً أزوم

عادةً ، ومن هذا يعلم أنه ليس من « عاد عليه بكذا[1] اي نفعه به » ومنه العائدة أي الفائدة ، وقد يستعمل على الضد كقول الشاعر الوارد في الكامل المبرّدي ج ١ ص ٤٣ من طبعة الدلجموني الأزهري « تعود على مالي الحقوق العوائد » أي تنتقصها ، وتتخونها ، ومن الغلط الواضح قول النحويين « عاد الضمير على كذا » والصحيح « عاد الضمير الى كذا » من عاد اليه بمعنى رجع وآب .

فيجب ان يقال « عودتُ فلاناً شيئًا وتعوّده هو واعتاده هو » والشعر اذا خالف النثر ووافقه في موضعين ظهر ضعفه ، واذا خالف النثر أصلاً بان شذوذه ، وجاز الاقتداء به في النظم خاصة .

ويلي عوّده « علا عليه » وقد أشرنا الى القاعدة العامة في الكلام على « أثر عليه » ونؤيد ما ذكرنا بما ورد في القرآن الكريم وقد ذكرناه ومنه « ولعلا بعضهم على بعض » . وعليه قول الشاعر :

وما يعلو على قلل المعالي أحقُّ من المعرّق في العلاء

ويتلو علا عليه « أغراه عليه » والصحيح « اغراه به » لأن الاغراء إلصاق والإلاقة ، وليس صحيحاً أن يقال « الصقه عليه وألاقه عليه » وأظن أني قرأت في مروج الذهب شعراً قديمًا جاء فيه « اغراه عليه » ولكن الموضع شذّ عني ، على أنّ ذلك تصحيف لقولهم « أضراه عليه » من الاضراء والاضراء منه ، تقول « ضري بالشيء » كما في كتب اللغة « ضري عليه » كما في الامتاع والمؤانسة وجمهرة الأمثال لأبي هلال ، ومعجم الأدباء لياقوت « ج ١ ص ٣٥٦ » من طبعة مرغليوث ، ورباعيه « اضراه به وعليه » والضاد في الكتابة تتصحف الى العين والغين كما تتصحفان هما اليها ، وفي أخبار الحلاّج ص ٨٢ « يجوز اغراء الناس عن الباطل ... قال : لا ولكني اغريهم على الحق » . فالأول « إغراء الناس على الباطل » لا عنه ، وكذلك ورد في كتاب « بهجة الحلاّج » المخطوط ، والأصل « إضراء الناس على الباطل واضراؤهم على الحق » ، وقولي ان « اغراه عليه »

(١) في رسائل الرازي ، طبعة كراوس ج١ ص١٨ « سائر الصناعات العائدة علينا النافعة لنا »

محمول على « أضراه عليه » ليس معناه أن « اضراه عليه » هو الفصيح دون « اضراه به » ولكن الضعيف قد يحمل على الضعيف والركيك قد يتصحف الى الركيك، بله أن « ضري عليه » فيه معنى التسلط والجرأة ومن ذلك نشأ الاعتلاء فاستحق « على » تقول « جرؤ عليه واجترأ عليه وجسر عليه » .

ويأتي بعد اغراه عليه « فتش عليه » فان جماعةً من كتاب العصر يستعملونه وقد ورد في شعر ابن الدهان الموصلي، وكان قد ادرك القرن السابع للهجرة قال :

وعهدي بالصبا زمناً وقدي حكى الف ابن مقلة في الكتاب
فصرت الآن منحنياً كأني أفتش في التراب على شبابي

والشعر كما ذكرت لايصح ان يتخذ دليلاً على صحة التعبير ما دام مخالفاً للنثر، وقد ذكرت انه يقال « فتش عنه » لا فتش عليه وأن فتش متعد محذوف المفعول والأصل « فتشه عن كذا »، وقد ورد « فتش عليه » في نثر القرن السادس من ذلك قول ابي الفرج ابن الجوزي في « صيد الخاطر » ص ٨ « ولو فتشوا على سر هذه الأشياء لعلموا » . وهو خطأ لأن الموضع لا يستلزم « على » أبداً، فكما تقول « سأل عن الشيء » تقول « فتش عنه » وكذلك القول في « بحث عنه » ووليده « فحص عنه » و « أجاب عنه » .

ويقولون « تكلم عن الأمر » وكلمه عنه، واستتبع ذلك منهم ان يقولوا « كلمة عن الموضوع » و « الكلام عن الموضوع » والصحيح في كل ذلك وضعُ « على » موضع عن، هذا هو استعمال الفصحاء في كل ما عُرف من كتب الأدب والتاريخ وغيرها، ومن التعابير المولدة قول جماعة من المتقدمين « تكلم في المسألة » أي عليها، ولكنهما اذا اجتمعا وجب استعمال « على » ففي مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٤ من الطبعة المصرية الأولى « وهو علم يمزج الدين بالفلسفة ويتكلم فيه على الكون والظهور ... » ثم إن قولهم « تكلم في[1] فلان » معناه « ذمه وقدح فيه »، واستعمل المتأخرون من المؤرخين « تكلم على الناس » بمعنى وعظهم وذكّرهم

(١) في مصارع العشاق ص ١٣٣ من الطبعة المصرية الرديئة « وقد تكلم بعض الناس فيكما بكلام قد رفع الله أقداركما عنه » وجاء كثيراً في غير ذلك .

ورقق قلوبهم[1] ، لافادة « على » الاستعلاء من حيث جلوس الواعظ على المنبر فكأنه فوقهم ، ولكن الفصحاء كانوا يفهمون من « تكلم عليهم » تحدث في أمرهم وذكر حالهم ، وأما « تكلم عنه » فله في اللغة معنى آخر هو افادة النيابة تقول « تكلم الوكيل عن موكله » وفي جمهرة الأمثال ص ١١٨ من طبعة الهند « يقاتل عن العاجز ويتكلم عن العيّ » . وقالوا في تعريف المِدره « زعيم القوم المتكلم عنهم » أي الذي ينوب عنهم في الكلام ، فاذا قلت « تكلمت عن فلان » وأنت تريد تحدثت في أمره فذلك خطأ ، لأن معناه أن تنوب عنه في الكلام ، وفي مثل هذا يظهر الالتباس فضلاً عن مخالفة السماع والقياس .

ومن هنا أسوق الكلام الى « ورد عليه » فانّ كثيراً من الكتاب لا يميزون بين « ورده[2] » و « ورد عليه » فهم يقولون « وردنا كتاب » والورود في الأصل مما يختص بالأمكنة كالدخول والخروج والجلوس والقعود ، ومعناه الأصلي « إتيان المورد » ثم استعمل في غير ذلك ، وقد أشرنا الى انه يقال « دخل عليه الدار » ومن المعلوم أنه لا يقال « دخلت فلاناً » ولا « دخلني الشيء » فكيف يجوز ان يقال « ورد الكتاب فلاناً ووردني الكتاب » ؟ ومعنى ذلك أن الورود يجب ان يقع على مكان لا على انسان ، فان لم يكن المكان مذكوراً في الجملة فهو محذوف مقدّر تقول « ورد عليّ كتابك » والأصل « ورد على البلد كتابك » أو ما في معناه ، فالمورود هو البلد أو المكان أو المورد او الحوض والمورود عليه هو الانسان والوارد هو الشيء أو الانسان او الحيوان ، تقول « ورد القومُ ووردت الابل وورد الكتاب » فورود القوم حقيقي وقد يكون مجازياً كما في الكامل المبردي ج ١ ص ١٩٣ من الطبعة المذكورة « فلما ورد به عليه جعل

(١) في مصارع العشاق ص ١٠٨ من الطبعة المصرية « فوقف يتكلم علينا » وفي المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٨٨ « جلس على كرسيه ... وتكلم على الناس » وكذلك ورد في الوفيات ج ١ ص ١٢٧ من طبعة ايران .

(٢) ربما كان هذا الغلط قديماً ففي طوق الحمامة لابن حزم ص ١ « فان كتابك وردني من مدينة المرية » والصواب « ورد عليّ » ، هذا على اعتداد العبارة غير محرفة والا فما الذي يمنع أن نعدها محرفة ؟ ونبرىء ابن حزم من هذا الغلط ؟

عبد الملك لا يسأل عن أمر الوقيعة شيئاً، الا أنباه عرار»، ويقال على المجاز أيضاً «ورد على بدنك ضرر عظيم» كما في الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٤٦ ومن الخطأ قول القائل في الوفيات ج ١ ص ٣٤٣ «الواردين على اربل» والقائل في كامل ابن الأثير ج ٩ ص ٢٢٣ «فورد اليها في مائة فارس ونزل النجمي» والصواب «الورادين لاربل» و«فوردها في مائة فارس» . ومن هذا يعلم أن الغلط في استعمال هذا الفعل فاش في لغة الكتاب منذ عصور .

وكان عليّ أن أذكر «نقد عليه وانتقد عليه» قبل ورد عليه، فأكثر الكتاب يقولون: «نقدت فلاناً وانتقدته [1]» وهو خطأ والصحيح، ماذكرته، لأن الفعل أي النقد والانتقاد يقع في الحقيقة على الشيء وما يحل محله بالاستعارة، ولكون الشيء المنقود ذا صلة بالانسان أي بصاحبه، حقّ استعمال «على» لافادة الضرر والتعدّي ـ على ما قررته في سابق كلامي ـ فانك تقول «أضعت عليه حقه وأفسدت عليه أمره وأتلفت عليه تجارته» فلذلك تقول «انتقدت عليه قوله ونقدته عليه» كما تقول «نقضتُ عليه قوله»، وكذلك ورد في تاريخ الطبري «سنة ١٦٩ ص ٢١ من الطبعة المصرية وفي غيره من الكتب، كمجمع الألقاب ففيه «انتقد ذلك عليه» وقال ابن جبير «ما انتقدته على الأمراء» ص ١٦١ من طبعة مصر .

ولنقده وانتقده ـ مستعملين للانسان ـ معنيان آخران، فنقدَه معناه «أعطاه المبلغ نقداً معجلاً» و«انتقد القوم» أي تعرف حقائقهم كما نقلته في الحاشية من المنتظم لابن الجوزي، وما أبعد المعنيين عن المراد بقولهم «نقَدَه وانتقدَه» ولو لم يكن حرف الجر «على» لجاز أن نقول «نقدته قوله وانتقدته قوله» على الحذف والايصال مثل «كلفته الأمر وأمرته اياه وجنيته تمراً وكلته براً

(١) ورد مثل هذا التعبير في الروضتين ج ١ ص ٢٢٤ ولا يصح الأخذ به، لأنك اذا قلت «انتقدت القوم» شبهتهم بالدراهم تختار جيادها وفي المنتظم ج ٨ ص ٢٥١ «وكان قد انتقد أهل زمانه فاستعمل كل واحد منهم في ما يصلح له» أراد بانتقادهم معرفة حقائقهم، ويأتي الانتقاد للاختيار وحده، قال الشاعر «ولم أزل لعيون الشعر منتقدا» كما في الموشح ص ٣٦٨

ووزنته دنانير وأعطيته مالاً ومنعته الورود واختار موسى من قومه سبعين رجلاً »
ولكنّ هذا غير مألوف مع « على » والذي ورد منه في الشعر فشاذّ كقول الشاعر :

تحنّ فتبدي ما بها من صبابة   وأُخفي الذي لولا الأُسا لقضاني

وقد ذكر المبرّد في أول الكامل أنّ الشاعر أراد « لقضى عليّ الموت » ولكنه جعله « لقضاني » لمعرفته الفصاحة وعلمه بجوهر الكلام ، وهيهات هيهات يا أبا العباس ، لم يكن ذلك إلا من الضرورة التي أوجبها الوزن وحلّتها القافية ، فالسجين لا يستطيع أن يقول إني طليق .

وأختتم الكلام على « على » وأفعالها الداخلة في الغلط الشائع بكلمة على « وزّع عليهم » فان كتاب العرب المعاصرين لنا يستعملون « وزّع عليهم » مكان « وزّع فيهم » اي قسّم فيهم ، وذلك غلط قبيح جداً لما قدّمنا من افادة « على » للضرر والتسلط والتكليف ، فتوزيع المال على القوم معناه جعله ضريبة عليهم وتكليفاً [1] ، كما يوزّع الحاكم العسكري مالاً على قرية عاصية أو قرى عاصية ، فاذا أريد قسمته أو تقسيمه في القوم قيل « وزّع المال في الناس [3] » ، تقول « فرّق المال فيهم وأزاعه فيهم وقسّمه فيهم [2] » وما اليه ، وكما تقول « وضع عليهم الخراج وضرب عليهم الضرائب وأوجب عليهم الأداء ووظف عليه العمل » تقول « وزّع عليهم مالاً » أي كلفهم أداءه فُرادى لا جماعة ، وقد مضى على هذا الغلط نصف قرن ولم ينتبه اليه احد ، لأن النقد اللغوي والنقد النحوي لم يكونا مستندين الى القواعد العامة التي أشرت الى جملة منها وسأذكر جملة أخرى منها في الكلام على الحروف الأخرى وافعالها وسيكون مستأنف كلامي على « من » وأفعالها ومن الله تعالى التوفيق والصواب .

(لندن)   **مصطفى جواد**

---

(١) وورد بهذا المعنى وهو الأصل في نهج البلاغة « شرح النهج ج ٣ ص ٣٣١ » وراجع أساس البلاغة .

(٢) ورد في نهج البلاغة أيضاً « شرح النهج ج ٣ ص ٣٣١ » .

(٣) جاء في تاريخ الطبري سنة ٣٥ ص ١١٣ « فقسمها في الناس » .

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

وبعد فهذه رسالة موضوعها النحو عند الكوفيين خاصة ، توقف الباحث على مذهبهم في مجمل أبوابه ، وهي مجموعة في هذه المجالة على لطافة حجمها . ولا يخفى ان المذهب الكوفي النحوي ينبني عليه وجوه من القراءات والروايات المتحمَّلة عن الفصحاء والبلغاء كيحيى بن وثاب المتوفى (١٠٣ هـ) وعاصم بن أبي النَّجود (١٢٧) وسليمان الأعمش (١٤٨) وحمزة (١٥٦) والكسائي (١٨٩) ممن اشتهر بالقراءة من أئمة الكوفة . وأما من اشتهر بالرواية منهم فقد خرَّج الإمام احمد في مسنده لأكثر من مائة وخمسين محدثاً كوفياً (٢٣٩ – ٣٩١) ج ٤ من المسند .

ثم إن مؤلف هذه الرسالة المسماة بالموفي في النحو الكوفي – وهو السيد صدر الدين الكنغراوي الآتية ترجمته ، قد أوجز إيجازاً اضطرنا الى وضع تعليقات علَى رسالته توضح غوامضها ، وتشرح مقاصدها ، وشواهدها بالكلم الوجيز .

ولما كان لمذاهب أئمة النحو أصول وقواعد يرجع اليها ويعوَّل عليها ، رأينا أن نقدم لهذه المجالة بشذرات مقتطفة مما نشره صديقنا العالم الأديب الأستاذ طه الراوي في أصول العربية عند الكوفيين والبصريين [1] ، وأنا اوجز القول في تراجم من يرد ذكرهم من الأئمة مع تاريخ وفياتهم ، والله هو الموفق .

محمد بهجة البيطار

* * *

(١) نظرة في النحو ج ٩ و ١٠ م ١٤ من مجلة المجمع العلمي العربي .

كلمة الأستاذ الجليل طه الراوي (١)

تمهيد تاريخي :

عندما اتسعت لأجدادنا رقعة الفتوح ، واتسعت لهم الدولة ضربوا في الأرض وانبسطوا في الآفاق ، وخالطوا صفراء الأمم وحمراءها ، واحتكت لغتهم بلغتهم ، ولم تكد تستقر بهم الحواضر حتى آنسوا فارط اللحن يتمشى في حواشي لغتهم ، ويدب على ألسنة أحداثهم ، فراعهم ذلك ، وعز عليهم أن تطغى العجمة على لغتهم ولغة دولتهم ، بل لغة ملتهم ، التي هي سر نهضتهم ، ومصدر عزتهم ، فحفزت الحمية القومية ، والغيرة الدينية ، رجالاً منهم لنصرتها والذب عنها ...

وكان مجلي الحلبة في هذا المضمار ، أبو الأسود الدؤلي الكناني أحد أعلام التابعين (٢) بارشاد من الامام علي رضي الله عنه ، وكان من أرباب البصائر الحية ، فاستعرض طائفة من كلام العرب ، وتوصل الى استخراج طائفة من المسائل ، واستنباط بعض القواعد ، اسماها (النحو) ودونها في صحيفة له ، عرفت عند النحاة بالتعليقة ، وهي أول كتاب دوّن في علم اللسان العربي .

وبهذا تعلم ان النحو أسبق علوم اللغة وضعاً وتدويناً ، والسبب في هذا أن بوادر اللحن وأعراض الفساد هجمت على الإعراب ونظام التركيب ، قبل هجومها على مفردات الكلم وموضوعاتها ، ولذلك احتاجوا إلى وضع قوانين تعصم اللسان والقلم عن الخطأ في نظام التركيب وأصول الإعراب ، قبل احتياجهم الى ضبط مفردات الكلم ، وتحديد موضوعاتها .

(البصريون والكوفيون)

وابو الأسود ، وان كان كوفي المولد ، إلا انه بصري النشأة ، وفي البصرة وضع حجر الزاوية في اساس نحوه ، وكان تلامذته من اهلها ، ولذلك بقي النحو

---

(١) نشر صديقنا الأستاذ السمي الشيخ محمد بهجة الأثري له رحمه الله ترجمة حافلة في مجلة المجمع العلمي (ج ١ م ٢٤) .

(٢) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكناني ، رسم له الامام علي شيئاً من أصول النحو ، فكتب فيه أبو الأسود ، وأخذه عنه جماعة ، سكن البصرة وولي امارتها وتوفي فيها سنة ٦٩ هـ .

ربيباً للبصريين ينتقل في حجور أئمتهم ، الى أن كان عصر الخليل بن احمد الفراهيدي[1] ، فجمع متفرقه ، وفصّل قواعده ، وهذب مسائله ، وأكمل أبوابه ، وتقدم الى سيبويه[2] وكان من أنبه تلاميذه ، وأسماهم همة ، أن يجمع ذلك في كتاب ، ففعل وأبدع ، ما شاءت له قوة درايته وسعة روايته .

وانتقل بعض البصريين من النحاة الى الكوفة ، واتخذها دار إقامة له ، وأخذ بنشر النحو بين ظهرانيها ، وكان في الطليعة من هؤلاء عبد الرحمن التميمي المتوفى سنة ١٦٤ . ثم ابوجعفر الرؤاسي[3] ، وعمه معاذ بن مسلم الهرّاء[4] مبدع علم التصريف .

وأشهر من تخرّج بهؤلاء وأنبههم علي بن حمزة الكسائي[5] ، وكان ممن يحضر في حلقة الخليل ، ثم ضرب في البوادي سنين كثيرة ، يأخذ عن الصميم من أهلها ، ولم يزل يدأب في الجمع والتحرير ، حتى انتهت اليه إمامة العربية في الكوفة ، ولم يتقيد بمذاهب من سبقه في التأصيل والتفريع ، ورسم للكوفيين الحدود التي احتذوا أمثلتها وخالفوا فيها البصريين ، فهو عند الكوفيين بمكانة الخليل عند

---

(١) امام اللغة والعروض والنحو (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) وهو الذي استنبط علم العروض، واستخرج منها خمسة عشر بحراً ، وهو أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتابه عنه . وكلما قال سيبويه: وسألته ، أو قال ، من غير أن يذكر قائله : فهو الخليل ذكره السيرافي .

(٢) امام النحو عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه الحارثي ، ولد في احدى قرى شيراز ، وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن احمد وصنف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) في النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، ورحل الى بغداد فناظر الكسائي ، وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم ، وعاد الى الأهواز فتوفي فيها سنة ١٨٠ هـ « الأعلام » .

(٣) محمد بن أبي سارة الكوفي ، أول من وضع كتاباً في النحو من أهل الكوفة ، وهو أستاذ الكسائي والفرّاء ، وكلما قال سيبويه في كتابه (قال الكوفي) عنى الرؤاسي ، ولقب بذلك لكبر رأسه (توفي سنة ١٩٠ هـ) « الأعلام »

(٤) الكوفي النحوي ، شيخ الكسائي ، توفي عن نحو مائة سنة ، وهو الذي سارت فيه هذه الكلمة:

ان معاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره أمد

وفي بغية الوعاة : وقد عاش مائة وخمسين سنة ، وكان يبيع الثياب الهروية ، فلذلك قيل له: الهرّاء

(٥) أبو الحسن (١٨٩) امام الكوفيين في النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، ولد بالكوفة ، واستوطن بغداد ، وقرأ على حمزة ، ثم اختار لنفسه قراءة ، ومات بالري هو ومحمد ابن الحسن في يوم واحد ، وكانا خرجا مع الرشيد ، فقال : دفنت الفقه والنحو في يوم واحد ،

البصريين ، وعلى يده انماز نحو الكوفة عن نحو البصرة ، واحتدم الجدال ، وتطاير شرر المناقشة بين الفريقين .

* * *

وبالجمله فان مذهب البصرية أضبط قياساً ، وأتقن دراية ، ومذهب الكوفية اكثر تشعباً ، وأوسع رواية ، وأنت ترى أن البصريين في تشددهم وتحكيم قوانينهم ضيقوا على العربية واسعاً في كثير من المواطن التي تتطلب السعة ، حتى لقد ضاق النحو الذي قدروه بمقاييسهم عن ان يسع نفسه ، وهو في ريعان شبابه ونعومة إهابه ، فوقعوا في تلحين خاصتهم ، وكبار أئمتهم ، فقالوا لحن سيبويه في كتابه ، ولحن فلان وفلان ، وهم من أئمة هذا الشان ، بَلْهَ الفقهاء والمفسرين والمحدثين والفلاسفة المتكلمين [1] .

ولا ينكر أن بعض المتأخرين من النحويين كابن مالك [2] وابن هشام الأنصاري [3] ومن تبعهما انتبهوا لهذا الأمر ، وحاولوا أن يفصموا شيئاً من تلك القيود التي لا تجتمع والرواية في مكان ، فكان النجاح حليفهم في مواطن كثيرة ، وبقي على غيرهم أن يتم ما بدأوا به ، ولكنه لم يأت بعد ابن هشام من النحويين من نهج منهجه في التجديد والإصلاح ، فبقي الأمر محتاجاً الى معالجة ، فهل يوفق أبناء هذا الجيل للقيام بهذه المهمة ، والفوز بهذه الخدمة ، نترك الجواب على هذا السؤال لأعلام الأدب وأمراء البيان .

طه الراوي

* * *

(١) أشار الكاتب (رحمه الله) الى أمثلة من ذلك في غضون هذا المقال .

(٢) ابو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك (نسب لجده لشهرته به) الطائي ، الجيّاني، كان اماماً في العربية ، ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل الى دمشق وتوفي فيها عام (٧٧٢) ومن مشايخه ابن يعيش شارح المفصّل ، وممن أخذ عنه الامام النووي ، ويقال انه عناه بقوله في المتن : « ورجل من الكرام عندنا » .

(٣) جمال الدين أبو محمد ، عبد الله بن يوسف بن احمد ن عبد الله بن هشام من أئمة العربية مولده ووفاته بمصر (٧٠٨ - ٧٦١) ، قال ابن خلدون : وما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام انحى من سيبويه .

ترجمة المؤلف

هو ابوطلحة ، عبد القادر، صدر الدين بن عبد الله، بن عبد القادر، بن عبدالله، ابن حسن ، الكنغراوي الأصل ، الاستانبولي ، الحنفي ، السلفي . وُلد في الآستانة حوالي سنة ثمان وسبعين ومائتين والف هجرية . وتأدَّب وتخرَّج بوالده وبمشايخه الذين أجازوه ؛ وهم : الشيخ محمد الجوخدار ، والشيخ عبد القادر الاسطواني ، والشيخ محمد الزهاوي ، والشيخ بكري العطار ، والشيخ عثمان الخطيب الحنبلي ، والشيخ توفيق السيوطي ، والشيخ محمد سعيد اليماني ، والشيخ محمد عزة الأيوبي الإستانولي .

تولى القضاء الشرعي في دوما وحمص وفي الآستانة ، كما تولى القضاء القانوني في كثير من الأمصار : فقد كان رئيساً لمحكمة البداية في « قره حصار » من أعمال ولاية إزمير ، وفي بيروت ، وجدة ، ودمشق ، وبغداد ، وطرابزون ، ومناستر ، وقوصوة .

وكان عضواً في مجلس المعارف بالآستانة ، وأستاذ حكمة التشريع في جامعة الآستانة .

ولم تصرفه أعمال الحكومة والتدريس عن التأليف : فقد ألف باللغتين العربية والتركية عدة مؤلفات في موضوعات مختلفة ، منها :

١ — تاريخ دول الإسلام : كتاب كبير يدخل في عدة مجلدات ؛ بدأه بالسيرة النبوية ، وأتى فيه على تاريخ جميع الدول والإمارات الإسلامية في الشرق والغرب إلى قبيل وفاة المؤلف سنة ١٣٤٩ هـ . ومزية هذا التاريخ إفرادُه كلَّ دولةٍ في باب خاص على طريقة ابن خلدون مع الإحاطة الدالة على اطلاعٍ واسع ، وتتبع دقيق ؛ والكتاب لا يزال في المسودة بخط المؤلف .

٢ — طبقات المصنفين في العلوم الاسلامية قرناً بعد قرن الى عصر المؤلف : قصره على أسماء المصنفين ، ومواليدهم ، ووفياتهم ، وذكر مصنفاتهم ، وما تشتد الحاجة اليه من احوال بعضهم .

٣ — طبقات الحنفية : سلك فيه سبيل طبقات المصنفين .

٤ — مختصر تهذيب الكمال في الحفاظ ، وما قيل في الجرح والتعديل : رتبه في جداول ، فذكر الصحابة ومن يليهم إلى سنة مئة ، ثم الذين من بعدهم .

٥ — مفاتيح كنوز الإسلام : في أسانيد المؤلف في كتب الحديث ، والتفسير ، والفقه ، والأخبار ، والرجال ، على سبيل البسط .

٦ — كشف الغمة عن افتراق الأمة : ذكر فيه فتنة المرتدين ومسيلمة ، وفتنة السبائية ، ومقالات الرافضة ، والوعيدية ، والمبتدعة ، من المرجئة ، والقدرية ، والمعتزلة ، والجهمية ، والرد عليها .

٧ — أنساب الأوائل والأنبياء عليهم السلام وأنساب العرب والصحابة والخلفاء والطالبين وبعض الملوك .

٨ — رسالة في النحو .

٩ — الموفي في النحو الكوفي . (وهو هذا)

١٠ — رسالة في العروض .

وله في اللغة التركية مؤلف في أصول الفقه سماه : « الذريعة الى علم الشريعة » .

* * *

وكانت وفاته في الآستانة بشهر رمضان سنة ١٣٤٩ هـ . وقد قارب السبعين من عمره . رحمه الله .

*
* *

وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا اللهم [1] على هدايتك الى الصواب ، والصلاة والسلام على أنبيائك ورسلك ولا سيما محمد سيد الأحباب ، وعلى آله التابعين له وجميع الأصحاب .

(أما بعدُ) فهذا كتاب « نحو » وضعته على مذهب الأئمة الكوفيين ومصطلحاتهم ؛ إذ وجدتها أهملت ، وهي تحتاج إلى النظر والتبصر من أهل التأويل ، والفقهاء ، والعلماء . ويبنى عليها وجوه من القراآت [2] والروايات [3] المتحملة عن الفصحاء والبلغاء . فجمعتها في غضون كتاب من كتب كثيرة اطّلعت عليها ورتبتها على ترتيب كتب المتأخرين ، وسميته : « الموفي في النحو الكوفي » ؛ والله المسؤول أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه ، وهو المستعان وعليه التكلان .

(١) قولهم : « يا اللهم » مذهب الكوفيين أن الميم المشددة في اللهم بقية جملة محذوفة (قالوا) أصلها : يا الله أمنّا بخير ، وليست عوضاً عن حرف النداء ، ولذلك أجازوا الجمع بينها في الاختيار ، وأما البصريون فلا يجيزون الجمع بينهما إلا في ضرورة الشعر كقوله :

اني اذا ما حدث ألمّا   اقول يا اللهم يا اللهما

ولما كانت هذه الرسالة موضوعة على مذهب الكوفيين ناسب أن يشير المؤلف الى ما ألفت لأجله ، ففيه براعة الاستهلال .

(٢) ذكر الإمام ابن الجزري الدمشقي في طليعة كتاب النشر اسماء من اشتهر بالقراءة في الأمصار ، وعد من أئمة الكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن ابي النجود ، وسليمان الأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، فهؤلاء ممن كان يقتدى بهم ، ويرحل اليهم ويؤخذ عنهم ؛ ولتصديهم للقراءة نسبت اليهم .

(٣) اشتهر من أئمة الرواية الكوفيين خلق كثير ، وقد خرّج الامام احمد ابن حنبل في مسنده لأكثر من مائة وخمسين محدثاً منهم رضي الله عنهم (٢٣٩ — ٣٩١) ج ٤ من المسند .

النحو : علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم في التركيب . والتركيب : إما بنسبة إسنادية ، فجملة ؛ أو غير إسنادية ، فتقييدي ؛ أو بلا نسبة ، فمزجي ؛ والجملة : إما أن تتركب من اسمين كزيد قائم ، أو من فعل واسم كقام زيد ، أو من اسم وحرف ملاحظاً فيه معنى الفعل كيا زيد[١] .

والاسم معرب وقد يبنى لشبه الحرف ، وإعرابه رفع وفتح وجر : فالمثنى بالألف والياء [٢] كجاء الزيدان ، وضربت كليهما ؛ فكلا وكلتا مثنيان [٣] . وجمع المذكر السالم بالواو رفعاً ، والياء نصباً وجراً [٣] نحو : جاءني الأحمدون ، وضربت الطالحين ، وحمل عليه عشرون وبابه [٤] ، وارضون والسنون وبابه [٥] . وقد يعرب جمع المذكر

(١) التقدير : ادعو زيداً ، او أنادي زيداً فزيد في موضع نصب لأنه مفعول .

(٢) ذهب الكوفيون الى أن الألف والواو والياء في التثنية والجمع بمنزلة الضمة والفتحة والكسرة في أنها اعراب بمنزلة الحركات ، لأنها الحروف التي اعرب الاسم بها كما يقال : حركات الاعراب ، اي الحركات التي اعرب الاسم بها . وقال البصريون إنها حروف إعراب وليست باعراب ، لأن هذه الحروف انما زيدت للدلالة على التثنية والجمع فصارت من تمام صيغة الكلمة التي وضعت لذلك المعنى . (٣) ذهب الكوفيون الى ان « كلا وكلتا » مثنيان لفظاً ومعنى ، واصلهما « كل » فكسرت الكاف ، وخففت اللام ، وزيدت الألف للتثنية ، والتاء للتأنيث ، والالف فيهما كالالف في « الزيدان » ولزم حذف نون التثنية منهما للزومهما الإضافة ، وقد شرح الأنباري مذهبهم في (الانصاف) والبغدادي في (الخزانة) ، ورجحا مذهب البصريين في كون « كلا وكلتا » مفردين لفظاً ، مثنيين معنى ، (الانصاف : ص ١٨٢ — ١٨٦ ؛ الخزانة ج ١ ص ١٢٦ — ١٢٩) . (٤) الى التسعين . (٥) المراد ببابه : كل كلمة ثلاثية حذفت لامها وعوضت منها هاء التأنيث ، ولم تكسّر ، نحو عِضة وعِضين ، وعزه وعزين ، قال تعالى : « كم لبثتم في الارض عدد سنين » وقال : —

السالم بالحركات ،نحو : مضت السنين ، وهو قياس عند الفراء ومن تبعه ومنه قوله :

رب حي عَرَنْدَس ذي طلال لا يزالون ضاربين القبابِ [1]

وقوله : « وقد جاوزت حد الأربعينِ [2] . »

ونون جمع المذكر السالم مفتوح ، ونون المثنى مكسور ، وبعضهم فتح ، قاله الشيخان [3] ، نحو :

على أحوذيين استقلت عشية فما هي الا لمحة وتغيبُ [4]

وجمع المؤنث السالم بالضم والجر ، وجوّزوا نصبه بالفتحة [5] ، إلاّ هشاماً [6] ،

--- « الذين جعلوا القرآن عضين » أي مفرقاً لأنهم فرقوا أقاويلهم فيه فآمنوا بما أحبوا منه وكفروا بالباقي فاحبط كفرهم ايمانهم . وقال : «عن اليمين وعن الشمال عزين» أي جماعات في تفرقة واحدتها عزه . (١) حيّ : قبيلة . عَرَندس : قوي شديد . الطلال : الحالة الحسنة وفي قوله : لا يزالون : مراعاة لمعنى الحي بعد مراعاة لفظه . القباب : جمع قبة ، وهي التي تتخذ من الأديم والخشب واللبد ونحوها . (والمعنى) : كثير من الأقوياء الذين يستطيعون التطاول في البنيان ، لا يزالون يسكنون الخيام ، (والشاهد) في ضاربين ، حيث أثبت النون ، ولم يحذفها للاضافة ، فعلم أنه معرب بالحركات . (٢) صدره : « وماذا تبتغي الشعراء مني » ، والشاهد في (الاربعين) بكسر النون على أنها كسرة اعراب

(٣) إماما الكوفة بالنحو واللغة : أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٨٩ هـ . وأبو زكريا يحيى بن زياد المعروف بالفراء المتوفى سنة ٢٠٧

(٤) هو لحميد بن ثور الصحابي الهلالي من أبيات يصف بها قطاة . (أحوذيين) تثنية أحوذي ، وهو الخفيف في المشي ، والمراد بهما هنا القطاة ، والمعنى : طارت هذه القطاة عشية على جناحين خفيفين ، فما مسافة رؤيتها والنظر اليها وقت الطيران الا مقدار لمحة ، ثم تغيب ثانياً ؛ والشاهد في أحوذيين حيث فتحت نون المثنى وذلك لغة . (٥) حذفت لامه أم لم تحذف . (٦) ابن معاوية، ابوعبد الله —

فلا يجوّز إلاّ فيما حُذفت لامه [1]، كقولهم: سمعت لغاتهم . وإذا كان جمع النسوة السالم عَلَماً يجوز فيه ثلاثة أوجه إعرابه كسائر جمع المؤنث، وإعرابه كإعراب غير المجرى [2]، وإذا وُقف عليه فبالهاء نحوُ: جاءت من أذرَعاة؛ وإعرابه كسائر جمع المؤنث بلا تنوين، كقولك:

تنوّرتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظرٌ عالي [3]

وأما المفرد والجمع المكسّر فيعرب [4] بالحركات الثلاث إلاّ اذا كان غير مجرى فيفتح في الكسر إلا ذو وفم وأب وأخ وحم، فبالحرف [5] إذا أُضيف الى

- الكوفي، (٢٠٩) نحوي ضرير من أهل الكوفة من كتبه «الحدود» و «المختصر» و «القياس» وكلها في النحو «الأعلام» .

(١) لمشابهته المفرد حيث لم يجر على سنن الجموع في رد الأشياء الى أصولها، وجبراً لحذف لامه، فإن ردت اللام في الجمع نصب بالكسرة اتفاقاً، كسنوات وشفوات . (٢) الكلمة في الأصل (غير المنصرف) ولكنها مرمّج عليها ومعوض عنها بلفظ (غير المجرى) وقد تكرر في الأصل هذا التغيير مراعاة للاصطلاح الكوفي والمراد به: (غير المنصرف) . (٣) قاله امرؤ القيس، والمعنى: نظرت الى نار هذه المحبوبة بقلبي وأنا بالشام، وهي بالمدينة، مع أن الأقرب من دارها يحتاج الى نظر عظيم لشدة بعدها عن بلدي (والشاهد) في أذرعات، روي بالجر بالكسرة مع التنوين مراعاة لحال الجمعية، وبالجر بالفتحة مراعاة للحالة الراهنة وهي العلمية، وبالجر بدون تنوين مراعاة للحالتين . (٤) في الأصل: يعرب . (٥) ذهب الكوفيون الى أن الاسماء الستة المعتلة وهي: أبوك، وأخوك، وحموك، وهنوك، وفوك، وذو مال، معربة من مكانين؛ وذهب البصريون الى أنها معربة من مكان واحد، والواو والألف والياء هي حروف الإعراب . أما الكوفيون فاحتجوا بان الحركات الثلاث تكون إعراباً لهذه الأسماء في حال الإفراد، نحو قولك: هذا أبٌ اخٌ . . . فإذا أضفتها بقيت الضمة والفتحة —

غير الياء [1] (....) [2] .

ويجوز قصر غير الأولين [3] واعرابها بالحركات ، ومثلها «هن [4]» خلافاً للفرّاء في إعرابها لأنه ناقص .

غير المجرى ما فيه علتان [5] من العلل المذكورة ، وهي الف التأنيث [6]

— والكسرة إعراباً لها ، (قالوا) وكذلك الواو والألف والياء بعد هذه الحركات تجري مجراها في كونها اعراباً بدليل أنها تتغير مثلها في حال الرفع والنصب والجر فتقول : هذا أبوك ورأيت أباك ومررت بأبيك ، فالضمة والواو علامة للرفع ، والفتحة والألف علامة للنصب ، والكسرة والياء علامة للجر ، فدل ذلك على أنها معربة من مكانين .

وتتمة المبحث في كتاب الإنصاف ، (ص ٦ — ١٢) وفيه تفصيل المذاهب واللغات ، وذكر الحجج والاستدلالات . واختصار مؤلف هذه الرسالة (رحمه الله) مخل بالمقصود . (١) فإن كانت الإضافة للياء أعربت بالحركات المقدرة نحو : وأخي هارون . (٢) كلمة مبهمة لم نوفق الى حلها . (٣) أي غير (ذو وفم) فان اعراب الأول منها بالأحرف متعين ، والثاني بغير الميم متعين أيضاً .

(٤) أي محذوف اللام ، وهو الواو ، فيعرب بالحركات . قال الأشموني : ولقلة الإتمام في (هن) أنكر الفراء جوازه ، وهو محجوج بحكاية العرب . ومَن حفظ حجة على من لم يحفظ . (٥) أي فرعيتان من العلل التسع ، إحداهما ترجع الى اللفظ ، والثانية الى المعنى ، وهما تؤثران باجتماعها ، واستجماع شرائطها فيه أثراً سيجيء ذكره ، أو علة واحدة منها تقوم مقامها ، بأن تؤثر وحدها تأثيرهما ، وهذه العلل مجموعة في هذين البيتين :

عدلٌ ووصفٌ وتأنيثٌ ومعرفة وعجمة ثم جمع ثم تركيب
والنون زائدة من قبلها الفٌ وَوزن فعلٍ ، وهذاالقول تقريب

(٦) أي مقصورة كانت أو ممدودة ، ويمتنع صرف مصحوبها كيفما وقع ، أي سواء وقع نكرة كذكري وصحراء ، أم معرفة كرضوي (اسم جبل بالمدينة) —

قائمة مقام علتين [١] .

والجمع قائم مقام علتين ؛ شرطه ان يكون على وزن فواعل او مفاعيل [٢] وله في الأصل كضاجر [٣] ، او في التقدير كسراويل [٣] .

— وزكرياء ، أم مفرداً كما تقدم ، أم جمعاً كجرحى وأصدقاء ، أم اسماً كما تقدم ، أم صفةً كحبلى وحمراء ، قال ابن مالك رحمه الله :

فألف التأنيث مطلقاً منع حرف الذي حواه كيفما وَقع

(١) إنما استقلت بالمنع لأن في المؤنث بها فرعية لفظية من جهة التأنيث ، ومعنوية من جهة لزومها . (٢) وضابطه : كل جمع فتح أوله وكان ثالثه الفاً ، — ليست عوضاً — وبعدها حرفان ، او ثلاثة ، اوسطها ساكن ولم ينو بذلك الساكن وبما بعده الانفصال ، وبعدها ايضاً كسر اصلي ، ولو تقديراً كدوابّ وعَذارى ، فإذا كان الجمع بهذه الصفة استقل بالمنع لأن فيه فرعية اللفظ ، بخروجه عن صيغ الآحاد العربية لفظاً وحكماً ؛ وفرعية المعنى بدلالته على الجمعية .

وإذا انتفى أحد الشروط المتقدمة صرف ، كعذافر (الجمل الشديد) لمضموم الاول ، وصلصال لما الفه غير ثالثة ، ويمان وشآم لأن الألف عوض عن إحدى ياءي النسب ، فان اصلها يمني وشامي ، حذفوا إحدى الياءين تخفيفاً وعوضوا عنها الألف ، ثم أعل إعلال قاض ، وتدارك لما ليس بعد الفه كسر ، وتدان وتوان لما الكسر فيه غير اصلي ، إذ اصله الضم وكسر لمناسبة الياء ، وطواعية وكراهية لتحرك وسط الثلاثة بعد الألف ، وظفاريّ ورباحيّ للساكن المنوي انفصاله لأن الياء فيهما عارضة للنسب ، بخلاف قماريّ وبخاتيّ وكراسيّ ، فان الياء في المفرد . والى الجمع المذكور اشار الناظم بقوله :

وكل جمع مشبه مفاعلا او المفاعيل لمنع كافلا

(٣) اي ان صيغة مفاعل ومفاعيل لا تكون في العربية الا لجمع كضاجر ، او منقول عنه كسراويل ، فقيل انه اعجمي حمل على موازنه من العربي ، وقيل إنه منقول ، اي ان سراويل كان جمع سِروالة ، فنقل من الجمعية الى تسمية المفرد —

(المزيدتان)[1] تشترط العلمية في الاسم، وانتفاء فعلانة في الصفة[2] وقيل وجود فَعْلى[3] ولم يشترط الفراء الزيادة ومنع سنان.

و «الوصف» الأصلي لا يعتبر مع العلمية نحو أحمر[4] و «وزن الفعل» شرطه

— الجنسي به، فمنع من الصرف لشبهه بالجمع في الصيغة المعتبرة وإن كان مفرداً (راجع شروح الألفية وحواشيها عند قوله:

ولسراويل بهـذا الجمع شَبهٌ اقتضى عمومَ المنع)

(١) المزيدتان: هما الألف والنون، وعلامة زيادتها سقوطها في بعض التصاريف، كما في نسيان وكفران إذا ردّا الى نسي وكفر. (٢) أي يمنع الاسم من الصرف للصفة وزيادة الألف والنون، بشرط أن لا يكون المؤنث في ذلك مختوماً بتاء التأنيث نحو عطشان وغضبان، لأنك تقول: امرأة عطشى وغضبى، ولا تقول عطشانة ولا غضبانة، فإن كان المؤنث على فعلانة صرف، فتقول: رأيت رجلاً عطشاناً وامرأة سيفانة. (٣) مثاله: لحيان ـ لكبير اللحية ـ لا مؤنث له، فمن لم يشترط لمنع صرف (فعلان) إلا انتفاء (فعلانة) منعه من الصرف كما تقدم، ومَن اشترط وجود (فَعلى) تحقيقاً، صرفه، والصحيح عند المؤلف الأول، لأنه (رحمه الله) أورد الثاني بصيغة التضعيف «قيل» وقال الأشموني والصحيح منع صرفه وعلق عليه الصبان بقوله: هذا يخالف قول ابي حيان: إن الصحيح فيه صرفه لأنا جهلنا النقل فيه عن العرب، والأصل في الاسم الصرف، فوجب العمل به اهـ. قال الصبان: «فهذه المسألة مما تعارض فيها الأصل والغالب فتنبه» أي لأنا لو فرضنا له مؤنثاً لكان فَعلى أولى به من فعلانة، لأن باب فعلان فعلى، أوسع من باب فعلانة، والتقدير في حكم الوجود. (راجع الأشموني والصبان ج ٣ ص ١٥١). (٤) أحمر ممنوع من الصرف للوصف الأصلي ووزن الفعل، لأن هذا الوزن اصل في الفعل وهو به أولى، لأن أوله زيادة تدل على معنى في الفعل دون الاسم، وما كانت زيادته لمعنى أصل لغيره.

أن يخصه [١] ، أو في اوله زيادة الفعل غير قابل للتاء نحو احمد [٢]

و «العدل» ومنه وزن مثنى وثلاث [٣] .

و «العجمة» شرطها أن تكون علماً في الأصل زائداً على ثلاثة أحرف أو متحرك الوسط [٤] .

و «التأنيث» لفظي ومعنوي بشرط العلمية ، وشرطُ تحتم تأثيره في المعنوي العجمة [٥] ، أو زيادته على ثلاثة أحرف خلافاً لابن الأنباري [٦] أو تحرك الوسط ، أو أن يكون اسم بلدة عند الفراء ، او ان يكون مؤنثاً في الأصل

---

(١) نحو أُحَيمر وأُفَيضل من المصغر ، فإنه لا ينصرف ، مع أنه ليس على وزن أفعل ، لكنه على وزن متأصل في الفعل كأُبيطر مضارع بيطر ـ اذا عالج الدوابّ ـ ، ولهذا قيل إن الأولى تعليق المنع على وزن الفعل الذي هو به أولى لا على وزن أفعل . (٢) أحمد كأحمر في كون الزيادة في أوله تدل على معنى في الفعل دون الاسم . (٣) على وزن مَفعل وفُعال ، وهو الى الأربعة بالاتفاق نحو قوله تعالى : «أولي أجنحة مَثنى وثُلاث ورُباع» وفي الباقي على الأصح ، وهي معدولة من الفاظ العدد الأصول مكررة ، فأصل جاء القوم أحاد جاءوا واحداً واحداً ، وكذا الباقي ، فعدل عن هذا المكرر الى أحاد اختصاراً وتخفيفاً (راجع تتمة البحث في منار السالك الى أوضح المسالك ج ٢ ص ٢٦٧) . (٤) المراد بالأعجمي ما عدا العربي ، قال ابن مالك رحمه الله :

والعجمي الوضع والتعريف مع زَيدٍ على الثلاث صرفه امتنع

(٥) العجمة لا تستقل بالمنع في مثل ماء وجُور من الثلاثي (اسما بلدتين) ولكن انضمامها الى العلمية والتأنيث يحتم المنع بهما ، فهي مقوية للتأنيث لا غير .

(٦) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار ، توفي سنة ٣٢٨ هـ .

سمي به مذكر عنده ، وثعلب [1] .

و « المعرفة » بشرط العلمية ، والتركيب بلا نسبة [2] بشرط العلمية ، او اذا نكرة [3] ما فيه علمية مؤثرة اجري له إذا سمي بالوصف الأصلي . او اذا نكرة [3] الوصف الأصلي المسمى به فالمعتمد انه يجري ايضاً إلاّ اذا كان اعتبار الوصفية من وجه كأحمر إذا سُمي به رجل احمر [4] . قاله الفراء وابن الأنباري .

ويقاس عليه سكران إذا سمي به رجل مدمن ، وقد يُجرى غير المجرى للضرورة [5] ، او للتناسب [6] ، إلاّ اسم التفضيل الذي بعده « مِنْ » [7] والمجرى

(١) ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، كان راوية للشعر ، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة ، ثقة حجة ، ولد ومات في بغداد (٢٠٠ — ٢٩١ هـ) . (٢) المراد بالتركيب بلا نسبة هو تركيب المزج بأن يجعل الاسمان اسماً واحداً ، لا بإضافة ولا بإسناد ، بل ينزل عجزه من الصدر منزلة تاء التأنيث . (٣) كذا بخط المؤلف ولعله : وإذا نُكّر ما فيه علمية الخ ... وإذا نكر الوصف الخ ...

(٤) قال الأشموني : « .. والثالث إن سُمي بأحمر ، رجلٌ احمر ، لم ينصرف بعد التنكير ، وإن سُمي به اسود او نحوه انصرف ، وهو مذهب الفراء وابن الأنباري » وانظر هذا البحث في الأشموني والصبان عند قول ابن مالك رحمه الله :

(... واصرفن ما نُكّرا من كل ما التعريف فيه أثرا)

ص ١٧٨ ج ٣ (٥) كقول امرئ القيس : « ويومَ دخلت الخدر ، خدر عُنيزة » وعُنيزة ابنة عمه وهنا الشاهد ، لأنه صرف للضرورة ، مع أنه يمنع من الصرف للعلمية والتأنيث . (٦) كقراءة نافع والكسائي : « سلاسلاً وقواريراً » . (٧) قالوا لأن حذف تنوينه لأجل (مِنْ) فلا يجمع بينهما ، ومذهب البصريين جوازه لأن المانع له إنما هو الوزن والوصف كأحمر لا (من) ، بدليل صرف : (خير منه وشر منه) لزوال الوزن .

قد لا يجرى اضطراراً [1] واختياراً هو اختيار ثعلب . والمنقوص نحو جوارٍ لبس تنوينه للإجراء وقد يجري المنقوص مجرى الصحيح نحو قاضٍ اذا سمي به مؤنث .

(يتبع) محمد بهجة البيطار



(١) قال الأشموني : واجاز ذلك الكوفيون والأخفش والفارسي ، وأباه سائر البصريين والصحيح الجواز ، واختاره الناظم لثبوت سماعه ، (وذكر شواهد له) والى ما تقدم أشار ابن مالك بقوله :

ولاضطرار أو تناسب صرف   ذو المنع ، والمصروف قد لا ينصرف

البلاغة بين اللفظ والمعنى

« من عصر الجاحظ الى عصر ابن خلدون »

اختلف القدماء في تعريف البلاغة وتحديد مفهومها . ذلك لأنها في حقيقتها ليست إلا الجمال في الكلام ، أو كما قال أحد الباحثين في البلاغة قديماً : «هي أداء كنه ما في نفس المتكلم الى السامع بأجمل عبارة» ، والجمال يقرُّ بوجوده دائماً ويختلف في تعريفه وتحديد درجته وفي وضع القواعد له ؛ وكان عنصراها الرئيسيان عندهم اللفظ الفصيح والمعنى الشريف ، وكان بعضهم يرجح جانب المعنى كما كان بعضهم يرجح جانب اللفظ ، على ان هذا الاختلاف كثيراً ما كان ظاهرياً شكلياً فقط ، وكثيراً ما كانوا متفقين في فهم وتذوق الكلام البليغ والحكم عليه ؛ وإنما كان يرجع الاختلاف في مثل هذه الحالات الى ان بعضهم كان يدخل في عنصر اللفظ ، ما يجعله بعضهم تابعاً في حقيقته إلى المعنى . فالوسائل البلاغية التي تدخل في تحسين نظم الكلام يعدها الجاحظ وغيره اموراً لفظية ، ويأبى عبد القاهر الجرجاني إلا ان تكون اموراً معنوية . وليس هنا مكان التفصيل في هذا ، وسيأتي في مناسبته ، واكتفي الآن منه بالاشارة . وقد يكون هذا الاختلاف اكثر اصالة واعمق عند آخرين ، فيرى بعضهم ان الشأن كله في البلاغة للمعنى الكريم الجميل ، من حكمة وغيرها ، بينما يرى بعضهم الآخر ان الشأن كله للفظ فيولونه العناية ولا يكون المعنى عندهم إلا تبعاً له ، ونرى غير اولئك وهؤلاء قوماً يرون ان البلاغة لا تتحقق إلا بكمال العنصرين اللفظ والمعنى ، وان الذي يوفق بينهما هو حسن السبك وجودة النظم .

وكلٌّ تعريف من التعاريف التي اوردوها ـ وسنراها عند الكلام على كلٍ من المؤلفين الذين سيتناولهم البحث ـ بل كلها مجتمعة لا تفي في بيان ما نقصده من

لفظ البلاغة وما نفهمه منه الآن ، باعتبار انها جمال الأداء في الكلام الأدبي من شعر ونثر . والتعريف الشائع في كتب البلاغة المتداولة بين ايدينا الآن ، وهو ان البلاغة موافقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، تعريف ناقص لا يفي بالغرض ؛ فهو غير جامع ولا مانع وليس إلا وصفاً واحداً من جملة اوصاف يجب ان تتوفر لتكوّن عناصرَ الكلام البليغ ـ باعتباره مرادفاً للجميل ـ وهذا التعريف يمكن ان يدخل في الأدب ما ليس منه ، فالنص العلمي الفصيح الكلمات الموافق لمقتضى الحال باعتبار انه يقال في مناسبة علمية ، كالنصوص التي تتحدث عن شرح نظريات الطبيعة والكيمياء ، ليست نصوصاً ادبية ، ولم تتوفر فيها عناصر البلاغة ، برغم انها فصيحة وافقت مقتضى الحال ، وجملة آيات من القرآن الكريم او قصة مترجمة لتولستوي او قصيدة للبحتري ، توصف بالبلاغة ، ولكن موافقة مقتضى الحال والفصاحة ليسا كلّ ما فيها ، بل فيها عناصر اخرى ربما كانت اهم منها ولم يشر اليها هذا التعريف في كثير ولا قليل ، وربما كان هذا التعريف « البلاغة هي اداء كنه ما في نفس المتكلم الى السامع بأجمل عبارة » خيراً منه ، واكثر دلالة على المراد بلفظ البلاغة .

ونحن الآن ، وبعد ان مضت على هؤلاء المؤلفين الذين ندرسهم قرون عديدة نضج خلالها الفكر وتطوّر وتقدم كثيراً ، وبعد ان اتصلنا بآفاقٍ جديدة أطلعتنا على ألوانٍ من الآداب الغربية والشرقية لم يكونوا يعرفونها ، كفن القصة وفن الأدب التمثيلي ؛ لم نعد نكتفي بمفهومهم للبلاغة ولا نقتنع بتعريفهم ، بل اتسع مفهومنا عن البلاغة او فن القول الجميل ، وأصبحنا ندرك منها عناصر بارزة نفصل الكلام فيها ، وكانوا هم إما بين مكتفٍ بالاشارة اليها باختصار ، أو مهمل لها تماماً ، وذلك كعنصري العاطفة والخيال .

والواقع أننا الآن لا نعد القطعة الادبية قد استوفت جمالها إلا إذا حوت عناصر اربعة هي الفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب وكانت فيها هذه العناصر

قوية متناسبة وننظر الى هذه القطعة ـ صغرت أو كبرت ـ على أنها صورة لتجربة نفسية للأديب ترجع في كل الأحوال الى تفاعل نفس الأديب مع الطبيعة التي لا تفارقه ، ونرى أن هذا الأديب تزداد بلاغته كلما ازدادت قدرته على نقل هذه التجربة الخاصة به الينا بحيث يجعلنا نعيش نفس تلك اللحظة التي عاشها ونشعر بنفس التجربة ، وعلى هذا فهو مضطر ، في اظهار الفكرة التي عصفت في عقله والعاطفة التي حركت شعوره فألهب فيضها خياله الى ان يجمع من مرئياته الماضية المختزنة في ذاكرته ولاشعوره صوراً واضحة متصلة تساعد على ابراز كل المشاهد المادية والحالات المعنوية بأمانة ، وانما يبرزها مستعيناً بالأسلوب الخاص به ، والذي هو قطعة من نفسه ، بل هو صورة عنها ، واضح بوضوحها ، مرتبك بارتباكها ، مظلم بإظلامها ، راقص بطربها ، باك بغمها وكدرها . ومن هنا كان لكل أديب اسلوب غير اسلوب الآخر ، والفاظ خاصة به غير الفاظ الآخر ، وكانت الألفاظ بصورة خاصة صورةً لمزاج الأديب ، نخمة اذا كان كبير النفس او متكبراً متعاظماً ، سهلة اذا كان دمث الأخلاق ، موسيقيةً اذا كان مرحاً نشيطاً يرى الدنيا له ضاحكة ، وإنما يشرق ضحكها من نفسه .

والفكرة في البلاغة العربية والنقد الأدبي العربي لم ينظر اليها على أنها تنتظم الموضوع من أوله الى آخره ، لأن القصيدة العربية نفسها لم يكن لها فكرة عامة ، وسور القرآن الكريم كلها ـ الا بعض سور منه فقط ـ لم تكن تدور حول فكرة واحدة عامة تنتظمها ، وانما كانت القصيدة مجموعة افكار ، قد تكون متباينة وقد تكون غير مترابطة ، جمع بعضها الى جانب بعض وكان لهذا كل بيت مستقلاً بفكرة بل كثيراً ما يشتمل البيت على معنيين ويعتبر لذلك أبلغ ، وكذلك الأمر اذا كثرت فيه التشبيهات ولم يحتج معناه الى ان يكمل في البيت الثاني وذلك لأن العقل العربي يمتاز بالتعبير عن فكرته بايجاز ، ويميل الى ذلك ، ويكره الاسهاب .

والعاطفة لم يفردها البلاغيون في البحث ولم يجعلوها ضمن أبحاثهم ، كما أن النقاد لم يوفوها حقها ، والشاعر العربي في التعبير عن عاطفته مثله في التعبير عن فكرته يميل الى الايجاز وعدم اللف والدوران ؛ والخيال الخالق الواسع مفقود عند العرب الأقدمين ، ولم يعرفوا الا الخيال التصويري القريب المتناول الذي يقتصر على التشبيه والاستعارة وقد سماه بعض من تكلموا في البلاغة بصور تأدية المعنى ـ كعبد القاهر ـ أو بالتصوير ـ كالجاحظ ـ

والأسلوب عبر عنه العرب بالنظم تارة او بالسبك او بالتأليف احياناً اخرى وجعلوه قائماً على علم النحو وعلم المعاني بما فيه من تقديم وتأخير وايجاز واطناب وفصل ووصل كما جعلوه متصلاً بعلمي البيان والبديع . وجعلوا وظيفته تأدية المعاني بترتيب الألفاظ ترتيباً مخصوصاً مراعىً فيه قواعد علم النحو بمعناه الواسع ، كما فهمه عبد القاهر الجرجاني ـ وسنرى ذلك ـ وجعلوا للألفاظ وظيفة مزدوجة : من حيث نطقها مفردة ، وتلاؤمها مجتمعة وموسيقاها ـ وهذا ما عبروا عنه بالفصاحة ـ ومن حيث حسن وضعها في مواضعها لتدل على المعاني ، وقالوا ما معناه ان اسلوب الكلام يجب ان يختلف باختلاف المقام ، وكان قسم كبير منهم يقول ان البلاغة الايجاز ، وذلك لفكرهم الايجازي كما قدمت .

فلا بد اذن حين مقارنة تعاريفهم للبلاغة وعلاقتها باللفظ والمعنى بما نفهمه نحن الآن من لفظ « البلاغة » من مراعاة طبيعة الأدب العربي نفسه الذي يتطلب وضع قواعد بلاغية خاصة تلائمه ، ولا يمكن ان تنطبق عليه قواعد البلاغة والنقد الحديثة انطباقاً تاماً او واسعاً ، لانفراده عن الآداب الأخرى بصفات مميزة فارقة ، والا وقعنا في الخطأ ، وكل ما يجب ان نعمله هو أن نستأنس بقواعدنا الحديثة استئناساً يكمل ما كان في امكان العرب ان يكملوه في تعاريفهم البلاغية ، ولا نجور فنكلف قوماً بما لم يكن مستطاعاً في زمانهم .

وكانت تدور المعركة بين فريقين منهم ـ ولا سيما بين عبد القاهر وخصومه ـ

حول نظم الكلام ، هل يراعى فيه ترتيب المعاني في النفس فتكون المعاني النحوية ـ وبالتالي الألفاظ ـ خدما لتأديتها وصورا لترتيبها في النفس ، ام تراعى فيه الألفاظ باعتبار تلاؤمها في النطق وفي الموسيقى ، وسنرى كيف يشن عبد القاهر لذلك حربا شعواء على خصومه . ويلاحظ ان المؤلفين قد اختلفوا في مدلولات الفاظ الفصاحة والبلاغة والبيان ، وكثيراً ما كان أحدهم يقصد باحداها ما يقصد غيره بالأخرى مما سيبين في حينه كما يلاحظ ان مما يقلق الباحث عدم تنظيم هذه الأبحاث وغيرها في كتب هؤلاء المؤلفين ، وكثير منهم يكررون الحديث فيها أكثر من مرة ، ويضطربون فيها ، فينقضون ثانيا ما اقروه أولاً ، وكثيراً ما يأخذ احدهم عن الآخر شيئا دون ان يعمل فكره فيما يأخذ فيأتي بعد صفحات بنقيضه بعد أن كان قد حبذه ـ كأبي هلال العسكري مثلاً ـ وأظن ان العامل في هذا الاضطراب هو اختلاف الامثلة البليغة التي تعرض لهم ، من حيث تناسب عناصر البلاغة فيها كثرة وقلة ، فقد تغلب فيها عناصر اللفظ او عناصر المعنى او العاطفة . وهذا يتطلب مرونة في قواعد البلاغة ، ولما كان اكثر هؤلاء المؤلفين يوردون اقوال من سبقوهم فيتعرضون لها بالنقد او الموافقة ، او يتركونها بدون تعليق ، ويذكرون في ثنايا ذلك او بعده او قبله آراءهم الخاصة دون ان يتبعوا في ذلك نظاماً ، آثرت في دراسة رأي المؤلف أن اذكر الآراء التي ذكرها لغيره ، وما اخذ منها وما علق به عليها ، ثم رأيه صريحاً ـ اذا ذكره ـ ، ورده على من يخالفه بعد ذكر نظرية المخالف ، ثم اورد نقدي لرأيه . وابدأ بالجاحظ .

* * *

الجاحظ

توفي عمرو بن بحر الجاحظ في سنة ٢٥٥ هـ وهو أسبق المؤلفين الذين سندرس هذا البحث في كتبهم زمناً ، وكتابه البيان والتبيين فيما وصل الينا ، هو الكتاب الأول الذي يتناول ما يتصل بعلم البلاغة من الأبحاث في اللغة العربية ، وليس

هو الوحيد بين كتب الجاحظ الذي يتناول فيه مثل هذه الأبحاث فقد تناولها أيضاً في كتابه الحيوان الذي أورد فيه خلاصة رأيه في البلاغة . وسبق هذا الكتاب عهداً يطلعنا على الأفكار الأولى التي قيلت في هذا الموضوع والتي هي مستمدة من واقع الحال والبيئة ومفهوم اهل ذلك العصر عن روح البلاغة فهو يصور اذن مرحلة من مراحل تطور مفهومها الذي لا شك في أنه اختلف وسيختلف باختلاف الزمان والبيئة . ذلك لأن نظرة الناس للجمال سواء المادي منه والمعنوي ليست ثابتة . فعصر يرى ادباؤه أن جمال الكلام في الايجاز ، وعصر تكون البلاغة فيه في الاطناب وقوم يفضلون جانب المعنى وآخرون يؤخذون بجمال اللفظ ، وقد يكون رأي الأديب في البلاغة ردّ فعل قوي لفكرة في البلاغة سائدة في عصره قد وصلت الى حد المبالغة ، وخشي منها على الذوق الفني والجمال الأدبي ، فيناصر الفكرة المعاكسة بغريزته . وذلك يؤدي الى حفظ التوازن نوعاً ما في الأذواق العامة .

على أن كتاب الجاحظ إذا كان له ميزة التقدم ففيه سيئة الاستطراد وعدم التنظيم ، فهو يأخذ في الفكرة ويعيد ، ويتكلم عنها في عدة أماكن ، ويفصل بين فصولها والأحاديث عنها بأحاديث غريبة لا صلة لها بها ، ويتعب الباحث في تتبعه ودراسة فكرة معينة عنده ، وهذا شأن الجاحظ في كل كتبه وفي كل الابحاث التي يتناولها فيها ، وذلك راجع الى أنه كان كدائرة معارف ثقافية وأدبية في عهده ، فيها كثير من التفكير كما فيها جانب عظيم من الفوضى وعدم التجريد والتحديد والتنظيم والى أنه كان يعمد الى خلط الجد بالهزل ، ولهذا لا نراه في كتابه يأخذ فكرة معينة فيشبعها بحثاً وينتهي منها ثم ينتقل الى غيرها وإنما يستطرد خلال الحديث عنها الى غيرها في أحاديث طويلة تنسي القارئ ما كان فيه أولاً وما هو بصدد تمحيصه ودرسه . وكان عصر الجاحظ عصر ازدهار علم الكلام والخطابة العباسية كما كان عصر ازدهار الكتابة في قصور الخلفاء وكان

الجاحظ شديد الاتصال بهذا الوسط ، ولهذا نراه يتحدث عن آراء هؤلاء المتكلمين والخطباء والكتاب في البلاغة المتعلقة بالخطابة والكتابة أكثر مما يتحدث عن البلاغة في الشعر . والمقاييس البلاغية وإن كانت في الجانبين متقاربة إلا أن كثرة حديثه في جانب الكتابة والخطابة له صلة بحياته العقلية والفنية متكلماً وكاتباً . ولهذا نراه يمدح المتكلمين من الكتاب كثيراً ويرى أن طريقتهم في الكتابة هي المثلى .

ولما كان كتاب الجاحظ فاتحة لغيره من الكتب في الحديث عن البلاغة فإننا نرى أن المصطلحات المستعملة في هذا الفن لم تكن قد حددت مفاهيمها بعد بدقة ، ولذلك نرى أن الجاحظ يستعمل كثيراً ألفاظ البلاغة والفصاحة والبيان كمترادفات تدل على معنى واحد بينما نراها في العصور المتأخرة قد تمايزت مدلولاتها ولم يعد من داع لأن يلتبس معنى احدها بمعنى الآخر فكثيراً ما يستعمل الجاحظ الفصاحة بمعنى البلاغة . والمثال على عدم استقرار هذه المعاني الاصطلاحية عنده استعمالاته المتعددة لكلمة بيان في كتابه البيان والتبيين [١] ففي ص ٨ و ص ٤٠ و ص ٤٣ من الجزء الأول يستعمل كلمة بيان في مقابل كلمة العي وبمعنى سلامة النطق وحسن تأدية الحروف وفي ص ٩ و ص ٤٣ من نفس الجزء يستعملها بمعنى الفهم والافهام وفي المعنى الذي استعملها فيه القرآن من إظهار الضمير والتعبير عن النفس في قوله : «خلق الانسان علمه البيان» . وفي ص ٥٩ من الجزء الأول يستعمل الكلمة بمعنى البلاغة حينما يورد إجابة جعفر بن يحيى لمن يسأله ما البيان بجواب ينطبق على ما يراد بالبلاغة ، ويؤيد الجاحظ هذا المراد بايراده أن جواب جعفر منطبق على قول الأصمعي في البلاغة . وفضلاً عن هذا فاننا لا نراه يتحدث عن كل ما تبحث فيه كتب البلاغة المتأخرة من تشبيه واستعارة وجناس وحشو أو يعقد لها فصولاً خاصة وذلك لأن هذه الأبحاث

(١) ملاحظة : أشرت الى أمكنة وأزمنة طبع الكتب التي استقيت منها في نهاية البحث عند ذكري المراجع ولهذا لن أذكرها مع المراجع في خلال البحث .

لم تكن قد نضجت بعد ، ثم لأن غرضه من كتابه لم يكن يستهدف شرح مثل هذا ، وإنما هو مجرد عرض لآراء وأفكار أدبية سريعة في بداية مراحلها ينقصها العمق والتوجيه . وأكثر ما نراه يولع به في كتابه ويوليه العناية هو الحديث في فصاحة الألفاظ ، وكيف يجب أن تخلو من التعقيد والتنافر وعدم الألفة والغرابة والسوقية ثم الاكثار من مدح الايجاز والوضوح ومراعاة المقام في الكلام وإعطاء كل موضوع ما يلائمه من الألفاظ . وقبل التعرض لرأي الجاحظ نفسه في البلاغة بين اللفظ والمعنى يحسن ايراد ما ذكره هو من أقوال الناس قبله في البلاغة وفي اللفظ والمعنى بصورة خاصة ، وذلك بأكثر ما يمكن من الاختصار ، ليستأنس بها ويتبين مدى تأثره بعصره وبما حفظه ورواه سواءً أكان هذا التأثر إيجابياً أم سلبياً .

ذكر الجاحظ في (ص ٢٦ ج ١) من البيان والتبيين رأي معاصره ابي داود ابن جرير في الخطابة المستحسنة وخلاصته أن تلخيص المعاني رفق وأن الواجب ترك الغريب وان بهاء الخطابة تخير اللفظ .

وذكر في (ص ٤٩ ج ١) قولاً لابراهيم بن محمد في البلاغة يتلخص في أنها حسن التأدية بحيث لا يغبن السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع .

وأورد للبلاغة اربعة تعاريف لأربعة رجال من أمم مختلفة ، لثقافاتها اتصال وثيق بالثقافة العربية حينئذٍ ، وهي الفرس واليونان والروم والهند (ص ٤٩ ج ١ من البيان والتبيين) فقال : « قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال معرفة الفصل من الوصل ، وقيل لليوناني ما البلاغة ؟ قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام وقيل للرومي ما البلاغة ؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة ، وقيل للهندي ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة » . ثم قال وقال بعض أهل الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة ، ثم قال

ـ أي بعض أهل الهند ـ : ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة وربما كان الاضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق بالظفر .

ويذكر (ص ٥٢ ج ١ البيان والتبيين) الصحيفة الهندية التي دفعها ابن الأشعث للتراجمة ليترجموها الى العربية وفيها صفات الخطيب الحسن وتتلخص في أن يكون حائزاً على الصفات الشخصية من نفسية وجسمية التي تعينه على الخطابة والتأثير في الناس وأن يكون متخير اللفظ يلائم بين المقام والمقال ، لا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح الا حين الكلام مع الفلاسفة ، وأن يحسن لفظه تأدية معناه ، ويكون كلامه حسن الارتباط خالياً من التناقض ، ولفظه مونقاً وأن يفهم كل قوم بقدر طاقتهم .

ويذكر رأى ابراهيم بن هانئ (ص ٥٢ ج ١ : البيان والتبيين) في اللفظ والمعنى ومؤداه أنه ليس من لفظ يسقط أبداً ولا من معنىً يبور أبداً حتى لا يصلح لمكان من الاماكن .

ونرى في (ص ٥٤ ج ١ من نفس المرجع) أعرابياً يعرف البلاغة بأنها الايجاز في غير عجز ، والاطناب في غير خطل .

ويصف ثمامة بن أشرس جعفر بن يحيى بالبلاغة (ص ٥٨ ج ١) فيقول إنه لا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس التخلص من معنى قد استعصى عليه طلبه .

ويصف جعفر بن يحيى البيان (ص ٥٨ ج ١) بما معناه أنه كمال التأدية مع الوضوح ، وعدم التكلف والتعمق الكثير ، والاستغناء عن التأويل ، ويعلق على ذلك الجاحظ بأنه هو معنى نفس قول الأصمعي : « البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر » ثم نرى ثمامة في نفس الصفحة يمدح كلام أم جعفر بانه بالنسبة الى كلام ابنها « أجود اختصاراً وأجمع للمعاني » فلا يخرج كلامه عن معنى الايجاز الذي

نرى ثمامة بعد ذلك في ص ٦٣ ينصح الأدباء ان يأخذوا به قائلاً : « ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا » .

ويسأل رجل عمرو بن عبيد عن البلاغة (ص ٦١ ج ١ البيان والتبيين) فيعرفها أخيراً - بعد ان يجيب عنها متجاهلاً بعدة اجوبة لا تتعلق بمراد السائل ولا بمعناها المتداول متبعاً في ذلك اسلوب الحكيم - بأنها تحبير اللفظ في حسن الافهام . ومما ذكره في صفتها قوله : « وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، وينصح بان لا يطول الكلام لأن طوله يدعو الى التكلف .

وفي ص ٦٣ من نفس الجزء يذكر قول بعضهم ، ومعناه ان الكلام البليغ يتصف بحسن التعبير وبالوضوح وهو : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك » . واورد الجاحظ ان ابن المقفع سئل عن البلاغة فقال - (ص ٦٤ ج ١ البيان والتبيين) : انها اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة وأن الايجاز هو البلاغة - الا في مواقف الخطبة بين السماطين واصلاح ذات البين فالاطالة بغير خطل ولا املال - وان البلاغة ايضاً في دلالة صدر الكلام على حاجة المتكلم وفي اعطاء كل مقام حقه . واورد كلام بشر بن المعتمر فيما يجب ان يتوفر فى الكلام ليكون بليغاً (ص ٦٥ ج ١ البيان والتبيين) ومؤداه ان الكلام يجب ان يسلم من التوعُّر والتعقيد الذي يستهلك المعاني ويشين الألفاظ وان حق المعنى الشريف ، اللفظُ الشريف وان يكون اللفظ رشيقاً عذباً وفخماً سهلاً والمعنى ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً وان مدار شرف المعنى على الصواب فلا يرفعه انه من كلام الخاصة ولا يضيعه أنه من كلام العامة ، وان يوافق المقال وان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ان تُفهِمَ العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ التي تفهمها العامة ولا يحتقرها الأكفاء ، وان تضع كل كلمة في موضعها دون اكراه لها .

ويقول إن البليغ انما يرزق ذلك موهبة لأن الشيء يحن الى ما يشاكله ، ويجب عليه أن يوازن بين أقدار المعاني وأقدار المستمعين وان يجعل لكل مقام مقالاً .

وذكر ما عابه الأصمعي على شعر الحطيئة (ص ١١٥ ج ١ البيان والتبيين) من الصنعة وتفضيله شعر النابغة الجعدي لأنه طبعي خال من الصنعة فيه قرط بآلاف وخمار بوافٍ ـ على حد تعبير الأصمعي ـ ، ثم عاد الى ذكر رأي الأصمعي هذا مرة ثانية (في الجزء الثاني من البيان والتبيين ص ٦) وعلق عليه بانه يخالف رأي الرواة والشعراء .

وأورد (في ص ١٤١ ج ١ من نفس المرجع) قول بعض الربانيين في بعض مواعظه محذراً من تأثير الكلام البليغ في إضلال الناس وقد جاء في جملته : « والمعاني اذا ألبست الألفاظ الكريمة ، وألبست الأوصاف الرفيعة ، تحولت في العيون عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق اقدارها ، وصارت الألفاظ بمعنى المعارض ، وصارت المعاني في معنى الجواري » .

وقد أورد الجاحظ كل هذه الأقوال السابقة التي اختصرتها من دون ان ينقدها أو يعلق عليها ، ولم يذهب الى انكار أي قول منها ، او الانتقاص منه فكأنه يوافق على ما تضمنته .

واذا تأملنا ما ورد في تعاريف وأوصاف البلاغة السابقة نجدها اما تعاريف مبهمة عامة لا يتبين العناصر التي اذا توفرت في الكلام كان بليغاً ، واما وصف ناحية او نواح من البلاغة تنطبق على كلام دون كلام ، او تعريف لها من حيث غرضها وفائدتها أو وصف عمل من جملة أعمال اذا قام بها البليغ في نظم كلامه استطاع أن يجعله بليغاً . ولم يَحُمْ أي واحد منهم حول ما ندركه نحن من مفهومها الآن وهو أنها الجمال في القول وأن علم البلاغة هو درس فن القول وبيان مواطن الجمال فيه ، والأسباب والوسائل التي تساعد على ايجاده ، كما أن كل هذه الأقوال لم تتعرض الى جوهر النظرية التي نحن في صدد دراستها الآن . فلم تبين فيما اذا كان موضع الجمال في الكلام هو الألفاظ على حدة أو المعاني على حدة أو كلاهما معاً .

صحيح أن بعضها امتدح جمال الألفاظ وخلوها من التنافر ، ووضوح المعاني وسلامتها من التعقيد ، وحسن السبك وجودة تأديته للمعنى ، ولكنها على كل حال لم تبين قيمة احد الطرفين بالنسبة الى الآخر وتناولت الكلام عنها باختصار وإبهام . فمن المسلم به أن للكلام عنصرين في جملة عناصره هما اللفظ والمعنى وأنهما إذا حسنا فيه حسن ولكن هذه المادة التي هي المعنى والتي يعبر عنها بالألفاظ المنظومة وفق ترتيب معين بدونه لا يكون الكلام دالاً ولا جميلاً ، لم تناقش قيمتها بالنسبة الى الصورة التي ظهرت فيها ، ولم يبين فيما اذا كان الجمال في سبك الكلام راجعاً الى ترتيب المعاني في النفس ، أم الى توالي الألفاظ في الجرس كما لم يبين فيما اذا كان ترتيب الألفاظ تابعاً لترتيب المعاني الجزئية التي تنتظم المعنى الكلي أم تابعاً لمراعاة انسجام هذه الألفاظ بعضها مع بعض مع قطع النظر عن معانيها . وهذا هو أساس نظرية عبد القاهر التي دعتنا الى معالجة هذا الموضوع .

هذه الأحكام المبهمة الساذجة في وصف الكلام البليغ وتحديد معنى البلاغة بصورة تقريبية كانت مبنية على الذوق الأدبي الصرف السريع ، ولم تكن مبنية على دراسة علمية محصية ! وربما كانت لهذا خيراً من دراسات المتأخرين التي جمدت البلاغة في قواعد ميتة نظرية ، تتعب الذهن في دراستها وحفظها ، بدون أن تساعد على تذوق الأدب او انشائه بل ربما كانت شراً على من يأخذ نفسه بها إذا لم يكن ممن يتعهدون أنفسهم بدراسات نصوص كثيرة من الأدب الرفيع .

واذا أردنا أن نرسم صورة عامة للبلاغة من مجموع هذه النصوص ، وهي الصورة التي يظهر ان الجاحظ قد ارتضاها لأنه اوردها كما قلنا دون أن ينكرها ، قلنا أن البلاغة معنى شريف يتلاءم مع لفظ شريف جميل بحيث يكون منهما كلام خال من التعقيد والتوعر والتنافر ، مناسب لمقتضى الحال من حيث الايجاز والاطناب واختيار الألفاظ والمقام ، واضح الغرض جميل الصور والأسلوب خال من الألفاظ السوقية والغريبة والمعاني المبتذلة قريب من الفهم بعيد من التكلف خال من التناقض وضعت اللفظة فيه موضعها وكانت لصقاً وطبقاً للمعنى الذي وضعت له .

واذا قسنا هذه الصورة التي رسمناها واستخرجناها من جميع ما ذكره الجاحظ من أقوال سابقيه في البلاغة بما نعرفه الآن من عناصر الجمال في القول ، وجدناها تفقد عنصرين هامين هما عنصر العاطفة التي لم يشيروا اليها من قريب ولا بعيد ، وعنصر الخيال بنوعيه التأليفي والتصويري القائم على التشبيه والذي اشار اليه بعضهم في قوله « وان يتوفر في الكلام حسن الصورة » ـ اذا كان يقصده بذلك أيضاً ـ ثم نجد أنهم لم يولوا الفكرة العامة الموجِّهة لوضع القطعة الأدبية اي اهتمام . ومن البدهي ان لا ترسم هذه الاقوال المرتجلة المختصرة طريقة مفصلة لأداء الفكرة العامة وكيفية اخراجها خصوصاً وأن علم البلاغة حين تم وضعه في العصور التي تلت ذلك لم تول هذه الناحية جانباً من الاهتمام وانما اهتمت فقط بكيفية اداء الجملة القصيرة ومقارنة الجمل القصيرة بعضها ببعض من حيث البلاغة . والنص الوحيد الذي فخّم جانب اللفظ من بين النصوص السابقة دون أن ينص صراحة على تقديمه على المعنى هو نص احد الربانيين الذي سبق ذكره [وذكره الجاحظ (ص ١٤١ ج ١ من البيان والتبيين)] فجعل المعـاني تزيد على حقائق اقدارها إذا هي كسيت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة .

رأينا كيف صمت الجاحظ بعد إيراده النصوص السابقة ولم يبد فيها رأياً خاصاً ، ولكنا نراه يخرج عن صمته بعد ايراده نقد ابي عمرو الشيباني لبيتين من الشعر (ص ٤١ ج ٣ من كتاب الحيوان) قال : « وانا سمعت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة أن كلف رجلاً حتى احضره قرطاساً ودواة حتى كتبهما وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً ابداً ولولا ان أدخل في الحكومة بعض الغيب لزعمت ان ابنه لا يقول الشعر ايضاً ، وهما قوله :

« لا تحسبن الموت موت البلا   وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكنّ ذا   اشدُّ من ذاك على كل حال

ثم قال وذهب الشيخ الى استحسان المعاني ، والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير » .

فالجاحظ في نقده هذا يرى المعاني موفورة لكل انسان ويرجح ناحية اللفظ على ناحية المعنى صراحة ، وهو انما يقصد بالمعاني المعاني العامة كوصف الرجل الكريم بالبحر وما اشبه ذلك ولا يريد بها المعاني التفصيلية الجزئية ، ولا هذه المعاني الثانية التي يسميها عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى والتي هي الصور التي يبرز فيها المعنى البدائي في ثوب قشيب مزركش ، الا ان الجاحظ اجمل ولم يفصل ويؤخذ عليه على كل الأحوال اهماله جانب المعنى الذي هو في الحقيقة ، بالنسبة للألفاظ ، كالروح بالنسبة الى الجسم ، وانما وضعت الألفاظ لتدل على المعاني ، الا انه يجب ان لا يغيب عن بالنا ان الجاحظ في هذا النص يضع في جانب اللفظ اموراً اخرى كصحة الوزن وكثرة الماء وجودة السبك ويضيف الى ذلك حكمه بان الشعر صياغة وضرب من التصوير فهو قد راعى اذن في جمال القول الفني ناحية الخيال بذكره التصوير وناحية الأسلوب والنظم بذكره السبك والصياغة ثم راعى بقوله كثرة الماء ، الذي يعبر به عن الحياة المنبثة والمنبعثة من خلال القطعة الفنية ، ناحية العاطفة ولكن بكثير من الاختصار والابهام . وهو يدلنا على انه كان يشعر بشيء من جمال ابراز الأديب للعاطفة دون ان يحسن التعبير عنه . وهو ما كان يعبر عنه غيره بقوله : ان هذا الكلام له ماء ورونق .

وفي هذا النص نرى الجاحظ خلافاً لبشر بن المعتمر وغيره من الذين ذكر آراءهم في البلاغة ينحاز الى جانب اللفظ وينصره ولا يبقى آخذاً بآرائهم من أن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف كما قال بشر ـ فيكون اللفظ مع اعطائهم قيمة كبيرة ، له تابعاً للمعنى وكلُّ ما نصحوا به هو أن يُحسَن اختيارُه بحيث يحسن تأدية المعنى ويكون فصيحاً ، ولكنه يحمل على المعنى وينكر أن يكون له

شأن . وإنما استفزه الى ان يجور عليه مبالغة ابي عمرو الشيباني في نصرته بحيث عدّ من القول الجميل ما ليس منه لمجرد أن معناه تضمن حكمة برغم أنها كانت جافة لم يحسن تصويرها ولا سبكها ولا اختيار الفاظها . ولكن الجاحظ لم ينصر اللفظ هذه النصرة إلا في هذا المكان . أما في غيره فهو يوجز في تعريف الكلام البليغ ولكنه غالباً يقرن حسن اللفظ بحسن المعنى ففي ص ٤٢ من الجزء الأول من البيان والتبيين يقول ما معناه أن حسن الكلام يزداد كلما كان المعنى أظهر، وذلك يدرك بوضوح الدلالة وحسن الاختصار ودقة المدخل، وفي ص ٤٧ من نفس الجزء يقول ما خلاصته أن أحسن الكلام ما كان موجزاً واضح المعنى صادراً عن شعور صادق شريف المعنى بليغ اللفظ صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه مصوناً عن التكلف وحينئذ يؤثر في السامع فهو يخرج من القلب ليقع في القلب ويصنع فيه ما يصنعه الغيث في التربة الكريمة ونرى في هذا الوصف إدراك الجاحظ لأثر العاطفة وصدق الاحساس في تكوين القول الجميل، وقد راعى فيه جانب المعنى وقسطاً من جانب الأسلوب ولكنه لم يذكر جانب الخيال بخير أو شر . وفي ص ١٩٦ من نفس الجزء يتكلم عن الكتّاب فيقول إنهم يتخيرون الألفاظ وينتخبون المعاني وانهم يأخذون جانب الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والطبع المتمكن ـ يريد به الموهبة الخاصة بالأديب ـ والسبك الجيد والكلام الذي له ماء ورونق، فجمع بين اختيار اللفظ واختيار المعنى ولم يهمل الأخير. وفي ص ٤ من الجزء الثاني من البيان والتبيين نراه يعطي للمعاني قيمتها أيضاً الى جانب الألفاظ ووضوح الدلالة بحيث لا يجهد المستمع نفسه للفهم، ويقول إن هذا يدرك بعدم التكلف فإن كلام الأعراب إنما حسن لأنه خلا من الألفاظ المسخوطة والمعاني المدخولة والطبع الرديء والقول المستكره، وكل هذه الصفات الرديئة تكثر بين المتكلفين أهل الصنعة، ونراه (فى ص ٨١ من الجزء الأول من البيان والتبيين) يمدح الايجاز فيقول : «وهم يمدحون الحذق والرفق والتخلص الى حبات

القلوب والى إصابة عيون المعاني » فيقولون : « أصاب الهدف وقرطس وأصاب القرطاس ورمى فأصاب الغُرَّة وأصاب عين القرطاس إذا بلغ النهاية فى الاصابة » . وفي كل هذا نراه لا يخرج عما ذكر من أقوال سابقيه في البلاغة .

ثم نراه يذكر (ص ٤٨ من نفس الجزء) حقيقة نفسية هي أن المعنى الحقير واللفظ الدنيء أسرع حفظاً من اللفظ الشريف والمعنى الرفيع وينصح بحسن الاختيار حين الحفظ لأن ما يكتسب بمجالسة السفهاء في ساعة لا تمحوه مجالسة أهل الفضل سنين .

ويذكر في ص ٤٣ ج ١ من البيان والتبيين أن المعاني لا تتناهى بعكس أسماء المعاني ـ أي الألفاظ فهي محدودة ويذكر في ص ٧٥ من نفس الجزء أن الأسماء لا تستوعب المعاني لهذا ينبغي حسن الاختيار ، ويجب اعطاء كل موضوع الالفاظ التي يستحقها ويقول (في ص ٨١ من نفس الجزء) أنه قد يحتاج الى السخيف من الألفاظ للسخيف من المعاني ، وفي سبيل هذه الفكرة ـ فكرة تلاؤم الألفاظ مع المعاني والمواضيع التي جيء بها لأجلها يقول في ص ١٢ من نفس الجزء إن القرآن قد استعمل ألفاظاً دون مرادفاتها في مواضيع دون اخرى (وذلك لتأدية هذه اللفظات نبرات ومعاني إضافية كامنة فيها تتلاءم مع الموضوع الذي تقال فيه ومع مكانها من الجملة) وضرب مثلاً على ذلك استعمال القرآن للفظتي المطر والغيث في موضعين مختلفين من حيث المقام وقال في نفس الصفحة ما مؤداه إن العامة لا تصلح حكماً في انتخاب الألفاظ انساد ذوقها فقد تأخذ اللفظ القبيح وتترك الجميل كما قد يشتهر عندها من لا يستحق الشهرة .

وميل الجاحظ الى ناحية اللفظ في جمال الأداء يظهر في حملته على تنافر الألفاظ في الشعر والنثر وضربه أمثلة من الشعر عليها (ص ٣٧ ج ١ من البيان والتبيين) وفي قوله بضرورة تلاؤم الألفاظ بعضها مع بعض في الكلام ليكون مسبوكاً سبكاً واحداً جميلا (نفس الصفحة والجزء السابقين) ثم كلامه في الحروف التي لا يتلاءم بعضها مع بعض وذكرها بالتفصيل (ص ٣٩ من نفس الجزء) ، ويظهر

تفضيله ناحية اللفظ أيضاً في إلحاحه على امتداحه في كل مناسبة فهو يقول بأن الكتاب هم أمثل الناس طريقة لأنهم قد التمسوا من الألفاظ ما خلا من التوعر والوحشية والسوقية الساقطة (ص ٧٦ من الجزء الأول : من البيان والتبيين) ثم يكرر ذلك (في ص ٨ من نفس الجزء) فيقول إن اللفظ يجب أن لا يكون عامياً ساقطاً سوقياً وكذلك يجب أن لا يكون غريباً وحشياً إلا حين الكلام مع الأعراب الذين فطروا على ذلك ويظهر في هذا القول فكرة ملاءمة المقال للمقام . ويعود (في ص ١٤٢ من نفس الجزء) الى الالحاح على هذا المعنى فينصح بتجنب السوقي وعدم الإيغال في تهذيب الألفاظ وتوخي غرائب المعاني ، وأن ينتخب المتكلم الحالة الوسطى ويرجع (في ص ٣ من الجزء الثاني من البيان والتبيين) بعد ذلك ، فيقول (إن اللفظ يكون حسناً حينما يكون كريماً متخيراً خالياً من الفضول والتعقيد .

ويخالف الجاحظ رأي الاصمعي في الحملة على شعراء الصنعة (ص ٤ ج ٢ من البيان والتبيين) ؛ وذلك على ما يظهر لانحيازه الى جانب اللفظ فتراه يستحسن تنقيح ذوي الصنعة لنتاجهم الأدبي .

ويستخلص من كل ما مر في كتابي البيان والتبيين والحيوان للجاحظ أن أحكام المؤلفين في البلاغة حتى عصر الجاحظ كانت بدائية مبهمة مبنية على الذوق تشمل اللفظ والمعنى وعناصر غيرهما ترجع اليهما في غالب الأحيان ، وأنهم لهذه النظرة المجملة لم يكونوا ينصرون جانباً على آخر إلا ما كان من ابي عمرو الشيباني الذي نصر في ابهام جانب المعنى . فلما جاء الجاحظ توسع في بحث البلاغة إلى درجة ما ، وتعرض لأبحاث الفصاحة في عرفنا بصورة خاصة ، كما ناصر جانب اللفظ بمعناه الخاص عنده الذي يشمل جانب الأسلوب وجانبي العاطفة والتصوير أيضاً .

(يتبع) نعيم الحمصي

التعريف والنقد

كتاب في السياسة

تأليف الوزير ابي القاسم الحسين بن علي المغربي المتوفى سنة ٤١٨ ﻫ نشره الدكتور سامي الدهان (ص ١٤٠) مع الفهارس · طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت ·

ابتدأ الأستاذ محيي هذه المخطوطة بالشهرة في عالم الأدب بما نشره من ديوان ابي فراس الحمداني وقد أبرزه في قالب بديع من التحقيق فاستحق ثناء العلماء والأدباء ·

والأستاذ الناشر مولع بالبحث عن المخطوطات العربية ينشدها في خزائن الغرب والشرق وقد رحل كثيراً لتحقيق هـذه الأمنية وأخذ صوراً شمسية من نوادر الكتب والرسائل وهو يعد بعضها لينشرها على هذه الطريقة الأنيقة ·

اخذه حب الظفر بالمخطوطات حتى ليثني اثناء البحث في التأليف والمؤلف على من عاونوه على تيسير مهمته في دور الكتب مبالغة في الاعتراف بجميلهم ·

وكتاب السياسة هذا والأشبه به ان يدعى رسالة السياسة لصغر جرمه مثل سائر الرسائل القليلة التي وضعها قدماء العرب في هذا الفن وهي مفيدة على شدة اقتضابها · وللمؤلفين بعض العذر في هذا الباب لأن التأليف في السياسة كان على حالة ابتدائية عند العرب ولم يؤثر لليونان والرومان الا نتف ضئيلة أيضاً في السياسة ليست حرية بان تعد من التواليف الممتعة ·

فالشكر للدكتور دهان على ما يتحف به الخزانة العربية الحين بعد الحين من منشوراته والرجاء ان تطرد هذه الهمة فيغني مع اهل طبقته في الشام ومصر والعراق الآداب والعلوم ويحيي بهذا الامتاع والابداع ما فقد او كاد من تركة السلف الصالح ·



محمد كرد علي

نظرة عامة

في فكرة الحق والالتزام ، ونظريتي الأموال والأشخاص في الفقه الاسلامي
معالجة بالأسلوب الحقوقي الحديث
بقلم مصطفى احمد الزرقاء
استاذ الحقوق المدنية السورية وأحكام الأوقاف في كلية الحقوق بدمشق
طبعة ثانية مزيدة منقحة

هذا هو الجزء الثاني من كتاب الأستاذ الزرقا الذي سماه (الحقوق المدنية ، في البلاد السورية) او هو مدخل للجزء الثاني ، منطو على ثلاثة فصول ، تبحث إجمالاً على التعاقب في فكرة الحق والالتزام ، فنظرية الأموال ، فنظرية الأشخاص ، في الفقه الاسلامي ، على أساس الاجتهاد الحنفي ، وقد وضع المؤلف الكريم كتابه لطلاب السنين الثلاث من كلية الحقوق السورية ، وجعل اجزاءه تسير معاً في طريق التمام كما قال . ولقد البس الفقه الحنفي ، بهذا الأسلوب الحقوقي الشهي ، ثوباً جديداً يزينه في أعين من يجيلون النظر فيه ، ويحبب اليهم دراسته ، لأنه « يتفق مع الأذواق الحقوقية الحاضرة في مظهره ، ويحافظ في الأحكام على أصله وجوهره » .

نعم ان كتاب الفقه في المذاهب الأربعة الذي كانت الفت من اجله لجنة من أجل علماء الأزهر الشريف وصاغه الأستاذ الجليل « الجزيري » بقلم حديث ، ونسق جميل ، قد سد فراغاً في عالم الفقه والتأليف ، ولكن كتاب الأستاذ الزرقا يمتاز بما أورده من مصطلحات الفقه القانونية الحديثة ، وما يقابلها من مصطلحاته الشرعية القديمة ، فقد جمع بين التليد والجديد ، بأسلوب يتذوقه ويستسيغه حماة الفقه الشرعي ، ودعاة القانون الوضعي ، وهو ما خلا عنه كتاب فقه المذاهب الأربعة ، لأنه ليس من غرضه في التأليف ، وقد عدّ الأستاذ الزرقا طائفة من الكتب التي الفت على هذا النمط الحديث ، بعضها كمل وبعضها لم يكمل .

رتب الأستاذ المؤلف هذا الجزء على ثلاثة فصول ، فالفصل الأول في الحق والالتزام ، ويجمعها أهلية الوجوب في الانسان ، اي صلاحيته للالزام والالتزام ، أو قابليته لثبوت الحق له وعليه . والفصل الثاني في الأموال وفيه فرعان : حقيقة المال في النظرين الفقهي والقانوني ، وتقسيم المال ونتائجه الفقهية . والفصل الثالث في الأشخاص ، وله كسابقيه فرعان لمحة عامة ، وتقسيم الأشخاص ومجمل احكامهم . ولكل من هذه الفروع أبحاث ، فمنها تقسيم الحق الى عيني وشخصي وأنواع الحق العيني في الفقه الاسلامي كحق الملكية والانتفاع والارتفاق ، والارتهان ، والاحتباس ، والوقفية ، وكحقوق القرار على الأوقاف . وقد فسر الحق الشخصي والالتزام بان كل حق شخصي لانسان هو تكليف وعهدة على سواه ، وهذا التكليف قد اصطلح علماء الحقوق على تسميته : التزاماً ، فهو حق اذا نظر اليه من ناحية الطالب ، وهو التزام اذا نظر اليه من ناحية المكلف به . وإن الحقوق المدنية ، أو قسم المعاملات الشرعية تبحث فيما يتعلق بكلا النوعين من الحق ، الحق العيني ، والحق الشخصي ، وتنظم علائق الناس فيهما جميعاً ، وان مجموعة القواعد والأسس ، التي تنبني عليها أحكام الحقوق العينية ، يسميها علماء الحقوق اليوم (نظرية الأموال) ومجموعة القواعد والأسس التي تنبني عليها احكام الحقوق الشخصية يسمونها (نظرية الالتزامات العامة) فموضوع نظرية الالتزامات إذن وميدانها إنما هو الحق الشخصي ، وأهم عناصر الأموال - التي يعنى التشريع الوضعي القانوني باحكامها هي العقارات ؛ وهذا الجزء الذي نصفه الآن موضوعه الحق الشخصي والأعيان ، او نظريتا الأشخاص والأموال كما قال الأستاذ المؤلف .

وقد جاء الأستاذ الزرقا في فصوله الثلاثة ، وفروعها الستة ، ومسائلها المتنوعة ، بتعاريف رجال الشرع والقانون وتدقيقاتهم في كثير من المباحث ، وأدار عليها نظر الناقد البصير ، وناقشها مناقشة حقوقية هادئة ، محتبياً بحبوة الأدب والانصاف ، مبتعداً عن طريقي التقليد والاعتساف ، كما فعل في بيان استقلال الشرع الاسلامي ، عن الشرع الروماني ، الذي أجاز قتل المدين المعسر !! أما الاسلام فقد أوجب

إنظاره الى ميسرة كما قال تعالى «وإن كان ذو عسرة فنَظِرَة الى ميسرة» (انظر ص ٣٩) وفي الشرع الروماني كانوا يحاكمون البهائم ويحكمون عليها، وظل ذلك في فرنسا الى القرن الثامن عشر الميلادي !! أما في الأحكام التي أثبتها فقهاء الاسلام، فانه لاذمة للحيوانات والبهائم كما أنها لا أهلية لها، فلا تثبت عليها حقوق (ص ١٢٩) فأين شريعة الرومان من فقه الاسلام، وأين الثريا من يد المتناول؟

وقد أشار الأستاذ المؤلف في مواضع من كتابه الى اختلاف المذاهب في المسألة الواحدة، ودعا الى الأخذ بما كان أقوى دليلاً، وأكثر ملاءمة لحاجة العصر، ومصلحة الأمة، من مذاهب الأئمة (راجع البحث السادس ـ في العين والمنفعة ١٤٧ ـ ١٥١) تر فيه نقد نظرية الحنفية في عدم الزام الغاصب بضمان أجر المثل من منافع المغصوب، والأخذ بنظرية الشافعي والحنبلي بالزام الغاصب بأجر مثل المغصوب خلال مدة الغصب، قائلاً بان الحاق نظرية المنافع بالأعيان في المالية والتقوم الذاتي، هي أحكم وأمتن وأجرى مع حكمة التشريع، ومصلحة التطبيق وصيانة الحقوق، من نظرية فقهائنا في الاجتهاد الحنفي (قال) وإن تشريع عقد الإجارة بنصوص الكتاب والسنة دليل ناطق بان الشريعة الاسلامية قد اعتبرت المنافع متقومة في ذاتها، حتى أقرت التزام البدل في مقابل الانتفاع، كما أقرت التزام الثمن في مقابل امتلاك العين بالشراء، ثم ختم هذا البحث بقوله: ويجب ان يلاحظ أن الاحكام القانونية اليوم لدينا تقضي بضمان اجر المثل للعقارات على من يشغلها بلا عقد، وعليه عمل المحاكم المستمر».

أقول: لعمري ان ما جرى عليه المؤلف الزرقا ههنا من بيان الحكم مع دليله هو الحق المبين، وبه تتبين وجهات نظر الأئمة، وما في اختلافهم من اليسر والرحمة، وإنما يرجح قول بعضهم على بعض بقوة الدليل، وبما ينطبق على مصلحة الأمة، وحكمة التشريع، ألا وان أئمتنا قد أوصوا بألا يؤخذ بقولهم حتى يعلم دليلهم، وقد رأى أهل القانون المدني اليوم ـ الذين قضوا بضمان أجر المثل للعقارات على من يشغلها بدون عقد ـ

أن حكمهم هذا قد خرج عن قيود المذهب الحنفي ، ولكنه لم يخرج عن دائرة الفقه الاسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة ، والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة .

وهذا وان لنا رجاءً كبيراً في أخينا الأستاذ الزرقا ـ وهو سليل علم ديني ، ونابغة فقه شرعي ـ أن يجري في أجزائه الباقية على هذه الطريقة المثلى ، لتبقى حجة هذا الفقه السماوي قائمة على الذين يستبدلون الذى هو أدنى بالذي هو خير ، وإن كل من ينهض معك ، أيها الأستاذ الكريم ، بهذا العبء العظيم ، من رجال هذه الأمة الابرار ، يناجيك بما جاء في الكتاب المصون « إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون » أمدك الله بمعونته وتوفيقه ، وأثابك خير الثواب .

وبعد فقد لاحظنا هنات جرت بها أقلام كثيرة ، وهي من الخطأ الشائع ففي ص ٨ تتكتل على بعضها ، وفي ص ٩ أفراد الأمة ببعضهم ، وفي ص ٣٨ : وصيانة حقوقهم بين بعضهم ، وفي ص ١٧٣ مجموعة الى بعضها » ويقال فيها على هذا الترتيب : « بعضها على بعض ، وأفراد الأمة بعضهم ببعض ، وصيانة حقوقهم بينهم ، ومجموعة بعضها الى بعض » إذ أن المقصود هو (الكل) لا (البعض) .

محمد بهجة البيطار

ظلال الأيام — أنور العطار

مطبعة البرهاني بدمشق ١٩٤٨ — صفحاته ٢٦ + ١٤٢

تحدث عدد من المستشرقين والشرقيين عن الأدب العربي المعاصر ليصلوا بين حلقات الدراسة في تاريخنا الأدبي؛ وشكوا جميعاً، فيما شكوا منه انصراف شعرائنا المحدثين عن طبع دواوينهم والعناية باخراجها .

وقد قام المستشرق جورج كمبفماير منذ عام ١٩٢٥ م بشيء من هذا العبء، فتحدث في مجلة ألمانية [١] عن شعراء الشام، واختار من شعرهم ونشر بين يديه تراجم كتبها الشعراء أنفسهم في ترجمة حياتهم، وزين هذه الدراسات بصور الشعراء، ونذكر منهم هنا على سبيل المثال الأساتيذ خليل مردم بك وشفيق جبري ومحمد البزم وبدوي الجبل؛ ولكننا لم نقع منذ ذلك الحين على ما يحقق الرغبة، ويلبي النداء، ويستجيب داعي الدراسات التاريخية، ونحن ننتظر أن يجد شعراء دمشق في طبع دواوينهم طباعة حديثة وأن يصدّروها بدراسة عن حياتهم تعين الباحث وترشد الدارس كما فعل الغربيون لشعرهم وكما فعل امير الشعراء احمد شوقي .

و « ظلال الأيام » الذي نتحدث عنه اليوم أخرجه الشاعر أنور العطار، ووفّر له أكثر الذي يتطلبه الناقد الغربي من الشاعر العربي، فقد بوّبه وزينه وقدم له .

أما المقدمة التي كتبها الأستاذ علي الطنطاوي في ترجمة صديقه الشاعر فهي صادقة الرسم، تنم عن حياة الشاعر ومراحل عيشه وتفصح عن الأسى الذي يلف هذه الحياة، والألم الذي يغذيها، والقلق الذي ينتابها، والضجر الذي يصيبها . فهي دليل للديوان ورفيق للقارئ على مرّ الصفحات .

وشعر العطار على هذا وذاك صريح جليّ، واضح بيّن، تلمح خلال أبياته هذه الدمعة تترقرق صافية، وتحس الجرح دامياً، وتسمع الأسى صارخاً، وتتبين الوحشة مظلمة والشجو قاتماً .

(١) Arabische Dichter Der Gegenwart , von Georg Kampffmeyer . in M . S . O . S . 1925 - 1926 , P . 249 et s.

يفتتح الشاعر بالشكوى والأسى ، ويختتم بالشجو والوحشة ، ويزجي فيما بينهما باللوعة والدمعة ، فاسمعه يقول :

ص ٧ : يافرحة العمرعودي غير آيسةٍ وأطمعيني في لقياك أحيانا

٧ : ألمي صارخ وجرحي ضريٌ والهوى يائس وجدّي عثور

٨ : وبنفسي قيثارة تتشكى وأنا الدمع والأسى والشعورُ

٧٧ : أنا قيثارة تنوح على الده ر ودمع على المدى يترقرق

١٣٧ : أذّكر العهد فأبكي أسى

وهو بهذه الدموع يذكرنا بالشعراء الرومانتيكيين في الغرب وتلاميذهم في الشرق ، الذين يرون أن الألم أستاذ وأن الأسى يفجّر ينابيع الشعر .

والديوان حافل بأوصاف الطبيعة على عادة الابداعيين أمثال هوغو ولامارتين وموسّه فهو يصف الخريف والربيع ، ويصوّر المدن والأنهار والجبال والسهول والصحارى .

يبدأ بوصف الخريف ثم يصف دمشق وغوطتها وآذار والحقول فيه ، ويرسم بردى والصفصاف يستحم في شطآنه ثم يصف دمر وأزهاره وأوراده ، ثم ينتقل الى لبنان فيصف منه الجبال والوديان .

وهذه موضوعات تعيد الى الذكرى أسماء شعرائنا القدامى الذين وصفوا الطبيعة وأزهارها كابن خفاجة والصنوبري وكشاجم . والشاعر العطار يفيض حماسة حين يتطرق الى ذكر الوطن وحماه ، ويشع قدسية حين يستعرض ذكرى النبيّ اليتيم عليه السلام وأمجاد الفتح الاسلامي . ويختم ديوانه بوصف بغداد والبصرة ودجلة والفرات وصفاً يقرب التاريخ والوشائج ويبعث الحب وصلة القربى في اللسان والدم والذكريات .

هذه هي أغراض الشاعر في ديوانه وهذه معانيه التي تطرق اليها ، أما أسلوبه الشعري فكله رقة وحنان . ويخيل الينا أنّ أولى مزايا الديوان ألفاظه الشعرية المتخيرة وصوره الناعمة التي تضطر الشاعر مكرهاً الى أن يضحي بالغوص على

المعنى والايغال في الصورة . ولعلنا حين نستعرض هذه الألواح من خلال صفحاته ندلل على شيء مما نقول :

ص ٢٤ : يستحم الصفصاف في ضفتيه ويناجيه ناعم الفرع لدنا
مستهاماً يسلسل الروح دمعاً ويصاديه عبقرياً مفنـا
وهما في تلازم وعناق يطويان الزمان قرناً فقرنا

ص ٣٣ : وعلى معطف المروج تراءت قبلٌ للربيع تنفح طيبا

ص ٣٧ : فقدملأت الروح عبء الظلام وحنت الى البسمة الضاحيه
وتشدو الطيور أغاريدهـا فأختار من فمها القافيـه

ص ٤٥ : في وصف صنّين : هو جارُ النسور حطّ على الغيم

ص ٦١ : في ابنته :

سريرها يهتز في أضلعي تنام في أعطافه هانيه
إذا تطلعت إلى وجهها رأيتُ أمي مرة ثانيه

ولن نستزيد من هذه الصور وهذه التعابير فالديوان متداول هين يسير ، تستطيع أن ترجع اليه فترى آثار العصر والشباب والربوع مجتمعة في طياته . وليس يضيره تعابير يأخذها عليه الناقد في مثل قوله : « ولا يحفلان بالأغيار » وقوله : « تهالك من جهده وارتنح ! » فهي قليلة نادرة بحمد الله تقع في كل ديوان .

وقبل أن نهنئ الشاعر على باكورة دواوينه نرجو أن يعمد في المستقبل الى تأريخ قصائده ، فذلك يعين القارئ والمؤرخ والدارس .

وهو فاعل إن شاء الله !

الدكتور سامي الدهان

آراء وانباء

نصّ حكاه ثعلب

بين اللغة والدين !!

كتب حضرة الفاضل (السيد محمود بابللي) الى رئاسة المجمع العلمي بما حاصله : قرأت نصاً لغوياً في المعجم المسمى (المنجد) تأليف الأب (لويس معلوف) فاشتبه أمره عليّ وهو قوله صفحة ٤٨٨ (الطلقاء : الذين أدخلوا في الاسلام كرهاً) فكيف يكون ذلك ؟ ومن قواعد الاسلام ان لا اكراه في الدين . والمعروف في كتب السيرة النبوية ان الرسول الكريم حينما دخل مكة فاتحاً خاطب أهلها قائلاً : ما تظنون اني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) هذا ما كتبه الينا السيد البابللي . ثم قفّى عليه فقال : (فهل مفاد النص الذي نقله صاحب المنجد ان هؤلاء الطلقاء أُدخلوا في الاسلام كرها ؟ أم ان هناك طلقاء آخرين غيرهم ؟ فمن هم ؟ وفي أيّ عصر وجدوا ؟ ومن الذي أكرههم على الاسلام ؟) اه .

ولعمري ان قلق المستفهم الفاضل من عبارة المنجد . وارادته التثبت في فهمها . والتساؤل عن مغزاها ـ جديرٌ بالشكر والثناء . والا فان ظاهر قول المنجد مناقض لآية لا إكراه في الدين !!

ومرجع هذا البحث ومصدره أن صاحب (اللسان) الذي إنما الفه لتحديد معاني الفاظ اللغة نراه يخرج أحياناً كثيرة عن هذا التحديد الى نقول في الدين والأدب والتاريخ لا فائدة منها في افادة تحديد المعاني . وتفسير المباني . وان كان لها قيمتها في تقوية ملكة الأدب العربي في نفس المطالع ، وهذا ما جعل بعض الفضلاء يقول : إن لسان العرب كتاب أدب اكثر مما هو كتاب لغة . ومن هذا القبيل نقله عن ثعلب أن لفظ (الطلقاء) يطلق على قوم أُكرهوا على الاسلام .

فالامام الجوهري صاحب الصحاح الذي هو بحقٍّ أبو المعاجم – او ابو (المعجميات) على حد تعبير الأب مرمرجي – فسر لنا (الطلقاء) بالفحوى والتلميح ، لا بالجهر والتصريح فقال ما نصه (والطليق الأسير الذي أطلق عنه إساره وخلّي سبيله) قال هذا ثم سكت فأسكت ، وأفهم فما أوهم ، ألبس علماء العربية قالوا ان وزن (فُعَلاء) مقيس في كل ما كان على وزن (فَعِيل) صفة لمذكر عاقل غير مضاعف ولا معتلّ نحو كريم كرماء عظيم عظماء أمير أمراء الخ .

اشتهار هذه القاعدة جعل الجوهري يكتفي بتفسير لفظ (طليق) عن ذكر جمعه الذي هو (الطلقاء) . اما صاحب (اللسان) فبعد ان نقل عبارة الجوهري المذكورة قال (وفي حديث حنين خرج (ﷺ) ومعه الطلقاء : وهم الذين خلّي عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم . واحدهم طليق وهو الأسير اذا أطلق سبيله . وفي الحديث الطُلقاء من قريش والعُتقاء من ثقيف : كأنه (ﷺ) ميز قريشاً بهذا الاسم أعني (الطلقاء) حيث هو أحسن من العتقاء . والطُلَقاء الذين أُدخلوا في الاسلام كرهاً حكاه ثعلب : فإما ان يكون من هذا واما ان يكون من غيره) انتهى كلام اللسان . وقوله الأخير (فاما ان يكون واما ان يكون) يدل على ان العبارة التي حكاها عن ثعلب موضع تردد واشتباه . وان نقل صاحب اللسان لها ليس من اللغة ولا فقهها ولا تحديد معاني الفاظها في شيء ، وانما هو أمر يتعلق باحكام دين الاسلام وحوادث السيرة النبوية : فالطليق الأسير والطلقاء الأساري وهناك أساري مخصوصون وهم مشركو مكة الوثنيون سماهم النبي «الطلقاء» . هؤلاء الطلقاء المعينون أراد ثعلب أن يذكر لنا حكماً دينياً متعلقاً بهم فقال قولته المذكورة في اللسان . والتي تحتاج الى بسط وايضاح وبيان . ذلك أن النبي (ﷺ) لما منّ على أسرى قريش بالحرية وأعفاهم من ذل العبودية ليس معناه أنه أعفاهم من كل حكم يتعلق بشركهم ووثنيتهم فيبقون بعد أن مُنحوا حريتهم عليها أي على الوثنية التي جاء الاسلام لهدمها . وامتاز على جميع الأديان بمطاردتها . وهو (اي الاسلام) ان لم يتيسّر له ان يطاردها في العالم كله أمكنه على الأقل أن يطاردها

ويقتلع جذورها من جزيرته وموطن رسالته : أعني بلاد العرب : فهو بعد أن رفَّه عن الطلقاء وأمنهم عاد فطبق عليهم حكماً آخر من شريعته وهو عرض الاسلام عليهم ما داموا عَرَباً وما داموا مقيمين في جزيرة العرب وما داموا على غير ديني سماوي يشفع لهم في أخذ الجزية منهم : إذ أن مبدأ الاسلام (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان) فان أحب أولئك الطلقاء الاقامة في الجزيرة وأسلموا كان بها ، والا كان لهم الجلاء عنها • وهذا (اي الجلاء أو خوف الجلاء) جعل اكثرهم يلجأون الى الاسلام فأسلموا • وقد أراد (ثعلب) أن يعبّر عن اسلامهم الذي أُلجأوا اليه فعبر عنه بالإكراه مذ قال : والطلقاء (اي من اسارى قريش) هم الذين أُدخلوا (أي في آخر الأمر) في الاسلام كرهاً (أي إلجاء) وذلك بسبب تطبيق حكم الاسلام على وثنيي العرب بأن لا يبقوا على وثنيتهم أو يخرجوا من دار الاسلام • وهذا كما تفعل اليوم حكومات اوربا التي تؤلّف منها الكتلة الغربية الديموقراطية مذ تطارد الشيوعيين في عقر دارها • فينسللوا لواذاً منها أو يخضعوا لقوانينها التي لا تقر الشيوعية المتطرفة ولا ترفق بها • مالنا وللشيوعية هذه (الولايات المتحدة) كانت لا تجيز الإقامة لأحد في بلادها إذا كان ممن يؤمن بعقيدة تعدد الزوجات • فهل الوثنية التي جاء محمد (ﷺ) لمحوها أخف شراً من تعدد الزوجات في نظر العقلاء المنصفين ؟ عبارة ثعلب جاءت غير واضحة وجاء صاحب اللسان فنقلها ذيلاً لكلامه وتردد في فهمها مذ قال : (فاما ان يكون وإما أن يكون) هذا الغموض فيها أضعف ثقة علماء اللغة بها • وجعلهم يتحامون نقلها الى معاجمهم : فلم يذكرها الزمخشري صاحب (الاساس) ولا الفيومي صاحب (المصباح) ولا ابن الأثير في معجمه (النهاية) الذي ألفه لتحديد معاني الألفاظ الواردة في كتب السنة والحديث • ولم يذكرها الفيروزابادي صاحب (القاموس) وانما ذكرها شارحه الزبيدي في مستدركاته • ولما جاء واضعو المعاجم البيروتية المعاصرون أهملها منهم صاحب (محيط المحيط) والبستاني

صاحب (البستان) والشرتوني صاحب (أقرب الموارد) ثم عاد هذا فذكرها في (الذيل) حتى جاء الدور أخيراً للأب لويس معلوف صاحب (المنجد) . ومنجده إنما وضعه للشُداةِ وطلاب المدارس ـ الذين يراعى في معاجمهم الاختصار والاقتصار ـ فاهتم بها ونقلها الى منجده مبتورةً مما قبلها : لِما رأى فيها من الطرافة والغرابة والنص على الاكراه في الدين مع ان المسلمين يقولون إنه (لا اكراه في الدين) .

نعم لا إكراه في الدين أيها المنصفون وكل ما في الأمر ان عرب الجاهلية مكلفون أن يخلعوا ربقة الوثنية إذا أحبوا الإقامة في جزيرة العرب . ومن تصفح كتب السيرة لا يجد أثراً لما تُوهمه عبارة (ثعلب) المحكية في اللسان . وانما يجد ما يؤيد قولنا من أن الطلقاء أحرار في الخروج من جزيرة العرب اذا بقوا مصرين على وثنيتهم وعبادة أصنامهم : ورد في تاريخ الطبري عند ذكر أخبار فتح مكة وقوله (ﷺ) لمشركيها (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ما خلاصته :

هرب (صفوان ابن أمية) أحد سادات قريش بعد فتح مكة الى جدة ليركب منها البحر الى اليمن فعظم أمر خروجه على (عمير بن وهب) فجاء النبي (ﷺ) وأخبره بخبر صفوان فأرسله النبي اليه مؤمِّناً له . وأعطاه عمامته الشريفة علامة على ذلك الأمان . فذهب اليه عمير وعاد به الى مكة فلما دخل على النبي قال له صفوان : إن عُميراً هذا يزعم انك قد آمنتني . قال صدق . قال فاجعلني في أمري بالخيار شهرين . قال أنت فيه بالخيار اربعة أشهر اهـ . والخيار الذي طلبه إنما هو بين ان يذهب الى اليمن بوثنيته وبين ان يبقى مع أبناء جلدته العرب ويدخل في دينهم : دين التوحيد ، فلم يكن بهذا مكرهاً على الاسلام وانما الاكراه أن يُضبط الوثني ثم يقال له إما أن تُسلِم او تُقتل وحاشا ان يقع مثل هذا في الاسلام .

هذا ما رأينا ان نقوله في تأويل عبارة ثعلب التي نقلها صاحب المنجد وعسى ان يجد فيها حضرة السائل الأديب مقنعاً .

المغربي

ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية

هذه ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية :

(١) نظرية الاسلام السياسية (٢) منهاج الانقلاب الاسلامي (٣) الدين القيم

نبعث بها اليكم لتروا فيها رأيكم وتلاحظوها بعين النقد وتنوهوا (Review) بها في مجلتكم الزاهرة . ويسرنا كثيراً اذا نبهتم على ما تقع عليه أنظاركم فيها من الهفوات والأخطاء اللغوية والنحوية ، فاننا ، وإن لم نأل جهداً في ابرازها في حلة من الفصحى قشيبة ، لا نأمن على انفسنا الوقوع في الأخطاء وعلى اقلامنا ان تزل قدمها بعد ثبوتها ، بما عسى ان يكون قد لصق بها من محاورات الهندستانية وما يظهر في الجرائد العربية السائرة من الهفوات اللغوية والأساليب الركيكة .

هذا ، وهذه الرسائل ألفت بالاردية ، ثم قام بتعريبها هذا العاجز وزملاؤه وستتلوها رسائل اخرى معرّبة من الاردية ومؤلف بعضها بالعربية من غير ترجمة . وبما أن هذه الرسائل عالجت المسائل السياسية والمواضيع العمرانية والاقتصادية ، اضطررنا فيها الى استخدام المصطلحات الحديثة الشائعة بالانكليزية وغيرها من لغات العالم المتحضرة . وقد اقتبست لغتنا الاردية مئاتٍ بل ألوافاً من هاتيك المصطلحات في شتى العلوم ، وُعني اهلها بتأليف المعاجم الخاصة لهذا الغرض ؛ والحق أنهم وفوا هذه المسألة حقها من العناية والاهتمام ، بحيث لا يجد الكاتب الذي يعالج هذه الموضوعات وُيعنى بالبحث فيها بالاردية كثيرَ عناء ومشقة ، بل يجد الأمر سهلاً والسبيل ممهدة ، والطريق معبدة . لكن الأسف ، كل الأسف ، ان الكاتب المستعرب الذي يريد ان يتناول هذه الموضوعات والمسائل ويعالجها بالعربية تأليفاً او تعريباً ، يلقى عرق القربة بهذا الصدد لأن مالكي ازمّة البيان وفرسان مضماره ، لم يفرغوا للآن من وضع معجم جامع لمصطلحات علوم السياسة والاقتصاد والعمران والفلسفة وغيرها . ومن هنالك لكم ان تقدّروا العناء الذي كابدناه في تعريب هذه الرسائل وما تجشمناه من المشاق في البحث والتحقيق في شأنها . ولا ندري الى ايّ حد نجحنا في جهودنا ومساعينا ؛ ولا نعرف مدى

ما قدّر لنا بلوغه من الصحة والدقة في هذا الباب . والأمر في هذا الى حضراتكم ، ارباب البيان وحملة الأقلام من ابناء العرب ، والرأي رأيكم ، جهابذة النقد وأساتذة الحلّ والعقد من اهل اللغة وعلمائها . وها نحن نبعث اليكم بفهرس للمصطلحات وبعض الاستعمالات الدقيقة التي وردت في هذه الرسائل الثلاث ، وقد شفعناها بما يُرادفها في الانكليزية والاردية ، ليسهل على الناقد تعيين المعاني المرادة منها ، وكذلك ذكرنا بازاء كل كلمة رقم الصفحة التي وردت بها من هذه الرسائل .

فالمأمول ان تنشروا هذه الكلمة في مجلتكم الزاهرة ، مضافاً اليها الفهرس الذي ذيلناها به ، وتفضلوا علينا بابداء رأيكم في شأنها والتنبيه على مواضع الخطأ والضعف منها . وانما سألناكم نشرها في المجلة لما عسى ان يبدي فيها بعض قرائكم الأفاضل من الملاحظات مما يمكن لنا ان نستفيد منها وننتفع بها في تعريبنا للرسائل الأخرى من هذا الباب وتأليف مايماثلها من الكتب في مثل هذه المواضيع .

نكتب هذا ونحن اكثر الناس علماً بقصورنا في الانشاء العربي واعرفهم بضعفنا في الملكة اللغوية لبعدنا عن مهد العروبة واللغة الكريمة ومنبت ارومتها . اما غرضنا من نشر هذه الرسائل ، فهو تبيين محاسن الاسلام ، ونشر مزاياه وبث تعاليمه في لغات العالم كلها ــ حسب ما بيناه في الصفحة الثالثة من الغلاف ــ وسنفرد لذلك مقالاً خاصاً ، ان شاء الله تعالى ، نتناول الكلام فيه عن الدعوة وعما قامت له « الجماعة الاسلامية » التي أُسس بنيانها في الهند منذ ثماني سنوات ، سنة ١٣٦٠ هـ ، وقد بدأت تؤتي أُكلها وشرعت تظهر ثمراتها الشهية للعيان . ولنشر كلمتها وتعميم صوتها وابلاغ دعوتها الى العالم الاسلامي عامة وبلاد العرب خاصة تأسست « دار العروبه للدعوة الاسلامية » فرعاً لها منذ اربع سنين .

وها هي منشورات دار العروبة ، بدأت تتحلى بالطبع وتنتشر ، فتلفت اليها الأنظار . والنيةُ معقودة على اصدار مجلة شهرية مسماة « بالهدى » حينما تسمح لنا به الظروف . والموعد ليس ببعيد ان شاء الله تعالى .

راوليندي (باكستان)

مسعود الندوي

معتمد « دار العروبة للدعوة الاسلامية »

نظرية الاسلام السياسية

ص	س	الاردية	العربية	الانكليزية
٤	٩	دكتيٹر شپ	السيطرة (الدكتاتورية)	Dictatorship
١٦	١٥	انسان پر انسان کی خدائی	الوهية الناس على الناس	Domination of man over man
١٧	١٠	کمیونسٹ پارٹی	الحزب الشيوعي	Communist Party
١٧	١١	سیاسی مجلس	المكتب السياسي	Political Bureau
١٧	١٣	فارم	المزرعة	Farm
١٨	١	نمائندگی	التمثيل	Representation
١٨	٣	جماعت	جماعة	Community
١٨	٨	فاشسٹ گراند کونسل	المجلس الفاشي الكبير	Fascist Great Council
١٨	١٢	ديمو کریسي	الدمقراطية	Democracy
٢٠	١	شخصیت	الشخصية	Personality
٢٣	٢	چارٹر	المنشور العام	Charter
٢٣	١١	اختیارات	الحقوق	Powers
٢٤	٧	حاکمیت	الحاكمية	Sovereignty
٢٥	١٠	ریاست	المملكة	State
٢٥	١٥	حکومت	الحكومة	Government
٢٦	١٤	مخصوص مذهبي طبقه	السدنة	Priest Class
٢٧	١١	اقتدار اعلى	السلطة القاهرة	Paramountcy
٢٧	١٠	محدود عمومی حکومت	سلطان منحصر في دائرة محدودة	Limited popular Sovereignty
٢٧	١٢	عامله	الهيئة التنفيذية	Executive
٢٨	١٧	عمومی حاکمیت	سلطان للجمهور	Popular sovereignty
٣٠	٥	قانون منع شراب	قانون منع الخمر	Prohibition Lan
٣١	١٤	حدود الله	حدود الله	Divine Limits

الانكليزية	العربية	الاردية	س	ص
Regulations	القوانين الفرعية	فروعى قاعدي	١	٣٢
Personal liberty	الحرية الشخصية	شخصي آزادي	١٠	٣٢
Capitalism	الرأسمالية	سرمايهداري	١٣	٣٢
Family life	الحياة العائلية (البيتية)	عائلى زندگى	١٥	٣٢
Constitution	الدستور	دستور	١٦	٣٣
Social Justice	العدالة الاجتماعية	اجتماعى عدل	١٧	٣٥
Nagative	السلبية	سلبى	١١	٣٦
Positive	الايجابية	ايجابى	١٣	٣٦
Political Power	القوة السياسية	سياسى طاقت	١	٣٧
Public opinion	الرأي العام	رائى عام	٤	٣٧
Social Influence	النفوذ الاجتماعي	جماعتى اثر	٤	٣٧
Totalitarian	المهيمنة	همه گير	١٦	٣٧
Authoritarian	الاستبدادية	استبدادى	١٧	٣٧
Ideological State	المملكة الفكرية والحزبية	جماعتى اورمسلكى رياست	٦	٣٨
Rights and Privileges	الحقوق والامتيازات	حقوق ومراعات	١٦	٣٩
Fundamental theory	النظرية الاساسية	بنيادى نظريه	٧	٤٠
Theory of State	نظرية المملكة	نظريه رياست	١٤	٤٠
Popular Vicegerency	الخلافة العمومية	عمومى خلافت	٩	٤١
Social life	الحياة الاجتماعية	اجتماعى زندگى	٥	٤٢
Personal ability	الكفاءة الشخصية	شخصى قابليت	٧	٤٢
Social status	مكانة الرجل في المجتمع	معاشرتى مرتبه	٥	٤٣
Regimentation	التقييد الاجتماعي	ضابطه بندى	٤	٤٥
Vote	التصويت	ووت	١٠	٤٦

ص	س	الاردية	العربية	الانكليزية
٤٦	١٤	انفراديت	الفردية	Individuality
٤٦	١٤	اجتماعيت	الاجتماعية	Socialism
٤٧	٦	موافقت	التوافق	Harmony
٤٧	١٥	تصور	التصور	Conception
٤٩	١٣	اقليت	الاقلية	Minority
٤٩	١٣	اكثريت	الأغلبية	Majority
٥٠	٥	اميدوارى	الترشح	Condidature
٥١	٥	انتخابى پروپيگندا	الدعاية الانتخابية	Electoral propagande
٥١	١١	عدالت	القضاء	Judiciary

* * *

منهاج الانقلاب الاسلامي

ص	س	الاردية	العربية	الانكليزية
٣	٣	عمل	العمل	Process
٣	١١	خام خيالى	الاحاديث الواهية	Loose - thinking
٤	٦	مصنوعى طريقے	الطرق المصطنعة	Artificial means
٤	٩	ابتدائى لوازم	امور بدائية لازمة	Pre - requisites
٤	١١	مقدمات	القضايا	Premises
٥	١٢	جبريت	الجبر	Determinism
٧	٦	اصولى حكومت	الحكومة الفكرية	Ideological State
٧	حاشيه	قوميت	القومية	Nationality
٧	〃	قوم پرستى	القومية	Nationalism
١٠	١٤	قوم پرستانه طرز فكر	الفكرة القومية	Nationalistic Ideology
٨	٧	انقلاب فرانس	الثورة الفرنسية	French Revolution

الانكليزية	العربية	الاردية	س	ص
Central Authority	الزعامة المركزية	مركزى اقتدار	١٤	١٠
National Guards	الحامية	نيشنل گارد	١٤	١٠
National Militia	الجند القومي	قومى مليشيا	١٥	١٠
Majority Rule	الحكم للاغلبية	اقتدار اكثريت	١٧	١٠
National Individuality	الخصائص القومية	قومي انفراديت	٢	١١
National Minority	الاقلية القومية	قومى اقليت	٣	١٢
Secular State	المملكة اللادينية	دينوى حكومت	٣	١٥
International Politics	السياسة الدولية	بين الاقوامى سياست	٩	١٧
Utilitarianism	المذهب المنفعي (مذهب المنفعة)	افادى ذهنيت	١٥	١٧
Values	الأقدار (القيم)	قدرين	١٧	١٨
Intellectual leadership	سلطان السمو الفكري	عقلى وذهنى رياست كاسكه	١٤	١٩
Mass Movement	الحركة العمومية	عمومى تحريك	١٢	٢٢
Utilitarian Morals	الاخلاق المنفعية	افادى اخلاقيات	٣	٢٣
Pragmatism	الفلسفة العملية	مصلحت پرستى	٤	٢٤
Plan	المشروع	منصوبه	١١	٣٠
Technique	منهاج العمل المخصوص	مخصوص طريق كار	٥	٣٤
Economic exploitation	الاستغلال الاقتصادي	معاشي انتفاع	٤	٣٧
Capitalists	الماليون	سرمايه دار	١٣	٣٧
Independent	المستقل بامره	خود مختار	١٦	٣٨
Irresponsible	غير مسؤول	غير ذمه وار	١٧	٣٨
Superficial reformation	الاصلاح الظاهري	ظاهرى اصلاح	٤	٣٩
Realism	الشعور بالحقيقة	حقيقت پسندى	١٦	٣٩
Hard fact and stark reality	الحقيقة الثابتة	امت اور اتل واقعه	٤	٣٩

ص	س	الاردية	العربية	الانكليزية
٤٠	٨	هز مجستي	صاحب الجلالة	His Majesty
٤٠	١٠	هز هولی نس	صاحب قداسة	His Holiness
٤٠	١١	هزهائی نس	صاحب سمو	His Highness
٤٠	١٣	هزلاردشپ	صاحب سيادة	His Lordship
٤٢	١٢	تعمير جديد	التشكيل الجديد	Reconstruction
٤٤	٤	حدود اختيارات	السلطان	Jurisdiction
٤٣		ماوراء طبيعت مسائل	قضية تبحث في ما وراء الطبيعة (المسائل الالهية)	Metaphysical popositions
٥٦	١٦	مجرد تخيل	الفكرة المحضة	Abstract Idea
٥٦	١٧	انتظامی، تعلیمی، عدالتی معاشی، معاشرتی، مالی پالیسی	النظم الادارية والتعليمية والقضائيـة والاقتصادية والمالية والاجتماعية	Administrative,educati - onal,judical,economic , cultural, and financial policy
٥٨	١٤	غیر خونی انقلاب	الانقلاب السلمي	Bloodless Revolution

* * *

الدين القيّم

ص	س	الاردية	العربية	الانكليزية
٧	١٤	قانون طبيعت	قوانين الطبيعة	Laws of Nature
٧	١٦	مشاهدات وتجارب	المشاهدات والتجارب	Observations and Experiments
٨	٣	آوارگیٔ فکر وعمل	الفوضى الفكرية والعملية	Looseness in thought and deed
١١	٤	شخصی برتاؤ	الشؤون الشخصية	Personal Behavaviour
١١	٩	ملکی انتظام	ادارة المملكة	Administration
١١	١٠	بين الاقوامي ربط وتعلق	العلاقات الدولية	International relations

الانكليزية	العربية	الاردية	س	ص
Geographical blocks	الدوائر الاقليمية	جغرافی حلق	٣	١٥
Racial circles	الدوائر النسلية	نسلی دائری	٣	١٥
Psychological	النفسية	نفسیاتی	١١	١٥
Essence of Humanity	جوهر الانسانية	جوهر انسانیت	١٩	١٥
Sexual differences	الفوارق الصنفية	جنسی اختلاف	١١	١٦
Element	العنصر	عنصر	١٢	١٦
Regulative laws	القوانين المؤثرة العاملة	کارفرما قوانین	١٩	١٨
Measure	المقياس	آله پیمائش	٤	١٩
Component Elements	العناصر التركيبية	عناصر ترکیبي	١٦	٢١
Environments	المحيط الكوني	کائناتی ماحول	١٠	٢١
Humanity at large	الانسانية الكبرى	انسانیت کبری	١٢	٢٢
Universal and eternal principles	مبادئ عالمية خالدة	همه گیرازلی وابدی اصول	١٦	٢٥
Characterless opportunist	الذي لامبدأله ولا غاية	بی اصولاء نراابن الوقت	٨	٢٧
General will	المشيئة العامة	خواهشی عام	١١	٣٠
Ultimate problems	المسائل النهائية	مسائل عاليه	١٤	٣٠
Social Life	الحياة الاجتماعية	مجلسی زندگی	١٣	٤٩
National Behaviour	الخطة القومية	قومی طرز عمل	١٤	٤٩

النهضة العربية في العصر الحديث

— حقائق تاريخية عنها —

مقدمة البحث

رد على كاتب فرنسي

وجد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في مجلة « لاروس » الباريزية مقالاً لكاتب فرنسي عن « العالم العربي » جاءت فيه حقائق ، وجاءت فيه تمويهات ، أملتها عليه الأهواء السياسية ، منها ما يتنافى وأبسط المعلومات الجغرافية ، مما دعا الأستاذ الرئيس الى الدفاع عن « الحقائق المموهة » برد مقتضب ولكنه مفحم ، ظهر منشوراً في الجزء الرابع من مجلة المجمع العلمي العربي (تشرين الاول ١٩٤٨) تحت عنوان « تمويه الحقائق » ومما جاء فيه قول الرئيس :

ومن أغرب التمويه الذي وقع لهذا الكاتب : ان نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية ثم تولت مصر الى كبرها ، وهي نغمة طالما رددها بعض جهلة اللبنانيين ، فزعموا ان لبنان سبق مصر التمدن وانه هو الذي علمها ومدنها ، مع ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين . والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعتين الاميركية واليسوعية في بيروت باكثر من خمسين سنة ، وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل ان تنهض مصر من يقيم للعلوم المادية وزنا . وبينا كانت كتب الطب والزراعة والحيوان والنبات والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا وغيرها تتناقلها الأيدي في العالم العربي ، وهي من تعريب المصريين الذين تعلموا في أوربا على عهد حكومة محمد علي الكبير ـ كان ابن لبنان لم يصل الى اكثر من السواعية » اهـ .

راهب تغضبه الحقائق

وكان الأب يوحنا الفاخوري البولسي ممن قرأ رد الأستاذ الرئيس ، فغضب

من الحقائق تنشر ، وفيها انتقاص مما يدعيه أمثاله ، وكان غضبه مقالاً نشره في «مجلة المسرة» التي تصدرها في حريصا «لبنان» البطريركية الكاثوليكية ، بلغ اثنتي عشرة صفحة من العدد التاسع الصادر في تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ . وجاء محشواً بمثل هذه الجمل والألفاظ :

١ - لم ينزه قلمه - يريد الأستاذ الرئيس - عن الطعن باللبنانيين في شيء او كثير من الاحتقار والازدراء .

٢ - ديدنه التحرش بلبنان واللبنانيين .

٣ - كتابة يتأباها كل من اطلع على حقيقة التاريخ، وترفع عن الأوهام والعصبيات .

٤ - في كلام الأستاذ من «تمويه الحقائق» ومن التعريض بالكرامات ما يدعو الى تفنيده وتمييز غثه من سمينه .

٥ - واننا لنعجب اشد العجب من ان «عالماً» من علماء العربية ، و «مؤرخاً» من مؤرخي العرب ، و «رئيساً» للمجمع العلمي العربي يجرؤ على مثل هذه الكتابة ، والمناداة بآراء بعيدة عن الصواب .. كذا ! .

٦ - من أين استقى الأستاذ معلوماته ؟ أمن اقوال بعض الجرائد ، أم من وحي الوهم والعاطفة الهائجة ، أم من بعض «كتاتيب القرية» ؟ .. !

٧ - وفي هذا القول أيضاً اندفاع عاطفي اكثر مما فيه علم حقيقي .

ونحن اذ نذكر هذه الجمل يخاطب بها الأستاذ الرئيس مثل الأب فاخوري ، نمر عليها مر الكرام فهي دون ما يجب الاهتمام له من «عالم» او «مؤرخ» فضلاً عن «رئيس مجمع علمي» ، ويجزينا الرد على ما في المقال من «تمويه جديد للحقائق» .

الحقائق التي تضمنها رد الأستاذ الرئيس

تضمنت الفقرات التي أغضبت الأب فاخوري من رد الأستاذ الرئيس على الكاتب الفرنسي الأمور التالية :

١ - ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين .

٢ — ما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين ، قبل ان تنهض مصر ، من يقيم للعلوم المادية وزنا ٠

٣ — بينا كانت كتب العلوم تنشر في مصر لم يكن الرجل العادي في لبنان يهتم لاكثر من الكتب الكنسية ٠

تحديد البحث الذي سنعالجه

هذا هو الموضوع الذي أضرمه الأب يوحنا فاخوري ، واوجب علينا بذلك ان نبحث عن الحقيقة لنعرضها سافرة فتكون فصل الخطاب في هذا الموضوع الدقيق ٠ ونحن سنفرد مبحثاً خاصاً للكلام عن الحقائق التي تضمنها كلام الأستاذ الرئيس ، ثم نعالج في مبحث آخر المظاهر المختلفة للنهضة العربية التي جاء الأب فاخوري على ذكرها ، وسنخصص مبحثاً ثالثاً للكلام عن الفكرة العربية في دولة محمد علي ، ثم نختم كلامنا ببيان حدود الخدمات التي أداها اللبنانيون لآداب اللغة العربية كما يعترف بذلك المنصفون ٠

* * *

المبحث الأول

اثبات الحقائق بالأرقام

أسبقية مصر الى العلم

لم يطلق الأستاذ الرئيس قوله : « ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين » اطلاقاً بلا حجة ، بل أردفه بالسند القوي ، وألحقه بالدليل الواضح الذي لا غموض فيه ولا لبس ، اذ قال مباشرة بعد جملته المذكورة : « والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعتين الاميركية واليسوعية في بيروت بأكثر من خمسين سنة » ٠

وأنا لا أعتقد ان صحة هذا الدليل الذي قدمه الأستاذ يتطرق اليها أدنى شك عند أقل الناس الماماً بتاريخ التعليم في مصر وفي سورية ، ونظرة واحدة الى تواريخ

انشاء المدارس في عهد محمد علي تكفي برهاناً لغير المكابرين ، وهذا جدول باسماء تلك المدارس وسنة افتتاح كل منها :

١ — مدرسة الموسيقى العسكرية انشئت سنة ١٨٢٤
٢ — مدرسة الحربية التجهيزية 〃 〃 ١٨٢٥
٣ — مدرسة اركان الحرب 〃 〃 ١٨٢٥
٤ — مدرسة الطب والصيدلة 〃 〃 ١٨٢٦
٥ — مدرسة الكيمياء العملية 〃 〃 ١٨٢٩
٦ — مدرسة المشاة 〃 〃 ١٨٣١
٧ — مدرسة الفرسان 〃 〃 ١٨٣١
٨ — مدرسة المدفعية 〃 〃 ١٨٣١
٩ — مدرسة البحرية 〃 〃 ١٨٣١
١٠ — مدرسة طب الحيوان 〃 〃 ١٨٣١
١١ — مدرسة التعدين 〃 〃 ١٨٣٤
١٢ — مدرسة الهندسة 〃 〃 ١٨٣٤
١٣ — مدرسة الزراعة 〃 〃 ١٨٣٧
١٤ — مدرسة الولادة 〃 〃 ١٨٣٧
١٥ — مدرسة الادارة والحسابات 〃 〃 ١٨٣٧
١٦ — مدرسة الألسن والترجمة 〃 〃 ١٨٣٧
١٧ — مدرسة الصنائع والفنون 〃 〃 ١٨٣٩
١٨ — مدرسة القوابل 〃 〃 ١٨٤٢

هذه هي المدارس التي افتتحها محمد علي لتدرس العلوم المختلفة باللغة العربية ، وقد بلغ عدد تلامذتها سنة ١٩٣٩ ما يقرب من ((٩٠٠٠)) تلميذ [١] ، كانوا تباشير النهضة العربية بما اكتسبوه من علم وثقافة شهد بدرجتها الرفيعة كثير

(١) راجع : تاريخ التعليم في مصر وتاريخ الآداب العربية .

من الأجانب ، ننقل وشلاً منها لمعرفة ذلك المستوى الذي أوجده محمد علي في مدارس أحب ان تكون نواة نهضة الأمة العربية بأسرها . قال « سكوت » في كتابه عن مصر [1] : « وكان طلبة مدرسة المدفعية يتعلمون الحساب والهندسة والجبر والرسم والاستحكامات ولغة أجنبية ، فاما الانكليزية او الفرنسية اوالايطالية ، أما اللغة التركية فكان الجميع يتعلمونهـا على السواء » . وقد حضر الأمير بوكلرموسكو الألماني بعض التمارين الحربية ، ومما وصفها به قوله : « ولا أذكر مطلقاً اني رأيت قبل اليوم تمريناً يقوم به طلبة ما بهذا المستوى النادر [2] » .

أما مستوى مدرسة الطب فيكفي أن نذكر ان مديرها الطبيب الفرنسي « كلوت » أحب اثبات مقدرة طلابه فاستصحبهم معه في احدى السنوات الى باريز وجعلهم يؤدون امتحاناتهم مع الطلبة الفرنسيين في جامعة باريز سواء بسواء .

وحتى مدرسة الموسيقى لم تعدم من يشهد بمهارة طلابها فقد ذكر « سانت جون » ان بعض كبار الأجانب قد زاروها « واعجبوا ببراعة تلاميذها في فهم الموسيقى الغربية ، وعزف أدق القطع لأمهر الموسيقيين الايطاليين والفرنسيين [3] » .

ان كل هذه المدارس التي أنشأها محمد علي ، تم افتتاحها كلها خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، بينما يعرف أقل الناس اطلاعاً على تاريخ تأسيس الجامعتين الامريكية واليسوعية في بيروت ان الأولى أسسها المبشرون الامريكيون سنة ١٨٦٦ ، وان الثانية أسسها الآباء اليسوعيون سنة ١٨٧٤ ؛ وما أظن أحداً يماري في هذه الحقائق الثابتة وهي تعطي الدليل القاطع على صحة ما أورده الأستاذ الرئيس ، نحن لا نشك مطلقاً بثقافة الأب فاخوري وسعة اطلاعه ، ولا نشك أبداً بأنه يعرف كثيراً من الأدلة التي تؤيد كلام الأستاذ الرئيس ، كما أننا لا نشك انه قرأ كتب جرجي زيدان وقوله : « وظلت مدرسة الطب المصرية

(١) الجزء الثاني ص – ٢٣١ عن ثابت .
(٢) في كتابه عن مصر ص – ١٧٦ عن ثابت .
(٣) في كتابه ج ٢ ص – ٤٠٠ عن ثابت .

وحيدة في العالم العربي نحو اربعين سنة ريثما أنشئت المدرسة الكلية الاميركية في بيروت [١] » .

تأخر ظهور العلوم المادية في لبنان

وقال الأستاذ الرئيس في رده : « وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل ان تنهض مصر من يقيم للعلوم المادية وزنا » وقوله هذا لا يحتاج الى دليل وقد قدمنا الكلام عن المدارس التي افتتحت في عصر محمد علي لتدريس العلوم المادية ، من طب وهندسة ورياضيات ، والتي أمدت مصر بعلماء عاملين يوم لم يكن في سورية ولا في لبنان علماء عاملون ! وهل يمكن القول بأسبقية لبنان في العلوم المادية ولم تكن الجامعتان الأميركية واليسوعية قد افتتحتا عندما كانت مدارس مصر تخرج الأطباء والمهندسين والضباط ? ولم يقل أحد بانه كان في لبنان قبل هاتين الجامعتين مدارس للطب او للهندسة ، الا ان يكون هذا من قبيل « الاوهام » التي يجب أن يترفع عنها « العلماء » و « المؤرخون » ؛ وجميل هذا الاستشهاد بكلام المؤرخ المحقق جرجي زيدان الذي استند الأب فاخوري كثيراً الى أقواله في الرد على الأستاذ الرئيس ، ولكنه ما نقل عنه الا ما يرضي كبرياءه ورغباته ، قال زيدان [٢] :

« للمدارس الحديثة في سوريا تاريخ يختلف عن تاريخ المدارس في شقيقتها مصر . فقد علمت ان الباعث على انشاء المدارس المصرية رغبة محمد علي في النهوض بالأمة المصرية واحياء آداب اللغة العربية ، أما سوريا فكان الباعث على انشاء المدارس فيها على الأكثر منافسة الارساليات الدينية او البعثات التبشيرية » .

ولقد عدد زيدان المدارس التي كانت في لبنان قبل سنة ١٨٦٠ ، اذ بدأت النهضة الحقيقية [٣] ؛ على حد قوله ، فكانت كلها من مدارس الكهنة والارساليات

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٣٧ .
(٢) » » » » ج ٤ ص ٤٦ .
(٣) » » » » ج ٤ ص ٤٧ .

الدينية والتبشيرية الأجنبية ، وأقدم المدارس التي يمكن أن تذكر في تاريخ النهضة العلمية يعود تاريخها الى سنة ١٨٣٤ يوم افتتح الآباء العازاريون مدرسة «عنيطورا» وتبعهم سنة ١٨٣٥ القس «طمصن» بفتح مدرسة في «بيروت» ثم في «عبيه» سنة ١٨٤٧ ، وفي هذه السنة نفسها فتح الآباء العازاريون مدرسة «غزير» ، ويكفي للمقارنة ان نذكر ان مجموع المكاتب الابتدائية التي انشئت في القطر المصري من سنة ١٨٣٣ حتى سنة ١٨٣٦ بلغ ٦٧ مكتباً [١] . وفي تقرير رسمي مرفوع من قبل مدير ديوان المدارس سنة ١٨٤١ ان مدارس الحكومة الابتدائية موزعة في القطر المصري على الشكل التالي :

٣	مدارس بالقاهرة فيها	٦٠٠	تلميذ
١	مدرسة بالاسكندرية فيها	٣٠٠	تلميذ
١	مدرسة باسيوط فيها	٢٠٠	تلميذ
٤٥	مدرسة بالأقاليم في كل منها	١٠٠	تلميذ
٥٠٠		٥٥٠٠	

وفي سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ الدراسية كان في كل من القاهرة والاسكندرية مدرستان ثانويتان فيهما ٢٠٠٠ طالب ، وفي سنة ١٨٣١ — ١٨٣٢ الدراسية كان عدد تلامذة معهد الطب ٣٠٠ ، تلك المدرسة التي أمدت الجيش المصري خلال خمس سنوات منذ تأسيسها بنحو من ١٥٠ طبيباً [٢] .

ولست أدري بعد كل هذا أيبقى الأب فاخوري على اعتقاده بان العلوم المادية في لبنان كان لها شأن موزون قبل ان تعنى بها مصر ، وقبل أن يأمر محمد علي بفتح أبواب المدارس من أجل «تعليم وتثقيف أبناء العباد [٣]» ؟ !

حال لبنان عندما بدأت مصر بنشر الكتب العلمية

يذكر الاستاذ الرئيس في كلامه كتب الطب والزراعة والحيوان والنبات

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ١٨٩ .
(٢) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٦٥ .
(٣) دفتر ٥٨ معية رقم ٥٩٢ الى محرم آغا في ١٩ ذي القعدة ١٢٤٩ راجع تاريخ التعليم.

والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا، التي نشرت بمصر يوم كان لبنان فقيراً من كتب هذه العلوم لعدم وجود المدارس التي تدرسها ، أو وجود علماء يعنون بها ، وكل من يتصفح تاريخ الحركة العلمية في مصر يعرف قيمة الكتب التي طبعت في عصر محمد علي والتي أخذت بحق تصل حاضر الأمة العربية بماضيها بعد ان انقطعت عن العلوم المادية زمناً طويلاً .

ويكفي أن نذكر ما اتصل بنا من اسماء الكتب العلمية التي أشار اليها الأستاذ الرئيس وطبعت في عهد محمد علي ، والتي سبق انتشارها بين ايدي القراء في العالم العربي انشاء الكليتين الاجنبيتين في لبنان بنحو ربع قرن أو يزيد .

ونحن لا ندعي استقصاء كل ما طبع من الكتب العلمية في مصر ايام حكم محمد علي ، وما على الراغبين في الاستقصاء الا الرجوع الى الكتب التي عالجت هذا الموضوع أو زيارة المكاتب العامة ليتحققوا بانفسهم ويلمسوا بايديهم آثار تلك النهضة العجيبة ، وسنذكر فيما يلي المطبوعات سنة فسنة :

سنة ١٨٣٢ (١٢٤٨ هـ)

١ — القول الصريح في علم التشريح

٢ — المنحة في سياسة الصحة

٣ — قانون الصحة

سنة ١٨٣٣ (١٢٤٩ هـ)

٤ — رسالة في علم البيطارية

٥ — التوضيح لألفاظ التشريح (في علم البيطرة)

سنة ١٨٣٤ (١٢٥٠ هـ)

٦ — رسالة في الطاعون

٧ — رسالة في علاج الطاعون

٨ — منتهى الأغراض في علم شفاء الأمراض

سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ)

٩ — رسالة فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الفرنجي

١٠ — مبلغ البراح في علم الجراح

١١ — كتاب التشريح العام

١٢ — التحفة الفاخرة في هيئة الأعضاء الظاهرة

سنة ١٨٣٦ (١٢٥٢ هـ)

١٣ — نبذة في تطعيم الجدري

١٤ — دستور الأعمال الاقربازينية لحكماء الديار المصرية

سنة ١٨٣٧ (١٢٥٣ هـ)

١٥ — نبذة في أصول الفلسفة الطبيعية

١٦ — نبذة في التشريح المرضي

١٧ — كتاب الاقربازين

١٨ — قانون تعليم العساكر الجهادية المشاة

سنة ١٨٣٨ (١٢٥٤ هـ)

١٩ — الأزهار البديعة في علم الطبيعة

٢٠ — كتاب الأربطة الجراحية

٢١ — الدراسة الأولية في الجغرافية الطبيعية

سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ)

٢٢ — نزهة الأنام في التشريح العام

٢٣ — الأصول الهندسية

٢٤ — تحفة الرياض في كليات الأمراض

٢٥ — المادة الطبية البيطرية

سنة ١٨٤٠ (١٢٥٦ هـ)

٢٦ — العجالة الطبية فيما لابد منه لحكماء الجهادية

٢٧ — منتهى البراح في علم الجراح

٢٨ — روضة الازكيا في علم الفسيولوجيا

٢٩ — ضياء النيرين في مداواة العينين

٣٠ — ثمرة الاكتساب في علم الحساب

٣١ — كتاب الجبر والمقابلة

سنة ١٨٤١ (١٢٥٧ ﻫ)

٣٢ — الدر اللامع في النبات وما فيه من المنافع

٣٣ — نزهة المحافل في معرفة المفاصل

٣٤ — الأقوال المرضية في علم بنية الكرة الأرضية

سنة ١٨٤٢ (١٢٥٨ ﻫ)

٣٥ — نزهة الرياض في علم الأمراض

٣٦ — طالع السعادة والاقبال في علم الولادة وامراض النساء والأطفال في جزأين

سنة ١٨٤٣ (١٢٥٩ ﻫ)

٣٧ — رسالة في مرض الحمى

٣٨ — نبذة في تطعيم الجدري

٣٩ — روضة النجاح الكبرى في العمليات الجراحية الصغرى

٤٠ — أحسن الأغراض في التشخيص ومعالجة الامراض في اربعة مجلدات

٤١ — رضاب الغانيات في حساب المثلثات

٤٢ — افاضة الأذهان في رياضة الصبيان

(يتبع) الدكتور عدنان الخطيب



فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٤٩ — ٩ ذي الحجة سنة ١٣٦٨

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٧ —

تابع حرف الفاء

المُفَقِّعة كمحدِّثة : طائر اسود أصل ذنبه أبيض (الشرتوني ٩٣٨) لعلها معربة من السريانية ܦܩܘܐ fakoo (اللباب والدليل)[1] .

افتقد : افتقد الشيء طلبه عند غيبته ܐܦܬܩܕ Eftkad : أورد حنين بن اسحق هذه اللفظة في قوانينه في الألفاظ المنسوبة الى عنانيشوع واليه ص ٢ قال : ܐܬܦܩܕܬ ܐܬܒܥܝܬ Ethbait , Ethfqadt ومعناهـا : افتقِدت أي طُلبت ، واستشهد بآية وردت في سفر صموئيل الأول ٢٠ : ٢٧ وقد

---

(١) ܦܩܘܥܐ faqouo : ثمر التين قبل نضجه أوردها ابن بهلول عمود ١٥٩٨ والسيد أودو في معجمه ٢ : ٣٣٩ . وذكرها صاحبا اللباب ٢ : ٣٣٨ والدليل ص ٦٠٣ وعرّباها بالفُقّيع ولم ترد في المعاجم العربية وانما يستعملها عامة أهل الشام . وقال ابن بهلول أيضاً في جمعها ܦܩ̈ܘܥܐ : التين الأخضر .

تكررت أربعاً في الفصل عينه ومنها في عدد ١٨ «ܘܡܬܦܩܕܐ» Wméthfqédat «فقال له يوناثان غداً رأس الشهر فتُفتَقَد» ومع أن هذا المعنى أوردته المعاجم السريانية ، ودليلهم ما ورد منه في التوراة بحسب ترجمتها البسيطة فان اللغوي المطران يعقوب البرطلي السرياني المتوفى سنة ١٢٤١ م ذكر هذه اللفظة في الألفاظ الضائعة وذلك في مصنفه السرياني المخطوط الموسوم بالمسائل والجوابات .

فُلّ : قال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٥٢ «فلّ بضم الفاء وتشديد اللام نوع من النَّوْر يشبه الياسمين الا أنه أقوى رائحة ، وهو شائع في لغة اليمن والحجاز ، ولم يذكره أحد من أهل اللغة ، وسماه ابن البيطار [1] في مفرداته : النارق» ثم أورد بيتين للأصيلي ورد فيهما (الفلّ) وقال صاحب اللباب ص ٣٢٥ «ܦܠܐ بالفتح الفلّ وهو شجر بستاني ذو زهر أبيض صغير مستدير طيب الرائحة ، الواحدة ܦܠܬܐ فلّة» faltho , falo وقال فيه الشهابي ص ٣٦٦ ياسمين زنبقي . وفي كتاب كنز اللغة السريانية ص ٢٩٣ ܦܠܐ مثلثة félo , falo , folo شجر يعصر من أوراقه دهن طيب الرائحة عطريّ .

فَلِت : تخلص وبالسريانية ܦܠܛ (فلط) flat ومنه سميت بلدة بَلَط اي بَلَد ، من ديار الموصل كما ذكر ياقوت في معجمه ٢ : ٢٧٠ قال «فابصره سرياني فقال افلط أي اخرج من بطن الحوت يقال افلتْ فسمي ذلك الموضع فلط ثم بَلَط ثم بَلَد» اهـ ، وفي المزهر ١ : ١٣٥ «وفي الصحاح قال الخليل (افلطني) لغة تميمية قبيحة في افلتني» اهـ . قلنا ومع هذا فلعلها من توافق اللغتين .

فلج : جاء في الجواليقي ص ٢٤٩ «ابو عبيدة : فَلَجتُ القوم أفلجُهم وفَلَجتُ الجزية على القوم ، اذا فرضتُها عليهم . وهو مأخوذ من القفيز

---

(١) هو عبد الله بن احمد المالقي كان رئيس العشّابين في مصر توفي في دمشق سنة ١٢٤٨ م

« الفالج » وأصله بالسريانية (فالغا) ويقال له أيضاً « فِلج » وقال ابن سيده في المحكم : يقال للقفيز بالسريانية « فالغا » واعربته العرب فقالت « فالج » ١٢ : ٢٦٤ . وفي اللسان « والفالج والفلج » مكيال ضخم معروف ، وقيل هو القفيز وأصله بالسريانية « فالغا » فعرب . وفي الأساس ٢ : ٢١٢ فَلجوا الجزية بينهم قسموها ، واكتل بالفِلج والفالج وهو مكيال ضخم ، ويقال لقاسم أنصباء الجزور : المُفَلِّج . فلج الشيء بينهم كفلّجه قسّمه نصفين ، والشيء شقّه فَلْجَين اي نصفين . والفَلْج النصف ، والفِلْج المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالغا) وفي معجم البلدان ٦ : ٣٩٣ الفلْج في لغتهم القِسم يقال هذا فَلجي اي قسمي . وفي مجلة المجمع مج ١٦ — ٥٩ وما بعدها عن المُعرب في ترتيب المعرب للمطرّزي المتوفى سنة ١٢١٣ م « الفالج في التهذيب نصف الكر الكبير ، والفَلَج : المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالغا) ومنه حديث عمر ، انه بعث حذيفة وابن حنيف الى السواد (ففلجا) الجزية على أهله ، فرضاها وقسماها ، وانما أخذوا القسمة من هذا المكيال لأن خراجه كان طعاماً . ومنه :

الفالج : في مصدر المفلوج لأنه ذهاب النصف . (عن ابن دريد) اهـ .

قلنا المادة سريانية ܦܠܓ ، ܦܠܓ Falègh , Flagh : فلَج . شطَر ، قسم ، قاسم ، فلّج ، شطّر ، قسّم و ܦܠܓܐ Pelgo : فِلج ، شَطر ، قسم ، داء الفالج . و ܡܦܠܓܢܐ Mfalghono : مفلِّج ، مقسِّم و ܦܘܠܓܐ Folgho : فِلج مكيال ، فالج (داء معروف)[1] .

(١) فند : لفافة شمع لا تزال مستعملة في بعض بِيَع السريان في ما بين النهرين والشام ، أخذت من لفظة ܦܢܛܐ Fanto الفارسية ، ومعناها مصباح ، (فانوس اليونانية Phan - os)

فُندُق : قال الجواليقي ص ٢٣٩ : « الفندُق بلغة أهل الشام ، خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرُق والمدائن » اللفظة يونانية Pantokhei - on المنزل ، محط الرحال . نقلها السريان بلفظها ܦܘܢܕܩܐ ، ܦܢܕܩܐ Foudqo , Fandqo وقلبوا الدال تاء فقالوا أيضاً ܦܘܬܩܐ Foutqo .

فُهْر : الفُهْر تعريب فوريم ج فُور بالعبرية ومعناه قرعة ، وهو عيد لليهود يسمونه عيد الفوريم . اخذه السريان فقالوا فيه ܦܘܗܪܐ Fouhro وعنوا به : دعوة ، وليمة ، مأدبة . قال ماري بن سليمان في كتاب المجدل ص ٣ و ٤ وقد أورد اللفظة بالخاء (فخر تبعاً للسريانية « وكان المجوس لهم عادة عمل الفخر وكان للشبان فخر وهو دعوة يجتمع الناس فيها على وجه الدين بشرائط معينة ... واعتل بعد أيام خليفة رئيس الفخر » وفي الأساس ١ : ٢٢٠ وكأنهم (اليهود) خرجوا من فُهْرِهِم وهو مدراسهم تعريب بُهْر) بالعبرانية . ܦܘܗܪܐ Fouhro .

فَيْجن : الفَيْجن : السَّذاب ، قال ابن سيده في المخصص عن ابن دريد ١٠ : ١١ « ولا أحسبها عربية صحيحة » ومثله في شفاء الغليل ص ١٤٧ ܦܝܓܢܐ Fegno وفي الجواليقي ٢٤٢ قال ابو بكر « السَّذاب لغة شامية وقال في ٣ : ٣٥٧ ولا أعلم للسَّذاب اسماً عربياً لأهل الحجاز ، الا ان اهل اليمن يسمونه (الخُنْف) »

* * *

حرف القاف

قاريء : قال صاحب أقرب الموارد « القاريء من دخل في أصغر درجات الرهبانية (نصرانية) ويستدرك عليه ان القاريء « من دخل في احدى درجات الشماسية الصغرى ، ووظيفته تلاوة كتاب الله على جماعة المؤمنين » وكذا غلط صاحب المحيط بقوله « القاريء هو المتنسك المتعبد » واللفظة سريانية ܩܪܘܝܐ Korouio .

قاقوزة : قازوزة : قال التبريزي في تهذيب الاصلاح : القاقُزَّة مولدة وانما هي القاقوزة ، والقازوزة وهي اناء من آنية الشرب ١ : ١٧٨ . وقال الاسكافي ص ٥٧ الصاعرة المشربة ، والقاقوزة نحوها . وقيل هي للشراب جلد مزقق . وقال الجواليقي ص ٣٧٣ « وقال (الليث) القاقُزَّة اناء من آنية الشراب وهي القاقوزة والقازوزة أيضاً . ويقال انها معربة ، وليس في كلام العرب ما يفصل

الف بين حرفين مثلين مما يرجع الى بناء (قفز) ونحوه . والجملة الأخيرة من كلام الليث نقلها عنه صاحب اللسان . ولخص الخفاجي هذا الشرح في شفاء الغليل ص ١٥٨ وفي القاموس: القاقوزة، مشربة او قدح او الصغير من القوارير والطاس . وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب: ولا تقل قاقزّة . قال الاقيشر الأسدي :

افنى تِلادي وما جمعتُ من نَشَبٍ قرعُ القواقيزِ افواهَ الأباريقِ [1]

وزعم صاحب الأغاني ١ : ٢٧٣ انها فارسية معربة . اقول هي لفظة سريانية ܩܩܘܙܐ Kocouzo : ومعناها : دُبَّة ، زُجاجة ، قارورة ، وقيل الصغيرة من القوارير [2] .

قانونة البنّاء : تُرّ ، زيج . سريانية ܩܢܘܢܐ ، ܩܢܘܢܬܐ Knouno Knountho : شاقول البنّاء .

قُدْس : وقدّس ومشتقاتها مادة ساميّة . قَدُس ، طَهُر ، وتبارك ، وقدّسه الله طهّره وبارك عليه ، والقُدْس الطُهْر والبركة ، والقُدّوس من اسماء الله جلّ ثناؤه أي الطاهر المنزه عن كل عيب . وبالسريانية ܩܕܫ Kadèsh وفي سفر الأيام الأول ١٨ : ١١ «وهذه أيضاً قدّسها الملك داود للرب» أي جعلها مقدسة خاصة بخدمة الله ، وفي سفر اللاويين ١٩ : ٢٤ «يكون كل ثمرها قُدْساً لتمجيد الرب» وفيه أيضاً ١١ : ٤٤ «لأني قدّوس» وفي المزمور ٩٣ : ٥ «ببيتك تليق القداسة يارب طول الايام» ومنها المَقْدِس ، وفي سفر الخروج ١٥ : ١٧ «لقد أقمت يارب مَقْدِسَك موضعاً لسكناك . ܩܘܕܫܐ Koudsho ܩܕܝܫܐ Kadisho قدّوس ، قدّيس . ܩܕܝܫܘܬܐ Kadishoutho ܩܕܝܫܘܬܐ

(١) الأغاني ١١ : ٢٧٦

(٢) قانون : فريضة ، سُنّة ، قال ابن سيده في المحكم «قانون كل شيء ، طريقه وقياسه ، وأراها دخيلة» . والقانون أيضاً : نشيد منثور يتلوه الروم والسريان في أدعيتهم ، واللفظة يونانية الأصل Kanôn ومنها اتخذها السريان ܩܢܘܢܐ Konouno والعرب .

Makdsho مقدس . وقدس الأقداس : وهو موضع من الهيكل كان يدخله عظيم الأحبار عند اليهود مرة في السنة ، وعند المسيحيين السريان : هو المذبح الذي عليه يُقرّب الكهنة والأحبار القربان الإلهي ، ويعني أيضاً القبة التي تظلل هذا المذبح ܩܘܕܫ ، ܩܘܕܫܐ Kdoush , Koudshé وفي شعر أمية بن أبي الصلت ورد «المقدّس» بمعنى القدوس قال :

فكل مُعمّرٍ لا بدّ يوماً وذي الدنيا يصيرُ الى الزوالِ
ويفنى بعد جِدّتِهِ ويبلى سوى الباقي المقدس ذي الجلالِ

ومن المادة :

القُدّاس : وهو القربان الإلهي من الخبز والخمر الذي تُتلى عليه دعوات خاصة ، لفظة مسيحية سريانية ܩܘܕܫܐ Koudsho والجمع قداديس [1] . والفعل : قدّسَ ܩܕܫ Kadèsh : أقام القداس . ومنها :

القِدّيس : وهو المؤمن الذي يسير بحسب الشريعة الإلهية ويتوفى طاهراً فاضلاً ، سريانية مسيحية ܩܕܝܫܐ Kadisho وهي (قديسة) ܩܕܝܫܬܐ Kadishto وجمع الأولى قديسون والثانية قديسات [2] . وورد فعل ܩܕܫ أي طهّر وبرّر في العبرية Qaddèshe و ܩܕܫ : قَدُس (معجم برون ص ٥٦٥) وفي اللغة الأكدية : Uqaddash : طهر ، قدّس ، و Qaddushu : نقيّ ، تقديس ، ومن السريانية أخذتها الحبشية فجاء فيها Qaddash : قدّس ، بارك ، أقام القدّاس ، و Qeddûs قدّيس ، قدّوس الخ . ومن السريانية اقتبست العربية هذه المادّة .

(١) وجُمع في كتاب الناموس للروم : قدّاسات ، قال في قوانين ابيفانيوس عدد ١٠١ «القدّاسات التي تُقدّس في ...» وهكذا في كتاب مصباح الظلمة للقس ابي البركات ابن كبر القبطي الذي طبع الجزء الأول منه في باريس سنة ١٩٢٨ قال «وترتيب طقوسها واوضاعها في الآحاد والأعياد والصلوات والقدّاسات» ص ٤٨ و ٥٣ .

(٢) ورد هذا اللفظ في رسالة كتبها الخليفة المقتفي لأمر الله الى الحسن بن احمد العطار الهمذاني قال «فان الأب القديس النفيس» أخذاً من الاستعمال المسيحي ، وأضاف الى قوله «خامس اولي العزم» (معجم الأدباء لياقوت ٨ : ١١) .

قرّب : القربانَ لله قدّمه — وقرّب الكاهنُ فلاناً ناوله القربانَ — (نصرانية ، سريانية وتوافقها العبرية) ܩܪܶܒ Karèb والاسم القربان :

قُربان : في اقرب الموارد : القربان كل ما يُتقرّب به الى الله تعالى من ذبيحة وغيرها ، وعند اليهود ما يقدّمونه من التقدمات ، وما يقدّمه الكاهن من الخبز والخمر (نصرانية) وفي كتاب المرشد لابن جرير السرياني : الباب ٥١ « القربان « اسم سرياني دخيل في اللغة العربية معناه الهدية ويسمى قراب أيضاً واشتقاقه من الدنوّ والقرب » اه ، وفي سفر التكوين ٤ : ٣ « قدّم من أثمار الأرض قرباناً » وفي القرآن : « اذ قرّبا قرباناً » وفي طبقات الأطباء ١ : ١٤٦ « صحة القربان بالخبز والخمر - وحكى الكلبي ان النعمان دخل (الدير) في بعض اعياده فرأى امرأة تأخذ قرباناً . فدعا الراهب الذي قرّبها وسأله عنها » . ܩܘܪܒܳܢܐ Kourbono ، لفظة سريانية توافقها فيها اللفظة البابلية Kirbannu او Kurbannu بمعنى : عطيّة ، تقدمة ، والفعل Karabu : ومعناه أكرم الآلهة بالصلاة . « الديانة الآثورية البابلية للأب بولس دورم ص ٢٨٤ و ٢٤٧ » والعبرية « معجم برون ص ٦٠٥ » .

قِريان : فصل معين من كتاب الله العزيز يُقرأ في البيعة قبل القداس في الآحاد والأعياد وغير ذلك والجمع قريانات ، وهو لفظ سرياني ܩܶܪܝܳܢܐ Kériono وفي تاريخ عمرو بن متى ص ١١٩ « وقرأ عليه القريان الأول ابراهيم قس دير مار كاليليشوع ، والقريان الثاني ابو الفرج قس بيعة درب القراطيس » .

قريب : بمعنى عرّاب اي كفيل المعتمد ، لفظ سرياني مسيحي ܩܰܪܝܒܐ Karibo .

قَسْطَل : قال ياقوت في معجم البلدان ٧ : ٨٦ « القسطل في لغة العرب الغبار الساطع ، وفي لغة أهل الشام الموضع الذي نغترف منه المياه ، وفي لغة أهل المغرب : الشاه بلوط الذي يؤكل » وقال الخفاجي في الشفاء ص ١٦٣ هو غير عربي عرّبه المولدون . قلنا هو بالمعنى الذي يريده أهل الشام سرياني ܩܣܛܠܐ

kastolo ومعناه عين ماء ، وقال مؤلف كنز اللغة السريانية ٢ : ٤٤٥ «ومنه في حلب المواضع التي تغترف منها المياه في شوارعها» .

القَسّ : قَسّ فلان قُسوسةً وقِسّيسةً ، صار قِسّيساً وجمع القَس قسوس ، ومثله القِسّيس وجمعه قسّيسون وقُسّان وأقِسّة . وهو دون الاسقف وفوق الشماس ، والقسّيسه درجة لا رتبة . فان بعض الرتب تتقدم عليها كرتبة الخور اسقف ، ورأس الدير ، ومقدم الكهنة . واللفظة ومشتقاتها سريانية ܩܫܐ kasho ܩܫܝܫܐ kashisho ܩܫܝܫܘܬܐ kashishoutho ومعناها اللغوي : الشيخ ولا فعل بالسريانية يعني معنى القَسّ . ومع هذا فقد قال ابن ابي أصيبعة في طبقاته ٢ : ٨٩ في جنازة سهلان الطبيب الملكي «ثم أُخرج من الكنيسة بعد ان قُسّس عليه بقية ليلتهم الى دير القصير» اي صلى القسوس عليه . ولم يرد هذا الفعل لا في السريانية ولا في العربية . ويُستدرك على صاحب الأساس في قوله ٢ : ٢٥١ «قسّ النصارى رأسهم وكبيرهم» وعلى الاسكافي في قوله ص ١٩١ «القس كبير النصارى المتعبّد» وكذا قول التاج ٤ : ٢١٧ «رئيس النصارى في الدين والعلم» ، وقول الجوهري : القَسّ رئيس من رؤساء النصارى في العلم والدين ، والفيومي في المصباح ص ٧٧٤ «القسيس بالكسر عالم النصارى والقسّ لغة فيه» وخصوصاً قول الفيروزابادي ٢ : ٢٤٠ «القسّ (بالفتح) رئيس النصارى في العلم» وقد نقده مؤلف الجاسوس ص ٣٤٠ وكلّ من هذه التعريفات مغلوط فيه لايثار اللغويين التقليد على الاجتهاد . فاس القس رأس المسيحيين ولا رئيسهم ولا كبيرهم ولا عالمهم . وانما هو «خادم الكهنوت عندهم أي خادم دينهم وإمامهم في أمور عبادتهم» . ومثله في الخطأ قول صاحب شفاء الغليل ص ١٧٨ في المطران أنه عابد النصارى ! وصوابه «انه رئيسهم في الدين والعلم وقاضي امورهم الشرعية» [1] .

---

(١) قَشّ : حطب ، قاش ، يبس كل نبات ، وفي المزمور ٨٣ : ١٣ «مثل القَش امام الريح» وفصيحه الوَقْش وهو صغار الحطب الذي تُشيّع به النار . وفي ذيل أقرب الموارد —

قِطّ : هِرّ ، مذكور في بعض اللغات ، قال في الجمهرة ١ : ١٠٨ « ولا احسبها عربية صحيحة » قلنا هي سريانية وفيها لغات ܩܛܘ ، ܩܛܐ ، ܩܛܘ ، ܩܛܘܢܬܐ kitto , katou , kéto , kalo ·

قَطْلَب : معربة من السريانية : ܩܛܠ ܐܒܘܝ kotélabouï ومعناها اللفظي « قاتل أبيه » قال فيه دليل الراغبين « شجر دقيق الورق شديد الحمرة له حب نحو العنب اخضر فاذا نضج كان احمر كالياقوت » وبمثل هذا عرّفه الشرتوني ٢ : ١٠١٦ وقال فيه الشهابي ص ٦٠ « قَطْلَب : جنس جنبات حَرَجية من فصيلة الخلنجيات » و ص ٥٩ « ولم أجدها في التاج ولا في اللسان » ·

قَطونا : الذي يضاف اليه بزر قطونا ويقال له حشيشة البراغيث ولسان الحَمَل ، أعجمي معرب ، وفي شفاء الغليل ص ١٥٩ « أعجمي معرّب » هو لفظ سرياني الأصل ܩܛܘܢܐ katouno [1] ·

قفّور : قال الجواليقي في المعرّب ص ٢٦٨ : « القفّور والقافور لغة في الكافور ، قال ابو بكر أحسبه ليس بعربي » وضبط اللسان والقاموس أولها · وقال ابو بكر بن دريد : فأما الكافور المشموم من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض لأنهم ربما قالوا « القفور والقافور » وقال الازهري : وكذلك الكافور ، الطيب يقال له قفّور · وقال السيوطي في الكافور « المذكور في سورة الانسان : ٥ « كان مزاجها كافوراً » ذكر الجواليقي وغيره انه فارسي معرب (الاتقان ص ١٤٠) وكذلك قال بفارسيته الثعالبي (فقه اللغة ص ٣١٨) والمطران ادّي شير · وفي أقرب الموارد : القافور والقفّور : كافور الطيب · وقال الفيروزابادي ٢ : ١٢٨

— عن اللسان : القَشّ : ما يُكنس من المنازل أو غيرها . وهي بالسريانية ܩܫܘܫܐ ، ܩܫܬܐ ، ܩܫܐ kshosho , keshtho , késho بالمعنى الذي أوردناه .

(١) قطيفة : كساء له خَمَل (ابن سيده ٤ : ٧٩) مَلاءة ، مشملة ، كساء له خمل متفرق يُلتحف به : ܩܛܝܦܬܐ katiftho وهي مما توافقت فيها اللغتان .

« الكافور طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يُظِلّ خلقاً كثيراً وتألفه النمورة ، وخشبه أبيض هشّ ، ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر ، وانما يبيضّ بالتصعيد » وفي معجم الألفاظ الزراعية ص ١٢٦ « Camphre : كافور مادة عطرية بيضاء متبلورة تستخرج من شجر الكافور » وفي ص ١٦٧ « كافور شجر أخضر لامع يستخرج الكافور من ورقه » وفي معجم كيران الفرنسي ص ١٢٧ « انه ينبت في الهند والصين واليابان » وفي معجم شامبرس الانكليزي ص ١١٤ « ان اللفظة بالهندية Kapur وبلغة مالاي : Kapura » .

وللفظة بالسريانية لغات ثلاث : ܩܦܘܪ (قفور) و ܩܦܦܘܪ (قفّور) و ܩܦܘܪܐ (قفُورو) (ابن بهلول ع ١٨٢٠ وكنز اللغة السريانية ٢ : ٤٤٧ ودليل الراغبين ٦٩٣) أما العرب الأقدمون وان كانوا قرأوا « الكافور » في القرآن لكنهم لم يعرفوا كنهه . قال ابو حنيفة الدينوري في كتابه الأخبار الطوال المطبوع في ليدن سنة ١٨٨٨ ص ١٣٤ « فدخلها المسلمون (يريد المدائن) فاصابوا فيها غنائم كثيرة ووقعوا على كافور كثير فظنوه ملحاً فجعلوه في خبزهم فأمرّ عليهم » وفي تاريخ الطبري مج ٤ : ١٧٥ « قال حبيب بن صُهبان « دخلنا المدائن ... وأتينا على كافور كثير فما حسبناه الا ملحاً فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز » .

ومع احصاء دوفال هذه اللفظة في عداد الألفاظ السريانية (٣ : ١٧٥) فاننا نرجح نجارها الهندي بدليل منابتها في الهند والصين ، ومن الهندية نقلها السريان على طريقتهم بالقاف دون الكاف ، وبهذا الوضع تلقاها منهم العرب . قال جرير (ديوانه ص ١٩٤) .

قالت فدتك مجاشع فاستنشقت من منخريه عُصارةَ القفّورِ

ومثل القفّور والكافور : الفُلفُل : وليس هو فارسي الأصل كما زعم الثعالبي

في فقه اللغة ص ٣١٨ والشرتوني في معجمه ص ٩٤٤ لكنه سنسكريتي الأصل Pippali[1] ، ومن هذا اللسان اقتبسته السريانية والفارسية والعربية واليونانية Peperi واللاتينية Piper والانكليزية Pepper والفرنسية Poivre ·
وهو بالسريانية ܦܠܦܠܐ ، ܦܠܦܠ : Felfel , Felflé[2] ·

قِلاّية : قال الخفّاجي في شفاء الغليل ص ١٦٦ « قلاية ويقال قلّيّة من اللغة الرومية وقد عُرّبت قديماً ووقعت في كتب العهد ··· وهي بناء مرتفع كالمنارة تكون لراهب ينفرد فيها وقد لا يكون لها باب ظاهر ، والصومعة دونها وهي معروفة · كذا في كتاب الكنائس » واصوب من هذا : ان القلاية لفظة لاتينية الأصل Cellula ومعناها غرفة صغيرة او غرفة صغيرة لراهب او راهبة ، أخذاً من Cella وتعني : غرفة ، مخدع ، معبد لاقامة انصاب الآلهة (قاموس Thiel ص ٢٥٤ و Petit larive ص ٢١٠) وذكر برون في معجمه ص ٥٨٨ أيضاً أنها باليونانية kella و kelliou · ومن اللاتينية نقلها السريان الى لغتهم فقالوا ܩܠܝܬܐ kéleitho (قيلَيتا) كما قالوا أيضاً kélo والأولى أشهر وآنس ، ومعناها : قلاية ، كوخ ، حجرة ، كرح ، صومعة الراهب (دليل الراغبين ٦٧٨) وتوسعوا فيها فاطلقت أيضاً على منزل البطريرك والأسقف وعمّ استعمالها فرق النصرانية في الشرق ، وجمعها قلايات وقلالي · ويستدرك على من قال بيونانيتها او باقتصارها على دار الأسقف ، كالبستاني والشرتوني في معجميهما والأب لويس شيخو ·

القُلْب : بضم القاف : السوار ، جاء في الاساس ٢ : ٢٧٠ « وفي يدها قُلْب فضة ، سوار يشبَّه بقُلْب النخلة في بياضها وهو شحمتها أي الجُمّار » والقُلْب يكون من ذهب او فضة او نحاس ، فلا يشترط فيه البياض · وهو

(١) معجم شامبرس ص ٥٨٥ ·

(٢) وضبطها (منكانه) بكسر الفاء الثانية أيضاً ܦܠܦܶܠܐ Felfélé (مفتاح اللغة الآرامية ص ١١٥) ·

في السريانية ܩܘܠܒܐ koulbo وورد في نبوة اشعيا ٣ : ٢١ في النقل السرياني البسيط « ܘܩܘ̈ܠܒܝܗܝܢ koulbaïhène : أساورهن » .

قَمَص : القَمَص الجراد اول ما يخرج من بيضه ܩܡܨܐ kamso وفي نبوّة يوئيل « فضلة القمص يأكلها الزحّاف » ١ : ٤ ، مما توافقت فيه اللغتان .

قنابِري : جاء في القاموس : القنابريّ بقلة الغُملول وفي ٣ : ٣٤٠ التُملول كعصفور ، نبت نَبَطية قنابرى وفارسيته بُرغُشت ، ويسمى شجرة البهق يكثر في أول الربيع في الأراضي الطيبة المنبتة للشوك والعوسج . وفي ٤ : ٢٦ الغُملول بقلة تؤكل مطبوخة ، وفي موضع آخر سماه الكُملول بالضم . قلنا الحرف سرياني ܩܘܢܒܪܐ kounboro قال فيه الدليل : خردل برّي ، قنبير ، قاقلّى ، بقلة الغُملول . ويظهر ان تملول وكملول لغتان في غُملول او تصحيف .

قَوصرّة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى (اللسان) قال الجواليقي ص ٢٧٧ «قال ابو بكر في الجمهرة ٣ : ٣٦٣ : لا أحسبها عربية صحيحة وان كانوا قد تكلموا بها وقد جاءت في الشعر الفصيح قال الراجز :

أفلحَ من كانت له قَوصرّة يأكل منها كلَّ يوم مرّة

وفيه أيضاً ٢ : ٣٥٨ «فاما القوصرّة التي تسميها العامة قوصرة فلا أصل لها في العربية وأحسبها دخيلاً وقد روى لعلي بن ابي طالب» قلنا ورد في السريانية ܩܘܣܪܬܐ kousartho وتعني : قِدر صغيرة ، وعن ابن سروشويه قُديرة صغيرة ، وفي معجم برون ص ٥٩٦ وعاء ، فلا نعلم اذا كانت القوصرة من هذا الحرف الذي أفصح دوفال باصله السرياني ؟

قُوق : القوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل نحض الجسم ، وأنشد بعضهم : كأنك من بنات الماء قوقُ . (اللسان والعباب وحياة الحيوان للدميري) وفي أقرب الموارد : القاق والقوق طائر مائي طويل العنق ، وفي معجم ابن بهلول ع ١٨٢٩ ܩܘܩܐ koko : البيضاني والعقعق ، الغيهب وقيل ملك

الحزين وقيل الواق ، وقال ابن سروشويه : هو أبيض طويل العنق ويسمى العقعق الأبغث وهو البيضاني ثم ذكر انه في صدره حمرة وهو يحب فراخه حباً شديداً ، وسماه دليل الراغبين : ابو زريق ، بجع !

ووردت اللفظة في التوراة السريانية البسيطة ، مز ١٠١ : ٦ « وشابهت القوق في البرية » (الترجمة الشدياقية وترجمة سعديا الفيومي المتوفى سنة ٩٤٢ م . وأنت ترى اختلافهم في تعريف هذا الطائر واسمائه ، وفي معجم الشهابي ص ١٩٠ تعريف للقاق لا ينطبق عليه ، ومع ان اسمه في العبرية « قَاَت » (برون : ٦٠٣) فقد ذهب الكرملي ان اللفظة عربية (لغة العرب ٨ : ٣٢٦ و ٣٥٩) ونحن نحسبها سريانية .

قام : قام بمعنى نُشر وبُعث من الرمس ، ومنه القيامة : للبعث والنشور ، استعمال مسيحي خاص أخذاً من العبرية والسريانية : ܩܝܳܡܬܳܐ kïomto [1] .

قَيقَلان : في مبادي اللغة للاسكافي ص ١٩ « والمُردي والقَيقَلان : خشبة يدفع بها السفينة ورأسها في الأرض ، قال الشاعر :

أداريُ صدرَها بالقَيقَلان »

ولم نعثر على لفظة القيقلان في المعاجم وأراها سريانية الأصل ܩܺܝܩܢܳܐ kikno ومعناها ، مِهماز ، مِنخزة .

قيُّوم : القيوم من الأسماء الحسنى ، لفظة سريانية ܩܝܳܡܳܐ kïomo و ܩܽܘܝܳܡܳܐ koïoumo ومعناها : القيِّم ، الوصيّ ، الوكيل ، الدائم ، الكائن . ولا تعني : الذي لا ينام كما زعم الواسطي ، ولا الذي لا نِدَّ له . لكن : الدائم الكائن او الدائم الباقي . ولا الذي لا بدء له كما وهم الشرتوني (١٠٥٤)

---

(١) مما عربه الكلدان من السريانية لفظة « قِيامُوث » ܩܝܳܡܽܘܬܳܐ kïomoutho ومعناها : موسيقى، فن الغناء والترنيم ، قال عمرو الطيرهاني في المجدل ص ١١٥ في ترجمة الجاثليق سبريشوع الرابع « كان عالماً وله معرفة بالتسابيح ، حافظاً للقياموث وجميع ما يقال في البيعة » .

او «القائم الحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه» كما ذهب الراغب الاصفهاني في المفردات ص ٤٢٨ . وفي نبوّة أشعيا ٢١ : ٨ «اني انا الربّ القيوم» «الدين والدولة ص ٨٢» وفي مسالك الأبصار للعمري «الدَّيّوم» وزان القيّوم ومعناه الدائم [1] .

* * *

(١) مما يستدرك على الشرتوني قوله ص ١٠٣٨ «القامسة بطاركة أقباط النصارى» وهو غلط ظاهر صوابه : قامصة بالصاد جمع قمّص ، مقدمو قسوس الأقباط أو خوارنتهم ، وليس بطاركتهم ، أخذاً من لفظة «ايغومانس» اليونانية Hégoumène ومعناها زائر ، مدبّر كالبريودوط ، وورد في كتاب الناموس للروم : اقنوم جمعه اقانة وهو معرّب «ايكونومس» وورد في توقيع كتبه أحد ملوك مصر لبطريرك الأقباط «مالكاً ازمّة كل أسقف وقمّص ومطران» (صبح الأعشى للقلقشندي ج ١١ : ٤٠٢) وانظر الجوهرة النفيسة لابن سباع القبطي ص ٩٣ .

ويُستدرك على السيوطي قوله في الاتقان ص ١٤٠ في «قل» قال الواسطى هو الدبا بلسان العربية والسريانية ، قال ابو عمرو ، لا أعرفة في لغة أحد من العرب ، انه فارسي معرب » فانه ليس من كلام السريان وانما الدبا ܕܒܐ Débo يعني : ذبابة .

ومن الألفاظ السريانية المعربة التي لم ترد في كلام الفصحاء ، قصَم : ܩܣܡ : كهّن ، سحر ksam ܩܨܘܡܐ ، ܩܘܨܘܡܐ kaçomo , koçoumo : عرّاف ، ساحر ܩܘܨܘܡܬܐ koçoumtho : ساحرة وكذلك هي في العبرية (معجم بروك ص ٦٠٠) قال ابن النديم في الفهرست ص ٤٥٢ «فيزجرون عليه ويقصمون» وأورد المطران اغابيوس المنبجي في كتاب العنوان ص ٦٨ و ٧٠ القاصوم والقاصومة بمعنى الساحر والساحرة .

ومن الألفاظ الطبية : قيروطي : مرهم من شمع وزيت يتداوى به ، وردت في تحرير مسائل حنين بن اسحق ܩܝܪܘܛܐ korouto .

ومما يفيد ذكره لفظة : قيطون : جاء في اللسان : وقيل بلغة أهل مصر وبربر ، وهو بيت في جوف بيت وهو المخدع بالعربية ثم أورده في بيت لأبي دهبل الجمحي . قال الجواليقي ص ٢٧٢ قيطون أعجمي معرّب ، والجمهرة ٣ : ٣٨٨ وفي شفاء الغليل ص ١٥٧ «قيل هو رومي معرّب» قلنا هو يوناني النجار khoïton (معجم بروك ٥٨٣) ومن اليونانية أخذه السريان ܩܝܛܘܢܐ kaïtouno : مخدع ، خِدر ، خباء . ومن السريانيـة أخذه العرب .

حرف الكاف

كابوس : قال ابن دريد ١ : ١٧٩ « الكابوس الذي يقع على النائم احسبه مولداً » وفي التاج : انما هو النيدلان وهو الباروك والجاثوم ، وفي الشفاء ص ١٦٨ ا كابوس هو مولد كما في المزهر . قلنا هو معرب من السريانية ܟܒܘܫܐ Cobousho .

كاثٌ : الكاثُ مشدّداً ما ينبت مما يتناثر من الحصيد فينبت عاماً قابلاً ، قاله ابن شميل ، زرّيع . قلنا هو حرف سرياني ܟܬܐ kétho وقع في كلام مار افرام ܟܬ ܟܬܐ ، وليست لفظة واحدة كما أوردها بعض اصحاب دواوين اللغة السريانية فقالوا فيها كاث الكاث ، ولكنها لفظتان معناهما كثف الزرّيع لأن الكث يعني الكثف .

كاهن : الكاهن الذي يقدم الذبائح والقرابين وخادم الدين ومقرب الاقداس : لفظة سريانية وعبرية (معجم برون ص ٢٢٧) ܟܗܢܐ kohno ، والفعل كهّن : قام بوظيفته من تقديم ذبيحة وتبخير وغير ذلك ܟܗܶܢ kahène والاسم ، الكَهنُوت : ܟܗܢܘܬܐ kohnoutho وأفصح أقرب الموارد بسريانيته .

كبيسة : السنة الكبيسة التي يُسترق منها يوم وذلك في كل أربع سنوات فيزاد على شهر شباط فيصير ٢٩ يوماً ، فعيلة بمعنى مفعولة ومعناها مقحم فيها ويقابلها البسيطة ، وكبسَ السنةَ بيوم ، زاده فيها . أحسبها سريانية الأصل ܟܒܝܫܬܐ kbishto .

— ومن الألفاظ العامية : قنان الجوز أي لبّه : ܩܢܐ kéno و ܩܢܬܐ kentho و ܩܢܢܐ knono . وقُبّيلة وجمعها قُبّيلات : لفظة معربة من السريانية ܩܘܒܠܐ ومعناها : قِرى ، دعوة ، وليمة : جاء في كتاب الناموس للروم في القانون المئة والثامن من قوانين ايبفانيوس القسطنطيني « أيّ كاهن رُأي يأكل أو يشرب في القبّيلات وحوانيت الباعة والمرّاقين ... فليُفرَز » اهـ .

كَتّان : قال الشرتوني ص ١٠٦٦ « الكَتّان نبات يُزرع بمصر وما يليها له زهر أزرق في حجم الحمض وله بِزْر يُعصر ويُستصبح به وتُنسج منه ثياب . وحذف الأعشى منه الألف للضرورة وسماه الكتن » وقال فيه الشهابي ص ٣٩٢ « جنس نباتات معظمها عشبية من فصيلة الكتانيات يزرع نوعها الشائع للحصول على أليافه ، وتزرع الأنواع الأخرى الآتية لزهرها » وعدّ منها اثني عشر نوعاً . وفي كتاب الجواليقي ص ٢٩٧ قال ابو هلال « وقال بعضهم في الكتان انه فارسي معرب » واضاف الناشر ما يأتي : قال ابن دريد ٣ : ٢٨ الكتّان لفظ عربي معروف ، وانما سمي كتّانا لأنه يُخيَّس ويلقى بعضه على بعض حتى يكتّن ، وذلك ان الكتن هو التلزّج والتوسّخ او الدَرَن والوسخ » اهـ . وفي المصباح ص ٨٠٩ عن ابن دريد « وسمي بذلك لأنه يكتَن أي يسوَدّ إذا ألقي بعضه على بعض » اهـ وفي سفر اللاويين ١٦ : ٤ « يلبس قميص كتّان مقدّساً » وهو بالسريانية ܟܬܢܐ kétono ومنه نحتوا ܟܘܬܝܢܐ و ܟܘܬܝܢܬܐ koutinto , koutino ومعناهما : قميص كتان وغيره ، وجاء في أقرب الموارد ٢ : ١٠٦٦ « الكتّونة : القميص يلبسها الكاهن ، نصرانية سريانية » .

كِبْرِيت : قال الجواليقي ص ٢٩٠ « قال ابن دريد (٣ : ٢٩٥ و ٣٧٤) الكبريت الذي يوقد فيه النار لا أحسبه عربيّاً صحيحاً » وفي سفر التكوين ١٩ : ٢٤ « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً » ܟܒܪܝܬܐ Kébrito وأحصاه دوفال ص ١٢٣ في الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية ، وبرون في معجمه ص ٢٢٦ .

كُرّاث : جاء في معجم الشهابي ص ٥٠٨ « بقل زراعي من فصيلة الزنبقيات ، وقد تكون الكلمة من أصل سامي لأن لها أشباهاً في الارامية والآثورية » هي بالسريانية ܟܪܬܐ Cartho وردت في سفر العدد ١١ : ٥ « والقثاء والبطيخ والكرّاث » .

كَرّاز : الكَرّاز ، الكبش يحمل خرج الراعي وقيل هو من المعز الذي يحمل الراعي في عنقه جرساً فتتبعه بقيتها · وفي الدليل : تيس كبير يحمل خرج الراعي ، وفي المعجم السرياني العتيق : الكبش الذي يتقدم الغنم : ܟܪܘܙܐ Carozo ·

كُرّاز : الكُرّاز بضم الكاف القارورة وقيل كوز ضيق الرأس · وفي معجم الأدباء ١٨ : ٩٢ كراز بالتخفيف ، وفي المصباح ٨١٧ قال ابن دريد : تكلموا به ولا أدري أعربي أم عجمي · قلنا هو سرياني ܟܪܘܙܐ Carozo وفيه ثلاث لغات ܟܪܙܐ ، ܟܪܘܙܐ ، ܟܪܘܙܐ Carzo , Crouzo , Crozo ومعناه كوز ضيق الرأس ، وبهذا الاسم يعرفه أهل ماردين وديار بكر وما اليها وهو من أوعية الماء كبير الحجم ضيق الرأس وجمعه كُرزان مثل غُربان ·

كُرّاس : الكُرّاس الجزء من الكتاب يحتوي في الغالب على ثمان ورقات وكذلك الكُرّاسة ، وفي الأساس ٢ : ٣٠٣ « في هذه الكراسة عشر ورقات » ، قال الاسكافي ص ٩١ « الكُرّاسة ما تكرست أوراقه وتلبّدت » حرف سرياني ܟܘܪܣܐ و ܟܘܪܣܬܐ Courostho , Couroço و ܟܘܪܣܬܐ Coursto [1] ·

كِرْح : بيت الراهب ، صومعة ، وفي مسالك الأبصار ص ٣١٤ « بالحيرة موضع يقال له الأكيراح فيه دير ، والأكيراح قباب صغار يسكنها الرهبان يقال للواحد منها الكرْح » لفظة سريانية ܟܘܪܚܐ Courho والفعل ܐܬܟܪܚ Ethcrah : سكن الكرْح ·

قال نابغة بني شيبان :

(١) كرّة : قِدر نحاس مدوّرة يذاب بها القير : سريانية ܟܘܪܐ Coro ذكرها ابن بهلول وكنز اللغة ودليل الراغبين الذي انفرد عنها بلفظة (كرة) ولم نجدها في المعاجم العربية . ومثلها ܟܘܪܝܐ Corio ·

آليتُ جُهداً وصادقٌ قَسَمي بربِّ عبدٍ تجنُّه الكوَحُ
يظلُّ يتلو الانجيلَ يدرسه من خشيةِ اللهِ قلبُه طفح
(شعراء النصرانية لشيخو ٣ : ١٣٩)

كَرْخ : جاء في أقرب الموارد : كرخَ الماءَ الى مواضعه كرخًا : ساقهُ فهو كارخ (سوادية) وفي معجم البلدان ٧ : ٢٣١ الكَرْخ بالفتح ثم السكون وخاء معجمة ، ما أظنها عربية انما هي نبطية ، وهم يقولون كرخت الماء وغيره من البقر والغنم الى موضع كذا اي جمعته فيه في كل موضع وكلها بالعراق ، ثم ذكر كرخ باجدّا ، وكرخ البصرة ، وكرخ بغداد ، وهو محلة كبيرة فيها بناها المنصور وغيرها » قلنا المادة سريانية ܟܪܰܟ Crakh : كرَخَ ساقَ الماء الى مواضعه . و ܟܪܟܳܐ Carkho ومدلولها : مدينة مسوَّرة ، حصن ، قلعة وقعت في كتاب شرائع البلدان لبردَيصان قال ص ٧ : ܘܠܐ ܕܢܒܢܐ ܟܪܟܐ «ولا ان يبنى أكراخًا» و ܟܪܽܘܟܳܐ Carokho : سوّاق الماء الى مواضعه ، سقّاء الأرزّ ونحوه . وأورد ابن بهلول عن ابن سروشويه عمود ٩٢١ ان الكرخ يعني مدينة صغيرة . ثم ان نهر كرخايا معناه النهر المكتنف المدينة ܟܪܟܳܝܳܐ Carkhoio[1] .

كَرَزَ : وعظَ ، نادى ببشارة الانجيل ، وصرّح الشرتوني ١٠٧٦ بسريانيتها : فهو كارز ، ومعتادهُ ܐܟܪܶܙ Akhrèze و ܟܳܪܽܘܙܳܐ Corouzo : واعظ ، بشير ، مؤذّن . والكرازة : الدعوة الى الدين والوعظ والانذار ܟܳܪܽܘܙܽܘܬܳܐ Corouzoutho وهذه المادة يعم استعمالها في فرق النصرانية

(١) من معاني ܟܪܰܟ Crakh أحاط ، اكتنف ، دار ، طاف . ومن المادة « الكَرَاخة » وفي القاموس وأقرب الموارد : الشُقّة من البواري سوادية . و ܟܪܽܘܟܬܳܐ Crokhto معناها لفافة ، غشاء ، منديل .

عامة . وجرت على الألسنة من عهد متقادم ، وفي قوانين ايفانيوس ٨٢ « فان كانوا كاروزين بحسن العبادة »[1] ووردت مراراً في كتاب مصباح الظلمة للقس ابي البركات ابن كبر القبطي في أواسط القرن الرابع عشر كقوله ص ٥٢ و ٥٣ في ذكر بناء البيعة وتكريزها وتكريز البطاركة والأساقفة والقسوس والشمامسة وأراد بهما تقديس البيعة ورسامة البطريرك ومن دونه . ووردت فيه بمعنى الدعوة الى النصرانية قال ص ١٣٥ « وهي بيعة رسولية لأنها بُنيت على أساس البشارة الانجيلية بالكرازة الرسولية » ، واستعمل بعضهم فعل (كرز) للتنويه باسم الاسقف والمناداة به في أثناء الصلوات ، ومنه في المجدل لماري بن سليمان ص ١١٧ « قال ولم يُكرز له في عدة بلاد » واستعملوا المصدر بلفظه الأصلي فقالوا « الكاروزوث » والكاروزة ومنه « زاد في كاروزة « الرمش » المجدل لعمرو بن متى ص ٩٨ . يريد الدعاء الذي يُنوَّه فيه بالجاثليق والأسقف وغيرهما ويتلى مساء .

(يتبع) **مار اغناطيوس افرام الاول برصوم**

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

---

(١) وفي مقال ليوحنا بن مينا الكاتب القبطي ذيل به مقالة لحنين بن اسحق « لانه وعد التلاميذ بارسالهم لكرازة الأمم » (مباحث فلسفية دينية نشرها القس بولس سباط ص ١٩٩) .

معجم الدكتور : أ . فيشر

وصفه ونقده

للمستشرق الألماني الكبير الدكتور أ . فيشر عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية — معجم عربي كبير الحجم متسع المادة أسهب فيه ، وأطال في شواهده .
وقد نعي الدكتور الى مجمع فؤاد في ١٢ شباط سنة ١٩٤٩ عن اربع وثمانين من عمره . قضى منها أربعين سنة في جمع شوارد هذا المعجم وترتيب جزازاته واعداده للطبع . وكان الدكتور في الدورة الثالثة لمجمع فؤاد (سنة ١٩٣٦ م) قدم الى المجمع تقريراً عن معجمه الذي ما زالت جزازاته في بلده ملتمساً منه النظر فيه وإصدار قرار بطبعه على نفقة المجمع وتلى التقرير على الأعضاء في جلسة ٧ ابريل من السنة المذكورة . فكان مما قال فيه :

(قصدي من هذا المعجم أن أضمنه كل اللغة العربيه الأدبية الخاصة بزمان الجاهلية وبثلاثة القرون الأولى بعد الهجرة) .

وقال أيضاً : (وجمعت في معجمي كل الكلمات بلا استثناء التي في دواوين امرء القيس وفلان وفلان .

وهنا سرد اسماء دواوين العرب في الجاهلية والاسلام(وما اكثر مخطوطاتها وشروحها في مكاتب المانيا) وذكر في ما سرد من أسماء المصادر المفضليات والحماستين ومقامات الحريري والاصمعيات وامثال الميداني وصحيحي البخاري ومسلم وكامل المبرد والسيرة النبوية وتاريخ الطبري والاصطلاحات النحوية والحديثية !!

وقال في آخر التقرير (ويمكنني إتمام تصنيف المعجم وطبعه في ست سنين واقترح ان ينشر جزءاً فجزءاً في كل جزء ١٢٠ صفحة) .

فكم يكون عدد أجزاء هذا المعجم العربي ؟ ومع هذا فلم يكن الدكتور مؤلفه يحسن الكلام باللغة العربية فكان اذا تكلم كدَّ نفسه وأجهد أعصابه [1] .

وبعد أن انتهت تلاوة التقرير تذاكر الأعضاء في أمره فكان حوارهم يدور حول التساؤل عن جزازات المعجم وكثرتها وماذا عساه تكون عليه من الصحة والدقة ولماذا لم تطبعه حكومة المانيا وعما اذا كانت ميزانية المجمع المصري تفي بطبعه ونفقات تصحيحه ومن يقوم على ذلك ؟ وهل يطبع باسم المجمع أو يكون أساساً للمعجم الكبير الذي أزمع المجمع تأليفه أو تُشرى الجزازات وتحفظ في دار المجمع فيكون منها ثروة أساسية لأعمال المجمع . وقال الأستاذ نللينو : سعى بعض شركات المطابع في أوروبا لطبع معجم الدكتور فأبى مفضلاً اهداءه الى مجمع فؤاد العربي ليكون طبعه له إحدي مفاخره .

وانتهى حوار الأعضاء الى لزوم احضار الجزازات قبل كل شيء ثم ينظر في ما يجب عمله من شيء . وقدم الدكتور نموذجات من معجمه ليطلع عليها أعضاء المجمع فاختلفت أنظارهم فيها ثم أسدل الستار عليها وبقي الجدال يعود حواليها في كل مناسبة وفي كل دورة تقريباً .

ومرت على ذلك مراحل عدة آخرها ماقرأناه اخيراً في الصحف المصرية من ان مجمع مصر قرر شراء جزازات المعجم بالف وخمسمائة جنيه وهذا بالطبع تمهيد لطبعه على نفقة المجمع .

وكنت لأول عرض نماذجه على المجمع درستها وتناولت بالنقد والملاحظة بعض مواده وهي مادة (أخذ) وما سرده المؤلف من معانيها . والمؤلف — وان أشار الى ان من المعاني ماهو حقيقي وما هو مجازي — لكنه أبهم التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية إبهاماً يوقع القارئ في حيرة من تفهم ما يقرأ . ولم يستطع المؤلف أن يجعل القارئ يميز بينهما وبذلك يفوته تذوق البلاغة

(١) وتقرير الدكتور منشور في (محاضر جلسات المجمع) المطبوعة سنة ١٩٣٧م ص ٣٨٠

العربية في كثير من الأساليب وكثير من التعابير · وأودعت ملاحظاتي تقريراً قدمته الى رئاسة المجمع تلي في احدى جلساته نصصت فيه القول على فعل (أخذ) وما أخذته على المؤلف في سرد معانيه ·

وبمناسبة ما جاء في الصحف من اقتناء مجمع مصر للمعجم رأيت أن انشر تقريري المذكور أو مؤاخذاتي في مجلة مجمعنا العلمي تقديراً لفضل الدكتور المؤلف وتنويهاً بخدمته للغتنا العربية وتنويراً للرأي العام العربي فيعرف كيف يستفيد من ذلك المعجم والى أي حدٍ يستطيع أن يثق به ويعول عليه ·

وطريقة المؤلف في إيراد مواد معجمه انه في مادة (أخذ) مثلاً يذكر مرادفات فعل (الأخذ) في اللغات السامية القديمة ثم يذكر مادة (أخذ) وما تفرع عنها من المشتقات · واذا كان في بعض المشتقات غرابة يذكر المصدر الذي اقتبس منه ذلك المشتق ثم يعمد الى معاني (أخذ) ومدلولاتها فيسردها تحت رقم متسلسل طويل الذيل غير عابئٍ بتكرار المعاني ولا بتداخل التفاسير : يحسب انه يسرد معاني وانما هو يسرد شواهد لمعنى واحد مجازي او كنائي ·

وهذا هو نص تقريري المقدم الى مجمع مصر بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٣٦

***

لا يخفى ان الطريقة المتبعة في عرض مادةٍ من مواد اللغة أن يذكر أولاً معناها الحقيقي مقروناً بمثال يوضح طريقة استعمال ذلك المعنى · ثم يذكر المعنى المجازي مقروناً بمثال كذلك · غير ان الأفضل في بيان المعنى المجازي ان لا يقتصر فيه على المثال الواحد بل تذكر أمثلة كثيرة · وذلك لتعدد طرق المجازات والكنايات · وهذا ما رأيناه ماثلاً في مادة (أخذ) التي قرأناها في النموذج المعروض علينا من معجم زميلنا الفاضل الدكتور أوغست فيشر : فقد توخى في الأمثلة والشواهد التي استكثر منها زيادةَ الايضاح حتى أنه قسم طرائق استعمالات فعل (الأخذ) الى ٣٢ قسماً أو بحثاً أودع كل بحث عدة شواهد على الاستعمال الواحد ·

غير ان أعظم ما يلاحظ على الزميل المؤلف في هذه التقاسيم (التكرار) في الأقسام و (التداخل) فيها ولولا هذا لكانت بحوث فعل (أخذ) من حيث استعمالات معانيه لا تتجاوز الثلاثة كما سنشير اليه في آخر التقرير ـ ولكانت شواهد هذه الاستعمالات أقل بكثير مما ذكر .

وها أنا ذا أسرد البحوث أو الأقسام التي ذكرها قسماً قسماً ثم أدل على ما فيها من تكرار وتداخل زادا عن العادة حتى تمنى المتفقه في أسرار لغة العرب والمعجب بمعجم الأستاذ فيشر لو تنزه المعجم عن هذا التكرار وعدم الدقة في تصنيف معاني فعل (الأخذ) :

(البحث الأول) :

ذكر فيه المؤلف أن فعل (الأخذ) يكون بمعنى إمساك الشيء والقبض عليه باليد ونحوها . وهذا هو المعنى الحقيقي لفعل (الأخذ) وقد مثل له بأمثلة كثيرة . منها آية (خُذها ولا تخف) وقول النابغة (وأخذتها قسراً وقلت لها اقعدي) وقد تجلى المعنى الحقيقي في هذين المثالين ووضح أكمل وضوح . ومن الأمثلة التي خفي فيها المعنى الحقيقي وكان ينبغي ذكرها في المعاني المجازية آية (خذوه فغلوه) اذ أن الأقرب في فعل (الأخذ) فيها أن يكون معناه استيلاء الملائكة على المجرم وحيازته باحدى طرق الحيازة اللائقة بهم وبروحانيتهم لا أنهم أخذوه بأيديهم أو قبضوا عليه بأذرعتهم . ولو سلمنا هذا المثال للمؤلف لانسلم له المثال الثاني وهو ما في الحديث الشريف : (إن الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته) . فان معنى (الأخذ) المنسوب الى الله هنا ليس من معنى القبض ولا الامساك باليد في شيء . أو يقال ليس الأخذ في هذا الحديث أخذاً حقيقياً وانما هو كناية عن الاحاطة بالمجرم وحيازته والتمكن منه . فكان الواجب ذكر هذا الشاهد في أقسام المجاز لا الحقيقة .

(البحث الثاني) :

قال المؤلف ان الأخذ فيه بمعنى (الحيازة) وهذا معنى مجازي كما لا يخفى : لأن القبض على الشيء باليد ونحوها سبب لحيازته ، والحصول عليه ، فيكون اطلاق (الأخذ) على (الحيازة) من قبيل إطلاق السبب وارادة المسبب . ومن العجيب ان يخالف المؤلف عادته فيقتصر على مثالين لمعنى الحيازة مع أن معظم الأمثلة التي ذكرها في الأقسام التالية هي من قبيل (الحيازة) وتصلح أن تذكر في بحثها هذا .

(البحث الثالث) :

قال المؤلف ان الأخذ فيه يكون بمعنى أن يذهب المرء بالشيء ظلماً أو غصباً ، ومثّل لذلك بأمثلة منها آية (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) وحديث (مَن أَخَذَ شبراً من أرض ظلماً فانه يطوّقه يوم القيامة من سبع أرضين) ولا يخفى أن هذا القسم هو القسم الذي سبق بعينه : فان الأخذ فيهما كليهما بمعنى الحيازة . وكون (الأخذ) وقع بوجه الظلم لا يستدعي أن يكون غير (الأخذ) الواقع على وجه العدل حتى يكون هذا قسماً وذاك قسما . واختلاف الفعلين في فاعليها أو مفعوليها أو سائر متعلقاتها لا ينبغي ان يسبب اختلافا او تعدداً في أصل معنى الفعلين : فالأكل أكل سواء قلنا أكل زيد باليد أو بالملعقة . وسواء قلنا أنه أكل على الأرض او على المائدة .

ومن تأمل كلام المؤلف وجده في تصنيفه لمعاني (أَخَذَ) قد أقام الاختلاف في الفاعل أو المفعول او المتعلق سبباً لجعل الفعل الواحد فعلين . واعتبار معناه معنيين . وهذا من أهم ما يؤخذ على الدكتور الفاضل في تأليفه هذا ولا سيما ان كان جرى هذا المجرى في جميع مواد الكلمات التي أودعها معجمه .

(البحث الرابع) :

قال المؤلف ان (الأخذ) فيه بمعنى القبض على الشيء في الحرب . يعني فيكون فعل أَخَذَ هنا بمعنى غنم .

ونقول في هذا القسم أو البحث ما قلناه في سابقه : من أن أخذ الشيء في الحرب هو الحيازة نفسها . وكونه في الحرب لا يجعل له معنىً جديداً مستقلاً . وقد مثل له بآية (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وظاهرٌ أن (الأخذ) في هذه الآية بمعنى الحيازة . ومن العجيب أن المؤلف مثَّل لهذا النوع من الأخذ أيضاً بقول ذي الرُّمة (أخذنا أباها يوم دارة مأسل) فجعل الأخذ بمعنى (الغنيمة) مع أنه بمعنى (الأسر) الذي عُقد له البحث التالي وهو :

(البحث الخامس) :

والأخذ فيه بمعنى أسرُ الشخص وسَبْيُه . ولا يجوز ان يجعل هذا قسماً مغايراً الأقسام التي قبله : فانها كلها من بابةٍ واحدة أعني الحيازة والاستيلاء .

(البحث السادس) :

(الأخذ) فيه بمعنى صاد الحيوان وهذا أيضاً مكرر مع ما قبله اذ الصيد حيازة أيضاً واختلاف المفعول في أخذ المال اذا غنمه ، وأخذ الرجل اذا أسَرَه ، وأخذ الظبي اذا صاده ـ لا يحدث اختلافاً ولا تنوُّعاً في فعل (الأخذ) الذي معناه الحيازة كما ذكرنا مثاله آنفاً .

(البحث السابع) :

الأخذُ فيه بمعنى فتَحَ بلداً أو تغلَّبَ على أرض . وهذا أيضاً تكرار . لأن أخذ البلد والتغلُّب على الأرض حيازة لها وإحاطة بها وحصول عليها .

(البحث الثامن) :

(الأخذ) فيه بمعنى أن يغلب أحداً أو يقهر جيشاً أو عدواً نحو (ما يشكُّ اللعينُ في أخذكَ الجيشَ) وهذا أيضاً حيازة واستيلاء فهو كسوابقه .

(البحث التاسع) :

بمعنى حبَس مجرماً . وقد مثَّل له المؤلف بشواهد إن صحَّ أن المراد بها الحبس كان الحبس أيضاً من قبيل الحيازة بل هو الحيازة بأكمل معانيها وأتمّ

صورها . على أننا نعتقد ان الأخذ الوارد في الشواهد المذكورة ليس بمعنى الحبس بل بمعناه الحقيقي وهو القبض على الشيء وإمساكه وضبطه . واذا كنا نفهم الحبس منه فقد حصل هذا الفهم بمعونة المقام ، ودلالة القرائن ، فقول أخوة يوسف (فخُذ أحَدنا مكانه) ليس معناه احبسه بل امسكه . والسياق يدلّ على أن امساكه يكون لأجل حبسه . وهذا لا يستدعي الذهاب الى أن فعل (الأخذ) يكون بمعنى الحبس كما لا يخفى .

وليس الأخذ بمعنى الحبس أيضاً في الشاهد الآخر . وهو قوله : (في البكر يؤخذ على اللوطية ؟ قال يُرْجَم) : فإن الأخذ فيه بمعنى القبض والامساك الحقيقيين : أي انه سُئل عن القبض عليه وهو على تلك الحالة . وليس الأخذ بمعنى الحبس أيضاً في قوله (فأُخِذ طهمان فرُفع الى الوليد بن عبد الملك) بل معناه ضُبِط وأمسك ثم قِيد الى الخليفة . وهكذا نرى المؤلف قد أدخل في القسم الذي عقده لمعنى الحبس ما لا يصلح له من الشواهد .

(البحث العاشر) :

قال المؤلف ان (الأخذ) فيه بمعنى أن يمنع شخصاً ويكفّه (empêcher) ومثّل له بقول عمر بن الخطاب كما في حديث البخاري (فأخَذَتني والله أخذاً كسرَتني عن بعض ما كنتُ أجد) .

نرجح أن يكون المراد بالأخذ هنا غير المنع والكفّ ، وربما كان بمعنى الغلبة والتأثير في النفس . ويكون المعنى غلبتني أم سلمة رضي الله عنها غلَبَةً كسَرَتني وصرَفتْ نفسي . فالمنع والكفّ لم يستفد من فعل (أخَذَ) وانما استفيد من فعل (كسَرَ) ففي كتب اللغة (كسَرَ فلاناً عن مراده صرفه عنه) . نعم يكون (الأخذ) بمعنى الكفّ والمنع إذا عُدّي بعلى يقال (أخذ الأمير على يد فلان) اذا منعَه وكفّه عن الشر . وقد فات المؤلف ذكر هذا المعنى المهمّ من معاني (أخذ) .

(البحث الحادي عشر) :

(أَخَذَ) بمعنى حجز على مال . كذا قال المؤلف . والحجز في لغة الفقه والقانون أن يحال بين المالك وبين التصرف في ملكه موقتاً . ولا نظن أن (الأخذ) ورد في اللغة بهذا المعنى ، بل لو فهم منه هذا المعنى لكان مفهوماً بطريق اللزوم أو بمعونة السياق . كما اذا قلنا (أخذ القاضي مال فلان لقاء دين عليه لفلان) فمعنى أخذ المال في هذا المثال حازه واستولى عليه فقط ويفهم معنى توقيع الحجز بدلالة السياق .

والشاهد الذي ذكره المؤلف من قول الطبري وهو فأخذها (أي ألفَ الخُوان) لا صلة له بمعنى الحجز . وانما معناه الحيازة والاستيلاء ، إلا اذا كان هنالك ما يدل على أن المراد من أخذ الأَخونة حجزها لغرض قانوني أو إداري .

(البحث الثاني عشر) :

(الأخذ) بمعنى الطعن في الشخص ، ومثّل له المؤلف بقوله (أخذه بلسانه) وهذا المعنى لا غبار عليه . وربما اعتبر مجازاً من معنى القبض باليد : فكما ان من قبض على انسان فقد استولى على حريته بالقهر والاستذلال . كذلك من طعن فيه بلسانه فقد استولى على عرضه وكرامته بالقهر والاستذلال .

(البحث الثالث عشر) :

(أخذ) بمعنى تمكَّن من شخص أو حيوان فقتله . وليس هذا المعنى بصواب في ما نظن ، وما ذكره المؤلف من الشواهد لا يدل عليه . وانما بعضها يدلّ على معنى القبض والامساك . وبعضها يدلّ على معنى الحيازة والاستيلاء ، ثم يفهم القتل من الأخذ الوارد فيها بمعونة القرائن لا بالوضع اللغوي . وفرقٌ ما بينهما .

وقول حسان (نقتلهم والسيوف تأخذهم) لا شاهد فيه وانما معناه ان السيوف تصيبهم وتتناولهم كما تتنـاول الأيدي الشيء المأخوذ ومتى تناولتهم السيوف الكثيرة جرحتهم جراحاً كثيرة ومتى جرحتهم كذلك قتلتهم . فأخذهم بالسيوف

سبب للقتل . وليس هو القتل بعينه ومثله قوله (فإنَّ أخذ الكلبِ زَكاةٌ) إذ أن معنى أخذِ الكلبِ للصيد إمساكه له بفمه . وهذا قد يؤدي الى قتله فيعتبر قتله زكاة له .

ومثله قول ذي الرُّمة (أخَذْنا على الجفرين آلَ مُحَرِّق) أي استولينا عليهم فكان استيلاؤنا مفضياً الى قتلهم . وقول المؤلف بأن شارحا شرح قول ذي الرُّمة فقال (أخذنا . قتلنا) لا يصلح حجة : لأن هذا الشارح أراد تفسير (الأخذ) بلازمه لا بمعناه اللغوي .

(البحث الرابع عشر) :

(أخذ) بمعنى أهلك واستأصل ، ومثّل له بقول المتنبيّ (والضربُ يأخذ منكم فوق ما يَدَع) ولا شاهد فيه : لأن الأخذ هنا بمعنى التناول والاستيفاء فالشاعر جعل الضرب شخصاً يتناول من أجسامهم ونفوسهم ويحوز منهـا لنفسه أكثر مما يتركه منها . وهذا يؤدي الى هلاكهم وفنائهم .

(البحث الخامس عشر) :

(أخذ) بمعنى عاقب وعذّب ، ومثّل المؤلف له بأمثلة ليست من معنى العقاب أو العذاب في شيء . وانما المراد بها القهر والغلبة . وسياق الكلام هو الذي يدل على ان هذا القهر وقع عقاباً أو تعذيباً لهم . نحو آيات (أخذناهم بغتةً) (وكذلك أخْذُ ربك إذا أخَذَ القُرى) (فأخَذَهم الله بيدرٍ) الى غير ذلك ، وكلها تدل على أن الله استولى عليهم بالقهر والغلبة ، فكان هذا عقاباً أو تعذيباً .

بل إن آية (ثم أخَذْتُهم فكيف كان عِقاب) لا دليل فيها على أن (أخذ) بمعنى عاقب بل هي بمعنى ان الله قهرهم وغلبهم ، فكان هذا عقاباً لهم .

نعم قد يكون (الأخذ) بمعنى العقاب اذا عُدّي الى المفعول الثاني بالباء فيقال (أخذ القاضي المجرم بذنبه) أي عاقبه عليه ، فيفسر حينئذ الأخذ بالعقاب . وهذا مما فات المؤلف ذكره أيضاً .

(البحث السادس عشر) :

ذكر المؤلف في هذا القسم ثلاثة معان مجازية لأخذ وهي (أعجب) يقال أخذ بقلبي إذا أعجبني وخلبني . و (أسكرَ) يقال أخذ الشراب برأسه . و (نوّم) نحو (لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ) . وهذا القسم موضع ملاحظة أيضاً اذ ليس الأخذ فيه بمعنى ما ذكر . وانما معناه الحيازة والاستيلاء وقد جاءها معنى (الاعجاب) و (السُّكر) و (النوم) من السياق او من كلمات الشراب والنوم ونحوها . فليس هذا القسم إذن إلاَّ أخاً للأقسام السابقة التي وقع الأخذ فيها بمعنى الحيازة والاستيلاء والغلبة .

(البحث السابع عشر) :

بمعنى إصابة الشخص بالأمراض والعوارض الجسمية . وقد مثَّل له بقوله (أخَذَتْه الحُمَّى) و (أخذته سعْلة او بُحّة او رِعدة) الخ . وكلٌّ ذلك لا يحسن جعله قسماً من معاني (أخذ) بل هو داخل في الأقسام السابقة التي جاء فيها (الأخذ) بمعنى الغلبة والتناول والاستيلاء .

ومما يُستغرب في هذا القسم ان المؤلف جعل (الأخذ) فيه بمعنى الاختناق واستشهد له بحديث البخاري وهو (فلما دخلت سارةُ على الجبّار) ذهبَ يتناولها بيده فأُخذ) . ولا يخفى أن أخذ هنا بمعنى اخَذَه الله بقهره فكفّه عن سارة ، أو أن (أُخِذَ) بمعنى سُحر كما سيذكره المؤلف في البحث (الواحد والعشرين) . وقد احتج المؤلف على ان (أُخِذ) بمعنى (اختنق) بما جاء في الشروح وهو قولهم (اختنق حتى صار كأنه مصروع او نحو المصروع) وهذا ذهول من المؤلف لأن الشراح إنما أرادوا بيان الحالة التي طرأت على الجبّار بعد ان قهره الله او بعد ان أثر فيه السحر : فكان كالمصروع الذي يظهر على فمه الزَّبَد على هيأة المختنق . اما ان الأخذ يكون بمعنى الاختناق فلا اظنه صواباً .

(البحث الثامن عشر) :

يكون الأخذ بمعنى ان يعتري الشخص حالاتٌ نفسانية نحو (وتأخذه عند

المكارم هزّة) (فأخذهم من اليمّ ما أخذهم) (فأخذتني غضبة فلطمتها) . الى غير ذلك مما في الاستشهاد به نظر : لأنه كله من معنى الغلبة والاستيلاء فهو متكرر مع الأقسام السابقة .

(البحث التاسع عشر) :

بمعنى أصاب الناسَ واعتراهم عذابٌ او مصيبة نحو (فأخذهمُ الطوفان) (فأخذتهُم الصاعقة) (أُخذوا بالسنين) (ولا تأخذكم في الله لومةُ لائم) ونقول في هذا القسم ما قلناه في ما قبله وقبل قبله .

(البحث العشرون) :

بمعنى أخذه المطر نحو (أخذهم المطر) و (أُخذتهم السماء) و (أخذنا جارُ الطبع) وهذا أيضاً لا يدل على معنى جديد للأخذ بل كلّ ما ذكر من الأمثلة بمعنى الحيازة والغلبة . وجارُ الضبع : السيل الشديد يجر الضبع من وجارها .

(البحث الحادي والعشرون) :

بمعنى السحر . قال الفراء في تفسير (أخذته الأخذة) ان معنى (الأخذة) السحر ، وهذا معنى جديد للأخذ غير ما تقدم . وان كان لدى التحليل الدقيق يرجع الى معنى الغلبة والاستيلاء ، كما مرّ في القسم السابع عشر الذي مثّل له المؤلف بقصة الجبار مع سارة « وقد أُخِذَ عنها » أي سُحِر . وليس السحر سوى عارض يصيب المسحور ويستولي على نفسه ومشاعره ثم يتصرف فيهما كما يريد الساحر .

(البحث الثاني والعشرون) :

يكون الأخذ بمعنى أن تظفر العين شخصاً أي تراه : فكما يقولون (ما ظفرتك عيني منذ حين) يقولون (ما أخذتك عيني منذ حين) والمعنى فيهما كليهما (ما رأتك عيني) والأخذ في هذا الاستعمال مجاز كما لا يخفى : لأن العين تأخذ صورة ما تراه أي تتلقاها وتتقبلها أخذاً وتقبّلاً يشبه أن يكون

حقيقياً : كما يأخذ الورق الحساسُ صورة ما يقع عليه في التصوير الفوتوغرافي . فالأخذ بمعنى الإبصار ـ ان لم يكن حقيقةً ـ فهو مجاز وكان حقه أن يذكر في أحد قسمي الحقيقة المجاز اللذين ذكرهما المؤلف .

(البحث الثالث والعشرون) :

بمعنى أن تجهرَ العين شخصاً . وفسروا معنى (تجهره) بأن تراه عظيماً . فيقال مثلاً : (فلانةُ امرأة مُلأَحةٌ تأخذها العين) و (كان سعيد لا تأخذه العين) كل ذلك بمعنى استعظام الشيء والاعجاب به . ولكن هذا المعنى كان ينبغي أن يذكر في البحث السادس عشر مع المعاني المجازية التي منها الاعجاب بالشيء . و (مُلأَحة) أبلغ من مليحة .

(البحث الرابع والعشرون) :

(أخَذَ) بمعنى تناول الشيء أي قبض عليه باليد . نحو (فخُذْ أربعةً من الطير) (فلما سكتَ عن موسى الغضب أخذَ الألواح) (كان يأخذ الرُّطب بيمينه) الى غير ذلك من شواهد المعنى الحقيقي التي مرَّ نظيرها في القسم الأول المعقود لإمساك الشيء والقبض عليه فهو مكرر .

ومما يلاحظ على المؤلف انه أقحم في خلال شواهد هذا الباب عبارةً مؤداها أن كلمة (أخذ) تكون في مواطن كثيرة زائدةً لا تفيد معنى الأخذ ، وانما تفيد معنى تصوير الحالة وتأكيد القصة . لكنه لم يذكر لنا موطناً واحداً من تلك المواطن الكثيرة لنفهم ما هو مراده .

(البحث الخامس والعشرون) :

(أخذ) بمعنى لبس الثياب والسلاح نحو (أخذ رداءه) (أخذتُ ثوبي) (خُذوا زينتكم) (أخذَتْ الأرضُ زخرفها) . لكنني لا أظن أن هذا المعنى غير المعنى الحقيقي الذي هو التناول والامساك باليد مُكنًّى به عن اللبس . فاذا قلنا اخذ ثوبه بمعنى لبسه لم يكن المراد ان معنى الأخذ هو اللبس وانما المعنى أنه اخذه لغرض أن يلبسه .

وهذا كما اذا قلنا (اخذ قلمه) وتكرر منا هذا الاستعمال : فان الأخذ حينئذ يصبح مراداً به الكتابة . لكن لا يصحّ ان يقال أن (أخذ) بمعنى (كتبَ)، وانما المراد به معناه الحقيقي . والكتابة فهمت من السياقِ وقرينةِ ذكر القلم ، وكذا يقال في أخذ الثوب والسلاح والزينة .

(البحث السادس والعشرون) :

(أخَذَ) بمعنى (شرب) ومن أمثلته قوله (ألا تأخذوا لبناً ؟) . والحق أن معنى الأخذ هنا كما في أخذ الثوب . اما الشرب فيفهم بقرينة ذكر اللبن . كما فهم اللُبس من ذكر الثوب . ولو جعلنا اللبس والشرب من معاني أخذ لصحّ لنا ان نقول ان من معاني اخذ ركب الفرس وركب القطار : في ما إذا قلنا أخذ فلان فرساً الى العزبة ، او اخذ فلان قطاراً الى طنطا .

(البحث السابع والعشرون) :

(أخذ) بمعنى آوى شخصاً واجاره نحو (فليُلْقِهِ اليمُّ بالساحل يأخذه عدوٌّ لي وعدوّ له) وفي الطبري (تلكم صاحبتكم في بني جُمَح اذهبوا فخذوها فذهبوا اليها فأخذوها) . الى غير ذلك من الشواهد وكلها لا تدلّ على الإيواء والإجارة ، وانما تدل على معنى الأخذ الحقيقي لغرض الايواء أو الأجارة ، كما مرّ في أخذ الثوب لغرض اللبس ، واخذ اللبن لغرض الشرب .

(البحث الثامن والعشرون) :

بمعنى تزوج امرأة كما في حديث (لما أخذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيّة) ويقال ان الأخذ فيه كما في السابق ولا شاهد فيه على معنى جديد للأخذ .

(البحث التاسع والعشرون) :

بمعنى اشترى شيئاً بالثمن نحو (أخذَ الدار بعشرين الف درهم) ونحو (أخذَ الجارُ الدارَ بالشفعة) و (خذه ولو بقُرْطَيْ مارية) الخ . وهو ايضاً ليس معنى جديداً لأخذَ وانما هم تجوّزوا فيه عن الشراء ، فيحسن ان يذكر في جملة المعاني المجازية .

(البحث الثلاثون) :

بمعنى اقترض شيئاً كما في حديث (من أخذ اموال الناس يريد أداءها الخ) ولا شاهد فيه ايضاً لمعنى جديد وانما هو المعنى القديم المتكرر .

(البحث الحادي والثلاثون) :

بمعنى النيل والحصول على الشيء نحو قول الحماسي (وأخذي الحمدَ بالثمن الربيح) ونحو (لا يأخذون الملك إلا غصباً) وهذا ايضاً لا معنى جديد فيه ، وانما هو بمعنى الاستيلاء والحيازة . ويدل عليه قول المؤلف في عنوان بحث الحيازة (حصل على) ومعنى (حصل على) حاز الشيء حيازة فكان يحسن أن تذكر شواهد هذا البحث مع شواهد بحث (الحيازة) في القسم الثاني .

(البحث الثاني والثلاثون) :

الأخذُ بمعنى المحافظة على الأمر ومنه حديث (وإنما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الآخِر فالآخِر) والأخذ هنا بمعناه الحقيقي كما لا يخفى ، وانما فهم معنى المحافظة من سياق الكلام لا من الوضع اللغوي .

***

انتهت الأقسام أو البحوث الاثنان والثلاثون . وعندي انه يمكن ارجاعها الى ثلاثة بحوث مستقلة متحاجزة :

(١) بحث تذكر فيه المعاني الحقيقية الأصلية للأخذ ويُقتصر فيه من الشواهد على أوضحها دلالة .

(٢) بحث تذكر فيه كلمات (الأخذ) الدالة على معنى الحيازة والاستيلاء والغلبة والقهر . وهو معنى معظم كلمات (الأخذ) الواردة في لغة فصحاء العرب وقد استشهد بها المؤلف .

(٣) بحث تذكر فيه ضروب من المعاني لفعل (أَخَذَ) قد تجوّزوا فيها أيضاً عن معنى الاستيلاء والغلبة لكنه تجوُّز في غاية الخفاء واللطافة بحيث أصبح كأنه معنى جديد للاستيلاء ٠

وهذا كتجوّزهم في التعابير الآتية :

١ — أَخَذَه بلسانه إذا عابه

٢ — أُخِذَ فلان إذا سُحِر

٣ — ما أخذتُه أي ما أبصرته

٤ — فلانٌ تأخذه العيون أي تستعظمه

٥ — أَخَذَ فلان زينته أي لبس ثوب زينته

هذا ما أردت بيانه في ملاحظاتي هذه على معجم الزميل الكريم الدكتور فيشر ٠ ومن تصفح هذا النموذج أدرك ما لحضرته من التبحُّر في لغتنا العربية الشريفة ومن سعة الاطلاع على تاريخ كلماتها ٠ ومختلف أساليبها وتعابيرها وشواهدها ، مع التثبت والاحتياط والأمانة في النقل جزاه الله عن عمله خير الجزاء ٠

المغربي

اسماء النبات والحيوان في المعجمات العربية

من المعلوم أن المعجم كتاب تُدرَج فيه مفردات اللغة على حروف المعجم ، او على طريقة اخرى ، وتعرّف . فاذا جُعل فيه ألفاظ ليست في تلك اللغة ، أو عُرّفت ألفاظه تعريفاً ناقصاً او مغلوطاً ، عُدّ معجماً سقيماً .

واسماء النبات والحيوان في معاجمنا القديمة كانت تعرّف على حسب معرفتهم بتلك المواليد . وكانت هذه المعرفة ناقصة لا تتعدى بعض الأشكال الخارجية البارزة للنبات او للحيوان . وكانوا يجهلون المجهر ، ولهذا لم يتمكنوا من معرفة خلايا الأحياء ونُسُجها مما هو ضروري لتفريق بعضها عن بعض ، وتصنيفها ضروباً فأنواعاً فأجناساً ففصائل الى أعلى حلقة من حلقات التصنيف المتبع في أيام الناس هذه .

وعندما صُنفت المعجمات العربية أيام الخليل بن احمد الفراهيدي وتلميذه الليث وابن دريد والأزهري والجوهري وابن سيده وغيرهم من القدماء ، وابن منظور والفيروزابادي والزبيدي ممن جاءوا بعدهم ، كانت علوم المواليد والكيمياء والطبيعة كلها في حال بدائية بسيطة ، لا تتجاوز ما كان يعرفه اليونان والفرس والسريان ، وما أضافه العرب الى تلك العلوم . وكانت من النتائج الطبيعية لذلك حصول إبهام وتشويش في تعريف بعض النباتات والحيوانات ، واهمال عدد عظيم مما لا ينبت او لا يُزرع في جزيرة العرب أوفي البلاد التي امتد اليها سلطانهم .

وعندما كنت أصنف «معجم الألفاظ الزراعية» بالفرنسية والعربية كنت أصادف في معاجمنا القديمة عجائب وغرائب تتعلق باسماء المواليد . وهذه العيوب كثيرة . وهاكم منها بعض ما له صلة بالنبات والحيوان :

أولاً — خلوّ المعاجم من أسماء كثير من النبات والحيوان : لم تمتد الفتوحات العربية الى أمريكة ، ولا الى الشرق الأقصى ، ولا الى كثير من الأصقاع الشمالية والجنوبية من الكرة الأرضية . ولذلك لبث علماء العرب جاهلين بمعظم نبات تلك البلاد وحيوانها . ولبثت معاجمنا القديمة خالية منها . وهي آلاف مؤلفة . وبعضها له تأثير كبير في مرافق الانسان الاقتصادية . فمن النباتات الزراعية التي كانت مجهولة في تلك الأيام التبغ والذرة الصفراء (الذرة الشامية) والبرتقال والمندرين والكاكاؤو والونيلية والأناناس والقشدة والبنادورى (الطماطم) والفليفلة والراتينجية والمغنولية والزينية والدهلية الخ . الخ .

ومن دقائق النبات فطور مجهرية كثيرة تفتك بالزروع على أنواعها . ومن الحيوان حشرات لا تعد ولا تحصى تفتك بمختلف النباتات المزروعة ، او بشجر الحراج ، او بالألبسة ، او بالحيوانات الدواجن . وكل هذه الأحياء وغيرها لا ذكر لها في المعاجم العربية القديمة . وهذا يعد نقصاً مشيناً ، لأن تلاميذ مدارس التجهيز والزراعة والطب والصيدلة وغيرها يحتاجون جميعاً الى معرفة ما استقر عليه الرأي من اسماء عربية لتلك المواليد . ولا يجوز ان يركب كل مؤلف رأسه ، فيضع لها اسماء من عنده مهملاً للقواعد المتبعة في وضع المصطلحات العلمية . كما لا يجوز ان يُترك أمرها للعامة تسميها باسماء كثيراً ما تكون نابية او عجيبة .

ثانياً — خلط أعيان المواليد في التسمية : قلت ان تصنيف الأحياء ، على حسب خصائصها الداخلية والخارجية ، شيء لم تعرفه الاجيال القديمة . ولذلك كثيراً ما كانوا يخلطون في التسمية بعض الأنواع المتقاربة ببعض ، على حين ان كلاً من تلك الأنواع يُعَدّ اليوم مستقلاً عن الآخر . فمعجماتنا مثلاً لم تفرق بين الأرز والعرعر والصنوبر والسرو ، فسمت كل نوع من هذا الشجر باسم الآخر . ومعناه انني اذا وقفت أنا وأنت أمام ارزة من أرز لبنان ، وقلت لك ما هو اسم

هذه الشجرة ؟ أجبتني بأنها تسمى أرْزة وعرعرة وسروة وصنوبرة ! واذا أريتك شجرة صنوبر وسألتك عن اسمها : أجبت ايضاً بأنها تسمى الأرز والعرعر والسرو والصنوبر وهكذا . فتأمل نتائج الخلط في تسمية اعيان المواليد .

ومن المؤسف ان يكون هذا الخلط في التسمية كثيراً . وفيما يلي بعض الأمثلة : لقد عرَّفوا الأُرْزَ بالبط اي جعلوهما شيئاً واحداً ، على حين ان كلاً منهما نوع ينتسب الى جنس مستقل عن جنس الآخر . وقالوا ان القنب نوع من الكتان ، وهما من فصيلتين مختلفتين ، وليس في تحليتهما تشابه . وجعلوا اللوز والبندق نباتاً واحداً ، وأين هذا من ذاك ، فالأول من الورديات ، والثاني من البلوطيات . وهكذا جمعوا بين الكرنب والسلق على حين ان الأول من من الصليبيات والثاني من السرمقيات . وأطلقوا أسماء الثِّيل والنجم والنَّجيل والنَّجير والعِكْرِش بلا تمييز على عدة نباتات من النجيليات كل منها هو اليوم نوع مستقل عن الآخر . وعرَّفوا الأنْقَليس بالجِرّيّ . وشتان ما بين هذين النوعين . لأن كلاً منهما ينتسب الى فصيلة من السمك ، فالأُولى تسمى السِلُّوْرِيات والثانية الأنقليسيات . وهكذا سموا كثيراً من انواع النبات والحيوان باسماء انواع اخرى ، اما لجهلهم بها ، واما لقرب بعضها من بعض ، وصعوبة التمييز بينها علمياً في أيامهم .

اما الأسماء التي ضلوا في معرفة مدلولاتها فهي أيضاً كثيرة : فاذا راجعت مادة سَمْسَق في اللسان مثلاً تجده يقول : السمسق السّمسم وقيل المَرْزَنْجُوش ، والسمسق الياسمين وقيل الآس . قلت أين السمسم من المرزنجوش او من الياسمين او من الآس ؟

واذا فتشتَ فيه عن معنى كلمة جُلْجُلان ألفيته يقول : والجلجلان ثمرة الكزبرة وقيل حب السمسم ، وقال ابو الغوث الجلجلان هو السمسم في قشره قبل ان يُحصد . وقال ابن الأعرابي يقال لما في جوف التين من الحب الجلجلان .

وفيه ان التَّقْدة هي الكُسْبَرة والكَرَوْياء ، وان الينْبوت هو الخروب والخشخاش والأناغورس وخروب المعزى وهو ايضاً شجرة مثل شجرة التفاح الخ . فهل رأيت مثل هذا في معجم من معاجم اللغات الأوربية ؟

ويتضح من هذه الأمثلة انهم كثيراً ما اطلقوا الكلمة الواحدة على أكثر من نبات واحد، إما لجهلهم بمدلول تلك الكلمة ، واما لأنها كانت تدل على نباتات مختلفة لدى بعض القبائل او في بعض الأقطار العربية . ولكن كل هذا لا يجوز ان يظل على حاله في معجم علمي حديث . وقصارى ما يمكن ان يذكر فيه كون الكلمة الفلانية تدل على كذا (نبات واحد معلوم) ، وان يُذكر في الشرح كونها تدل لدى العامة على نبات كذا او كذا في هذا القطر العربي او ذاك .

ثالثاً — تفسير الألفاظ بغير التفسير العلمي الحديث : راجع كلمة طير في اللسان مثلاً تجد ابن منظور يقول : « والطير معروف اسم لجماعة ما يطير » . وراجع كتاب الطير في المخصص تجد ابن سيده يدرج في جملة الطير الجراد والزنابير والذباب والنحل وغيرها من الحشرات التي تطير . فكل ما يطير هو عندهم طائر ، على حين ان الطير في العلم الحديث حلقة من حلقات تصنيف الحيوان ، والحشرات حلقة اخرى أهم من الأولى وبعيدة عنها في التحلية . وطيران بعض الحشرات لا يسوّغ جعلها مع الطير في حلقة واحدة .

وكلمة حشرة نفسها لا تدل في معاجمنا على كل ما تدل عليه كلمة « Insecte » في علم الحيوان . فهذه اللفظة الأخيرة تطلق على صف معلوم من المفصليات . فكل حشرة لها بنية متسقة التركيب ، اي انها تتألف دائماً من ثلاثة اجزاء واضحة هي الرأس والجوشن (اي الصدر) والسِرْم (اي البطن) . ويكون في الرأس العيون والفم والزُبانيان اي القرنان . وفي الجوشن ثلاث حلقات عليها ثلاثة ازواج من الأرجل لا تزيد ولا تنقص . ولذلك اطلق بعض العلماء على الحشرات اسم سداسية القوائم .

اما في كتب اللغة العربية فالحشرات هي الدواب الصغار أياً كان مكانها في التصنيف . فالقنفذ عندهم حشرة ، وكذا الفأر والجرذ والحرباء والعظاية وغيرها . وهكذا جعلوا هذه الحيوانات في عداد الحشرات ، على حين انها جُعلت في التصنيف في حلقات بعيدة عن حلقة الحشرات . فالقنفذ من صف الثدييات ومن رتبة الحشريات اي آكلات الحشرات ، والفأر والجرذ هما ايضاً من الثدييات ومن رتبة القواضم . اما الحرباء والعظاية فمن العظاء . وهي كلها بعيدة عما يسمى حشرات في علم الحيوان .

واذا أنعمنا النظر في كلمة شجرة نجد ان الشجرة علمياً هي كل نبات معمر له ساق خشبية جزؤها الأسفل عار بسيط وفوقه اما متسق من الورق (كما في النخل) ، او عدد من الشعب فالفروع فالأغصان فالأوراق (كما في المشمش مثلاً) . ويتضح من هذا التعريف العلمي الحديث للشجرة انه يجب ان تكون معمرة اي ان تعيش سنين ، وان يكون لها ساق خشبية لا ساق هشة رخصة عشبية ، وان يكون للشجرة الواحدة ساق واحدة عارية الأسفل .

وهذه الشروط لاوجود لها في تعريف الشجرة في معجماتنا العربية . فالشجر فيها هو من النبات ما قام على ساق ، او ما سما بنفسه ، دقّ أو جلّ ، قاوم الشتاء او عجز عنه . ولهذا اذا راجعنا فيها أسماء بعض النباتات العشبية ، سنويةً كانت او محولة ، نجدهم يعبرون عنها بكلمة شجرة . فالخشخاش فيها شجرة ، والخردل شجرة ، والخطمي شجرة ، والخبازى شجرة ، والكرسنة شجرة صغيرة ، والشقار اي شقائق النعمان شجرة الخ . ومن المعلوم انها كلها أعشاب سنوية لا أشجار بالمعنى العلمي الحديث .

هذه ثلاثة أمثلة على كلمات لم تعرّف في معجماتنا تعريفاً علمياً . ولنتصور حال التلميذ الذي يدرس المواليد في المدرسة عندما يفتش عن الحرباء في المعجم فيجد انه حشرة ، او يفتش عن الزنبور فيُلفيه طيراً ، او عن الخطمي فيلقاه شجرا .

وكيف يوفق بين النصين نص كتاب المواليد ونص المعجم العربي ؟ فهذه التعريفات واشباهها في معاجمنا لا تصلح لهذه الأيام ، ولا بد من تعديلها ، إلا اذا أردنا ان تظل هذه المعاجم في واد والعلوم الحديثة في واد .

رابعاً — سقم التحلية لأعيان النبات والحيوان : من أهم عيوب معاجمنا التقصير المشين في تحلية أعيان النبات والحيوان . فمعظمها لم توصف بأكثر من انها نبت او نبات او شجر او عشب او بقل او حيوان او طائر او ما أشبه ذلك . واذا كانت مبذولة ، يضيفون الى هذه الكلمة لفظ « معروف » كأنه من الطبيعي ان يكون المطالع عارفاً بالأسماء التي يفتش عنها . وهو لو كان عارفاً بها لما احتاج الى معجم . فالسعتر نبت معروف ، والحنظل معروف ، والسَّمُر شجر معروف ، والكتان معروف ، والسمَّاق معروف ، والسوسن هذا المشموم ، والشحرور طائر الخ . الخ .

والأعيان التي حلوها جاءت تحلية كثير منها ناقصة او مغلوطة . وهي في الحالين بعيدة عن التحلية العلمية التي يجدها المطالع في كتب المواليد المسهبة او في معاجم اللغات الأوربية الكبيرة . ولا يمكن ان تكون تحلية القدماء للمواليد صالحة لأيامنا هذه ، لأن القدماء كانوا جاهلين بالأسس التي قام عليها تصنيف الأحياء . وعندي ان ابن البيطار أهم عالم عربي وصف النباتات الطبية وغيرها في مفرداته ، ولكن هذه التحلية على جلالة قدرها لا تتعدى بعض الأشكال الخارجية لتلك النباتات . وشتان ما بينها وبين التحلية الدقيقة الجامعة المانعة التي يراها المرء في كتب النبات المسهبة الحديثة . والخلاصة ان علوم الأحياء تقدمت كثيراً ، ولهذا تبدلت تحلية المواليد واصبحت تختلف عما كانت عليه في معاجمنا القديمة او فيما صنف القدماء من كتب في النبات والحيوان والزراعة والمفردات الطبية . وكما انه من أسباب اضاعة الوقت ان يراجع التلميذ هذه الكتب في عصرنا هذا ، كذلك من أسباب اضاعة الوقت مراجعته لمعجماتنا القديمة بغية الوقوف على تحلية عين من أعيان المواليد فيها .

خامساً — تفسير الكلم بألفاظ أعجمية : لكل عين من أعيان المواليد اليوم اسم علمي ثابت لا يتبدل . فمتى عرفتَ ذلك الاسم سهل عليك معرفة مدلوله . والمعجمات الاجنبية الكبيرة تذكر الاسماء العلمية للمواليد دائماً . ومن البديهي ان معاجمنا القديمة خالية منها ، اي ان مصنفي المعاجم القديمة لم يكن عندهم هذه الوسيلة المهمة التي يُرجع اليها في معرفة أعيان المواليد . ولهذا كثيراً ما كانوا يحتارون في طريقة التعريف بتلك الأعيان ، فتارة يعرفونها بأسماء مترادفة كقولهم مثلاً ان الدُّراقِن هو الفِرْسِك ، والباذنجان الأُنب والمغد ، وطوراً يحلونها تحلية بسيطة ، او يكتفون بقولهم انها معروفة . ومن جملة ما لجأوا اليه تفسيرهم الواضح منها باسماء غامضة أعجمية معربة وهو ما أعنيه في هذا البحث . فالفيروزابادي مثلاً فسر كثيراً من اسماء النبات وغيرها باسماء اعجمية فقال في القاموس : الحبق هو الفُوتَنج ، وحبق الراعي البَرَنجاسِف ، والبندق الجِلَوز ، والشَّمار الرازيانج ، والفصفصة الإِسْبَسْت ، والزبل السرقين والسرجين ، وَحَسُّ الدابة فرجنتها ، والمِحسة الفِرْجَوْن الخ . والناس يعرفون اليوم الحبق والبندق والشمار والفصفصة والزبل والمحسة ، ويجهلون الأسماء الأعجمية المقابلة لها .

فتفسير كلمات معلومة واضحة بكلمات مجهولة غامضة امر غير محمود .

سادساً — كثرة الأغلاط العلمية : من العبث ذكر الأغلاط العلميـة والخرافات المضحكة التي يصادفها الإنسان في المعاجم وفي كتب المفردات وكتب الزراعة والطب القديمة . وهي في المعاجم اقل منها في الكتب الأخرى ، لأن أعيان المواليد تعرَّف في المعاجم تعريفاً مقتضباً ، اما في كتب النبات والحيوان والزراعة والطب فالمؤلفون يحتاجون الى الشرح ، ولذلك نجدهم يخبطون في كثير من الموضوعات خبط عشواء .

فمن الأمثلة على الأغلاط العلمية في المعاجم قولهم ان الدُّلب (ويسمى الصنار) لا نَور له ولا ثمر ، وقولهم « المخصص ج ١١ ص ١٥٧ » ان القُرَّاص له ثمرة

كالبنادق ، ولكن لا نَور له ولا حب ، وقولهم ان الأَسل لا ورق له (على حين ان لبعض انواعه ورقاً صغاراً) ، وقولهم ان نبات البردي كنبات النخلة الا أنها لا تطول ، وقولهم ان العفص شجر يحمل مرة بلوطاً ومرة عفصاً (المخصص ١١ ص ٢١٤) الخ . وجميع ذلك فيه نظر . .

سابعاً — تبدل مدلول الأسماء : كثير من اسماء النبات تبدل اليوم مدلولها ، فكانت في القديم تطلق على نباتات معروفة ، وأصبحت اليوم تطلق على نباتات اخرى . وخلوّ المعاجم القديمة من ذكر الاصطلاح الحديث نقص كبير فيها . وهاكم بعض الأمثلة على ذلك :

الاسم العربي	الاسم العربي أوالفرنسي لمدلوله في المعاجم	الاسم الفرنسي لمدلوله في الاصطلاح الحديث
البَلَسان	Balsamier	Sureau
القَيْقَب	الأَزادَرَخت اي Azédarach	Erable
السَّلْجَم	اللفت اي Navet	Colza
الزَّنْبَق	دهن الياسمين ودهن الظَّيَّان ودهن الجُلّ	Lis
الشَّيْلَم	الزُوان اي Ivraie	Seigle
الكِشْمِش	(عنب لا نوى له) ?	Groseiller
الزَّيزَفون	الخلاف اي Elaeagnus في الشام	Tilleul
الفُلّ	(نبات مجهول تحليته غير تحلية الفل المعروف)	Jasmin sambac

الخ .

ثامناً — اسماء عامية يفيد إقرارها : أعرف كثيراً من النباتات والحشرات ليس لها في المعاجم القديمة اسماء عربية خاصة ، ولكنها تُعرف لدى الكافة باسماء عامية قديمة أو حديثة ، خفيفة على السمع ذاع استعمالها في بعض الأقطار العربية . فاسماء كهذه من المفيد أن تُدمج في عداد الألفاظ المقبولة . وفيما يلي بعضها :

الاسم العربي	الاسم العامي	الاسم العلمي	ملاحظات
بقة الزرع	السُّونة	Eurygaster integriceps	اشتهر لفظ السونة في الشام والعراق وايران
سَنْط فَرنِس	الفِتْنة، العَنبر	Acacia Farnesiana	
بلّوط البُرتقال	المَلُّول	Quercus lusitanica	الملول كلمة مشهورة في جميع جبال الشام
البلوط الأشعر	العِزْر	Quercus cerris	العزر كلمة مشهورة في جبال العلويين
عَرْعَر الشام	الدَّفْران	Juniperus communis	الدفران سريانية مشهورة في جبال الشام
العرعر • العرعر الكاذي	اللزّاب	Juniperus excelsa	اللزاب كلمة مشهورة في جبال الشام

الخ •

ولا جناح علينا اذا ما أقررنا استعمال مثل هذه الأسماء ، فالقدماء أضافوا الى معاجم اللغة العربية اسماء نباتات لم تعرفها العرب في جزيرتهم ، بل عرفوها في الشام والعراق وايران ومصر بعد الفتوحات ، كالسنديان تُطلق على نوع من البلوط ، وكالأبهل تطلق على الأرز وعلى نوع من العرعر ، وكالعرطنيثا والزعرور والبرسيم واللوطس والبندق والدراقن ومئات من أسماء المواليد المماثلة مما عربوه وأضافوه الى كتب اللغة •

تاسعًا — اسماء مواليد فيها تصحيف : كثير من الأقدمين كانوا يهملون التنقيط ، حتى اذا قام الذين جاءوا بعدهم بحصر المفردات في كتب اللغة ضلوا في بعض الكلم بين الباء والتاء والثاء ، وبين السين والشين ، وبين الصاد والضاد ، وبين العين والغين ، وبين الجيم والحاء والخاء ، وبين الفاء والقاف ، وبين الراء

والزاي ، وبين الطاء والظاء ، وضلوا أيضاً بين الحروف المتقاربة ، فكانت مغبة ذلك رسم عدد كبير من اسماء المواليد ، ولا سيما المعربة منها ، على أشكال شتى ، كالسماق مثلاً فمن اسمائه العَبْرَب والعَنْزَب والعتْرُب (ومن العجيب قول صاحب القاموس انها كلها بمعنى وليس فيها تصحيف) وكالشلجم والسلجم ، والجمجم والخمخم ، والنيلوفر والنينوفر والشِّبِت والشِبِث اخ .

اما رسم الأسماء المعربة على أشكال شتى فهو كثير . فقد قالوا المَرْزَجُوش والمرزنجوش ، والمردقوش ، والياسمين والياسمون ، والعَبَيْثُران ، والعبوثران ، والشُونيز والشينيز الخ .

واعتقد ان إهمال الشكل في القديم كان سبباً مهماً آل الى ورود الأحرف على حركات مختلفة في اسماء المواليد المعربة ، كقولهم الكرَنْب والكَرْنَب ، والسَّنْبِت والسَّنُوت ، والقُنَّب والقِنَب وأمثال ذلك كثير جداً . ولا أظن ان اختلاف النطق لدى القبائل العربية هو السبب الداعي الى اختلاف الحركات في أحرف الاسم الواحد ، لأن النباتات التي تدل عليها هذه الأسماء ليست منابتها جزيرة العرب .

الخلاصة : يتضح من هذا المقال الذي لم اخرج فيه عن أسماء المواليد ، ان معجمات العربية تشتمل على نواقص ومعايب كثيرة ، وانها لا تصلح لهذا الزمن . ومع ذلك من الانصاف القول بان علماء اللغة الذين صنفوا تلك المعجمات قد بذلوا جهداً كبيراً في تصنيفها ، وانه كان من الصعب عليهم ان يأتوا بأحسن منها في تلك الأيام الخوالي . فهم يستحقون كل شكر على عملهم المجيد . والمقصرون هم علماء العصور الأخيرة الذين جمدوا ولم يعملوا شيئاً في اصلاح المعاجم القديمة وفي جعلها تساير العلوم والفنون الحديثة وتتسع لها .

ولا شك انه من أشق الأمور تناول المعجمات القديمة بالتشذيب والتنقيح بغية جعلها تستقيم على ما نريده لها . وأهون من ذلك تصنيف معجم لغوي جديد

يشتمل على الضروري من ألفاظ المعاجم القديمة ، وعلى ما يستقر الرأي عليه من ألفاظ العلوم والفنون والمخترعات الحديثة . والمهم ان نعرّف جميعها تعريفاً علمياً صحيحاً ، اي على مقتضى المعاني في معارف هذه الأيام .

ومما لا غنى عنه أيضاً تصنيف معجم فرنسي عربي وآخر انكليزي عربي ، على ان يتضمن كل منهما أصح الألفاظ العربية المقابلة للكلم الأعجمية ، وأهم المصطلحات العربية المرجَّحة للعلوم والفنون والآداب والفلسفة .

ولا شك ان هذا العمل شاق لا يضطلع به الا مجمع لغوي . واعتقد انه ليس له إلا مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، اذا جدّ واجتهد وعرف كيف يستعين بوسائله وبجهود علماء اللغة والاختصاصيين بالعلوم الحديثة ومصطلحاتها .

مصطفى الشهابي

شعر ابن ابي حصينة

الأمير ابو الفتح الحسن [1] بن احمد بن عبد الجبار بن أبي حُصَيْنَة [2] السلمي المعري شاعر مكثر عاش بين سنتي ٣٨٨ — ٤٥٢ هـ ٠ وكان قويّ الصلة بالدولة « المرداسية » التي حكمت مدينة حلب ونواحيها في تلك الحقبة (٤١٤ — ٤٧٨) حَظِيّاً لديها ، كثير المدح لأمرائها ٠ وله أشعار وأخبار مفرقة في كثير من كتب الأدب والتاريخ (معجم الأدباء ج ٤ ص ٦٦ — ٧٥ ٠ فوات الوفيات ج ١ ص ١٢٢ — ١٢٣ ٠ تاريخ ابن الوردي حوادث سنتي ٤٤٩ و ٤٥٢ تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٠٥) وغيرها ٠

ومن أخباره أنه مدح مرةً نصر بن صالح بن مرداس بحلب فقال له : تَمَنَّ ، فقال : أتمنى أن اكون أميراً ، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء ويخاطب بالأمير ، ثم وهبه يوماً مكاناً بحلب قِبَلَ حمام الواساني فعمله داراً وزخرفها ونقش عليها :

دار بنيناها وعشنا بهـا في دعة من آل « مرداس »
قوم محوا بؤسي ولم يتركوا علي في الأيام من باس
قل لبني الدنيا : ألا هكذا فليفعل الناس مع الناس

ولما تكامل بناؤها عمل دعوة حضرها نصر بن صالح فلما قرأ الأبيات قال : يا أمير ، كم خسرت على بنائها ؟ قال : يا مولانا مالي علم ، هذا الرجل قد تولى عمارتها ٠ فسأل المعمار فقال : غرم عليها الفي دينار مصرية ، فأمر نصر باحضارها مع خلعة كريمة ، وبعد أيام حضر رجل من أراذل « المعرة » ينبز بالزقّوم ، فأمر نصر بجعله من أجناد « المعرة » فقال احمد بن محمد بن الزويدة المعري :

---

(١) سماه ابن عساكر وياقوت « الحسين » ٠ (٢) وردت كلمة « حصينة » مضمومة الحاء بالحركة في عدة مواضع من النسخة البغدادية ، ومفتوحة في النسخة الدمشقية ٠

أهل « المعرة » تحت أقبح خطة ... وبهم أناخ الخطب وهو جسيم
لم يكفه تأميره « ابن حصينة » ... حتى تجنَّد بعده « الزقوم »
يا قوم قد سئمت بذاك نفوسنا ... ياقوم! أين الترك؟ أين الروم؟!

فاشتهرت الأبيات وسمعها الأمير ابو الفتح ، فاقتحم باب ابن الزويدة ، ففتح له وقال : الآن والله كان عندي « الزقوم » وقال : والله ما بي من الهجو ما بي من كونك قرنت اسمي بابن حصينة ؛ فقال ابو الفتح قبَّحك الله . وهذا هجو ثانٍ .

ومن شعر ابي الفتح :

بكت عليَّ غداة البين حين رأت ... دمعي يفيض وحالي حال مبهوت
فدمعتي ذَوْبُ ياقوت على ذهب ... ودمعها ذَوْبُ دُرٍّ فوق ياقوت

وقوله : أشرُّ من فاقة الزمان ... مقام حُرٍّ على هوان
فاسترزق الله واستعنه ... فانه خير مستعان
وان نبا منزل بحُرٍّ ... فمن مكان الى مكان

وقوله : اذا المرء لم يرض ما أمكنه ... ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره ... سيضحك يوماً ويبكي سنه

وقد جمع بعض شعره في حياته مواطنه ومعاصره ابو العلاء المعري ، في ثلاث مجلدات وشرح بعضه ، وتوفي ابو العلاء قبله بثلاث سنوات فرثاه بقصيدة ذكر منها ابن الوردي وياقوت ١٦ بيتاً ، مطلعها :

العلم بعد ابي العلاء مضيع ... والأرض خالية الجوانب بلقع

ومنها : رفض الحياة ومات قبل مماته ... متطوّعا بأمَرّ ما يتطوع
عين تسهّد للعفاف وللتقى ... أبداً وقلب للمهيمن يخشع

وعلق عليها ابن الوردي بقوله : فانظر الى ما رثاه به هذا الرجل ووصفه من تقاه ورفضه للحياة وتطوعه ، وهو أعلم به من الأجانب . ويقول ابن الوردي أيضاً عن شعر ابي الفتح : (ج ١ ص ٣٦٦) : ولولا التطويل لذكرت من

شعر ابي الفتح كثيراً ؛ فانه السهل الممتنع ، سلس القياد ، عذب الألفاظ ، حسن السبك ، لطيف المقاصد ، عريٌّ عن الحشو . اه

وقد اطلعت على مجموعتين من شعره ، احداهما في مكتبة «المجمع العلمي العربي» بدمشق ، والثانية في مكتبة دار الآثار ببغداد ، فأما نسخة المجمع فقد نقلت بالتصوير عن نسخة في مكتبة «الاسكوريال» في اسبانية ، وتقع في (١٧٣ لوحة) عن (٢٤٣ صفحة بقطع الثمن ، كل صفحة تحوي ١٢ سطرا) والكتابة نسخية جميلة ، مشكلة الحروف . وأول هذه النسخة :

فالراجح اللبّ يأبى أنْ يحمّله وزْراً هوى رَجّح الأكفال في الأُزُرِ

وآخرها — بعد انتهاء قصيدة — :

سقيت الحيا أيها المنزلُ وجادتك أنواؤه الهطّلُ

(آخر الجزء الأول من شعر ابي الفتح بن أبي حصينة السلمي ، ويتلوه في الجزء الثاني أرجوزة في هذا الممدوح أيضاً أنشده اياها بديهاً ، وقد شرب على فيض شاذروان ، أولها :

لله يوم مُؤذِنٍ بسعده عند فتى أمسى نسيج وحدِهِ

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما هـ) .

وليس في هذه النسخة ما يدل على اسم جامع هذا الشعر . وقد يفهم من كلمةٍ وردت في (لوحة ١٣٤) أنه جمع في حياة الناظم وتلك الكلمة هي (وقال أيضاً : وعرّضتُ برجل اغتابني بحضرته) ثم أورد قصيدة .

أما تاريخ كتابة هذه النسخة فغير مذكور فيها ، ولكنه سابق لعام ٧٨٧ حيث يوجد في هامش آخر صفحة منها كتابة لأحد مطالعيها مؤرخة في ذلك العام وفي ١١ شهر ذي القعدة منه . وكتابات أخر بعد هذا التاريخ .

ونقص النسخة من أولها يسير قد لا يتجاوز مقدمة الديوان ، وستة أبيات من أول القصيدة الرائية التي مطلعها :

هل بعد شيبك من عذر لمعتذر فازجر عن الغي قلباً غير منزجر

ويحوي هذا المجموع من شعر ابي الفتح ١١٥ قصيدة ومقطوعة ، كلها في مدح الأمير ثمال بن صالح بن مرداس ، الذي حكم مدينة حلب في فترتين من الزمن (٤٣٣ — ٤٤٩ و٤٥٣ — ٤٥٤ هـ) وآخر قصيدة مدحه بها مما هو في هذه النسخة نظمها في سنة ٤٤٩ (انظر لوحة ١٣٣) . ولأبي الفتح أشعار كثيرة في المدح والرثاء وغيرهما من فنون الشعر ، لا توجد في هذه النسخة التي هي أوفى ما اطلعت عليه من شعر هذا الشاعر .

أما النسخة الثانية فهي وان كانت أقل شعراً ، وأحدث خطاً ، إلا أنها أعظم قيمة ، وأعم فائدة ، إذ هي أثر جليل من آثار حكيم «المعرة» وفيلسوفها ابي العلاء . ومن الغريب ان جميع من كتبوا عن ابي العلاء وتعرضوا لذكر مؤلفاته من متقدمي الباحثين ومتأخريهم — ممن اطلعت على كتاباتهم — لم يتعرضوا لذكر هذا الأثر ، سوى ابن العديم ، فقد أشار اليه في كتابه عن المعري بقوله (ص ٥٤١ تعريف القدماء بأبي العلاء) : وجمع شعر الأمير ابي الفتح بن ابي حصينة السلمي ، وشرح مواضع منه في ثلاث مجلدات .

وقد ابقت لنا يد الحدثان مما جمعه ابو العلاء وشرحه من شعر ابي الفتح قسماً صالحاً ، سأتحف من قراء «مجلة المجمع العلمي» مَن يرى منهم الإخبارَ بهذا الأثر «العلائي» مُتحفاً .

في ثبت المخطوطات التي أهداها الآباء الكرمليون لخزانة الآثار العراقية ، والتي تبلغ ٣٣٥ مخطوطاً ، كتاب رقمه (١٢٦١) واسمه (ديوان ابن ابي حصينة) . يقع في مجلدة لطيفة الحجم ، قليلة الورق (صفحاتها ٢٠٠ قياس الصفحة ١٥ × ١٠ س . م . والمكتوب فيه ١٣ × ٨½ س . م . وعدد السطور مختلف ٢٤ — ٢٠ سطراً ، والخط من نوع الرقعة ، بقلم دقيق ، وبعض الحروف مشكل بالحركات) .

كتب في الصفحة الأولى من تلك المجلدة (النصف الأول من ديوان الأمير الجليل ابو الفتح (كذا) الحسن بن عبد الله بن احمد بن ابي حُصينة السلمي) ثم كلمات اخر تتعلق بمحتويات المجلدة بغير خط الكاتب الأصلي · وفي الصفحة الثانية (بسم الله الرحمن الرحيم · قال الشيخ الأجل الأوحد ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي رحمه الله : الدهر مديد طويل ، يجوز أن يحدث في آخره كما حدث في أوله ، لأن الله سبحانه قدير على الممتنعات ، كلما حكم به فهو آت ، تقدست أسماؤه ، وجلت نعماؤه ، ولا يمنع أن ينشى (كذا) في هذا العصر من الشعراء من هو لاحق بالمتقدمين · وشبيه من سلف من الفحول الأولين · وكان مولاي الأمير الجليل ابو الفتح الحسن بن عبد الله بن ابي حُصينة سألني ان اسمع شعره ، فقرئ علي ما أنشأه من انواع القريض ، فوجدت لفظه غير مريض ، ومعانيه صحاح مخترعة ، واغراضه بعيدة مبتدعة ، وهو وان كان متأخراً في الزمان ، فكأنه من فرط في عهد النعمان ، ومن سمع كلامه علم انه لم يغر شهادة ، ولا حرم في ابداع الكلم سيادة ، والحمد لله الذي خص بمدائحه السيد الأجل ، تاج الأمراء ، فخر الملك ، أعز الله نصره ، وأعلى ذكره ، وقد جمع الله الألسن على مدائحه ، كل لسان يبلغ مجهود الانسان ، فعيي يقدر على كلام قليل ، وبليغ يصل الى المقام الجليل ، وثالث يقتصر على النية ، ويأمل بها بلوغ الأمنية ، وما زالت العرب في قديم الزمان تفتخر بالشعر وتجلّه ، ويعظمه مكثر الحيّ ومقلّه ، وانما عرضت الملوك أموالها للأعطية راغبة في ثناء باق ، واستعباد من لا يجنح الى الاباق ، ويتفق في الزمان الواحد شعراء كثيرة (كذا) لا يحمد منهم إلا قول الرجل او الرجلين · وقد كان علي بن عبد الله بن حمدان اقام سوقاً للشعراء ، وتفرد بتقريبهم دون (ص ٢ :) الأمراء ، فرحل اليه قريبهم والبعيد ، والتمس عنده النوال الرغيب لا الزهيد ، فما اشتهر منهم إلا نفر قليل ، منهم احمد بن الحسين المتنبي ، واحمد بن محمد النامي ، والحارث بن سعيد

المعروف بابي فراس ، ورجل يعرف بابن كاتب المكثمري ، وهو أقلهم حظاً في مسير القصيد . ولما كان السيد الأجل تاج الأمراء ، فخر الملك ، مبرّزاً في الفهم ، خالص الغريزة من التهم ، يعرف عقود الكلام معرفة الصيرفي ، قيّض الله سبحانه له من يشفي الغلة ، ويخلص مدى الدهر من الخلة ، فحديثه يعبر على الدهور ، والى أن يؤذن بنفخ الصور . وقد قال القائل :

يموت رديء الشعر من قبل أهله وجيده حيّ وان مات قائله

قال الأمير الجليل ابو الفتح الحسن بن عبد الله بن احمد بن ابي حُصينة السلمي ، أيد الله عزّه ، يمدح الأمير الأجل تاج الأمراء ، فخر الملك ، سيف الخلافة وعضدها ، شرف المعالي ، بهاء الدولة العلوية ، وزعيم جيوشها المستنصرية ، علم الدين ، ذا الفخرين ، مصطفى امير المؤمنين ، ابا العلوان ، ثمال بن الأمير الأجل أسد الدولة ، ومقدمها وناصحها ، ابي علي صالح بن مرداس السلمي رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه -- وأنشدت بالرافقة سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة :

هل بعد شيبك من عذر لمعتذر فازجر عن الغيّ قلباً غير منزجر)

ثم قصائد يبلغ عددها ٦٢ تزيد بيوتها على (سبعماية والف بيت) منها القصيدة التي تبلغ ٦٨ بيتاً والنتفة التي لا تزيد على سبعة أبيات ، وكل هذه القصائد موجودة في نسخة «المجمع العلمي» ولكن النسخة البغدادية تمتاز بطول بعض مقدمات القصائد ، ففي نسخه المجمع (لوحة ٣٢) : وقال يمدحه أيضاً في جواب قصيدة جاءته من بغداد . وفي النسخة البغدادية (ص ٣٩) : وقال يمدحه وقد وصلت الى حضرته السامية من بغداد قصيدة احمد بن طاهر بن احمد صاحب دار العلم بها ، رضي الله عنه ، يمدحه بها ، ويتوسل به (كذا) اليه فعمل هذه القصيدة وأنشدها يوم مجلس سلامه بالثغر المحروس وذلك في شعبان سنة ٤٣٧

وقد تختلف النسختان في تاريخ بعض القصائد (انظر لوحة ٧٦ من نسخة المجمع ، وص ٨٥ من النسخة البغدادية) وفي النسخة البغدادية قصيدتان هذا نص

مقدمتيها — ص ٨٢ (وقال يمدحه وأنشدها في يوم طهور[1] ولد أخيه الأمير الأجل عز الدولة وشمسها ، ابي سلامة ، محمود بن الأمير الأجل ، خاصة الأمراء ، شمس الدولة ، ذي العزيمتين ، ابي كامل ، نصر ابن الأمير الأجل شهاب الدولة ابي طاعن صالح ، وذلك بظاهر حلب سنة خمس وأربعين وأربعمائة :

خير الأحاديث ما يبقى على الحقب وخير مالك ما داري عن الحسب)

و ص ٨٥ (وقال يمدحه وهذه القصيدة عملها على لسانه [رحمها[2] الله تعالى] يعاتب اليمن وذلك في سنة خمس واربعين واربعمائة :

ما قُدّم البغيُ إلا أخّر الرشَدُ والناس يلقون عقبى كلما اعتقدوا)

ومن ذكر تاريخ نظم هاتين القصيدتين ، يظهر أن جمع ابي العلاء لهذا الشعر وشرحه له ، هو من آخر مؤلفاته ، وفي السنوات الأربع الأخيرة من عمره [توفي سنة ٤٤٩] . ويعزز هذا الرأي أن ابن العديم عَدَّ هذا الشرح آخر ما عَدّ من مؤلفات أبي العلاء ، ويعززه أيضاً ما جاء في مقدمة الديوان من أوصاف ثمال بن صالح ، أوصافاً تدل على أنه كان في عهد كتابة تلك المقدمة أميراً .

وآخر هذا القسم من المجموعة في ص١٠٢ (بعد نهاية القصيدة الدالية التي مطلعها :

كم تكثران العذل والتفنيدا أفتحسبان المستهام رشيدا

وآخرها :

يبلى الزمان ولا يزال حديثها حتى تزول الراسيات جديدا

(تم النصف الأول من ديوان الأمير ابو الفتح (كذا) الحسن بن عبد الله ابن احمد بن أبي حُصينة السلمي (ووافق الفراغ من نساخته في فجر يوم السبت المبارك الخامس عشر من شهر رجب الفرد من شهور سنة اربع وخمسين والف ، على يد الفقير الى عفو الجليل ، الخليل بن خليفة العزيز . سامحه الله تعالى يتلوه

(١) طهور تستعمل في نجد بمعنى « ختان » .

(٢) كلمة [رحمها الله تعالى] من زيادة النساخ .

في الجزء الثاني ان شاء الله تعالى وقال أيضاً يمدحه وهذه القصيدة عملها ردًّا على الأمير ابي الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس شاعر أمير الجيوش الدزبري في قصيدته التي يمدحه بها، ويذكر مقتل شبل الدولة حيث يقول فيها :

ودع الأُلى مرقوا فإن بعادهم   عن ذا الجناب لهم عقاب مؤلم

أولاد «مرداس» لسيفك طعمة   في كل ارض أنجدوا او أتهموا

فقال ابن أبي حصينة مجيباً له، وذلك في سنة احدى واربعين واربعمائة :

مالي وللفصحاء لا تتكلم   كثر الجمان فما له لا ينظم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين الطيبين الطاهرين) .

وفي هذا القسم من المجلد خرم . سقط منه ورقة واحدة بين صفحتي ١٠٠ و ١٠١ لم يتنبه له مرقم الصفحات إذ آخر صفحة ١٠٠ هو بيت :

يُرجى كما ترجى الغمامة عفوه   ويخشى كما يخشى الغمام انتقامه

وأول صفحة ١٠١ هو بيت :

حتى اظن الناس أن لكفه   إحنًا على امواله وحقودا

وفي ص ١٠٣ من هذه المجموعة (شرح ديوان بن حصينة (كذا) للعلامة أحمد بن سليمان الشهير بابي العلاء المعري سامحه الله تعالى والمسلمين) ثم في ص ١٠٤ (بسم الله الرحمن الرحيم : قال الشيخ الأجل الأوحد أبو العلاء احمد بن عبد الله ابن سليمان التنوخي المعري رحمه الله في شرح القصيدة التي أولها :

هل بعد شيبك من عذر لمعتذر   فازجر عن الغي قلباً غير منزجر

قوله : ما البيض : يجوز فيه الرفع والنصب، أما النصب فعلى ان يجعل مفعولاً معه، والرفع أجود وهذا البيت ينشد على وجهين . قال الشاعر :

فما أنا وال . . .[1] في متلف   يطيح بالذكر الضابط

---

(١) مكان النقط كلمة غير واضحة، وكل البيت مضطرب مبهم المعنى .

وقوله : عن وجد يخامره ؛ اي يخالطه ، وأصل ذلك من خمرة اللبن ، وأصل المخامرة ان تكون بين شيئين يطيب كل واحد منهما الآخر ما يصيبه منه ، فأما قولهم مخامر ، في معنى مداج فانما يريدون به كالذي يستتر بالخمر وهو ما واراك من شي (كذا ولعله : شجر) . قوله : بشعب تعار : الشعب الطريق في الجبل ، وتعار اسم جبل وهي تؤنث ، قال الشاعر :

أقفرت من سروب قومي تعار فأرومٌ فشابة فالديار

والضال وهو غير مهموز ما ينبت من السدر على غير شط نهر . فان كان على الماء فهو عبريّ ، وأصل الأعشار من قولهم : قدر اعشار ، اذا كانت مكسرة قد تشعبت ، وهو من جنس قولهم : حَبْل أرماث وارمام . وأما قول الأعشى أو امرء القيس : في اعشار قلب مقتل ؛ فقد قيل فيه قولان : أحدهما أن يكون من أعشار القدر ، أي قلبه قد تقطع فكأنه أعشار قدر . والآخر ان يكون من أعشار الجزور وهي الأنصباء التي يضرب عليها بالقداح . والمرخ شجر كثير النار ، من قولهم اقدح بمرخ أو عفار ثم اشدد يديك أو ارخ . وأصل الحج القصد ، يقال حج القوم الرجل ، اذا اكثر التردد اليه ، قال الراجز يصف فرساً بقوله : [ص ١٠٥]

ظل يحج وظللنا نحجبه وظل يرمي بالحصى يترّبه

وأصل الاعتمار الزيارة . وشرخ الشباب أوله ، ويقال شرخ وشخر على القلب ، قال حسان :

ان شرخ الشباب والشعَر الأسـ ود ما لم يعاص كان جنونا

ويقال رجل شارخ وقوم شرخ ، مثل ما يقال : تاجر وتجر ، وصاحب وصحب . والسمادعة جمع سميدع ، وهذه الهاء تدخل للمبالغة فيقال الصياقلة والطيالسة . والشم (كذا) اذا وصف به القوم أريد به التنزه عن الدنايا ، والشمم في الأنف إشراف في القصبة ، وورود في الأرنبة قال كثير :

أناس ينال الماء قبل شفاههم لهم واردات العرض شم الأرانب

ويجوز : ولا عجب ولا عجباً ؛ فان نصبت فعلى المصدر ، وان رفعت جعلت ((لا)) بمعنى ((ليس)) ومن شرح القصيدة التي أولها :

لأية حال حكموا فيك فاشتطوا وما ذاك إلا حين عممك الوخط)

وآخر هذا الشرح في ص ١٨٦ (وقولهم : خُذ؛ من الشواذ ، والأصل فيه : أوخذ فجاءت على حرفين ، كما قالوا : كل والأصل : أكل (كذا) . ويقال سعد الرجل يسعد فهو سعيد ، ولم يجاوز ذلك كما قالوا راحم ورحيم . وانما منعهم ان يقولوا : ساعد ، في معنى سعيد ، انه غير متعد ؛ فأشبه ((فعل)) الذي يجيء اسم فاعله على ((فعيل)) مثل : كرم فهو كريم ، وظرف فهو ظريف ، ويقال : أسعده الله ، وكان القياس ان يقولوا : فهو مسعد ، فاقتصروا على قولهم : فهو مسعود ؛ كأنهم بنوه على سعد . وحكى قوم : سعده الله وأسعده . انتهى شرح ديوان ابن أبي حصينة بحمد الله وحسن توفيقه . وكان الفراغ من نساخته في شروق يوم السبت المبارك ، سادس شعبان المكرم من شهور سنة أربع وخمسين والف هجرية ، وذلك على يد الفقير الى عفو الملك الجليل ، الخليل ابن خليفة العزيز المكي الرومي الحنفي ، عامله الله بلطفه الخفي والمسلمين) .

ويقع هذا الشرح في ٨٣ صفحة من هذه المجموعة ، وقد سقط منه ورقة واحدة بين صفحتي ١٤٢ — ١٤٣ غفل عنها المرقم ، أو تغافل .

ويحتوي هذا الشرح على ايضاح الكلمات الغريبة من شرح ابي الفتح الموجود في هذه المجموعة فقط . ثم باقي المجموعة من ص ١٨٧ الى ١٩٤ صفحات بيض تركها الكاتب بعد أن كتب في أولها كلمة (ترجمة ابن ابي حصينة) وكأنه أراد أن يكتب فيها ترجمة المذكور ، فنسي ، أو لم يعثر له على ترجمة فتركها خالية .

ثم من ص ١٩٤ ـ الى ـ ٢٠٠ : ترجمة ابي العلاء المعري ، ليس فيها اسم جامعها ، ولعلها من صنيع الكاتب وفيها نقول من تاريخ « قاضي القضاة » ومن تاريخ « ابن خلكان » ـ كذا فرق بينهما الكاتب ـ ومن تاريخ « الاسنوي » ومن كلام « ابن الجوزي » وآخر ما جاء في صفحة ٢٠٠ من هذه الترجمة :

« وقد ذكر له بعض الفضلاء حكايات غريبة في الذكاء ، خوارق للعقل قد تفرد بها ، وكذلك الحفظ لكل ما سمعه ، ووقفت قديمًا على مؤلف ألفه بعض الفضلاء وذكر فيه من أموره عجائب وغرائب ، وقد ذكرت في تذكرتي المعروفة بالعا ... [1])

وفي عقب هذه الصفحة « شيء من ذلك » وهو آخر كلمة في المجموعة . وثَمّ نقصٌ ، والله أعلم به .

(الظهران) حمد الجاسر



(١) كلمة أخفاها أثر التجليد فلم يظهر منها الا حرف « ال » .

ابو الفتح بن جني

عصره — مكانته العلمية — آثاره

عصره :

ليس شك في ان القرنين الثاني والثالث الهجريين كانا أزهر عصور الاسلام تأليفاً في العربية وعلومها وبحثاً في قواعدها وآدابها فقد نبغ فيهما جماعة من كبار المؤلفين مثل عيسى بن عمر الثقفي (— ١٤٩ [١]) وابي عمرو بن العلاء (— ١٥٩ [٢]) والخليل بن احمد الفراهيدي (— ١٧٥ [٣]) والفراء ابي زكريا يحيى (— ٢٠٧ [٤]) الذي قال عنه ثعلب : لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولاه لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب . ومثل ابي عبيدة معمر بن المثنى (— ٢٠٩ [٥]) وابي زيد الانصاري (— ٢١٤ [٦]) الذي كان سيبويه اذا قال سمعت الثقة فقد عناه . ومثل ابي عمر صالح الجرمي (— ٢٢٥ [٧]) وابن الاعرابي محمد بن زياد (— ٢٣٠ [٨]) والمازني ابي عثمان (— ٢٤٧ [٩]) والمبرد محمد بن يزيد (— ٢٨٥ [١٠]) وغيرهم ..

هؤلاء نفر من أعلام المؤلفين في القرنين الثاني والثالث يبينون لنا أية درجة رفيعة وصلت اليها العربية وعلومها ، ولكن ما أصيب به هذان القرنان

---

(١) ابن خلكان مطبعة الميمنية ١/٣٩٣ .
(٢) ابن خلكان مطبعة الميمنية ١/٣٨٧ .
(٣) » » » » ١/١٧٤ .
(٤) نزهة الالباء للانباري : ١٢٧ .
(٥) » » » » ٢/١٠٥ .
(٦) » » : ١٧٣ .
(٧) » » » » ١/٢٢٨ .
(٨) ابن خلكان ١/٤٩٢ .
(٩) » » » » ١/٩٢ .
(١٠) » » ١/٤٩٥ .

من ضياع الآثار والمؤلفات واندماجها فيما ألف بعدها يهوّن من شأنها اذا قيسا الى القرن الرابع الذي جمع الى سعة البحث وعمق التفكير ونضج العقل العلمي تأليفاً كثيراً قيماً موجوداً ؛ ففي هذا العصر نبغ الزجاج ابرهيم بن محمد بن السري ابو اسحق (— ٣١١) استاذ ابي علي الفارسي ، الذي قال عنه ابن الانباري : إنه من أكابر أهل العربية ، صنف مصنفات كثيرة وكان صاحب اختيار في النحو والعروض ومن كتبه التي كان لها صدى بعيد وأثر عميق فيما الف بعده من موضوعه ، كتاب المعاني في القرآن ، والمذكر والمؤنث ، وفعلت وأفعلت ، والرد على فصيح ثعلب ، والأمالي والاشتقاق ، وما ينصرف وما لا ينصرف ، وشرح أبيات سيبويه [1] . وممن نبغ في هذا العصر ابن السراج ابو بكر محمد ابن السري (— ٣١٦) تلميذ المبرد وأستاذ ابي سعيد السيرافي وابي علي الفارسي وابي الحسن الرماني والزجاجي . وهو صاحب المؤلفات القيمة ومنها كتاب الأصول في النحو وهو الكتاب الذي يقول عنه ابن خلكان من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن واليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه . وكتاب جمل الأصول ، وكتاب الاشتقاق ، وشرح الكتاب لسيبويه [2] . ويقول ابن الأنباري انه أخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب وكان ثقة [3] .

وفي هذا العصر أيضاً نبغ ابو بكر محمد بن احمد بن منصور الخياط السمرقندي (— ٣٢٠) استاذ ابي علي الفارسي والزجاجي . وقد جرت بينه وبين الزجاج مناظرة مشهورة وكان هذا ممن يخلط المذهبين الكوفي والبصري ، وقد ذكره أبو علي الفارسي في الرسالة التي كتبها الى سيف الدولة رداً على ابن خالويه ، وفيها يقول : « وأما قوله اني قلت إن ابن الخياط لا يعرف شيئاً فغلط في الحكاية ، كيف أستجيز ذلك وقد كلمت ابن الخياط في مجالس كثيرة ، ولكني قلت

---

(١) نزهة الألباء ٣٠٨ وابن خلكان ١١/١ وتاريخ آداب اللغة لزيدان ١٨١/٢ .
(٢) ابن خلكان ٣٠٥/١ . (٣) النزهة : ٣١٤ ومعجم الأدباء ١٠/٧

إنه لا لقاء له لأنه دخل بغداد بعد موت محمد بن يزيد (المبرد) ، وصادف احمد بن يحيى ـ ثعلباً ـ وقد صم صمماً شديداً لا يخرق الكلام سمعه ، فلم يمكن تعلم النحو منه ، وإنما كان يقوله فيما يؤخذ عنه على ما عليه دون ما كان يقرأ عليه ، وهذا أمر لا ينكره أهل هـذا الشأن ومن يعرفهم [١] » وللخياط من المؤلفات : معاني القرآن ، وكتاب النحو الكبير ، والموجز ، والمقنع في النحو [٢] ، ولم يبق من آثاره شيء فيما أعرف .

ومن رجال هذا العصر ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري (ـ ٣٢٧) الذي كان يقول احفظ ثلاثة عشر صندوقاً ، وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن باسانيدها ، وله تصانيف كثيرة في اللغة والأدب والعربية [٣] وكان من أعلم الناس في علم الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة [٤] .

ومن رجال هذا العصر أيضاً الزجاجي ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (ـ ٣٣٩) وقد أخذ عن استاذه الزجاج ونسب اليه ، وعلي بن سليمان الاخفش وابن السراج وابن دريد [٥] ، ومن آثاره الباقية كتاب الجمل وهو أعظم مؤلفاته وأكثرها انتشاراً ، وكتاب الأمالي وكتاب الزاهر [٦] .

ومن رجال هذا العصر المشهورين أبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وعلي ابن عيسى الرماني وسندرسهم فيما بعد درساً مفصلاً ، أما المغمورون في أيامنا هذه ممن كانوا مشهورين في ذلك العصر ولهم فيه تأثير كبير فنذكر منهم : علي بن طلحة بن كرد ابن النحوي (ـ ٤٢٤) الذي يقول عنه

---

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ٢٨٣/٦ وما بعدها . ويذكر الزبيدي في طبقات النحاة ابن الخياط أخذاً عن المبرد وانتقل عن ثعلب .

(٢) انظر معجم الأدباء ٢٨٣/٦ والنزهة : ٣١٢

(٣) ابن خلكان ٥٠٣/١ وجرجي زيدان ١٨٢/٢ .

(٤) النزهة : ٣٣٠ .

(٥) النزهة : ٣٧٩ وابن خلكان ٢٧٨/٢ .

(٦) انظر تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان ١٨٣/٢ .

الحافظ السِلَفي : صحب الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وقرأ عليهما كتاب سيبويه ، والواسطيون يفضلونه على ابن جني وعلي بن عيسى الربعي . وصنف كثيراً ومن كتبه كتاب اعراب القرآن في خمسة عشر مجلداً غسله قبل موته لتصوفه [١]

ومنهم احمد بن بكر العبدي أبو طالب (— ٤٠٦) أخذ العربية عن السيرافي والفارسي والرماني ونبغ فيها وألف كتاب شرح الايضاح [٢] .

ومنهم علي بن عبيد الله الدقاق ابو القاسم الدقيقي (— ٤١٥) وكان أحد الأئمة في هذا الشأن أخذ عن الثلاثة : الفارسي والسيرافي والرماني ، وكان مباركا في التعليم وله شرح الايضاح ، وشرح كتاب الجرمي وكتـاب العروض ، وكتاب المقدمات [٣] .

ومنهم علي بن عبيد الله السمسمي أو السمسماني ابو الحسن (— ٤١٥) أخذ عن السيرافي والفارسي وكان جيد المعرفة بالعربية ، صحيح الخطّ ، غاية في اتقان الضبط [٤] .

ومنهم ابو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي الموصلي (— ٤١٧) أخذ عن السيرافي والفارسي ، كان عارفاً باللغة والأدب والأخبار دخل الأندلس واتصل بالمنصور بن ابي عامر فأكرمه واستوزره [٥] .

ومنهم عبيدالله بن جرو الاسدي المعتزلي (— ٣٨٧) اخذ عن الفارسي والسيرافي وكان ذكياً بارعاً قدمه أستاذه ابو سعيد السيرافي ليكون اماماً لعضد الدولة [٦] .

ومنهم محمد بن جعفر بن محمد الهمذاني المراغي (— ٣٧١) أستاذ بختيار بن معز الدولة ، ألف الاستدراك لما أغفله الخليل ، والبهجة على نمط كامل المبرد .

---

(١) ياقوت معجم الأدباء ٥/٢٢٦ .
(٢) ياقوت معجم الأدباء ١/٣٨١
(٣) » » » ٥/٢٧١ .
(٤) » » » ٥/٢٧١
(٥) » » » ٤/٢٦٦ .
(٦) » » » ٥/٤

وقال ابو حيان التوحيدي : كان قدوة في النحو والأدب مع حداثة سنه ولم أر مثله[1] ...

هؤلاء نفر من الأئمة كان لهم ذكر بعيد في ذلك القرن ولكنهم أضحوا مغمورين جداً في عصرنا على الرغم من آثارهم الكثيرة ؛ هذه الكثرة العظيمة من النحاة واللغويين تبين لنا خصب العصر من الوجهة اللغوية كما تبين لنا غنى البيئة التي عاش فيها مؤلفنا ابو الفتح بن جني ولا شك في انه قد استفاد منها كثيراً وتعلم فيها وناقش رجالها كما سنرى فيما بعد .

ثم انه من الجدير بنا أن نلاحظ أن كثرة هؤلاء العلماء كانوا يعتنقون مذهب الاعتزال عقيدة حتى أن القدماء قد لاحظوا ذلك فتحدثوا في كتب الطبقات عن طبقات من النحويين المعتزلة ، ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن علي أبي بكر الميموني الزرندي النحوي ان أبا الفتح منصور بن المعذر النحوي ذكر في كتابه جماعة من المعتزلين النحويين فذكر السيرافي والفارسي والرماني وابا بكر الميموني وغيرهم[2] . وقال في ترجمة ابي الحسن البوراني أن محمد بن اسحق ذكره في نحاة المعتزلة ، وأنه من طبقة ابي علي الفارسي .

وفي رأينا أن هذه الظاهرة ترينا ارتباط النحو والنحاة بالحرية الفكرية التي يميل اليها المعتزلة في بحوثهم ، ولا يضعف هذا ما حفظه لنا المؤرخون من حملة ابي سعيد السيرافي على المنطق وأصحابه في مناظرته الشهيرة مع متى المنطقي فإن هذه الحملة ، على الرغم من مبالغة راويها ابي حيان التوحيدي[3] في تضعيف قول متى ، لترينا اهتمام النحاة بالمنطق اهتماماً جعل مثل متى يذهب هذا المذهب ويغالي في تفضيل العلم اليوناني والمنطق اليوناني على النحو العربي والأسلوب العربي مغالاة

---

(١) ياقوت معجم الأدباء ٦/٣٢٥ . وبغية الوعاة ص ٢٨ .

(٢) » » » ٢/٢٣٩ .

(٣) انظرها في الامتاع والمؤانسة ج ١/١٠٨ وما بعدها .

تجعل أبا سعيد يفرط في الحملة على المنطق مع أنه بلا شك موقن بفضل المنطق اليوناني والعلم اليوناني على عقله وعلمه ، والحق أن أبا سعيد أوتي لساناً بليغاً فغلب خصمه وأصيب متى بالفشل لركاكة لسانه وسوء اسلوبه ..

* * *

بعد هذا الذي ذكرناه عن النحاة عامة في هذا العصر وعن مخاهم التعليمي خاصة نريد أن نهتم بدراسة شخصيات ثلاث كان لها الأثر الكبير في نحاة هذا العصر أجمعين وفي ابن جني خاصةً وهم ابو سعيد السيرافي وابو علي الفارسي وابو الحسن الرماني وهم الذين رأينا اسمهم يتردد في ترجمة كل من ذكرنا من رجال هذا العصر وما ذلك إلا لخطير شأنهم وكثرة آثارهم ، وعمق تأثيرهم في غيرهم .

أبو سعيد السيرافي : هو الحسن بن بهزاد عبد الله المرزباني القاضي (— ٣٦٨) .

ولد بسيراف — على ساحل بحر فارس — حوالي سنة ٢٩٠ هـ وفيها ابتدأ بتحصيل العلم ثم خرج من بلده قبل العشرين وثلاثمائة فمضى الى عُمان وتفقه فيها على مذهب ابي حنيفه النعمان ثم رجع الى بلده [1] فأقام فيها قليلاً ثم رجع الى عسكر مكرم فأقام بها مدة قرأ فيها على محمد بن عمر الصيمري المتكلم وكان يفضله ويقدمه على جميع أصحابه ثم قدم بغداد فقرأ فيها على ابي بكر محمد بن علي مبرمان وابي بكر بن السراج كتاب سيبويه [2] ثم اتصل بالقاضي ابي محمد بن معروف قاضي قضاة بغداد فقرأ هذا عليه العربية ثم ولاه قضاء الجانب الشرقي نيابةً

---

(١) يذكر العلامة كرنكو في مقدمة أخبار النحويين للسيرافي في ص ٤ ان السيرافي قرأ في بلده على ابي ذكوان ، وعسل بن ذكوان وان ابا سعيد ذكر ذلك في آخر كتاب أخبار النحويين وقد رجعنا الى عبارة السيرافي فلم نجد فيها ما يفيد انه قرأ عليها وانما قال [وقد كان من نظرائه — أي المبرد — في عصره ممن قرأ كتاب سيبويه على المازني جماعة لم يكن لهم نباهة مثل ابي ذكوان ووقع الى سيراف في ايام الزنج .. وعسل بن ذكوان] وهذه العبارة لا تفيد ان السيرافي قرأ عليها بل لعلها تفيد العكس لأن السيرافي ولد في أواخر القرن الثالث وابو ذكوان وقع الى سيراف سنة ٢٥٧ ايام الزنج .

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٠٨ وياقوت ٨/١٤٥

ولما رأى طيب سمعته وأمانته ولاه قضاء الجانبين [١] . وفي بغداد اتصل ابوسعيد بابن دريد فقرأ كتبه ونشر مذهبه [٢] ، كما اتصل بابي بكر بن مجاهد فقرأ عليه القرآن ودرسا عليه جميعاً النحو . ويذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من شيوخه محمد بن ابي الأزهر البوشنجي (- ٣٢٥ [٣]) وعبد الله بن محمد بن زياد (- ٣٢٤) وقد عظمت مكانته في بغداد فالتف حوله علماؤها ومتأدبوها وتخرج به جمهرة كبرى من الناس وليس أدل على ذلك مما يحدث به عنه ابو حيان التوحيدي وتلميذه صديقه المعجب بأدبه وفضله ودينه وخلقه .

قال ابو حيان : قال لي الوزير أين أبو سعيد من أبي علي ؟ وأين علي بن عيسى منهما ؟ وأين ابن المراغي من الجماعة ، وكذلك المزرباني ... فكان من الجواب : ابو سعيد أجمع لشمل العلم وأنظم لمذاهب العرب وأدخل في كل باب وأخرج من كل طريق وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق وأروى للحديث وأقضى في الأحكام وأفقه في الفتوى وأحضر بركة على المختلفين وأظهر أثراً في المقتبسة [٤] ونقل ياقوت عن ابي حيان أيضاً من كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ وقد ذكر جماعة من الأئمة كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال : ومنهم ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ . وامام الأئمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة ، أفتى في جامع

---

(١) ياقوت ١٤٩/٨ .

(٢) هذا ما يذكره ابن الأنباري في النزهة ص ٣٢٢ وتنقله عنه دائرة المعارف الاسلامية ٦٣/٤ ويلاحظ الأستاذ كرنكو ان لقاء السيرافي لابن دريد بعيد جداً حيث يقول : وأظن هذا محالا فيما يتعلق بابن دريد لأنه توفي ببغداد سنة ٣٢١ وقد ذكرنا ان ابا سعيد لم يرحل من سيراف الا سنة ٣٢٠ ولم يسكن ابن دريد سيراف على ما علمنا قبل وصوله الى دار السلام انظر ص ٧ من أخبار النحويين البصريين للسيرافي .

(٣) البغية : ١٠٤ .

(٤) الامتاع والمؤانسة : ١٢٩/١ وياقوت في معجم الأدباء ١٧٨/٨ مع اختلاف بسيط .

الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد ، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السلماني ، فما جاراه فيه أحد ولا سبقه الى تمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والأمانة والروايه صام أربعين سنة واكثر الدهر كله[1] .

ونقل ياقوت عن ابي حيان أيضاً كلمة من كتابه محاضرات العلماء جاء فيها : قال ابو حيان حضرت مجلس شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل ابي سعيد السيرافي وقد أقبل عليه الحسين بن مردويه الفارسي يشرح ترجمة المدخل الى كتاب سيبويه من تصنيفه فقال له : علّق عليه واصرف همتك اليه فانك لا تدركه الا بتعب الحواس ولا تتصوره الا بالاعتزال عن الناس فقال : أيّد الله القاضي انا مؤثر لذلك ولكن اختلال الأمر وقصور الحال يحول بيني وبين ما أريد . قال : ألك عيال ؟ قال : لا . قال : عليك ديون ؟ قال : دريهمات . قال : فأنت ريح القلب حسن الحال ، ناعم البال ، اشتغل بالدرس والمذاكرة[2] .

واعجاب ابي حيان التوحيدي بشيخه ابي سعيد كثير ، وشهاداته بفضله وعلمه شهادات لها قيمتها في تبيين مكانة ابي سعيد في عصره . ثم انه ليس أدل على هذه المكانة من انتشار اسمه في العالم الاسلامي وكتابة أمرائه إذ ذاك اليه يستفتونه فقد ذكر ياقوت نقلاً عن ابي حيان في الامتاع أن نوح بن نصر الساماني كتب اليه كتاباً سنة ٣٤٠ وخاطبه فيه بالامام وسأله عن مسائل تزيد على اربعمائة . وكتب اليه المزربان بن محمد ملك الديلم من اذربيجان كتاباً خاطبه فيه بشيخ الاسلام وسأله عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في القرآن وكتب اليه ابن حنزانة امير مصر كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الجليل وسأله عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث . وكتب اليه ابو جعفر ملك سجستان على يد ابي سليمان

(١) ياقوت معجم الأدباء ٨ ص ١٥٠ . (٢) ياقوت معجم الأدباء ٨/١٥٢ .

المنطقي كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد سأله عن سبعين مسألة في القرآن ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين [1] .

قلت : ويظهر ان ابا حيان التوحيدي كان سيرافياً يميل الى ابي سعيد ويغالي في حبه ويتعصب له على خصمه الفارسي ابي علي فقد قارن بينهما في حضرة الوزير ابي عبد الله العارض في احدى مسامراته بعد أن ذكر محاورة ابي سعيد لمتى المنطقي وفوزه عليه وسؤاله العارض عن مكانة السيرافي بين علماء عصره فتحدث التوحيدي عنهم فرداً فرداً وكان مما قاله عن ابي علي الفارسي : وأما ابو علي فأشد تفرداً بالكتاب وأشد اكباباً عليه وأبعد من كل ماعداه مما هو علم الكوفيين وما تجاوز في اللغة كتب ابي زيد وأطرافاً مما لغيره ، وهو متقد بالغيظ على ابي سعيد وبالحسد له كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله الى آخره بغريبه وأمثاله وشواهده وأبياته (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم وفيض كلامهم [2] . وحكى ياقوت عن ابي حيان أن تلاميذ ابي علي كانوا يحملون على السيرافي أيضاً فاجتمع أبو حيان الى بعضهم مرة فقال : انكم لا تزالون تعتنون فيه وتزرّون على مؤلفه فما لكم وله ؟ فقالوا : نريد أن نرد عليه ونعرّفه خطأه . قال أبو حيان فحصّلوه واستفادوا منه ولم يرد عليه واحد منهم .

وإنما بلغ ابو سعيد هذه الرتبة لأنه قضى عمره في الدراسة والتعليم والنّسْخ والقضاء ، وكان الى ذلك زاهداً متين الخلق كبير النفس . قال الخطيب البغدادي : كان ابو سعيد زاهداً لم يأخذ على الحكم أجراً إنما كان يأكل من كتب يمينه فكان لا يخرج الى مجلس الحكم ولا الى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات

(١) ياقوت معجم الأدباء ١٧٩/٨ والامتاع ١٢٩/١ مع اختلاف بسيط .
(٢) الامتاع ١٣١/١ .

يأخذ اجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤنته . وكان بعيد القرين لأنه كان يقرىء علوم الدين والرياضيات واللغة والأدب وهو في كل هذا إما في الغاية وإما في الوسط [١] .

هذا وقد تخرج به جمهرة من الفحول الأجلة كابن خالويه الحسين بن حماد الامام المشهور [٢] واسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح [٣] وابي علي المحسن بن ابراهيم الصابىء [٤] وعلي بن المستنير حفيد قطرب [٥] وغيرهم ممن رأيت فيما تقدم .

أما آثاره فهي : شرح كتاب سيبويه ، وألفات القطع والوصل ، وأخبار النحويين البصريين ، وشرح مقصورة ابن دريد ، والاقناع في النحو ولم يتمه فتممه ابنه يوسف ، وكان يقول وضع أبي النحو في المزابل بالاقناع يريد أنه سهّله ، وشواهد كتاب سيبويه ، والوقف والابتداء ، وصنعة الشعر والبلاغة ، والمدخل الى كتاب سيبويه ، وصفة جزيرة العرب [٦] . ويقول الأستاذ كرنكو في مقدمة أخبار النحويين [٧] «ولم يذكروا شروحه للأبيات الواردة في الجمهرة في اللغة لابن دريد فان هذه الشروح موجودة في المجلد الثاني والثالث من النسخة المحفوظة في ليدن وقد أدخلت هذه الشروح في المطبوعة حين هذبت الجمهرة للطبع» . قلت ولم يذكروا أيضاً ما يذكره صاحب شذرات الذهب من أن له كتاباً اسمه (كتاب الأفعال) .

(يتبع) اسعد طلس

---

(١) ياقوت معجم الأدباء ١٤٥/٨ . (٢) ياقوت ٤/٤ . (٣) ياقوت ٢٦٦/٢ .
(٤) » » » ١٥٣/٨ . (٥) » ١٧٨/٨ .
(٦) ياقوت ٨ / ١٤٩ — ١٥٠ . (٧) أخبار النحويين ص ٨ .

ولاة دمشق

في العهد السلجوقي

نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر
(مخطوطة الظاهرية تاريخ رقم ١)
مهد لها وحققها

صلاح الدين المنجد

تمهيد

تحديد الزمن

نقصد بالعهد السلجوقي [1] الحقبة التي تبدأ بزوال السلطان الفاطمي وخروج جند المصريين من دمشق بدخول مقدّم الغزّ اتسز بن اوق اليها عام ٤٦٨ هـ .

(١) انظر تفسير سوفاجيه لكلمة سلجوقي في :
Sauvaget, Quatre Decrets Seldjoukides p, 7. Beyrouth 1947.
وأحسن مصدر لفهم تاريخ السلاجقة بدمشق هو ذيل تاريخ دمشق للقلانسي (تحقيق امدروز ١٩٠٨) وينظر ما كتبه الأستاذ كرد علي في الجزء الأول من خطط الشام. وما كتبه في دمشق مدينة السحر والشعر (القاهرة ١٩٤٤) وما سنذكره في المصادر الآتية . ويُقرأ عن السلاجقة بصورة عامة :

تاريخ دولة آل سلجوق	للأصبهاني	(ليدن)
الفتح الوهبي	للعتبي	(مصر)
الحكاية السلجوقية	لليزدي	(ليدن)
تواريخ آل سلجوق	لمحمدبن‌ابراهيم	(ليدن)

W. Barthold, Histoire des Turcs d'Asie Centrale. Paris 1934 (Adaptation Française par. Mme Donkis)
E. de Zambaur, Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam. Hanovre, 1927.
ويرجع الى مصادر أخرى عن السلاجقة في كتاب :
رائد التراث العربي ، اقتباس صلاح الدين المنجد . بيروت ١٩٤٦ (فصل السلاجقة) .

وتنتهي بخروج آخر البوريين منها ودخول نور الدين محمود بن زنكي اليها عام ٥٤٩ ﻫ وتأسيسه الدولة النورية فيها .

وهي حقبة قصيرة امتدت ثمانين عاماً وعاماً ؛ ولكنها كانت من أكثر العهود شأناً في تاريخ دمشق وأعظمها أثراً في تطوّرها ونهضتها ومستقبلها .

وما العهود التي تلت هذه الحقبة ، أيام نور الدين والأيوبيين ، الا امتداد لها ، ونمو للأعمال التي بدأت فيها .

وقد امتازت هذه الحقبة بأمور جديدة عامة حملها معهم السلاجقة وأتباعهم عندما هبّوا بدفعهم مثل أعلى ديني يريدون الدفاع عنه والمحافظة عليه ، ورغبة في التوسع الاقليمي يودّون تحقيقها . فنشروا هذه الأمور في كل مكان بلغوه ، وكانت دمشق احد المراكز التي نشروها فيها . كما أنها امتازت بأمور اخرى خاصة بدمشق وحدها .

كيف دخل السلاجقة دمشق

في سنه ٤٦٣ ﻫ جمع اتسز بن اوق [1] ـ مقدّم الأتراك الغزّ بالشام ـ جنده ، وكان احد قادة الب ارسلان ، وقصد ارض فلسطين فافتتح الرملة وبيت المقدس ، وطرد الفاطميين منها ، وأخذ يواصل الغارات على دمشق . وكانت فلسطين وسورية تحت سلطان الفاطميين ما عدا حلب ، فقد كان فيها بنو مرداس . واستمر اتسز يغير على دمشق سنوات حتى استطاع ان يستولي عليها سنة ٤٦٨ ﻫ مستفيداً من الحصار الاقتصادي الذي لجأ اليه بقطع الميرة عنها ورعي زروعها خارج اسوارها سنوات . فأدى ذلك الى فقدان الأقوات ثم غلاء الأسعار . ثم جلا اهلها وضعفت المقاومة فيها ودخل اتسز اليها . وكان آخر وال فيها من قبل الفاطميين معلى بن منزو .

(١) أثبتها غروسّه « آبق » وهو خطأ .

كان اتسز طموحاً ، فقد حاول ان يغزو مصر سنة ٤٦٩ هـ ، فعاد عنها مدحوراً مهزوماً . ودفعت هزيمته الفاطميين أن يستعيدوا فلسطين ودمشق . فخرج نصر الدولة الجيوشي من مصر سنة ٤٧١ هـ ونزل على دمشق محاصراً لها . فاستولى على أعمالها وأقام يضايقها . وكان في شمال سورية تتش بن الب رسلان ، وكان قد قصد الشام يريد اخذ حلب من بني مرداس . فاتفق هو ومسلم بن قريش العقيلي أمير الموصل على اخذها . ولكن مسلماً خلف وعده وتخلف عن مساعدته فلم يستطع تتش ان يستولي عليها وحده . فلما خاب أمله من أخذ حلب ، توجه الى دمشق ملبياً دعوة اتسز لنجدته . ولم يلبث نصر الدولة أن رحل عن دمشق عندما اتاه خبر قدومه . وخرج اتسز فتلاقى تتش وسلم البلد اليه . ثم قبض تتش على اتسز وأخيه فقتلها . فخلص له الحكم وحده ، واستقام له الأمر فيها وفي أعمالها ، وفي فلسطين . وهكذا اصبحت دمشق للسلاجقة ، واخذوا يتوارثون الحكم فيها [1] .

أعمال السلاجقة بدمشق

آ — الأمور العامة :

نحن نذكر من هذه الأمور التي قام بها السلاجقة في كل مكان ، ما كان مسرحه دمشق .

---

(١) انظر عن دخول السلاجقة دمشق :

R. Grousset, Histoire des Croisades t. 1, Introduction, p. XLV. Paris 1948.

J. Sauvaget, Esquisse d'une Histoire de la Ville de Damas. dans (Revue des Etudes Islamiques 1934, Cahier IV. p, 450 et suiv).

وذيل تاريخ دمشق للقلانسي ص ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٢ . والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٠ ص ٧٠ ، ٧٢ (ط . اوربة) . وخطط الشام للأستاذ كرد علي . الجزء الأول . ومادة « تتش » لهوتسما في دائرة المعارف الاسلامية .

١ – القضاء على المذهب الشيعي

بدأت محاربة المذهب الشيعي بدمشق بقطع الدعوة للخليفة الفاطمي الذي يمثل هذا المذهب وإعادة الدعوة للخليفة العباسي الذي يمثل السنة . وكان الفاطميون قد دخلوا دمشق سنة ٣٥٩ هـ فما زال يُدعى لهم على المنابر حتى جاء اتسز . فكان اول ما فعل إبطال الدعوة لهم ، وإبطال الأذان بحي على خير العمل وما يتبعها من سب للصحابة . وهذه ظاهرة شيعية ذات شأن ، سبقت دمشقُ حلبَ في إبطالها . فانها لم تُبطل في حلب التي كانت مركزاً شيعياً ذا شأن إلا فيما بعد ، بعد خمس وسبعين سنة ، على يد نور الدين عام ٥٤٣ هـ .

وبُدِئ بتأسيس المدارس لنشر المذاهب الفقهية . فقامت أول مدرسة بدمشق – وهي الصادرية – عام ٤٩١ هـ . فسبقت دمشق في تأسيس المدارس القاهرة . وقامت في هذه الحقبة ست مدارس للحنفية وواحدة للشافعية واثنتان للحنابلة . وكان بُناة مدارس الحنفية والشافعية من الأمراء ، أما المدرستان الحنبليتان فبناهما تاجر وعالم .

وبتأسيس هذه المدارس ورد على دمشق من الشرق علماء كبار ، فدرّسوا فيها . وشجع الولاة والأمراء العلماء وقرّبوهم .

وساعد على زوال المذهب الشيعي أن أهل دمشق أنفسهم كانوا على عداء معه . وهو عداء قديم . ولم يستطع هذا المذهب ، حتى في أيام الفاطميين ، أن يثبت فيها أركانه . حتى أن العلماء والمحدثين الذين كانوا يدرّسون في المسجد الأموي في هذه الحقبة الفاطمية – أي قبل تأسيس المدارس – كانوا حنفية أو شافعية .

فلما دخل نور الدين دمشق فيما بعد ، كان المذهب الشيعي قد قُضي عليه فلم يبذل عناء في طمس مظاهره ، بل انصرف الى قتال الصليبيين

وتحصين المدينة ، وبناء الجوامع والمدارس والربط والخوانق والمشافي [1] .

٢ — محاربة الباطنية والاسماعيلية

وثمة خطوة ثانية خطاها السلاجقة في محاربة الشيعة هي القضاء على الباطنية والاسماعيلية في دمشق . فقد كان فيها كتلة من الباطنية تعمل على نشر مبادئها . وكانت تعمد في نشر هذه المبادئ الى العنف ولا تحجم عن اغتيال من يعاندها . ولقد اغتالت هذه الفئة نظام الملك في بغداد ، واغتالت الأمير مودود في مسجد دمشق . وقد زاد شأنها في دمشق عندما ورد اليها داعي الباطنية بهرام من بغداد سنة ٥٢٠ فتلقاه الوزير المزدقاني بالترحاب وأمر بتسليمه بانياس ، وكانت ثغراً ذا مكانة ، لتكون له مأمناً وملجأً . فعظم أمر بهرام واتبعته العامة والغوغاء . يقول القلانسي : « فضاقت صدور الفقهاء والمتدينين والعلماء وأهل السنة والمقدّمين ، وأحجم كل منهم عن الكلام فيهم والشكوى لواحد منهم دفعاً لشرّهم ، لأنهم شرعوا في قتل من يُعاندهم ومعاضدة من يوازرهم ويُرافدهم ، بحيث لا ينكر عليهم سلطان ولا وزير ، ولا يفل حد شرهم متقدم ولا أمير » .

وكلام القلانسي يوضح لنا شدة شوكة هؤلاء الباطنية ، واستياء الفقهاء والعلماء والمقدّمين ، والخوف الذي دبّ في النفوس منهم وسكوت اولي الأمر عنهم . هذا الاستياء الشديد ، كان لا بُدّ أن يؤدي الى انفجار أو ثورة .

وبعد عامين في سنة ٥٢٣ قُتِل بهرام داعي الباطنية . فقام مقامه اسماعيل العجمي . فبادر الوزير المزدقاني الى مساعدته . وعاد الباطنية الى ما كانوا عليه

---

(١) انظر : ذيل تاريخ دمشق للقلانسي ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
خطط الشام لكرد علي الجزء الأول .
دور القرآن بدمشق (المقدمة) لصلاح الدين المنجد . دمشق ١٩٤٦ ص٦و٧
دمشق مدينة الشعر والسحر لكرد علي ص ٢٠ .
تنبيه الطالب للنعيمي دمشق ١٩٤٨ .
Sauvaget , Comment étudier l'Histoire du Monde Arabe . (Revue Africaine , N° 406 - 409 , 1946) .

من شدة وشوكة . وكثر أذاهم ؛ فازدادت شكوى الناس من الخاصة والعامة . وبلغت النقمة عليهم نفوس الأمراء وعلى رأسهم تاج الملوك .

رأى تاج الملوك أن الوزير المزدقاني هو ساعد الباطنية ، وأنه لن يستطيع الفتك بهم قبل ان يفتك به . فدبر ان يُقتل . وتم اغتياله وهو خارج من مجلس تاج الملوك نفسه . ثم أحرقت جثته بعد أيام . وصحب مقتله ثورة الأحداث والأوباش بدمشق على الباطنية أنفسهم ، وكانوا قد ذهلوا لمقتل الوزير . ويصف القلانسي هذه الثورة فيقول : « فانطلق أهل دمشق فقتلوا من ظفروا به منهم ، وكل متعلق بهم منتم اليهم ، وتتبعوهم في اماكنهم واستخرجوهم من مكامنهم وافنوهم جميعاً تقطيعاً بالسيوف وذبحاً بالخناجر . وجُعلوا مصرّعين على المزابل . وقبض منهم نفر كثير التجأوا الى جهات يحتمون بها ، فأريقت دماؤهم هدراً . وصُلب عدد منهم على شرفات سور دمشق ... »

وقد ساعد على هذه الثورة شحنة البلد ورئيسه ، وبالغا في التحريض على ذلك .

هذه الثورة تظهر مبلغ الحقد ، الذي كان يكنه أهل دمشق ، على الباطنية . وهي صورة لنفسية أهل دمشق . يصبرون صبراً طويلاً على الأذى حتى تحسب أنهم ضعاف لا حياة فيهم ، ويبالغون في تلقي الأذى حتى لتحسب انهم يريدون الذل ، ثم يثورون فجأة ثورات عنيفة شديدة مخيفة ، واذا الباغي قد زال ، يتبعه أذاه .

وهذا الأمر قد تكررت صوره في تاريخ دمشق القديم والحديث .

وقد أثرت هذه الضربة في عزيمة الباطنية ، حتى المقيمين في بانياس مع الداعي . فذلوا وتفرق شملهم في البلاد . وسلم اسمعيل ثغر بانياس للصليبيين في السنة نفسها .

على أنهم لم يغفروا لتاج الملوك ما فعل . فقد أرسل اليه باطنية ألموت اثنان من الخراسانية في السنة نفسها . فتوسطا حتى استخدما في قصر تاج الملوك وما زالا يتدرجان الى ان رتبا لحفظ ركابه . فوثبا عليه ، بعد ثلاث سنوات سنة ٥٢٥ ،

وضربه احدهما بالسيف طلباً لرأسه ، والآخر في خاصرته . ولكنه نجا من الموت ، وُقتل الباطنيان . ولم يبرأ جرح خاصرته فمات سنة ٥٢٦ .

ولم تقم للباطنية بعد هذه الضربة قائمة في دمشق . وقُضي عليهم . وتركها من نجا من القتل الى حصونهم بألموت ومصياف . وظلوا يفسدون ويقتلون حتى جاء نور الدين ثم صلاح الدين [1] .

٣ — بدء الحروب الصليبية

بدأت الحروب الصليبية والسلاجقة بدمشق . ومهما كانت أسباب هذه الحروب ، الدينية والاستعمارية ، فإن الصليبيين استطاعوا ان يدخلوا آسية الصغرى من شمالها الغربي ويجتازوها الى جنوبها الشرقي . وانتصروا بالقرب من اسكي شهر Dorylée على قلج ارسلان السلجوقي في اوائل تموز سنة ١٠٩٧م ٤٩٠ هـ . وقطعوا البلاد بلا عناء مارين بقونية وجبال طوروس الشرقية . فخلى السلاجقة لهم السبيل ، وساعدهم الأرمن في منطقة مرعش ، ومنها هبطوا الى سورية الشمالية وقصدوا انطاكية يريدون حصارها . وكان فيها امير تركي من أتباع السلاجقة اسمه ياغي سيان .

ارسل ياغي سيان ، صاحب انطاكية ، ولده الى دمشق سنة ٤٩٠ هـ ، وكان فيها الملك دقاق بن تتش يطلب المعونة منه . وتقدم الفرنج فنزلوا على بغراس وأرتاح والبارة . فجهز دقاق عسكراً لنجدة ياغي سيان . فلقوا الفرنج عند البارة ، وتقاتلوا . وعاد الفرنج الى الروج وانطاكية .

---

(١) يُراجع بصورة خاصة :
القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤١
وابو شامة ، الروضتين : الجزء الأول
وكردعلي ، خطط الشام الجزء الأول
» ، دمشق مدينة السحر والشعر ص ٢٢ — ٢٥

كان ذلك اول عسكر يجرّد من دمشق . ومن ذلك الحين اتيح لدمشق ان تتبوّأ مركزاً جديداً حربياً . ولقد بوأها السلاجقة الأشداء هذا المركز الحربي . وظلت كذلك ايام نور الدين والأيوبيين ، وايام الملك الظاهر بيبرس .

قاتل ولاة دمشق الفرنج طوال هذه الحقبة ، خلا السنوات الأخيرة من حكم ابق بن محمد ، وامدوا سائر الولاة الذين كانوا يقاتلونهم ، وكانوا يعودون غالب الأحايين ، مظفرين . فكانت دمشق تشهد مواكبهم تطوف في اسواقها ، وفيها الأسلاب والغنائم ورؤوس القتلى .

ولقد عمد طغتكين الى بيع الأراضي خارج دمشق ، وكانت دائرة معطلة لا مالك لها ، ممن يرغب في عمارتها ، وصرف ما حصل من ثمنها في الأجناد المرتبين للجهاد .

وكان دفاعهم عن دمشق نفسها من غارات الصليبيين عنيفاً . وبذلوا في سبيل ذلك كل شيء . حتى أن والدة شمس الملوك لما رأت تهاون ابنها في قتالهم ورغبته في تسليم دمشق اليهم سنة ٥٢٩ هـ وخروجه عن سنن آبائه ، أرسلت له من قتله .

ولقد تعرّضت دمشق لمؤامرات الصليبيين وكادت تسقط في أيديهم . فقد هاجموها بعد انتقال بانياس اليهم سنة ٥٢٣ ، وخيموا على جسر الخشب والميدان المجاور له . فهاجمهم بوري وقتل منهم كثيراً . ثم هاجموها سنة ٥٤٣ بخمسين الفاً ، ونزلوا ناحية للمزّة وخيموا عليها اقربها من الماء ، فقام معين الدين يدافع عن البلد أحسن دفاع ، وهب اهل دمشق من الأجناد والأتراك واحداث البلد والمطوعة والغزاة فدحروا الفرنج واضطروهم الى الرحيل . وقد حرقوا الربوة وراءهم وما يجاورها .

وكان يشارك اهل دمشق في قتال الفرنج رجال الغوطة والمرج ، واهل الأرباض خارج الأسوار كالعقيبة وقصر حجاج والشاغور .

ولولا دمشق وسلاجقتها لاستولى الصليبيون على كثير من مدن الشام الداخلية .

وقال علا شأن دمشق الحربي ، عندما دخلها نور الدين وبدأ بتحصينها وتعمير اسوارها ، وجعلها مركزاً للحروب والغزوات على بلاد الفرنج [1] .

ب — الأمور الخاصة :

وثمة امور خاصة رأتها دمشق وامتاز بها عهد السلاجقة بعد عهد الفاطميين .

١ً — دمشق مركز الحكم والسلطان .

شهدت دمشق في هذا العهد هيبة الحكم تعود . فمنذ تولى عنها بنو امية لم يستقر فيها حكم . وشعرت بهؤلاء الولاة الأشداء يعيدون الدين قوته وللحكم روعته . وأسسوا قلعتهم وفيها دار امارة ، وكان في دار الامارة بلاط صغير فيه الجنود التركمان والحرس والوزراء والعمال والكتاب . واصبح في دمشق جيش

---

(١) انظر : القلانسي ص ١٣٤ ، ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦، ٢٤٦، ٢٩٩ ...
كرد علي ، خطط الشام الجزء الأول
كرد علي ، دمشق مدينة السحر والشعر ص ٢٥
ابو شامة ، الروضتين الجزء الأول وذيل الروضتين

R. Grousset , L' Empire du Levant , p. 195 Paris 1946
» Histoire des Croisades t l, p. 85 et suiv

وارجع للتفصيل الى :

C. Cahen , La Syrie du Nord à l'époque des Croisades Paris 1940
Rey , Les colonies Franques de Syrie aux X llᵉ et X lllᵉ Siècles . Paris 1883 .
P. Deschamps , Les Châteaux des Croisèes en Terre Saintc 2 Vol . Paris 1934 - 1939 .

ولا يمكن الاستغناء عن :

Recueil des Historiens des Croisades . Paris depuis 1841 .
1° Historiens Occidentaux , 5 tomes parus (1844 - 1895)
2° Historiens Orientaux,(Arabes) 5 tomes parus (1872 - 1906)
3° Historiens Grecs , 2 tomes (1875 - 1881)

ويضاف اليها الجزآن الثالث عشر والرابع عشر من البداية والنهاية لابن كثير .

من الأتراك ومن أهلها يدافعون عنها . وضُرب فيها دينار خاص نُقش عليه اسم الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ووالي دمشق ، ولم يكن يفعل ذلك من قبل .

٢ً — الأمن والرخاء والاستقرار .

وأحسَّ أهل دمشق بما يقدمه الولاة اليهم من الاحسان في السيرة واستعمال العدل والكف عن الظلم والأمر بالمعروف ، بعد أن كان ولاة الفاطميين يسيئون السيرة ويظلمون ويجورون ويخرّبون ويصادرون . وأنس الناس بالأمن بعد الاضطراب وبالهدوء بعد الثورة . وكانت سيرة الولاة كأحسن مايكون ، اذا استثنينا شمس الدولة وابق في آخر أيام ولايتها فقد أحسن تاج الدولة السيرة ، وأجمل طغتكين في تدبير أهل دمشق وبالغ في الدفاع عنها وضرب على ايدي المفسدين . فحسنت الأحوال في ولايته ، وعمرت دمشق بجميل سياسته . ورخصت الأسعار وجاءت الغلاّت . وسار بوري سيرة أبيه في العدل . وأعاد على جماعة من الرعية أملاكاً لهم في ظاهر البلد اغتصبت منهم في زمن الولاة من قبل . وأحسن شمس الملوك السياسة بادئ بدء ورفع عن الرعية ضرائب كانت تؤخذ منهم ثم لما عدل عن خطته ، فصادر العمال وتقاعس عن قتال الفرنج ، أنكرت أمه ذلك عليه ودبرت قتله . وجرت الأمور على استقامة ايام محمود بن بورى ولم يشب هذه الحقبة شائبة الا في أيام آبق على يد مؤيد الدين الصوفي .

وعندما أحس اهل دمشق بالأمن استقرت الأمور . فانصرفوا عن الدفاع عن انفسهم الى امور اخري من الزراعة والصناعة . وكثرت الغلات فرخصت الأسعار . ورفعت الأقساط والضرائب فخلصوا من الفقر . وعاد أهل دمشق اليها بعد أن كانوا يفرّون منها ويجلون عنها . وخرجوا الى الأرباض يزرعونها ويعمرونها حتى عمرت عدة ضياع كانت خالية وأجريت عيون مياهها وظهرت خيراتها . فحسن السياسة والعدل أديا الى هيبة الحكم . وادت هذه الى الأمن .

وأنتج الأمن انصراف الناس الى اعمالهم فزاد الانتاج ، و كثرت الثروة، وازدهرت دمشق .

٣ً ـ **العمران بعد الخراب .**

ولقد كان من نتائج الاضطراب المستمر في المدينة طوال عهد الفاطميين ، ونشوب الثورات من حين الى حين ان كثرت الحرائق وازداد الخراب . ولم يترك الفاطميون آثاراً في دمشق في ايامهم الا القليل . منها الربوة ، وبعض جسور بنيت على نهر تورا ، وتابوت السيدة سكينة ، وقبر السيدة فاطمة في مقبرة الباب الصغير . وهذا كله قليل . ولقد كان من اعظم النكبات التي حلت بدمشق في هذه الحقبة حريق المسجد الأموي عام ٤٦١ هـ . فقد احرقه الجند المصريون . فلما جاء السلاجقة واستتب الأمن مالوا الى العمارة . وساعد الولاة الرعية في العمارة ايضاً ودفعوهم اليها .

أهم الآثار العمرانية .

وأهم ما عُمّر وُبني في هذه الحقبة ما يلي :

١ ـ **المسجد الأموي :** أعيدت عمارته في ايام تتش . والغريب أن المؤرخين القدامى سكتوا عن أخبار إعادة عمارته . ولولا الكتابات القديمة التي وُجدت في المسجد لخفي امر ذلك . وقد بدئ بهذه العمارة زمن تتش . وجدد سنة ٤٧٥ هـ المقصورة والقبة والسقف والطاقات وترخيم الأركان . ـ أي ما يتعلق بالمصلى ـ وجدد الحائط الشمالي سنة ٤٨٢ هـ وسنة ٥٠٣ هـ وسنة ٥١٢ هـ .

٢ ـ **القلعة :** وكان لا بُد من وجود قلعة فبنى تاج الدولة تتش [1] قلعة لطيفة في الجانب الشمالي الغربي من السور على انقاض رومانية ، وجعلها دار إمارة وسكنها . وبنى لولده رضوان بها داراً . وزاد فيها شمس الملوك وشيدها ...

(١) يذكر سوفاجه في دراسته عن دمشق ... Esquisse أن الذي بناها اتسز ، ولا يذكر دليله ولا المصدر الذي أخذ عنه. ولم نجد ما يؤيد قوله. وما ذكرناه نقله ابن طولون عن ابن شداد . انظر الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية ص ٣ .

وقد احدث شمس الملوك في هذه القلعة بابين مستجدين الأول من الشمال والثاني باب جسر الخندق الشرقي سنة ٥٢٧ . وأنشأ فيها دار المسرة ، وحماماً من شمالها ، وفرغ من ذلك كله سنة ٥٢٨ .

٣ — **السور** : ونجد في كتابة قديمة مؤرخة سنة ٥٣٨ إشارة الى عمارة الباب (باب الفراديس) والسور المبارك من قبل مقدّم الأكراد مجاهد الدين بزان . وهو الذي بنى المدرسة المجاهدية الجوانية ، والمجاهدية البرانية .

٤ — **المدارس** : وقد أسس في دمشق في العهد السلجوقي من المدارس ما يلي :

المدرسة الصادرية	بناها الأمير صادر بن عبد الله		سنة	٤٩١	للحنفية
〃 الامينية	〃 امين الدولة كمشتكين		〃	٥١٤	للشافعية
〃 المعينية	〃 الأمير معين الدين انر		〃	٥٢٤	للحنفية
〃 الطرخانية	〃 〃 ناصر الدولة طرخان		〃	٥٢٥	〃
〃 البلخية	〃 〃 اكز الدقاقي	بعد	〃	٥٢٥	〃
الخاتونية البرانية	بنتها خاتون ام شمس الملوك	〃	〃	٥٣٦	〃
المدرسة الشريفية	بناها الشريف الحنبلي	قبل	〃	٥٣٦	للحنابلة
〃 المجاهدية	〃 مجاهد الدين بزان		〃	٥٣٩	للحنفية
〃 المسمارية	〃 مسمار الهلالي		〃	٥٤٦	للحنابلة

٥ — **الخوانق** : وانشئت الخانقاه الطواويسية — وفيها قبة صفوة الملك ام دقاق — سنة ٥٠٤ . وكان باب الخانقاه السميساطية يفتح للشمال فلما ولي تاج الدولة سأله المتصوفة في فتح باب لها من الغرب في دهليز الجامع فأذن لهم . ففتح حيث هو الآن . فهذا الباب حديث ، وما تزال آثار الباب القديم ظاهرة . وهو من الحجر الأسود المنحوت .

٦ — **المساجد** : ومما أنشئ من المساجد في هذه الحقبة مسجد الوزير المزدقاني على الشرف الشمالي غربي تربة ست الشام . وهو اليوم في رأس الجوزة الحدباء على يمين الصاعد . ولم يبق من آثاره سوى كتابته القديمة .

ومسجد مجاهد الدين بزان عند باب الفراديس وقد اصبح مدرسة .

ومسجد تتش ، ولم أهتد الى موضعه . ومسجد القدم الذي جدد سنة ٥١٧ . وغيرها كثير .

٧ — **الترب** : وعمرت قبة في الدحداح لوالدة تاج الملوك بوري . وعندما توفيت سنة ٥٢٢ هـ قبرت فيها . ولم يبق لها أثر[1] .

تلك نظرة موجزة عن حالة دمشق السياسية والعمرانية ايام الولاة السلاجقة . وها نحن اولاء ندع ابن عساكر يحدثنا عن اولئك الولاة :

(يتبع) **صلاح الدين المنجد**

---

(١) انظر :
القلانسي ، وخطط الشام ، ودمشق مدينة الشعر والسحر ، ودراسة سوفاجه عن دمشق .
أما الآثار العمرانية فانظر فيها :

Sauvaget, Monuments Ayyoubides de Damas t. l. Paris 1938
» Quatre Decretes Seldjoukides
Creswell. the Origin of the Cruciform Plan of Caïrene Madrasas. le caire 1922
Repertoire Chrolonogique d'épigraphie Arabe (R. C. E. A) t. V III. N° 2942 - 2981 - 3072 - 3025 - 3033 ...

المنجد — أبنية دمشق الاثرية المسجلة — بيروت ١٩٤٨
» — خطط مدارس مدينة دمشق — بيروت ١٩٤٧
» — مسجد دمشق ، نص قديم — دمشق ١٩٤٨
النعيمي ، تنبيه الطالب ، الجزء الاول — دمشق ١٩٤٨
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد وذيل أسعد طلس — بيروت ١٩٤٣

الموفي في النحو الكوفي

السيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي الحنفي
علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

— ٣ —

المرفوعات

« الفاعل » ما أُسند اليه الفعل او شبهه (١) نحو : كان زيدٌ عالماً ، وقائم زيد . وحقه ان يلي الفعل وقد يتقدم عليه (٢) إلا إذا كان نكرةً إلا اذا أفاد(٣) ، نحو :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلاً يحملن أم حديدا(٤)

ويكون (٥) جملةً نحو : بدا لي ، يقوم زيد . ولا يحذف إلا من المصدر ، إلا عند الكسائي (٦) ، نحو :

(١) كاسمي الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، والمصدر .

(٢) قال الصبان : فلا يضر عندهم تميز المبتدأ من الفاعل في نحو : زيد قام ، وتظهر ثمرة الخلاف في التثنية والجمع فنحو : الزيدان قام ، والزيدون قامَ ، جائز عند الكوفيين ممتنع عند البصريين . (٣) اي لا يجوز ان يتقدم الفاعل ـ اذا كان نكرة ـ على فعله إلا إذا افاد ، إذن فيكون في تقدمه حكم الابتداء بها ، قال ابن مالك رحمه الله :

ولا يجوز الابتدا بالنكره ما لم تفد ، كعند زيد نمره

(٤) هو قول الزبّاء الملكة العربية الشهيرة ، التي ملكت الشام والجزيرة ، وأخبارها كثيرة ، (٣٥٨ ق هـ) . (٥) اي الفاعل . (٦) اجاز الكسائي حذف الفاعل من المصدر وغيره تمسكاً بنحو قوله : فإن كان لا يرضيكَ اخر البيت .

فإن كان لا يرضيك حتى تردَّني   الى قَطَرِيٍّ [1] لا إخالك راضيا

ولو عدمت قرينة ، او اتصل او كان المفعول محصوراً بـ « إنما » لا بـ « إلاّ » وجب تقديمُ الفاعل [2] ، ولو اتصل مفعوله وهو منفصلٌ ، وجب تقديم المفعول [3]

وكذلك إذا اتصل مكنيُّ المفعول الى الفاعل ، نحو : ضرب عمراً غلامُه ، وقال الطُّوال كقوله :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبرٍ   وحُسن فعلٍ كما يُجزى سنمارُ [4]

---

(١) قطريٌّ هو ابن الفجاءة الخارجي ، والبيت لسواد بن المضرِّب ، وكان هربَ من الحجاج خوفاً على نفسه ، والمعنى : إذا كانت حالتي التي تراها — وهي الفرار من ذلك الخارجي الممقوت — لا ترضيك ، ولا ترضى حتى تُرجعني اليه ، فإني أظنك لا ترضى ، لأني عزمتُ على عدم تحقيق ما يرضيك . والشاهد : حذفُ مرفوع كان ويُرضيك لدلالة الحال عليها . (٢) إذا عدمت القرينة التي تميز الفاعلَ من المفعول ، وجب تقديم الفاعل بسبب خفاء الاعراب وعدم القرينة ، إذ لا يعلمُ الفاعل من المفعول ـ والحالة هذه ـ إلا بالرتبة كما في نصر موسى عيسى ، وأكرم ابني أخي . وإن وقع الفاعل ضميراً متصلاً وجب تقديمه أيضاً ، إذ لو أُخر لزم ان لا يكون متصلاً ، والفرض أنه متصل ، نحو : أكرمتك وأكرمت زيداً . وكذا الحال اذا حُصرَ المفعول بإنما ، فيجب تقديم الفاعل على المفعول ، لأنه لو أُخر انقلب المعنى ، نحو : إنما نصر زيدٌ عمراً . (٣) لأنه لو قدِّم الفاعل وجب انفصال الضمير مع إمكان اتصاله ، كعلمني الأستاذُ .

(٤) فيه عودُ الضمير على متأخرٍ لفظاً ورتبةً ، قال ابن هشام في أوضح المسالك : ولا يجيزه أكثر النحويين لا في شعر ولا في نثر ، وأجازه فيهما الأخفش وابنُ جني والطُّوال وابن مالك ، والصحيح جوازه في الشعر فقط .

(وسِنمَّار اسمٌ لرجل روميٍّ بنى قصراً عظيماً بظهر الكوفة ، للنعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة ، فلما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه ، لئلاّ يبني لغيره مثله ، فضربت به العربُ المثل في سوء المجازاة .

ويجب كذلك اذا كان الفاعلُ محصوراً بـ «إنما» بخلاف «إلاّ» — هذا عند الكسائيّ، وذهب الفرّاء وابنُ الأنباريّ الى وُجوب تقديم المفعول إذا كان الفاعل محصوراً بـ «إلاّ».

والعامل في الفاعل هو الفعل المسنَدُ أو شِبهه، وقد يُحذف فعله لقرينة، وهو كثير بعد «لو» و«لولا» وقد يُحذفان معاً.

نائب الفاعل [١]:

ما أُسنِدَ اليه المجهول او شبهُهُ [٢] ويجوز إنابة المفعول به [٣].

والمصدر غير العلة [٤] والمحل المنصرف [٥] اتفاقاً، والحال الضروريّ اذا كان جملةً عند الشيخين [٦]، لا مفرداً خلافاً للفرّاء [٦]، ولا التمييز خلافاً

(١) جرى المصنف في هذه الترجمة (نائب الفاعل) على مصطلح ابن مالك رحمه الله، وهي أولى وأخصر من قول كثير (المفعول الذي لم يسمّ فاعله) لأنه لا يشمل غير المفعول مما ينوب كالظّرف مثلاً، إذ المفعول به هو المراد عند الاطلاق، ولأنه يشمل المفعول الثاني في أعطي زيدٌ ديناراً وليس مراداً (انظر الخضري والصبان). (٢) قد يحذف الفاعل للجهل به، أو لغرض لفظي كتصحيح النظم، أو معنويٍّ كأن لا يتعلّقَ بذكره غرضٌ، وكالإيجاز، والعلم به، والإبهام، والتعظيم، والتحقير، والخوف منه، أو عليه، فصار بذلك شبه المجهول. (٣) نحو: «وغيضَ الماء، وقضيَ الأمر».

(٤) لم يُشترط في المصدر النائب عن الفاعل أن يكون مختصاً بوصفٍ أو إضافة أو عَدَدٍ كما يتضح من مثاله «نُفِخَ نفخةٌ». (٥) المتصرف ما يفارق النصب على الظرفية والجرّ بمن. (٦) أجاز الكسائي والفرّاء قيام الجملة التي هي خبرٌ لكان وجعل مقام الفاعل، نحو: (كين يُقامُ) و(جُعِل يُفعل). واستبعد جَوازه الرضيُّ في شرح الكافية لوجهين (أحدهما) أن هذين الفعلين من عوامل المبتدإ والخبر، وما حُذِف في هذا الباب من الفاعل —

للكسائي (١) ، نحو : ضربَ عمرٌو ، ونُفخ نفخةٌ ، وصيمَ رمضان ، وكين يُقام ، وكين ، وطيبت نفسٌ .

ولا يتعين المفعول به إذا وُجد ، فيجوز إنابة غيره ، نحو : ليُجزى قوماً بما كانوا يكسبون (٢) . ولا ينوب الثاني من باب علمتُ ، ولا ثانياً : أعلمت

— فليس بمنويٍ ، ولا يُحذف المبتدأ إلا مع كونه منوياً ، فلا ينوب على هذا خبر كان المفردُ أيضاً عن الفاعل ، نحو : كين قائمٌ ، وقد أجازه الفرّاء دون الكسائي (والثاني) أن الجملة لا تقوم مقام الفاعل إلا محكية أو مؤولةً بالمصدر المضمون ، ولا معنى لكين القيامُ (ص ٧٤ ج ١ شرح الرضي على الكافية) .

(١) في شرح الرضي للكافية : وأجاز الكسائي نيابة التمييز لكونه في الأصل فاعلاً فقال في طابَ زيدٌ نفساً طيبت نفسُ زيدٍ . (٢) أي إنه إذا وجد مع الفعل مفعول به ، ومصدر وظرف وجارٌ ومجرور جاز عند الكوفيين نيابة غير المفعول ، سواء تقدم النائب عن المفعول به او تأخر ، لقراءة ابي جعفر : « ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون » فيجزى : مبني للمفعول ، و « بما » نائب فاعل مع تقدم المفعول به وهو « قوماً » عليه . وقوله :

وإنما يُرضي المنيبُ ربَّه ما دام معنياً بذكرٍ قلبَه

والشاهد نيابة الجارّ والمجرور مع وجود المفعول مؤخراً ، وكقول رؤبة :

لم يُعن بالعلياء إلا سيدا ولا شفى ذا الغيّ إلا ذو هُدى

والمعنى : لا يهتمّ بالمكارم إلا شريف النفس ، ولا يبعد الضالّ عن ضلاله ، وسيء خصاله ، إلا من هداه الله ، والشاهد : نيابة الجارّ والمجرور مع وجود المفعول به ، وقد اجاب البصريون بأن البيتين ضرورةٌ . قال في شرح الجامع : والحقُّ أنه إن كان الغير أهمّ في الكلام كان أولى بالنيابة من المفعول به ، مثلاً إذا كان المقصود الأصليّ وقوعَ الضرب أمامَ الأمير أقيم ظرف المكان مقام الفاعل مع وجود المفعول به كما افاده السيد (ص ٤٢ ج ٢ حاشية الصبان) .

مطلقاً (١)، ولا ثاني أعطيت اذا كانت نكرة والأول معرفة (٢) .

فصل في الاسناد :

إذا كان المسند اليه ظاهراً ذات حر متصلاً، مفرداً او مثنى يجب تأنيث المسند مفرداً (٣)، واذا كان مذكراً، مفرداً او مثنى، فالتذكير، وإلاّ فوجهان (٤)

(١) اي إن ما كان خبراً في الأصل، لا ينوب فيه المفعول الثاني ولا الثالث، سواء أُلبسَ أم لا، وسواء أكان جملة ام لا، وسواء أكان نكرة والأول معرفة ام لا . (٢) وجهه ان النائب عن الفاعل مسند اليه كالفاعل، والمعرفة احقُ بالاسناد اليها من النكرة . (٣) نحو قوله تعالى : «إذ قالت امرأة عمران» فهنا أُنّث المسند «قالت» لأن المسند اليه «امرأة عمران» ظاهر، متصل بفعله، حقيقي التأنيث، وهو المراد بقوله (ذات حر) وأصل حر (حرح) بدليل تصغيره على (حريح) وجمعه على (أحراح) فحذفت لامه وهي الحاء اعتباطاً، فبقي كَيَدٍ ودمٍ وهو بكسر الحاء (ف . . المرأة)، ولكن المراد هنا مطلق (الف . .) . ويا عجباً للمؤلف كيف اختار هذا اللفظ (ذات حر) الذي اضطرُ اليه ابن مالكٍ في الفيته، فقد يُغتفر في الشعر ما لا يُغتفر في غيره، وقد كان في وسعه ان يقول (المؤنث الحقيقي)، ولعلّ مذهب الكوفيين اضطره الى (ذات حر) ! .

(٤) التأنيث نحو : «كذبت قبلهم قومُ نوح» و «قالت الأعراب آمنا» واورقت الشجر، والتذكير نحو : اورق الشجر، «وكذب به قومُك» «وقال نسوة» وقام الرجال، وجاء الهنودُ، إلا أن سلامة نظم الواحد في جمعي التصحيح اوجبت التذكير في نحو : قام الزيدون، والتأنيث في نحو : قامت الهنداتُ، خلافاً للكوفيين فيها، فقد اجازوا في الفعل معها التذكير والتأنيث، واحتجوا بنحو : «إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل» «إذ جاءك المؤمناتُ» وقوله :

نبكي بناتي شجوَهنَّ وزوجتي والناظرون إليَّ ثم تصدَّعوا —

ومكنى المذكر (١) المفرد فعل ، والمؤنث فعلت ، والمثنى المذكر فعلا ، والمؤنث فعلتا ، والجمع فعلوا وفعلت وفعلن ٠

فصل في التنازع (٢)

إذا تنازع العاملان (٣) ، في فاعل بعدهما ، نحو : جاء وقعد الزيدان ، قال الكسائي : هو فاعل الثاني ، وفاعل الأول محذوف (٤) ٠ وقال الفرّاء : هو فاعلها (٥) ، وقال الجمهور : هو فاعل الأول ، وفاعل الثاني تكنيه وجوباً ، وقد عُزي الى الفرّاء ايضاً فتقول : جاء وقعدا الزيدان ، واذا تنازعا في مفعول فكذلك ٠ إلا ان غيرهما جوّزوا إعمال الثاني بحذف

— والمعنى : ان بنات ذلك الشاعر وزوجته والمحبين اجتمعوا وبكوا حزناً وهمّاً ، ثم تفرقوا بعد ذلك ٠ والشاهد تجريد (بكى) من علامة التأنيث ، مع ان الفاعل جمع مؤنث سالم ، فهو حجة للكوفيين (٢١١ ج ١ المنار على التوضيح) ٠

(١) اي ضميره كما هو ظاهر ٠ (٢) التنازع لغة التجاذب ، واصطلاحاً : توجُّه عاملين الى معمول واحد ، كل منهما طالب له من جهة المعنى ، نحو قول المؤلف رحمه الله : جاء وقعد الزيدان ، فكل واحد من جاء وقعد يطلب « الزيدان » بالفاعلية ٠ (٣) إذا تنازع العاملان جاز إعمال ايهما شئت ، باتفاق من البصريين والكوفيين ، فقد سمع من العرب إعمال كل منهما ، فالخلاف الآتي في المختار منهما لا في اصل الصحة ٠ (٤) بناء على مذهبه في جواز حذف الفاعل في باب التنازع عند إعمال الثاني فراراً من الإضمار قبل الذكر ٠ (٥) توجيهاً للعاملين الى الاسم الظاهر ، وبناء على منع الإضمار في الأول عند إعمال الثاني ٠

مفعول الأول (١) نحو : ضربت وأكرمت زيداً ، او بكنايته مؤخراً ، نحو ضربت وأكرمت زيداً إياه ، وبذكره إذا كان ضرورياً (٢) نحو : علمتني قائماً ، وعلمت زيداً قائماً .

ويجوز حذفه أيضاً ، تقول : علمتك وعلمتني قائماً (٣) ، وقس عليه اذا تنازعا في شيء يطلبه أحدهما فاعلاً ، والثاني مفعولاً ، الا أنه لا سبيل الى اهمالها هنا . فيجب إعمال الأول عند الفراء (٤) . وأما مبنى الاختلاف فانهم منعوا الكناية قبل التصريح لفظاً ورتبة (٥) ولم يجوز غير الكسائي حذف الفاعل (٦)

(١) وافق البصريون هنا الكسائي في حذف المفعول لأنه فضلة يحذف فى السعة ، ولأنه يلزم على ذكره التكنية قبل التصريح (الاضمار قبل الذكر) . وعود الكناية على متأخر لفظاً ومعنى وحكماً ، ولا ضرورة اليه فترتكب مخالفة القياس .

(٢) يعني ان لم تستغن عن المفعول أظهرته ، ليؤمن حذف ما لا يجوز حذفه .

(٣) إنما جاز حذفه عند الكوفيين لأنه مدلول عليه بثاني مفعولي الفعل الآخر ، قال الأشموني : وأما الحذف فمنعه البصريون ، وأجازه الكوفيون لأنه مدلول عليه بالمفسر ، وهو أقوى المذاهب ، لسلامته من الاضمار قبل الذكر ومن الفصل .

(٤) الفراء يقول : ان استوى العاملان في طلب المرفوع ، فالعمل لهما ولا اضمار ، لأنهما كالعامل الواحد ، فأخواك في نحو : قام وقعد أخواك ، فاعل لقام وقعد ، فهو فاعل لفعلين عنده ، وان اختلفا ، وكان أولهما يطلب مرفوعاً أضمرته مؤخراً ، فراراً من حذف الفاعل ، ومن الاضمار قبل الذكر فتقول : أكرمني وأكرمت زيداً هو . (٥) أي لأنه قبيح . (٦) أي اذا دل عليه دليل ، فاذا قلت : اجتهد فسرني يسار ، وجعلت يساراً فاعلاً لسر ، كان فاعل (اجتهد) على رأي الكسائي محذوفاً لدلالة ما بعده عليه ، وعلى رأى سيبويه والجمهور ضميراً مستتراً يعود اليه ؛ لأن عود الضمير على المتأخر أهون من حذف الفاعل وهو عمدة ، ولكل وجهة ، ولكلا المذهبين شواهد تراجع في شروح الألفية وحواشيها عند قول ابن مالك : وأعمل المهمل في ضمير ما تنازعاه والتزم ما التزما

ولم يجوز إعمال الثاني الفراء [1] .

المبتدأ والخبر

المبتدأ ذو الخبر : ما أسند اليه مؤخر ، او مقدم ، لا يعمل فيه ، عارياً عن النواسخ ، وهو هو ، نحو : زيد قائم ، وانسان عمرو ، وقائم أنت [2] . وعامله الخبر عند الشيخين [3] . العائد من الخبر عند الجمهور . ولا يجوز الابتداء بالنكرة ، ما لم تفد [4] ، ويجب تقديمه اذا كانا متساويين نحو : هذا زيد ، وأفضل منك

(١) أي لأنه اذا أعمل الثاني أدى ذلك الى الاضمار قبل الذكر (الكناية قبل التصريح) وهو ممنوع عندهم كما تقدم . (٢) هذه الأمثلة مرتبة على تعريف المبتدأ وعائدة اليه ، ففي المثال الأول اسند اليه مؤخر وهو « قائم » ، وفي الثاني مقدم وهو « انسان » وفي الثالث لفظ « أنت » يرتفع بالضمير العائد اليه من الخبر « قائم » لا بالخبر ، وهو معنى قوله : « لا يعمل فيه » وقوله : عارياً عن النواسخ ، اي نواسخ المبتدأ ، وهي كان ، وإنّ ، وظنّ ، وأخواتها ، وما ، ولا ، وقوله « وهو هو » اي ان الخبر هو المبتدأ في المعنى ، او هو وصف المبتدأ ، والوصف في المعنى هو الموصوف ، ألا ترى انك اذا قلت « زيد عالم » كان « عالم » في المعنى وصفاً لزيد ، وهو « زيد » متصفاً بالعلم ؟ (٣) هما إماما الكوفة الكسائي والفرّاء ، وقد تقدم ذكرهما ، وكأن عامله الخبر عندهما ، فعامل الخبر هو المبتدأ ، اي فهما يترافعان ، وهو مذهب الكوفيين كما ترى في انصاف الأنباري وغيره .

(٤) أي لأنها مجهولة ، والحكم على المجهول لا يفيد غالباً ويسوغ ان حصلت به فائدة ، كأن يخبر عنها بمختص مقدم ظرف او مجرور ، نحو : « ولدينا مزيد » ، « وعلى أبصارهم غشاوة » فالذي سوغ الابتداء بغشاوة وبمزيد في الآية قبله الإخبار عنها بظرف ومجرور مختصين باضافتها لما يصلح للابتداء ، وقد قال ابن مالك رحمه الله :

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ما لم تفد كعند زيد نمرة

ولم يشترط سيبويه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة الا حصول الفائدة ، —

افضل مني (١) او كان المبتدأ مما له الصدر نحو: من ابوك ؟ (٢) او كان خبره مما لو قدّم لعمل فيه نحو: زيد قام (٣) ، بخلاف: قاما الزيدان (٤) ، او كان خبره محصوراً نحو: ما زيد الا قائم (٥) ، وقد يحذف (٦) ويجب في نعت مقطوع: نحو الحمد لله الحميدُ ، ومصدرٍ ناب عن فعله ، نحو: سمع وطاعة (٧) وكل خبر

— ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدي الى مواضع الفائدة فتتبعوها ، فمن مُقلّ مخل ، ومن مكثر مورد ما لا يصح ، او معدّد لأمور متداخلة . قال الاشموني: والذي يظهر انحصار مقصود ما ذكروه في الذي سيذكر ، وذلك خمسة عشر أمراً ، وعدّدها . (١) اي يجب تقديم المبتدأ اذا استوى مع الخبر تعريفاً وتنكيراً كما ترى في المثالين ، فلو قدمت «زيداً» في الأول لكان مبتدأ ، وأنت تريده خبراً ، وكذا في المثال الثاني . (٢) فانّ «مَن» الاستفهامية لها الصدارة ، ومثلها «مَن» الشرطية و «ما» التعجبية ، و «كم» الخبرية ، وهي مبتدآت نحو «من يعدل يفلح» و «ما أحسن الفضيلةَ ؟» و «كم شغفٍ بحب الخير رأيت» اي كثيراً . (٣) فلا يجوز تقديم الفعل على أنه خبر . (٤) أي فإنه جائز ، لأنّ (قاما) ليس عاملاً في (الزيدان) بل هو عامل في الضمير البارز .

(٥) فقائم وهو الخبر محصور بإلا . وقد اقتصر المؤلف على هذه الوجوه من وجوب تقديم المبتدأ ، ونحن قد راعينا هذا الايجاز فلم نزد عليه .

وقال الإمام الانباري (المتوفى سنة ٥٧٧) ذهب الكوفيون الى انه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه ، مفرداً كان او جملة . اي خلافاً للبصريين ، واورد حُجج كل من القولين على عادته ، ورجح قول البصريين ، ونحن لم نخرج عن غرض المؤلف من رسالته هذه ، وهو حصرها في المذهب الكوفي من دون تطويل ولا ترجيح .

(٦) اي المبتدأ اذا عرف : قال ابن مالك: وفي جواب كيف زيد قل دَنِف فزيد استُغني عنه اذ عُرف . (٧) اصله مصدر منصوب بفعل محذوف وجوباً ، من المصادر التي جيء بها بدلاً من افعالها لكنهم قصدوا به الثبوت والدوام فرفعوه وجعل خبراً عن مبتدأ محذوف وجوباً حملاً للرفع على النصب ، اي امري سمع وطاعة .

لا بد فيه من عائد الى المبتدأ [١] وقد يتعدد [٢] ويكون جملة ، ويدخله الفاء [٣] . ويحذف ، ويجب في نحو : ضربي زيداً قائماً اي ما هو سد مسده الحال [٤] ، ومثله: لعمرك لأفعلن [٥] ، وقد يترك مستغنى عنه ، إذا ظهر المراد ، نحو : كل رجل

---

(١) ذهب الكوفيون الى أن خبر المبتدأ يتضمن ضميراً يرجع الى المبتدأ ، وان كان اسماً غير صفة (اي جامداً) لأنه في معنى ما هو صفة ، نحو : زيد اخوك ، وعمرو غلامك ، فهو في معنى زيد قريبك وعمرو خادمك ، فلما كان خبر المبتدأ ههنا في معنى ما يتحمل الضمير وجب ان يكون فيه ضمير يعود الى المبتدأ ، واجمعوا ـ بصريين وكوفيين ـ على انه يتضمن الضمير اذا كان صفة نحو : زيد فاضل ، وعمرو حسن . (٢) قال ابن مالك في آخر بحث المبتدأ :

وأخبروا باثنين او باكثرا عن واحد كهُم سَراة شُعَرا

وفي التنزيل : « وهو الغفور الودودُ ذو العرش المجيدُ » . (٣) نحو : الذي يجتهد فله جائزة ، فالمبتدأ هنا : اسم موصول ، مشبه باسم الشرط في عمومه ، واستقبال الفعل الذي بعده ، وكونه سبباً لما بعده ، فهو في قوة ان تقول : « من يجتهد فله جائزة » . ولهذا اذخلت الفاء في الخبر كما تدخل في جواب الشرط .

(٤) في شرح الرضي على الكافية (ج ١ ص ٩٤) : وذهب الكوفيون الى ان نحو : قائماً ، حال من معمول المصدر لفظاً ومعنى ، والعامل فيه المصدر الذي هو مبتدأ ، وخبر المبتدأ مقدّر بعد الحال وجوباً ، اي : ضربي زيداً قائماً ـ حاصل ، ولا يصح وقوع هذه الحال خبراً ، لأن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى كما مر ، ولا يوصف الضرب بالقيام . وللنجم الرضي بيان وتعليل لفساد مذهبهم في هذه المسألة (ص ٩٥) وليس من شأننا تسجيل المناقشات في هذه التعليقات .

(٥) اي لعمرك قسمي ، فان المبتدأ صريح في القسم ، وجواب القسم ساد مسد القسم المحذوف .

وضيعته [1] ، ولا يقدم على المبتدأ إذا كان مصدراً بـ « إنّ » او « أن » او « كأنّ » او « لكنّ » او « ليت » او « لعلّ » النواصب [2] وكثر حذفه بعد « لا » التبرئة ، ويجب في لغة تميم [3] وقد يدخله الباء بعد « ما » و « لا » و « هل » [4] فينصب

---

(١) اي مع ضيعته ، والضيعة في اللغة العقار ، وهو ههنا كناية عن الصنعة قال الكوفيون : وضيعته ، خبر المبتدأ ، لأن الواو بمعنى مع ، فكأنك قلت : كل رجل مع ضيعته ، فاذا صرحت بمع ، لم تحتج الى تقدير الخبر ، فكذا مع الواو التي بمعناه ، فلا يكون هذا المثال إذاً ، مما نحن فيه ، اي مما حذف خبره .

(٢) اي لأن هذه الحروف فروع على الفعل في العمل ، فأريد ان يكون عملها فرعياً أيضاً ، والعمل الفرعي للفعل أن يتقدم المنصوب على المرفوع ، والأصلي ان يتقدم المرفوع على المنصوب ، فلما اعملت العمل لفرعيتها ، لم تتصرف في معموليها بتقديم ثانيهما على الأول كما تصرف في معمولي الفعل ، لنقصانها عن درجة الفعل .

(٣) أي كثر حذف المسند الذي هو خبر « لا » التي لنفي الجنس ، أو(لا) التبرئة (تسمى : لام التبرئة ـ لتبرئة المتكلم وتنزيهه الجنس عن الخبر ـ والنافية للجنس) بعد دخولها ، وفي شرح الكافية : ويحذف كثيراً ، وبنو تميم لا يثبتونه ، ثم قال بعد بحث في الموضوع : فعلى هذا القول يجب اثباته (اي خبر لا) مع عدم القرينة عند بني تميم وغيرهم ، ومع وجودها يكثر الحذف عند اهل الحجاز ، ويجب عند بني تميم ، وفي الشرح أيضاً: ووجه مشابهة لا التبرئة (لإنّ) أن (لا)للمبالغة في النفي ـ اي لكونها لنفي الجنس ـ كما أنّ (إنّ) للمبالغة في الإثبات ، وقيل حملت عليها حمل النقيض على النقيض (ج ١ ص ١٠٠) طبعة الدار العلية سنة ١٢٧٥

(٤) نحو : ما زيد بحاضر ، ولا رجل بأفضل منك ، وقيل بلا التبرئة أيضاً نحو : لا خير بخير بعده النار ، والأولى أنها بمعنى (في) وهل زيد بقائم .

بنزعه بعد ما كثيراً وبعد غيره شاذاً [١] وقد يدخل اللام في الخبر بعد إن غالباً ، اذا كان مضارعاً اتفاقاً [٢] او ماضياً ، خلافاً للشيخ وهشام [٣] وورد بعد لكن [٤].

المبتدأ الموافق ذو الفاعل : هو شبه فعل [٥] اسند الى فاعله الظاهر ، ترافعا [٦] ، وحكمها حكم الفعل مع فاعله [٧] ويدخل عليه إن وأخواتها ، تقول ، إن قائماً

---

(١) ذهب الكوفيون الى أنّ (ما) في لغة أهل الحجاز لا تعمل في الخبر ، وهو منصوب بحذف حرف الخفض ، فاذا حذف حرف الخفض من قولك ما زيد بقائم ، وجب أن ينصب لفظ « قائم » بنزع الخافض ، فنقول : « مازيد قائماً »

(٢) منه قوله تعالى : « وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة » « إني ليحزنني أن تذهبوا به » . (٣) اما الشيخ فالكسائي واما هشام فهو ابو عبد الله بن معاوية الضرير ، النحوي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ وفي المغني لابن هشام : « الثالث : الماضي المتصرّف المجرّد من (قد) أجازه الكسائي وهشام على إضمار قد ، ومنعه الجمهور ، وقالوا : انما هذه لام القسم ، فمتى تقدم فعل القلب فتحت همزة إنّ : كعلمت ان زيداً لقام ، والصواب عندهما الكسر (ج ١ ص ١٧٥) فمن حق المؤلف أن يقول ... او ماضياً وفاقاً للشيخ وهشام . (٤) في المغني (١/٢٠٨) : ولا تدخل اللام في خبرها خلافاً للكوفيين ، احتجوا بقوله : ولكنني من حبها لعميد « ولا يعرف له تتمة ولا قائل ولا نظير ، ثم هو محمول على زيادة اللام »

(٥) المراد بشبه الفعل : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، والمنسوب . (٦) قال ابن هشام في اوضح المسالك : وارتفاع الخبر بالمبتدأ ، لا بالابتداء ، ولا بهما ، وعن الكوفيين أنهما ترافعا . (٧) قال الرضي في شرح الكافية : الكوفيون جوزوا رفع الصفة للظاهر على أنه فاعل لها من غير اعتماد على الاستفهام أو النفي نحو : قائم الزيدان ، كما يجيزون نحو : في الدار زيدان بعمل الظرف بلا اعتماد .

زيد ، وإن قائماً الزيدان [١] .

المنصوبات

المبتدأ المخالف : فهو محل [٢] ، او جار مع المجرور ، أسند الى فاعل عامله الخلاف ، نحو : عندك زيد ، وحكمه حكم الفعل مع فاعله [٣] .

الخبر المخالف : فهو محل ، او جار مع المجرور ايضاً ، اسند الى المبتدأ ، نحو : زيد عندك ، وعامله الخلاف أيضاً [٤] .

---

(١) وقال الرضي أيضاً : ويجوز عند الأخفش والفراء : إن قائماً الزيدان ، وسوغ الكوفيون هذا الاستعمال في (ظن) أيضاً ، نحو : ظننت قائماً الزيدان . وردّ الرضي هذا القول ببيان وتعليل ، ونحن ليس من غرضنا أن ننقض المذهب الكوفي بغيره ، فنثبت ما قاله الرضي ، ولا ان نرجح قولاً على قول ، وإنما القصد ايضاح ما تضمنته هذه الرسالة من المذهب الكوفي فحسب . (٢) المحل : هو الظرف . (٣) اي في كونه : عاملاً في الاسم الذي بعده ، فيوجبون ارتفاع زيد ، في نحو « عندك زيد » على الفاعلية للظرف (اي المحل) لتضمنه معنى الفعل ، كما قالوا في نحو : قائم زيد ، وإنما قال الكوفيون ذلك لاعتقادهم ان الخبر لا يتقدم على المبتدأ ، مفرداً كان او جملة ، وبقية البحث تأتي في التعليقة التالية . (٤) في شرح الرضي على الكافية (ج ١ ص ٨٣) : وانتصاب الظرف خبراً للمبتدأ عند الكوفيين على الخلاف ، يعنون أن الخبر لما كان هو المبتدأ في نحو زيد قائم ، او كأنه هو في نحو : وازواجه أمهاتهم ، ارتفع ارتفاعه . ولما كان مخالفاً له ـ بحيث لا يطلق اسم الخبر على المبتدأ ، فلا يقال في نحو زيد عندك : إن زيداً عنده (اي لأن الخبر هنا ، ليس هو المبتدأ في المعنى كما هو ظاهر ـ خالفه في الاعراب ، فيكون العامل عندهم معنوياً ، وهو معنى المخالفة التي اتصف بها الخبر ، ولا يحتاج عندهم الى تقدير شيء ، يتعلق به الخبر . واما البصريون فقالوا : لا بد للظرف من محذوف يتعلق به لفظي ، إذ مخالفة الشيء للشيء لا توجب نصبه .

النعت المخالف [1] : فهو محل ، او جار مع المجرور يبين وصف نكرة ، نحو : رجل من الكرام عندنا ، ولا يتقدم على المنعوت .

المصدر [2] : اسم ما فعله الفاعل ، أكد به الفعل ، أو بيّن عدده ، او نوعه ، او علته [3] : ضربته ضرباً ، او ضربتين ، او ضربات [4] ، او تأديباً ، ويرد معرّفاً باللام ، نحو : ضربته الضرب [5] ، وقوله :

لا أقعد الجبن عن الهيجاء ولو توالت زمر الأعداء [6]

---

(١) راجع ما أثرناه عن شرح الرضي في بحث « الخبر المخالف » . (٢) هو المصدر الفضلة المؤكد لعامله او المبين لنوعه او عدده ، وهو مفعول الفاعل حقيقة ، وفي الأشموني : والمفعول المطلق لا يكون إلا مصدراً ، نظراً الى أن ما يقوم مقامه مما يدل عليه خلف عنه في ذلك ، وأنه الأصل . (٣) لأن المصدر يشعر بالعلية ، كما في قوله : ضربته تأديباً ، وفي الرضي : أن ما يسميه النحاة مفعولاً له ، هو المفعول المطلق لبيان النوع ، عند الزجاج كما في : ضربته تأديباً ، فان مآله مماثل اضربته ضرباً . راجع تعليله (١٧٥/١) . (٤) المصدر المؤكد لا يثنى ولا يجمع باتفاق ، فلا يقال : ضربين ولا ضروباً ، لأنه مقصود به الجنس من حيث هو كماء وعسل ، ولأنه بمنزلة تكرار الفعل ، والفعل لا يثنى ولا يجمع ، والمختوم بتاء الوحدة كضربة ، بعكسه باتفاق فيقال : ضربتين وضربات ، لأنه كتمرة وكلمة . (٥) في شرح الكافية للرضي : او معرفاً بلام العهد كما اذا أشرت الى ضرب معهود شديد او خفيف او غير ذلك ، فتقول : ضربته الضرب .

(٦) الشاهد في ورود المصدر معرفاً باللام ، بقوله : لا أقعد « الجبن » عن الهيجاء ، والجبن هو الفزع وضعف القلب ، والهيجاء هي الحرب ، والشاعر يقول : مهما تتابعت وتكاثرت زمر الأعداء ، فانا لا أكف ولا أجبن عند اللقاء . قلت : وهذا هو خلق العروبة في جاهليتها وفي اسلامها ، فهل سلبت هذه الأمة أفضل مزاياها ؟ وهل استخذت أمام عدوها في أرض الميعاد ، والعرب لا تستخذي ! . . . —

ولا يتقدم التوكيد على الفعل، وقد يؤكد به مضمون جملة، وعامله الفعلُ المدلولُ عليه بالجملة: له عليَّ الف درهم اعترافاً [١]. ويجب إفراد التوكيد والعلة [٢] وقد ينوب عنه غيره، كضربته سوطاً، وعمل صالحاً، وهنيئاً مريئاً [٣].

وعامل المفاعيل، الفعل او شبهه عند الجمهور، فاعل عند هشام، الفعل مع

— أم هي مجيبة بقول الآخر:

وما إنْ طِبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

والطب ههنا بمعنى العلة والسبب، والدولة بالفتح الغلبة في الحرب، وبالضم تكون في المال، ودالت الأيام تدول، كدارت تدور، وزناً ومعنى، ولعل الأيام اذا دارت كرة اخرى، تستعيد هذه الأمة سيرتها الأولى فيكون لها الفوز المبين، وتحافظ على هذا التراث العظيم ان شاء الله. (١) يعني يكون المصدر مضموناً لجملة، لا تحتمل تلك الجملة من جميع المصادر إلا ذاك المصدر، ولهذا قيل ان المصدر الظاهر يؤكد نفسه، «فاعترافاً» في «له عليَّ الف درهم اعترافاً» يؤكد الاعتراف الذي تضمنته الجملة المذكورة، كما أن المصدر مؤكد لنفسه في نحو ضربت ضرباً، إلا أن المؤكد ههنا، مضمون المفرد، أي الفعل من دون الفاعل، لأن الفعل وحده يدل على الضرب والزمان، وأما في مسألتنا، (فالاعتراف) مضمون الجملة الاسمية بكمالها، لا مضمون أحد جزئيها، أي فالمصدر بمنزلة اعادة الجملة. (انظر شرح الرضي ج ١ ص ١١١). (٢) تقدم بيانه في أول بحث المصدر. (٣) عد الأشموني ما ينوب عن المصدر المبين للنوع، فبلغ ثلاثة عشر شيئاً، منها: آلته وصفته، كما هنا، وقد تكون الصفة النائبة عن المصدر دعاء مكرراً كقول كثيّر عزّة:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

الفاعل عند الفراء [١] وقد يحذف الفعل العامل [٢]، ويجب في نحو: حمداً له[٣] وسبحانه ولبيك وفي مثبت بعد نفي، أو معناه، داخل على ما لا يكون خبراً، إلا مجازاً، كـ: ما أنت إلا سيراً، وانما انت سيراً، او مكرر بعده، كما أنت سيراً سيراً [٤].

---

(١) عبارة المحقق الرضي: وأما ناصب المفعول: فالفعل عند البصريين، او شبهه، بناء على أنه به يتقوم المعنى المقتضي للرفع، أي الفاعلية، والمعنى المقتضي للنصب، اي المفعولية، وقال الفراء: هو الفعل والفاعل، وقال: هشام بن معاوية من الكوفيين: هو الفاعل، وقد ذكرنا في حدّ العامل: أن هذين القولين أولى بناء على أن الاصب علامة الفضلة لا علامة المفعولية (١/١١٦).

وقال في الإنصاف مقرراً حجة الكوفيين: ولما كان الفعل والفاعل بمنزلة الشيء الواحد، وكان المفعول لا يقع إلا بعدهما، دلّ على أنه منصوب بهما، وصار هذا كما قلتم في الابتداء والمبتدأ، إنهما يعملان في الخبر، لأنه لا يقع إلا بعدهما (١/٥٦ و ٥٨). (٢) كقولك لمن قدم من سفر: قدوماً مباركاً، فقدوماً مصدر محذوف العامل لدليل حاليّ وهو المشاهدة، والأصل: قدمت قدوماً.

(٣) اي من المصادر المسموعة التي كثر استعمالها، ودلت القرائن على عاملها، كقولهم عند تذكر نعمة وشدة: حمداً وشكراً لا كفراً، وسبحان الله، ولبيك، والتقدير: أحمد الله حمداً ... الخ. (٤) هذا مصدر يجب حذف فعله باجتماع شيئين: (أحدهما) ان يكون ناصبه خبراً عن شيء، لو جعلت هذا المصدر خبراً عنه لم يكن الا مجازاً، لكونه صاحب ذلك المصدر. والثاني ان يكون المصدر مكرراً، او بعد «الا» او معناها، نحو: ما أنت الا سيراً، وانما أنت سيراً، وما أنت سيراً سيراً». وانما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصر او التكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له، فلما كان المراد التنصيص على الدوام واللزوم، لم يستعمل العامل أصلاً، لكونه إما فعلاً —

ومما أكد مضمون جملة نحو: أنت قائم حقاً، أو فصّل أثره نحو: «فشدّوا الوثاق، فإما منّاً بعدُ، وإما فداء»[1] او شبه به علاجاً بعد جملة تضمنت صاحبه، واسماً بمعناه كله[2]: صوت صوتَك.

— وهو موضوع على التجدد، او اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل بمشابهته، فصار العامل لازم الحذف، فإن أرادوا زيادة المبالغة في الدوام جعلوا المصدر نفسه خبراً عنه، قال:

عجب لتلك قضيتي وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب

قال سيبويه: سمعنا بعض من يوثق به، وقد قيل له: كيف أصبحت؟ قال: حمد لله وثناء عليه، ومنه: سلام عليك. (١) يعني بمضمون الجملة مصدرها مضافاً الى الفاعل او المفعول، فضمون «فشدوا الوثاق» شدّ الوثاق، ويعني باثر ذلك المضمون: فائدته ومقصوده، وغرضه المطلوب منه، كالأثر الذي يكون بعد المؤثر، ويعني بتفصيل ذلك الأثر، بيان أنواعه المحتملة، فقوله: «فشدوا الوثاق» جملة تتضمن شد الوثاق، والمطلوب من شد الوثاق هو ما جاء في قوله: «فإما منّاً بعد واما فداء» فمنّاً وفداء، ذكرا تفصيلاً لعاقبة الأمر بشد الوثاق، والتقدير: فإما أن تمنوا منّاً، وإما أن تفادوا فداءً، ويشير بالنظم الى هذا بقوله:

وما لتفصيل «فإما منّا» عامله يحذف حيث عنّا

أي حيث عرض، (وانظر شرح الرضي أيضاً ج ١ ص ١٠٨ و ١٠٩).

(٢) المثال التام الذي أوردوه لهذه المسألة: مررت بزيد فاذا له صوت صوتَ حمار، وصراخ صراخَ الثكلى» يعني أن قوله: صوتَ حمار: مصدر، فائدته التشبيه، اذ المعنى، مثل صوت الحمار. فالمصدر هنا فعل علاجيّ، أي يحتاج في احداثه الى علاج بتحريك عضو — [بخلاف: له ذكاء ذكاء الحكماء فهو معنوي لا علاجي] — واقع بعد جملة وهي (له صوت) وهذه الجملة مشتمله على اسم بمعنى —

المفعول به

المفعول به : ما وقع عليه الفعل المتعدي ، أو تعلق به ، وهو جارّ مع المجرور ، نحو ضربت زيداً ، ومررت بعمرو ، وهو صريح وغير صريح . وقد يتقدم على عامله ، وقد يحذف منوياً ومنسياً ، نحو يعطي ويمنع [1] ويحذف عامله نحو : كلمته فاه الى فيّ ، (أي جاعلاً) ويجب في نحو : أهلاً وسهلاً ، وفيما حذر بتقدير : اتق ، نحو اياك وزيداً ، أو من زيد ، والأسدَ الأسد [2] أو اختص بتقدير : (أخصُّ) نحو : نحن العربَ » لفعله ، أو نعت قطع بتقدير : (امدح) نحو : الحمد لله الحميدَ ، أو اغرى به مكرراً نحو أخاك أخاك [3] .

وقد يعمل الفعل في مكنيّ ، او مضاف اليه ومرجعه ، ولا يشتغل باحدهما عن الآخر ، نحو زيداً ضربته [4] وعمراً حبست غلامه [5] .

المفعول فيه

المفعول فيه : ـ وهو المسمى حالاً وصفة ـ ما فيه الفعل من زمان أو مكان

ـ هذا المصدر المنصوب ، وهو المبتدأ المرفوع ، وهي مشتملة أيضاً على صاحب ذلك الاسم ، اي الذي قام به ذلك الحدث ، وهو الضمير المجرور باللام في مسألتنا « له صوت » . (١) المنويّ كقوله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء » أي يشاؤه . وغير المنويّ ، اما لتضمين الفعل معنى اللازم كقوله : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » اي يعدلون ، وإما للمبالغة بترك التقييد نحو : يعطي ويمنع ، وكقوله : « والله يقبض ويبسط » . (٢) انما وجب الحذف ليتنبهَ السامع بسرعة ، ويبتعد عن الهلاك . (٣) أو معطوفاً نحو : المروءة والنجدة . (٤ و ٥) وذلك لأن المكنى في المثالين ـ الذي هو الهاء العائد ـ هو الأول في المعنى (اي زيداً وعمراً) فينبغي ان يكون منصوباً به (اي بالفعل المذكور)

مبهم[١] ، وينوب عنه ما دلّ عليه . نحو : جاء زيد وحده ، أي زمان انفراده ؛ وحكمه حكم المفعول به [٢] ، ومنه : جئت وزيداً ، الواو : اسم بمعنى مع ،

(١) وشرط نصبه تقدير (في) وظروف الزمان كلها تقبل ذلك . وظرف المكان ان كان مبهماً قبل ، والاّ ، فلا . وفُسر « المبهم » أي غير المحصور من المكان ـ بالجهات الست ، والمقادير كالميل والفرسخ والبريد ، وحمل عليه : عند ولدَى وبين وإزاء ، وما هو بمعناها . « وغير المبهم » من المكان ـ وهو المختصّ (والمراد بالمختص هنا ماله صورة ، وحدود محصورة) نحو الدار ، والمسجد ، والبلد ، فانها أعلام باعتبار عين تلك الاّماكن . ومثل : بلد ، وسوق ، ودار ، فإنها أسماء لتلك المواضع ، بسبب أشياء داخلة فيها ، كالدور في البلد ، والدكاكين في السوق ، والبيت في الدار .

« والمبهم من الزمان » هو الذي لا حدّ له يحصره كحين وزمان . (والموقت منه) ماله نهاية تحصره كيوم وليلة وشهر ، ويوم الجمعة ، وشهر رمضان .

واعلم أنه انما نصب الفعل جميع أنواع الزمان ، لأنّ بعضَ الأزمنة ـ اعني الأزمنة الثلاثة : مدلولُه ـ فطرد النصب في مدلوله وفي غيره ، وأما المكان ، فلما لم يكن لفظ الفعل دالاً على شيء منه ، بل دلالته عليه عقلية ، لا لفظية ، ـ لأنّ كلّ فعل لا بدّ له من مكان ، ـ نصب من المكان ما شابه الزمان الذي هو مدلول الفعل ـ أي الأزمنة الثلاثة ـ وهو غير المختص ، ومنه المقادير على رأي الجمهور ، ووجه المشابهة : التغير والتبدّل في نوعي المكان ، كما في الامثلة الثلاثة . (انظر بحث المفعول فيه ، للرضي على الكافية ، وشروح الألفية) .

(٢) في الكافية وشرحها : « وينتصب ـ أي المفعول فيه ـ بعامل مضمر ، وعلى شريطة التفسير » اعلم أن انتصابه بعامل مضمر ، اما أن يكون بعامل جائز الاظهار ـ أو بممتنعه كما في المفعول به ، اذ هو هو اه . وقد تقدم بحث المفعول به مع عامله فراجعه .

مفعول فيه ، انتقل اعرابه الى ما بعده كالضارب ، وقيل هو منصوب بالخلاف [١] .

الحال [٢]

الحال : ما يبين هيئة الفاعل ، أو المفعول ، أو المجرور [٣] نحو :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلاً يحملن أم حديدا ؟ [٤]

ولا يكون إلا صفة [٥] ، أو بمعناه [٦] . ولا يكون مصدراً ، وفي نحو :

---

(١) أي مخالفة ما بعد الواو لما قبله ، فالناصب على هذا معنوي ، وأشار هنا الى ضعفه . (٢) يذكر ويؤنث ، والأفصح في لفظه التذكير ، بأن يجرد من التاء ، وفي ضميره ووصفه التأنيث . (٣) أي ما يبين هيئة الصاحب وصفته وقت وقوع الفعل نحو : رجع الجند ظافراً ، وأدب ولدك صغيراً ، ومررت بهند راكبة .

(٤) تقدم ذكر هذا البيت شاهداً في بحث (المرفوعات) على كون « مشيها » فاعلا مقدما (لوئيدا) الواقع حالا ، ووجه تمسكهم بالبيت أن « مشيها » ورد مرفوعا ، ولا يجوز أن يكون مبتدأ ، لأنه لا خبر له ، فتعين أن يكون فاعلا . وأورده هنا دليلاً على كون « وئيدا » حالاً من « الجمال » المجرور ، ويلزم على هذا الوجه جواز تقديم الفاعل على عامله ، والتباس الفاعل بالمبتدأ . وينسب هذا الشاهد الى الزباء بنت عمرو بن المضرب وقد تقدم ذكرها في مبحث الفاعل فراجعه .

(٥) المراد بالصفة ما دلّ على معنى وذات متصفة ، كاسم الفاعل ، والمفعول ، والصفة المشبهة ، وأمثلة المبالغة ، وأفعل التفضيل . (٦) أي بمعنى الوصف ، ولا شكّ أن الأغلب في الحال والوصف : الاشتقاق ، لكنهم يجعلون الشيء المشتهر في معنى من المعاني كالصفة المقيدة لذلك المعنى نحو قولهم ، لكل فرعون موسى (بصر فعيا) أي لكل جبار قهار ، (ومنها) « الحال » في قول بعض أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، في بعض أيام صفين :

فما بالنا أمسِ أسدَ العرين وما بالنا اليوم شاءَ النجَف

فيؤول المنصوب (أسدَ وشاءَ) بما يصح أن يكون هيئة لما تقدم ، أي ما بالنا أمس شجعاناً ، واليوم ضعافاً ؟

جاءني زيد ركضا ، يقدر : يركض [1] . ولا جامدا [2] ، ولا يكون معرفة [3] إلا اذا كان صاحبه فاعل النواقص [4] ، أو تضمنت معنى الشرط ، نحو :

(١) أي لأن « الركض » مصدر وزيد ذات ، والمصدر يباين الذات ، فركضا منصوب على المصدرية ، والعامل فيه محذوف تقديره : يركض ، والجملة في محل نصب حال من المكنّي في جاء . (٢) شرط جمهور النحاة اشتقاق الحال ، وان كان جامداً تكلفوا ردّه بالتأويل الى المشتق ، (قالوا) لأنها في المعنى صفة ، والصفة مشتقة أوفي معنى المشتق ، فقالوا في نحو « هذا بسراً ، أطيب منه رُطباً » : هذا مُبْسرا ، اطيب منه مرطبا ، أي كائنا بسرا ، وكائناً رُطباً . و « هذه ناقةُ الله لكم آيةً » أي دالةً . وفي الكافية : وكل ما دلّ على هيئة صحّ أن يقع حالا ، وهذا الحدّ يعم الجامد والمشتق ، ووافقه فيه المحقق الرضي ، معللاً بان الحال هو المبين للهيئة ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتكلف تأويله بالمشتق . قلت : والظاهر ما قالوه ، ولكني في هذه الرسالة ناقل للمذهب الكوفي ومبين له ، غير قائل فيه شيئاً لما بيناه من قبل .

(٣) لأن الغالب تعريف صاحبها ، فلو عرفت مع كونها مشتقة لتوهم أنها نعت عند نصب صاحبها ، وحمل غيره عليه . (٤) ذهب الكوفيون الى أنّ خبر « كان » والمفعول الثاني « لظننت » نصبٌ على الحال ، وذهب البصريون الى أن نصبها نصب المفعول ، لا على الحال .

ومما احتجّ به الكوفيون لمذهبهم أنّ « كان » فعل غير واقع ، أي غير متعدٍّ ، واذا لم يكن متعديا وجب أن يكون منصوباً ، نصب الحال ، لا نصبَ المفعول ، فانا ما وجدنا فعلاً ينصب مفعولاً هو الفاعل في المعنى إلا الحال ، فكان حمله عليه أولى ، ولأنه يحسن أن يقال فيه « كان زيد في حالة كذا » وكذلك يحسن أيضاً في « ظننت زيداً قائماً » : ظننت زيداً في حالة كذا ، فدلّ على أنه نصب على الحال . (قالوا) : ولا يجوز أن يقال : إنه لو كان نصباً على الحال لما جاز أن يقع معرفة في نحو : كان زيد أخاك ، وظننت عمراً غلامك » والحال لا تكون معرفة ، —

عبد الله المحسنَ أفضل منه المسيءَ[1] .

ولا يتقدم على عامله محلاً ، الا اذا كان صاحبه مستترا ، وقبله مرجعه مكنياً ، نحو : أنت قائماً عندي[2] ولا يتقدم على صاحبها المجرور ، الا اذا كان صاحبها مكنياً ، أو كان الحال فعلاً ، نحو : « مررت ضاحكة بهند » ومررت ـ تضحك ـ بها »[3] .

ـ لأنا نقول : انما جاز ذلك لأن أخاك ، وغلامك ، وما أشبه ذلك قام مقام الحال ، كقولك : ضربت زيداً سوطاً ، فان « سوطا » ينتصب على المصدر وان كان آلةً لقيامه مقام المصدر الذي هو ضربه ، فكذلك ههنا . على أنه قد جاءت الحال معرفة في قولهم « أرسلها العراك » أي معاركة ، « والعراك » حال من الهاء في (أرسلها) والضمير للإبل أو الأتن . و « طلبته جهدك وطاقتك » و « رجع عودَه على بَدئه » اي عائداً . الى غير ذلك ، فدلّ على صحة ما ذهبنا اليه اه (انظر الانصاف ٢/٤٨٩) .

(١) فالمحسن والمسيء حالان ، وصحّ تعريفهما لتأويلهما بالشرط ، إذ التقدير : عبد الله اذا أحسن ، افضل منه اذا أساء ؛ فان لم تتضمن الحال معنى الشرط لم يصحّ تعريفها ، فلا تقول : جاء عبد الله المحسن ، إذ لا يصحّ : جاء عبد الله ان أحسن .

(٢) ذلك لأنّ ذا الحال اذا كان مظهراً وقدمت الحال عليه ، أدّى الى الاضمار قبل الذكر ، لأنّ في الحال ضميراً يعود على ذي الحال المتأخر ، وأما اذا كان ضميراً ، فالضميران يشتركان في عودهما على مفسر لهما . ففي لفظ « قائماً » وهو الحال مكنيٌّ مستتر ، وفي المحلّ الذي هو « عندي » مكنيٌّ مثله وهو صاحب الحال ، وكلا المستترين عائد بلا شك على مفسر لهما ، متقدم عليهما ـ وهو « أنت » المبتدأ ؛ وانما جاز ذلك ، لأنه لم يلزم عليه الإضمار قبل الذكر .

(٣) عبارة الأشموني : « فصّل الكوفيون فقالوا : ان كان المجرور ضميراً ، نحو مررت ضاحكة بها ، او كانت الحال فعلاً : نحو : تضحك ـ مررت ـ بهند » جاز ، والاّ امتنع اهـ فقد اورد صاحبها مكنياً في المثال الأول ، وقدمها في الثاني على عاملها ، وصاحبها ، وأما « الموفي » فلم يورد الحال مكنية في المثال الأول ، وقدم عاملها في الثاني عليها وعلى صاحبها ، فانظر وتأمل .

ويكون جملة بعائد [١] أو، واو [٢]، ويجب « قد » في الماضي بالواو [٣] .

(١) في سورة يوسف : « وجاءوا أباهم عشاءً يبكون » فجملة الحال هنا هي الفعل المضارع المثبت ، وقد ارتبطت بصاحب الحال بالضمير ، وخلت من الواو .

(٢) مثاله من التنزيل : « لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم ؟ » فجملة الحال هي الفعل المضارع المثبت واقترنت بواو الحال .

(٣) اذا كان الرابط بين جملة الحال وصاحبه هو الواو وحده ، وجبت « قد » مع الماضي المثبت المتصرف نحو : جاء زيد ، ـ وقد طلعت الشمس ومن شواهده قول امرئ القيس :

تقول ـ وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

فان جملة « وقد مال الغبيط بنا معا » حال من الضمير المستتر في تقول : والرابط بينهما الواو وحدها . واذا كان الرابط هو الضمير وحده ، او الضمير والواو معاً ، جاز الوجهان ، الاقتران « بقد » والخلو منها لفظاً وتقديرا ، ففي التنزيل : « أو جاء وكم حصرت صدورهم » فانّ جملة « حصرت صدورهم » حال من واو الجماعة في « جاءوكم » والرابط بينهما الضمير المجرور محلاً بالاضافة في «صدورهم» .
وقال النابغة الذبياني :

وقفت بربع الدار قد غيَّر البلى معارفها ، والساريات الهواطلُ

فانّ جملة : « قد غيَّر البلى معارفها » حال من « ربع الدار » والرابط بينهما الضمير المجرور محلاً بالاضافة في معارفها » وأنثه مع عوده الى الربع » لأن المضاف قد يكتسب التأنيث من المضاف اليه .

فأنت ترى أن الرابط في الآية الكريمة ، وفي بيت النابغة هو الضمير وحده ، وقد جاء بدون « قد » في الآية الكريمة ، وبها في بيت النابغة .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

البلاغة بين اللفظ والمعنى

« من عصر الجاحظ الى عصر ابن خلدون »

— ٣ —

الشعر والشعراء : لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

لم يتعرض ابن قتيبة لبحث البلاغة ـ او فن الجمال في القول في تعبيرنا ـ بصورة مجردة ولم يحاول وضع او نقل تعريفات لها بل لم يذكرها اثناء كلامه على اقسام الشعر في كتابه الشعر والشعراء فيقول مثلاً إن الشعر يكون بليغاً إذا حوى من الصفات كذا وكذا ، ولم يحلّل الأشعار التي استشهد بها تحليل البلاغيّ ، وإنما قسّم الشعر الى اربعة اقسام تقسيم الأديب المجمل ، واستعمل كلمتي الحسن والجودة في وصف اللفظ والمعنى ومشتقاتها ، دون لفظي الفصاحة والبلاغة ، ولم يتعرض بالتفصيل لأسباب الحسن والجودة او القبح والتقصير في الأشعار التي جاء بها كأمثلة على اقسام الشعر ، ولم يحفل كذلك بذكر او شرح نظرية التأليف والنظم في الكلام ، وهل هي عملية معنوية ام لفظية ؟ وكل ما كان منه هو ان جعل اللفظ والمعنى شريكين في الحسن ، وأن احدهما قد ينفرد عن الآخر في الشعر فيكون حسناً ايضاً ، ولكنه في هذه الحالة يكون دون الشعر الذي اجتمع فيه حسن اللفظ مع حسن المعنى ، وهما مقياسا الجمال العامان في الفن الشعري . وبواسطة هذين المقياسين قسم ابو عبد الله بن قتيبة الشعر وجعله اربع مراتب يأتي في المرتبة الأولى منه الشعر الذي حسن لفظه ومعناه ، وقد ضرب عليه مثلاً قول الشاعر في بعض بني امية : (وينسب هذا الشعر الى الفرزدق في علي بن الحسين زين العابدين العلوي) :

« في كفه خيزران ريحها عبق من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم »

وقول الآخر :

« ايتهـا النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا »

وقول النابغة :

« كليني لهم يا أميمةَ ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب » (١)

وإذا فحصنا هذه الأبيات وجدنا فيها اشياء كثيرة غير اللفظ والمعنى ففيها جودة السبك وجمال الأسلوب وفيها العاطفة القوية التي يخاطب بها قلب الشاعر قلب السامع أو القارئ وفيها التصوير وفيها الايجاز وفيها التشخيص ويظهر أن ابن قتيبة كان يدخل كل هذه الأشياء في اللفظ والمعنى معاً او في احدهما وهو موفق الاختيار في هذا القسم . فاذا انتقلنا الى شعر المرتبة الثانية وهو الذي حسن لفظه دون معناه وجدنا ابن قتيبة غير موفق في فهم وتذوق الأمثلة التي يوردها وذلك لإعطائه للمعنى مفهوماً خاصاً قصد به المعنى العام الساذج الذي يكون حكمة او مثلاً او فكرة علمية او اجتماعية ، فقد ضرب المثل بهـذه الأبيات الثلاثة وهي من غرر الشعر :

ولما قضينا من مِنىً كل حاجة ومسَّح في الأركان من هو ماسح
وشُدَّت على حُدْب المَهارَى ركابنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح (٢)
أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناقِ المطي الأباطح

وقال فيها : « هذه الألفاظ كما ترى أحسنُ شيء مخارجَ ومطالعَ ومقاطعَ وإن نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا ايام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الانضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح ، وهذا الصنف في الشعر كثير » .

---

(١) الشعر والشعراء ص ٧ اقسام الشعر . (٢) نفس المرجع ص ٨

وهذه الأبيات في الحقيقة مثال للشعر المتأجج عاطفةً ، الحسنِ التصوير ، الذي يمثل حالة المحب الذي ودع أماكن ذكرياته ويصور انشغال الناس واضطراب أفكارهم وأبصارهم وهم عازمون على سفر كما يترك للخيال الواسع العنان أن يتصور كل حديث يمكن أن يتناول في مثل هذه المناسبات . وانتخاب الألفاظ كان موفقاً جداً توفيق الصور التي يعرضها لسير المطيّ وقد سالت بأعناقها الأباطح فهذه الصورة صورة عامة شاملة فيها حركة وفيها تنوع وفيها عاطفة وفيها حديث حسن وكل هذا غاب عن ابن قتيبة فلم يذكر منه الا اللفظ . ولا أظن كل هذه المحاسن قد غابت عن ذوق ابن قتيبة وانما أظن أنه لم يحسن التعبير عن سبب استحسانه للأبيات وحار في تعليله وقد وفّى هذه الأبيات حقها من الشرح والاستحسان عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز كما وفى ابن قتيبة نصيبه من النقد والتعريض وسنرى ذلك في حينه . وأخطأ ابن قتيبة في تعليل جمال أبيات اخرى لجرير خطأه في هذه الأبيات ولا يتسع الوقت لذكرها والتعليق عليها . ويأتي في المرتبة الثالثة الشعر الذي جاد معناه وقصرت الفاظه ويسوق مثالاً عليه قول لبيد بن ربيعة :

«ماعاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه القرين الصالح

فقال هذا وان كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق ومنه نتبين أنه يريد بالمعنى هنا ما يكون حكمة او نحوها وبالسبك صحة تأليف الجملة من الوجهة النحوية .

والمرتبة الرابعة والأخيرة يأتي فيها الشعر الذي تأخر معناه وتأخر لفظه ويضرب عليه مثلاً قول الأعشى في امرأة :

«وفوها كأقاحيّ غذاه دائم الهطل»

«كما شيب براحٍ با ردٍ من عسل النحل»

ويذكر أبياتاً أخرى من هذا النوع ثم يقول : وهذا الشاعر بيّن التكلف

رديء الصنعة وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة كشعر الأصمعي وابن المقفع والخليل . وقوله هذا يدلنا على أنه كان يعد التكلف والصنعة من مفسدات الشعر وأن السليقة ضرورية ليكون المرء شاعراً . ينتقل بعد ذلك ابن قتيبة الى فكرة ضرورة الحكم بالحسن من دراسة القول لا من معرفة القائل وهذه ملاحظة قيمة للناقد ، ويضرب مثالاً على ذلك شعر الأعشى :

« وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٍ شلولٍ شلشلٍ شولُ »

فيقول : « وهذه الألفاظ الاربعة في معنى واحد وكان يُستغنى بأحدها عن جميعها وماذا يزيد هذا البيت إن كان للأعشى أو ينقص » . والذي يعنينا هنا هو نقده لهذه الألفاظ المكررة ذات المعنى الواحد وأن يعيبها لأن الثلاثة منها زائدة وكان يكفي رابع الثلاثة ليدل على المعنى . والجميل عند ابن قتيبة هو أنه لا يذكر قيما مجردة لقبح الكلام أو لحسنه وإنما يورد أبياتاً تتصف بما يعطي هذه القيم وينقدها نقد الأديب الفطن ويحكم عليها بذوقه الأدبي ، وحبذا لو اتبعت هذه الطريقة من قبل جميع من بحثوا في البلاغة ؛ فكانت تجنبنا تلك الدراسة المنطقية والفلسفية التي خضع لها علم البلاغة . فهو يقول إن الناس كانوا يستجيدون للأعشى قوله :

« وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها »[1]

حتى قال أبو نواس :

« دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء »

وأن أبا نواس بقوله سلخه وزاد فيه معنى آخر اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه ، وكل هذا ليستنتج أن للأعشى فضل السبق اليه ولأبي نواس فضل الزيادة فيه .

ويقرر ابن قتيبة للشاعر طريقاً يجب عليه أن يسلكه في القصيدة وهو ما يسمى

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٣ .

بعمود الشعر ولم يسمه هو كذلك ، ويذكر العلل النفسية التي تدعو الشاعر لأن يسلك هذا الطريق فيقول إنما يقدم الشعراء الكلام في الأطلال ليمهدوا الأسباب لذكر أهلها ، ثم يتبعون ذلك بالنسيب ليؤثروا في القلوب ، وينتقل الشاعر بعد ذلك الى ذكر ايجاب الحقوق وانضاء الراحلة سفراً الى المحبوب ثم ينتهي الى المديح ويقول ان الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ولم يُطِل فيملّ السامعين ويقطعَ وبالنفوس ظمأ الى المزيد وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكي عند قصر مشيد أو يرحل على حمار او بغل او يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآس [1] وليس له أن يقيس على اشتقاقهم فيطلق ما لم يطلقوا كقول من قال « ترافع العزّ بنا فارفنععا » قياساً على :

« تقاعس العز بنا فاقعنسسا » . وابن قتيبة في هذا يرسم للشاعر تخطيطاً يلزمه باتباعه جرياً على عادة الشعراء واتباعاً للغة العرب ليكون كلامه مستحسناً غير خارج عن المألوف .

ونرى ابن قتيبة بعد ذلك يتكلم عن أثر العاطفة في تأليف الشعر فيقول : وللشعر دواع تحثّ البطيء ، وتبعث التكلف ، منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب » [2] ويذكر ان مدائح احد الشعراء كانت اجود من مراثيه في ممدوحيه لأنه في مدائحه يعمل على الرجاء في مراثيه يعمل على الوفاء [3] وبينهما بون بعيد ثم يذهب الى أن بعض العواطف أقوى من بعض في حمل الشاعر على الاجادة في الشعر فالطمع في الجائزة أقوى من عاطفة التحيّز الى فريق من الناس [4] ومن الجميل أنه يقول إن الطواف بالمناظر الطبيعية الجميلة يحث على قول الشعر .

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٥ (٢) نفس المرجع ص ١٧ (٣) نفس المرجع ص ١٨
(٤) المرجع السابق ص ١٨

ثم ينهي حديثه عن أثر العواطف في قول الشعر إلى أثر الشعر في عاطفة السامع التي تنتقل اليه من شعر الشاعر فيقول نقلاً عن أحدهم أن «أشعر الشعراء من إنت في شعره حتى تفرغ منه»[1] .

وينتقل بعد ذلك الى بيان عناصر أخرى في الشعر غير اللفظ والمعنى والعاطفة فيقول : «وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة المعنى واللفظ ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الاصابة في التشبيه وخفة الروي[2] » فالإصابة في التشبيه شيء راجع الى الخيال التصويري الذي لم يعرف العرب سواه في أدبهم إلا ما كان فيه خيال ابداعيّ من وضع القصص القصيرة طولا وخيالا .

ويتكلم ابن قتيبة عن ضرورة توفر الموهبة لدى الشاعر ليحسن شعره وينصح بترك التكلف فيقول : «والمتكلف من الشعر وان كان جيداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة اليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه[3] ويستشهد على هذا بشعر متكلف للفرزدق هو :

«أمير المؤمنين لأنت مرء ... الخ»

وقوله :

«وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلَّفُ»

برفع الروي والاحتياج الى التخريجات وإتعاب النحويين واضطرار الشاعر الى أن يقول : «علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا» يقول : «وتتبين التكلف أيضاً بأن ترى البيت مقرونا بغير جاره ومضموماً الى غير لفقه» .

وفي مكان آخر يقول في نفس هذه المناسبة : «والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة واذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحّر»[4] ويضرب

(١) الشعر والشعراء ص ٢٠ (٢) نفس المرجع ص ٢١ (٣) ص ٢٣ من المرجع السابق
(٤) ص ٢٥ من المرجع السابق

مثلاً على الشعر المطبوع قول الشاعر (وهو ابن مطير) :

« كثرت لكثرة قطره أطباؤه فإذا تحلب فاضت الأطباء »

ويقول فيه : « وهذا الشعر مع اسراعه فيه كما ترى كثير الوشي لطيف المعاني » وهو يقصد بكثرة الوشي هذا التشبيه الرائع بين اندفاع المطر من السحاب وبين تحلب اللبن من الأطباء وهو تشبيه تمثيلي جميل ثم هذه الصناعة اللفظية في البيت .

الى هنا نرى كيف يجمل ابن قتيبة الكلام على عناصر الجمال في الشعر فيتحدث عن عناصر اللفظ والمعنى والعاطفة والخيال التصويري وعن السليقة والمران لدى الشاعر وحسن السبك دون التعرض لها بصورة تحليلية عميقة ونرى أنه أحسن النقد وتعليل أسباب الحسن في مواضع دون أخرى وأنه كان أقرب الى الأديب الناقد منه الى البلاغي المتفلسف ، وأنه كان في حقيقة نفسه لا يقدم أي عنصر من عنصري اللفظ والمعنى على الآخر وانما يراهما صنوين متكافئين .

* * *

كتاب نقد الشعر : لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ ﻫ

يتكلم قدامة بن جعفر في كتابه عن عناصر الشعر فيجعلها أربعة المعنى واللفظ والوزن والقافية وهو يدخل التشبيهات وما اليها ضمن المعنى كما يدخل السبك وتلاؤم الألفاظ مفردة ومجتمعة ضمن اللفظ وبهذا ينقص من العناصر الأساسية التي نعنى بها نحن عنصري العاطفة والخيال المبدع المؤلف ولا يلتفت الى مراعاة تنوع الأسلوب بتنوع المواضيع ولا التفصيل فيه . وهو يقدم بحثه وتقسيمه بأسلوب العالم المنطقي الذي يحسن التقسيم والتبويب لا بأسلوب الأديب الناقد الذي يحسن تذوق الأدب والحكم عليه . ولكن الجميل عنده هو أنه لا يفضل بعض عناصر الشعر التي ذكرها على بعض بل يقول بضرورة ائتلافها كلها بعضها

مع بعض ليكون الشعر حسناً . وهذه نظرية جيدة تعني بالانسجام وتنظر الى الشعر كوحدة لا تنفصم عراها ؛ فلا ينظر في الحكم على جودة الشعر الى المعنى فقط ولا الى اللفظ أو أي شيء آخر على انفراد ، بل جمال الشعر يؤخذ ويحكم عليه من مجموع الصورة النهائية . ولكن هذا لم يمنع قدامة من أن يبين قيمة كل واحد من هذه العناصر الأربعة على حدة ومتى يكون في نفسه حسناً إذا نظر اليه منفصلاً عن غيره ، ثم ما هو نصيبه في تحقيق جمال القطعة الأدبية وإبرازه . ويظهر أن ثقافة قدامة التي كان فيها قسط وافر من الثقافة الأجنبية ساعدته على هذا التقسيم الجيد ، أو أنه استقى هذا التقسيم نفسه من مصادر يونانية أجنبية . ولكن تعريفه للشعر لا يمتّ إلى هذه الثقافة اليونانية بصلة قوية ، وبصورة خاصة ليس له أي نسب مع تعريف أرسطو للشعر ، فقد عرف قدامة الشعر بأنه لفظ موزون مقفّى [1] وهو تعريف ناقص لا ينطبق على القول الجميل ، بل إن شعر العلماء في النحو وغيره من فنون العلم الجافة ينطبق عليه . ويتحدث قدامة عن قيمة المعاني في الشعر فيقول إن المعاني بمنزلة المادة والشعر بمنزلة الصورة ويقول إن للشاعر الحرية في أن يتناول من المعاني ما يشاء سواء أكانت هذه المعاني كريمة أو فاحشة [2] والمعنى يجب أن يؤدي الغرض ولا يعدل عنه . وذكر مذهبي الغلو والاعتدال في إيراد المعاني وتصويرها [3] وفضل جانب الغلو آخذاً بقول من قال إن أحسن الشعر أكذبه [4] وقال إن معنى المدح يجب أن يكون في فضائل الناس الأربعة العامة ، وهي الشجاعة والعفة والعدل والعقل ، ويجوز المدح بأحدها أو ببعض اقسامه كالجود الذي هو فرع العدل . وهنا نلاحظ تخطيطه للطريقة وللمعاني التي يجب على الشاعر أن يأخذ بها نفسه في الموضوع الذي يريد طرقه .

---

(١) نقد الشعر ص١ (٢) المصدر نفسه ص٤ (٣) ص ١٧ من نفس المصدر

(٤) ص ١٩ نفسه

ويرى قدامة أن المعاني يجب أن تتلاءم مع مقتضيات الأحوال [١] ويرى أنّ طرافة المعاني ليست عاملاً في جودتها [٢] ويتكلم عن الهجاء [٣] وكيف يجب أن تكون معانيه فيؤيد هنا نظريته في أن للشاعر أن يتناول المعاني التي يريد ولو كانت فاحشة فيقول إن من الهجاء ما تجمل فيه المعاني إذا أصاب الغرض وكان موجزاً . وينتهي قدامة من الكلام عن المعاني في نفسها ليتحدث عن كيفية إخراج هذه المعاني بالألفاظ والوزن ولكن باختصار ، فهو يصف ائتلاف اللفظ والوزن في الشعر فيقول يجب أن يراعى في ائتلافها قواعد النحو وعدم الجور على المعنى [٤] وينعت ائتلاف المعنى والوزن فينادي بضرورة تمام المعنى واستيفائه في البيت وعدم زيادته عنه ، ثم يطلب ان تكون القافية مؤتلفة مع المعنى غير غريبة عنه ، ومحشورة لمجرد إملاء الفراغ . ثم يتحدث طويلاً عن عيوب المعاني كتكرارها وتناقضها وعدم صحتها وتلاحمها [٥] . ويلاحظ على نقده كله أنه مزيج من النقد الأدبي والبلاغة ، وأنه نقد جزئي فلا يلاحظ عنده نقد عام لمجموع قصيدة او نتاج شاعر بأكمله أو نقد هذا الشاعر نفسه بصورة عامة . ويتكلم على أهمية وضع الألفاظ مواضعها لتدل على المعاني [٦] فيقول لو وضعت بل بدل الفاء في هذا البيت :

« أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيسر »

لكان الشعر مستقيماً . وينقد بعض الأبيات [٧] من نوع :

« فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور »

نقداً عقلياً مجرداً فيه كثير من التوفيق من جهة الصحة والخطأ والإمكان وعدمه ، ولكنه خال من الخيال وتقدير الأماني والعواطف ونزعات النفس وأحلامها في يقظتها .

(١) ص ٢٨ نقد الشعر
(٢) ص ٤٠ نفس المصدر
(٣) ص ٣١ نقد الشعر
(٤) انظر نقد الشعر ص ٦٣
(٥) انظر نقد الشعر ص ٧٦ – ٧٩
(٦) ص ٧٣
(٧) ص ٨٤ من نفس المرجع

وحيث أننا فرغنا من كل ما أورده من النظرات العامة والقواعد التي إذا توفرت في الشعر كان جميلاً حسبما يقدّر هو فلا بد لنا أن نلاحظ انه تكلم كثيراً عن المعاني والألفاظ والوزن والقافية ولكنه لم يبين العلاقة الرئيسية بين المعاني والألفاظ من حيث القدرة فى سبك هذه على ابراز المعاني ، ولم يبين فيما إذا كان تفكيرنا - إذا نحن فكرنا في تأليف القطعة الأدبية وإظهار المعنى - تفكيراً في المعاني وترتيبها في النفس او تفكيراً في الألفاظ وانسجامها موسيقياً ، وهل قواعد النحو تراعي ائتلاف المعاني وتخدمها ام إنها تخدم الألفاظ . ثم لم يرسم لنا خطة لإبراز فكرة في رأسنا في شكل ادبي ، وكيف نقسمها الى عناصر ، وكيف نفكر في هذه العناصر ثم نجمعها من جديد ، ولم يبين ما هي الخصائص الوسائط التي تجعل الاساليب متنوعة بتنوع المواضيع ، وما هي صفات الألفاظ التي يجب ان تتوفر في موضوع بعينه .

ولم يبين لنا كيف نجد عناصر هذه الفكرة العامة الموجهة التي نريد طرقها لنلمّ بها ونجعلها كاملة ، ولم يستأنس بآراء من قبله في البلاغة كما لم يحاول وضع تعريف لها ولكنه على كل حال أتى بنظرية جميلة ربما استقاها كما قلنا من مصادر يونانية وهي نظرية الانسجام .

* * *

كتاب نقد النثر

لا يزال الاختلاف قائماً حول المؤلف الحقيقي لكتاب نقد النثر فالأستاذ عبد الحميد العبادي يرجح في نقده وتحقيقه المطبوع مع الكتاب أنه لقدامة بن جعفر السابق مؤلف كتاب نقد الشعر المتوفي سنة ٣٣٧ هـ ، ويرجح بروكلمان أنه من تأليف تلميذه أبي عبد الله محمد بن أيوب ، ولهذا آثرت أن أدرس كتاب نقد النثر على حدة . وعلى كل حال فهذا الكتاب يتفق مع كتاب نقد الشعر في أشياء ويزيد عنه في أشياء تكمل بها البلاغة كما أنه ينقص عنه في أشياء هي أنه لم يبحث

في بعض تفاصيل بحثها بتطويل مؤلف نقد الشعر ، ثم لا يتبع المؤلف نفس الطريقة في البحث ونفس التقسيم للمواضيع بل يضع لبحثه خطة أخرى تختلف عن تلك .

رأينا أن قدامة لم يعرف البلاغة في نقد الشعر ولكن المؤلف هنا يعرفها [١] فيقول : « وحدّها عندنا أنها القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان » ثم يشرح هذا التعريف بقوله : « وإنما أضفنا الى الاحاطة بالمعنى اختيار الكلام لأن العامي قد يحيط قوله بمعناه الذي يريده الا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله فلا يكون موصوفاً بالبلاغة . وزدنا فصاحة اللسان لأن الأعجمي واللحان قد يبلغان مرادهما بقولها فلا يكونان موصوفين بالبلاغة . وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب ألفاظه وتصيير كلّ واحدة منها مع ما يشا كلها فلا يقع ذلك موقعه » وهذا التعريف يطلعنا على أن البلاغة عنده تشمل الفصاحة لأنه اشترط فصاحة اللسان ليكون الكلام بليغاً ثم يجعل جمال الكلام راجعاً الى تعبيره تعبيراً قوياً كاملاً عن المعنى وإلى حسن اختيار الألفاظ لتأدية هذا المعنى ، ثم الى حسن النظام الذى هو التأليف والسبك وتبين هذا النظام في شرحه للتأليف بأنه ترتيب للألفاظ ووضع كل واحد مع ما يشاكله .

وفي هذا التعريف لا نرى اثراً للخيال ولا للعاطفة في تكوين جمال القول فهو ناقص من هذه الوجهة كغيره من تعاريف البلاغيين العرب .

وقد ضرب مثالاً على الكلام البليغ قول علي بن ابي طالب : « أين من سعى واجتهد وجمع وعدد وزخرف ونجد وبنى وشيد » وعلق عليه بقوله : « فأتبع كل حرف بما هو من جنسه وما يحسن معه نظمه ولم يقل أين من سعى ونجد وزخرف وشيد وبنى وعَدّد ، ولو قال ذلك لكان مفهوماً ومن قائله مستقيماً وكان مع ذلك فاسد النظم قبيح التأليف » . وتعليقه هذا يطلعنا على أن حسن السبك عنده يتحقق بتلاؤم الحروف والكلمات لفظاً وتلاؤم الكلمات معنى بحيث تقرن الكلمة

(١) نقد النثر ص ٨٤

بقربيتها في المعنى وشريكتها في الدلالة ، وعلى أن المؤلف يحب الصنعة في الألفاظ لأنه استشهد بالسجع .

ويتكلم المؤلف على سبب تسمية الشاعر شاعراً فيقول : إنه سمي كذلك لأنه يشعر من معاني القول واصابة الوصف بما لا يشعر به غيره . ويقول إن الشعر إنما يكون فائقاً إذا اجتمع فيه صحة المقابلة وحسن النظم وجزالة اللفظ واعتدال الوزن وإصابة التشبيه وجودة التفصيل وقلة التكلف والمشاكلة في المطابقة [(١)] . ويلاحظ إهماله جانب العاطفة ، وعدم ذكره المعنى مما يجوّز لنا أن نفهم أنه يرجح جانب اللفظ على جانب المعنى . ولكنه حين ينتقل الى الكلام على ما ينبغي للشاعر أن يعمله يقول ما خلاصته أنه يجب أن يضع المعنى وكل شيء موضعه [(٢)] وان يتساوى ويتكافأ معنى البيت مع لفظه فلا يزيد اللفظ عن المعنى ولا المعنى عن اللفظ [(٣)] وإلا فسد الشعر كما فسد قول الأعشى :

« وقد أروح الى الحانوت يتبعني شاوٍ مشل شلول شلشل شول » [(٤)]

وأنه ينبغي له الايجاز وأن يستوفي البيت الواحد معنى او معنيين فلا يكمل بيت معنى بدأه الشاعر في بيت قبله . وهنا نلاحظ نظرته الجزئية في إظهار الفكرة واستقلال كل بيت عن الآخر وعدم النظر الى القصيدة كوحدة .

ويقول إنه يحق للشاعر ان يتصرف في المعاني كما يريد فيصدق او يبالغ فالكذب جائز في الشعر وان ارسطو طاليس ذكر الشعر فوصفه بأن الكذب فيه أكثر من الصدق وذكر ان ذلك جائز في الصناعة الشعرية [(٥)] . ونلاحظ هنا أمرين الأول ان المؤلف متصل بالثقافة اليونانية اتصالاً وثيقاً ، والثاني أنه يورد نفس الرأي الذي اورده قدامة في نقد الشعر وهو ان المبالغة جائزة في نظمه .

ويضيف الى هذا اشياء تكون في الشعر فتزيد في حسنه [(٦)] : منها حسن

---

(١) نقد النثر ص ٩٣ (٢) لفس المرجع ص ٩٧ (٣) ص ٩٩

(٤) وهنا نلاحظ أن المؤلف اورد نفس البيت الذي أورده قدامة في نقد الشعر .

(٥) ص ٩٩ (٦) ص ١٠٠ من نفس المرجع

الانشاء وحلاوة النغمة وتلاؤم الألفاظ مع موضوعات المعاني وخلط الجدّ بالهزل واستعمال كل منهما في موضعه حتى لا يمل الناس الجدّ ولا يسخرون من كثرة الهزل . وهذا يطلعنا على أنه لم يهمل جانب الموسيقى ولا جانب المعاني وتلاؤمها مع الألفاظ . وضرب مثالاً على تلاؤم المعنى والشعر مع المقام قول امرئ القيس وهو في عنفوان أمره وجدة ملكه :

فلو أن ما اسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقوله وقد ضعف أمره فوضع القناعة موضعها :

« ألا إن لم تكن إبلٌ فمعزى كأنَّ قرون جلتها المصي » الخ [(١)]

ويذكر قبح التكلف وضرورة الجريان على السجية في الألفاظ والمعاني ويقول إن البلاغة ليست الاغراب في الألفاظ والتعمق في المعاني والفصيح ما افصح عن المعنى والبليغ ما بلغ المراد . والألفاظ يجب ان تكون مفَصَّلة على قدود المعاني والكلامُ متناسباً مع المقام من حيث اللفظ ومن حيث المعنى [(٢)] . والفصيح من الكلام في رأيه ما وافق لغة العرب ويقول إن النحو وضع لمعرفته [(٣)] ونراه يلح في موضع آخر ايضاً على ان لكل مقام مقالاً [(٤)] ، وان الألفاظ يجب ان تكون على قدود المعاني [(٥)] .

نتبين مما سبق من القول ان مؤلف نقد النثر كمؤلف نقد الشعر لا يرجح جانب اللفظ على جانب المعنى ولا جانب المعنى على جانب اللفظ ولكنه يرى ان الجمال يكون بائتلافهما وتكافئهما ويتحقق ذلك بحسن السبك الذي هو ملاءمة بين الألفاظ من حيث نطقها في الفم ووقعها على الأذن مما يعبر عنه بالفصاحة ومن حيث ارتباط الكلمة بجارتها معنىً ووجودها في موضعها لتؤدي فيه وظيفتها المزدوجة المشتركة بين اللفظ والمعنى .

(يتبع)

نعيم الحمصي

(١) نقد النثر ص ١٠٨ (٢) ص ١١٨ (٣) ص ١٦٠
(٤) انظر ص ١٦٣ (٥) انظر ص ١٦٦

التعريف والنقد

كتاب وقف

القاضي عثمان بن اسعد المنجّا الحنبلي (٦٤١)

نشره صلاح الدين المنجد بعناية المعهد الفرنسي بدمشق

١٣٦٨ – ١٩٤٩ ص ٤٦

يصرف الأستاذ المنجد شطراً من عنايته الى نشر ما له علاقة بتاريخ دمشق وعمرانها مثل ولاة دمشق ومخطط دمشق ودمشق القديمة ومارستان نور الدين وأنهار دمشق . وآخر ما نشر صك هذا الوقف ، وهو مثال من مدنية القرن السابع في هذه العاصمة حوى فوائد أثرية وتاريخية جاءت تتمة لما يحتاج اليه الباحث في مدنية دمشق ومصطلحاتها في وقوفها وزراعتها الى غير ذلك . فالشكر للباحث الأستاذ على هذه التحف التي يجدد بها ما دثر من معالم حضارتنا ويصور بها صورة رجالنا واعمالهم في الخير ويطلعنا على روح تلك العصور وروح أهلها من أقرب الطرق .

محمد كرد علي

فن القصص

أصبح للقصة وفنها في آدابنا العربية الحديثة شأن غير شأنها في عهد آدابنا القديمة وآبائنا الأولين وقت ان كان ينظر الى القصة كأداةٍ للهو ، ووسيلة للترفيه ، وترويح النفس . اللهم الا ما أخذ اسم (المقامات) من تلك القصص فانه عدا ما فيه من التفكيه وترويح النفس – يزيد القارئ بصارة في اللغة العربية ويدربه على الانشاء فيها وحفظ طائفة صالحة من الفاظها وعيون أمثالها وطريف أساليبها .

أما القصة اليوم وقد حذونا فيها حذو الكتاب الأوربيين فان لها في تربية النفس ، وتثقيف الأخلاق ، وتوجيه النشء الى المثل العليا ـ ما قام بتحقيقه وعكف على دراسته علماً وعملاً الأستاذ الفاضل والنبيه النبيل محمود بك تيمور . ومن أراد التفقه في القصة وفنونها وسائر ما يتعلق بها فعليه بالرجوع اليه والتعويل عليه والاستفادة مما كتب وصنف ومن الآثار التي يصدرها وينشرها من وقت الى آخر .

من ذلك كتيب في نيف ومئة صفحة طبعه في دار الهلال سنة ١٩٤٨ وضمنه ثلاثة مطالب :

(١) قضية اللغة العربية

(٢) فنّ القصص

(٣) القَصَص الانساني

ونكتفي بان ننقل للقارىء هذه النبذة من المطلب الأول لأنه بقلوبنا أعلق وبموضوع مجلتنا ألصق : قال :

(وأقرب ما يُعترض به على القائلين بجمود العربية ، وينفي عنها شبهها باللغات الميتة ، أنها لبثت قرابة الف وخمسمائة سنة تؤدي مهمتها على وجهٍ مرضيّ ، وها هي ذي تطاوع الرقي العلمي والأدبي والعمراني في العصر الحديث ، فنراها لسان الدرس على اختلاف مراتبه ، والكتاب على تباين فنونه ، وأداة الخطابة في منابر القضاء والمحافل على شتى اغراضها . وحسبنا الصحافة مصداقاً لهذه الحقيقة : فقد لانت العربية للصحف والمجلات تعبّر عن شؤون الحياة العامة والخاصة . ولا جرم أن بقاء اللغة العربية الفصحى على هذا النحو يكاد يعد معجزةً في عالم اللغات ، ولكنها معجزة لها مسوغاتها التي لا افتعال فيها ولا قسر اهـ .

المغربي

الثورة الكوپرنيكية

(تأليف الفيلسوف برتراند رسل . نقله الى العربية احمد عبد الباقي . وطبع على نفقة)
(مكتبة المثنى البغدادية في مطبعة (دار الكتاب) بمصر سنة ١٩٤٨ م في ٤٠ صفحة)

هذه الرسالة على صغر حجمها كبيرة المغزى ، شيقة الأسلوب ، جمة الفوائد : فهي ترمز الى أن الجهل مهما طال أمده ، واشتد ساعده ، لا بد أن يتغلب عليه العلم اخيراً ، وينزله على حكمه . وهذا كانتصار نظرية (النظام الشمسي الحديث) المنسوبة الى (كوپرنيكوس) الايطالي (المتوفى سنة ١٥٤٣ م) على نظرية (النظام الشمسي القديم) المنسوبة الى (بطليموس) اليوناني الذي عاش في القرن الثاني قبل المسيح . وخلاصة ما قاله بطليموس أن الأرض ثابتة في مركزها وان الشمس وسائر الكواكب تدور حولها . اما كوپرنيكوس فقد ثار ثورة عنيفة على هذا الرأي ، واقام الأدلة على بطلانه ، وأثبت ان الشمس هي الثابتة وان الأرض وسائر الكواكب تدور حولها . وقد عدت هذه النظرية وانتصارها من أكبر اكتشافات العصر الحديث ، وأروع مميزاته ، على أن ما قاله (كوپرنيكوس) كان قال به بعض الأقدمين من علماء اليونان ، لكنهم لم يقدروا على اثباته بالبراهين الرياضية ، ولذا خفت صوتهم وعلا صوت (بطليموس) ، حتى كان القرن السادس عشر ونهض (كوپرنيكوس) وأثبت ما هو الحق في هذه المسألة .

والأديان الصحيحة ما كانت لتعلّم الناس علم الفلك ، ولذا كانت تروي أخبار الأجرام السماوية من حيث نسبتها الى خالقها ودلالتها على وجوده تعالى فكان رجال الأديان يأخذون بالرأي البطليموسي الشائع ، لكن اخذهم به اصبح عقيدة ثابتة ولذا قاوموا من قال بضدها . وقد شرحت هذه الرسالة ما كان يقع بين رجال الدين الكنسي وبين رجال العلم الفلكي : امثال (كوپرنيكوس) و (كبلر) . ولا سيما اخبار (غاليليو) مع محكمة التفتيش ، كل ذلك بعبارة واضحة جلية ، واسلوب مشوق ، على أن هذه الرسالة ــ كما قال مترجمها ــ كانت في الأصل فصلاً من كتاب (العلم والدين) للفيلسوف الانكليزي المعاصر (برتراندرسل) وهو الفصل الثاني من فصول كتابه المذكور ، فالشكر لمترجمه وناشره على هذه الهدية لقراء العربية . **المغربي**

من عيون الأخبار

كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة من أمتع كتب الأدب وأغزرها مادة في انتقاء الأخبار والتقاط ما ظرف وأفاد من الأحاديث والأسمار ومنها (نوادر القضاة والخلفاء والأدباء والشعراء اختارها ورتبها وشرح الفاظها اللغوية) الأديب حمدي عبيد أحد اصحاب المكتبة الهاشمية العربية بدمشق فكان مما اختاره وشرحه كتيّب لطيف القطع حسن الوضع والطبع فيه فائدة ومتعة لكل قارئ ومتأدب وقد طبع في مطبعة الترقي بدمشق في ٢٢٣ صفحة . فلا يفوتنّ الشُداة وطلاب الأدب اقتناؤه والاستفادة من طرائفه . المغربي



نبات سورية

بقلم الحكيم يوسف عرقتنجي

طبع في مطبعة الجمهورية السورية وجاء في ٤٩٣ صفحة من القطع المتوسط

يحتوي هذا الكتاب على ٢٣١٤ نباتاً من نباتات سورية البرية والزراعية ذكر المؤلف أسماءها العلمية والفرنسية وأسماء فصائلها بأحرف لاتينية ، وذكر الى جانبها اسماءها العربية وشيئاً عن استعمال بعضها في الطب . ولم يذكر تاريخ طبع الكتاب ، ولكن مقدمته مؤرخة في شهر آب من سنة ١٩٤١ أي منذ نحو ثماني سنين . وقد شاء صاحبه ان يبعث اليوم ببضع نسخ منه الى المجمع .

ولم يُحَلِّ المؤلف الفاضل النباتات المذكورة في كتابه ، ولم يصنفها على حروف المعجم ولا على حسب فصائلها وقبائلها وأجناسها وأنواعها ، بل ذكر بعض كُوَر سورية وجبالها وسهولها وقال يوجد في كل منها كذا وكذا من النبات .

واقتبس كثيراً من الأسماء العربية عن معجم أسماء النباتات للدكتور احمد عيسى ، واقتبس بعضها عن بُسْط (بوست) .

فالدكتور احمد عيسى رحمه الله كان يعرف الأسماء الفصيحة الكثير من النباتات ، ومع هذا فقد سرد في معجمه المذكور لكل نبات جميع ما اتصل به من أسمائه ، دون تفريق بين الفصيح والمولد والعامي ، ودون الإشارة الى الاسم الفصيح ، تمييزاً له عن غيره ، ولذلك خبط معظم الذين نقلوا عنه خبط عشواء .

أما الدكتور بُسط فقد كان عالماً نباتياً يعرف بالنظر الاسم العلمي لكل نبتة من نبات الشام . وقد بذل جهده في تحري الأسماء العربية لبعض النباتات ، ووضع مصطلحات لأجزاء النبات وأسماء لفصائلها أصاب في كثير منها وأخطأ في كثير . ولا يُطلب من أجنبي مثله ان يفعل في تلك الأيام فوق ما فعل ، ولا ان يخدم فوق ما خدم .

وأما الدكتور يوسف بك عرقتنجي فله على الطب فضل لا ينكر ، ولكنه في النباتات وأسمائها ومصطلحاتها العلمية حاطب ليل . فقد نقل مادة الكتاب عن الفرنسية ، ونقل جميع ما غلط به بُسط وعيسى ، بل شوه كثيراً من كلماتهم ، ورد بعض الألفاظ الفصيحة الى العامية . وما وجدت صفحة واحدة من الكتاب خالية من الأغلاط المختلفة .

فمن اسماء الفصائل التي غلط بها قوله الفصيلة الفرندلية والصحيح الحِنّائيّات ، وفصيلة السرو ! والصحيح السُّمْديّات ، والفصيلة الفرخية والصحيح الرِجْليات ، والفصيلة الخيزرانية والصحيح الأَسَليّات ، وذوات المظلة او الصيوانية والصحيح الخَيْمِيّات ، والفصيلة الشيقربة والصحيح العَنَحِيّات والدَّرْبقِيات الخ . الخ . ومعظم أسماء الفصائل في الكتاب مغلوطة .

وغلط المؤلف في أسماء كثير من النباتات . فقد خلط في التسمية بين الجلبان والبيقية والكرسنة والإيدوصارون ، وبين الخيزران والأسل ، وبين العناب والغبيراء ، وبين العكوب والحرشف ، وبين البرسيم والفصفصة الخ .

ومن النباتات التي لم يفرق بين أسمائها الفصيحة وأسمائها العامية ، او التي ردّ أسماءها الفصيحة الى العامية :

شرش العرق سوس ، الكعُوب والكُعيب ، الطاطورة ، القريص ، الكراوية ، حيعالم ، حودان ، الخبيزة ، المقثي ، نبات أوبر ، حرفرف ، شرش الانجيل الخ ·

والصحيح : عرق السوس ، العكُوب ، الداتورة ، القرّاص ، الكرَوْيا والكروياء ، حي العالم ، حوذان ، الخبّازة ، القثاء ، بنات أوبر ، حُرْف ، عرق النجيل ·

والأغلاط اللغوية والمطبعية كثيرة · وتشمل الأغلاط المطبعية الأسماء العلمية والأسماء الفرنسية ، فقد أحصيت منها عشرات ·

وبعد يجب على المؤلفين في المواليد ان يفرقوا بين اسمائها العربية الفصيحة واسمائها العامية · وأنا لا أنكر ذكر الأسماء المولدة والعامية في تلك المؤلفات ، على ان توضع بين قوسين ، او ان يشار الى كونها غير فصيحة ·

أما الاقتصار على الأسماء العامية ، او ترجيحها على الفصيح من الكلم ، او الخلط بينها وبين الفصيح فهو مفسدة للغة وتضليل للقارئين · وكتب كهذه لا يجوز ان يطالعها الأساتيد والتلاميذ والمتأدبون ·

مصطفى الشهابي

نظرية الاسلام السياسية

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية

دار العروبة للدعوة الاسلامية (بلدة : راولبندي : باكستان)

سلسلة مطبوعات دار العروبة (١)

هذه « النظرية » مترجمة عن الاردية ، وهي فصيحة المفردات ، صحيحة الأسلوب ، ناصعة البيان ، ليس فيها اثر للعجمة ، كأنما الفت بلغة الضاد ، اما غرض هذه الرسالة النفيسة التي تقع في (٥٢) صفحة ، فهو بيان ان الركن الأول في سياسة الاسلام ، وقطب رحاه الذي يدور حوله ، ان ينتزع جميع حقوق الأمر والتشريع من ايدي البشر منفردين ومجتمعين ، ولا يؤذن لأحد منهم ان ينفذ امره في بشر مثله ، فيطيعوه ، او يَسُنّ دستوراً لهم فينقادوا له ويتبعوه ، فان ذلك امر مختص

بالله وحده ، لا يشاركه فيه احد غيره ، وقد اوضحت هذه الرسالة وما بعدها هذه الدعوة ، ونشر على غلاف كل رسالة منها مقاصدها ، وقد جاء في المقصد الثالث ما نصه : «ودعوتنا للعالم بأسره ان يحدثوا انقلاباً عاماً في نظام الحياة الحاضر الذي استبد بزعامته الطواغيت والفَجَرَة ؛ الذين ملأوا الأرض فساداً ، وأن ننتزع هذه الزعامة الفكرية والعملية من أيديهم ، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ، ويدينون دين الحق ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا »

اقول : ومن اجل انشاء هذه المدينة الفاضلة في الأرض ، وإقامة الحكومة العادلة لسكانها ، تأسست الجماعة الاسلامية في الهند سنة ١٣٦٠ هـ ولإبلاغ هذه الدعوة الاسلاميـة الى العالم الاسلامي عامة ، وبلاد العرب خاصة ، تأسست دار العروبة للدعوة الاسلامية ، منذ اربع سنين ، فكانت فرعاً لها ، وشرعوا في كتب الدعوة ونشرها بلغة القرآن الكريم وهذه اولى رسائلهم ، وسيأتي الكلام على الثانية والثالثة منها . فما قول العرب وحكوماتهم في هذا الانقلاب العظيم ؟ أما العرب ففيهم نزل القرآن ، ومنهم بعث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنهم أعرضوا عن دعوته وشريعته فأعرض الله عنهم ، وسلط عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم ، فاستخذوا لذلك واستكانوا ، ولا يزال بعضهم لبعض عدواً ، يتدافعون عن الأرض المقدسة ويمكنون لعدوهم فيها ، حتى استباح حماها ، ودها اهلها من الكوارث ما دهاها ، وهم على ما يفعلون بالعرب شهود ، والدول الكبرى تمدهم وتمنيهم ، ووعودهم وعهودهم « كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً » فحيا الله هذه الدار ، دار العروبة ، والقائمين عليها ، ورعى الله حكومة الباكستان الاسلامية ، وأحياها حياة طيبة ، وجدد بها عهد الاسلام ، ولا يزال الأمل باقياً في هذه الجامعة العربية ، أن تنهض من كبوتها ، وتتحد مع من يخطب ودها ، ويرعى حرمتها ، وينشئ داراً للعروبة من أجلها .

هذا وانا لم نر ذكراً للبسملة ولا للحمدلة في أول الرسالة ، وهي تدعو الى الاسلام ، ونعلم ما ورد في ذلك .

محمد بهجة البيطار

منهاج الانقلاب الاسلامي

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية

سلسلة مطبوعات دار العروبة رقم (٢)

هذه هي الرسالة الثانية من الرسائل التي يعني الأستاذ مسعود الندوي بطبعها ، وتعنى دار العروبة للدعوة الاسلامية بنشرها ، وفي هذه الرسالة رسم للخطة التي يجب أن تسير عليها حكومة الباكستان في انقلابها الاسلامي ، الذي جمع إخواننا مسلمي الهند في مملكة واحدة ، وقد جعلوا الاسلام أساساً لحكمهم ، وسيرة السلف الصالح نبراساً لحكومتهم ، وهذه الرسائل المفيدة تطبع باللغة الاردية ، وتترجم بالانكليزية وبالعربية ، والأولى منها تبحث في نظرية الاسلام السياسية كما تقدم ، وهذه الثانية تشرح العمل الذي تتكون منه الحكومة الاسلامية ، ومن مباحثها : الارتقاء الطبيعي لنظام الحكومة ، الحكومة الفكرية ، الخلافة الإلهية ، سبيل الانقلاب الاسلامي ، الأماني المعسولة ، المنهاج المخصوص للحركة الاسلامية ، وتفيدنا هذه المباحث أن الحكومة الاسلامية مستقلة عن سائر الحكومات في العالم ، فلا هي بالشيوعية الملحدة ، ولا الديموقراطية الجائرة ، ولا الارستقراطية الآثمة ، بل هي الجمهورية الاسلامية العادلة الفاضلة ، التي تقوم على أساس الأحكام القرآنية ، ودعامة السيرة المحمدية ، وقد حقق فيها أن الانقلاب الاسلامي العام ، لا تثمر شجرته ، ولا تؤتي أكلها ، الا اذا قامت حركة عمومية على هذا الاساس ؛ تقوم هذه الحركة العمومية Mass Mouvement وتنهض وتقوى حتى تغير بجهادها المستمر العنيف أسس الجاهلية الفكرية والخلقية والنفسية والثقافية السائدة في الحياة الاجتماعية ، وتأتي بنيانها من القواعد ، وهذا مصداق ما جاء به التنزيل : « إنَّ اللهَ لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهِم » وإليكم نبذة مما جاء في أواخر هذا « المنهاج » ص ٥٩ : وإن كان لك علم بتاريخ الثورات في العالم اضطررت الى الاعتراف بأن هذا الانقلاب (اي الاسلامي) الذي ما أريق فيه الدم إلا تحلة القسم ، ما أجدره أن يسمى انقلاباً سلمياً Bloodless Revolution

ثم لم يتغير بهذا الانقلاب طراز نظم المملكة فحسب ، بل الحقيقة أنه قد بدلت بهذا الانقلاب العقليات ، ووجهات الأنظار ، ومناهج التفكير ، وتغيرت طرق المعيشة والأخلاق والعادات تغيراً تاماً ، وبالجملة فقد انقلبت الأرض ، أرض العرب ظهراً لبطن ، وتحولت الأمة بأسرها تحولاً تاماً (وقد ضرب الأمثال من العرب المسلمين وفيهم لهذا التحول العظيم) وقال : ونبغ فيهم ولاة وأمراء ما كانوا يسكنون في قصور الحكومة Gouvernement houses بل يعيشون بين الرعية في مثل بيوتهم ، وكانوا يمشون في الأسواق على أرجلهم ، ولم يكن لهم حرس على أبوابهم ، ثم أورد لهم المثل العالية في في القضاء العادل ، والسياسة الحربية ، والقيادة العسكرية ، والسفارة العربية ، (ثم قال) : أرأيتك تحسب أنه كان من الممكن حدوث مثل هذا الانقلاب العظيم في الخلق الاجتماعي ، والعقلية الجماعية بالحرب وحدها ؟ وها هي ذي صفحات التاريخ ماثلة بين عينيك فهل تجد فيها من نظير لحدوث مثل هذا التحول المدهش المعجز في المجتمع الإنساني بفضل السيوف » اه .

هذا ولعل الله يهدي الغرب بمثل هذه الكتب التي تترجم الى الانكليزية فيخفف من غلوائه ، ويخفض من كبريائه ، ويستنير بنور الاسلام وضيائه ، فيستريح ويريح العالم من هذا الديجور الذي يتخبط فيه ، وما ذلك على الله بعزيز .

م . ب . ب

الدين القيم

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية

سلسلة مطبوعات دار العروبة رقم (٣)

هذه الرسالة تبحث في الدين العام ، الذى هو دين الفطرة الانسانية « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها » « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » . وقد أورد الأستاذ المودودي ما نصت عليه معاجم اللغة من معاني الدين وردها الى أربعة : (الملك والسلطان والحكم والغلبة (٢) الطاعة

والذل والعبودية (٣) الجزاء والمكافأة والحساب (٤) الطريقة والمنهج . واختار هو الرابع وعرفه بأنه المنهاج للحياة ، او الطراز المخصوص للتفكير والعمل الذي يُتبع ويحتذى على مثاله ، وعرف الاسلام بانه هو المنهاج الوحيد الحقيقي الصحيح للحياة البشرية ، والطراز المخصوص للتفكير والعمل في هذه الحياة الدنيا وكلا التعريفين تفسير اجتماعي للدين والاسلام ، وجاء في هذه الرسالة أن المؤلف قد أنكر على مندوب تركيا الجديدة الذي زار الهند منذ بضعة أعوام ، وقال في تصريح عام ما معناه : « إننا في تركيا الجديدة قد فرقنا بين الدين ونظم الحكم والاجتماع تفريقاً تاماً !! فرد الأستاذ المودودي في هذه المحاضرة التي ألقاها في تلك الأيام أمام جمع حافل بالمثقفين الجدد ، بخريجي الجامعات العصرية ، وقال : ولكن الذي أراه وأجزم به بعد ما عكفت على دراسة الكتاب العزيز عكوفاً ، وسبرت غور معانيه ومبانيه زمناً غير قليل ، ووقفت على مثالثه ومثانيه وقفة المتأمل المستبصر ، ان القرآن لم يستعمل كلمة الدين في معنى ضيق محدود ، رغم ما يريده المفسرون المتجددون وتريد أهواؤهم ، وإنما يريد القرآن بالدين منهاج التفكير ، والعمل الشامل للحياة البشرية جمعاء ، لا فرق في ذلك بين زمن وزمن ، وقطر دون قطر ، أقول به وأنا على بينة من الأمر ، ولا أخاف في ذلك ردَّ رادٍ ، ولا جحود متعنت .

أقول : يا ليت رؤساءنا ومجالسنا الرسمية في هذا القطر السوري ، وفي فترة هذا العهد الاستقلالي ، ليتهم يعلمون أن كلمتي الدين والاسلام بهذا المعنى الاجتماعي العام ، يضمنان لنا حياة طيبة ، إذا وضع في دستورنا (دين الدولة الرسمي الاسلام) وإذاً نكون وحّدنا أنفسنا مع الحكومات العربية في الأقطار الشقيقة المجاورة ، والحكومات الاسلامية في ممالكها المتعددة .

هذا وإن رسالة « الدين القيم » تبلغ نحو خمسين صفحة ، فنحث العرب والمسلمين على قراءة هذه الرسائل المفيدة ، والاستفادة من هذه النهضة الرشيدة ، ونرجو من حكوماتنا العربية أن تعتبر بأن الوحدة الشاملة التي تنشدها ، قد سبقتنا اليها الباكستان ، وبنت أساسها على تقوى من الله ورضوان .

م . ب . ب

دعوة المجد

شعر احمد مظهر العظمة

رئيس تحرير التمدن الاسلامي وعضو لجنة التربية والتعليم

شعر الأستاذ مظهر نفحة من نفحاته ، وصفحة مشرقة من تاريخ حياته ، يشف عن سلامة ذوقه ، ونزاهة قصده ، وعفة لسانه ، وطهارة وجدانه ، وسمو روحه ، وكرم عاطفته ، وقد فتح لديوانه خمسة أبواب من المفاخر والمآثر ، وبلغت أبياته فيه (١١٦٠) بيتاً ، تقرؤها كلها فلا تجد في شيء منها ما ينأى عن تربيته الدينية ، أو قصده السوي ، بل قد تضمن ـ كما قال مؤلفه ـ القصائد النبوية ، والشعر الوطني والسياسي ، والشعر الاجتماعي ، وما بين الأبناء والاخوان ، وفي الوصف والهواجس . ولمجد العروبة والاسلام في نفس الشاعر هوى مقيم ، وحنين الى عودته مذيب ، وإن (دعوة المجد) عنوان لعقيدته ، وبرهان على جهاده لخير أمته وملته ، واقرأ ان شئت وصفه لذلك المجد العظيم ـ الذي شغفه حبه ـ بقوله :

عربيًّا عالميًّا مشرقاً ضم أهل الأرض من كل اللغات

واستظلوا بدماء ظمئت لدماء تبتغي رمي الحماة

فإذا ما غفلوا عن واجب غفل العز عن القوم الجناة

(دعوة المجد) تباركت فما أحوج الناس الى مجد الدعاة

وقد أدخل في شعره المعاني الحديثة ، ووصف بعض المخترعات العجيبة ، ومما قاله في وصف المذياع :

أصبح العلم كأضغاث الرؤى فاذا صندوقه مأوى اللغات

تسمع الدنيا به مجموعة وهو يرويها لحوناً وعظات

كل قطر يطصفي أبناءه ثم يزجيها ويحدوها الرعاة

فإذا الأرض صعيد واحد حدثت عن حالها كل الرواة

نزّه صديقنا الأديب أدبه عن بنت الحان والألحان ، وعن الغواني الخُرَّد الحسان ، وسائر ما يغوي المستعدين من الشبان ويغريهم بالإلحاد أو الفساد ، فكان

في فرائده عظة بالغة لشعراء العلماء الذين لا يتورعون عن ذكر الصهباء ، فيصفونها ولا يعرفونها ، وكان لهم في مشاهد الكون ، وما تم على يد بنيه من بديع الصنعة والاختراع ، ما يغري ناشئة العصر بالجد والعمل ، ويغني مقلدي شعراء الجاهلية عن وصف الطلل ، والوقوف « بسقط اللوى بين الدخول فحومل » .

وبعد فما دام موضوع هذا الديوان دينياً واجتماعياً فإنا نورد لمؤلفه الصديق الكريم ملاحظة دينية اجتماعية وهي أنه قد سمى ديوانه (دعوة المجد) وكتب في عبارة الإهداء « الى روح رسول الله ﷺ مؤسس مجد العروبة والاسلام ، ثم إلى أرواح تلاميذه العظماء الفاتحين ، والعادلين الهادين والمعلمين » .

أقول : إن المجد العظيم الذي أسسوه ، والذي يرجى من خلفائهم في الأرض أن يجددوه ، لم يكن من أثر الروح وحدها ، فتستحق عليه الثناء والدعاء وحدها ، بل هو من أثر الروح والجسم معاً ، فلو أهداه الى مؤسس مجد العروبة والاسلام عليه الصلاة والسلام ، ثم الى خلفائه الكرام ، (لا إلى أرواحهم فحسب) لكان ذلك أتم وأعم ، ولشمل الخير الروح والجسم ، وهنا تأتي المسألة الدينية أيضاً ، وهي أن كثيراً من الناس يهبون ثواب أعمالهم الى (روح) من يرون لهم حقاً عليهم ، وهم يسألون ربهم لهم الغفران والرضوان ، مع العلم بأن التكريم والعذاب الأليم يقعان على الروح والجسم معاً في الدنيا والآخرة ، فرب الدارين واحد ، وحكمته فيهما واحدة ، وفي القرآن الكريم : « ولقد كرمنا بني آدم » وهذا في الدنيا ، وقال في يوم الحساب « وإذا النفوس زوجت » أي قرنت بأجسادها ، لتجازى بأعمالها ، وفي الحديث الصحيح بيان أن الله تعالى يخلق الأجنة في الأرحام أولاً ، ثم ينفخ فيها الروح ، وقد أنشد بعض كبار القوم في هذا المعنى :

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها موَلّدة الأرواح ناهيك من فخر

هذا وإنا لنشكر لهذا الأستاذ المجد ، ما يبذله في خدمة أمته من وقت وجهد .

م . ب . ب

آراء وأنباء

مخطوطات جديدة

توفر معالي الأستاذ السيد خليل مردم بك خلال رحلته الأخيرة الى بريطانيا العظمى على استنساخ مجموعة من المخطوطات العربية يهتم لاحيائها المجمع العلمي العربي وما هي في خزانته وقفاً على المؤلفين والناسخين .

من مكتبة المتحف البريطاني

تاريخ داريا لابن مهنا (٣٧) ورقة
تاريخ ابن عساكر اربعة أجزاء مقروءة على المؤلف وعليها خطه (١٠٦) ورقة
أربعة مجلدات من العبر وتاريخ الاسلام للذهبي (٢٤٧) ورقة
ثلاثة مجلدات من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٤٥) ورقة
مجلد من المحكم لابن سيدة (٢٩٢) ورقة
قطب السرور لأبي اسحق النديم (٢٤٨) ورقة
ديوان البيتماني (١٩٠) ورقة

من مكتبة كامبردج

الأول من فاكهة المجالس وفكاهة المجالس من تاريخ دمشق لابن عساكر اختيار احمد بن عبد الدائم المقدسي الكاتب (٢٣٤) ورقة (نسخة قديمة صحيحة لعلها بخط المؤلف) .

الجزء التاسع من تاريخ الاسلام للذهبي يبتدئ بسنة ٥٣١ وينتهي بسنة ٥٨٠ (٣٥٠) ورقة (نسخة قديمة في آخرها خط ابن حجر العسقلاني)

الجزء الحادي عشر منه يبتدئ بسنة ٦٢١ وينتهي بسنة ٦٦٠ (٣٢٩) ورقة

الجزء الثاني عشر منه 〃 〃 ٦٦١ 〃 〃 ٧٠٠ (٢٦٠) ورقة

كتاب العبر للذهبي وذيله لمحمد بن حمزة الحسيني يبتدئ بالسنة الأولى من الهجرة وينتهي بسنة ٧٦٤ (نسخة قديمة صحيحة)

من مكتبة اكسفورد

الجزء الخامس من الوافي بالوفيات للصفدي أوله آدم بن عبد العزيز وآخره احمد بن سعيد (١٦٩) ورقة (مخروم الأول)

الجزء السادس منه أوله احمد بن سلام وآخره احمد بن محمد (١٥٠) ورقة

الجزء الحادي عشر منه 〃 الحسن بن علي 〃 حيان (١٥٨) 〃

الجزء الثالث عشر منه 〃 زياد 〃 سنقر شاه (١٧٧) 〃

الجزء الرابع عشر منه 〃 سهل بن عبد الله 〃 عباد (١٤٦) 〃

الجزء الخامس عشر منه 〃 عبادة 〃 عبد الله (١٤٣) 〃

الجزء الأول من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (١٩٤) 〃

الجزء الثالث من البرق الشامي للعماد الكاتب (١٤٧) 〃

〃 الخامس 〃 〃 〃 〃 〃 (١٤١) 〃

جزء من الخريدة للعماد الكاتب (غير مرقم)

المصطلحات السياسية

كان معتمد « دار العروبة » في الباكستان قد أرسل الى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق قائمة ببعض المصطلحات السياسية ، مما وردت في منشورات هذه الدار ، ورغب في ابداء الرأي فيها ، وتلبية لهذه الرغبة أرسل الى مجلتكم ما أراه صالحاً لإدخاله عليها :

الاستعمال الوارد في النشرة	الترجمة الفنية له	المصطلح الانكليزي
الاستبدادية	حكم ذو سلطة	Authoritarian
الدوائر	الكتل	Blocks
الترشح	ترشيح	Candidature
الماليون	الرأسماليون	Capitalists
الزعامة المركزية	السلطة المركزية	Central authority
المنشور العام	صك ، شرعة [1]	Charter
الوهية	السيطرة	Domination
النظم الاقتصادية	السياسة الاقتصادية	Economic policy
الهيئة التنفيذية	السلطة التنفيذية	Executive
سلطان السمو الفكري	الزعامة الفكرية	Intellectual leadership
السلطان	حق الحكم ، ولاية القضاء	Jurisdiction
سلطان محصور في دائرة محدودة	السيادة الشعبية المقيدة	limited popular sovereignty
الحركة العمومية	حركة الجماهير	Mass movement
الحامية	الحرس القومي	National guards
—	الحاميــة	(Garrison)

(١) راجع كتاب « المصطلحات الدبلوماسية » لمأمون الحموي ، دمشق ١٩٤٩ ، ص ٣٧

الاستعمال الوارد في النشرة	الترجمة الفنية له	المصطلح الانكليزي
الذي لا غاية له	انتهازي	Opportunist
سلطان الجمهور	السيادة الشعبية	Popular sovereignty
الحقوق	تفويض . سلطة	Powers
الشعور بالحقيقة	المذهب الواقعي	Realism
التشكيل الجديد	اعادة الانشاء (الانشاء من جديد)	Reconstruction
القوانين الفرعية	الأنظمة ـ اللوائح (في مصر)	Regulations
مكانة الرجل في المجتمع	الوضع الاجتماعي	Social status
الحاكمية	السيادة	Sovereignty
المملكة	الدولة	State
المهيمنة	الحكومة المطلقة	Totalitarian government

الدكتور مأمون الحموي

النهضة العربية في العصر الحديث

— حقائق تاريخية عنها —

— ٣ —

تابع المبحث الأول

سنة ١٨٤٤ (١٢٦٠ هـ)

٤٣ — الدرر الغوال في معالجة امراض الأطفال

٤٤ — كنوز الصحة ويواقيت المنحة

٤٥ — الجواهر السنية في الأعمال الكيماوية في ثلاثة أجزاء

٤٦ — بهجة الرؤساء في أمراض النساء

٤٧ — مشكاة اللائذين في علم الأقرباذين

٤٨ — القانون الرياضي في تخطيط الأراضي

سنة ١٨٤٥ (١٢٦١ هـ)

٤٩ — نزهة الاقبال في مداواة الأطفال

٥٠ — كتاب التنقيح الوحيد في التشريح الجديد

٥١ — اللآلي البهية في الهندسة الوصفية

سنة ١٨٤٦ (١٢٦٢ هـ)

٥٢ — غرر النجاح في أعمال الجراح في جزئين

٥٣ — قانون الصحة البيطرية

سنة ١٨٤٧ (١٢٦٣ هـ)

٥٤ — غاية المرام في الأدوية والسقام

٥٥ — الروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية في جزئين

٥٦ — نخبة الأمائل في علاج تشوهات المفاصل

٥٧ — الهندسة الوصفية في مجلدين

سنة ١٨٤٨ (١٢٦٤ هـ)

٥٨ — التنوير في قواعد التحضير

٥٩ — جامع الثمرات في حساب المثلثات

٦٠ — تحرك السوائل

هذا بعض المجهود المصري في خدمة العلم واللغة العربية خلال بضع عشرة سنة ، اي منذ ان بدأت غراس محمد علي تثمر حتى انتهى حكمه ، ومن المعلوم انه توفي قبل ان تفتح الكلية الاميركية ابوابها باكثر من خمس عشرة سنة ، وقبل ان تكون في تاريخ العلم في لبنان كلية يسوعية بما يزيد على ربع قرن ، ولم يقل احد من العلماء ، حتى ولا احد ممن يدعون العلم ، بان الكتب العلمية قد طبعت او ألفت في لبنان قبل وجود الكليتين المذكورتين ، كل هذا مما يؤيد كلام الأستاذ الرئيس من ان الكتب العربية التي طبعت في مصر ظلت تتناقلها الأيدي سنين عديدة ، قبل ان يكون في لبنان من الكتب سوى الكتب الدينية التي نشرها الرهبان والمبشرون في سبيل خدمة العقائد النصرانية .

ومن الطرائف العجيبة ان الأب فاخوري الذي ضاق صدره عن تحمل قول الأستاذ الرئيس من ان « ابن لبنان لم يكن قد وصل الى اكثر من السواعية » يوم كانت المدارس التي فتحها محمد علي تؤدي رسالتها في نشر العلم والثقافة ، حتى انه عد هذا الكلام « من وحي الوهم ، والعاطفة الهائجة » ؛ اتخذ كلام الرحالة الفرنسي « ڤولني » الذي زار مصر في اواخر القرن الثامن عشر ، حجة على « ان الجهل كان ضارباً اطنابه فيها على العقول المتخدرة » قال ڤولني : « الجهل عام في هذه البلاد ... وهو يتناول كل الطبقات ويتجلى في كل العوامل الأدبية والطبيعية وفي الفنون الجميلة . حتى الصنائع اليدوية فانها في أبسط احوالها . ويندر ان تجد في القاهرة من يصلح الساعة ، واذا وجد فهو افرنجي . اما الصياغة فأصحابها فيها اكثر مما في ازمير وحلب ولكنهم جهلاء ... اما العلم فوجود مدرسة الأزهر فيها جعلها مرجع الطلاب في الشرق الاسلامي » .

ونحن لسنا ندري اي نخر لمسيحي لبناني - كالأب فاخوري - اراد ان يثبت ان ابن لبنان « قد وصل الى اكثر من السواعية قبل ان تفتح مصر عينها للنور » على حد تعبيره ، فنقل كلاماً لرحالة فرنسي يصف فيه مصر قبل عهد محمد علي ، وتعمد عند النقل اخفاء شطر ما قاله الرحالة المذكور عن قارئيه ، لأن فيه الدليل الكافي لهدم كل ما بناه الأب في سبيل الدفاع عن « ابن لبنان » وڤولني يقول : « ان الجهل سائد في سوريا كما في مصر وتركيا . وقد انتقد بعضهم هذه الحالة عبثاً ولم يأت الكلام عن انشاء الكليات ونشر التعليم والتهذيب بثمر . لأن هذه الألفاظ لها عندهم معان غير ما نفهمه نحن منها . انقضى عصر الخلفاء وليس من العرب او الأتراك الآن علماء في الرياضيات او الفلك او الموسيقى او الطب . ويندر فيهم من يحسن الفصادة ، واذا احتاجوا الى الكي استخدموا له النار ، واذا عثروا بمتطبب افرنجي عدوه من آلهة الطب . واما علم النجوم فقد صار عندهم للتجامة واستطلاع الطوالع » .

وكأن ڤولني لم يكتف بهذا القدر من وصف الحالة في سورية يوم زارها ، ومن الواضح ان لفظة « سورية » تشمل لبنان يوم كانت لفظة « لبنان » لا تذكر للدلالة على ما تدل عليه اليوم ، بل انه عمد الى حقيقة مرة ، كأنها غمز من « آباء النهضة » الذي يحمل الأب فاخوري المشاعل الخافت نورها ، ليدل على فضلهم على « البلاد العربية » قال ڤولني تتمة كلامه السابق : « .. وفي دير مار يوحنا « بالشوير » طائفة من الرهبان لهم اتصال برومية ، ولا يقلون جهلاً عن سواهم - في العلوم العصرية طبعاً لا في تأليف الكتب التبشيرية وطبع السواعيات - واذا قيل لهم ان الأرض تدور عدوا قوله كفراً لأنه يخالف الكتاب المقدس [1] » .

* * *

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية

المبحث الثاني

العوامل المختلفة للنهضة بين مصر ولبنان

احتكاك الشرق بالغرب

لم يكتف الأب فاخوري بالدفاع عن آراء الكاتب الفرنسي الذي كتب عن بلاد العرب بقلم رجل من رجال السياسة الاستعمارية ، لا بقلم العالم المؤرخ ، بل عمد الى هجوم لم يتخذ له العدة التي تؤيده ، ودون ان يحمي نفسه من سلاح الوقائع التاريخية والحقائق الثابتة والأرقام الناطقة ، فجاء رده متهافتاً متكلفاً فيه ، فهو يؤكد مثلاً : « ان النهضة العربية الأخيرة لم تقم حقيقة الا باحتكاك الشرق بالغرب » وهذا كلام فيه كثير من الحق ، ولكن اذا قلنا وقال المؤرخون : ان مصر هي التي بذرت بذور النهضة الحديثة في العالم العربي لا نصارى لبنان ، فلا يكون في هذا القول انتقاص من قيمة احتكاك الشرق بالغرب ؛ وقد رأينا بما ذكرنا من وقائع كيف احتك الشرق بالغرب في مصر بفعل نابوليون ومحمد علي من بعده ، فاشتعلت نهضة الأمة العربية بعامل الشرارة التي نشأت عن ذلك الاحتكاك . أما الأب فاخوري فانه لا يؤمن بهذه الحقائق ويدعي ان الاحتكاك وقع في لبنان وهو يقول : « ولا عجب في ذلك ، فتاريخ لبنان كله شاهد بانفتاحه على الشعوب المتمدنة للافادة والاستفادة ، من غير أن يفقد كيانه وذاتيته ، فقد اتصل لبنان بمدنية الغرب منذ عهد الصليبيين » والغريب ان الأب فاخوري ناقض نفسه بنفسه ، اذ استشهد في تأييد رأيه بكلام للعلامة احمد امين جاء فيه : « لقد أغلق الشرق على نفسه من القرن الثالث عشر الميلادي الى نهاية القرن الثامن عشر تقريباً ، فلم يتصل بالغرب الا اتصالاً عدائياً حربياً في الحروب الصليبية ، أو اتصالاً تجارياً ضعيفاً ، أما اتصالاً ثقافياً فلا [1] » . وكأنه باستشهاده هذا يريد ان يخرج لبنان ، بالرغم منه ، من الشرق الذي ظل محتفظاً بشرقيته ،

---

(١) قصة الادب في العالم ج ٣ ص ٤٦٠

رغم الحروب الصليبية ورغم احداث الزمن ، ونحن لا نقصد بقولنا هذا نفي كل اتصال ثقافي بين الشرق والغرب قبل عصر محمد علي ، لأن اتصال بعض الأفراد قد حدث فعلاً ، ولكنهم أفراد معدودون ، واحتكاك الأفراد ما كان ليثمر نهضة أمة ، كما حدثت ، لولا احتكاك الدولة نفسها ، وما قال احد ، ولن يقول ، ان دولة عربية حديثة احتكت بالغرب قبل أن تحتك به دولة محمد علي المصريه .
حتى ان الأب لويس شيخو اليسوعي ، وهو كبير المؤرخين النصارى في العصر الحديث ، يزعم ان اشتغال المصريين بتعريب الكتب الأوروبية سبب خمولاً في النهضة الأدبية ، اذ يقول : « وكانت مصر بعد تقدمها على الشام في النهضة الأدبية أصابها بعض الخمول ، رغماً عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ، ووفرة مطبوعاتها العربية وهمة خديويها محمد علي باشا ووزير معارفها الهام علي باشا مبارك ، ولعل سبب هذا الخمول انما كان انصراف اهلها الى العلوم الأجنبية ، فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الأوروبية الى العربية ، فيدرسونها في مدارسهم ، فيشغلهم الأمر عن الاهتمام بالآداب العربية [1] » .

التعريب والمعربون

عندما أضاف الأستاذ الرئيس في مقاله تعريب الكتب العلمية الى : « المعربين الذين تعلموا في اوربا على عهد حكومة محمد علي » حاول الأب فاخوري الرد على هذا أيضاً واستشهد بكلام لجرجي زيدان جاء فيه : « لم يصبر محمد علي ريثما يتخرج التراجمة من الارساليات الأوروبية او في المدارس المصرية فاستخدم بعض النزالة من السوريين او المغاربة أولاً . ثم تخرج المترجمون في المدارس ولا سيما مدرسة الألسن الخاصة بهذا الغرض [2] » . وهذا كلام مقبول ويرضي الرجل المنصف ، ولا ينقص من الحقيقة التي ذكرها الأستاذ الرئيس ، ولكن الأب فاخوري عودنا

(١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ج / ٢ ص / ٧١
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٥٨

ألا يستشهد باقوال المؤرخين الا ناقصة ، ولو نقلها كاملة لكفته للاقلاع عن «غلوه» في الانتقاص من قيمة جهود المصريين من أجل النهضة العربية ، وذلك من أجل اضافة فخر للبنانيين لا تستوجب أعمالهم إلا بعضه ، فجرجي زيدان يقول في صدر كلامه المتقدم عن ما سماه بالعلوم الدخيلة وسماه الأستاذ الرئيس في مقاله بالعلوم المادية ما يلي : «وأهمها كلها الطب والطبيعيات والرياضيات . واكثرها نقل للتعليم في المدارس الكبرى بمصر والشام . ومصر أسبق الى هذه المنقبة على يد محمد علي . وأكثر المشتغلين في ذلك من أبناء الارسالية الأولى وتلاميذ مدرسة الطب في النصف الأول من القرن التاسع عشر واشترك معهم بعض المترجمين السوريين وغيرهم وأكثر منقولاتهم عن الفرنساوية والايطالية [1] » .

إن هذا الاعتدال في القول لا يرضي الأب فاخوري ، الا اذا فهم قارئه ان اكثر ما طبع في مصر من كتب العلوم المختلفة كان فضل تعريبه للنصارى اللبنانيين ولسواهم من غير المصريين ـ على حد تعبيره ـ وهو يقول : «ومن أشهر هؤلاء يوحنا عنحوري ، واول كتاب طبي طبع في العربية من ترجمات هذه النهضة كان تأليف كلوت بك وترجمه يوحنا عنحوري ، وهو كتاب القول الصريح ، ويوسف فرعون له بضع عشرة ترجمة ، واوغسطين سكاكيني ... »

ونحن نحب أن نورد هنا شيئاً عن التعريب والمعربين ، لا شك ان الأب فاخوري قد قرأه ، واشياء اخرى لعله لم يطلع عليها ، فلقد ذكر جرجي زيدان اسماء المعربين من غير المصريين فاذا بهم ستة أشخاص فقط وهم «عنحوري ، فرعون ، سكاكيني ، يعقوب ، فيدال ، لاز» ؛ ولسنا ندري كيف يريد الأب فاخوري ان يجعل من الثلاثة الأول اصحاب الفضل العريض على العلم وحتى على النهضة العربية بأسرها ، وتراجمهم وما ادوه من خدمات مأجورة تتلخص بما يلي :

١ ـ يوحنا عنحوري ـ بيت عنحوري معروف بمصر والشام [2] . كان يوحنا ضعيفاً باللغة الفرنسية ومتمكناً من الايطالية [3] . شهد له «كلوت» بالدأب

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٨٤ (٢) و (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٩٠

والاخلاص في العمل [١] . واول كتاب طبي طبع في العربية كان من تأليف كلوت وترجمة يوحنا وحرره له محمد الهراوي [٢] . ثم ترجم كتاباً آخر في علم شفاء الأمراض من تأليف بروسيه وسانسون كان بالفرنسية فنقل الى الايطالية ليتمكن من تعريبه ، وقد صححه له محمد الهراوي وهو احد تلامذة الأزهر [٣] الذين حصلوا على لقب « دكتور في الطب » من فرنسا [٤] .

٢ — يوسف فرعون — آل فرعون اسرة معروفة هاجر بعضها الى مصر منذ قرن ونصف [٥] ومنهم يوسف . له احدى عشرة معربة في الطب البيطري والعقاقير [٦] .

٣ — اوغسطين سكاكيني — ولعله من بيت السكاكيني المعروفين في مصر [٧] وقد نقل كتاباً في الطب لكلوت حرره له الشيخ الهراوي الأزهري [٨] .

ان ذكر هذه الخلاصات ، كما نجده ، أقوى رد على الأب فاخوري ، يجعل أثر هؤلاء الثلاثة أهون من ان يشار اليه في تاريخ النهضة الحديثة ، حتى ولو غضضنا الطرف عن ضعف الأول باللغتين العربية والفرنسية ، ومع نفي التمصر عن الثاني وأهله ، ومع عدم الشك مطلقاً في نسبة الثالث الى لبنان . على أنه من حق التاريخ ان ندون هنا ما رافق التعريب الذي امر به محمد علي من عناية لولاها لما تم على شكل يرضي العلم والعلماء ، يقول جرجي زيدان : « ولما اراد محمد علي نقل العلوم الحديثة الى العربية كان اكثر النقلة لا عناية لهم في اللغة العربية ، واكثر علماء اللغة لا معرفة لهم باللغات الأجنبية [٩] » وهذه الحقيقة كانت أهم عثرة في سبيل النتائج التي توخاها محمد علي من فتح المدارس واستحضار الأساتذة ، ونقل العلوم من اللغات الأجنبية ، وخصوصاً وقد كانت النتائج الأولى لامتحانات مدرسة الطب غير مرضية ، فاعترف مديرها الفرنسي « بان السبب

---

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٥٨ (٢) و(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٠٥
(٤) تاريخ التعليم في عصر محمد علي (٥) و(٦) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٩٠
(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ٤ / ١٩٠ وقد وضع مؤلف كتاب التعليم بعد اسم اوغسطين بين قوسين (من مرسيليا) ص ٢٥٨
(٨) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٩١ (٩) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٠٤

الوحيد لتأخر طلابه هو ان دروس الأساتذة الأجانب غير الملمين باللغة العربية او اللغة التركية كان يترجمها للطلبة مترجمون لا يعلمون شيئاً عن معناها فلا يستطيعون شرحها للطلبة [١] » ؛ ولكن محمد علي استطاع بثاقب تفكيره ملافاة هذا النقص فكان اول ما صنعه ان عين « طائفة من علماء الأزهر الحاذقين اللغة العربية والمعروفين بالاطلاع والقدرة على البحث ، وهم « المصححون » الذين قاموا على الكشف عن المصطلحات العربية القديمة واحيائها من جهة ، واصلاح الدروس ثم الكتب العربية من الوجهة اللغوية والبيانية من جهة أخرى [٢] » . ولا شك ، كما يقول الأستاذ احمد عزت عبد الكريم [٣] : « ان هؤلاء المصححين ، بما اتيح لهم من الاطلاع على المؤلفات العربية قد أمدوا المترجمين بعظيم المعاونة في اختيار الألفاظ العربية التي تقابل المصطلحات الطبية الأجنبية ، أما المصطلحات التي لم يجدوا لها مرادفاً عربياً فقد وضعوا لها مصطلحات جديدة مشتقة من الألفاظ الأجنبية « ومن هؤلاء الرجال مجتمعين تكونت (أكاديمية) تكفل أمانة الترجمة وصحتها [٤] ، وأصبح للطب في خمس سنين معجم تزيد كلماته على ستة آلاف كلمة » .

من هذا تتبين لنا قيمة جهود المترجمين اللبنانيين من ناحية أثرهم في النهضة العربية ، ونستطيع تقدير جهودهم من الناحية العلمية بالنسبة الى غيرهم اذا ذكرنا الحقائق التالية :

أولاً — الكتب العربية التي ألفها الأساتذة الأجانب :

١ — الف الدكتور كلوت مدير المدرسة الطبية اثني عشر كتاباً طبعت كلها باللغة العربية ، عرب ستة منها معربون مصريون مسلمون ومن تلامذة الأزهر القدماء ، وعرب اثنين يوحنا عنحوري ، وواحداً عربه اوغسطين سكاكيني ، والثلاثة الباقية لم يذكر اسم معربها .

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٦١

(٢) و (٣) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٦٣ و ٢٥٨

(٤) عن مذكرات الدكتور كلوت

٢ — الف الدكتور برون ، بعد ان اتقن العربية ، كتابين مهمين في الطبيعة والكيمياء صححها له أحد تلامذة الأزهر .

٣ — الف الدكتور برنار معلم فن الصحة كتابا طبع بالعربية ولم يذكر اسم معربه .

٤ — الف الدكتور فيجري كتابا في علم النبات عربه ونقحه اثنان من تلامذة الازهر .

ثانياً — الكتب التي ألفها أو ترجمها المصريون :

١ — عرب الدكتور ابراهيم النبراوي المتوفى سنة ١٨٦٢ وهو من تلامذة الأزهر ثلاثة كتب طبية .

٢ — عرب وألف الدكتور احمد حسن الرشيدي المتوفى سنة ١٨٦٥ وهو من تلامذة الأزهر تسعة كتب .

٣ — الف الدكتور محمد علي البقلي المتوفى سنة ١٨٧٦ وكان من تلامذة الأزهر اربعة كتب طبية ، وهو أول من أصدر مجلة طبية باللغة العربية [1] .

٤ — عرب الدكتور محمد الشافعي كتاباً للدكتور كلوت كما الف موسوعتين طبيتين .

٥ — عرب الدكتور محمد الشباسي معلم التشريح الخاص كتابا وألف آخر .

٦ — عرب الدكتور عيسى النحراوي معلم التشريح العام كتاب التشريح العام .

٧ — الف الدكتور حسن غانم معلم الصيدلة ومن قدماء تلامذة الأزهر كتابا وصحح آخر .

٨ — عرب محمد عبد الفتاح كتابين طبيين وواحداً في الطب البيطري وآخر في الصيدلة .

٩ — عرب الدكتور علي هيبة كتابين .

أولئك هم المؤلفون الأجانب ، وهؤلاء هم المعربون من المصريين ، وهم من أعضاء البعثة الأولى وقد طبعت كتبهم في عهد محمد علي ، وهناك مصريون كثيرون اشتهروا بالكتب التي ألفوها او عربوها في عصر اسماعيل لا نرى مجالاً للكلام عنها ، لأننا نبحث فقط عن عصر النهضة الأولى ، يوم كان لبنان معدماً من

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٩٥

المدارس العالية ، واكثر اساتذة ما فيه من المدارس كهنة ، ان الفوا فلا تخرج تآليفهم عن أبحاث الدين وغايات التبشير .

لعل بعد هذا الذي أثبتناه من وقائع ، وذكرناه من أرقام سنين ، ونقلناه من أقوال ، او في بعضه ما يكفي لنفي ما زعمه الأب فاخوري من انه : «عندما أخذ المصريون يؤلفون ويترجمون كان في لبنان علماء يؤلفون ويترجمون من العلوم ما كان له الأثر الكبير في البلاد ، فقد انتشرت اذ ذاك مؤلفات الدكتور كرنيليوس فانديك في الطب والرياضيات والفلك واللغة ، ومؤلفات الدكتور يوحنا ورتبات ، ومؤلفات الدكتور جورج بوسط في الطب والتاريخ الطبيعي وما الى ذلك . وفتحت الكلية الأمريكية أبواب العلم واسعة ، ثم أنشئت الجامعة اليسوعية ، فكان في بيروت العاصمة اللبنانية جامعتان لهما أثرهما في العالم العلمي والثقافي ، ولم يتح لمصر ان تقترب من ذلك الرقي الا في زمن غير بعيد منا» كذا !!

هذا ما جرؤ الأب فاخوري على قوله ، وفيه ما فيه من مخالفة للحقائق والأرقام ، واندفاع وراء الخيال والأوهام ، اما ما أشار اليه من مؤلفات الدكتور فانديك الهولندي الأصل ، والدكتور ورتبات الأرمني الارومة ، والدكتور بوسط الاميركي الجنسية ، فلعله لا يكتم غيظه اذا قلنا له بأن الكتب العلمية التي الفها المصريون أو عربوها كانت قد طبعت في مصر وانتشرت في البلاد العربية في زمن لم يكن ولا واحد من هؤلاء الثلاثة قد درس الطب بعد ، بل ان اثنين منهما لم تكن أقدامهما قد وطئت أرض لبنان ، وثالثهما حتما لم يكن قد رأى نور الشمس بعينه [1] .

وقد يكون من المفيد أن نختم هذا البحث عن التعريب والتصحيح وفضل المعربين

(١) ولد الدكتور فانديك سنة ١٨١٨ وبعد دراسته الطب في البلاد الاميركية أرسل مبشراً دينياً الى سورية ، فوصل ميناء بيروت في ٢ نيسان ١٨٤٠ ، والدكتور ورتبات ولد سنة ١٨٢٧ واشتغل مبشراً في سورية ثم غادرها الى انكلترا لدراسة الطب فلما عاد طبيباً عين أستاذاً في الكلية الاميركية وكانت في أوائل عهدها . أما الدكتور بوسط فقد ولد سنة ١٨٨٣ ودرس الطب واللاهوت في امريكا ثم ارسل الى سورية للتبشير والتطبيب وقد وصلها سنة ١٨٦٣ راجع تراجم هؤلاء في كتاب تراجم مشاهير الشرق لجرجي زيدان ج ٢ مصر ٩٣٢ .

والمصححين ، وأثرهم في النهضة العربية ، بنقل خلاصة مقدمة الشيخ محمد عمر التونسي احد علماء الأزهر المتوفى سنة ١٨٥٧ للمعجم الذي ألفه تحت اسم « الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية » قال :

« لما كثرت ترجمات الكتب الطبية رأيت أن أؤلف قاموساً جامعاً للمصطلحات ، وكان كلوت بك قد أتى بكتاب فرنساوي في المصطلحات الطبية والعلمية ، واوعز الى مهرة المعلمين ترجمته وهم : ابراهيم النبراوي معلم الجراحة الكبرى ، ومحمد علي البقلي معلم الجراحة الصغرى ، ومحمد الشافعي معلم الأمراض الباطنة ، ومحمد الشباسي معلم التشريح الخاص ، وعيسوي النحراوي معلم التشريح العام ، والسيد احمد الرشيدي معلم الاقرباذين والمادة الطبية ، ومصطفى السبكي معلم أمراض العين ، وحسنين علي معلم النبات ، فترجم كل منهم الجزء الذي أعطيه . فأوعز اليّ الدكتور برون ناظر المدرسة أن آخذ من الكتاب كل لفظ يدل على مرض أو عرض او نبات او معدن او حيوان او غير ذلك من الاصطلاحات . وان استخرج ما في القواميس من التعاريف . وما جاء في تذكرة داود وما في فقه اللغة وغيره من المعاجم او كتب اللغة . ففعلت ذلك وأضفت اليه اسماء العقاقير واسماء الأطباء المشهورين ورتبته على حروف المعجم [١] » .

الصحافة

يأتي الاب فاخوري في رده على ذكر الصحافة ويقول : « أما الصحافة العربية فلم تقم في الحقيقة إلا على أكتاف أبناء لبنان » مستشهداً بالمستشرق « هارتمن » وبما ذكره الاسكندري في « الوسيط » والزيات في « تاريخه » ، وهارتمن قد قال : « ان من عوامل سرعة انتشار الصحافة في مصر تقاطر السوريين الى وادي النيل في عهد اسماعيل وما بعده » والاسكندري يقول عن السوريين « انهم أول من قام بانشائها بمصر بعد الوقائع [٢] ، ولكنهم لم ينفردوا بها اكثر من عشر سنين »

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٠٧

(٢) من الغريب المدهش ان الأب فاخوري لم يكن امينا على هذا النص اذحذف منه قوله « بعد الوقائع ووادي النيل » راجع الوسيط للاسكندري وعناني ص ٣٢٤ مصر ١٩٣٠

والزيات يذكر « ان الفضل في تقدم الصحافة ورقي التحرير انما كان للسوريين » .

ولسنا ندري لمَ كلف الاب فاخوري نفسه عناء الاستشهاد بمثل هذه الاقوال الصادقة ، ولم يتعرض الاستاذ الرئيس في مقاله لذكر الصحافة ، ولم ينف احد اشتغال السوريين بالصحافة المصرية ومشاركتهم المصريين في اعلاء شأنها ، وهم قد هاجروا من بلادهم طلباً للحرية وقد وجدوها في مصر ، وطلباً للارتزاق وقد توفر لهم في معاناة الصحافة ، وانه ليؤلمنا أن نشير ـ وقد أحرجنا الاب فاخوري بكثرة غلوه ـ الى ما يتهامس به المصريون ، على غياب منا معاشر السوريين ، من أنهم كانوا يفضلون أن تبقى صحافتهم متأخرة عشر سنوات من أن يأتيهم من يرتقي بها على حساب حريتهم واستقلالهم .

نعم لم يكن من معنى للتفاخر بجهود نصارى السوريين في رفع مستوى الصحافة في مصر ، وموضوع البحث الذي أثاره الكاتب الفرنسي انما يدور حول الأسبقية الى النهضة او نشر بذورها لا على كيفية نموها وترعرعها ، وهذا المؤرخ جرجي زيدان يقول : « اما الشرق العربي فالصحافة لم تظهر فيه الا بعد دخول القرن التاسع عشر ، ومصر سبقت سواها فيها[1] » ، وبطرس البستاني يؤكد : « وكانت مصر مهد الصحافة الأولى[2] » لأنها عرفت الصحافة منذ حملة نابوليون سنة ١٧٩٨ - ١٨١٠ يوم أصدر الفرنسيون صحيفتين باللغة الفرنسية وثالثة باللغة العربية اسمها « التنبيه » وكان يحررها السيد اسماعيل الخشاب[3] . وحتى الأب لويس شيخو اليسوعي يحترم هذه الحقيقة ، يقول : « أما الصحافة العربية فنشأت أولاً في مصر[4] » .

ومن الثابت ان اول صحيفة عربية بالمعنى العام كانت « الوقائع المصرية » التي أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٨ ، وابتدأت صدورها باللغة التركية ولم تلبث أن

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٦٢ (٢) أدباء العرب بيروت ١٩٣٢

(٣) راجع تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية لابراهيم عبده مصر ١٩٤٠

(٤) الآداب العربية ص ٧٣ ج ١ بيروت ١٩٢٤

اصبحت عربية صرفة وكان من محرريها الشيخ حسن العطار الشهير [١] . على ان الصحافة لم تحتل مكانتها اللائقة قبل عهد اسماعيل اذ بعد انقضاء عهد محمد علي « تحولت مهمة الصحافة في أثناء تلك الفترة الى سوريا ، فأخذت على عاتقها اتمام هذا العمل عن شقيقتها مصر . وقد رأيت أن نهضة سوريا العلمية كان العامل الأكبر فيها جماعة المبشرين الأجانب . ولذلك كانت اقدم الصحف عندهم دينية . كما كانت أقدم الصحف المصرية رسمية أميرية لأن الحكومة هي التي قامت بنهضة هذا القطر [٢] » .

ويذكر زيدان تاريخ الصحافة في مختلف البلاد العربية ، ويتكلم عن الصحف السياسية غير الحكومية ويقول : « ان جريدة مرآة الأحوال التي صدرت في الأستانة سنة ١٨٥٥ كانت أول جريدة عربية سياسية غير رسمية [٣] » بينما لم يعرف لبنان الصحف قبل « جريدة حديقة الأخبار » التي أصدرها في بيروت خليل الخوري سنه ١٨٥٨ ، ولم تلبث أن اصبحت رسمية تنطق باسم الحكومة . وبعد هذا أخذ المشتغلون بالأدب والسياسة باصدار الصحف لا في سورية بل في مختلف البلاد العربية ، على أن تاريخ الصحف السياسية والعلمية لا يبدأ في لبنان قبل سنة ١٨٧٠ ، اذ صدرت فيه « الزهرة » و « البشير » و « الجنة » و « النحلة » . ثم « ثمرات الفنون » و « لسان الحال » الخ ...

وما أن تولى اسماعيل الحكم في مصر ، وهو كما يصفه زيدان كان يرى « ما رآه جده محمد علي من احياء آداب اللغة العربية والجامعة العربية ، فنشط الصحافة وقرب الأدباء والعلماء في سائر الأمصار العربية . فتقاطر السوريون في أيامه الى مصر ، وأخذوا بانشاء الصحف في سورية وخارجها فسهل عليهم اسماعيل الاشتغال بها في مصر [٤] » .

ولقد أصدر المصريون في أيامه عدة صحف « كاليعسوب » سنة ١٨٦٥ وهي

---

(١) راجع تاريخ الوقائع المصرية لابراهيم عبده مصر ١٩٤٢

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٦٣ - راجع كتاب تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرازي

(٣) و (٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٤ - ٦٦

أول مجلة طبية صدرت باللغة العربية . ثم صدرت « وادي النيل » سنة ١٨٦٦ وهي صحيفة سياسية أدبية وعلمية . ثم صدرت « نزهة الأفكار » سنة ١٨٦٩ وهي سياسية اقتصادية . ثم مجلة « روضة المدارس » سنة ١٨٧٠ وهي علمية أدبية .

ويقول زيدان تعليقاً على تولي اسماعيل الحكم في مصر ان السوريين « يعرفون مصر وخصبها ، وتوفر أسباب الرزق فيها لجاء اليها طائفة من الأدباء والشعراء والكتاب أشهرهم آل تقلا وأديب اسحاق وسليم نقاش وغيرهم[1] » فصدرت « الكوكب الشرقي » سنة ١٨٧٣ . ثم « الاهرام » سنة ١٨٧٦ . وصدرت « المحروسة » سنة ١٨٨٠ . ثم جاء زمن كان فيه اكثر ارباب الصحف في مصر من أولئك السوريين الذي نزحوا اليها واتخذوها وطناً ، فلما احتل الانكليز الديار المصرية سنة ١٨٨٢ أخذت الصحافة تدخل في طور جديد من القوة والانتشار ، مرتدية الطابع اليومي الاخباري ، وتزعمت الصحافة جريدتان من أمهات الصحف ، أولاهما « المقطم » اللبنانية النصرانية - على رأي الأب فاخوري - وقد ظهرت سنة ١٨٨٨ ، ثم تبعتها صحيفة « المؤيد » الجريدة المصرية المسلمة ، وقد اشتد التنافس بين هاتين الصحيفتين حتى انقسمت الصحافة في مصر الى معسكرين[2] ، يصفهما جرجي زيدان بقوله : « صارت اكثر الصحف اما مقطمية او مؤيدية - اما مع الاحتلال أو عليه - الا الاهرام فانها تثبت على خطتها[3] ، في التزام جانب فرنسا[4] » .

الجمعيات

للجمعيات العلمية والادبية شأن كبير في تاريخ العرب الحديث ، ومما لا شك فيه ان أول نور رآه العالم العربي ، عن طريق الجمعيات كان أيام الفرنسيين في مصر ، اذ أنشأ نابوليون في مصر مجمعاً علمياً مصرياً سنة ١٧٩٨ باسم « انستيتو ديجيبت »

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٤ - ٦٥

(٢) راجع ما كتبه بطرس البستاني عن الصحافة - أدباء العرب بيروت ١٩٣٧

(٣) و (٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٩ - ٧٠ راجع أيضاً كتاب بطرس البستاني المذكور

وبالرغم من ان لغة المجمع الرسمية كانت الفرنسية فقد نص قانونه على : «انه انما أنشيء لخدمة مصر ونشر العلم والمدنية فيها» ولا أدل على صحة هذا القول من الوصف الذي دونه «الجبرتي» مؤرخ مصر عن ذلك المجمع اذ قال : «فيه جملة كبيرة من كتبهم عليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ، ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم . فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لمخازن المكتب على كراسي منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها فيحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر» .

ولئن كان خروج الفرنسيين من مصر قد أوقف هذا المجمع فان اعمال محمد علي في نشر الثقافة فاقت عمل مئات من المجامع العلمية ـ فضلاً عن الجمعيات الادبية الفردية ـ على ان المصريين أحيوا هذا المجمع سنة ١٨٥٩ تحت اسم «مجلس المعارف المصري» وهذا طبعاً غير مجلس شورى المدارس الذي عهد اليه محمد علي سنة ١٨٣٦ بالاشراف على شؤون العلم في مصر والذي أصبح فيما بعد «المجلس العام لاعادة تنظيم المدارس» .

أسست في مصر جمعيات كثيرة ، كما كانت سورية موطناً لها ، ولكن ليس من يستطيع ان يقول كما قال الاب فاخوري من ان «لبنان سبق مصر الى الجمعيات ـ وان الجمعيات لم تظهر بمصر الا في النصف الثاني من القرن الماضي» من أجل الاستدلال على أن لبنان هو أبو النهضة العربية ؛ ولقد أتى الأب فاخوري على ذكر «الجمعية السورية» التي أنشأها المرسلون الاميركيون سنة ١٨٤٧ وادعى ان أول جمعية عربية في مصر انما كانت سنة ١٨٦٨ ، وقد يكون هذا صحيحاً ولسنا ننكر على الجمعية السورية خدمتها وشهرة أعضائها ، ولكن ما نظن أحداً يدعي بأنهم كانوا ـ آباء النهضة ـ وهم لم يكونوا إلا من رجالها الذين اندفعوا بقوة التيار الذي سرى في الجسم العربي منذ ايام محمد علي .

الجامع الأزهر

لا بد لنا اتماماً للبحث من حديث مقتضب عن «الجامع الأزهر» وأثره في النهضة العربية، لأن الاب فاخوري قد أثار هذا الموضوع واستشهد بكلام نشرته مجلة الهلال سنة ١٩٠١ في وصف المدارس قبل عصر محمد علي جاء فيه: «وفي ما خلا مدرسة الازهر كانت المدارس المصرية عبارة عن كتاتيب صغيرة او نحوها لتعليم القراءة البسيطة ومبادئ النحو» وهو قد ذكر هذه الفقرة تمهيداً ليقول: «ولا احد يجهل ما كانت عليه مدرسة الازهر في ذلك الوقت، اذ كان التلميذ يذيب دماغه فيها وراء (زيد وعمرو) ليقف على محلها من الاعراب ...» وأتى بعدئذ بعد هذا بكلام للاستاذ انيس النصولي ثم اورد قطعة من كتاب «الايام» للدكتور طه حسين يصور فيها الازهر وطريقة التدريس فيه، ليخلص بعدئذ الى قوله: «ولم يكن من البيئة ما يساعد على النهوض، فكان لا بد من نور غريب ينير الأذهان ويرفعها الى مستوى العصر» فجاء اللبنانيون - على رأيه - بالنور الذي هدى الامة العربية سبيل التقدم والنهوض .

ان كل نقد يوجه للأزهر وطرق التدريس فيه يقبل عندما يصدر عن مخلصين للأزهر يهمهم ان يروه قائماً بتأدية الرسالة التي اؤتمن عليها من الف سنة على وجهها الأكمل، أما نقد الأزهر للوصول الى الحط من قيمته ونفي فضله على العرب والمسلمين . حتى في أحلك الأدوار التي مرت بهم، فهو أمر لا يرضي المؤرخ المنصف ولا العالم الذي ينشد الحقائق الواقعة .

لقد مر على الأمة العربية حين من الدهر تكالب عليها المغيرون، واستبد بالحكم فيها الأعاجم، حتى تقهقرت فيها الحياة العلمية والثقافية، تبعاً للأحوال السياسية، تقهقراً مريعاً، أفلت من يدها مشعل الثقافة والعلم، وقد اؤتمنت عليه وأدت رسالتها على خير وجه، ولكن هذا التأخر العلمي لا يعني ان الأمة العربية عقمت من الأفذاذ، فقد كانت بفضل الأزهر، وغيره من المدارس الدينية،

نجب أعلاماً عاملين جاهدوا ، جهاد الأبطال في سبيل اعادة مجد العرب الغابر وإحياء عزهم التليد[١] . ولقد أصبح الأزهر خلال تلك العصور المظلمة الملاذ الاخير لعلوم الشرع والدين ، كما أصبح بنوع خاص المعقل الحصين للغة العربية ، « تحتفظ في أروقته بكثير من قوتها وحيويتها ، وبدرأ عنها عاديات التدهور النهائي ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ، مقاومتها ، يردها عن التغلغل في المجتمع المصري[٢] ، ... وربما كانت هذه المهمة السامية التي ألقى القدر زمامها الى الجامع الازهر ، في تلك الأوقات العصيبة من حياة الامة المصرية ، والعالم الاسلامي بأمره ، هي أعظم ما أدى الازهر من رسالته ، وأعظم ما وفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل[٣] » .

إن فضل الازهر على العروبة والاسلام بصورة عامة ، وعلى النهضة العربية الحديثة بصورة خاصة ، أمر لا يشك فيه الا جاهل او جاحد ، ونحن نعيذ الاب فاخوري ان ينزل بنفسه الى هذه المنزلة من اجل تأييد فكرة معينة ، لانه من الثابت ان محمد علي اعتمد على الازهر في انتقاء رجال النهضة التي ابتغاها ، وعلى أبنائه اعتمد في نقل كتب العلم وصياغتها في قالب عربي مبين ، وجميل قول الاستاذ محمود مصطفى : « وليس بمنكور ان الازهر كان ذلك القبس الذي اشعل منه محمد علي مصباحه ، فكشف غياهب الجهالة عن مصر ، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض ، فمن الأزهر أخذ طلبة البعوث ، ومنه استمدت مدرسة الطب في أول نشأتها ، ومن شيوخه كان نظار المدارس الابتدائية ومعلموها ومحرروا كتب العلم المترجمة[٤] »

ان التاريخ لم يعدم منصفين من النصارى كجرجي زيدان إذ قال في وصف الازهر : « وله فضل خاص على آداب اللغة العربية ، لأنه احتفظ بها في أثناء الاجيال المظلمة[٥] » وكبطرس البستاني إذ قال : « وللازهر يد على النهضة

(١) راجع لمحة في تاريخ الازهر على عبد الواحد وافي مصر ١٩٣٦
(٢) راجع عجائب الآثار للجبرتي لتقرأ تراجم الرجال الذين أنجبهم الأزهر خلال تلك العصور المظلمة.
(٣) تاريخ الجامع الازهر محمد عبد الله عنان مصر ٢ : ١٩
(٤) الأدب العربي وتاريخه ج ٣/٣٢٣ مصر ١٩٣٧
(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٢

فان طلابه هم الذين كانوا يرسلون في البعثات العلمية الى اوروبة [1] » حتى الاب لويس شيخو اليسوعي اعترف بفضل الأزهر قائلاً : « ومما ساعد أهل مصر على صيانة الآداب العربية بين ظهرانيهم مدرسة زاهرة كان يعلم فيها نخبة من العلماء المسلمين ، نريد بها المدرسة الازهرية ، التي مر في المشرق وصفها (١٩٠١) وكان متولي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبد الله بن حجازي الشهير بالشرقاوي مولده في شرقية بلبيس سنة ١١٥٠ (١٧٣٧ م) درس في الازهر وانتقلت اليه مشيخته سنة ١٢٠٨ وبقي عليهـا الى سنة وفاته ١٢٢٧ (١٨١٢ م) وله عدة تصانيف [2] .. » ؛ أما الاب فاخوري ، فانه أنكر كل فضل للازهر على النهضة العربية ، وادعى بان المدرسة التي فتحها البابا غريغوريوس الثالث عشر في رومة لموارنة لبنان في أواخر القرن السادس عشر قد خدمت لبنان أجل خدمة بما أخرجت له من بطاركة ومطارنة وكهنة ، وكأن الاب فاخوري ، عندما قال عن مدرسة رومة « انها خدمت لبنان أجل خدمة » قد خجل من أن يقول « خدمت العروبة والاسلام » فقصر ادعاءه على لبنان فقط ، ثم جعل لبنان صاحب الفضل الاول على النهضة العربية ، وهو بهذا كأنه قد قال ان العرب مدينون بنهضتهم لمدرسة « رومة ! » ونحن لا يسعنا ، بعد هذا الادعاء ، إلا أن نقول له : ان جميع الكهنة الذين خرجتهم مدارس البابوات في رومة وباريس [3] ، وجميع تلاميذ الارساليات الاجنبية والبعثات التبشيرية في لبنان لن نقدر جهودهم في سبيل العروبة بذرة واحدة اذا بخس الازهر فضله على الامة العربية ، ويكفي تلك العصور المظلمة ،

---

(١) أدباء العرب .

(٢) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ص ٨ ج ١ بيروت ؛ ١٩٢٤ وفي هذا الكتاب كثير من الحقائق التي فيها الرد الكافي على بعض ادعاءات الاب فاخوري .

(٣) راجع كتاب بطرس البستاني عن عصر الانبعاث لتعرف قيمة تلك المدارس ، فقد أشاد المؤلف بأهميتها ولكنه تحاشى الغلو الذي وقع فيه الأب فاخوري : كأنه علق على كلامه عن نهضة لبنان بقوله : « على ان النهضة الحقيقية لم تلمس الا بعد نصف القرن التاسع عشر حين ظهرت المدارس الراقية وانتشرت الطباعة والصحافة » ا هـ .. فتأمل ! !

في التاريخ العربي ، فخراً ان وجد فيها من تلامذة الازهر من يترك للعربية «تاج العروس[1]» وأنعم به من تاج !

انصاف غير مقصود

مما استشهد به الاب فاخوري في مقاله ، كلام للاستاذ الرئيس من كتابه «خطط الشام» فيه وصف لحالة بلاد الشام بعد عصر ابن تيمية (القرن الرابع عشر) والانحطاط العلمي فيها ، والتأخر الذي أصاب المسلمين بعد حضارة زاهرة ، ثم استشهد بكلام آخر من «خطط الشام» في المقارنة بين مدارس المسلمين التي شاخت وبليت طرق التدريس فيها ، وبين المدارس الحديثة التي كان النصارى والمبشرون بدأوا بتأسيسها في القرن التاسع عشر ، وقد علق الاب فاخوري على ذلك قوله : «ان هذه المدارس ـ يقصد مدارس النصارى والمبشرين ـ نشأت وترعرعت قبل نهضة مصر ... فتأمل» !

إن تعليق الاب على كلام الاستاذ الرئيس ضعيف لا يفيد تأييداً لرأي أثبتت الوقائع خطله ، وليس في استشهاده بفقرات من «خطط الشام» الا رداً على نفسه عندما حاول ان ينال من الاستاذ الرئيس وقال عنه «ديدنه التحرش بلبنان واللبنانيين» وهو لو أنصف نفسه لما استشهد بكلام ينصف فيه الرئيس النصارى لأنه بذلك أعطى قارئه الدليل الصريح على أن ديدن الاستاذ الرئيس قول الحقيقة ، ولا يهمه بعدها أرضي الناس أم غضبوا ، وان ترضي الحقيقة الا المنصفين ، وانه ليسرنا لو رأينا الاب الفاخوري بينهم .

* * *

(٢) تأليف الزبيدي مرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) . وفي هذه الفترة المظلمة من التاريخ العربي نبغ مئات من المؤلفين المسلمين في مختلف البلاد العربية وقد تركوا التآليف الهامة في اللغة والادب والتاريخ ، والمجال أضيق من أن نوسع البحث عنها لنزيف ادعاءات الاب فاخوري ، وتكفي المستزيد مراجعة تاريخ زيدان ليقف على كثير من الحقائق التي ينكرها الاب فاخوري .

المبحث الثالث

محمد علي والفكرة العربية

نتم هذا الموضوع بلمحة موجزة عن تاريخ ظهور الحركة العربية في العصر الحديث، لأن البحث كله إنما دار حول هذه النقطة، وما كان رد الاستاذ الرئيس على الكاتب الفرنسي إلا لأنه ادعى فيما ادعاه أن نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوها، وجاء الاب فاخوري يدافع عن الفرنسي ليثبت أن « لبنان قد إستفاد من ثقافة الغرب قبل أن تستفيد مصر » ثم ليثبت انه ليس من « الجهل » الادعاء « بان نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية » .

لقد أصبح من الثابت اليوم أن اول من بعث الفكرة العربية في النفوس بعد أن ركدت عصوراً طويلة ايام الحكم العثماني، هو محمد علي الذي أقام صرح النهضة بثاقب تفكيره وبدافع طموحه واسس دولة على اكمل ما ينبغي ان تؤسس، وقد كانت الحملة الفرنسية الى مصر قد أيقظت النفوس الى فوائد الاقتباس من الغرب وخصوصاً تنظيمه وعلومه العصرية ومفاهيم الحكم لدى شعوبه، وما كاد محمد علي يتولى الامر بعد ان عاد الفرنسيون الى بلادهم حتى اخذ بتنظيم شؤون الدولة على احدث الاساليب ففتح المدارس وبعث البعوث وامر بنقل العلوم المختلفة فلم تنقض بضع سنوات على حكمه حتى كانت بذور النهضة قد نبتت، ولقد رآها محمد علي فأيقن بنجاحه واجاب الامير بوكلر موسكو الالماني قائلاً : « إن سيرتي لا تبدأ الا من اليوم الذي استطعت فيه ان انهض بهذه البلاد من سبات الأجيال التي تعاقبت عليها، وان آخذ بيدها نحو حياة جديدة[1] » .

ما كادت مصر تلقي مقاليدها الى محمد علي حتى وجد ان واجب النهوض بها يدعوه لنشر العلم والعمل على رفع المستوى الثقافي للأمة، وكان من افضل الطرق للوصول الى هذه الغاية ايفاد الشباب الى اوروبة لتلقي العلوم المختلفة، حتى اذا ما عادوا ساهموا في خلق دولة حديثة قوية وعملوا على ادارتها، واول بعثة

(١) راجع كتابه المعنون (مصر تحت حكم محمد علي)

ارسلها محمد علي كانت الى ايطاليا سنة ١٨١٣ من أجل تعلم فن الطباعة وسبك الحروف ، ثم توالت البعثات على الشكل التالي[١] :

٢ — بعثة بحرية حربية الى فرنسا سنة ١٨٤٨

٣ — بعثة للعلوم المختلفة الى فرنسا سنة ١٨٢٦ وهي مؤلفة من اربعين عضواً

٤ — بعثات عديدة الى فرنسا من اجل العلوم الرياضية والصناعات المختلفة من سنة ١٨٢٦ — ١٨٣٣ ومجموع افرادها سبعون طالباً

٥ — بعثات صناعية الى النمسا وفرنسا وانكلترا سنة ١٨٢٩ وعدد افرادها ثمانية وخمسون طالباً

٦ — بعثة بحرية الى انكلترا سنة ١٨٢٩ وفيها اربعة طلاب

٧ — بعثة الاحباش الى فرنسا سنة ١٨٣٢ وعدد افرادها سبعة

٨ — بعثة طبيــة الى فرنسا سنة ١٨٣٢ وفيها اثنا عشر عضواً

٩ — بعثة عسكرية وللعلوم المختلفة سنة ١٨٤٤ وفيها سبعون طالباً

١٠— بعثة طبية الى النمسا وفرنسا سنة ١٨٤٥ وافرادها ثمانية

١١— بعثة طبية الى فرنسا سنة ١٨٤٧ وفيها طبيبان

١٢— بعثة المحاماة الى فرنسا سنة ١٨٤٧ واعضاؤها خمسة من تلامذة الأزهر

١٣— بعثة الميكانيك والعلوم السياسية الى انكلترا سنة ١٨٤٧ وهي مؤلفة من ستة وعشرين طالباً

١٤— بعثة طبية الى فرنسا سنة ١٨٤٨ وفيها طبيبان

١٥— بعثةا لتجارة الى انكلترا سنة ١٨٤٨ وفيها احد وعشرون تجاراً

ولقد عاد هؤلاء المبعوثون فأحدثوا انقلاباً مهماً في الحياة الفكرية والاجتماعية ، وفي جهاز الدولة ، وهم كما قال جرجي زيدان : « اول من قال بانشاء دولة عربية ، وبثوا هذه الروح في العناصر العربية ، ووافق ذلك غرض محمد علي السياسي فأخذ به[٢] » كما امر بفتح المدارس والمصانع وتعريب الكتب ، وبذل جهوده

(١) راجع كتاب الامير عمر طوطون عن البعثات أيام محمد علي

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ص ٧٦/٤

في مختلف نواحي الاصلاح الاجتماعي والسياسي لأنه « اراد ان ينشيء دولة عربية وقد علم ان الوسيلة الوحيدة لنجاح الامة انما هي العلم والصناعة وحسن الادارة [١] »

وهكذا ابتدأ محمد علي بتطبيق برنامج واسع من اجل انشاء دولة عربية يكون هو رأسها ومصر قاعدتها ، وكان يبعث للسلطان بالأموال الوفيرة من اجل الا يعكر عليه عمله ، وقد كتب « ميمو » القنصل الفرنسوي في مصر بتاريخ ١٠ آب ١٨٣١ الى وزير خارجية فرنسا مذكرة جاء فيها ذكر الاموال التي كان يدفعها محمد علي للسلطان واردفه بقوله : « وهو يأمل ان يزيد هذا المال اذا سمح له بأن يؤسس الصرح العربي ، وقد اخبرتكم قبلا بما يعنيه بالصرح العربي [٢] » ؛ وقد عاد القنصل المذكور الى الحديث عن اهداف محمد علي في المذكرة التي بعثها بتاريخ ٣٠ نيسان ١٨٣٢ وفيها يقول لوزير خارجيته بان « محمد علي بدأ يحدث رجاله واصدقاءه وبعض القناصل الأجانب عن مشروع انشاء دولة عربية كبيرة تكون مصر على رأسها [٣] » . ومن رأي « باترو ودافيزيه ده بونتار » ان « الصراع الذي دام بين محمد علي والدولة العثمانية أمداً ليس بقليل ، انما كان صراعاً قومياً ، وان محمد علي كان يدافع عن الذين عزموا عزماً قاطعاً على ازاحة نير الاتراك عن كواهلهم كما فعل اليونانيون والصربيون من قبلهم [٤] » .

هذا ويؤكد الأستاذ أسد رستم ان الحملة التي جهزها محمد علي الى سورية بقيادة ابنه ابراهيم كانت مطبوعة بالطابع القومي حتى ان ابراهيم كان يفخر في جميع منشوراته « بمصريته ويعد باحياء مجد العرب والعروبة [٥] » وقد قال « البارون بوالا كونت » معتمد فرنسا السياسي لدى محمد علي سنة ١٨٣٣ خلال حديث له عن ابراهيم والحملة السورية ما خلاصته « يريد ابراهيم باشا ان يحيي

(١) تراجم مشاهير الشرق جرجي زيدان ج ١ ص ٨ مصر ١٩٢٢
(٢) و (٣) كريم ثابت في محمد علي
(٤) راجع القضية العربية احمد عزت الاعظمي ص ٣٣ بغداد ١٩٣١
(٥) كريم ثابت

مجد الأمة العربية وان يعطي العرب حقهم في حكومة البلاد وفي الجيش أيضا ،
وقد ذكر عساكره في أثناء حربه الأخير في سورية بماضي الأمة العربية المجيد
وهو يقول يجب ان تكون كل البلدان العربية تحت حكم والده . ولذا فانه
يود ان يسيطر على بغداد والعراق العربي[1] » .

ومن الرجوع الى حالة البلاد السورية قبل ان يدخلها ابن محمد علي نجد أنها
كانت تتخبط في ظلام دامس من فوضى الادارة ومن جهل السكان ، وتعصب
ذوي الأديان ، ولم تكن بوجه عام قد فتحت «عينها للنور» بعد ، فما كان
من ابراهيم الا أن اسرع الى ايجاد حكم قوي عادل وعمل جهده لرفع مستوى
البلاد اجتماعياً ، ومن أعماله ذات الأثر الباهر تأليفه مجلساً من أعيان البلاد
عهد اليه بالنظر في مصالح العباد ، وهذا نص البلاغ الذي أذاعه بتاريخ ١٤ تموز
١٨٣٦ بمناسبة انتخابه لعشرين عيناً من أبناء دمشق ، قال ابراهيم :

« يجب على الراعي ان يعني بأمر رعيته ، ولذلك رسمت الخطط لاصلاح حال
السكان الذين اؤتمنت على مصالحهم ، ولا يمكن الوصول الى ذلك إلا بنشر
العدالة بينهم والعمل لخيرهم .

وتنفيذاً لهذا العزم الفت مجلساً من أعيان البلاد وتجارها وعهدت اليه النظر
في شؤون الأهالي ، وستكون جلساته علنية ، ويدخل في اختصاصه جميع المسائل
المدنية العادية ، اما المسائل القانونية فسيرجع فيها الى رأي علماء القانون[2] »

وهكذا كان حكم ابراهيم بن محمد علي في سورية اول باعث على النهوض
في هذه البلاد ، وأول منشط للنصارى بعد أجيال كانوا فيها بسبب الجهل
والتعصب على أسوأ حال حتى كتب « بانون » قنصل فرنسا في سورية الى حكومته
يقول وان الحكم المصري كان العهد الذهبي للمسيحيين في سورية[3] » .

(١) القضية العربية للأعظمي
(٢) مجموعة رسائل محمد علي المطبعة الاهلية بمصر ١٩٣١ الوثيقة ٤٦٤
(٣) كريم ثابت

فلما انقضى الحكم المصري عادت البلاد السورية الى فوضى الحكم الذي اشتهر به العثمانيون ، وعاد الأهالي الى تعصبهم القديم ، تذكيه الأهواء الاجنبية بعامل تضارب المصالح الدولية ، كما فصل ذلك الأستاذ الرئيس في «خطط الشام» حتى هاجر من نصارى سورية من هاجر الى مصر طلباً للحرية في كنف أحفاد محمد علي ، وبقي فيها من بقي يعمل على خدمة بلاده واللغة العربية خدمة مشكورة مذكورة .

وجميل ختم هذا البحث بقول جرجي زيدان «ان محمد علي خدم آداب اللغة العربية ، باحياء الجامعة العربية واللغة العربية ، حتى الأزياء العربية ، فانه كان يكره من يدخل في خدمته من الافرنج أن يتزيوا بالزي العربي ويتكلموا اللغة العربية ، ويؤلفوا فيها او ينقلوا كتبهم اليها[1]» .

* * *

خاتمة

الاعتراف بالجميل

لقد أنهى الأب فاخوري رده على الأستاذ الرئيس بايراد خطاب ألقاه الدكتور طه حسين في حفلة تكريم أقيمت له في لبنان ، أشاد فيها بالصلات بين مصر ولبنان وكان مما قاله : «ومن زعم من الأدباء المحدثين انه يمكن ان يتصل بالأدب العربي القديم دون أن تكون عليه يد لأعلام اللبنانيين في القرن الماضي فهو جاحد للمعروف منكر للجميل» وهذا كلام جميل وأجمل منه ان يكون صادراً عن مثل طه حسين المصري المسلم وعميد الادب العربي المعاصر ؛ ولكن الاستشهاد به غير جميل اذا صدر عن مثل الأب فاخوري لا من أجل اثبات جهود اللبنانيين ، غير المجحودة ، في خدمة اللغة العربية وآدابها ،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٣٣

بل من اجل الادعاء بان اللبنانيين هم باعثو النهضة العربية ورجال فجرها الثاني .

لقد اعترف الدكتور طه حسين بالجميل لأدباء لبنان وذكر منهم اليازجي والبستاني وهما من أركان نهضة الآداب العربية في الشطر الأخير من القرن التاسع عشر ولا شك ، ولكنهما ما كانا ـ رغم فضلهما ـ أكثر من أداة لتسهيل الاتصال بالثقافة العربية للمحدثين على حد تعبير الدكتور طه حسين نفسه .

اننا كتبنا بعض ما يمكن ان يكتب في مثل هذا الموضوع وانه لما يسوءنا أن الأب فاخوري قد اضطرنا اليه اضطراراً ، وهو يدعي أننا في «زمن نحن أحوج الناس فيه الى التفاهم والتآخي» وهذا حق ، ولكن ليس بالحق ولا بالعدل ان يبيح الأب فاخوري وأمثاله من اللبنانيين المتعصبين لأنفسهم الكلام والادعاء و «تمويه الحقائق» ثم يطلبون من أصحاب «الحق» ألا يدافعوا عن «حقهم» ومن اصحاب «العلم» ان يتجاهلوا «معلوماتهم» وكل هذا في سبيل «التفاهم والتآخي» .

هذا كلام نوجهه الى الأب يوحنا فاخوري فان اقتنع به فهو حسبه ، وان أغضبه فحسبنا قول الحق للعلم والتاريخ .

الدكتور عدنان الخطيب

الفهرس العام لمواد المجلد الرابع والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد الرابع والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين

الصفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء